

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية التربية
قسم اللغة العربية
الدراسات العليا



اللُّغات في كُتُب غَرِيبِ الحَدِيثِ

أطروحة قدّمتها
كاظم فضيل شاهر الغريري
إلى مجلس كلية التربية في جامعة بابل وهي جزءٌ
من متطلبات نيل درجة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها / اللُّغة

بإشراف
الأستاذ الدكتور صباح عباس السَّالم

2007م

1427هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَاخْتِلَافُ السِّنِّتِكُمْ وَالْوَانِكُمْ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾

(الروم: 22)

صدق الله العلي العظيم

الأهداء

أولاً

إلى . . . سيدي ومولاي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . .

حُبّاً وولاءً ونزاداً لي في الطريق الموحش

ثانياً . . .

إلى مروح أبي . . . رحمةً وتضرعاً ومعولاً على اللُقيا في جنات النعيم

إلى سكن النفس . . . أمي برّاً ووفاءً ودعاءً

صبرك الذي غرس في نفسي معاني الحب والأمل والمثابرة

إلى فيء القلب . . . أخوتي: ليلي . . علي . . عباس . . محسن . . أحلام . . إنعام

امتناناً واعتزازاً وشكراً . . . شددتم أنزري في الدرب الطويل

إلى مريع العقل والروح . . . نزوجي . . . أم أحمد

تقديراً وإخلاصاً . . . عشتِ معي المعاناة والسهر الطويل

إلى توأم الروح . . . أبنائي:

أحمد . . سارة . . دعاء . . عمار . . علي . . وحفيدة . . مرسل

أملأ متجدداً ومستقبلاً مشرقاً بإذنه تعالى



کاظم

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد الأطروحة الموسومة بـ (اللغات في كتب غريب الحديث) التي قدّمها الطالب (كاظم فضيل شاھر الغريري) تم بإشرافي في كلية التربية في جامعة بابل وهي جزء من متطلبات نيل درجة (دكتوراه) في اللغة العربية وآدابها/اللغة، وأنها قد استوفت خطتها استيفاءً تاماً وأرشحها للمناقشة .

الإمضاء:

الاسم: أ.د. صباح عباس السالم

المشرف

التاريخ: / /

بناءً على التوصيات المتوافرة أُرشح هذه الأطروحة للمناقشة.

الإمضاء:

الاسم: أ.م.د. عامر عمران علوان الخفاجي

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: / /

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة أننا اطلعنا على أطروحة الطالب (كاظم فضيل شاهر الغريزي) الموسومة بـ (اللغات في كتب غريب الحديث) وناقشناه في محتوياتها وفي ما له علاقة بها ، ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل درجة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها / اللغة , بتقدير ().

الإمضاء:	الإمضاء:
الاسم: أ.د. علي ناصر غالب	الاسم: أ.د. زهير غازي زاهد
عضواً	رئيساً
التاريخ: / /	التاريخ: / /

الإمضاء:	الإمضاء:
الاسم: أ.د. أسعد محمد علي النجار	الاسم: أ.د. علي كاظم مشري
عضواً	عضواً
التاريخ: / /	التاريخ: / /

الإمضاء:	الإمضاء:
الاسم: أ.د. صباح عباس السالم	الاسم: أ.م.د. صباح عطوي عبود
عضواً ومشرفاً	عضواً
التاريخ: / /	التاريخ: / /

صدقها مجلس كلية التربية بجامعة بابل

الإمضاء:
الاسم: د. لؤي عبد الهاني السويدي
عميد الكلية
التاريخ: / /

الخلاصة

تضمنت أطروحتي التي وسمتها بـ((اللغات في كتب غريب الحديث)) دراسة للهجات العربية في هذه المصنفات واشتملت على تمهيد وقفت فيه على أقسام الجزيرة ومنازل القبائل العربية وحركتها على أرض الجزيرة وأثر بعضها في بعض، للوصول إلى تفسير كثير من الظواهر اللغوية التي عرضتها فصول ومباحث هذه الدراسة على وفق المنهج اللغوي الحديث، وقد شمل الفصل الأول على دراسة لمنهج علماء غريب الحديث في تناول اللغات تضمن حديثاً على منهجهم وطرقهم في التعبير عن اللهجات وروايتها ثم الوقوف على مفهوم الغريب وأسبابه عندهم وصولاً إلى السبب الناشئ عن تعدد اللغات - موضوع الدراسة - إذ توزع تفسير هذا الباب وتحليله على مستويات التحليل اللغوي فكان الفصل الثاني في المستوى الصوتي ، وتضمن حديثاً على ظواهر كالمماثلة والهمز والمعاقبة وغيرها وكان الفصل الثالث في المستوى الصرفي وشمل حديثاً على أبواب الفعل والمصادر والمشتقات والجموع وغيرها، وأمّا الفصل الرابع ففي المستوى الدلالي وقسم على ظواهر الترادف والمشارك اللفظي والأضداد ثم أسدلت على هذه الدراسة خاتمة شملت خلاصة تضمنت أهم نتائجها .



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين. وبعد: فإن علوم اللغة العربية وتراثها المدون يحتاجان دائماً إلى البحث المتخصص الذي يسعى إلى فهم قضاياهما، بغية الاستفادة من عطائهما المستمر، الذي يشمل الأصل الذي ننطلق منه لصنع حاضرنا، وما نتمناه لامتنا بإذنه تعالى.

ولقد كانت قضية الاستشهاد بالحديث والأثر في اللغة والنحو من أهم القضايا التي تتعلق بعلوم العربية والتراث العربي، وقد درست في الغالب في سياق كلام النحاة على الشواهد التي يستعملونها. إذ كانت هذه المسألة موضع جدل دائم بين السلف والخلف من اللغويين والنحويين. وقد تبين في كثير من الدراسات السابقة مستوى الإهمال والتضييع والغبن الذي أصاب مسألة الاستشهاد بالحديث، ليس في مورد النحو فحسب، بل في كل جوانب اللغة بدعوى رواية نصوص الحديث بالمعنى، وكثرة اللحن فيها، وعدم احتجاج المتقدمين من أئمة اللغة والنحو بالحديث.

وجملة الملاحظات التي أوردوها هنا ترد بشكل أقوى على ما يحتجون به من أشعار وكلمات وأمثال، والحديث أحسن حالاً من كثير من الأشعار والنصوص اللغوية النثرية التي يملأون بها كتبهم، وبعضها منحول، والآخر مشكوك أو مجهول لا يُعرف قائله.

ولقد اتضح في مناهج الصحاح - عموماً - ومناهج التأليف في معاجم غريب الحديث والأثر مدى التركيز في التحقيق والتحري، لتمحيص الروايات، وتتبع اللحن والتصحيح، وضبط ألفاظ الحديث.

فالاحتجاج بالحديث الشريف هو ما يقتضيه المنهج السليم في الاحتجاج، والحديث مُقَدَّم على سائر أنواع الكلام الأخرى، التي يُحتج بها، لأنه ليس هناك بعد القرآن الكريم نصٌ أفصح ولا أثبت من الحديث الشريف.

ولم يلقَ الحديث - عموماً - تلك العناية التي يستحقها من الدرس والبحث في لغته وأسلوبه وبلاغته إلا بنطاق محدود، وبقيت جوانب منه في حاجة إلى البحث والدرس، ومنها ما يتعلق بمسألة تعدد اللغات فيه أو ما أُصطلح عليه حديثاً بـ (اللهجات).

ولقد وجدتني أميل إلى هذا الباب منذ دراستي في الماجستير، وإن لم يسعني ولوجه حينها، لعدم اكتمال فكرته ونضجها، حينذاك فضلاً عن اتساعه وشموله الذي يحتاج إلى أكثر من أطروحة دكتوراه.

وقد شغلت فكرة الموضوع حيزاً أكبر في تفكيري خلال السنة التحضيرية للدكتوراه، ثم ساعد على إنضاجها ورسوخها جملة من المحاضرات القيمة التي كان يلقيها إلينا أستاذنا الفاضل الدكتور علي ناصر غالب في مادة اللهجات العربية إذ عرفنا من خلالها شيئاً عن أولية هذه اللهجات وخرائطها على الأرض العربية، وطريقة أدائها اللغوي وعلاقتها باللغة الأم، ووقفت على طائفة كبيرة من المظان اللغوية القديمة والحديثة، التي اختصت بهذا الباب وسعت من آفاق البحث.

وبعد أن اختمرت فكرة موضوع اللغات في الحديث الشريف ونضجت، وأثبتت جدتها وجدت من المناسب تحديد الموضوع وضّمّه في إطار خاص، بغية السيطرة عليه والإلمام بأوليائه على قدر الإمكان والجهد، وتمّ ذلك - بمشيئته سبحانه وتعالى - بأن وقع الاختيار على دراسة ((اللغات في كتب غريب الحديث))، وقد باركه أساتذتي الأفاضل ممن استشرتهم، ومن ثمّ نصحوني بالمضي في هذا السبيل.

وكان لأستاذي الفاضل وشيخي الجليل الدكتور صباح السالم اليد الطولى في بلورة فكرة الدراسة في الغريب واختيارها، ذلك أنه قرّب هذه الفكرة وطوّعها وبيّن حقيقتها ثم أهميتها من خلال محاضراته القيمة التي ألقاها لطلبة الدكتوراه في مادة الدراسات اللغوية، ومن خلال أبحاثه وإشرافه على العديد من الرسائل والأطاريح التي تُعنى بهذا الموضوع.



وكتب غريب الحديث تتصدّر كتب اللغة ومعجماتها في حجم المادة اللغوية التي تحتويها وأهميتها، وخصوصاً في لغة الحديث الشريف التي تُعنى بما عُرِبَ من لفظه أو معناه. ولعلّ الدليل على ذلك هو أنّها كانت معتمد الدراسات اللغوية التي تلتها ولا سيما المعجمات التي طغت مادة غريب الحديث على مساحة واسعة منها، وهو ما ستكشفه فصول هذه الأطروحة ومباحثها - إن شاء الله جلّ وعلا - .

وكتب هذا الباب معجمات في حقيقتها، اتخذت من مادة غريب الحديث موضوعاً لها، ومؤلفوها لغويون ثقات من الطراز الأوّل، وظفوا مناهجهم اللغوية وأساليبهم الروائية في بيان مشكل الحديث وغريبه وإيضاحه، وكلّ ذلك كان مشفوعاً في الكتب الأولى أو ما سُمّي بأُمّات الكتب كـ ((غريب الحديث)) للقاسم بن سلام الهروي (224 هـ)، و ((غريب الحديث)) لابن قتيبة (276 هـ) و ((غريب الحديث)) للخطابي (388 هـ) بالرواية المسندة على طريقة كتب الصحاح، بل كان القاسم بن سلام اسبق من البخاري (256 هـ) إلى طريقة المسانيد.

ولذلك كان تصنيفهم وعملهم في هذا الباب على قدر كبير من الدقّة والضبط والتحري إلى الحدّ الذي يجعل الباحث مُطمئنّاً لعمله فيه.

إنّ أكثر ما عُني به في منهج هؤلاء اللغويين هو إيرادهم الروايات المختلفة على الحديث الواحد، إذ كان منهجهم هذا سبيلاً مهماً في البحث عن اللغات التي يحتملها سياق الحديث وقد كان هذا التوجيه - يعني اختلاف اللغات - هو الأقرب إلى تفسير واقع هذا التباين بين الروايات على ما سيُعرّف في موارد الدراسة - إن شاء سبحانه وتعالى - .

فأمّا الترجيح بين هذه الروايات ونسبتها إلى قائلها فأتبع المنهج الذي رسمته لنفسه منذ البداية، وهو اختيار ما يناسب شخصيّة الراوي أو الناقل من الظواهر اللغوية والأنماط الأدائية، التي شاعت في بيئته أو قبيلته على وفق ما اختطه المنهج اللغوي الحديث، وأرساه في مثل هذه الأحوال، فللبدو أدأؤهم الذي ينمازون به وفاقاً لبيئتهم وظروفهم، وللحضر طريقتهم التي حكمت أدأؤهم بما ينسجم وظروفهم البيئية والمعاشية.

وليس لي في كلّ هذا إلا الترجيح المشفوع بالتحليل والتعليل، فلا سبيل إلى الجزم في مثل هذا المضمار، مع الاختلاف الواسع والكبير بين الروايات، ومع الرواية بالمعنى وكثرة ورود الرواة والمحدثين، وهم من قبائل شتى على الحديث الواحد.

ولعلّ الاختلاف في النّص القرآني الكريم أدأؤ ودلالة - أحياناً - وهذه الكثرة في القراءات القرآنية، التي منشؤها - غالباً - اختلاف لغات القراء، ممّا يرد بشكل أقوى على الحديث الشريف، الذي لم يلق العناية التي لقيها القرآن الكريم الذي وجد منذ الوهلة الأولى عناية فائقة في قراءته وتدوينه ومدارسه، بخلاف الحديث الشريف ولا سيما النبويّ منه، إذ كره بعض الصحابة - على ما تروي بعض الأخبار - كتابته وتدوينه، بدعوى الاختلاط بالقرآن الكريم، الأمر الذي أدّى إلى التماس سبيل الحفظ، والاعتصام بالذاكرة، ثم تبيّعه اللجوء إلى الرواية بالمعنى لمن لم تقوَ ذاكرته على الحفظ والإتقان. وقد نتج عن كلّ ذلك ضياع كثير من الحديث، زيادة على التخليط والاضطراب وتشعب الروايات، بما لا يخفى على متتبع.

ولم يكن كلّ ما نُسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو ممّا أدأه فعلاً، فكثير ممّا نُسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم)، يرجع إلى أدأه الرواة عنه، أو الوافدين عليه ممّن سمّعه، وكثير منهم ينتمون إلى قبائل مختلفة وأصقاع متباينة.

وأكثر الاختلاف الذي جرى هنا يؤول إلى الأداء النطقي الذي يشبه إلى حدّ بعيد الاختلاف الذي حكم أدأه القراء الذين صدروا عن قراءة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي قراءة الوحي.

ولا يعني هذا أنّ ما نجده من ظواهر لغوية (لهجّية) هنا وهناك في الحديث لم تكن منه، فعلى الرغم من أنّ سليلته (صلى الله عليه وآله وسلم) الفصاحة وجبّلت هذه اللغة المثالية القرآنية وإنّه عليه أفضل السلام وأنتم التبريكات كان يُكلّم الناس في أحيان كثيرة ومناسبات مختلفة بألسنتهم، وعلى وفق ما



جُبِلُوا عليه، فهو المأمور بأن يكلم الناس على قدر عقولهم وبما يفهمون، فهو تَمَلَّكُ الفصاحة وزيادة - يعني هذه الطريقة الفذة في الإبلاغ والإيصال - وهي من مختصات النبوة.

وتبعاً لذلك لم يكن (صلى الله عليه وآله وسلم) قرشياً خالصاً في لغته الكريمة بل كان عربياً تشرف بسلامته كثير من لغات العرب ولا عجب فهو ربيب القرآن الذي احتضن بين دفتيه كثيراً من هذه اللغات. ولذلك كان توجيهي لحديثه ولغته على هذا الأساس، مع الأخذ بالحسبان الأثر الأدائي، الذي تركته بيئة قريش في شخصيته الكريمة، فهو ابن هذه البيئة، التي عاش بين ظهرانيها، واحتضنت أجداده وأبائه وعشيرته.

وتبعاً لذلك - أيضاً - فقد اقتضى الواقع اللغوي، الذي يفرضه المنهج العلمي أن أضع كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) - عموماً - في حقل ما يُنسب إلى القرشيين عند تمييز الظواهر اللغوية أو المستويات الأدائية أو ترجيحها إلى هذه البيئة أو تلك.

ولم يقف اختلاف الرواية أو النقل عند حديث النبي فحسب، بل جرى على أحاديث الصحابة وتابعيهم والطبقات التي تلتهم، وظهر ذلك جلياً في روايات المحدثين عنهم وقد اجتهدت في هذا الموضوع في أن أختار ما يناسب شخصية الصحابي أو التابعي من الأنماط الأدائية التي تحكم بيئته أو قبيلته وفقاً للمنهج اللغوي الحديث - كما مر - من دون إهمال دور الرواة أو المحدثين في هذا المنقول.

ولعل السؤال الذي يواجهني في عنوان هذه الأطروحة هو لماذا اخترت مصطلح (لغة) بدلاً من مصطلح (لهجة) على الرغم من استقرار المصطلح الأخير في الدراسات اللغوية الحديثة؟ وفي مورد الإجابة عن هذا السؤال أرى أنني استعملت مصطلح (لغات)، لأنني درّست متناً قديماً لم أجد فيه أثراً ولا عيناً لمصطلح (لهجات)، لذا جرى على ما جرى عليه أولئك العلماء في مُصنّفاتهم. ثم إن أجد في مصطلح (لغات) من العموم والشمول ما يؤدي الغرض منه في التعبير عن كثير من موارد هذه الأطروحة، كالمورد الذي يتصل بالألفاظ الدخيلة أو المعربة التي شغلت حيزاً لا بأس به من هذه الدراسة، زيادة على شموله واستيعابه لما يتضمنه المصطلح الحديث. وقد يكون أوفق في التعبير عن بعض المواضع التي لا يرقى المصطلح الحديث إلى الإحاطة بها نحو التعبير عن لغة من اللغات القرآنية أو التعبير عن لغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهذه المستويات أكبر من فضاء اللهجة على ما يبدو.

وقد كان معتمدي في هذه الأطروحة على طائفة قيّمة ومختارة من المظان المطبوعة، التي اختصت بغريب الحديث، منها كتب اعتمدت على مبدأ الرواية والسند في نقل الأحاديث الشريفة، ومن ثم بيان غريبها وتوضيحه مثل ((غريب الحديث)) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، و((غريب الحديث)) لابن قتيبة الدينوري، و((غريب الحديث)) لأبي سليمان الخطابي. وتعدّ هذه المصنّفات من أمّات كتب هذا الباب، ومنها كتب اعتمدت على الترتيب المعجمي في تصنيف مادة الغريب وبيانها، شأنها شأن المعجمات نحو: ((كتاب الغريبين)) لأبي عبيد أحمد ابن محمد الهروي ت(401هـ)، الذي جمع فيه بين غريبي القرآن والحديث، ثم ((الفائق في غريب الحديث)) للزمخشري ت(538هـ)، و((كتاب المجموع المغيبي في غريب القرآن والحديث)) للحافظ أبي موسى المديني الأصفهاني ت(581هـ) الذي سار على منهج (الغريبين) في الترتيب وتقطيع النص على المواد، والجمع بين غريبي القرآن والحديث.

ولعل كتاب ابن الأثير (606هـ): ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) من أكثر كتب غريب الحديث إحاطة وشمولاً لمادة غريب الحديث، لأن مؤلفه حاول جمع كلّ ما عُن له من مادة غريب الحديث ممّا حوته الكتب التي سبقتَه مجرداً بعضها كالغريبين والمجموع المغيبي من الغريب القرآني ومتخذاً الترتيب الألفبائي على طريقة المعجمات، تاركاً طريقة السند إلى غير رجعة، لذلك كلّ كان أكثر هذه الكتب حضوراً في هذه الأطروحة.

ولم أهمل الوقوف على بعض كتب غريب الحديث الحديثة أو المعاصرة نحو كتاب ((المعجم المفصل في تفسير غريب الحديث)) للدكتور محمد التونجي، الذي لم يكن في مادته أو منهجه أكثر



من تكرار وإعادة مُختزأة لأقوال من سبقه من أهل غريب الحديث، لذلك كان الباحث في غنى عنه إلا في موارد ذكرت في محلها .

إلا أن كتاباً حديثاً آخر من كتب الغريب هو كتاب ((غريب الحديث في بحار الأنوار)) لحسين البيرجندي، لقي عناية أكبر في هذه الدراسة، وذلك لأن هذا الكتاب اشتمل على مادة واسعة من غريب حديث أهل البيت (عليهم السلام) مما أخلت به مصنفات الغريب السابقة، ولذلك كان اعتماده مهماً في سد هذه الثغرة، للخروج بمادة متكاملة وشاملة نوعاً ما، للأحاديث الصادرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته وصحابته وتابعيهم والطبقات التي تلتهم.

ولقد أفدت من المصادر التي اعتمد عليها البيرجندي ولاسيما ((بحار الأنوار)) للعلامة المجلسي خيراً فائدة في توثيق مادة الغريب الواردة فيه.

وقد حاولت - أحياناً وعلى قدر المستطاع - الرجوع إلى كتب الصحاح في توثيق المادة التي اعتمدها في مصنفات غريب الحديث وفي يقيني أن مصنف هذا الباب - غريب الحديث - كانوا من الثقة والورع، وصحة النقل والرواية، مما لا يقل شأناً في أي حال من الأحوال عن مصنف الصحاح، فكان الاكتفاء بجهدهم في هذا الباب مما يغني عن الرجوع إلى غيرهم. ولعل الشيء الواضح في هذه الأطروحة هو كثرة النصوص التي يوردها الباحث على الظواهر التي يدرسها هنا وهناك، مشفوعة بالتحليل والتعليل والترجيح الذي يصل بها - أحياناً - إلى حد الإسهاب.

والذي سعيته إليه منذ البداية هو أن تكون هذه الدراسة نصية، ولعل من أقوى الأدلة في إثبات ظاهرة ما هو كثرة النصوص وإطراد السماع عليها، ثم إن كثرة النصوص وتواليها يدفعاني إلى الاجتهاد في توجيه هذا النص أو ذاك، أو محاولة تسويغ هذا الأداء أو ذاك. الأمر الذي أدى إلى هذا الإطناب أو الإسهاب المسوغ في المتن، المتبوع بكثرة الهوامش في مواضع الاستشهاد.

فأما تداخل بعض الأبواب والمباحث، واستعمال بعض الألفاظ أو الصيغ أو الأحاديث نفسها في موارد مختلفة شواهد على هذا الموضوع أو ذاك، فمما لا سبيل إلى إنكاره، وليس ذلك بغريب على اللغة، إذ لا يمكن عزل مثل هذه الشواهد ووضعها في قالب جاهزة لا تخرج منها على شرط صلاحيتها واحتياجها في المواضيع التي تكررت فيها وهو ما توافر هنا هذا وقد توزعت هذه الدراسة على أربعة فصول مسبقة بتمهيد: (في العلاقة بين العربية وما تفرع منها - يعني لهجاتها - والتوزيع الجغرافي للقبائل العربية) .

وشمل هذا التمهيد ثلاثة موارد:

الأول: في الحديث على شبه الجزيرة العربية، حدودها، وأقسامها الخمسة.

الثاني: في ذكر القبائل العربية أنسابها، ومنازلها في داخل الجزيرة وخارجها.

الثالث: في العلاقة بين العربية وما تفرع منها، وموقف اللغويين من ذلك.

فأما الفصل الأول فكان في جملة تأسيساً وتأصيلاً لما تلاه من فصول وكان بعنوان (منهج علماء غريب الحديث في تناول اللغات) وشمل ثلاثة مباحث:

الأول: في منهجهم في تناول الحديث - عموماً - وتناولت فيه التعريف بالغريب واشتقاقه في اللغة ثم عرّجت على مناهج هؤلاء المصنفين في تحديد الإطار العام، الذي سلكوه كاختيارهم طريقة المسانيد أو اتخاذهم الترتيب المعجمي، فمنهجهم الداخلي في عرض المادة اللغوية.

الثاني: وكان تحت اسم: تدوين اللغات، ونسبتها ووصفها في كتب غريب الحديث وشمل حديثاً على ألفاظ دالة على اللغة في هذه المصنفات ثم عرّف برواية اللغات ونقلها في هذه المصنفات، وثُلث هذا المبحث بالقول في نسبة اللغات في كتب غريب الحديث وختم بالحديث على تميز اللغات وترجيحها عند هؤلاء المصنفين.

الثالث: وكان هذا المبحث في منشأ الغرابة في هذه المصنفات وقد تضمن بدءاً: الوقوف على مفهوم الغرابة عند هؤلاء المصنفين، ثم الحديث على غريب لغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وصحابته،



إذ شكَّلا معظم مساحة الغريب في هذه المظان، لذا كان من اللازم شمولهما بحديث خاص يتضمن ذكر أهم مصادر الغرابة فيهما.

ولقد كان للغرابة الناشئة عن العجمة في ما يُنسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى صحابته وتابعيه حضورها في هذه الكتب ولذا أفردنا لها حديثاً خاصاً بها يتناسب وحجمها المشار إليه. فأما في حديث غير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته وتابعيه، فقد نشأت عناصر أخرى للغرابة في كلامهم، بسبب تطاول الزمن والبعد عن مواطن الفصاحة، وتداخل اللغات والأقوام، ومن ثم تولدت طبقات من العوام وغيرهم، مما أجرى على كلامهم التوليد والابتذال اللذين كانا سبباً من أسباب الغرابة - أحياناً - وقف عليه مصنفو غريب الحديث.

وبقيت هناك أسباب جوهرية ومهمة للغرابة، تفرَّعت من ما ذُكر في المواضع السالفة تعود إلى جملة من الإشكالات الصوتية والصرفية والأسلوبية والسياقية، فضلاً على محتكمات آخر تنتمي إلى الدلالة المعجمية وتحيطها بنوع من الغموض والتوهم كالمشترك اللفظي، والأضداد، عرضتها موضعاً مكان الغرابة في كلٍّ منها وصولاً إلى السبب الناشئ عن تعدد اللغات التي هي موضوع الدراسة.

إذ وجدتُ أنَّ الدرس في هذا الموضوع لا يتجاوز مستويات التحليل اللغوي المعروفة في (الصوت، والصرف، والنحو، والدلالة).

فأما المستوى النحوي، فقد شمل أمثلة قليلة في مصنَّفات غريب الحديث، إذ لم يتسنَّ للباحث تخصيص فصلٍ خاصٍ به، إنما شُملَ بحديث في جملة الأسباب المؤدية إلى الغرابة في ختام الفصل الأول ومن ثمَّ كان.

الفصل الثاني: في المستوى الصوتي، وشمل مُدخلاً وسبعة مباحث.

الأول: في المماثلة بمواردها الثلاثة: الإدغام والإبدال والإمالة، وكان أكبر مباحث هذه الأطروحة على الإطلاق، إذ إنَّ مورد الإبدال بين الحروف فيه من السعة ما لا يمكن اختصاره أو اجتزاؤه، لشموله أمثلة كثيرة ووافية ومهمة من الأحاديث الشريفة جاءت على معظم مواضع الإبدال بين الحروف تقريباً.

وإذ وجدتُ أنَّ الاختصار أو الاجتزاء في هذا المورد سيكون على حساب المادة العلمية فيه، وإن كان لمصلحة الموازنة والتنسيق بين الفصول والمباحث، فقد اخترتُ أن يعطي هذا المورد ما يستحق من العناية والاهتمام من دون الالتفات إلى مسألة قد تكون شكلية، لا ترقى على كلِّ حالٍ إلى حجم المادة العلمية فيه.

وأما الثاني: فكان في تحقيق الهمزة وتسهيلها بين لغات القبائل وشمل موردين:

الأوَّل في ذكر أهل التخفيف من العرب والثاني في ذكر المحققين.

والثالث: في كراهية توالي الأمثال وتوزُّع على شواهد الإبدال والحذف والفصل.

فأما الرابع: فتضمن موردين الأوَّل في المعاقبة بين الياء والواو والثاني في إظهار بعض الصوائت القصار في لغات القبائل أو حذفها.

والمبحث الخامس: في القلب المكاني.

والمبحث السادس: في مطل الحركات.

وأما المبحث السابع: فكان في الوقف وتوزُّع على الوقف بالكشكشة والكسكسة والعججة ثم الوقف على الألف المقصورة.

فأما الفصل الثالث: فكان في المستوى الصرفي وشمل مدخلاً وثمانية مباحث:

الأوَّل: في الاشتراك في الأبواب.

والثاني: في اختلاف الأوزان واتفاق المعاني في الأفعال وتضمن ثلاثة موارد:

أولها: في فعل وافعل - والثاني: في فعل وافتعل - والثالث: في أفعل وفَعَل.

فأما المبحث الثالث: فكان في المصادر والمشتقات وتوزُّع على موردين:



أولهما: في الحديث على المصادر - والثاني في الحديث على المشتقات, كاسم الفاعل, واسم المفعول, واسم الآلة, واسم الزمان والمكان.

والمبحث الرابع: في الجمع.

والمبحث الخامس: في التصحيح والإعلال.

وأما المبحث السادس: فكان في التشديد والتخفيف, وتوزع الحديث فيه على موردين:

أولهما: في الأسماء - والثاني: في الأفعال.

والمبحث السابع: في المقصور والممدود.

والمبحث الثامن: في التذكير والتأنيث.

وأما الفصل الرابع: فكان في المستوى الدلالي وتضمن مدخلاً وثلاثة مباحث:

أولها: في ظاهرة الترادف.

والثاني: في ظاهرة المشترك اللفظي.

والثالث: في ظاهرة الأضداد.

هذا وقد احتجبت في كثير من مباحث الدراسة أو فصولها إلى أن يلحق كلاً منها بتعقيب مهم يشمل بعض الجوانب, التي لم يُتَخَّ الوقوف عليها في أصل الفصل أو المبحث ويتضمن بعض المتفرقات والخلاصات, التي تُعدُّ في جملتها تِمَمَات مهمة لإكمال الحديث على العنوانات التي تصدّرت كلّ فصلٍ أو مبحثٍ من الدراسة.

وفي نهاية هذه الرحلة في فصول هذه الأطروحة ومباحثها أسدلت عليها خاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي تمخّضت عنها هذه الدراسة.

وبعد: فأجد أنّ هذه الدراسة لم تكن لتظهر بهذه الصورة, لولا التوفيق الإلهي والتسديد الربّاني, ولولا رحمته ورأفته وتيسيره, فله الحمد أولاً وآخراً, وصلى الله على نبيه المصطفى الذي كانت أقواله وأفعاله خير زاد لنا في رحلتنا, وعلى آله الأطهار مصابيح الهدى وسفن النجاة, وأصحابه الأبرار, الذين نهلنا من معينهم الثر ما قدرنا عليه.

أسأله سبحانه وتعالى, وأتوسّل إليه أن يغفر لي زلات القلم واللسان وسهوات الفكر ونزوات القلب في ما سلكته في هذا السبيل.

ويبقى أيّ إنسان أصيب وأخطئ, فإن أصبْتُ فيها ونَعِمْتُ, وإن أخطأتُ, فعسى أن ينال من أجر المجتهد الساعي إلى الحقيقة بصدق نيّة.

وأنا على يقين أنّ هذه الدراسة ما كانت لتستوي على سوقها وتظهر بحلّتها هذه لولا الرعاية الأبويّة الكريمة والمتابعة العلمية المتواصلة من لدن شيخي وأستاذي الفاضل الدكتور صباح عباس السالم, الذي شدّ أزرعي ومنحني من وقته الثمين وعلمه الغزير وصبره الجميل ما كان خير عون لي في تذليل الصعاب وتقويم الاعوجاج, وزيادة على ما يسّر لي من معلومة قيّمة تعضّد الدراسة أو كتاب نادر يُتمم الفائدة, فكان بحقّ أباً وأستاذاً هوّن عليّ مشقّة البحث وظرف الحياة الصعب على طول هذه الرحلة, فجزاه الله عن العلم وأهله وعنّي خير جزاء المحسنين.

وشكري لكلّ من أعانني في هذه الدراسة بكلمة أو عظة أو يسّر لي كتاباً أفدت منه وأخصّ منهم أستاذي الفاضل الدكتور جواد كاظم عناد, الذي راجع لي أكثر فصول هذه الدراسة, وأبدى ملاحظاته السديدة, وآراءه القيّمة, فله مني جزيل الشكر ووافر الامتنان.

وأخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين



في العلاقة بين العربية وما تفرّع منها والتوزيع الجغرافي للقبائل العربيّة

يجد الباحث من المناسب في هذا الموضع، وقبلولوج في الحديث عن موضوع هذه الأطروحة ((اللغات في كتب غريب الحديث)) أن يُمهّد له بجملة من المبادئ تكون تأسيساً وتأصيلاً لما يتلوها من فصول ومباحث غطّت جوانب هذه الدراسة. والأصل في هذا التمهيد أن نقف على العلاقة بين العربية وما تفرّع منها وأولى ذلك، ولزمنا قبل ذلك أن نشمل الأرض التي نشأت عليها العربية وفروعها بحديث، نعرف من خلاله جغرافية هذه الأرض وأقسامها وطبيعتها المناخية وظروفها الأخرى التي خلقت نوعاً من الاستقرار في بعض من أجزائها، ولم تساعد على ذلك في أجزاء أخرى منها. وكلّ تلك الظروف انعكس على طبيعة الأداء في هذه القبائل، ممّا ستكشف عنه الفصول والمباحث اللاحقة، إن شاء الله تعالى.

أولاً: شبه الجزيرة العربية، حدودها وأقسامها:

إنّ الدرس اللغوي الحديث يعتمد اعتماداً كبيراً على الجغرافيا اللغوية، وقد ارتبطت دراسة ما سُمّي باللغات تحديداً بالجغرافيا اللغوية ارتباطاً وثيقاً بحيث تطور هذا المفهوم إلى ما عُرف عند اللغويين المحدثين بـ(الجغرافيا اللهجية).

وبالنسبة للغة العربية فإنّ القيام بعمل أطلس لغوي سيكون لازماً في كلّ الدراسات الخاصة بفقه اللغة، لأنّه سيرفد الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات المعاصرة، وسيكون له الفضل في إطلاعنا على تأريخ علم الأصوات، والتغيرات التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة التي استوطنتها ومدى انتشارها وتأثيرها بالمراكز الثقافية المحيطة بها داخل الجزيرة وخارجها ومن ثمّ تتوّع مفرداتها إلى غير ذلك من مكتشفات متوقعة لا تتّمم إلاّ بعمل مثل هذا الأطلس⁽¹⁾.

والحدود الجغرافية لشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام غامضة ومختلف فيها، فقد ذكر (اراتوسين) أنّها تمتد من هليوبولس - بالقرب من قناة السويس الآن - إلى بابلون عن طريق سلع Petra، وإلى جنوب هذا الحدّ تمتد شبه الجزيرة إلى المحيط⁽²⁾.

ورسم سترابو حدودها على النحو الآتي: يتكون الحدّ الشمالي من الصحراء والشرقي من الخليج العربي والغربي من البحر الأحمر، والجنوبي من البحر الكبير الذي يمتد بين البحرين⁽³⁾ واختلف تحديدها كذلك عند العرب، فعن الخليل أنّها سُمّيت جزيرة، لانقطاعها عن معظم البرّ، وقد اكتنفتها البحار والأنهار من أكثر الجهات، كبحر البصرة وعمان إلى بركة بني إسرائيل، وبحر الشام والنيل ودجلة والفرات، والقدر الذي يتّصل بالبرّ فقد انقطع بالقفار والرمال عن العمرانات⁽⁴⁾. وفي (غريب الفاسم): ((قال ابو عبيدة: جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول وأما العرض فما بين رمل يبرين إلى منقطع السماوة، وقال الأصمعي: جزيرة العرب من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول، وأما العرض فمن جدّة وما والاها من ساحل البحر إلى أطوار الشام))⁽²⁾.

أما الجغرافيون العرب فقد تأثروا بالتفسير اللغوي الآنف، فالبحر يحدها عندهم من الغرب والجنوب والشرق، ثمّ يُنمّ هذا الحدّ من الشرق نهر الفرات الذي ينعطف بعد ذلك في شمال سوريا. وقد رسمها القلقشندي بقوله: ((اعلم أنّ مساكن العرب في ابتداء الأمر كانت بجزيرة العرب الواقعة في أوساط المعمور، وأعدل أماكنه وأفضل بقاعه... وهذه الجزيرة متسقة الأرجاء ممتدة

(1) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د: عبده الراجحي/7، 8، وكان معتمد الباحث في هذا التمهيد ومنطلقه في دراسة اقسام الجزيرة، وطبيعتها الجغرافية والمناخية، ثمّ التعريف بأنساب القبائل العربية ومنازلها وحركتها على ديار العرب ما أسّسه الدكتور عبده الراجحي في كتابه (اللهجات العربية في القراءات القرآنية/7-40)، والرجوع - أحياناً - إلى ما كتبه الدكتور أحمد علم الدين الجندي في كتابه (اللهجات العربية في التراث/19-52) في هذا الباب، فلزم التنبيه

(2) Musil: Arabia Deserta, p.498

(3) المصدر نفسه

(1) ينظر: الصحاح للجوهري، 259/2، واللسان، 133/4، 134، ومجمع البحرين للطبري، 246/3، وغريب الحديث في بحار الأنوار

للبيروني، 237/1 (جزر)

(2) ج1/244، وينظر: الغريبي، 356/1، والفائق، 208/1، 209 (جزر)، وصفة جزيرة العرب للهمداني/39-44



الأطراف, يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام, حتى البلقاء إلى أيلة, ثم بحر القلزم الآخذ من أيلة حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن حيث حلى وزبيد وما داناهما, ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم المقدم ذكره من الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن, حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها, ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند, إلى جهة الشمال الفرات إلى بلاد البحرين ثم إلى البصرة ثم إلى الكوفة من بلاد العراق, ومن جهة الشمال آخذاً من الكوفة على حدود العراق إلى عانة إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية, إلى البلقاء من بركة الشام حيث وقع الابتداء⁽³⁾ والصورة التي ذكرها القلقشندي هنا تكاد تكون هي الأقرب إلى الواقع عند بعض المحدثين من غيرها⁽⁴⁾.

هذه هي حدود جزيرة العرب على وجه التقريب والإيجاز, فأما أقسامها الداخلية, فيُحسن إبرازها حتى يُعرف أيُّ العرب كان يسكن البادية, وأيهم كان يسكن الحضر, لننبين أثر ذلك في حياتهم اللغوية.

قال الهمداني: ((فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة, التي نزلوا بها, وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب, وفي أشعارها: تهامة, والحجاز, ونجد, والعروض, واليمن, وذلك أن جبل السراة, وهو أعظم جبال العرب وأذكرها أقبل من قعر اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً, لأنه حجز بين الغور وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر, فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيّه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعكّ وحكم وكنانة وغيرها ودونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها الغور, غور تهامة, وتهامة تجمع ذلك كله, وصار ما دون ذلك الجبل من شرقيّه من صحارى نجد إلى أطراف العراق والسماعة وما يليها نجداً, ونجد تجمع ذلك كله, وصار الجبل نفسه سراته وهو الحجاز... وصار ما احتجز به في شرقيّه من الجبال وانحدر إلى ناحية فيد وجبلي طيء إلى المدينة, راجعاً إلى أرض مذحج من تثليث وما دونها إلى ناحية فيد, حجازاً, فالعرب تسميه نجداً وجلساً وحجازاً, والحجاز يجمع ذلك كله, وصارت بلاد اليمامة والبحرين, وما والاها العروض, وفيها نجد وغور, لقربها من البحار وانخفاض مواضع منها, ومسائل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كله, وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها إلى حضرموت والشحر وعُمان وما يليها اليمن, وفيها التهائم والنجد, واليمن تجمع ذلك كله⁽¹⁾).

ففي الحجاز مناطق استقرار كثيرة فقصبته مكة ومدنه يثرب وينبع وقرح وخيبر والمروة والحوراء وجدة والطائف والسقيا والعنيد والجحفة والعشيرة⁽²⁾. وفيه واحات أشهرها: خيبر وفدك والسوارقية⁽³⁾, وتتخلل الحجاز مجموعة أودية منها وادي أضمر ووادي نحال وغيرها⁽⁴⁾. وعليه فالحجاز صقع تكفل لساكنيه الاستقرار والتحضر ففيه مدن تجارية كمكة وفيه مناطق زراعية مثل يثرب, فضلاً على كثير من الواحات والأودية التي استقطبت كثيراً من الناس فنشأت مثل تلك البيئات المستقرة والمتحضرة⁽⁵⁾.

وأما اليمن التي رسمها البكري بقوله: ((مما يلي المشرق رمل بني سعد الذي يُقال له يبرين وهو منقاد من اليمامة, حتى يشرع في البحر بحضرموت, ومما يلي المغرب بحر جدة إلى عدن أبين, وحدها الثالث طلحة الملك إلى شرون, وشرون من عمل مكة, وحدها الرابع الجوف ومأرب وهما مدينتان⁽⁶⁾), فتمثل عند الجغرافيين العرب منطقة واسعة, تكاد تكون ثلثي ديار العرب.

(3) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب للقلقشندي/15, وصورة الأرض لابن حوقل, 18/1

(4) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/15

(1) صفة جزيرة العرب/85, 86, وينظر: احسن التقاسيم للمقدسي/82, ومجمع البحرين, 246/3, 247, وغريب الحديث في بحار

الأنوار, 237/1 (جزر)

(2) ينظر: احسن التقاسيم/69

(3) ينظر: معجم ما استعجم, 15/1

(4) ينظر: معجم البلدان لياقوت, 272/8

(5) ينظر: اللهجات العربية في التراث/22-26

(6) معجم ما استعجم, 12/1, وينظر: صفة جزيرة العرب/86, ومعجم البلدان, 522/8



ويظهر من مجمل النصوص المذكورة في هذا الموضع أنَّ اليمن تضم المنطقة الجنوبية كلها في ما بين تهامة حتى العروض، ويبدو أنَّ الوضع السياسي الذي كانت عليه العربية الجنوبية عند ظهور النبوة، هو الذي بلور مثل هذا الرأي عندهم.

واليمن من أخصب بقاع شبه الجزيرة، لكثرة مياهها وخصوبة أرضها، فهي على ذلك مقرّ تحضرٍ واستقرار. وقد سُمّيت باليمن الخضراء، لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها، فضلاً على كثرة مدنها مثل: صنعاء وصعدة وخيران وريده وذمار وخبأ وعدن ولحج والحصيب وأم مجدم⁽¹⁾ وأما تهامة فتطلق على الساحل المحصور بين البحر وجبال السراة أو الحجاز وسميت بالسافلة، أو الغور، لانخفاض أرضها⁽²⁾.

وطبيعة أرضها ومكانها ولا سيما في الجنوب تتيح لسكانها الاستقرار، حيث الخصوبة والماء ثم إنَّ وقوعها على ساحل البحر، جعل أهلها يتجهّون إلى الملاحة والنقل البحري كما هو شأن الأزد النازلين هناك⁽³⁾.

وأما العروض فقليل أرض عالية التي تقع إلى الجنوب من نجد وإلى الشرق من الحجاز، وهي تمتد شرقاً حتى اليمامة والبحرين، وجنوباً حتى اليمن⁽⁴⁾.

وقال الهمداني: ((وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض، وفيها نجد وغور، لقربها من البحار وانخفاض مواضع ومسائل أودية فيها والعروض تجمع ذلك كله))⁽⁵⁾.

إلا أنَّ عامل الجفاف - على ما يذكر الدكتور جواد علي - أثر كثيراً في اليمامة فحوّل أكثر أراضيها إلى مناطق صحراوية⁽⁶⁾.

ويبدو من مجمل النصوص أنَّ معظم منطقة العروض التي تقع بين الحجاز ونجد واليمن والخليج، صحراء وتحديداً كلما ابتعدنا عن الساحل، لذلك كان أهلها من البدو الرحل الذين يتنقلون هنا وهناك طلباً للرزق⁽⁷⁾.

وأما نجد فذكرها ابن الأثير بقوله: ((ونجد ما بين العُدَيْب إلى ذات عِرْق، وإلى اليمامة، وإلى جبلي طيء وإلى وَجْرة وإلى اليمن، وذات عِرْق أول تهامة إلى البحر وجُدَّة))⁽⁸⁾.

ويقسمونها إلى عليا وسفلى، فيقال: لنجد العليا: النجد، ولنجد السفلى: أرض نجد⁽⁹⁾ فما ((كان من حدِّ اليمامة إلى قرب المدينة راجعاً على بادية البصرة، حتى تمتد على البحرين إلى البحر فمن نجد))⁽¹⁰⁾.

والنجد أو نجد العليا هي أقرب النجدين إلى الحجاز والسراة، تمتد من الشمال إلى الجنوب شرق سلسلة الحرّات الوسطى: حرّة ليلي وحرّة شوران وحرّة بني سليم في عالية نجد⁽¹¹⁾.

وفي نجد مناطق تتوافر فيها المياه وبخاصّة في الشمال في منطقة وادي الرّمة ومنطقة الحرار، لكن معظم المنطقة صحراء وأهلها بدو رحّل⁽¹⁾.

وبعد هذا العرض لجغرافيا شبه الجزيرة العربية، يمكن لنا تصوّر مناطق التحضر والاستقرار كما في اليمن وبعض تهامة والحجاز وتعرف مناطق التبدّي كما في نجد والعروض.

فأيُّ القبائل العربية في شبه الجزيرة كان يعيش حياة استقرار وأيّها كان يحيا حياة بدو وترحال

(1) ينظر: صفة جزيرة العرب/90، وتاريخ العرب قبل الإسلام، د: جواد علي، 135/1، واللهجات العربية في التراث/29، 30

(2) ينظر: معجم البلدان، 311/6، 437/2، ولتفصيل أكثر ينظر: صفة جزيرة العرب/85، 86، ومجمع البحرين، 246/3، 247

(3) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/20، واللهجات العربية في التراث/26، 27

(4) ينظر: معجم ما استعجم، 10/1

(5) صفة جزيرة العرب/85

(6) ينظر: تاريخ العرب قبل الإسلام، 145/1

(7) ينظر: اللهجات العربية في التراث/27، 28، واللهجات العربية في القراءات القرآنية/22

(8) النهاية، 201/1، وينظر: 19/5، ومجمع البحرين، 148/3، 149 (نجد)

(9) ينظر: صفة جزيرة العرب/277

(10) المسالك والممالك للاصطخري/14

(11) ينظر: معجم البلدان (الحرار)، 258/8

(1) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/22



ثانياً: القبائل العربية، أنسابها ومنازلها:

كانت العربية اللغة التي جرت على ألسنة القبائل القديمة أمثال عاد التي عاشت واستقرت في جنوب الجزيرة، وشمود التي كانت تجاور الأراميين في شمالها، وهناك قبائل ما بينهما. وهذا التفرق للقبائل العربية أدى إلى ظهور لغات خاصة بكلٍ منها هنا وهناك، ويبدو أن قبائل الشمال تأثر أدائها بالأرامية، التي هي من اللغات السامية (أخوات العربية)، وقد وصلت إلينا بعض النقوش التي تُشير إلى بعض هذه اللغات، وتظهر بعض معالمها الصوتية، وخصائص القواعد والمفردات فيها⁽²⁾.

ويبدو أن اندثار هذه القبائل القديمة التي سُميت بالبائدة التي كانت تتحدث بهذه اللغات - وقد قص علينا القرآن طرفاً منها - لم يكن اندثاراً كلياً بل بقي منها شيء يسير يحمل لغة الآباء، نقل إلينا عن طريق العربية الباقية، وظهر بعض من آثاره في ما بعد على ما عُرف بالعربية الباقية⁽³⁾. ويبدو أن عريّة شمالي الجزيرة (نجد والحجاز وتهامة) استطاعت في القرن السادس الميلادي أن تبسط نفوذها على الجزيرة كلها بما فيها اليمن جنوبي الجزيرة، إذ استطاع العدنانيون السيطرة على الجنوب بعد أن ضَعُف، نتيجة غزوات الفرس والأحباش المتوالية، التي هيأت لسيطرة الشماليين، الذين تبعهم الزحف اللغوي، فتلاقت لغات الجنوب بالشمال، وبعد مدة توحدت هذه اللغات في لغة عامة واحدة قبل الإسلام بحوالي مائة وخمسين عاماً تقريباً.

ولا يمكن الوقوف على أولية هذه العربية الباقية، لأن التاريخ اللغوي لها آنذاك مجهول، وكل ما يُعرف عنها نصوص أدبية شعرية ونثرية متكاملة القواعد والنظام اللغوي، تُعبر عن لغة ناضجة وقوية، وإن لم تُرشد إلى طفولة هذه اللغة وبدايتها.

هذه اللغة المتكاملة انتشرت في الجزيرة العربية الواسعة شمالاً وجنوباً مع اختلاف البيئات والعادات والتقاليد بين العرب في مواطنهم المتعددة، إلا أنها ما لبثت أن انقسمت إلى لغات كثيرة غطت الجزيرة العربية⁽⁴⁾.

ولا أريد التوسع أكثر في هذا الموضوع، تاركاً ذلك إلى المورد الثالث في علاقة العربية بما تفرع منها من لغات، والذي يهمننا في هذا المورد أن نتبين بشيء من الإيجاز أسماء تلك القبائل الجنوبية والشمالية ومنازلها وأنسابها، ليتسنى لنا معرفة علاقات بعضها ببعضها الآخر، وعلاقتها مع اللغة الأم، التي اصطلح عليها باللغة المشتركة أو العامة.

فالعرب وهم مجتمع قبليّ اهتموا بالأنساب اهتماماً كبيراً ممّا أدى إلى هذه الكثرة في الأنساب التي وصلت - أحياناً - إلى حدِّ الاختلاط، بل وجدنا بعض المحدثين ممن يرفض التحديد في أصول العرب وفروعها على أنه حقيقة واقعة مُحتَجّاً - على الأقل - بهذا الاختلاط الشديد في تحديد العرب الباقية، فهم تارة من قحطان ومعد⁽¹⁾ وتارة من قحطان وعدنان⁽²⁾، وتارة ثالثة من قضاة وقحطان وعدنان⁽³⁾، فضلاً على هذا الخلط في (قحطان) أبي اليمن، فهو في قول نسابتهم: قحطان بن هود، وبعضهم يقول: قحطان بن أرفخشذ بن سام بن نوح⁽⁴⁾.

ولا يمكن الأخذ بتقسيم العرب إلى عدنانيين وقحطانيين على أنه فصل بينهم، فلم يستقر القحطانيون في اليمن، حيث كانت منازلهم الأولى، بل هاجر كثيرٌ منهم بعد سيل العرم إلى أنحاء مختلفة من الجزيرة، وكذا العدنانيون الذين لم يستقر كثير منهم في الحجاز بل هاجر إلى اليمن، وهكذا حصل الخلط، فبعض الذين هاجروا من هنا أخذوا ينتسبون إلى من هناك⁽⁵⁾.

(2) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً، د: عبد الغفار حامد هلال/81، وفي اللهجات العربية، د: إبراهيم أنيس/33-35

(3) ينظر: مروج الذهب للمسعودي، 232/1، واللهجات العربية نشأة وتطوراً/81، واللهجات العربية في القراءات القرآنية/23

(4) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً/81، واللهجات العربية في القراءات القرآنية/23

(1) ينظر: مروج الذهب للمسعودي، 232/1

(2) ينظر: صبح الأعشى، 215/1

(3) ينظر: تاريخ العرب قبل الإسلام، 218/3، 219

(4) ينظر: ، الصحاح، 369/3، واللسان، 374/7 (قحط)، ولتفصيل أوفى ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/23، 24

(5) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/24، واللهجات العربية في التراث/36-51، واللهجات العربية نشأة وتطوراً/81-83



وقد ذكر الهمداني في كتابه **((صفة جزيرة العرب))** شعراً لبعض آل سعد بن مُلْكِيكرب تبع وذكر منازل من خرج من اليمن في سائر جزيرة العرب وغيرها:

وقد فارقت منها ملوك بلادها
وقد نزلت منا خزاة منزلاً
وفي يثرب منا قبائل إن دُعُوا
هم طردوا عنها اليهود فأصْبَحُوا
وغسَّان حيَّ عزَّهم في سُيُوفهم
وقد نزلت منا قضاة منزلاً
وكلُّب لها ما بين رملة عالج
ولخَّم فكانت بالعراق ملوكها
وحلَّت جُدام حيث حلَّت وشاركت
وأزْد لها البَحْران والسيف كُلُّه
فصاروا بأرض ذات مَبْدَى ومَحْضَر
كريماً لَدَى البيت العتيق المُسْتَر
أَتَوْا سُرْباً مِنْ دَارِ عَيْنٍ وَحُسَر
على معزل منها بساحة خَيْبَر
كرام المساعي قد حَوَّوا أرض قيصر
بعيداً فأُمسَتْ في بلاد الصنوبر
إلى الحرَّة الرجاء في أرض تدمر
وقد طحرت عدنان في كلِّ مَطْحَر
هنالك لخمًا في العلا والتَّجْبُر
وأرض عمان بعد أرض المُشَقَّر

وذكر الهمداني مقطوعات شعرية أخرى تُشير إلى هذا الخروج والتفرُّق في البلاد، قال مثلاً: **((... فساروا إلى الحجاز فرقاً فصار كل فخذٍ منهم إلى بلد، فمنهم من نزل السروات ومنهم من تخلف بمكة وما حولها، ومنهم من خرج إلى العراق، ومنهم من سار إلى الشام، ومنهم من رمى قصدَ عُمان واليمامة والبحرين...))** (1).

ولم يكن يُعرَف الوقت أو الظروف، التي أدَّت إلى هذه الهجرات على وجه الحقيقة، وبه لا يمكن القبول بتقسيم العرب إلى عدنانيين وقحطانيين على أنَّه تقسيم قاطع وبقيني.

إلا أنَّ المنهج العلمي الذي يتطلب التصنيف والتقسيم يلزم الباحث - في الأقل في الوقت الحاضر - بالقبول بهذا التصنيف، إذ لا يمكن اقتراح تصنيف جديد مع هذا الغموض والاختلاط للتاريخ القديم لهذه المنطقة، ولكن ليس على أساس أنَّ هؤلاء عدنانيون، وأولئك قحطانيون، بل على أنَّها أسماء قبائل مهما تكن (2).

والذي يهتم في ذا الموضوع تحديداً هو معرفة منازل هذه القبائل ليتسنى تحديد المناطق التي كانت تنتشر فيها هذه اللغات هنا وهناك.

يقول الزمخشري إنَّ العرب **((على ست طبقات: شُعْب كُمُضَر، وقَبيلة كُكْنانة، وعمارة كُقريش، وبَطْن كُقصي، وفخذ كهاشم، وفَصيلة كالعباس))** (3).

وقد أُخْتُلِف في هذا التصنيف - أحياناً - فبعضهم تمثَّل للشعب وهو النسب الأبعد - عدنان، وصنَّف مضر ضمن القبائل، وضَمَّ كنانة إلى العمائر (4).

أ - العرب العاربة (القحطانيون):

وقد اشتهرت منهم أربع قبائل تناسلت منهم جميع قبائل اليمن وهم: أشعر وحمير وعاملة وكهلان، ومنهم جاءت أصول اليمن وتفرَّعت عنهم العمائر والبطن والأفخاذ والفصائل.

أولاً: أشعر

أشعر: قبيلة عربية **((يُقال: قوم يمانيون... والأشعر أبو قبيلة من اليمن، وهو أشعر بن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان...))** (5). ووصفها الهمداني بقوله: **((بلد بني مجيد وبلد الفرسان وهي على محجة عدن إلى زبيد، ثم ديار الأشعريين من حدود بني مجيد بأرض الشِّقَاق فإلى حَبِس فزبيد... وقرى زبيد: المعقر والقحمة وقرى ذُوال، ويخالط الأشعر في هذه البلاد شُرَيْذمة من بني واقد من ثقيف))** (6).

(1) صفة جزيرة العرب/325-328

(2) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/26

(3) الفائق، 252/2، 253 (شعب)

(4) ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقفشندي/14

(5) اللسان، 416/4 (شعر)

(6) صفة جزيرة العرب/232



ثانياً: حمير

ومنازلهم بأرض سبأ على مشارف اليمن فظفار وما حولها⁽¹⁾ وأشهر بطونها: شيبان وقضاعة فأما شيبان فذكرها الهمداني بقوله: ((فإذا تيامنت من الموصل تريد بغداد لقيتك الحديثة، وجبل بارما، يُسمى اليوم حميرين، ويُقال إنه جبل لا يخلو يوماً من قتيل، ثم السِّنّ والبوازيج بلاد الشِّراة من ربيعة، ثم يقع في جبل الطور البرِّي، وهو أول حدود ديار بكر، وهو لبني شيبان وذويها، ولا يخالطهم إلى ناحية خراسان إلا الأكراد))⁽²⁾. وأما قضاعة فذكرها الهمداني ((وديار تغلب الجزيرة بين بلد بكر وبلد قضاعة))⁽³⁾، وأشهر عمائرها:

1- بَلْي: وصفها الهمداني ((من منقطع دار جهينة دار بَلْي إلى حدّ دار جذام بالنَّبْكَ على شاطئ البحر))⁽⁴⁾.

2- بهراء: وتقع منازلهم شمال منازل بَلْي من ينبع إلى عَقبة أيلة⁽⁵⁾.

3- تنوخ: وصوّرها الهمداني بقوله: ((ثم من أيسرهم مما يَصْلَى البحر تنوخ، وهي ديار الفُضيض سادة تنوخ ومعكودهم، منها اللاذقية على شاطئ البحر، ثم تقع في نصارى وغير ذلك إلى حدّ الفرات إلى بالس في بركة خساف، وهي من الدّهْءاء، ومنها تخرج إلى تدمر ذات اليمين، وهي تدمر القديمة))⁽³⁾.

4- جرم: وديار جرم من بين العرب على ما يصف الهمداني: ((متفرقة منها باليمامة، ومنها بالبصرة، ومنها بالعقيق، ومنها بحضرموت، وكان لها دار بصعدة في وادي نشور، ولها دار ما بين صنعاء ومأرب، ولها بدثينة وأحور، مسلم، وخاصة لبني دينار وبني سبيله، وقد يحاربون بعض مذحج وتغازيهم))⁽⁵⁾.

5- جهينة: وذكرها الهمداني في وصفه لمساكن العرب في ما جاوز المدينة... وتنفرد دار جهينة من حدود رضوى والأشعر إلى وادٍ ما بين نجد والبحر))⁽⁶⁾.

6- كلب: حيّ من قضاعة⁽⁷⁾، ومن قراها ((تدمر وسلمية والعاصمية وحمص وهي حميرية وخلفها ممّا يلي العراق حماة وشيزر، وكفرطاب لكنانة من كلب، ثم ترجع بكنانة كلب من ديارها هذه إلى ناحية السماوة والفرات من المدن: تل منس وحرص وزعرايا ومنبج))⁽⁸⁾.

7- مهرة: وفي ذكره لجزائر البحر يذكر الهمداني جزيرة سقطرى، التي هي جزيرة بَرْبر ممّا يقطع بين عدن وبلد الزنج ثم زاد ((طول هذه الجزيرة - سقطرى - ثمانون فرسخاً، وفيها من جميع قبائل مهرة، وبها نحو عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى... وبها نخل كثير))⁽¹⁾. وذكر أنّ بقاياهم موجودون بمشاريق اليمن⁽²⁾.

ثالثاً: عاملة

قيل إنّها من القبائل اليمانية التي خرجت من اليمن ونزلت بالقرب من دمشق وهناك جبال تعرف بجبال عاملة⁽³⁾. وقال الهمداني واصفاً مساكن العرب في ما جاوز المدينة: ((وإن أخذت يسرة وقعت في الحيّات وما يليها ديار القين حيث كانت بقيّة من جديس إخوة طسم، وإن

(1) ينظر: صبح الأعشى، 315/1، وصورة الأرض، 39/1

(2) صفة جزيرة العرب/247

(3) المصدر نفسه/284

(4) جاء هذا في وصف الهمداني لمساكن العرب في ما جاوز المدينة: صفة جزيرة العرب/244-246

(5) ينظر: صبح الأعشى، 217/1، ومعجم قبائل العرب كحالة، 110/1

(3) صفة جزيرة العرب/244

(5) المصدر نفسه/276، وينظر: المصدر نفسه/247

(6) نفسه/244

(7) ينظر: الصّاح، 322/1، واللسان، 727/2 (كلب)

(8) ينظر: صفة جزيرة العرب/246، وقد ذكرها الهمداني في موضع آخر في مساكن من تشاء من العرب، ينظر: صفة جزيرة العرب/

(1) صفة جزيرة العرب/93، 94

(2) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/29

(3) ينظر: المصدر نفسه/35



تياسرت عن ذلك أيضاً وقعت في ديار عاملة، وهي مجاورة للأردن وجبل عاملة مشرف على عكا من قبل البحر يليها ويطل على الأردن والفُلجة وبها رهط من عكّ ومن همدان من مذحج ومن بلحارث ثم من بني مالك... فإذا جَزَتْ جبل عاملة تريد قصد دمشق وحمص وما يليها، فهي ديار غسان من آل جَفْنَة وغيرهم⁽⁴⁾.

رابعاً: كهلان

ومن عمائرها:

1- الأزد: قال الزمخشري: ((أهل العلم بالنسب يقولون في القبيلة التي من اليمن التي تسميها العامة الأزد: (الأسد)⁽⁵⁾، وفي (الغريبين): ((الأسد: جزئومة العرب، فمن أضلّ نسبه فليأتها))⁽⁶⁾ والأزد هم ولد أزد بن الغوث، أبو حيّ من اليمن، والأزد أزد شنوءة وعلان⁽⁷⁾.

وقد ذكر الهمداني فئات من الأزد، ومساكنها على النحو الآتي:

((فأما ساكن عمان من الأزد فيحمد وحران، ومالك والحارث، وعتيك وحديد، وأما من سكن الحيرة والعراق فدؤس، وأما من سكن الشام فال الحارث: محرق وآل جَفْنَة ابني عمرو، وأما من سكن المدينة فالأوس والخزرج، وأما من سكن مكة ونواحيها فخزاعة وأما من سكن السروات، فالحجر من الهنو ولهب وناه وغامد، ومن دؤس وشكر وبارق السّوداء... ولحق كثير من ولد نصر بن الأزد وبنو حي الشّحر وريسون وأطراف فارس، فالجويم فموضع آل الجلندي))⁽⁸⁾

2- أنمار: في الخبر عن ابن عباس أنّ ولد نزار بن معد ((هم أربعة: مضر وربيعة وإياد وأنمار، قد كثر أولاد معد بن عدنان بن أدد ونمّوا وتلاحقوا، ومنزلهم مكة وما والاها من تهامة، وانتشروا فيما يليهم من البلاد، وتنافسوا في المنازل والمحال، وأرض العرب يؤمنذ خاوية، وليس فيها بتهامتها ونجدها وحجازها وعروضها كثير أحد، لإخرا بخت نصر وإجلأ أهلها إلا من كان اعتصم منهم برووس الجبال وشعابها، ولحق بالمواضع التي لا يقدر عليه فيها أحد... فافتسموا الغور غور تهامة بينهم على سبعة أقسام لكل قسم ما يليه من ظواهر الحجاز ونجد وتهائم اليمن لمنزلهم ومحالهم ومسارح أنعامهم ومواشيهم))⁽¹⁾.

ويبدو أنّ ذلك هو الذي دعا بعضهم إلى القول: إنهم ليسوا يمانيين بل عدنانيون إذ ((إنّه لما تكاثر بنو إسماعيل عليه السلام، فصارت رئاسة الحرم لمضر، مضى أنمار بن نزار بن معد بن عدنان إلى اليمن، فأقام بالسروات، وتناسل بنوه، فعدّوا في اليمانية))⁽²⁾.

وقيل: ((إنّ أنماراً ولد بجيلة وخثعم فصاروا إلى اليمن))⁽³⁾

3- جذام: قبيلة أو حيّ من اليمن، نزلت بجنال جسمى، وقد زعمت نُسَاب مضر أنّهم من معدّ،

وقيل: ((هم ولد أسد بن خزيمة، وقول أبي ذؤيب:

كَانَ ثَقَالُ الْمُزْنِ بَيْنَ ثَضَارُعٍ وَشَابَةِ بَرْكَ مِنْ جُدَامٍ، لَبِيحُ

أراد بَرْكَ من إبل جذام، وخصّهم، لأنهم أكثر الناس إبلًا))⁽⁴⁾، فهم على تقدير ذلك بدو رُحَل، إذ إنّ كثرة الإبل هي أخصّ صفات البدو الرّحل.

4- خولان: بلاد خولان من بلاد اليمن من شرقيّه⁽⁵⁾، ومدينة خولان العظمى صَعْدَة⁽⁶⁾، وحدّدها الهمداني بقوله: ((أما مشرق صنعاء الذي يقع بينها وبين مأثّه فإنه مخلاف خولان بن عمرو، وهم خولان العالية))⁽⁷⁾.

(4) صفة جزيرة العرب/245

(5) ج 1/43 (أسد)

(6) ج 1/339

(7) ينظر: مجمع البحرين، 7/3 (أسد)

(8) صفة جزيرة العرب/330

(1) صفة جزيرة العرب/83

(2) ينظر: مروج الذهب، 1/234

(3) اللسان، 46/11 (بجل)

(4) المصدر نفسه، 89/12 (جذم)

(5) ينظر: صبح الأعشى، 327/1، ومجمع قبائل العرب، 231/1، ومجمع البحرين، 367/5 (خول)

(6) ينظر: صفة جزيرة العرب/226

(7) المصدر نفسه/214



5- طَيِّيء: وكانت منازلهم باليمن، فخرجوا منها على أثر خروج الأزد عند تفرّقهم بسيل العرم ونزلوا بنجد والحجاز على القرب من بني أسد، ثُمَّ غلبوا بني أسد على جبلي: أجا وسلمى من بلاد نجد⁽⁸⁾. وذكر ابن حوقل أنَّهم بدو رعاة، لِقلة مياهم وزرعهم⁽⁹⁾ ((وجبلا طَيِّيء منها - أي الجحفة - على مسيرة يومين وبها نخيل وزروع قليلة لطَيِّيء وبها ماء تافه، ويسكنها بادية من طَيِّيء ينتقلون عنها في بعض السنة ينتجعون المراعي))⁽⁹⁾. ويبدو أنَّ صفة البداوة هذه، وأصالة هذه اللغة واعتزاز الطائيين بها، هو الذي دعا إلى القول: ((إِنَّ طَيِّئاً لَا تَأْخُذُ مِنْ لُغَةٍ، وَيُؤْخِذُ مِنْ لُغَاتِهَا))⁽¹⁾.

6- كندة: ذكر الحموي أنَّ كندة اسم قبيلة ومخلاف كندة باليمن⁽²⁾، وأشار إليها الهمداني في حديثه على مدن اليمن التهامية وأنها قبيلة عزيزة⁽³⁾.

7- لخم: قيل: لخم حيٌّ من جذام، وذكر أنَّ لخمًا حيٌّ من اليمن، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية، وهم آل عمرو بن عدي بن نصر اللخمي⁽⁴⁾، وذكرها الهمداني في مساكن من تشاءم من العرب، وتفرّقها في البلاد قائلًا: ((وأكثرها بين الرملة ومصر في الجفار، ومنها في الجولان، ومنها في حوران والبثنية، ومدينة نوى، وبها خلف بن جبلة القصيري، وابن عزيز اللخمي مسكنه طرف جبال الشراة))⁽⁵⁾.

8- مذحج: و((أول بلاد مذحج بعد أن تخرج من دمار متوجّهاً نحو المشرق بقدر فرسخين أرض عنس، وهي واسعة حدودها من ناحية الشمال الثنية، التي بيكلي والطيبار وجيرة، ومن ناحية الجنوب جبل يُعرف بميتم فإلى حقل شرعة لهم نصفه، ومن ناحية المشرق ثات، وبها اليوم من بطون عنس النهديون والفريون والميسيون والياميون))⁽⁶⁾. وفي موضع آخر ((الجون بين همدان ومذحج، مأرب بين سبأ ومذحج))⁽⁷⁾، وقد ذكر الدكتور الراجحي أنها تسكن المنطقة الواقعة شمال مأرب⁽⁸⁾.

9- همدان: وقال الهمداني عن بلد يام: ((ليام وطن بنجران نصف ما مع همدان منها، ثُمَّ بلدهم يطرد عليها ناحية الحجاز))⁽⁹⁾، وقيل: كانت ديارهم شرقي اليمن، ولما جاء الإسلام تفرّق منهم مَنْ تفرّق، وبقي مَنْ بقي⁽¹⁰⁾. وهذا بخلاف ما يذكره الدكتور الراجحي من أنَّ همدان لم تهاجر من اليمن⁽¹¹⁾.

ب - العرب المستعربة (العَدَنَانِيُونَ):

يذكر التّسابون أنَّ عدنان هو شعب تُنسب إليه العرب المستعربة، وتفرّعت منه قبائلها، وقيل: إنَّ منازل عدنان في نجد، وكلها بادية رحالة إلا قريشاً بمكة، وقد ذكر السهيلي أنَّ بني عدنان بسطوا نفوذهم على أرض نجد، ولم يشاركهم فيها من قحطان إلا طَيِّيء من كهلان في ما بين الجبلين سلمى وأجا، ثُمَّ افترق العدنانيون في تهامة الحجاز، ثم في العراق، والجزيرة يعني الجزيرة الفراتية⁽¹⁾، وأشهر قبائلهم:

أولاً: خندف

(8) ينظر: صبح الأعشى، 330/1، ومعجم قبائل العرب، 681/2

(9) صورة الأرض، 23/1

(1) الفائق، 431/3 (نشد)

(2) ينظر: معجم البلدان، 284/7

(3) ينظر: صفة جزيرة العرب، 94، 95

(4) ينظر: الصحاح، 414/5، واللسان، 539/12 (لخم)

(5) صفة جزيرة العرب، 243

(6) المصدر نفسه، 179، 180

(7) نفسه، 237

(8) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، 32

(9) صفة جزيرة العرب، 226

(10) ينظر: صبح الأعشى، 328/1، معجم قبائل العرب، 125/3

(11) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، 33

(1) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، 35، 36 نقلاً عن قلاند الجمان للفلقشندي، 59



زعموا أَنَّ خُنْدَفَ هِيَ امْرَأَةُ الْيَاسِ بْنِ مَضَرَ بْنِ نَزَارٍ، واسمها لَيْلَى، تُسَبِّبُ وَلَدَ الْيَاسِ إِلَيْهَا، وَهِيَ أُمُّهُمْ، وَقِيلَ: ((كَانَتْ خُنْدَفُ امْرَأَةَ الْيَاسِ، اسْمُهَا لَيْلَى بِنْتُ خُلُوَانٍ غَلَبَتْ عَلَى نَسَبِ أَوْلَادِهَا مِنْهُ، وَذَكَرُوا أَنَّ إِبْلَ الْيَاسِ انْتَشَرَتْ لَيْلًا فَخَرَجَ مَدْرَكَةُ فِي بَغَائِهَا، فَرَدَّهَا فَسُمِّيَ مَدْرَكَةُ، وَخُنْدَفَتْ الْأُمُّ فِي أَثَرِهِ، أَيْ أَسْرَعَتْ فَسُمِّيَتْ خُنْدَفُ، واسمها لَيْلَى بِنْتُ عُمَرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قِضَاعَةَ، وَقَعْدَ طَابِخَةَ يَطْبُخُ الْقَدْرَ، فَسُمِّيَ طَابِخَةَ، وَانْقَمَعَ قَمْعُهُ فِي الْبَيْتِ فَسُمِّيَ قَمْعُهُ، وَقَالَتْ خُنْدَفُ لَزَوْجِهَا: مَا زِلْتُ أَخُنْدَفُ فِي إِثْرِكُمْ، فَقَالَ لَهَا: فَأَنْتِ خُنْدَفُ، فَذَهَبَ لَهَا اسْمًا وَلَوْلَا نَسَبُهَا، فَسُمِّيَتْ بِهَا الْقَبِيلَةُ))⁽²⁾.

ومن خندف:

1- تميم: وترجع إلى ((تميم بن مُرِّ بْنِ أَدِّ بْنِ طَابِخَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مَضَرَ))⁽³⁾، وهي قاعدة من أكبر قواعد العرب⁽⁴⁾، وقيل: أَنَّ مَنَازِلَهُمْ بِأَرْضِ نَجْدٍ مِنْ هُنَاكَ عَلَى الْبَصْرَةِ وَالْيَمَامَةِ، وَامْتَدَّتْ إِلَى الْغُرَيِّ مِنْ أَرْضِ الْكُوفَةِ⁽⁵⁾. وقال الهمداني: ((ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، فَالْإِحْسَاءُ مَنَازِلُ وَدُورٌ لِبَنِي تَمِيمٍ، ثُمَّ لِسَعْدٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ))⁽⁶⁾، وقال في موضع آخر: ((بِلَادُ بَنِي تَمِيمٍ فِيهَا النَخِيلُ وَالْقُرَى وَالزَّرُوعُ وَالْبَنَارُ))⁽⁷⁾.

2- قريش: قيل: ((أَبُوهُمْ النَّضْرُ بْنُ كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مَضَرَ، فَكَلَّ مِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ النَّضْرِ فَهُوَ قُرَشِيٌّ، دُونَ وَلَدِ كِنَانَةَ وَمَنْ فَوْقَهُ... وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لَتَقَرَّشَهَا، أَيْ تَجَمَّعَهَا إِلَى مَكَّةَ مِنْ حَوْلِهَا بَعْدَ تَفَرُّقِهَا فِي الْبِلَادِ، حِينَ غَلَبَ عَلَيْهَا قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ... وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ تِجَارَةٍ، فَلَمْ يَكُونُوا أَهْلَ ضَرْعٍ وَزَرْعٍ))⁽⁸⁾. وقال الهمداني: ((مَكَّةُ أَحْوَاظُهَا لِقُرَيْشٍ وَخُزَاعَةٍ، وَمِنْهَا مَرُّ الظُّهْرَانِ وَالتَّنْعِيمِ، وَالْجَعْرَانَةِ وَسَرْفٍ وَفَخٍّ وَالْغُصْمِ وَعُسْفَانَ وَقُدْدٌ وَهُوَ لُخْرَاعَةٌ، وَالْجُحْفَةُ وَخَمٌّ إِلَى مَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنْ بِلَدٍ جُهَيْنَةٍ وَمَحَالٍ بَنِي حَرْبٍ))⁽⁹⁾.

3- كِنَانَةُ: وترجع إلى كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ بْنِ الْيَاسِ، وَقِيلَ: وَبَنُو كِنَانَةَ - أَيْضًا - مِنْ تَغْلِبِ بْنِ وَائِلٍ، وَهُمْ بَنُو عَكْبٍ، يُقَالُ لَهُمْ: قُرَيْشٌ وَتَغْلِبٌ⁽¹⁾. وَكَانُوا يَنْزِلُونَ تَهَامَةَ بِالْقَرَبِ مِنْ مَكَّةَ⁽²⁾. وَذَكَرَ الْهَمْدَانِيُّ بَعْضَ أَجْزَائِهَا قَائِلًا: ((بِلَدٌ حَرَامٌ مِنْ كِنَانَةَ: وَهُوَ وَادِي أْتَمَةَ وَضَنْكَانَ، وَهُوَ مَعْدَنُ غَزِيرٍ، وَلَا بِأَسْ بَتَبْرِهِ، وَالْحَرَّةُ حَرَّةُ كِنَانَةَ، وَالْمَعْقَدُ وَحْلِيٌّ، وَهُوَ مَخْلَافٌ، وَقَصَبَتُهَا الصَّحَارِيَّةُ مَوْضِعَ رُؤَسَاءِ بَنِي حَرَامٍ، وَالْجَوْ وَوَادِي تَلُومَةَ، وَوَادِي الْفَرَّاسَةِ وَالْجُونِيَّةَ، وَوَادِي الْمَحْرَمِ، وَدَعْنَجٌ وَعَشْمٌ مَعْدَنٌ، وَقَرْيَةٌ وَحْلِيٌّ الْغُلْيَا وَالسَّرِيْنُ سَاحِلُ كِنَانَةَ هُوَ وَحِمَضُهُ وَالْكَيْثُ وَمَرْكُوبُ وَادِيَانِ فِيهِمَا عَيُونٌ))⁽³⁾.

ووصف الهمداني فصائل أخرى من كِنَانَةَ افترشت أرضاً من العراق وأجزاء من الشام⁽⁴⁾

4- هُذَيْلٌ: قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: ((هُذَيْلٌ: قَبِيلَةٌ... وَهُذَيْلٌ: حَيٌّ مِنْ مَضَرَ، وَقِيلَ: هُذَيْلٌ قَبِيلَةٌ مِنْ خُنْدَفٍ أَغْرَقَتْ فِي الشَّعْرِ))⁽⁵⁾، وَهِيَ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي سَكَنْتِ الْحِجَازَ⁽⁶⁾. وَقَالَ الْهَمْدَانِيُّ فِي ذِكْرِهِ لِمَكَّةَ وَمَا صَاحِبُهَا: ((مَنَازِلُ هُذَيْلٍ عَرَفَةُ وَعَرَفَةُ وَبَطْنُ نَعْمَانَ وَنَخْلَةُ وَرَحِيلٍ، وَكَبْكَبُ وَالْبُوبَاءُ وَأَوْطَاسُ وَغَزْوَانُ، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنْهُ بَنُو سَعْدٍ أَخْرَجُوها فِي وَقْتِنَا بِمَعُونَةِ عَجَّ بْنِ شَاخٍ سُلْطَانِ مَكَّةَ، وَغَزْوَانُ

(2) اللسان، 98/9 (خندف)، وللاستزادة ينظر: اللهجات العربية في التراث ومصادره في هذا المورد: 47، 48

(3) اللسان، 71/12 (تمم)

(4) ينظر: جمهرة انساب العرب لابن حزم/196

(5) ينظر: نهاية الأرب/161

(6) صفة جزيرة العرب/251، وينظر: وصف الهمداني لديار تميم: 297، 298

(7) المصدر نفسه/254

(8) اللسان، 335/6 (قرش)

(9) صفة جزيرة العرب/232، 233

(1) اللسان، 362/13 (كنن)

(2) ينظر: معجم البلدان، 155/1

(3) صفة جزيرة العرب/

(4) ينظر: المصدر نفسه/296

(5) اللسان، 694/11

(6) ينظر: معجم ما استعجم، 11/1



من أمنع جبال الحجاز , وأكثرها صيداً وعسلاً , وهو يشاكل من جبال السراة شناً وجبل
بارق⁽⁷⁾.
ثانياً: نزار

وقد وقع الحديث في مورد سابق عن أولاد نزار بن معد, تكاثرهم ومنازلهم, وانتشارهم في
أرض العرب هنا وهناك⁽⁸⁾ ومن بطون نزار:

1- ربيعة: قال الهمداني في حديثه عن ديار ربيعة وما خلفها: ((إن أردت بعد أرض الموصل
مررت بتكريت وكان الثرثار عن يمينك, وأكثر أهل الموصل مذبح, وهي ربيعة, فإن تياسرت
منها وقعت إلى الجبل المسمى بالجودي, يسكنه ربيعة وخلفه الأكراد وخلف الأكراد الأرمن⁽⁹⁾).
وقيل: ديارهم بين اليمامة والبحرين⁽¹⁰⁾, ومن ربيعة:

أ- أسد: قيل: ((كانت ديارهم بتهامة, حتى خرجوا إلى البحرين, وزاحموا من بها من بكر ابن
وائل, وتميم, قاسموهم الموطن⁽¹¹⁾)). ومن أسد: بنو عنزة, وكانت ديارهم في ضواحي المدينة عند
خيبر⁽¹⁾, وتمتد مساكنهم من نجد إلى الحجاز, فوادي السرحان, فالحماة, فبادية الشام, ومن أسد
جديلة, ومن جديلة عبد القيس⁽²⁾

ب - وائل: وذكروا أنها بطنان معروفان:

1- بكر بن وائل: قال الهمداني: ((وديار بكر بن وائل من اليمامة إلى البحرين, إلى سيف
كاظمة إلى البحر, فأطراف سواد العراق, فالأبلة, فهيت⁽³⁾)).

2- تغلب: ثم ذكر بعد حديثه عن بكر بن وائل أن ((ديار تغلب الجزيرة بين بلد بكر وبلد
قضاة⁽⁴⁾)).

2- مضر: وقد ذكر البكري أن مضر أقامت وحدها في تهامة بعد خروج ربيعة منها⁽⁵⁾, وذكر في
موضع آخر أن ((منازلهم مكة وأرض العرب يومئذ خاوية ليس بنجدتها وتهامتها وحجازها
وعروضها كثير أحد, إلا خراب بخت نصر إياها وإجلأ أهلها إلا من اعتصم برؤوس الجبال⁽⁶⁾).
وأشهر أفخاذها وأكثرها قيس عيلان وأشهر فصائل قيس:

أ - سليم: وهم من قيس عيلان, وجدّهم سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان⁽⁷⁾.
وحَدّدها الهمداني بقوله: ((فمن وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة إلى حدّ الجبلين إلى ما
ينتهي إلى الحرّة ديار سليم, لا يخالطهم إلا صرّم من الأنصار سيّارة, وقد يحالون طيّناً, وأمّا نجد
ما بين مكة والمدينة من ذوات عرق فإلى الجبلين فالمدن مَعْدَن سليم⁽⁸⁾)).

ب - عَدْوَان: وعَدْوَان بالتسكين, هو عَدْوَان بن عمرو بن قيس عيلان⁽⁹⁾, وكانت منازلهم في
الطائف من نجد, نزلوها بعد إبادة العمالقة, ثم غلبتهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة⁽¹⁰⁾.

ت - غطفان: حيّ من قيس عيلان, وهو غطفان بن سعد بن قيس عيلان⁽¹¹⁾ وهم ممّن نزل
بالحجاز⁽¹²⁾, وكانت منازلهم مما يلي وادي القرى وجبلي أجا وسلمى⁽¹³⁾.

(7) صفة جزيرة العرب/288

(8) ينظر: ص20 من هذا البحث

(9) صفة جزيرة العرب/246, 247

(10) ينظر: معجم قبائل العرب, 726/2, واللهجات العربية في التراث/44

(11) صبح الأعشى, 139/1, ومعجم قبائل العرب, 757/2

(1) ينظر: صبح الأعشى, 337/1

(2) ينظر: معجم قبائل العرب, 846/2, واللهجات العربية في التراث/44

(3) صفة جزيرة العرب/284

(4) المصدر نفسه/131, وينظر: ص233 من هذا المصدر

(5) ينظر: معجم ما استعجم, 87/1

(6) معجم ما استعجم, 5/1, ويظهر أن البكري نقل هذا عمّا رواه الهمداني من حديث ابن عباس عن أولاد معد: ينظر: صفة جزيرة

العرب/83

(7) ينظر: اللسان, 299/12 (سلم)

(8) صفة جزيرة العرب/245

(9) ينظر: اللسان, 43/15 (عدا)

(10) ينظر: صبح الأعشى, 346/1, واللهجات العربية في القراءات القرآنية/37



ث - هوازن: قيل: ((هوازن من قيس, وهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة من قيس عيلان))⁽¹⁾, وقال الهمداني: ((سراة الطائف غورها مكة, ونجدها ديار هوازن من عكاظ والعبر))⁽²⁾, وذكروا أن هوازن نزلت بين غور تهامة إلى ما والى بيشة وبركا وناحية السراة والطائف وذا المجاز وحنين وأوطاس وما صاقبها من البلاد, ومن هوازن بنو سعد الذين كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رضيعاً فيهم⁽³⁾, ومنهم بنو عامر بن صعصعة, ومن بني عامر بنو كلاب⁽⁴⁾, ومن بني عامر - أيضاً - بنو عُقيل⁽⁵⁾.

وبعد: فهذا تحديد تقريبي لبعض القبائل العربية في أنسابها ومنازلها, لعلّه ينفعنا في فهم بعض الظواهر اللغوية, التي تعرضها هذه الدراسة في قادم الفصول والمباحث, إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: العلاقة بين العربية وما تفرع منها, وموقف اللغويين من ذلك.

ويقصد الباحث بما تفرّع عن العربية اللهجات في اصطلاح المحدثين, والعلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة الخاص بالعام أو الفرع بالأصل.

فاللهجة: مجموعة من الصفات اللغوية, التي تنتمي إلى بيئة خاصة, ويشترك فيها جميع أفراد هذه البيئة, وهي جزء من بيئة أكبر تشمل مجموعة من اللهجات لكلٍ منها خصائصها, ولكنها تشترك في كثير من الظواهر اللغوية التي تسهّل اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض, وفهم ما يدور بينهم من كلام فهماً يعتمد على حجم تلك الرابطة التي تصل بين هذه اللهجات, تلك البيئة الأكبر والأشمل هي ما اصطلاح عليه بـ (اللغة)⁽⁶⁾.

ويُعدُّ مصطلح (لهجة) مصطلحاً حديثاً, فاللغويون القدماء كانوا يطلقون على ما اصطلاح عليه الآن لهجة اسم لغة, فيقولون: لغة قريش أو لغة تميم أو لغة قيس أو لغة اليمن وغيرها.

وقد يذكرون مفاهيم أخرى تؤدّي الغرض نفسه نحو: كلام أو قول أو لسان أو لفظ وغيرها. ويبدو أن اللغويين لم يكونوا حريصين كثيراً على مثل تلك الاصطلاحات قدر حرصهم على ما تؤدّيه من وظيفة تنفع المتلقي أو القارئ, ولذلك نجدهم - أحياناً - يهملون مثل تلك المسميات فيقولون: قرشيّة أو تميميّة أو فارسيّة... الخ.

إلا أن أكثر الاصطلاحات شيوعاً وثباتاً هو مصطلح (لغة), وهو يشمل عند القدماء ما تضمّنه مصطلح (لهجة) عند المحدثين وزيادة, إذ شمل عندهم معنى العموم المشار إليه في مفهوم اللغة, زيادة على تضمّنه مضامين أوسع, عبّرت عنها مفاهيم أخرى نحو مصطلح (لسان) مثلاً⁽¹⁾.

فمصطلح لهجة إذن ممّا استقرّ عند المحدثين على معناه المذكور. وعوداً على ما بدأنا به هذا المورد, يمكن القول: إنَّ العلاقة بين العربية بما تفرع عنها (اللهجات) لا تكاد تتجاوز أيّ علاقة بين لغة أم وفروعها.

وإذا أراد الباحث أن يعرف ولو على وجه التقريب أوليّة العربية أو فروعها والأصل فيهما, فإنّه لا يصل إلى رأي قاطع في هذا الأمر وتحديداً في المدّة التي سبقت ظهور المسيحيّة فلا نصوص تعود إلى تلك العهود, ولا إلى ما بعدها, غير بعض النقوش التي عُثِرَ عليها بالقرب من دمشق وحلب, والتي لا تكاد تتجاوز القرن الثالث الميلادي, ويعتقد بعض المستشرقين أنّها تمثّل العربيّة في العهود التي سبقت الجاهلية.

ولا قيمة لمثل تلك النصوص عند الدكتور إبراهيم أنيس في تحديد تاريخ العربية, لضحالتها.

(11) ينظر: اللسان, 269/9

(12) ينظر: معجم ما استعجم, 90/1

(13) ينظر: صبح الأعشى, 344/1, ومعجم قبائل العرب, 888/3

(1) اللسان, 436/13 (هزن)

(2) صفة جزيرة العرب/131, وينظر: ص233 من هذا المصدر

(3) ينظر: صبح الأعشى, 340/1, ومعجم قبائل العرب, 513/2

(4) ينظر: صبح الأعشى, 340/1, ونهاية الأرب/407

(5) ينظر: صبح الأعشى, 342/1

(6) ينظر: في اللهجات العربية د: إبراهيم أنيس/33

(1) ينظر: الفصل الأول - المبحث الثاني (ألفاظ دالة على اللغة في كتب غريب الحديث)



إلا أنّ تلك النصوص لم تكن المؤشر الوحيد لتأصيل العربيّة في تلك العهود، بل إن المستشرقين أنفسهم يجدون أنّ العربيّة المألوفة احتفظت بعناصر قديمة تعود إلى العربية الأم، بل إنها احتفظت بما لم تحتفظ به بقيّة أخواتها، ففيها نظام الإعراب الكامل وصيغ جموع التكسير وسواها من ظواهر لغوية سادت في العربيّة الأولى⁽²⁾.

وثمة شعور يتملّك الباحث أنّ هنالك لغة أصيلة لها كيائها وخصائصها الرصينة قد شاعت في تلك العهود، بدليل سعي العرب، وهم قبائل متناثرة على مساحة شاسعة من الجزيرة العربية وخارجها إلى محاكاة لغة واحدة مشتركة ولا سيما في العهود التي سبقت ظهور الإسلام وإن تكون قريش قطب الرحى فيها ومركز استقطاب تلك القبائل لبعث هذه اللغة من جديد. ويظهر للباحث بما لا يقبل الشك أنّ تلك اللغة لا تنتمي إلى بيئة واحدة، بل تنتمي إلى معظم البيئات العربيّة، وإن كان نصيب قريش منها الأوفر⁽³⁾.

هذه اللغة فرضت نفسها قبيل الإسلام، وقد حاكها الشعراء والأدباء والطبقة المثقفة آنذاك، وتبعتهم العامّة، ثم خلّدها القرآن الكريم، وكتب لها الديمومة والأبدية وإلى أن يشاء الله، فلغة القرآن الكريم هي هذه اللغة المشتركة، التي أخذت من معظم القبائل العربية، وجمعت العرب على مائدة القرآن الثرة.

وما عناية العلماء وأهل النظر بالتأليف في لغات القرآن الكريم منذ القرن الأول للهجرة إلا دليل قاطع على ما ذكر من تعدد اللغات في القرآن، فقد ألف فيه الفرّاء وأبو زيد والأصمعي والهيثم بن عدي ومحمد بن يحيى القطيفي وغيرهم، وقد وصل إلينا من هذه الكتب كتابان: الأول: رسالة لأبي عبيد القاسم بن سلام بعنوان: ((ما ورد في القرآن من لغات القبائل))، والثاني: ((كتاب اللغات في القرآن، رواية ابن حسنون المقرئ (429هـ) بإسناده إلى ابن عباس))⁽⁴⁾.

أمّا الحديث الشريف ولا سيما غريبه فالقول فيه لا يكاد يختلف عن كلّ ما ذكر في هذا المورد، وقد يكون الكلام على لغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته وتابعيه في قادم الدراسة دليلاً لا لبس فيه على ما قيل⁽²⁾.

إلا أنّ هذه اللغة المشتركة التي نزل بها القرآن ونطق بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تكن هي لغة التخاطب في البيئات العربية آنذاك، بل كانت تسير معها جنباً إلى جنب لغات التخاطب المحليّة، التي لم ترتق إلى مستوى تلك اللغة الرصينة، التي بلورها القرآن ونطق بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهناك اختلافات بين هذين المستويين لا تعدو بعض النواحي الصوتية من اختلاف في مخرج الصوت أو تباين في صفته أو في مواضع الهمز، ومقاييس أصوات اللين وغيرها، فكلّ شعب في الواقع صفاته الصوتية المميزة له من دون غيره، التي تكون جزءاً مهماً ممّا يسمّيه المحدثون بالعادات الكلامية⁽³⁾.

فما موقف اللغويين القدامى والمحدثين من هذه اللغات التي تفرعت من العربية؟ وهل هذه اللغة التي اصطلح عليها بالمشتركة هي لغة قريش نفسها؟ في مورد الإجابة عن السؤال الأوّل يرى الباحث أنّ اللغويين الأوائل أعطوا أهمية كبيرة لهذا الموضوع، وألّفوا في لغات القبائل العربية⁽⁴⁾.

(2) ينظر: في اللهجات العربية/33-35

(3) ينظر: فقه اللغة في الكتب العربيّة، د: عبده الراجحي/120

(1) ينظر: كتاب اللغات في القرآن، رواية ابن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس/5-8

(2) ينظر على سبيل المثال: الفصل الأوّل/المبحث الثالث (غريب لغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته)

(3) ينظر: في اللهجات العربية/57

(4) ينظر: موقف اللغويين القدماء من اللهجات: كاظم فضيل شاهر، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد (12)، المجلد (4).

أيلول 2005م، ص 190-211



وقد أثار عن أبي عمرو بن العلاء ت(154هـ) أنّه قيل له: اخبرنا ((عمّا وضعت ممّا سميته عربيّة أيدخل فيه كلام العرب كلّهُ ؟ فقال: لا . فقلت: كيف تصنع فيما خالفك فيه العرب, وهم حجة؟ فقال: أحمل على الأكثر, واسمي ما خالفني لغات))⁽⁵⁾.

ويظهر أنّ فصاحة لغة قريش غير مسلم بها, وهناك سؤال هو أهى وحدها تمثل الفصحى, أم أنّ الفصحى تتكون من خليط متجانس من لغات القبائل العربية الفصيحة, ممّا كان موضع جدل قديماً وحديثاً .

لم نجد نصّاً صريحاً من أحدٍ من العلماء على أنّ تلك اللغة المشتركة هي لغة قريش إلاّ ما ذكره بعض المحدثين, ومنهم الدكتور شوقي ضيف الذي يرى أنّ المشتركة هي عين اللغة القرشيّة التي بسطت نفوذها على أرجاء الجزيرة بكاملها⁽¹⁾.

وكذلك ما ذكره الدكتور علي عبد الواحد وافي الذي يقول: ((إنّ ما حدث للغة قريش قد ترتب عليه تغلّبها على بقيّة اللهجات العربية, وأصبحت لغة الآداب عند جميع قبائل العرب ... فلا غرابة إذن في أنّ القرآن, وقد جاء بلغة قريش كان مفهوماً لدى جميع القبائل))⁽²⁾.

ونصّ الدكتور صبحي الصالح على أنّ اللغة القرشيّة هي اللغة الفصحى على الإطلاق⁽³⁾. وأمّا قول الدكتور عبد الرحمن أيوب إنّ أصل اللغة العربية الفصحى هو لغة قريش⁽⁴⁾, فهو أكثر الآراء اعتدالاً, إذ إنّ مكة تحديداً وهي منزل قريش كانت على الدوام مركز استقطاب للعرب في عبادتهم وتجارتهم وأسواقهم, فتبع ذلك أن يكون نصيبها هو الأكثر.

والراجح أنّ العربية المشتركة الفصحى لم تكن تمثلها اللغة القرشيّة بمفردها, بل هي تحصيل حاصل للغات القبائل المختلفة, وقد حدّد الفارابي القبائل التي أعتمدت في أخذ اللغة, واحتجّ بكلامها بقوله: ((والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي, وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس, وتميم, وأسد فانّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه, وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب وفي التصريف, ثم هذيل, وبعض كنانة, وبعض الطائيين, ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم))⁽⁵⁾.

فهل يكون (بعض كنانة) الذين ذكرهم الفارابي هم قريش؟ فقريش ترجع نسباً إلى النضر بن كنانة ابن مدركة بن إلياس بن مضر⁽⁶⁾؟

لا نعرف تحديداً توجه الفارابي إلا أنّ النصّ يُعزّد مذهب القائلين بأنّ اللغة المشتركة أو الفصحى لم تكن لغة قريش ولا لغة غيرها من القبائل العربية, وإنّما هي اختيار لا شعوري أو خليط متجانس من لغة هؤلاء وهؤلاء, نتج عن احتكاك كثير من أفراد هذه القبائل في مواسم الحج والتجارة⁽⁷⁾.

يقول الدكتور رمضان عبد التواب ((لا يحقّ لنا أن نقول إنّ اللغة المشتركة هي لهجة قريش أو تميم, أو غيرها من قبائل العرب, بل هي مزيج من كلّ هذا تكوّنت له شخصيّة وكيانه وأصبح مستقلاً عن اللهجات وإن التمس في نشأته بعض صفات هذه اللهجات بعد هضمه))⁽¹⁾.

وإذا أصرّ بعض الدارسين على كون الفصحى هي لغة قريش عينها فيماذا يفسّر لنا خلّوها من بعض الظواهر اللغويّة كالإدغام والهمز, وهي من أخصّ الظواهر في الفصحى؟!

(5) المزهر, 184/1, 185

(1) ينظر: العصر الجاهلي, د: شوقي ضيف, 133, 134

(2) فقه اللغة, د: وافي/103-108

(3) ينظر: دراسات في فقه اللغة, د: الصالح/66

(4) ينظر: العربية ولهجاتها, د: أيوب/40

(5) الحروف للفارابي/147

(6) ينظر: هذا التمهيد/ص23

(7) ينظر: ملامح من تاريخ العربية: احمد نصيف الجناي/23, والترادف في اللغة: د: حاكم الزبيدي/207

(1) فصول في فقه اللغة: د: رمضان/97, 98



قد يعود السبب في سيادة لغة قريش، إلى احتضان القرآن وفرة من الألفاظ القرشية وكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته وصحابته قرشيين، ومنطلق الدعوة الإسلامية مكة وهي مركز قريش.

يرى الدكتور رشيد العبيدي أن جميع اللغات متكافئة ومتساوية في القياس عليها والأخذ بها لغة للتخاطب، ويبقى التمييز معتمداً على قوة قياس أو ضعفه⁽²⁾.

وليس في كلام الدكتور العبيدي من جديد، فما ذهب إليه ليس أكثر من الإطار العام والمدخل الرئيس الذي نصّ عليه علماء العربية منذ قرون كثيرة، بل إن المتتبع لكلامهم أو لنقل طائفة منهم ليجدهم أوسع أفقاً وأكثر واقعية مع المنهج اللغوي، وخصوصاً ما شاع عند الكوفيين - عموماً - من مذهب القياس على أكثر لغات القبائل، بل على شواهد، قد لا تتجاوز - أحياناً - الشاهد الواحد⁽³⁾.

يقول ابن جني في (خصائصه)، باب (اختلاف اللغات وكلها حجة): ((وكيف تصرف الحال، فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه))⁽⁴⁾.

ويمكن أن يفهم الباحث ممّا صدره أبو الفتح من عنوان لهذا الباب، وممّا اتبعه من كلام، أن هذا العالم يُشير إلى مستويين من الخطاب هما المستوى المثالي المقيس والأصل في كلّ ما يُقال، ونعني به اللغة المشتركة النموذجية والمستوى الآخر مستوى اللغات المحلية، الذي لا ينبغي نبذه وإهماله بل نقله بعينه مستوى نطقياً مهماً، وصورة واقعية لأداء القبائل العربية آنذاك.

وثمّ محتكم لم يغفله العلماء في هذا الموضوع، ومرتکز يعكس الواقع اللغوي، ذلك هو الاستعمال، وقد رجّحه العلماء - أحياناً - على القياس.

فابن جني نفسه - في عرضه لهجة التميميين في ترك أعمال (ما) ولهجة الحجازيين في إعمالها - تابع سببويه في كون التميمية أقوى قياساً ((من حيث كانت عندهم (كهل)، في دخولها

على الكلام مباشرة، كلّ واحد من صدر الجملتين: الفعل والمبتدأ كما أن (هل) كذلك))⁽¹⁾.

إلا أن أبا الفتح لا يلبث أن يذكر صراحة أنه يختار الحجازية، معللاً ذلك بكثرة الاستعمال، مستنداً على تلك الكثرة بنزول القرآن على الحجازية. قال: ((إلا أنك إذا استعملت أنت شيئاً من ذلك، فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله، وهو اللغة الحجازية، ألا ترى أن القرآن بها نزل))⁽²⁾.

وجملة الضوابط والمقاييس التي اعتمدها اللغويون في التمييز بين مستوى وآخر مستوحاة من هذه اللغة المثالية، التي تحدثنا على شيء من أوليتها في مورد سابق⁽³⁾، فكيف نشأت هذه اللغات عن العربية الأم؟

من العسير تحديد المساحة التي تشغلها كل لغة بصورة دقيقة، وقد عرفنا في مورد سابق منازل بعض القبائل العربية ورحلاتها على وجه التقريب، إلا أننا نستطيع أن نعرف الظواهر التي تنماز بها كلّ لغة أو الظواهر التي تشترك فيها لغة أو أكثر من خلال دراسة لغات القبائل العربية القديمة والحديثة ومدى التأثير الذي أصابها نتيجة احتكاكها ببعضها ببعض⁽⁴⁾.

هذا وقد عزا بعض المحدثين تكوّن هذه اللغات إلى عاملين رئيسيين هما:

(2) ينظر: اثر اللهجات في شرح ابن عقيل على الألفية د: رشيد العبيدي، مجلة آداب المستنصرية، العدد (5) السنة الخامسة، 1975 ص33

(3) ينظر: مدرسة الكوفة/376-389

(4) ج12/2

(1) الخصائص، 126/1، وينظر: الكتاب، 57/1

(2) الخصائص، 126/1

(3) ينظر: هذا التمهيد: ص25

(4) ينظر: لهجة قبيلة اسد، د: علي ناصر غالب/32، 33



1- الانعزال بين بيئات الشعب الواحد: نتيجة العوارض الطبيعية، وبخاصة في البيئات البدائية، فسلاسل الجبال أو الصحارى الشاسعة والأنهار تقلل من فرص اتصال المجموعات البشرية، ومع مرور الزمن تنشأ خصائص لغوية محلية في بيئة ثانية⁽⁵⁾.

وقد ظهر لنا في مقدمة هذا التمهيد انعزال القبائل العربية في مناطق لها ظروفها الطبيعية والمناخية الخاصة بكلّ منها مثل: الحجاز والعروض وتهامة ونجد واليمن، ثم إلى قبائل عدنانية وقحطانية في الشمال والجنوب على التوالي، وبمقدار ما كان الانعزال كبيراً زاد البعد بين هذه اللغات، ثم كان لاتساع رقعة الأرض التي يعيش عليها العرب أثره في تطور كل مجموعة من مجموعات أو لنقل كل لغة من لغاتها تطوّراً مستقلاً عن أخواتها⁽⁶⁾.

يعزّز ذلك اختلاف الظروف الاجتماعية بين هذه البيئات، وانقسام المجتمع نفسه إلى طبقات مثلاً يؤدي بالنتيجة إلى تكون لغة خاصة لكل طبقة، واللغة المحلية الواحدة قد تتكون خلالها لغات خاصة سُمّيت باللغات العامية الخاصة، وهي لغات يتحدّد وجودها بوجود جماعات متخصصة كالصنّاع والأشقياء الذين يستعملون لغة يتفقون عليها⁽⁷⁾.

وقريب من ذلك ما أشار إليه علماء غريب الحديث عند تخصيصهم بعض اللغات بالعوام أو بعض الطبقات المثقفة ونحو كلام الفقهاء ولغة الأطباء والمنجمين⁽¹⁾.

2- الاحتكاك اللغوي: الذي يظهر نتيجة التجاور مع اللغات الأخرى، أو بسبب الغزو والاستعمار والهجرات، ويُعدّ هذا العامل من أهم العوامل التي تسهم في تكوين هذه اللغات، وهو ما نراه في العصر الحديث، إذ ساعد الاستعمار على تعميق الاختلافات بين اللهجات العربية المعاصرة، ومن ثمّ تطوّرها بصورة مستقلة عن بعضها، يُزاد على ذلك أثر اللهجات التي كانت سائدة أصلاً في هذه المنطقة أو تلك في اللهجات الوافدة عليها، كما حدث في مصر والشام والمغرب مثلاً⁽²⁾. وقد تأثرت لغات القبائل العربية بشكل أو بآخر بالأعاجم في أطراف الجزيرة العربية، ممّا أثر أثراً سلبياً في موقف اللغويين منها⁽³⁾.

قال الفارابي: ((...فلم يؤخذ عنهم شيء، لأنهم كانوا في اطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم، مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر))⁽⁴⁾.

وقد يكون لخطأ الأطفال أو القياس الخطأ أثر في نشأة مثل هذه اللغات ولا يمكن إغفال الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، لما لها من أثر فاعل في نشوء اللغات⁽⁵⁾.

وقد خلّص فندريس من كلّ ما رُصِدَ من عوامل في نشأة اللغات إلى القول: ((مهما كانت أهمية العوامل السياسية والاقتصادية، فإنّ اللهجة أولاً وقبل كلّ شيء كيان لغوي، وحتى حينما نحسب حساب الظروف الخارجية في تكوين اللهجات يبقى أنّ هذه الظروف تستند جوهرياً إلى التطور الطبيعي لعناصر اللغة))⁽⁶⁾.

(5) ينظر: في اللهجات العربية/21

(6) ينظر: الأدب الجاهلي بين لهجات قبائل اللغة الموحدة/145

(7) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/38

(1) ينظر: الفصل الأول - المبحث الثاني: (نسبة اللغات في كتب غريب الحديث)

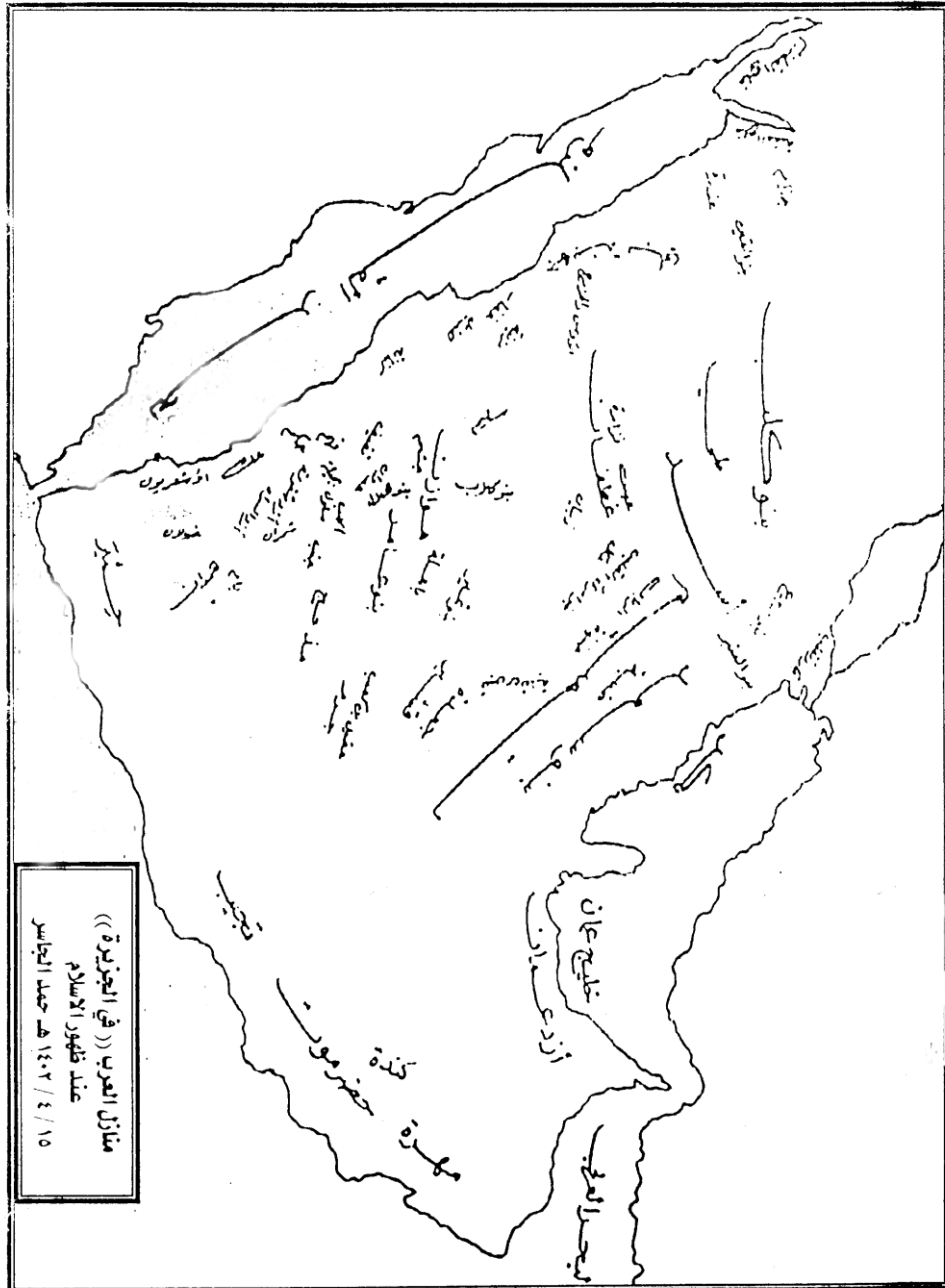
(2) ينظر: في اللهجات العربية/23، 25، والعربية ولهجاتها/25، ولهجة قبيلة أسد/35

(3) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني د: حسام النعيمي/81، ولهجة قبيلة أسد/35

(4) الحروف للفارابي/147

(5) ينظر: لهجة قبيلة أسد/36

(6) اللغة لفندريس/327



منازل العرب ((في الجزيرة))
عند ظهور الإسلام
١٥ / ٤ / ١٢٠٢ هـ - محمد الجاسر



رقم الصفحة	اسم الموضوع
9-1	المقدمة
31-10	التمهيد: في العلاقة بين العربية وما تفرع منها والتوزيع الجغرافي للقبائل العربية
14-10	أولاً: شبه الجزيرة العربية, حدودها وأقسامها
24-14	ثانياً: القبائل العربية, أنسابها ومنازلها
30-24	ثالثاً: العلاقة بين العربية وما تفرع منها, وموقف اللغويين من ذلك.
111-32	الفصل الأول: منهج علماء غريب الحديث في تناول اللغات
53-33	المبحث الأول: منهجهم في تناول غريب الحديث
34-33	أولاً: التعريف بالغريب واشتقاقه في اللغة
44-35	ثانياً: مناهج المصنفين في معاجم غريب الحديث
53-44	ثالثاً: المنهج الداخلي في عرض المادة اللغوية
64-54	المبحث الثاني: تدوين اللغات ونسبتها ووصفها في كتب غريب الحديث
55-54	أولاً: ألفاظ دالة على اللغة في كتب غريب الحديث
58-55	ثانياً: رواية اللغات ونقلها في كتب غريب الحديث
61-58	ثالثاً: نسبة اللغات في كتب غريب الحديث
64-61	رابعاً: تمييز اللغة وترجيحها عند مصنف الغريب
111-65	المبحث الثالث: منشأ الغرابة في كتب غريب الحديث
75-65	أولاً: مفهوم الغرابة في هذه المصنفات
82-75	ثانياً: غريب لغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته
87-82	ثالثاً: الغرابة الناشئة عن العجمة في ما نسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته وتابعيه
91-87	رابعاً: الغرابة والابتذال في كلام غير لصحابة والتابعين
111-91	خامساً: أسباب آخر للغرابة
247-112	الفصل الثاني: المستوى الصوتي
112	توطئة: السبب في اعتماد مستويات التحليل اللغوي
113	مدخل في المستوى الصوتي
181-114	المبحث الأول: المماثلة
128-115	أولاً: الإدغام
120-116	1- فعل الأمر والمضارع المنجزم
121-120	2- إدغام التاء في الدال
125-121	3- صيغة افتعل
127-125	4- صيغة تفعل



128-127	تعقيب
179-128	ثانياً: الإبدال
159-131	1- الإبدال بين الحروف المتدانية في المخرج الواحد
132-131	الهمزة والهاء
134-132	العين والحاء
136-135	الجيم والشين
137-136	الذال والتاء
138-137	التاء والطاء
141-138	السين والصاد
141	الزاي والصاد
142-141	الزاي والسين
146-142	الباء والميم
147-146	الهمزة والعين
148-147	الحاء والهاء
150-149	الغين والعين
151-150	الغين والهاء
152-151	الحاء والحاء
155-152	القاف والكاف



155	السين والتاء
157-155	الباء والفاء
157	الميم والفاء
159-157	اللام والراء والنون
159-157	اللام والراء
159-158	اللام والنون
159	الراء والنون
170-159	2- الإبدال بين الحروف المتقاربة في المخارج
161-159	الذال والذال
163-161	الضاد والطاء
164-163	الذال والزاي
164	الزاي واللام
166-164	التاء والتاء
167-166	الثاء والفاء
168-167	الجيم والحاء
169-168	الجيم والكاف
170-169	الغين والقاف
177-170	3- الإبدال بين الحروف المتقاربة في الصفات
171-170	الجيم والطاء
171	الجيم والقاف
173-171	السين والشين
174-173	الميم والنون
175-174	الميم واللام (الطمطمانية)
177-175	العين والنون (الاستنطاء)
185-177	4- ما ينسب إلى الإبدال بين الحروف المتباعدة مخرجاً وصفة
178	الفاء والقاف
178	الجيم والحاء
178	الحاء والقاف
179	القاف والسين
181-179	ثالثاً: الإمالة
207-182	المبحث الثاني: الهمز والتسهيل بين لغات القبائل
189-183	أولاً: أهل التخفيف من العرب
192-189	ثانياً: أهل التحقيق من العرب
197-192	تعقيب
201-197	خلاصة في سبب التحقيق أو التخفيف
210-202	المبحث الثالث: كراهية توالي الأمثال
207-203	أولاً: شواهد الإبدال
208-207	ثانياً: شواهد الحذف
210-208	ثالثاً: شواهد الفصل



228-211	المبحث الرابع: المعاقبة بين الواو والياء وإيثار بعض الصوائت القصيرة في لغات القبائل أو حذفها
216-211	أولاً: المعاقبة بين الواو والياء
222-217	ثانياً: إيثار بعض الصوائت القصيرة في لغات القبائل
219-217	1- الميل إلى الكسر
221-219	2- الميل إلى الضم
222-221	3- الميل إلى الفتح
228-222	تعقيب
235-229	المبحث الخامس: القلب المكاني
240-236	المبحث السادس: مطل الحركات (إشباع صوت المد القصير)
247-241	المبحث السابع: الوقف
242-241	أولاً: الكشكشة
243	ثانياً: الكسكسة
243-243	ثالثاً: العجعة
247-244	رابعاً: الوقف على الألف المقصورة
319-248	الفصل الثالث: المستوى الصرفي
248	مدخل
260-249	المبحث الأول: الاشتراك في الأبواب
260-258	تعقيب في ما اصطلاح عليه بـ (تداخل اللغات)
272-261	المبحث الثاني: اختلاف الأوزان واتفاق المعاني في الأفعال
267-261	أولاً: فعل وافعل
269-267	ثانياً: فعل وافقتل
272-269	ثالثاً: فعل وفعل
287-273	المبحث الثالث: المصادر والمشتقات
276-273	أولاً: المصادر
276-275	تعقيب : في مطابقة المصدر لموصوفه أو عدمها



287-277	ثانياً: المشتقات
278-277	أ - اسم الفاعل
280-278	ب - اسم المفعول
282-280	ت - صيغ المبالغة
284-283	ث - اسم الآلة
287-285	ج - اسما الزمان والمكان
293-288	المبحث الرابع: الجمع
299-294	المبحث الخامس: التصحيح والإعلا
295-294	1- قبائل عربية تفتح ما قبل الياء إذا تحركت بفتحة غير اعرابية فتقلب تلك الياء ألفاً
296-295	2- الاسم المقصور المضاف إلى ياء المتكلم في لغات بعض القبائل العربية
297	3- جنوح بعض العرب إلى فتح ياء مثل (عيرات) جمعاً والقياس أن تُسَكَّنَ (عيرات)
299-297	4- مذهب بعض العرب في كسر مستقبل (فعل) نحو قولهم: (إِيْهُمْ) والأصل (أَوْهُمْ) بالفتح والواو
306-300	المبحث السادس: التشديد والتخفيف
303-300	أولاً: في الاسماء
305-303	ثانياً: في الأفعال
306-305	تعقيب
312-307	المبحث السابع: المقصور والممدود
319-313	المبحث الثامن: التذكير والتأنيث
319-317	تعقيب
376-320	الفصل الرابع: المستوى الدلالي
322-320	مدخل
321-320	التغيرات التي تطرأ على المعنى
345-323	المبحث الأول: الترادف
345-330	أمثلة من المترادفات بحسب حروف المعجم
356-346	المبحث الثاني: المشترك اللفظي
356-349	أمثلة من المشترك اللفظي
367-357	المبحث الثالث: الأضداد
367-361	أمثلة من الأضداد
376-367	تعقيب
370-367	ألفاظ مخصوصة ببعض القبائل
371-370	معانٍ مخصوصة ببعض القبائل
376-372	ألفاظ أعجمية (دخيلة) دخلت العربية ولغاتها قبل الإسلام وبعده
376-373	أمثلة من هذه الألفاظ ومناقشتها
385-377	الخاتمة والنتائج
414-386	روافد البحث
	ملخص البحث باللغة الإنكليزية



تقديم:

ينبغي لنا قبل الشروع في عرض منهج مصنف غريب الحديث في تدوين اللغات ونسبتها ووصفها، وقبل الحديث عن الأسباب التي أدت إلى نشأة الغرابة في الحديث ولا سيما مسألة تعدد اللغات، التي تُعدُّ من الأسباب الجوهرية في هذا المورد، إذ هي معتمد الباحث في هذه الدراسة، ينبغي لنا قبل ذلك كله أن نقف عند منهجهم في عرض مادة الغريب - عموماً - لتتسنى الإفادة من الموضوعات التي سيتناولها هذا المبحث، عسى أن نتفعنا في المباحث اللاحقة، والفصول القادمة - إن شاء الله - وليس لنا هنا إلا الإيجاز والاختصار غير المخل، فلا سبيل إلى الإطالة أو الاستطراد الذي قد ينأى بنا عن هدفنا الذي أقيمت الدراسة من أجله .

المبحث الأول

منهجهم في تناول غريب الحديث

أولاً: التعريف بالغريب واشتقاقه في اللغة:

لا يخفى أنَّ ما ورد في متون الحديث والأثر حول ما يُعرف بالغرابة، يُعدُّ من أسبق ما ورد في هذا الباب وأوثقه⁽¹⁾، فمن ذلك ما جاء في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء))⁽²⁾. وجاء في رواية الخطابي: ((قيل مَنْ هُم يا رسول الله ؟ قال: النَّزَّاع من القبائل)) ثم قال الخطابي: ((النَّزَّاع: جمع نَزيع، وهو الغريب الذي نَزَعَ من أهله وعشيرته... ونرى - والله أعلم - أنه أراد بذلك المهاجرين الذين هَجَرُوا ديارهم وأوطانهم إلى الله عز وجل))⁽³⁾. وفي ((النهاية)) قال: ((إنَّه كان في أول أمره كالغريب الوحيد

(1) ينظر: معاجم غريب الحديث والأثر: السيد الشرقاوي/9

(2) الحديث رواه مسلم في صحيحه، 90/1، وفي مسند أحمد، 398/1، 73/4، وأسد الغابة في ترجمة عبد الرحمن بن سُنَّه، 457/3،

وغريب الخطابي، 174/1، والنهاية، 348/3، (غرب)

(3) غريب الخطابي، 174/1-176



الذي لا أهل عنده، لقلّة المسلمين يومئذٍ، وسيعود غريباً كما كان: أي يقلّ المسلمون في آخر الزمان فيصيرون كالغرباء))⁽⁴⁾.

ولا نريد التوسع في مفهوم الغريب عند هؤلاء تاركين ذلك إلى موضعه من المبحث الثالث، هذا وقد اهتم أصحاب المعجمات بالغريب وحاول بعضهم وضع مفهوم محدد له وكانوا يعتمدون في ذلك على ما بين أيديهم من موروثة لغوي يدور حول الأصل اللغوي (غرب) في ما ورد عن رواة اللغة والغويين المتقدمين.

وأقدم معجم وصل إلينا وتناول هذا المفهوم كتاب العين، قال الخليل ت(175 هـ): ((الغربة: الاغتراب من الوطن، وغرب فلان عَنَّا يَغْرُبُ غَرْباً أي تَحَى. وأغْرَبْتَهُ: غَرَبْتَهُ، أي نَحَيْتَهُ)) ثم قال: ((الغريب: الغامض من الكلام، غَرِبَتِ الكلمة غرابة... والشَّعْرَةُ الغريبة وجمعها غُرْب، لأنها حَدَثَ في الرأس لم يكن من قبل))⁽⁵⁾.

وقال ابن دريد ت(321 هـ): ((ويقال: غَرَبَ الرجل تغريباً إذا بَعُدَ... ويُقال: هَلْ مِنْ مُغْرَبَةٍ خَبِرَ؟ أي: هل من خبر جاء من بَعْدٍ، وأحسبُ أن اشتقاق الغريب من هذا))⁽⁶⁾.

وقد توسّع الأزهرى ت(370 هـ) في مادة (غرب) مستعيناً بكثير مما رُوِيَ في هذا الباب، فهو بعد أن ينقل كثيراً من نصوص الخليل، التي ينسبها إلى الليث تلميذ الخليل يقول: ((... والغريب من الكلام العقمي الغامض... قال الأصمعي: أغرب الرجل إغراباً إذا جاء بأمر غريب... عمرو عن أبيه: رجل غريب وغريبي وشطيب وطارئ وأتوَّى بمعنى واحد... وقال الأصمعي: أغرب الرجل في منطقته إذا لم يُبْقَ شيئاً إلا تكلم به وأغرب الفرس في جريه وهو غاية الإكثار منه))⁽¹⁾.

وقال الجوهري ت(393 هـ): ((الغربة: الاغتراب، تقول منه: تَغْرَبُ واغترب بمعنى فهو غريب... وأغرب الرجل: جاء بشيء غريب... وأغرب الرجل صار غريباً حكاها أبو نصر... وغَرَبَ عني: أي: بَعُدَ، يُقال: أغرب عني: أي: تباعد))⁽²⁾.

وقال ابن فارس ت(395 هـ): ((الغربة: البُعد عن الوطن، يُقال: غَرَبَتِ الدَّارُ، ومن هذا الباب: غروب الشمس، كأنه بُعِدَها عن وجه الأرض... وفي كتاب الخليل: إذا أمعت الكلاب في طلب الصيد قيل: غَرِبَتْ، وفيه نظر))⁽³⁾.

وفي (محكم) ابن سيده ت(458 هـ): ((رَجُلٌ غَرِبَ وغريب: بعيد عن وطنه والجمع غرباء، والأنثى غريبة... واغترب الرجل: نكح في الغرائب... وقُدَحَ غريب: ليس من الشجر التي سائر القداح منها ورجل غريب: ليس من القوم، والغريب الغامض من الكلام))⁽⁴⁾.

وقال الزمخشري ت(538 هـ) في (أساس البلاغة): ((تكلم فأغرب: إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، ويقول: فلان يُغْرِبُ كلامه ويُغرب فيه، وغرب كلامه، وقد غَرِبَتِ هذه الكلمة: أي غمضت فهي غريبة ومنه مصنف الغريب... ويُقال: وجه كمرأة الغريبة، لأنها في غير قومها، فمرأتها أبداً مجلوة، لأنه لا ناصح لها في وجهها ومن المجاز استعاروا لنا الغريبة، وهي رحي اليد، لأنها لا تَقَرُّ عند أربابها لكونها متعاورة))⁽⁵⁾.

وأخر ما نختم به جولتنا من أقوال المعجميين من أهل اللغة قول الفيومي ت(770 هـ): ((...غربت الشمس تَغْرُبُ غروباً: بَعُدَتْ وتوارت في مغيبها، وغَرِبَ الشخص بالضم غرابة بَعُدَ عن وطنه، فهو غريب، فاعل بمعنى فاعل... وكلام غريب: بعيد عن الفهم))⁽⁶⁾.

(4) النهاية، 348/3 (غرب)

(5) العين للخليل، 410/4، 411 (غرب)

(6) الجمهرة، لابن دريد، 268/1 (غرب)

(1) تهذيب اللغة، للأزهري، 117، 112/8 (غرب). الثابت أن الأزهرى من المنكرين لنسبة كتاب العين إلى الخليل وقد نسبته إلى تلميذ الخليل الليث بن المظفر. ينظر: مقدمة التهذيب/28

(2) الصحاح للجوهري، 290-288/1، وينظر: اللسان، لابن منظور، 640-638/1 (غرب)

(3) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، 421/4، وينظر: المجلد له 544/ (غرب)

(4) ج299/5 (غرب)

(5) ص683 (غرب)

(6) المصباح المنير/607 (غرب)



ويظهر للمتتبع لهذه النصوص التي حرصَ الباحث على نقلها بعبارات أصحابها أن مفهوم الغرابة عندهم يستند على معنيين رئيسيين هما:

الأول: البعد عن الفهم الذي يدخل فيه الغامض والعُمِّي، والعُمِّي على ما يظهر: الكلام القديم الذي خفي على الناس لجهلهم به⁽⁷⁾، والمشكل لدقة في المعنى أو خفاء في الدلالة، وكذلك النادر، والقليل الاستعمال، والثاني: الحدائث والطروء في اللفظ والمعنى.

ثانياً: مناهج المصنِّفين في معاجم غريب الحديث والأثر:

يتضح للباحث في مناهج التأليف في معاجم غريب الحديث والأثر أنها كانت جهداً متواصلاً لعلماء الحديث واللغة في فهم نصوص الأحاديث الشريفة وإدراكها وخدمة للمتتبعين والطلابين لعلوم الشريعة فقد كان كل من هؤلاء العلماء يبني على ما أرساه وأسسَه سابقوه ويكمل ما بدأه سلفه، لتحقيق أقرب صورة لما أراده القرآن وطلبته السنة من التوثيق والضبط فضلاً على حسن الفهم وأمانة التبليغ⁽¹⁾.

لقد ظهرت إلى الوجود في بدء تدوين هذا العلم آثار قليلة، جاءت حصيلة للجهود الفكرية للنباة الأوائل الذين اهتموا بشرح المفردات الغريبة للأحاديث التي جمع منها عدد قليل حينذاك، ويظهر أنها دُوِّنت غير مرتبة وقد فقد الكثير منها على مرِّ التاريخ، وإنَّ مجرد وصف واحد من تلك الكتب الأولى يُقوي الظنَّ بأنَّ أكثرها كانت مرتبة ترتيباً موضوعياً، كالكتب الفقهية التي دُوِّنت مرتبة على أبواب الفقه والسنن ويُحتملُ أن يكونَ الترتيب الموضوعي لبعضها جاء على غرار الكتب الأولى في اللغة، فمؤلفوها كأبي عبيدة ت(218 هـ)، والأصمعي ت(216 هـ)، وغيرهم، هم علماء لغة بالدرجة الأولى.

وقد شهدت تلك المرحلة تصنيف كتب عديدة، صغيرة الحجم، كانت موضع استفادة من العلماء اللاحقين الذين اهتموا بتدوين غريب الحديث، واتخذت نواة أولى لما صُنِّف في هذا الفن، بل أضحت منطلقاً للحركة العلمية في الغريب⁽²⁾.

ولم يُعرف على وجه اليقين أول من صنَّف في موضوع غريب الحديث، فابن الأثير ينقل: ((أنَّ أول من جمع في هذا الفن شيئاً وألف فيه أبو عبيدة مَعْمَر بن المنثني التميمي، جمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات، ولم تكن قَلَّتْه لجهله بغيره من غريب الحديث وإنما كان ذلك لأمرين: أحدهما أنَّ كلَّ مُبتدئٍ شيء لم يسبق إليه ومبتدع لأمر لم يتقدَّم فيه عليه، فإنَّه يكون قليلاً ثم يكثر وصغيراً ثم يكبر، والثاني أنَّ الناس يومئذ كان فيهم بقيَّة وعندهم معرفة، فلم يكن الجهل قد عمَّ ولا الخطب قد طمَّ))⁽³⁾.

ويذهب بعضهم إلى أنَّ المؤسس شخص آخر هو أبو الحسن النضر بن شُميل المازني ت (203 هـ)⁽⁴⁾، إلا أنَّ ابن الأثير يذكره بعد أبي عبيدة قائلاً: ((ثم جمع أبو الحسن النضر بن شُميل المازني بعده كتاباً في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه))⁽⁵⁾.

ويرى الدكتور حسين نصار⁽¹⁾ استناداً إلى ما جاء في كتاب ((الفهرست)) أنَّ أبا عدنان (عبد الرحمن عبد الأعلى السلمي) هو صاحب قصب السبق في هذا الميدان⁽²⁾. إلا أنَّ ابن النديم نفسه في تسميته للكتب المؤلفة في غريب الحديث يصدرها بكتاب ((غريب الحديث)) لأبي عبيدة ثم يذكر

(7) ينظر: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للصغاني، 1/266-267. والعقبي من الكلام في (اللسان): ((عن ثعلب... غريب الغريب... وهو غامض الكلام الذي لا يعرفه الناس وهو مثل النادر، وقال أبو عمرو سألت رجلاً من هذيل عن حرف غريب فقال: هذا كلام عُمِّي، يعني أنه من كلام الجاهلية لا يعرف اليوم))، اللسان، 12/414.

(1) ينظر: معاجم غريب الحديث والأثر/52، وحركة التأليف في لغة غريب الحديث، فاطمة حمزة الراضي - المورد - العدد الرابع، مج9، 1980: ص64.

(2) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار للبيرجندي، 1/12، وحركة التأليف في لغة غريب الحديث، فاطمة الراضي/65، 66 ومعاجم غريب الحديث والأثر/51، 52، والمعجم المفصل في تفسير غريب الحديث، د: محمد التونجي/3.

(3) النهاية، 1/5.

(4) غريب الحديث في بحار الأنوار/13.

(5) النهاية، 1/5، 6.

(1) ينظر: المعجم العربي نشأته وتطوره، 1/50.

(2) ينظر: الفهرست/72، وغريب الحديث في بحار الأنوار/13.



كتاب السلمي في غريب الحديث بعد إيراده لجملة من المظان التي كتبت في هذا الباب⁽³⁾ مما يشير إلى سبق أبي عبيدة وتأخر السلمي .

وقد تلا أبا عبيدة والمازني طائفة من العلماء كتبوا في هذا الفن، منهم على الترتيب عبد الملك بن قريب الأصمعي ت(216 هـ) الذي جمع كتاباً أحسن فيه الصنع، وأجاد، ثم محمد بن المستنير المعروف بقطرب ت(بعد 210 هـ)، وغيره من أئمة اللغة والفقه الذين جمعوا أحاديث تكلموا على لغتها ومعناها في مؤلفات محدودة صغيرة الحجم، ولم ينفرد أحدهم عن غيره بحديث كبير لم يذكره الآخر واستمرت الحال إلى زمن أبي عبيد القاسم بن سلام(224 هـ)، في بداية القرن الثالث، الذي ألف كتابه المشهور في غريب الحديث والآثر⁽⁴⁾، الذي خطا بعلم غريب الحديث خطوة إلى الأمام، إذ جمع في كتابه الكبير نسبياً الأحاديث التي كانت تستعصي على الفهم بسبب وجود ألفاظ غامضة فيها، وجعلها ضمن نظم وترتيب خاص، هو الترتيب الذي كان شائعاً في تدوين كتب الحديث عند السُّنة في ذلك الوقت، أي طريقة تدوين المسانيد⁽⁵⁾.

ويمكن تحديد مناهج التأليف في ميدان ((غريب الحديث والآثر)) في ثمانية معالم رئيسة هي:

1- **منهج الأسانيد:** يُعدّ هذا المنهج من أقدم المناهج التي اتبعتها مؤلفو هذه الكتب، وهو ألصق المناهج بأسلوب المحدثين وأقربها لأصول الثقافة العربية، إذ كان العرب أمة أميّة لا يقرأون ولا يكتبون، ومعتمدتهم الحافظة آنذاك، فكان كلُّ عربي على مقدار وعيه وحفظه وثقافته مثل كتاب أو جزء من كتاب، وكانت كلُّ قبيلة مثل سجل زمني في إحصاء الأخبار والآثار، وبعد مجيء الإسلام الذي كان مرجع أحكامه الكتاب والسُّنة، فقد كان الصحابة يأخذون عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أخذاً علمياً، فلما توفّي(صلى الله عليه وآله وسلم) بدأ من بعده علم الرواية⁽⁶⁾.

وقد أسس منهج الأسانيد أصلاً للتحقيق والتحري وتجنّب التحريف والتدليس ومحاربة الوهم، فكان منهجاً صارماً اتّبعه جهابذة المحدثين، وهم إنّما ألزموا أنفسهم الكشف عن سقطات رواة الحديث ونقلها الأخبار، فالنقل أو الإخبار في أمر الدين إنّما يأتي((بتحليل أو تحرير، أو نهى، أو ترغيب، أو ترهيب، فإذا كان الراوي لها ليس بمعدن للصدق والأمانة ثم أقدم على الرواية عنه من قد عرفه ولم يبين ما فيه لغيره ممّن جهله، كان آثماً بفعله ذلك، غاشاً لعوام المسلمين))⁽¹⁾.

ولقد كان التأليف في غريب الحديث والآثر في بدايته، ينهج نهج المؤلفين في كتب متون الحديث، التي بدأت تأخذ شكلها النهائي في المدة التي تنسب إليها بدايات التصنيف في غريب الحديث والآثر، فموطأ مالك ت(179 هـ) يُعدّ مثلاً لما وصل إليه التأليف في متون الأحاديث وأسانيدها في تلك المدة من أواخر القرن الثاني وبدايات القرن الثالث، التي شهدت بدايات التصنيف في غريب الحديث والآثر، فقد ذُكرت مؤلفات النضر بن شميل ت(203 هـ) والحسين بن عياش الباجدائي ت(204 هـ)، وأبي عمرو الشيباني ت(206 هـ) والفراء ت(207 هـ)، وأبي عبيدة معمر ابن المثنى ت(210 هـ)، وغيرهم⁽²⁾.

وقد اتضحت طريقة الأسانيد في مؤلفات أبي عبيد القاسم بن سلام ت(224 هـ)، وابن قتيبة ت(276 هـ)، والخطابي ت(388 هـ)،... وغيرهم.

فأما أبو عبيد فقد أورد - معتمداً طريقة كُتّاب المسانيد - أحاديث النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم روايات الصحابة والتابعين كلٌّ على حدة، وأفرد فصلاً لكلِّ راوٍ، لكنّه لم يضع ترتيباً خاصاً في داخل الفصل والمسند، وشرح - بعد درج سند الحديث ومثله - الألفاظ الغريبة فيه.

وقد وفّر هذا التبويب المنهجي الذي اختاره أبو عبيد على الباحثين بعده الكثير من عناء البحث والتفتيش فضلاً على أنّ استشهاده بالآي القرآنية وإتيانه بتطبيقات مشابهة لكلمات غريبة وردت في

(3) ينظر: الفهرست/128، 127.

(4) ينظر: النهاية، 6/1.

(5) غريب الحديث في بحار الأنوار، 13/1، 14.

(6) ينظر: تاريخ آداب العرب للرافعي، 1/271، 274، ومعجم غريب الحديث والآثر/53.

(1) صحيح مسلم، 11/1.

(2) ينظر: معجم غريب الحديث والآثر/55.



أحاديث أخرى استقطب كثيراً من المحدثين والفقهاء واللغويين إلى كتابه، الأمر الذي دفع بعضهم إلى القول: ((ما للعرب كتاب أفضل من مصنف أبي عبيد))⁽³⁾.

ولم يسلم كتاب أبي عبيد من الانتقادات أو المؤاخذات شأنه شأن كثير من الكتب قبله وبعده من قبيل ما كتبه ابن قتيبة في ((إصلاح غلط أبي عبيد))، وما صرح به إبراهيم الحربي ت (285 هـ) من أن ثلاثة وخمسين من أحاديث كتابه لا أصل لها⁽⁴⁾. لكن كل ما يُقال في هذا المورد لم يحط من قيمة هذا الكتاب الذي لقي عناية كبيرة من العلماء بعده، وما أثير من انتقادات لهذا الكتاب، فيمكن أن يدل على إمكان إكماله وتوسيعه وتدقيقه.

وهكذا عزم ابن قتيبة ت (276 هـ) على إكماله، فهو بعد أن نقد، شرع بالبحث والتنقيب عن أحاديث أخرى لم يتناولها أبو عبيد، ونال مراده بالحصول على ألفاظ غريبة ليست في مصنف أبي عبيد، جمعها ورتبها وفقاً لمنهج تنظيم الأسانيد، وقد قدم قبل الشروع في تفسير غريب الحديث نبذة في شرح مصطلحات فقهية كالوضوء، وأنواع البيع، والنكاح، والطلاق، وتحدث بعد ذلك في أسماء القرآن، وغيره من الكتب السماوية زيادة على بعض المصطلحات القرآنية. ويظهر للباحث أن كتابي أبي عبيد وابن قتيبة، اتخذاً طابعاً فقهياً نوعاً ما، الأمر الذي أبعدهما - أحياناً - عن غايتهم الأساسية وهي شرح المفردات الغريبة.

وقد أكمل عمل الاثنين أبو سليمان الخطابي، الذي صنف كتابه على الترتيب المسندي، وقد قام بتفسير غريب الأحاديث التي لم تشرح من ذي قبل، وجمع من الأحاديث التي تحتاج إلى التفسير والشرح بقدر ما فعله أبو عبيد وابن قتيبة، وبهذا جعل لعلم غريب الحديث والأثر ثلاثة كتب متماثلة⁽¹⁾ سماها بعضهم ((أمهات كتب غريب الحديث))⁽²⁾.

2- بين الأسلوب المسندي وترتيب الحروف على مخرجها:

إن عدم معرفة اسم الراوي في الترتيب المسندي يستلزم صرف كثير من العناء والوقت لأجل العثور على معاني الكلمات الغريبة، ولغرض سدّ هذا النقص ألف إبراهيم الحربي ت (285 هـ) كتاباً كبيراً في غريب الحديث، مزج فيه بين الأسلوب المسندي المتداول آنذاك وبين أسلوب بعض علماء اللغة في تدوين المعجمات اللغوية، ووقع اختياره على منهج الخليل بن أحمد ت (175 هـ) في كتابه ((العين)) وهو الذي يقوم على ترتيب الحروف على أساس مخرجها وتقليب المواد، فرتب الأحاديث التي تأتي في ذيل تلك اللفظة، ترتيباً مسندياً، وبما أنه لم يكن من المحتم وجود أحاديث لرواة مختلفين في ذيل الكلمات المقلوبة للمدخل الحروفي لذلك الفصل، أو أن الراوي الذي أفرد له الفصل لم يأت بحديث يشتمل على لفظة من تلك المادة، لذلك اضطرب ترتيب الكتاب، إلى جانب الصعوبة التي تنسم بها طريقة الترتيب المخرجي للحروف، فضلاً على حجم الكتاب الضخم، إذ إنه يحتوي على الأحاديث وأسانيدها والمتون المتشابهة وما يماثلها من الاشتقاقات، لذلك كله ترك هذا الكتاب ولم تنجح جهود الحربي ومساعيه في التيسير وتبقى أهمية الكتاب قائمة لما توفّر عليه من المفردات الغريبة الكثيرة والشواهد المتنوعة لا سيما الشعرية التي تربو على ألف شاهد في أحد مجلداته، ولم يسلم هذا الكتاب من نوائب الدهر إلا المجلد الخامس منه⁽³⁾.

3- الترتيب الألفبائي وبداية التأليف في غربي القرآن والحديث:

مهّدت الجهود التي بذلها الحربي لحصول تطور أساسي في ترتيب الألفاظ الغريبة، فعلى الرغم من استمرار السير على منهج الأسانيد دخل علم غريب الحديث في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين، مرحلة جديدة مع ظهور أبي عبيد آخر هو أحمد بن محمد الهروي ت (401 هـ)، فقد وجد أن الغرض من تصنيف كتب غريب الحديث هو معرفة المعنى والإعراب وهيئة المفردة الغريبة المستعملة في الحديث كما هو المتعارف في كتب اللغة تماماً، فأما السند وطريقه فليس مهماً للباحث في هذا الموضوع، وهو علم مستقل بنفسه مشهور بين مريديه.

(3) تهذيب اللغة، 19/1، وينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 14/1

(4) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 14/1

(1) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 16-14/1

(2) ينظر: النهاية، 8/1

(3) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 16، 17/1، ومعجم غريب الحديث والأثر 104/



وقد قام أبو عبيد بجمع كل ما كتب في غريب الحديث ومن، جملتها كتب المؤلفين الثلاثة الأوائل في هذا العلم، وهم: أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة الدينوري، والخطابي البستي، فضلاً على كتب الحديث الأخرى، ثم وضعها كلها إلى جانب كتب غريب القرآن وألف منها كتابه ((الغريبين))، وقد رتب في كتابه هذا المفردات على أساس حروفها الأصلية على وفق الطريقة الألفبائية، وقد اتسم أسلوبه بالاختصار غير المخل، مما جعل كتابه يلقي إقبالاً واسعاً، في ما بعد، ولم يتخل عن مكانته عند الباحثين، حتى بعد ظهور كتاب ((الفائق في غريب الحديث)) للزمخشري وهو كتاب غنيّ وغزير في محتواه، وصفه ابن الأثير بقوله: ((ولقد صادف هذا الاسم مسمى، وكشف من غريب الحديث كل معني ورتبه على وضع اختاره مقي على حروف المعجم))⁽¹⁾.

إلا أن هذا العلامة أخل بجانب تنظيمي مهم لو التزمه لكان مثلاً في الدقة المعجمية، فلقد وجدناه في ((أساس البلاغة)) حريصاً على التزام الدقة وصحة الترتيب، ولكنه في ((الفائق)) أهمل هذا التنظيم، فجاءت مواده مبعثرة يتقدم حرف ويتأخر آخر ويتكرر في مواضع أخرى من الباب⁽²⁾. ولم يكن انتقاد ابن الأثير للزمخشري بعيداً عن الصواب حين قال: ((يجيء شرح كل كلمة غريبة يشتمل عليها ذلك الحديث في حرف واحد من حروف المعجم فترد الكلمة في غير حرفها وإذا تطلبها الإنسان تعب حتى يجدها))⁽³⁾.

ولقد بقيت طريقة أحمد بن محمد الهروي متداولة على مدى قرون عديدة، وصارت محوراً لإكمال مجاميع غريب الحديث، وبناءً على ذلك أقبل علماء آخرون في علم غريب الحديث على إتمام كتاب الهروي، الذي لو اكتمل على تلك الطريقة المبتكرة لما كانت هناك حاجة لكتاب جامع آخر⁽⁴⁾.

وعلى هذا الأساس صنف أبو موسى محمد بن أبي بكر بن عمر المديني الأصفهاني وهو من مشاهير عصره كتابه المعروف ((المجموع المغي في غريب القرآن والحديث))، جمع فيه كثيراً مما فات الهروي الثاني، وقد وصفه ابن الأثير مقياساً له مع كتاب أحمد بن محمد الهروي بقوله: ((يناسبه قدراً وفائدة ويمائله حجماً وعائدة، وسلك فيه مسلكه))⁽⁵⁾، وقد وجد بعض علماء الغريب من المحدثين أن مشكلة حجم ((المجموع المغي)) الكبير دعت ابن الأثير في ما بعد إلى عزل المفردات القرآنية منه رغبة في تقليل حجمه⁽¹⁾، إلا أن ابن الأثير على ما يبدو أراد منذ البداية، فصل الغريب القرآني من الحديثي، فهو عندما شرع في تأليف كتابه ((النهاية)) وجد أن ثمة مفردات كثيرة أخرى في كتب الحديث كصحيح البخاري ومسلم تحتاج إلى شرح وتفسير، فواصل البحث والتنقيب وتصفح أمات كتب الحديث لأجل الحصول على مفردات غريبة، ثم أضاف ما عثر عليه من مفردات جديدة إلى ((الغريبين)) و((المجموع المغي))، فكان كتابه ((النهاية)) في الحقيقة متضمناً مفردات هذين الكتابين زيادة على ما جمعه هو بنفسه.

وقد رتب ابن الأثير كتابه على وفق الترتيب الألفبائي وعلى أساس مواد الكلمات، ثم أورد - بعد ذكر مادة المفردة الغريبة التي هي بحاجة إلى التوضيح - العبارة التي تقع فيها تلك اللفظة من الحديث لا كل الحديث، وقد اتبع أسلوباً يقوم على الاختصار في شرح المفردات الغريبة، فضلاً على الإحاطة التي ميّزت كتابه، إذ ضم هذا الكتاب المفردات الغريبة في كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة والتابعين، ولذلك سمّاه بـ ((النهاية)).

عمل ابن الأثير هذا لم يترك مجالاً واسعاً لمن جاء بعده، حتى لكتاب كبير مثل كتاب ابن الحاجب ت(646 هـ) ذي عشرة المجلدات، بل إن كتاب ابن الأثير الآخر المسمى ((منال الطالب

(1) النهاية، 8/1-9، وينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 18/1

(2) ينظر: الزمخشري اللغوي وكتابه الفائق، د: رشيد العبيدي/34، 35

(3) النهاية، 9/1

(4) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 18/1

(5) النهاية، 9/1

(1) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 18/1، وقد اعتمد ابن الجوزي ت(597 هـ) على ((الغريبين)) في تصنيف كتابه ((غريب الحديث)) حيث ((نهج فيه طريق الهروي في كتابه مجرداً من غريب القرآن... ولم يزد عليه إلا الكلمة الشاذة واللفظة الفاذة)) ينظر: النهاية، 10-9/1



في شرح طوال الغرائب)) بقي سنين طويلة طي النسيان، ولذلك اقتصررت الجهود التي بُذلت بعده على تذييل وتلخيص النهاية⁽²⁾.

4- مناهج آخر:

ومما يتصل بهذا الباب طائفة من الكتب التي اختصت بشرح غريب حديث معين أو بشرح غريب كتاب من كتب الحديث، ومنها ما يتصل بنوع من التأليف تقوم على الاستدراك من مصنف على مصنف آخر، وطائفة ثالثة اختصت بإصلاح غلط كتاب معين، أو الرد على أحد هذه الكتب، ورابعة هدفت إلى تيسير المادة العلمية بالاختصار وإعادة الترتيب والتعذيب. أما الطائفة الأولى فقد رأينا من المؤلفين من يفرد جزءاً خاصاً به في كتاب مستقل فيتعرض بالشرح لألفاظه ومعانيه وما ورد فيه من مسائل، وقد سجلت المكتبة العربية عدداً كبيراً من المصنّفات تحت هذا النوع مما اعتمد في اتجاهه على الغريب، فقد ألف ابن الأثير - كما ذكر - كتابه ((منال الطالب في شرح طوال الغرائب)) جمع فيه متون الأحاديث الطويلة أو المتوسطة التي يكثر فيها الغريب مما لم يتيسر له شرحها بتمامها في ((النهاية)) ومثله كتاب ((الحكم والأمثال عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وشرح ألفاظه التي لم يسبق إليها)) لأبي أحمد العسكري ت(382 هـ)⁽³⁾.

أما الأحاديث التي أفرد كل منها بشرح فقد عرض لغريبها عدد كبير من المصنّفين ومنها حديث أم زرع الذي أحصيت شروحه عند بعض المحدثين بعشرة شروح مستقلة، منها لإسماعيل بن أبي أويس ت(226 هـ)، وأحمد بن عبيد بن ناصح ت(287 هـ)، وأبي بكر بن الأنباري ت(328 هـ)، وغيرهم⁽¹⁾.

وقد اهتم علماء آخرون بشرح الغريب في كتاب من كتب الحديث ولا سيما كتب الأصول، مثل موطأ مالك، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وغيرهم، نحو ((تفسير غريب الموطأ)) لأصبغ بن الفرج ت(225 هـ) و((شرح غريب كتاب البخاري)) لأبي الوليد الصابوني ت(423 هـ) وقد خصص ابن حجر العسقلاني ت(852 هـ) الفصل الخامس من مقامة فتح الباري بالألفاظ الغريبة مرتباً إياها على حروف المعجم⁽²⁾.

وألّف عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي ت(529 هـ) كتابه ((المفهم بشرح غريب صحيح مسلم))، وأما ظاهرة الاستدراك من مصنف على مصنف آخر فهي تعود إلى أسباب عدة أهمها اتساع مادة الحديث النبوي الشريف، وما أثر عن الصحابة، الأمر الذي يندر معه أن يحيط ببعضها شخص واحد إلا من أفنى عمره في سبيل تحصيلها رواية وخبر أسرارها، وهؤلاء قلة. ومن أسباب الاستدراك أيضاً اختلاف الإفهام، وتنوع البيئات اللغوية، واتساع اللهجات العربية، وقد سبقت الإشارة إلى ظواهر طرء المعنى، واستحداث الدلالات، وقضية الاستعمال وأثرها في دلالة الألفاظ وما يتصل بمسألة تطرق الفساد إلى الألسنة وما صاحبه من دراسة لتطورها⁽³⁾.

ولقد بدأ التأليف في هذا النوع مبكراً، ومع ظهور أول كتاب وصل إلينا من كتب غريب الحديث وهو كتاب القاسم بن سلام، فقد قام ابن قتيبة بوضع كتابه غريب الحديث استدراكاً على كتاب أبي عبيد وقد وضع ذلك بقوله: ((وقد كنتُ زماناً أرى كتاب أبي عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث، وأن الناظر فيه مستغن به، ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة، فوجدت ما تركه نحواً مما ذكر أو أكثر منه، فتتبع ما أغفل وفسرته على نحو مما فسر بالإسناد لما عرفت إسناده والقطع لما لم أعرفه))⁽⁴⁾، وكذلك استدرك الخطابي في (غريبه) على أبي عبيد وابن قتيبة، فهو بعد أن ذكر أنه ظل زماناً يحسب أنه لم يبق بعد كتابي أبي عبيد وابن قتيبة لأحد متكلم قال: ((ثم إنه لما كثر

(2) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 19-18/1

(3) ينظر: معاجم غريب الحديث والأثر 67/، 68

(1) ينظر: معاجم غريب الحديث والأثر 67/، 68

(2) ينظر: فتح الباري/المقدمة، 269-89

(3) ينظر: المبحث الأول من هذا الفصل/ ص43

(4) غريب الحديث لابن قتيبة، 150/1



نظري في الحديث وطالت مجالستي أهله ووجدت فيما يمر عليّ منه ألفاظاً غريبة لا أصل لها في الكتابين علمت أنّ خلاف ما كنتُ أذهب من ذلك مذهباً وأنّ وراءه مطلباً فصرفت إلى جمعها عنائتي⁽¹⁾، كما استدرك أبو موسى المدني على أبي عبيد الهروي الثاني وأكمل⁽²⁾ ((الغريبيين)) بـ ((المجموع المغيثة)) كما تقدّم، واستدرك ابن الجوزي ت(597 هـ) بعض الإضافات على ما أخذه من ((الغريبيين)) للهروي⁽²⁾، واستدرك على ((النهاية)) صفي الدين محمود بن أبي بكر الأرموي ت(723 هـ) بذيّل أو تنقمة، واستدرك عليها كذلك السيوطي ت(911 هـ) في ما سمّاه ((التذييل والتذنيب على نهاية الغريب))، وغيرها⁽³⁾.

وهناك طائفة من الكتب عالجت جملة من القضايا الغامضة التي لها وجه يخفى على بعض الدارسين من وجهة نظر المصنّف في إصلاح الغلط أو الرد، أو شرح المشكل، وقد عدّ عدد من مؤلفي غريب الحديث شرح المشكل من صميم مادتهم، وكان مفهوم كثير منهم للغريب أنّه الغامض أو المشكل، وقد شهد التأليف في غريب الحديث نشاطاً كبيراً في شرح المشكل والغامض والرد على بعض القضايا المثارة، فقد أفرد ابن قتيبة كتاباً في الردّ على أبي عبيد سمّاه ((إصلاح الغلط الواقع في غريب الحديث لأبي عبيد))، وكان من منهج الخطّابي في ((غريب الحديث)) أن يذكر ما خالف صاحبيه أبا عبيد وابن قتيبة أو ينتصر لأحدهما بما وصل إليه من تفاسير السلف أو من بعدهم من أهل الاعتبار والنظر⁽⁴⁾، وختم الخطّابي كتابه ((بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث يرويها عوام النقلة ملحونة ومحرّفة من جهة قصدها))⁽⁵⁾.

وقد كان ابن قتيبة - مثلاً - أكثر توسعاً في التطرق إلى المشكل وتفسيره، لكن ابن فورك ت(406 هـ) صنّف كتاباً متخصصاً في شرح المشكل من الحديث سُمّي ((مشكل الحديث وغريبه أو مشكل الحديث وبيانه))⁽⁶⁾.

وهناك نوع من المصنّفات غلبَ عليه الجانب التعليمي، إذ هدفت إلى تيسير المادة العلمية أو تقريبها للدارسين وغير المتخصّصين، وقد اتسع هذا النوع من التأليف في العصور المتأخرة للثقافة الإسلامية، ليؤدي هدفاً آخر يرمي إلى الحفاظ على الموروث العلمي والفكري للمسلمين على مرّ العصور وتوثيقه وتدوينه في كتب جامعة أو موسوعات، فقد كانت المختصرات الأصل الذي استقى منه مؤلفو الموسوعات الجامعة جُلّ مادتهم العلمية، وخير مثال على ذلك كتاب ((النهاية)) لابن الأثير الذي هو موسوعة في غريب الحديث والأثر لا تندّد عنه مادة من المواد المتصلة بغريب الحديث والأثر - غالباً - مما ورد في الكتب المتقدّمة عليه، إضافة إلى ما أسدركه ابن الأثير على هذه الكتب⁽¹⁾.

ولم تتوقف عجلة التأليف بعد ابن الأثير لكن غالب الكتب التي جاءت بعده جاءت اختصاراً لكتب مضت أو شرحاً لها، أو تفصيلاً، أو تذييلاً مثل كتاب ((الدر النثير)) للسيوطي وله أيضاً ((التذييل والتهذيب على نهاية الغريب))، وغيرها⁽²⁾.

ولم تخلُ الأعصر التالية من تأليف في هذا الباب وإن لم ترقَ إلى مستوى ما صنّف في العهود الأولى، منها ما طبع ومنها ما يزال مخطوطاً⁽³⁾.

منها كتاب ((مجمع البحرين ومطلع النيرين)) للعلامة فخر بن محمد الطريحي ت(1087 هـ) وهو من فقهاء الإمامية وأدبائها، وقد اهتم في كتابه هذا بشرح المفردات المهمة وتفسيرها في

(1) غريب الخطّابي، 48/1

(2) ينظر: النهاية، 10-9/1

(3) معاجم غريب الحديث والأثر، 72-73

(4) غريب الخطّابي، 49/1

(5) المصدر نفسه، 265-219

(6) ينظر: ظاهرة اللبس في العربية، د: مهدي عرار، 320، 321

(1) ينظر: معاجم غريب الحديث والأثر، 77، 78

(2) المعجم المفصل في تفسير غريب الحديث، د: التونجي، 4

(3) عرض الدكتور السيد الشرقاوي قائمة مؤلفات غريب الحديث في كتابه ((معاجم غريب الحديث والأثر)) من 79-171، يمكن الرجوع إليها لمعرفة المزيد



القرآن والحديث إضافة إلى تقديم نبذة عن تاريخ الأنبياء والمحدثين والعلماء والملوك وحتى الأماكن إلى جانب شرح العقائد ومذاهب الفرق. وقد استفاد الطريحي من جميع الكتب المهمة في غريب الحديث ومعاجم اللغة فضلاً عما لديه من مخزون علمي وسار في كتابه هذا على نهج صاحب((الصاح)) وثبت فيه المفردات على الترتيب الألفبائي.

وقد ألفت في عصرنا جملة من المؤلفات في هذا الباب وهي وإن لم ترق إلى ما عُهد في سابقاتها، قد سدت النقص الحاصل في المكتبة العربية في هذا الباب، منها على سبيل المثال لا الحصر ((المعجم المفصل في تفسير غريب الحديث)) للدكتور محمد التونجي الذي جمع فيه المفردات الغريبة التي وردت في متن الأحاديث التي ثبتت صحتها وأقصى أقوال الصحابة والتابعين إلا ما لزم، وكان هدفه لغوياً كما صرح، فكان يشرح الألفاظ الغريبة على تعدد رواياتها وقد وضع كل لفظة في مكانها المعجمي المناسب معتمداً على شرح اللغويين الثقات كالزمخشري وابن الأثير، وأصحاب الصحاح(4).

ومما يحسن ذكره في هذا الباب كتاب((غريب الحديث في بحار الأنوار)) لحسين الحسيني البيرجندي، الذي صنّفه لملء الفراغ الواسع من الروايات المنقولة عن أهل البيت(عليهم السلام) سواء الروايات التي صدرت عنهم مباشرة أم الروايات التي نقلوها عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن هنا فقد وجد من اللازم استخراج الغريب من حديث الأئمة في جميع المجالات التي تحدّثوا فيها وفي الأدعية والمناجيات خاصة إذ تتميز بلحن يختلف عن الكلام العادي وأما الضابط الذي اعتمده المؤلف في تحديد كون المفردة غريبة، فهو شرح العلامة المجلسي في((بحار الأنوار)) أو ورودها في كتاب((النهاية)) لابن الأثير، واستخرج كذلك كل ما بدا غريباً في ((نهج البلاغة)) بتحقيق الدكتور صبحي الصالح ولم يكن موجوداً في المداخل الأولية المأخوذة من((البحار)) - ومن ((النهاية)) وعرضه على ((البحار)) فشرحه، وزيادة على ذلك جعل الألفاظ التي فسرها الأئمة(عليهم السلام) مداخل وشرحها(1).

ثالثاً: المنهج الداخلي في عرض المادة اللغوية:

ولقد سبقت الإشارة في المورد السابق إلى مناهج بعض علماء غريب الحديث في ترتيب المواد فبعد أن شاعت طريقة الأسانيد مدة من الزمن، ولأسيما بعد نهاية القرن الثاني وجرت في القرنين الثالث والرابع وهو ما وجد عند علماء الحديث ثم علماء الغريب أمثال الهروي الأول وابن قتيبة والخطّابي، أما الحربي فلم يهمل نهج الأسانيد إلا أنه قلّد الخليل في ترتيب كتابه على طريقة مخارج الحروف. تلك الطريقة التي شقّت على الخواص فضلاً على العوام وفيها يقول ابن دريد في ((جمهرته)): ((قد ألف الخليل بن أحمد كتاب العين فاتعب من تصدى لغايته وعنى من سما إلى نهايته)) (2)، فالخليل وإن اعتمد على مخارج الحروف إلا أن حروف الهجاء كانت الأساس في هذا الترتيب. ويبدو أن أقدم كتاب من كتب غريب الحديث قام على الترتيب المعجمي كان كتاب الجيم لشمر بن حمدويه ت(255هـ) الذي ذكره ياقوت بقوله: ((صنّف كتاباً كبيراً جداً رتبّه على حروف المعجم ابتداءً فيه بحرف الجيم لم يسبق إليه)) (3)، ثم ألف الهروي الثاني((الغريبين))، الذي حظي بالشهرة والقبول، وقد دارت حوله كثير من الدراسات أمّا لاحتذاء منهجه، أو باختصاره، أو بالاستدراك عليه والزيادة على ما جاء فيه، أو بنقد ما جاء فيه من مادة علمية ولغوية.

وعلى هذا الترتيب((الهجائي الألفبائي)) قامت الكتب التي تلت((الغريبين))، مثل: ((الفائق)) للزمخشري ت(538هـ)، و((المجموع المغني)) للمدني ت(581هـ) و((غريب الحديث)) لابن الجوزي ت(597هـ)، و((النهاية)) لابن الأثير ت(606هـ)، وغيرها.

(4) ينظر: المعجم المفصل في تفسير غريب الحديث/6

(1) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 21/1، 22

(2) ج1/3، ومن اتخذ طريقة الخليل في ترتيبه على مخارج الحروف الأزهرى(370هـ) في التهذيب والصاحب بن عباد ت(385هـ)

في المحيط، والقالي ت(356هـ) في البارع.... وغيرهم. ينظر: المعجم العربي، نشأته وتطوره، 14/2

(3) معجم الأدباء، 275/11، وينظر: بغية الوعاء للسيوطي، 5-4/2



فهذه المظان في جملتها اعتمدت ما اعتمدت عليه المعجمات⁽⁴⁾ منذ نشأتها وهي في الواقع معجمات اختصت بمادة ((غريب الحديث)) وقد كان الأخذ والرد متبادلاً بين المعجمات اللغوية عموماً بمختلف مناهجها ومعجمات ((الغريب))، بل إن بعض علماء ((غريب الحديث)) ألف أيضاً في عموم اللغة كما عند الزمخشري في ((أساس البلاغة))، وكان الهروي الثاني تلميذاً للأزهري، وقد أكثر من النقل عنه في كتابه ((الغريبين)).

وإذا شح الاستشهاد بالحديث الشريف في كتب اللغة الأولى ولا سيما المعجمات، فإن تلك الشواهد أخذت مساحات واسعة في المعجمات المتأخرة وخصوصاً بعد توفر متون الحديث الأصول⁽¹⁾، بل إن كثيراً من الشواهد التي اعتمدت في مصنفات غريب الحديث نُقلت إلى المعجمات المتأخرة عنها مثل ((الصاح)⁽²⁾، و((العباب)⁽³⁾، و((اللسان)⁽⁴⁾، وغيرها.

والذي يهمننا من مناهج هؤلاء العلماء هو أن قسماً منها كان مُقلداً ومتابعاً لكتب الحديث في خصوص نهج الأسانيد، وقسماً آخر تابع المعجمات في خصوص الترتيب المعجمي الخليلي أو الألفبائي، ويستطيع الباحث في منهج هؤلاء العلماء أن يقف عند شيئين في مصنفاتهم هما: الظواهر التنظيمية في المنهج والظواهر العلمية والمعرفية.

ونعني بالظواهر التنظيمية طريقة هؤلاء المؤلفين في ترتيب موادهم وتناولها بالتفسير وتوضيح الدلالة، وربط أجزاء المواد بعضها ببعض، ثم ما يتصل بذلك من محاسن تحسب للمؤلف وماخذ تُحسب عليه.

وأما الظواهر العلمية: فتعني جملة من الأمور التي كانت موضع عناية هؤلاء العلماء واهتمامهم، تتعلق هذه الأمور بظواهر اللغة وخصائصها، وقوانينها، زيادة على بعض الفوائد العلمية والمعرفية في الآداب والتاريخ والإنسان فضلاً على حديثهم على اللهجات أو اللغات مما لا يستغنى عنه⁽⁵⁾.

وينبغي - هنا - الإشارة إلى أن كتب غريب الحديث كثيرة ومختلفة المناهج، فلا يمكن عرض منهج كل منها في هذه العجالة، إنما يمكن الوقوف على نماذج منها، لتشخيص ما فيها من ظواهر تنظيمية أو علمية.

1- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ت(224 هـ):

يرفع أبو عبيد الحديث إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة والتابعين وغيرهم بسند أو بلا سند، وهذا منهجه في كل كتابه، ثم بعد ذكر الحديث يبدأ بشرح كلماته موضع الشاهد وإيضاحها. وقد امتاز منهجه الداخلي بنوع من التنظيم، إذ إنه يذكر اللفظ الغريب الذي نص عليه الحديث فعلاً، أو اسماً، أو مصدرًا، أو صفةً، فيفسره بصيغته نفسها غالباً⁽⁶⁾، ويكاد هذا التنظيم يكون من ثوابته، وقد يتصرف أحياناً في تفسير اللفظ، فيفسره ثلاثياً ثم رباعياً أو أكثر، وقد يذكر الاشتقاقات الأخرى للفظ كالمصدر أو الصفة، وغيرها، ويتبعها بالشواهد المناسبة، وأكثرها من الحديث الشريف⁽¹⁾.

(4) ينظر: الخليل في معجم مقاييس اللغة: كاظم فضيل شاهر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القادسية، 1999/67، 72، إذ وُظِّفَت الشواهد القرآنية وشواهد الحديث والشعر والأمثال على النسق نفسه في المعجمات اللغوية العامة ومعجمات غريب الحديث والفارق الوحيد هو أن الحديث الشريف وغريبه غطى معظم مساحة الدرس في معجمات الغريب تبعاً لموضوعها

(1) ينظر: علوم الحديث ونصوص من الأثر 158، 159

(2) ينظر على سبيل المثال: الصاح، 92/1، والحديث في غريب الهروي الأول، 171/2 (قرأ)، وينظر: الصاح، 27/3، والحديث في الهروي الأول، 284/1 (ركز)

(3) ينظر على سبيل المثال: العباب للصغاني، حرف السين، 178، والحديث في الفائق، 22/2، والنهاية، 176/2 (رأس)، وينظر: العباب ط، 177، والحديث في غريب الحديث للهروي الأول، 111-112، والفائق، 293/3، والنهاية، 226/4 (لبط)

(4) ينظر على سبيل المثال: اللسان، 100/6، والحديث في غريب الهروي الأول، 274/1، والفائق، 80/2، والنهاية، 259/2، (ركس)، وينظر: اللسان، 349/3، والحديث في الهروي الأول، 293/2، والمجموع المغني، 684/2 (قرء)، وينبغي الانتباه إلى أن ابن منظور كان أكثر اللغويين - ولا سيما - نقلاً عن كتب غريب الحديث بأدنى تأمل ولذلك كانت معتمدي في كل مفصل هذه الدراسة

(5) ينظر: الزمخشري اللغوي وكتابه الفائق، 31، 33

(6) وقد يبدأ في شرحه من مصدر اللفظ الذي نص عليه الحديث، ينظر: 13/1 (تبع)، و260/1 (ذنن)، 271/1 (فوخ)

(1) ينظر: 5-3/1 (زوى، ترع)



وهو قد يفسّر اللفظ أو النص اعتماداً على نفسه أو يعتمد على أقوال أهل العلم من اللغويين⁽²⁾ أو الفقهاء⁽³⁾، أو المحدثين⁽⁴⁾، وغيرهم. فكثيراً ما كانت أقوال اللغويين كأبي عمرو والكسائي والنضر بن شميل والفراء وأبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة منطلقاً لكلامه في توضيح الغريب. ونجده غالباً ما يذكر الحديث كاملاً أو يجتزئ به بحسب الحاجة⁽⁵⁾، وقد يتوسع في شرح الحديث فيسرد الحادثة أو الواقعة التي ذكر الحديث من أجلها⁽⁶⁾. أمّا شواهدده فهي القرآن الكريم⁽⁷⁾ والحديث الشريف الذي شكل النسبة الكبرى من شوهده أبي عبيد فقد عزز الأحاديث الأصول التي أقام عليها منهجه بأحاديث أخرى للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة والتابعين وغيرهم⁽⁸⁾، علماً بأنّه خُصّص القسم الأول من كتابه لأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والقسم الثاني لأحاديث الصحابة والتابعين، وأحاديث لا يُعرف أصحابها.

وأكثر من الشواهد الشعرية وكان أكثر تسامحاً حتى من معاصريه ومن أخذ عنهم كالأصمعي، فقد روى شعر عدي بن زيد⁽⁹⁾، وأبي دؤاد⁽¹⁰⁾ بخلاف الأصمعي الذي رأى أنّ ألفاظهما ليست نجدية⁽¹¹⁾ وروى للكُميت⁽¹²⁾، والطرماح⁽¹³⁾ اللذين عدّهما الأصمعي مولدين⁽¹⁴⁾، بل أكثر من النقل عن هؤلاء الشعراء، وقد استشهد - عموماً - بشعراء الطبقة الأولى والثانية والثالثة، ولم يكد يستثنى أحداً منهم، وإن أكثر من شعر الأعشى وأصحاب المعلقات وبعض الإسلاميين والرجاز كالعجاج ورؤبة وغيرهما. ومن شواهد الأمثال⁽¹⁵⁾ التي جاءت بعد الأحاديث والشعر والآيات على الترتيب، فأما القراءات فلم يعرض لها إلا قليلاً⁽¹⁶⁾.

فأبو عبيد كان يفسّر ويوضح الغريب بشواهد من الحديث أو الآيات أو الشعر أو الأمثال وغيرها، وقد يتناول الشواهد نفسها بشيء من التوضيح وبحسب الحاجة، وفي أثناء ذلك يذكر شيئاً من الأخبار والآداب⁽¹⁾ والأنساب⁽²⁾.

ويجد الباحث في منهج أبي عبيد كثيراً من مظاهر الوصفية، إذ اعتمد في كثير من ملاحظاته وتفسيراته على الملاحظة الذاتية المباشرة وفي باب اللغات خاصّة، ففي حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم))⁽³⁾، قال أبو عبيد: ((وفيه لغة أخرى مبد بالميم والعرب تفعل هذا تدخل الميم على الباء والباء على الميم كقولك: أغمطت عليه الحمى وأغبطت وقوله: سمّد رأسه وسبّد رأسه، وهذا

(2) ينظر: 211/1 (فيل)، 244 (زيد)

(3) ينظر: 280/1 (قرأ)، 121/3 (ركج)، وينظر: 301/3 (غيل)، 379-378 (حشش)، 478-477 (شرع)

(4) ينظر: 79/1 (نبل)، وينظر: 471/3 (فلج)، 345-344/4 (غرب)

(5) ينظر: 40/1 (شرط)، 54 (لوى)، 98 (ثنى)

(6) ينظر: 94-93/1 (زغب)، 95 (حقق)، 74 (حيا)

(7) ينظر: 148/1 (عفو)، 222 (أرز)، 306 (فصم)

(8) ينظر على سبيل المثال: من الشواهد النبوية، 9-7/1 (نخخ)، 142، 235-234 (لدد)، 239-238 (خمر)، 254 (صبر) ومن شواهد

الصحابة على الأحاديث النبوية، 47-46/1 (حقو)، 96-95 (وقص)، 185-184 (قزع)، 192-191 (أثل)، ومن شواهد الصحابة على

بعضهم، 33-32/4 (دفف)، 46، 49 (جرد)، 76-75 (قرر). وينظر شواهد الصحابة على أقوال التابعين وبالعكس، 349-348/4

(عرض)، 353، 352 (علق)، 395-394 (فلذ)

(9) ينظر: 218/1 (شفف)، 482/4 (زرف)

(10) ينظر: 27/1 (صدى)، 267/3 (صفن)

(11) ينظر: الموشح للمرزباني/104

(12) ينظر: 260/1 (هنم)، 265/1 (علق)

(13) ينظر: 441/3 (شحج)، و 213/4 (شعب)

(14) ينظر: الموشح/330

(15) ينظر: 39/1 (سود)، والمثل في المستقصى، 195/2، ومجمع الأمثال، 27/2، وينظر: 300/1 (سبي)، والمثل في المستقصى،

397/1، ومجمع الأمثال، 26/2

(16) ينظر: 273/2 (أنن)، 160/3 (حرف)، 326/3 (ثوا)

(1) ينظر على سبيل المثال: 5/1 (ترع)، 10-9 (بدع)، 25-26 (هام)، 50 (سهو)، 77-78 (عقر)

(2) ينظر على سبيل المثال: 11-10/1 (صنبر)، 90 (حبط)، 30-29/4 (بثن)، 57 (وطد)

(3) 140-139/1 (بيد) و(ميد)، ومسنّد أحمد، 243/2، 249، 274



كثير في الكلام... وأخبرني بعض الشاميين أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: أنا أفصح العرب مبدأً أي من قريش...⁽⁴⁾.

وقد تجلّى في منهج أبي عبيد كثير من الظواهر اللغوية التي عكست عبقريته وطول بابه في الاشتقاق والتصريف، منها ظواهر صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية انتشرت على مساحات من كتابه فيما يتعلق بالجانب الأول قوله في حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قتلى أحد ((زملوهم في دمانهم وثيابهم))⁽⁵⁾... (فإذا فعل الرجل ذلك بنفسه قيل: قد تزل وقد تدثر، وهو مُتَزَمِّل ومُتَدَثِّر، فأدغم التاء، وقال: مُزَمِّل ومُدَثِّر، وبهذا نزل القرآن بالإدغام، كذلك مذكر إنما هو مُدَثَّر فأدغمت التاء وحولت الذال دالاً)⁽⁶⁾.

ومما يدخل في باب التوجيه اللغوي أو الروائي نحو الدلالة المناسبة لكلام العرب قول أبي عبيد في حديث عمر (رضي الله عنه): ((إن قريشاً تريد أن تكون مغويات لمال الله - هكذا يروى الحديث بالتخفيف وكسر الواو- وأما الذي تكلم به العرب فالمغويات بالتشديد وفتح الواو، واحدتها مغواة، وهي حفرة كالزبية تحفر للذئب... ومن هذا قيل لكل مهلكة مغواة، قال روبة:

إلى مغواة الفتى بالمرصاد⁽⁷⁾)

وقد يعرض أبو عبيد بعض الظواهر النحوية أو التركيبية فيمسّها مساً خفيفاً شارحاً بعض الحروف والأدوات النحوية التي تدخل في هذا الباب على نطاق ضيق⁽⁸⁾، وقد شاع في كتابه ذكر الروايات وتوجيهها نحو الدلالة المناسبة، قال مثلاً في حديث علي (عليه السلام): ((لأن أظلي بجواء قدر أحب إلي من أن أظلي بزعران، هكذا يروى الحديث... وكان الأصمعي يقول: إنما هي جئاة القدر، وهو الوعاء الذي تجعل فيه... وكان أبو عمرو يقول: هو الجياء والجواء يعني بذلك الوعاء أيضاً...))⁽¹⁾.

وقد كانت لأبي عبيد عناية خاصة باللغات العربية الشمالية وجنوبية، وقد توزّع هذا الاهتمام على تلك اللغات⁽²⁾ من دون تمييز جمهور من اللغات على آخر، وسيتضح هذا الأمر في الفصول القادمة بمشيئته سبحانه.

ولم يسلم كتاب أبي عبيد من المؤاخذات، فقد صرّح الحربي قديماً من أن ثلاثة وخمسين من أحاديث كتاب أبي عبيد لا أصل لها⁽³⁾. وألف ابن قتيبة كتابه ((إصلاح غلط أبي عبيد)) في هذا الباب، ومما يؤخذ على أبي عبيد صعوبة الحصول على معنى اللفظ الغريب أو الغامض في أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو صحابته، وغيرهم، إلا بمشقة وعناء، إلا أن كتاب القاسم يبقى على الرغم من ذلك مصدر إلهام لكثير ممن كتّب في غريب الحديث، إذ اتخذوا من مادته وخطته وشواهد منطلقاً لتأسيس كتبهم، وكان يمثل نقلة عظيمة في التأليف في هذا الباب.

ولا تكاد الكتب التي ألفت بعد الهروي مثل كتاب ابن قتيبة وكتاب الخطّابي تختلف إلا في حجم المادة التي أضيفت فقد جمع الاثنان ألفاظاً للغريب ليست في كتاب أبي عبيد، واختص ابن قتيبة بأنه قدّم قبل الشروع في تفسير غريب الحديث نبذة شرح فيها بعض المصطلحات الفقهية وتحدّث على أسماء القرآن وغيره من الكتب السماوية فضلاً على بعض المصطلحات القرآنية⁽⁴⁾

(4) غريب الحديث للقاسم، 139/1 (غيظ) و (غمظ)، وينظر: 60/1 (خفا)، 200 (غال)

(5) غريب القاسم، 71/2 (زمل)، ومسند أحمد، 431/5

(6) غريب القاسم، 71/2 (زمل)، وينظر على سبيل المثال: 240/3 (قف)، وينظر: 344/3 (كم)

(7) المصدر نفسه، 324/3 (غوى)، والبيت في (اللسان): 141/15 (غوى) وينظر: الفائق، والمستقصى، 354/2، ومجمع الأمثال، 168/2

(8) ينظر غريب القاسم، 74-73/4 (أجن)، و 250/4 (أين)، 406 (يمن)، 87/4 (حيا)

(1) غريب القاسم، 434/4 (جوا)، وينظر على سبيل المثال: 460/3 (لمظ)، 85-84/4 (هوش)، وغيرهما

(2) ينظر على سبيل المثال: اللهجات الشمالية، 7/1-8 (نخخ)، 269/1 (كظم)، 53/2 (قرر)، واللهجات الجنوبية، 179/2 (صعف)،

33/4 (ذفف)، 356/4 (سلف)

(3) ينظر: غريب الحديث في بحر الأنوار، 14/1

(4) ينظر: ص 37 من هذا الفصل



أما الخطابي فزيادة على تلك الإضافات كان أكثر تنظيماً وتدبراً، فأبو سليمان كتب مقدّمة وافية بيّن فيها فضل أئمة القرون الثلاثة الأولى على علم السنة، وإنّه لما ذهب هؤلاء الأعلام كثُر الرواة وفشا اللحن ومُرنت عليه الألسن رأى أولو البصائر والعقول أن يَغنوا بجمع الغريب من ألفاظه وتفسير المشكل من معانيه، وتقويم الأود من زبغ ناقله، وقد ذكر الخطابي أن أول من سبق إلى ذلك أبو عبيد ت(224 هـ) ثم انتهج نهجه ابن قتيبة ت(276 هـ) وبقيت بعدهما بقية من الأحاديث جمعها وفسرها في كتابه مُتَبَيِّماً قُصدهما ومتبِعاً نهجهما وهو يحسب أنه لم يبق لأحد في الحديث مقال، مبتدئاً أولاً بأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم تنى بأحاديث الصحابة وأردفها بأحاديث التابعين، وألحق بها مقطّعات من الحديث لم يجد لها سنداً في الرواية إلا أنها أخذت عن المقانع من أهل العلم والإثبات من أصحاب اللغة، وختم الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث يرويها عوامُ النقلة ملحونة ومحرفة عن القصد⁽⁵⁾.

ولم يعرض أبو سليمان لشيء فسره أبو عبيد أو ابن قتيبة في كتابيهما إلا أن يتصل حرف منه بكلام، فيذكر في ضمنه أو يقع شيء منه في استشهاد أو نحوه، وإلا أحاديث وجد في تفسيرها لمُتَقَدِّمِي السلف وأهل الاعتبار أقاويل تخالف بعض مذهبهما.

أما منهجه الداخلي فهو يورد الحديث ثم يتبعه بسنده أو يأتي بسند آخر ورواية أخرى ثم يفسّر الكلمات اللغوية محتجاً لها بحديث أو جزء من حديث، أو آية قرآنية، أو بيت شعر، أو رجز، وكثيراً ما يتوسّع ويستطرد، فيشرح الكلمات الغريبة في هذه الشواهد في إفاضة ومقدرة. وإذا كان في الحديث شيء من الفقه سجّله بعد الشرح⁽¹⁾.

2- المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث للحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني ت(581 هـ):

ذكرت في موضع سابق⁽²⁾ أن علم غريب الحديث دخل في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين، مرحلة جديدة مع ظهور أحمد بن محمد الهروي ت(401 هـ)، إذ وجد هذا العلامة أن الغاية من تصنيف كتب غريب الحديث هي معرفة معنى المفردة الغريبة المستعملة في الحديث وهيئتها، كما هو الحال في كتب اللغة تماماً، فأما السند فلا يكون مهماً للباحث في هذا الموضع.

فقد جمع الهروي الثاني كل ما كتب من غريب عند القاسم وابن قتيبة والخطابي فضلاً على كتب الحديث الأخرى إلى جانب غريب القرآن، فألف كتابه ((الغريبين)) مرتباً على أساس الحروف الأصلية ووفقاً للطريقة الألفبائية.

إنّ منهج الهروي الثاني وترتيب كتابه الذي جعله سهل المتناول فضلاً على أسلوبه الذي امتاز بالاختصار غير المخلّ جعله قبلة لطائفة من العلماء الذين جاؤوا بعده.

وبقي كتاب أحمد بن محمد إماماً للعلماء بعده حتى بعد ظهور ((الفائق)) للزمخشري الذي اختصّ بمفردات غريب الحديث. وهو كتاب جليل القدر جمّ الفوائد، كشفت عن عبقرية مؤلفه ومهارته في تناول مفردات الغريب، وقد كفانا مؤونة البحث في منهجه الدكتور رشيد العبيدي في كتابه ((الزمخشري اللغوي وكتابه الفائق))

أما كتاب المجموع المغيث لمؤلفه أبي موسى الأصفهاني ت(581 هـ) فمنهجه هو منهج أبي عبيد الهروي صاحب ((الغريبين)) يقول في ذلك: ((أما بعد فإني لما طالعت كتاب الغريبين لأبي عبيد الهروي - رحمه الله - ورأيت تقريبه الفائدة لمطالعه واحتياج طلاب فوائد القرآن والحديث إلى مودعه استحسنته جداً، وأحمدته سعيًا وكذاً، غير أنني وجدت كلمات كثيرة شذت عن كتابه إذ لا يحاط بجميع ما تكلم به من غريب الكلم، فلم أزل أتبع ما فاتته وأكتب ما غفل عنه إلى أن وقعت على كراسة غير كبيرة جمعها بعض علماء خراسان بعد الخمسين والأربعمئة لم يُسمَ فيها

(5) مقدّمة غريب الحديث للخطابي: 27/1، 28

(1) ينظر: مقدمة غريب الحديث للخطابي 46-52، ومقدمة المحقق 25-40، فقد استطرد الأستاذ عبد الكريم الغريباوي المحقق في تحليل

وشرح منهج الخطابي في الغريب مستحضراً بعض الأمثلة للمقارنة بين منهج الأخير وسابقيه أبي عبيد وابن قتيبة.

(2) ينظر: ص 38-39 من هذا الفصل



مُصَنَّفُهَا، قد شحنتها بما شذَّ عن كتاب أبي عبيد مما أورده الغريزي في كتاب غريب القرآن وأضاف إليه معاني أسماء الله سبحانه وتعالى وذكر في أثنائه كلمات غير كثيرة من غرائب الألفاظ، فأضفت تلك الألفاظ إلى كتابي، وربما أشير إلى قوله في أثنائه ما يمر من ذلك لأتني لم استجز تضييع حقه... وخرجت كتابي على ترتيب كتاب أبي عبيد سواء بسواء وسلكت طريقه حذو النعل بالنعل في إخراج الكلم في الباب الذي يليق بظاهر لفظها وإن كان اشتقاقها مخالفاً له...⁽¹⁾

وقد ذكر أنه يبقى بعد كتابه هذا أشياء لم تقع له ولا وقع عليها، لأنَّ كلام العرب لا ينحصر، لكن إعجابه بأبي عبيد لم يمنعه من نقده في أشياء وقعت في الغريبيين⁽²⁾. وترجع قلَّة اعتراضاته على أبي عبيد على ما يبدو وبحسب ما يذكر حاجي خليفة إلى أنَّ الأصفهاني عمل كتاباً آخر في هفوات ((الغريبيين))⁽³⁾. هذا وقد تجنب الأصفهاني شرح أي شيء شرحه أبو عبيد قال مثلاً: ((وفي حديث آخر: ذات الجنب شهادة، وقد فُسِّر في كتاب أبي عبيد الهروي))⁽⁴⁾. وقد أخذ كثيراً عن إبراهيم الحربي⁽⁵⁾، والزمخشري⁽⁶⁾، كما نقل كثيراً عن أبي منصور الجبَّان اللغوي ما عرَّض له من أبحاث لغوية وصرفية⁽⁷⁾. وكان يحيل على كتابه ((الطَّوَالان))، و((السباعيات))، ونقل عن أبي عبيد القاسم بن سلام من كتابه ((الأموال))⁽⁸⁾.

وكما أخذ الهروي الثاني عن الخطابي، أخذ هو عنه كثيراً وخصوصاً من كتابه ((غريب الحديث)) وإنَّ أغفل ذكره في بعض المواد، ومما يلاحظ في هذا الموضع أنَّ الهروي الثاني تعمَّد كثيراً عدم ذكر الخطابي حين ينقل عنه إلا نادراً⁽⁹⁾. أما طريقة أخذ أبي موسى من القرآن أو الحديث الشريف، فقد اكتفى - أحياناً - من الآية أو الحديث بكلمة أو كلمتين، فيقول مثلاً: ((كقوله تعالى: ﴿وَأْتِلْ﴾))⁽¹⁰⁾. ومثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ذَرَّةٍ﴾⁽¹¹⁾.

وكذلك الحديث فلا يأخذ منه - أحياناً - إلا كلمة واحدة نحو: في حديث بعضهم ((دُوخلة))⁽¹⁾. ولا يختلف في منهجه هذا في تناول القرآن أو الحديث عن منهج الهروي الثاني⁽²⁾، ولذلك سمعنا تصريح ابن الأثير الذي قال فيه معلِّفاً على منهج الهروي الثاني ((...كان الغرض والمقصد من هذا التصنيف معرفة الكلمة الغريبة لغة وإعراباً ومعنى، لا معرفة متون الأحاديث والآثار، وطرق أسانيدها، واسماء رواتها، فإنَّ ذلك علم مستقل بنفسه مشهور بين أهله))⁽³⁾. وقد يشتمل الحديث عند أبي موسى على أكثر من كلمة غريبة، فإذا جرى ذلك وضع كل كلمة في ترتيبها الهجائي، فيجيء الحديث تبعاً لذلك مفرقاً ما بين مواد مختلفة، فهو عندما ذكر المثل ((عسى الغوير أبوساً)) أورده في مادة ((بأس))⁽⁴⁾ ثم في مادة ((غور))⁽⁵⁾.

(1) المجموع المغيث، مقدمة المؤلف/3، 4

(2) ينظر مثلاً: المجموع المغيث، 49/1، 0 (أرب)، 144/1، 145 (برج)

(3) ينظر: كشف الظنون/1209

(4) المجموع المغيث، 358/1 (جنب)، وينظر: الغريبيين، 404/1 (جنب)

(5) ينظر: 591/1 (خطط)، 640/1 (دجر)

(6) ينظر: 145/1 (برج)، 166/1 (بضع)

(7) ينظر: 24/1 (أب)، 205/1 (بيح)، 640/1 (دجر)، وغيرها كثير يمكن تتبعها من خلال فهرس الأعلام، 81/4

(8) ينظر: مقدمة محقق المجموع المغيث، 38/1

(9) ينظر: الغريبيين، 101/1، وغريب الخطابي، 99/2، والغريبيين، 151/1، وغريب الخطابي، 211/2 (برد)، والغريبيين، 2/1

وغريب الخطابي، 160/1 (ثرب)

(10) ينظر: المجموع المغيث، 30/1 (أتل)، والكلمة من الآية 16 من سورة سبأ

(11) ينظر: المصدر نفسه، 696/1 (ذر)، والكلمتان من الآية 7 من الزلزلة

(1) ينظر: المجموع المغيث، 677/1 (دوخل)

(2) ينظر: الغريبيين، 7/1 (أب)، 9/1 (أبل)، 18/1 (أتل)

(3) النهاية، 9/1

(4) ينظر: المجموع المغيث، 123/1

(5) ينظر: المصدر نفسه، 585/2



وقد لا يراعي المكان الاشتقاقي للمادة اللغوية بل ينصرف إلى ظاهر لفظها، ولكنه حينذاك ينبه على ذلك حشية اتهامه بالخطأ، ومرد ذلك إلى أن طلبة غريب الحديث قد يلتبس عليهم موضع اللفظ الأصلي، فلا يفرقون بين الأصلي والزائد فمثلاً ذكر كلمة ((الأبردة)) في ((أبرد)) وقال: ((وهزتها زائدة، وإنما أوردناها هنا حملاً على ظاهر لفظها))⁽⁶⁾.

وقد ذكر أبو موسى كثيراً من المسائل اللغوية الصوتية⁽⁷⁾ والصرفية⁽⁸⁾ والنحوية⁽⁹⁾ والدلالية فضلاً على بعض وجوه البلاغة⁽¹⁰⁾، كما نبه على جمهور من المعرب أو الدخيل في ثنايا مادته⁽¹¹⁾.

وعرض كذلك لشيء من الأخبار⁽¹²⁾ والأنساب⁽¹³⁾، وكانت شواهد فضلاً على القرآن والحديث، وأشعار العرب، و أمثالهم⁽¹⁴⁾، ونبه على بعض القراءات القرآنية⁽¹⁵⁾. وسرد لنا كثيراً من الروايات ووجهها بما يناسب المقام ورجح بعضها على بعض بما يوافق الأصل الذي بنى عليه⁽¹⁶⁾.

ومما يحسن ذكره في هذا الموضع أن أبا موسى نقل لنا طائفة مفيدة من اللغات عن القبائل والبطون العربية وبعض لغات الأمم والطوائف التي أخذ منها العرب⁽¹⁾. ولا يمكن القول بالمأخذ التي أثرت حول هذا الكتاب ولا سيما إدعاء حجمه الكبير الذي جعل ذريعة عند بعضهم لنفور طلبة العلم منه، فالكتاب لا يقل شأناً عن ((الغريبين)) وقد وصفه ابن الأثير في مقدمة ((النهاية)) مقابلاً له مع كتاب أبي عبيد بالقول: ((يناسبه قدرأ وفائدة ويمائله حجماً وعادة)). فما يحسب لأبي موسى بل لكل من كتب في غريب القرآن والحديث أنهم كانوا أكثر إحاطة في طرح واستحضار مادة الغريب وذلك بتعزيز غريب الحديث بالغريب القرآني⁽²⁾ إلا أن بعضاً من العلماء في ما يبدو أراد عزل المفردات القرآنية رغبة في التخصص بغريب الحديث فضلاً على جمع مفردات أكثر في غريب الحديث بالرجوع إلى كتب الحديث كصحيح البخاري ومسلم وغيرهما، وكذلك فعل بعض علماء الإمامية في تقصي مفردات غريب الحديث لأحاديث أهل البيت (عليهم السلام).

3- غريب الحديث في بحار الأنوار: لحسين الحسيني البيرجندي:

يمكن القول بأن الأحاديث النبوية وجملة أحاديث الصحابة وتابعيهم وغيرها في ((النهاية)) تمثل أفضل مصدر يمكن أن يُعَوَّل عليه في تتبع اللغة والحصول على معنى مناسب للعبارة وتفسير ينسجم مع مراد القائل، إلا أن هذه الجهود لم تملأ فراغاً واسعاً يتعلّق بالروايات المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام) سواء الروايات التي صدرت عن الأئمة (عليهم السلام) مباشرة أم الروايات التي نقلوها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فالأئمة (عليهم السلام) هم السلسلة الذهبية لأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم أدري من غيرهم بما كان لدى جدّهم وكان نقلهم بشهادة الأحاديث التي وصلت إلينا أصح

(6) ينظر: مقدمة المحقق، 40/1

(7) ينظر على سبيل المثال: 164/1 (بصق)، 18/1 (أبل)، 25/1 (أيا)

(8) ينظر على سبيل المثال: 22-20/1 (ابن)، 159/1 (بسط)، 170/1 (بطن)

(9) ينظر على سبيل المثال: 88/1 (بله)، 310/1 (جذع)

(10) ينظر: 156/1 (بزغ)، 273/1 (ثمر)

(11) ينظر على سبيل المثال: 182/1 (بكر)، 190 (بلا)، 379 (جون)

(12) ينظر على سبيل المثال، 158/1 (بسس)، 222/1 (ترب)، 354/1 (جمجم)

(13) ينظر: 167/1 (بطج)، 200/1 (بول)، 324/1 (جزر)، 250/1 (تهم)

(14) ينظر على سبيل المثال، 152/1 (برم)، 466 (خطا)، 286 (ثول)

(15) ينظر: 365/1 (جنن)، 460/1 (حضب)

(16) ينظر: 166-165/1 (بضع)، 172/1 (بعث)، 263/1 (تطط)

(1) ينظر: الفهرس التفصيلي لمحقق المجموع المغي، 236-217/4

(2) ومما يدل على هذا الشمول والدراسة بالحديث وغريبه عند أبي موسى قول ابن الأثير تعقيباً على اختلاف الرواية في حديث اشراط الساعة ((كذا جاء في كتابي البخاري وأبي داود، ولعله حديث آخر ذكره أبو موسى وهو حافظ عارف بما روى وشرح فلا يتهم))،

النهاية، 366/1 (حرر)، وينظر: المجموع المغي، 424/1 (حرر)



وأوجز وأكثر اعتباراً، بل لا يمكن مقارنتها بالأحاديث العابرة التي نُقلت عبر حلقات منفصلة في العقود الأولى لظهور الإسلام.

ولهذا كله كان من الواجب استخراج الغريب من حديث الأئمة (عليهم السلام) في جميع المجالات التي تحدثوا فيها ولا سيما الأدعية والمناجيات التي تمتاز بلحن يختلف عن الكلام العادي، وبناءً على ذلك شرع بعض العلماء بالبحث والتنقيب عن غريب حديث أهل البيت (عليهم السلام) فكان العلامة الطريحي من السَّابِقين في هذا المجال، فقدّم في آخر حياته الزاخرة بالعطاء للباحثين والمهتمين بحديث أهل البيت (عليهم السلام) كتابه المعروف ((مجمع البحرين ومطلع النيرين)) الذي اهتم فيه بشرح وتفسير المفردات المهمة في القرآن والحديث إضافة إلى تقديم نبذة عن تاريخ الأنبياء والمحدثين والعلماء والملوك وحتى الأماكن إلى جانب شرح العقائد ومذاهب الفرق، وهو على ذلك يُعدُّ دائرة معارف شيعية صغيرة، ولا يُظن أنَّ الحاجة إلى غريب الحديث قد انتفتت اليوم بعد تأليف ((مجمع البحرين)) فنسبية مفهوم الغريب فضلاً على أنَّ الأنس بالكلمات القديمة وفهم معانيها يتضاءل مع تقدّم الزمن، فليست هناك ألفاظ جديدة ولكن من الممكن أن تكون المفردات المتداولة بالأمس والمعروفة آنذاك متروكة الاستعمال الآن مما يؤدي إلى تراكم غبار الغربة تدريجياً عليها فتصبح غريبة، ولذلك ولأجل صيانة المقصود الأصلي لصاحب النص وفهمه على الوجه الصحيح كتب المحدثون في غريب الحديث وعقبوا على المصنّفات القديمة أو شرحوها ومنهم على سبيل المثال العلامة البيرجندي في كتابه ((غريب الحديث في بحار الأنوار)).

لقد فسّر العلامة المجلسي في أثناء تدوينه لكتاب ((بحار الأنوار)) وشرحه للجوامع الروائية الشيعية مفردات كثيرة واستطاع اعتماداً على إتقانه للغة وكتب الغريب وإحاطته بموارد استعمال تلك الألفاظ في الأحاديث الأخرى أن يقدّم تفسيراً للأحاديث بالأحاديث. وقد بادر البيرجندي إلى جمع هذه الألفاظ وتنسيقها وفقاً للترتيب الألفبائي مع ذكر المصادر التي عوّل عليها المجلسي فاعتمد كل البيانات التي أدلى بها المجلسي في شرح المفردات الغريبة ورتبها حسب مادة الكلمة معتمداً على الترتيب الألفبائي سائراً على نهج ابن الأثير في ((النهاية)). وأما الضابط الذي اعتمده المؤلف في تحديد المفردة الغريبة فهو شرح العلامة المجلسي لها أو ورودها في كتاب النهاية لابن الأثير، وقد عرض مداخل ((النهاية)) على ((بحار الأنوار)) فاستخرج شروحها منه، وانطلاقاً من أهمية ((نهج البلاغة)) ووفرة المفردات الغريبة فيه، فقد استخرج منه كل ما بدا غريباً وشرحه الدكتور صبحي الصالح ولم يكن موجوداً في المداخل الأولية للبحار والنهاية، وعرضه على البحار فشرحه إضافة إلى أنه جعل الألفاظ التي شرحها الأئمة (عليهم السلام) مداخل أيضاً فشرحها⁽¹⁾.

وقد أنصف منهجه بنوع من التنظيم الداخلي فهو يبدأ بذكر المفردة الغريبة، ثم يُعقبها بذكر حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو الأئمة (عليهم السلام)، ممّا وردت فيه هذه المفردة ثم يشرح هذه المفردة مشيراً إلى طريقة ضبطها أو إعرابها، متوقفاً - أحياناً - عند الروايات التي قبلت فيها⁽²⁾، مبيناً ما يحصل من تصحيف أحياناً⁽³⁾، عارضاً بعض الأخبار⁽⁴⁾ والأنساب⁽⁵⁾ مستشهداً بالحديث كثيراً ومقلاً من الشواهد القرآنية والشعرية والمثلّية، ومما يجلب الانتباه - هنا - توسّعه في موضوع المعرب والدخيل⁽⁶⁾، وتنبيهه على كثير من اللغات⁽⁷⁾ وأقوال العامة⁽⁸⁾.

المبحث الثاني

تدوين اللغات ونسبتها ووصفها في كتب غريب الحديث

(1) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 17/1-20.

(2) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 34/1 (أبا)، 46/1 (أدب)، 53/1 (أرس).

(3) ينظر: 59/1 (أسد)، 63/1 (أصر)، 74/1 (أمص).

(4) ينظر: 61/1 (اسكندر)، 119/1 (برهوت).

(5) ينظر: 55/1 (أرم)، 64/1 (اصطخر)، 67/1 (أقسوس).

(6) ينظر على سبيل المثال: 42/1 (اجص)، 47/1 (أدم)، 59/1 (استبرق)، 118/1 (برن).

(7) ينظر على سبيل المثال: 35/1 (أتم)، 51/1 (أرب)، 62/1 (أسا)، 165/1 (أفق).

(8) ينظر على سبيل المثال: 79/1 (أنف)، 122/1 (برر)..



أولاً: ألفاظ دالة على اللغة في كتب غريب الحديث: (اللسان واللغة واللهجة):

اهتم علماء غريب الحديث بتدوين اللغات مع ما تناولوه في مصنفاتهم من بحث في الغريب بتفسيره وإيضاحه، وقد وظفوا جملة من المصطلحات دلت دلالة واضحة على اللغة، فمصطلح (لغة) كان يدل دلالة صريحة على ما نسميه الآن لهجة، ويُعد المصطلح الأخير حديثاً، لأن اللغويين القدماء ومنهم أصحاب معاجم غريب الحديث كانوا يطلقون على ما تعنيه الآن كلمة (لهجة) مصطلح (لغة)، فيقولون لغة قريش، ولغة طيء، ولغة قيس، وغيرها، وبتقدم الزمن والتوسع في استعمال مصطلح اللغة، تطور مصطلح (لهجة) إلى دلالة مصطلح (لغة) واكتسب جزءاً من حيزه الاستعمالي على ما يبدو في بداية الأمر، ثم أخذ يزيحه عن هذه الدلالة مع مرور الزمن إلى أن طغى عليه في وقتنا الحاضر حتى لا نكاد نسمع بمصطلح (لغة) بمعنى (لهجة) إلا قليلاً⁽¹⁾.

وقد يجد الباحث من النصوص القديمة ما يذكر مصطلح (لهجة) كقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من رجلٍ أصدق لهجةً من أبي ذر))⁽²⁾، بمعنى: أصدق لساناً أو أنه جُبِلَ على لغةٍ هذا شأنها⁽³⁾، فاللهجة رادفت اللسان كما يظهر هاهنا، وكما نصّت المصادر عليه⁽⁴⁾.

وأما في نص الهمداني ت(360 هـ) الذي يصف فيه مدينة صنعاء بأنها ((مختلفة اللغات واللهجات، لكل بقعة منها لغة، ومن يصاحب شعوب يخالف الجمع))⁽⁵⁾، فلا يجاوز ما ذكرناه من أن اللهجات تعني الألسن هنا.

ويظهر من استقرار تلك النصوص وغيرها أن مصطلح (لغة) آنذاك يعني تحديداً ما يعنيه مصطلح (لهجة) الآن، والتمايز الذي أشار إليه بعض الباحثين ولم يُعَيِّنْهُ⁽⁶⁾ إنما يتَّجه نحو عموميّة مصطلح (لهجة)، وخصوصيّة مصطلح (لغة) في تلك الأزمان، فلم يستقرّ مفهوم (اللهجة) ولم يُزح مفهوم (اللغة)، أو يطغى عليه إلا في العصور المتأخرة.

أما مفهوم اللسان فيظهر أن له معنىً عاماً يضم كل تلك المفاهيم، وما يدّعيه بعض الباحثين من أن مفهوم اللسان لا يجري إلا عند الكلام على اللغة التي تتكلم بها أمة من الأمم أو شعب من الشعوب، كالعربية، أو القبطية، أو السريانية، أو غيرها⁽⁷⁾، لا يمكن قبوله بهذا التحديد، فهو وإن جرى في القرآن الكريم⁽¹⁾ على المفهوم الذي ذكره الباحث تقريباً إلا أن استعمال العرب جاوز هذا المفهوم إلى مستويات آخر ولنستمع إلى جغرافي آخر هو المقدسي ت(380 هـ) وهو يصف لنا السنة بعض الأقاليم قال: ((... الرّي بعد بغداد ولا أحسن لساناً من أهل بغداد ولا أوحش من لسان صيدا، وهرارة، ولا أصح من لسان خراسان، ولا أحسن عجميّة من أهل بلخ والشاش))⁽²⁾، وعندما يصف أردبيل يقول: ((إنّ به سبعين لساناً))⁽³⁾.

فمفهوم اللسان تبعاً لهذين النصين ينطبق على ما تعنيه لهجة ويساوي - على الأرجح - مفهوم اللهجات عند الهمداني، ومما يؤكد ذلك قول الحربي - مثلاً - : ((العضه السحر بلسان قريش))⁽⁴⁾، وقول عثمان (رضي الله عنه) للرهط القرشيين الثلاثة: ((إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش))⁽⁵⁾.

(1) ينظر: توطئة لدراسة علم اللغة (التعاريف) 22-31

(2) المسند، 175/2، 197/5، وينظر: سنن ابن ماجة، 55/1

(3) ينظر: النهاية، 281/4، واللسان، 359/2، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 387/1 (لهج)

(4) ينظر: المصادر السابقة

(5) صفة جزيرة العرب/550

(6) ينظر: اللهجات العربية في معجمات القرن الرابع للهجرة، د: حيدر فهد/7، اطروحة دكتوراه، بالآلة الطابعة

(7) ينظر: اللهجات العربية في كتاب سيبويه - رسالة ماجستير: رافد مطشر/6

(1) ينظر على سبيل المثال: النحل/103، وإبراهيم/4، والأحقاف/12

(2) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/34

(3) المصدر نفسه/282

(4) غريب الحديث للحربي، 925/2

(5) الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، 59/1، وينظر: مقدمتان في علوم القرآن/18-19



وأما دلالة لفظة (لسان) على لغة ما فيمكن تلمّسه في جملة من النصوص منها على سبيل المثال قول الخطابي في حديث سعد بن معاذ ((حملوه على شدة من ليف ... قال الخطابي: ولست أدري بأيّ لسان هي))⁽⁶⁾، وعند ابن قتيبة ((... المشكاة: الكوة بلسان الحبشة))⁽⁷⁾... وغيرها . واستمرت دلالة (لسان) على اللغة بين العموم والخصوص على لغة أمّة أو على لغة قبيلة مدة من الزمن إلى أن ضعف هذا الاستعمال بعد ذلك وخصوصاً في زمن نضج التأليف المعجمي في القرن الرابع للهجرة، فقد وثّق هؤلاء المعجميون اللهجة بمصطلح لغة⁽⁸⁾.

ثانياً: رواية اللغات ونقلها في كتب غريب الحديث:

اهتمّ علماء غريب الحديث برواية اللغات وتدوينها هنا وهناك في أثناء عرضهم مادة الغريب، وفي بحثهم الروائي وتوجيههم لكثير من الروايات التي طغت على موضوع الغريب⁽⁹⁾. وقد تنوّعت الأساليب التي تمّ بموجبها تدوين اللغات أو روايتها عند هؤلاء المصنّفين، فقد نلّمح في بعض ممّا نقل الأوائل من هؤلاء ممّن وصلت إلينا مؤلفاتهم كأبي عبيد وابن قتيبة ما يوحي بسماعهم المباشر من بعض العرب، كقول أبي عبيد: ((وسمعتُ غيرَ واحدٍ من أهل اليمن يقولون: السهوة عندنا بيت صغير منحدر في الأرض...))⁽¹⁰⁾. وقوله: ((... وأما أهل مصر فيقولون: القسي، ينسب إلى بلاد يُقال لها: القس وقد رأيتها))⁽¹⁾، وقوله: ((وأخبرني بعض الشاميين أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: أنا أفصح العرب ميد أني من قريش))⁽²⁾، وممّا نقل عن ابن قتيبة قوله: ((البُلسُن: التين بلغة أهل اليمن وسمعتُه منهم، خبرني بذلك الحجازيون))⁽³⁾.

ونجد مثل هذا السماع أو النقل عند المتأخرين من اللغويين حين يتحدّثون على المستوى النطقي في عصورهم، فمن ذلك قول ابن الأثير: ((بَنها هو بكسر الباء وسكون النون قرية من قرى مصر بارَك النبي (صلى الله عليه وسلم) في عسلها، والناس اليوم يفتحون الباء))⁽⁴⁾.

إلا أن هؤلاء المصنّفين قد استعانوا - غالباً - بالرواية من لغويين ومحدّثين وغيرهم في توضيح مادة الغريب وتوجيهها وخصوصاً ما نُقل عن هؤلاء في باب اللغات إذ اعتمدوا على ما حفظه هؤلاء الرواة ولا سيما اللغويين من القبائل العربية، الأمر الذي أضفى على منهج مصنفي غريب الحديث صفة الوصفية - أحياناً⁽⁵⁾ - .

فممّا نُقل عن الرواة اللغويين والأعراب مثلاً: ((حكي اللحياني عن إعرابي قال آخر))⁽⁶⁾، ((وقال الكسائي: سمعتهم يقولون))⁽⁷⁾، وفي غريب ابن قتيبة: ((حدثني أبي قال: أخبرني سهل ابن محمد عن الأصمعي عن معتمر قال: لقيت حميراً معه عنب فقلت: ما معك؟ فقال: خمر، ولقيت آخر عمانياً أو حميراً فقلت: ما معك؟ قال: سخام))⁽⁸⁾.

(6) غريب الخطابي، 122/2، والنهاية، 504/2 (شذ).

(7) غريب الحديث، لابن قتيبة، 342/2.

(8) ينظر: اللهجات العربية في معجمات القرن الرابع/4، وبقايا اللهجات العربية في الأدب العربي/3.

(9) نقل الروايات المختلفة - عموماً - وتوجيهها وترجيح بعضها على بعض أو الإشارة إلى الكثير من مواضع التصحيح، ممّا امتلأت به كتب غريب الحديث، وينظر على سبيل المثال لا الحصر: غريب ابن قتيبة، 195/1، والفائق، 93/1، 94 (برز)، 295/1 (صفو)، والنهاية، 366/1 (حرر)، 377/1 (ضرب)، وينظر: لما ورد من تصحيح الفائق، 265/1 (حدد)، والنهاية، 357/3 (غرر).

(10) غريب القاسم، 50/1 (سهو).

(1) غريب القاسم، 226/1 (قسي).

(2) المصدر نفسه، 140/1 (بيد).

(3) غريب ابن قتيبة، 666/3، وينظر: غريب ابن الجوزي، 85/1.

(4) النهاية، 57/1 (بها).

(5) المنهج الوصفي: يعني وصف اللغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته، ينظر: منهج البحث اللغوي، د: علي زوين/100، واللغة بين المعيارية والوصفية، د: تمام حسان/24.

(6) الفائق، 8/3 (عفر).

(7) المصدر نفسه، 121/4 (هوج).

(8) ج1/233، 234.



وفي ((الغريبيين)) قال شمر: ((قال بعض أعراب قيس))⁽⁹⁾، ومن ذلك - أيضاً - ((قال الأزهري: سمعتُ إعرابياً فصيحاً أسدياً))⁽¹⁰⁾.

ومما أثر عن المحدثين: ((قال الكسائي والأصمعي: إنما هو سَهْمٌ غَرَبٌ - بفتح الراء - وهو السهم الذي لا يُعرف راميهِ... قال: والمحدثون يُحدِّثونه بتسكين الراء، والفتح أجود وأكثر في كلام العرب))⁽¹¹⁾ ومنه ((القطف: العنقود والمحدثون أو أكثرهم يروونه بفتح القاف والقياس أن يكسر))⁽¹²⁾، وفي كتاب القاسم: ((أهل الحجاز يؤنثون النخل، وأهل الحديث يذكرون وكذلك الشعير))⁽¹³⁾.

ونقل الحربي: ((كذا يقوله المحدثون ولا أعرف وجهه))⁽¹⁾، وفي ((الغريبيين)): ((قال أبو عبيد: المحدثون يروونه بالضم، والوجه عندي بالفتح))⁽²⁾، ومما ورد في ((النهاية)): ((المحدثون يسمون أصحاب القياس أصحاب الرأي))⁽³⁾.

وبناءً على ذلك يمكن القول إنَّ للمحدثين سياقاتهم الخاصة بهم في توجيه الروايات على وفق منهجهم الروائي الذي يقوم أصلاً على المشافهة والسماع من شيخ الإجازة⁽⁴⁾. وتبقى للغويين - غالباً - اليد الطولى في ترجيح الروايات أو تصنيفها، وهو ما يمكن تلسمه في معظم الروايات السابقة على أقل تقدير.

وينضم إلى ما يرويه أهل اللغة والمحدثون ما ينسبه مصنفو هذه المظان إلى ما يُعرف بالعامَّة أو العوام، ممَّا يدخل في باب اللغات، التي تخصُّ هذا الجمهور، والتي لا تصل - غالباً - إلى مستوى اللغة الفصيحة، وقد تمثلت نسقاً نطقياً يخصُّ هذه اللغة أو تلك، وقد شاع تسمية كلام هؤلاء بالمولد. قال السيوطي: ((وهو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم، والفرق بينه وبين المصنوع أنَّ المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح وهذا بخلافه))⁽⁵⁾.

ومن أمثلة ذلك في كتب غريب الحديث: قال أبو عبيد: ((قال الفراء: قوله: آل حم - إنما هو كقولك: آل فلان، وآل فلان كأنه نسب السورة كلها إلى حم - وأما قول العامة: الحواميم فليس من كلام العرب))⁽⁶⁾. ومنه: ((التَّيْل: نبات له قضبان طويلة... والعامة تسميه التَّيْن))⁽⁷⁾ ومن ذلك قول أبي عبيد في (قفان): ((ولا أحسب هذه الكلمة عربية، إنما أصلها قَبَّان ومنه قول العامة: فلان قَبَّان على فلان إذا كان بمنزلة الأمين عليه))⁽⁸⁾، ومنه: ((امرأة رابَّة يعني امرأة زوج أمة، وهو الذي تسميه العامة الربيب))⁽⁹⁾.

فجملة ما ينسب إلى العامة يُعدُّ من المولد أو المحدث الذي لا يحتج به، لأنَّه غير فصيح، وقد روى ابن دريد عن الأصمعي أنَّه كان يدفع قول العامة ويقول: إنَّه مولد⁽¹⁰⁾. ويظهر أنَّ من دواعي عدم الفصاحة أو التوليد هنا أنَّ تكون اللفظة غير عربية، إلا أنَّ ذلك لا ينفي - تماماً - أنَّ نفع على بعض ألفاظ العوام ممَّا يأتي على قياس اللغويين ويُنسب إلى الفصيح.

(9) ج 86/1 (أمم)

(10) غريب الحديث في بحار الأنوار، 86/1، وللمزيد ينظر: غريب القاسم، 97/4 (فلك)، وغريب ابن قتيبة، 102/1، وغريب الحربي.

372/1

(11) غريب القاسم، 345-344/4 (غرب)

(12) غريب ابن قتيبة، 276/1، وينظر: غريب ابن الجوزي، 254/2

(13) ج 1/351 (أبر)

(1) غريب الحربي، 248/1

(2) ج 298/1 (ثم)، وينظر: غريب القاسم، 403/4 (ثم)

(3) ج 179/2 (رأي)، وينظر: على سبيل المثال - أيضاً - غريب القاسم، 196/4 (خرق)، والنهاية، 452/2 (شدد)، و 73/4 (قصع)

(4) ينظر: أصول الحديث وأحكامه في علم الرواية: جعفر السبحاني، 165-168، وعلوم الحديث ونصوص من الآثار، 56-58

(5) المزهر للسيوطي، 304-321، وقد ذكر السيوطي أقوال بعض العلماء في هذا الباب وطائفة كبيرة من الأمثلة في هذا الموضوع.

(6) غريب القاسم، 94-93/4 (حمم)

(7) غريب الحديث في بحار الأنوار، 210/1 (ثيل)

(8) غريب القاسم، 240/3 (قف)

(9) المصدر نفسه، 417/2 (رب)

(10) ينظر: المزهر، 242، 243/1، وقد كان ابن قتيبة أكثر علماء غريب الحديث تعرضاً لألفاظ العوام، ينظر: على سبيل المثال: 283/1

و 85/2، و 226/2، و 254/2



وهو بذلك مما يحتج به في مورد الحديث الشريف، فمن ذلك: ((الصدّام - بالكسر - داءً يأخذ رؤوس الدّواب والعامة تضمّه وهو القياس))⁽¹⁾.

ثالثاً: نسبة اللغات في كتب غريب الحديث:

يظهر أن اتساع الأرض العربيّة، وانتشار القبائل العربية وبطونها فيها، والحركة الدائمة لهذه القبائل على تلك المساحة، ومن ثمّ الاختلاط والتحالف بينها أدّى إلى صعوبة معرفة حدود تلك القبائل، زيادة على أنّ بعض المناطق في الجزيرة كالحجاز، ونجد، ومناطق اليمن، والعراق، والشام، وغيرها، تضمّ كلّ منها قبائل وبطوناً وأفخاذاً انتشرت هنا وهناك على تلك المساحة. وتبعاً لذلك لم تكن النسبة عند أصحاب معجمات الغريب محددة في كثير من الأحيان، إلا أنّ الباحث قد يجد - أحياناً - وعلى قلة نسبة محددة إلى المكان أو القبيلة.

وقد أتخذ أصحاب مصنّفات غريب الحديث أساليب عدّة لهذه النسبة منها⁽²⁾:

1- النسبة إلى القبيلة: انتشرت القبائل العربيّة على أرض الجزيرة وخارجها وكثرت واختلطت، مما تطلّب التمييز بين لغات تلك القبائل عند إرادة الإطلاع على أدائها اللغوي، ولأجل ذلك عمد هؤلاء اللغويون إلى التصريح باسم القبيلة أو القبائل المسموع منها لهذا الهدف ومن ذلك: ((لغة هذيلية))⁽³⁾، و((بلغة حمير))⁽⁴⁾.

وقد ينسب هؤلاء العلماء إلى بطون بعض القبائل أو أجزاء منها نحو: ((لغة العقيليين))⁽⁵⁾ و((عبد القيس))⁽⁶⁾، و((لغة ناس من بكر بن وائل))⁽⁷⁾، و((لغة سفلى مضر))⁽⁸⁾.

2- النسبة إلى الموضع: ويظهر من البحث أنّ النسبة إلى الموضع أخذت حيزاً أكبر عند مصنّفي غريب الحديث، نظراً للاتساع المكاني للأرض العربية في الجزيرة وخارجها، والذي واكبه التنقّل والارتحال المتواصل للقبائل العربيّة، الأمر الذي دفع اللغويين كثيراً إلى اعتماد الموضع مستوًى من مستويات التوثيق والسماع.

ولم يختلف مصنّفو الغريب عن أصحاب المعجمات في النسبة إلى الموضع، فمرّة ينسبون إلى المكان الأعم نحو: ((يسميه أهل العراق))⁽⁹⁾ أو ((عند أهل الحجاز))⁽¹⁰⁾، أو ((عند أهل اليمن))⁽¹⁾، و((الأندر لأهل الشام والبيدر لأهل العراق))⁽²⁾ ومرّة ينسبون إلى بقاع وأمكنة محددة مثل: ((بلغة أهل مكة))⁽³⁾، و((عند أهل المدينة))⁽⁴⁾، و((أهل حجر يكتبون))⁽⁵⁾.

وقد تشمل النسبة أكثر من موضع كقولهم: ((هذه لغة أهل اليمن والطائف وتلك الناحية))⁽⁶⁾ وهنا أهمل القاسم النسبة بقوله: ((تلك الناحية))، وممّا كانت فيه النسبة لأكثر من موضع: ((قول أهل الحجاز وأهل نجد))⁽⁷⁾.

3- التعميم في النسبة: يقصد بالتعميم نسبة اللغة إلى العرب أو إلى بعضهم أو إلى أفراد منهم من دون تحديد قبلي أو موضعي، أو بتسمية أشخاص غير محددين، ومن ذلك: ((أمّا الحديث فيروى

(1) غريب الحديث في بحار الأنوار، 345/2، وينظر: الصحاح، 318/5 (صدم)

(2) ينظر: اللهجات في معجمات القرن الرابع/13-29، ومما يجدر ذكره في هذا الموضع أنّ ما عرضناه يشبه في إطاره العام ما عرضه الباحث حيدر فهد في أطروحته ((اللهجات العربية في معجمات القرن الرابع))، إذ اتفق الغرض في هذا الموضوع فلزم التنبيه.

(3) الفائق، 135/1 (بولك)

(4) غريب القاسم، 27/4 (حلل)

(5) النهاية، 373/1 (حزم)، وبنو عقيل من بني عامر وبنو عامر من هوازن، وأصلها مضر، ينظر: اللهجات العربية في التراث/45،46

(6) الفائق، 130/2 (زود)، وعبد القيس من جديلة، وهي من أسد التي ترجع إلى مضر، ينظر: اللهجات العربية في التراث/44

(7) النهاية، 267/2 (رمم)

(8) غريب الحربي، 232/1

(9) غريب ابن الجوزي، 584/1، والنهاية، 416/1 (حقّل)

(10) النهاية، 133/2 (دمك)، وينظر: غريب ابن قتيبة، 318/2، غريب ابن الجوزي، 401/2

(1) النهاية، 389/2، وينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 240/2 (سلط)

(2) غريب القاسم، 247/1 (ربد)

(3) الفائق، 118/1 (البطة)

(4) النهاية، 266/1 (جزأ)

(5) غريب ابن قتيبة، 477/1

(6) غريب القاسم، 356/4 (سلف)

(7) غريب الحربي، 419/2



بالضم أتأويان وكلام العرب أتأويان بالفتح))⁽⁸⁾ , و((قد تقول العرب للجارية غلامه))⁽⁹⁾ و((الايهمان عند أهل البادية: السيل والجمل ... وعند أهل الأمصار: السيل والحريق))⁽¹⁰⁾ , و((قال بعض الأعراب ...))⁽¹¹⁾ , و((بعضهم يجعله... وآخرون قالوا...))⁽¹²⁾ , و((لغة من يقلب الحاء هاء))⁽¹³⁾ .

تعقيب:

ومما يُحسن ذكره - هنا - إتماماً للفائدة وإكمالاً للمقصود، أنّ أهل الغريب نسبوا إلى فئات أخر سوى ما ذكر كالمحدثين، إذ إنّ الأصل الذي أقام عليه مصنفو غريب الحديث عملهم هو الحديث الشريف، وتبعاً لذلك كان منهجهم الصق بالمحدثين الذين هم رواة الحديث، وقد اختلفت روايات الحديث واضطربت في مصنفات الحديث فضلاً على كتب غريب الحديث، ولعلّ مرجع كثير من هذا الاختلاف يعود إلى تعدد اللغات أو اختلاف المستوى الأدائي أو الدلالي للرواة الذين يمثلون بيئاتهم وعصورهم⁽¹⁴⁾ مع تفاوت في هذا المستوى بين محدث أو راو وآخر من حيث الفصاحة والبلاغة تبعاً لبيئاتهم و أزمانهم على وفق الضوابط والأصول التي أسسها اللغويون وجرى عليها المنهج اللغوي، ولم يحد عنها مصنفو غريب الحديث⁽¹⁵⁾ .

وكذلك نسب مصنفو غريب الحديث إلى فئات أخر لا ترقى إلى ما ذكر كالعامة، إذ إنّ أداءهم دون مستوى الفصاحة - غالباً - إلا أنهم قد يمثلون بيئاتهم حينذاك على كل حال⁽¹⁾ . ونسب علماء الغريب - أيضاً - إلى الفقهاء، وجملة ما صدر عن هؤلاء يعود إلى اختلاف مبانيهم وأحكامهم تبعاً لاختلاف الدلالة اللغوية التي فهموها ثم وظفوها في مورد الحكم، فمن ذلك في حديث الصدقة((وفي الركاز الخمس))⁽²⁾ , قال ابن الأثير معقّباً: ((الركاز عند أهل الحجاز: كنوز الجاهلية المدفونة في الأرض وعند أهل العراق: المعادن، والقولان تحتملها اللغة، كلاً منهما مركز في الأرض، أي ثابت))⁽³⁾ ، وتبعاً لذلك فالركاز عند أهل العراق فيه الخمس لبيت المال والمال المدفون العادي في حكمه، وعند أهل الحجاز المعادن وهي ليست بركاز، وفيها ما في أموال المسلمين من الركاز سواء⁽⁴⁾ . وزبدة القول هنا أنّ اللغة الفقهيّة اختلفت عند الطرفين تبعاً لاختلاف الدلالة اللغوية الأصلية ومن ثمّ استقلّ كل صقع بما اختار.

ونسب هؤلاء المصنفون إلى طوائف أخرى من الناس كالأطباء والمنجمين، وقد وجد العلماء المحدثون أنّ اللهجة الواحدة قد تتكون خلالها لهجات خاصّة سمّوها باللغات العاميّة الخاصة التي يتحدد وجودها بوجود جماعات متخصصة كالصناع والأشقياء الذين يستعملون في ما بينهم لغة متفقاً عليها⁽⁵⁾ ، فمن أمثلة ذلك في حديث المعادن: ((وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجصّ والكلس والجبس))⁽⁶⁾ , قال البيرجندي: ((الجبس - بالكسر - الجصّ - وفي أكثر النسخ الجبس)) ولم أجد لها فيما عندنا من كتب اللغة، لكن في لغة الطب كما في أكثر النسخ⁽⁷⁾

(8) غريب القاسم، 415/3، وينظر: النهاية، 21/1(أى)

(9) غريب ابن قتيبة، 234/1

(10) النهاية، 304/5(يهم)

(11) غريب القاسم، 97/4(فلك)

(12) غريب الحربي، 426/2

(13) الفائق، 121/4(هوج)

(14) ينظر: الزمخشري اللغوي وكتابه الفائق/46، 47، 148، 149، 150

(15) ينظر: ص56-57، للاطلاع على أمثلة مما ينسب إلى المحدثين

(1) ينظر: ص57، 58، للإطلاع على أمثلة مما نسب إلى العامة

(2) النهاية، 258/2(ركز)

(3) المصدر نفسه

(4) ينظر: الفائق، 396/2(ركز)

(5) ينظر: اللغة لفندريس/214، وفي اللهجات العربية د: أنيس/20، ولهجة قبيلة أسد، د: علي ناصر/34

(6) بحار الأنوار للمجلسي، 186/57، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 214/1(جبس)

(7) غريب الحديث في بحار الأنوار، 214/1(جبس)



ومن ذلك: ((الجدِّي بالفتح فالسكون نجم إلى جنب القطب تُعرف به القبلة ويُقال: له جَدِّي الفرق، وقيل: هو الجَدِّي مصغراً والأول أعرف، والمنجمون يسمونه الجَدِّي على لفظ التصغير فرقاً بينه وبين البرج))⁽⁸⁾.

ونُسب هؤلاء العلماء إلى غير العرب في ما عُرف بالمعرب والدخيل، فقد كثرت إشارات مصنفي غريب الحديث إلى اللغات غير العربية كالسامية، وغيرها، لذلك قيّدوا المفردات التي بدت لهم أنها غير عربية بقولهم مثلاً: ((سرياني معرب))⁽⁹⁾، و((فارسي معرب))⁽¹⁰⁾، و((ليست بعربية كأنها نبطية أو سريانية فُعِرت))⁽¹¹⁾.

وقد لا تُقيّد الكلمة بكونها مُعربة أو تُذكر على أنها أعجمية دون تحديد الأصل الذي كانت عليه نحو ((الكلمة أعجمية))⁽¹⁾، و((اللفظة فارسية))⁽²⁾.

رابعاً: تمييز اللغة وترجيحها عند مصنفي الغريب:

فاضل علماء العربية ولاسيما مصنفي الغريب بين القبائل العربية على أساس طرائق الأداء والدلالة ودرجة الفصاحة، فهناك صفات خاصة ميّزت بعض البيئات العربية عن بعضها، وهو ما يظهر واضحاً في ما عُرف باللهجات العربية، إلا أن مستويات التخاطب هذه لم تكن الوحيدة التي حكمت هذه البيئات بل هناك مستوى آخر حكمها بقوة وإتقان، ذلك هو مستوى اللغة المشتركة الفصحى التي تواضع عليها العرب، وحاکها خاصتهم من أهل البلاغة، والتأثير الخطابي، والشعراء، وبها كتبت المعلقات، ثم أصلها القرآن الكريم بعد فجر الإسلام.

وتبعاً لذلك كانت أحكام اللغويين لا تتجاوز هذا الإطار متخذين من القرآن والعربية الفصحى ميزاناً لتقويم المتن اللغوي الذي روه شعراً ونثراً⁽³⁾.

وقد كانت ضوابط هؤلاء اللغويين تجري بحسب منهج محدد ذي اختيارات تاريخية واجتماعية وجغرافية معينة، فكان لهم انتقاء من الزمان من أمري القيس إلى ابن هرمة، وانتقاء في المكان وسط شبه الجزيرة وانتقاء من قبائل الوسط: قيس، وتميم، وأسد، وطية، وهذيل، وبمن تبدى، من هذه القبائل دون من تحضر⁽⁴⁾.

وعلى هذا الأساس حُدّدت بعض المسائل اللغوية التي عُدت من عيوب اللغة، فاللغة الفصيحة هي التي ارتفعت عن تلك المسائل، قالوا: ((ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضعج قيس وعجرفية ضبة وتلتلة بهراء))⁽⁵⁾.

وبناء على ذلك اتخذ اللغويون لا سيما علماء الغريب ضوابط محدّدة لتمييز اللغات وترجيحها وعلى النحو الآتي:

أولاً: تمييز اللغات ويكون عن طريق

1- التغير في بنية الصيغة (على المستويين الصوتي والصرفي):

ويقصد به الاختلاف الذي ينشأ من تغيير حركة في الميزان الصرفي للكلمة فعلاً كانت أو اسماً أو أيّاً من المشتقات، أو الاختلاف الذي يرجع إلى طريقة نطق الأصوات بالإبدال أو القلب أو الوقف أو الزيادة أو النقصان، ممّا يدخل تحت عنوان المستويين الصوتي والصرفي والذي ينتج عنه تعدد اللغات هنا وهناك، فمن ذلك على وجه الإجمال ((سألت عيسى بن عمر فقال: جُجّر لغة أهل الحجاز وُجُجّر لغة سفلَى مضر))⁽¹⁾، ومنه ((المحدّثون يقولون: لُمُظّة بالفتح فأما كلام العرب

(8) المصدر نفسه، 223/1 (جدا)

(9) النهاية، 147/2 (ديث)

(10) المصدر نفسه، 40/5 (نرمق)، وغريب ابن الجوزي، 32/1، وينظر: غريب ابن قتيبة، 385/1

(11) غريب القاسم، 157/1 (زهر)

(1) النهاية، 301/2 (نرمق)

(2) المصدر نفسه، 420/2 (سور)

(3) ينظر: موقف اللغويين القدماء من اللهجات، 13

(4) ينظر: الصاحبى لابن فارس/41، والمزهر، 211/1، 212، والاقتراح، 56، 57، والأصول، د: تمام حسان، 94، 95

(5) مجالس ثعلب، 10/1، وينظر: المزهر، 211/1

(1) غريب الحربي، 232/1



فالضم))⁽²⁾، و((يقال: قَلَاه يَقلِيه قَلِي... وَيَصْلَاه: لغة طييء))⁽³⁾، ومن ذلك ((قولهم: جَزَاهُ الله خيراً... وبنو تميم يقولون: أَجْزَأْتُ))⁽⁴⁾، ومنه ((عليكم بالأسود منه فَإِنَّهُ أَيُطْبَهُ، هي لغة صحيحة فصيحة في أطييه كجذب وجذب))⁽⁵⁾، و((أما أهل اليمن فيقولون: رَحْمَتُهُ رَحْمَةٌ في معنى رحمته))⁽⁶⁾.

2- التغير في دلالة الصيغة:

يحصل الاختلاف في دلالة الصيغة أو اللفظة بسبب التغير في حركة، أو حرفٍ منها فكل حركة أو حرف معنى خاص بهما كما هو المعروف، إلا أن ما يجلب الانتباه في هذا الموضع وشكل ظاهرة واضحة في مصنفات غريب الحديث هو اختصاص بعض اللغات العربية دون غيرها باختيار مفردات خاصة بها، أو معانٍ خاصة للفظ مشتركة، وهو ما عُرف بالترادف، أو الاشتراك اللفظي، وكما في الشواهد الآتية، فمن الأول ((أهل اليمن يسمون الحاذق بالشيء ظريفاً))⁽⁷⁾، ومنه ((أهل هجر وناحيتها يقولون للمجنون مشعوف))⁽⁸⁾، و((أهل اليمن يسمون الأبرار التفرده))⁽⁹⁾، و((الكعيت وهو عصفور وأهل المدينة يسمونه النُغر وقيل البلبل))⁽¹⁰⁾.

ومن الثاني ((السليط: دهن الزيت وهو عند أهل اليمن دهن السمسم))⁽¹¹⁾، و((قول أهل العراق يرون الأقراء الحيض، وبيت الأعشى فيه حجة لأهل الحجاز لأنهم يرون الأقراء: الأطهار في العدة))⁽¹²⁾، ومنه ((الركاز: المعادن قول أهل العراق، وقال أهل الحجاز هي كنوز أهل الجاهلية))⁽¹³⁾.

3- التغير التركيبي:

ويقصد به المسائل النحوية التي حاول فيها بعض اللغويين ولا سيما النحاة تخريجها على رأي قبيلة خاصة⁽¹⁴⁾، وقد أشار مصنفو الغريب - هنا - إلى شيء يسير منها نسبوه إلى اللغات العربية فمن ذلك في حديث ابن مسعود ((ما مُصَلَّى لامرأة أفضل من أشد مكان في بيتها...))⁽¹⁾... ((أفضل إما أن يُنصب على لغة أهل الحجاز أو يرفع على لغة بني تميم))⁽²⁾، ومنه في حديث الدجال: ((إنه تلذه أمه فيحملن النساء بالخطائين))⁽³⁾... ((قوله: يحملن النساء على لغة من يقول: أكلوني البراغيث...))⁽⁴⁾.

ثانياً: ترجيح اللغات:

ذُكر في بداية الموضع أن العلماء المختصين فاضلوا بين اللغات العربية على أساس الفصاحة وعلوها عن عيوب الأداء التي حدّوها، وقد تواضعوا على ضوابط وموازن الترجيح الفصيح على غيره، واتخذوا لذلك الترجيح طريقتين:

الأول: الترجيح من دون تعليل: إذ اتخذ أصحاب الغريب في هذا الترجيح ألفاظاً عبّرت عن مقاصدهم مدحاً أو ذمّاً.

(2) غريب القاسم، 460/3 (لمظ)

(3) النهاية، 105/4، 106

(4) المصدر نفسه، 270/1 (جزا)

(5) نفسه، 297/5 (يطب)

(6) غريب ابن قتيبة، 680/3

(7) الفائق، 376/2، وينظر: النهاية، 157/3 (ظرف)

(8) الفائق، 87/3 (فتن)

(9) النهاية، 192/1 (تقد)

(10) المصدر نفسه، 179/4 (كعت)

(11) نفسه، 389/2 (سلط)

(12) غريب القاسم، 335/4 (قرء)

(13) غريب ابن قتيبة، 190/1، وينظر: غريب ابن الجوزي، 67/1

(14) ينظر: في اللهجات العربية، د: أنيس، 81

(1) الفائق، 119/1 (بعل)

(2) المصدر نفسه

(3) النهاية، 44/2 (خطأ)

(4) المصدر نفسه



فمن الأولى: ألفاظ الفصاحة وما يوافقها: كقولهم: ((هي لغة فصيحة))⁽⁵⁾، و((لغة صحيحة فصيحة))⁽⁶⁾، و((والأفصح))⁽⁷⁾، و((أصح وأفصح))⁽⁸⁾، وفي معنى الفصاحة ((واللغة العالية))⁽⁹⁾، و((المعروفة الجيدة))⁽¹⁰⁾، و((اللغة الجيدة))⁽¹¹⁾، و((والفتح أجود))⁽¹²⁾، و((لغة جمهور العرب))⁽¹³⁾، و((والقياس التسكين))⁽¹⁴⁾، وبعض هذه الألفاظ في دلالتها على الفصاحة أزيد من غيرها ومثلها قولهم: ((والفتح أجود وأكثر في كلام العرب))⁽¹⁵⁾، و((وهو أجود اللغتين وأكثرهما))⁽¹⁶⁾.

ومن الثانية: ألفاظ تدل على رداءة اللغة أو عدم فصاحتها أو قلتها وندورتها وألفاظ أخرى قريبة من هذا المعنى. فمن ذلك ((هي لغة رديئة))⁽¹⁷⁾، و((ليس من قديم الكلام وفصيحة))⁽¹⁸⁾، و((لغة فيه قليلة))⁽¹⁹⁾، و((لغة متروكة))⁽²⁰⁾، و((وليس بشيء))⁽²¹⁾، و((ليست بالعالية))⁽²²⁾، وفي كلا الوصفين قد يكون الترجيح مقروناً باسم القبيلة أو مكانها، وقد يكون بالحركة أو الحرف الأفصح أو خلافه. فمن ذلك: ((سمعت بعض قيس يقول: هو رجل سوء ورجلان سوءان... وأكثر الاستعمال على الإضافة تقول: رجل سوء))⁽¹⁾، و((...الغيرات.. اجتمعوا فيها على لغة هذيل... والقياس التسكين))⁽²⁾، و((على تخوف... والعرب تقول: تحوفته بالحاء... فهذا الذي سمعت))⁽³⁾، و((قص وهو المستعمل في كلام العرب... والعامة تقول: قس... وهو خطأ))⁽⁴⁾، و((يروى بالضم والفتح وهما بمعنى والفتح أقل اللغتين))⁽⁵⁾.

الثاني: الترجيح مع التعليل: وقد يقع الباحث على شيء من التعليل يذكره علماء غريب الحديث عند ترجيحهم لغة على لغة أخرى على وفق الضوابط أو الأسس التي جروا عليها لتحديد الفصح من غيره فمن ذلك ((يشتدّن هكذا جاء بدال واحدة... هو قبيح في العربية، لأن الإدغام إنما جاز في الحرف المضعف لما سكن الأول وتحرك الثاني، فأما مع جماعة النساء فإن التضعيف يظهر... فنقول: يشتدّن))⁽⁶⁾... فأما ((يشتدّن... فيمكن تخريجه على لغة بعض العرب من بكر بن وائل يقولون: ردت ورتت، وردن... قال الخليل: كأنهم قدروا الإدغام قبل دخول التاء والنون، فيكون لفظ الحديث يشتدّن))⁽⁷⁾، ومن ذلك ((قصص زوره... وفيه لغة أخرى قص، وهو المستعمل في الكلام، فأما قصص، فإنه لأهل الحجاز، والعرب تقول في مثل هذا: ألزم لك شغرات قصصك وقصك... والعامة: تقول: قس الشاة، وهو خطأ))⁽⁸⁾، ومنه ((قال الفراء: حتى لغة قريش وجميع

(5) النهاية، 82/1 (أوى)، وينظر: 84/1 (أهل)

(6) المصدر نفسه، 297/5 (يطب)

(7) غريب الحديث في بحر الأنوار، 24/3 (عجز)

(8) المصدر نفسه، 116/4، والنهاية، 169/5 (ودا)

(9) غريب ابن قتيبة، 486/1، وغريب ابن الجوزي، 112/2، وينظر: مثلها غريب الحديث في بحر الأنوار، 185/3 (فرق)

(10) غريب ابن قتيبة، 583/2

(11) النهاية، 376/3 (غفا)

(12) غريب القاسم، 25/2 (ثلغ)

(13) غريب الحديث في بحر الأنوار، 169/1 (تبت)

(14) النهاية، 329/3 (عير)

(15) غريب القاسم، 345/4 (غرب)

(16) المصدر نفسه، 456/4 (شجب)

(17) النهاية، 84/1 (أهل)

(18) المصدر نفسه، 117/1 (برر)

(19) النهاية، 277/1 (جفا)، و336/2 (سبع)

(20) غريب القاسم، 121/1، والنهاية، 76/3

(21) النهاية، 76/1 (أتق)

(22) غريب الحديث في بحر الأنوار، 82/1 (أوق)

(1) الفائق، 385/1 (دور)

(2) النهاية، 329/3 (عير)

(3) غريب العربي، 834/2

(4) غريب ابن قتيبة، 551/2

(5) غريب الحديث في بحر الأنوار، 289/2 (شرب)

(6) النهاية، 452/2 (شدد)

(7) المصدر نفسه

(8) غريب ابن قتيبة، 551/2



العرب إلا هذيلاً وثقيفاً فإنهم يقولون: عتّى⁽⁹⁾، وعندما بلغ عمر (رضي الله عنه) أن ابن مسعود كان يُقرئ الناس ((عتى حين))، أمره أن يقرئ الناس بلغة قريش، لأن القرآن لم ينزل بلغة هذيل⁽¹⁰⁾. ففي هذه النصوص ألفينا علماء الغريب يُسوِّغون لما يُرجِّحون متذرعين بجملة من المعايير منها موافقة العربية التي تسالموا على كمالها ودقتها، فأما ما خالفها فهو قبيح وإن صدر عن بعضهم، إلا أن الذي جرى في النص الثاني أن بعضهم احتكم إلى الاستعمال، الذي يُعدُّ عند اللغويين المحدثين عنصراً جوهرياً في تحديد أو ترجيح الدلالة⁽¹¹⁾، ويبدو أن هذا التحديد كان منسجماً مع كثرة الاستعمال وشيوعه، فضلاً على الاستعمال القرآني الذي عُدَّ معياراً أصيلاً، ومحتكماً وثيقاً في هذا التحديد والترجيح.

المبحث الثالث

منشأ الغرابية في كتب غريب الحديث

أولاً: مفهوم الغريب في هذه المصنّفات:

لقد تفاوتت جهود المحدثين في دراسة الغريب، فالبخاري ت(256 هـ) ومسلم ت(261 هـ) يختلف منهجهما إزاء غريب الحديث، لأن هذا الفن يتصل بفقه الحديث، فقد عُني البخاري بتوضيح الغريب وتكلم فيه لأنه داخل في موضوع كتابه وغرضه بخلاف مسلم الذي لم يتعرض للغريب، لأنه لم يقصد الفقه في كتابه.

وأما الترمذي ت(279 هـ)، فقد أولى هذا الفن عنايته، فشرح المفردات والتراكيب الصعبة، سالكاً طريق الاختصار، مقتصراً على المعنى الصحيح، فنقل في كثير من المواضع كلام الأئمة معتمداً عليه، وقد يحكي اختلافهم في المسائل المهمة⁽¹⁾.

وخصَّص ابن حجر العسقلاني الفصل الخامس من مقدمته ((فتح الباري)) بالألفاظ الغريبة ورتبها على حروف المعجم فأجاد وأفاد⁽²⁾.

وظهر جلياً اهتمام علماء الحديث بمفهوم الغريب، فقد ذكر السمعاني ت(562 هـ) أنه: ((إذا روى المملي حديثاً فيه كلام غريب فسره أو معنى غامض بيّنه وأظهره))⁽³⁾.

وقد نُقل عن الحافظ عبد الرحمن بن مهدي قوله: ((لو استقبلت من أمري ما استدبرت لكتبت بجانب كل حديث تفسيره))⁽⁴⁾، وعقَّب السمعاني على ذلك قائلاً: ((ولا يجوز للمملي أن يفسر إلا ما عرف معناه، أما ما لم يعرفه فيلزمه السكوت عنه))⁽⁵⁾.

وركّز ابن كثير ت(774 هـ) في بيان أهمية معرفة غريب الحديث، لأنه يراه من المهمات المتعلقة بفهم الحديث والعلم والعمل به لا بمعرفة صناعة الإسناد وما يتعلّق به⁽⁶⁾.

تظهر من هذه النصوص وغيرها عناية المحدثين الفائقة بمعرفة غريب الحديث والتحري في فهمه من مظانه، وقد جعلوا تلك المعرفة ضرورة علمية وتربوية زيادة على أهميتها القصوى في توثيق المعاني وتحقيقها.

أما دارسو علوم القرآن، فقد خاضوا في غريبه، وقد استقرّ منهجهم على أن معرفة العربية والدراسة بالغريب لازمة للمفسر، وإلا فلا يحلّ له الإقدام على كتاب الله سبحانه، وقد عقد الزركشي ت(794 هـ) فصلاً في كتابه ((البرهان)) عن معرفة غريب القرآن، يتضح فيه مفهوم الغريب عنده إذ يحدّده في معرفة المدلول أو معاني الألفاظ والتراكيب، وفهم المشكل وفاقاً لقواعد العربية ودلالات ألفاظها وشواهد رواياتها، وأن الغريب يدور هاهنا حول ما غمض لفظه وبعد معناه أو أشكل⁽¹⁾.

(9) الفائق، 330/2 (عتى)

(10) ينظر: المصدر نفسه

(11) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د: علي زوين/91

(1) ينظر: الإمام الترمذي والموازنة بين جامع وبين الصحيحين، د: نور الدين عتر/129

(2) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المقدمة/89-269

(3) أدب الإملاء والاستملاء، للسمعاني/60

(4) المصدر نفسه/61-62

(5) نفسه

(6) ينظر: اختصار علوم الحديث (الباحث الحديث)، لابن كثير/200

(1) ينظر: البرهان، 291/1



ومعرفة المدلول كما عَبَّرَ عنها الزركشي ، هي التي شرح بها السيوطي ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ((أعربوا القرآن والتمسوا غرائب)) بأنها معرفة معاني ألفاظه⁽²⁾

ويتوقف معنى الغرابة عند هؤلاء على إدراك القارئ نفسه، ومدى وضوح معنى اللفظ ودلالته في عقله تبعاً لمحصوله اللغوي ومعرفة بالعربية، فالمفسِّر عند الزركشي يتصيد المعاني من السياق، لأنَّ مدلولات الألفاظ خاصة يحتاج الكاشف عنها إلى معرفة علم اللغة: اسماً وفعلاً وحرفاً⁽³⁾.

أما مفهوم الغريب عند أصحاب غريب الحديث وهو ما يهمننا في هذا الموضع تحديداً، فيمكن تتبعه في كتبهم.

فأبو عبيد القاسم بن سلام صاحب أول كتاب وصل إلينا في غريب الحديث وإن لم ينقل لنا مفهومه للغريب إلا أنَّ منهجه في كتابه يفسِّر المعنى الذي يدور حوله مفهوم الغريب، فهو يوضح اللفظ أو المعنى الذي يجده غريباً معتمداً على ثقافته الواسعة وكثرة مروياته في التفسير⁽⁴⁾ والحديث⁽⁵⁾ والعربية⁽⁶⁾، وكان له اهتمامه الظاهر بالجانب الفقهي واستنباط الأحكام من الأحاديث⁽⁷⁾، وكان - أيضاً - يوضح ما يراه مشكلاً أو مدعاة للطعن في الحديث بالتعارض بين نصين منه⁽⁸⁾.

وقد أكد ابن قتيبة قيمة ما ألفه القاسم بن سلام بقوله: ((وقد كان تعرَّف هذا وأشباهه عسيراً فيما مضى على من طلبه لحاجته إلى أن يسأل عنه أهل اللغة، ومن يكمل منهم ليفسِّر غريب الحديث وفتق معانيه وإظهار غوامضه قليل، فأما زماننا هذا فقد كفى حَمَلَة الحديث فيه مؤوَّنة التفسير والبحث بما ألفه أبو عبيد القاسم بن سلام، ثم بما ألفناه في هذا))⁽⁹⁾.

ولم يذكر ابن قتيبة - أيضاً - في مقدِّمة كتابه تعريفاً محدداً لكنَّه نقل جملة من الأحاديث التي تدور في كتب مشكل الحديث، وحضَّ الطالب والمحدِّث على معرفة معناها حتَّى ((لا يقدر في صدره عارض من الشكوك فيما يدعيه قوم من أهل البدع على أصحاب رسول الله ببتن القرآن ونقصه وتغير كثير منه عن جهته))⁽¹⁰⁾.

أما الخطابي فقد وضَّح معنى الغريب واشتقاقه فقال: ((الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد عن الفهم كالغريب من الناس، إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل، ومنه قولك للرجل إذا نحيتَه وأقصيته: أغرب عني أي ابتعد، ومن هذا قولهم: نوى غربة أي بعيدة، وشأو مُغرب وعناء مُغرب، أي جانية من بُعد، وكل ذلك مأخوذ بعضه من بعض وإنما يختلف في المصادر، فيقال: غَرَبَ الرجلُ يَغْرُبُ غَرْباً إذا تنحَّى وذهب، وغَرَبَ غَرْبَةً إذا أنقطع عن أهله، وغَرِبَت الكلمة غرابةً وغَرِبَت الشمس غروباً)).

ثمَّ بعد أن أورد الأصل اللغوي للغريب أردفه قائلاً: ((ثمَّ أنَّ الغريب من الكلام يُقال به على وجهين: أحدهما أن يُراد به بعيد المعنى غامضه، لا يتناولُه الفهم إلا عن بُعد ومعاناة فكر، والوجه الآخر أن يُراد به كلام من بُعدت به الدار ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغرَبناها، وإنما هي كلام القوم وبياناتهم، وعلى هذا ما جاء عن بعضهم، وقال له قائل: أسألك عن حرفٍ من الغريب، فقال: هو كلام القوم، وإنما الغريب أنت وأمثالك من الدُّخلاء فيه. أخبرني الحسن بن خالد أنَّ ابن دريد قال: قال أبو زيد: قلت لأعرابي: ما المحبِطِيء

(2) الإتيان، للسيوطي، 149/1

(3) ينظر: البرهان، 291/1، الاتقان، 150/1، ومعجم غريب الحديث والأثر، 16/

(4) ينظر مثلاً: 46-44/1 (فرط)، و 14/2 (منى)

(5) ينظر مثلاً: 69-66/1 (سقى)، 344-341 (زمر)

(6) ينظر مثلاً: 72-71/1 (حمل)، ومعظم مروياته لغوية وقد روى كثيراً عن الأصمعي وأبي عبيدة

(7) ينظر مثلاً: 302-301/3 (غيل)، و 347 (مضغ)

(8) ينظر: 23-22/3 (معى)

(9) غريب ابن قتيبة، 150/1

(10) المصدر نفسه، 148/1



؟ قال: المتكأكيء، قلت: ما المتكأكيء ؟ قال: المتأزف، قلت: وما المتأزف؟ قال: أذهب فانت أحمق⁽¹⁾.

فالخطابي عرض مفهومه للغريب - هنا - وقد يجد الباحث ضالته في ما أورده، فهو على ما ظهر أكثر تفصيلاً من صاحبيه أبي عبيد وابن قتيبة، ولعله أكثر تفصيلاً من المتأخرين ممن ولج هذا الباب.

وسنقف على هذا الذي ذكره أبو سليمان عسى أن ينفعنا في تحديد مفهوم الغريب، ولكن قبل ذلك، ولكي تكتمل الصورة في ذهن الباحث يلزم مراجعة غيره ممن تأخر عنه من أهل الغريب بغية استكناه أقوالهم في هذا الموضوع ومن ثم الوصول إلى ما نهدف إليه أو ما يُقَرَّب منه.

فإذا تجاوزنا أمات كتب غريب الحديث، وهي هذه الثلاثة نجد بعد ذلك أن أبا عبيد أحمد بن محمد الهروي يحدّد في مقدمة كتابه ((الغريبين)) غرضه من مؤلفه هذا فيقول: ((وكتابي هذا لمن حمل القرآن وعرف الحديث ونظر في اللغة ثم احتاج إلى معرفة غرائبها))⁽²⁾.

فمفهوم الغرابة عنده يشمل إلى جانب الغموض والبعد هدفاً لغوياً آخر يدخل في دائرة التصنيف المعجمي، وأهم سماته عنده سهولة الترتيب وقرب المأخذ وصولاً إلى فهم المعنى⁽³⁾.

وأما صاحب ((الفائق)) الزمخشري، فذكر في مقدّمة كتابه ما نصّه :

((وقد صنّف العلماء رحمهم الله في كشف ما غرّب من ألفاظه واستبهم وبيان ما اعتاص من أغراضه واستعجم))⁽¹⁾.

وأما صاحب ((المجموع المغيبي في غريب القرآن والحديث)) أبو موسى الأصفهاني ت(581 هـ)، فقد تابع الهروي صاحب ((الغريبين)) منهجاً وغاية، قال: ((وخرّجت كتابي على ترتيب أبي عبيد سواء بسواء وسلكت طريقه حدو النعل بالنعل في إخراج الكلم في الباب الذي يليق بظاها لفظها وإن كان اشتقاقها مخالفاً لها))⁽²⁾.

ويظهر أن ابن الجوزي ت(597 هـ) يُرجع الغرابة إلى خفاء المعاني على الأجيال التي تلت عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته وتابعيهم، بعد فشو اللحن بسبب مخالطة الأعاجم قال: ((فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان عربياً وكذلك جمهور أصحابه وتابعيهم، فوقع في كلامهم من اللغة ما كان مشهوراً بينهم، ثم وقعت مخالطة الأعاجم ففشي اللحن وجهل جمهور الناس معظم اللغة فافتقر ذلك الكلام إلى التفسير))⁽³⁾.

وقريب من ذلك ما ذكره ابن الأثير ت(606 هـ) في ((النهاية)) مركزاً في بلاغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتمييزه من غيره، مؤيداً بالألطف الإلهية والمعارف الربانية قال: ((فكان الله عز وجل قد أعلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بني أبيه، وجمع فيه من المعارف ما تفرّق ولم يوجد في قاصي العرب ودانيه، كان أصحابه (رضي الله عنهم) ومن يفد عليه من العرب يعرفون أكثر ما يقوله، وما جهلوه سألوه عنه فيوضّحه لهم واستمر عصره (صلى الله عليه وسلم) إلى حين وفاته على هذا السنن المستقيم، وجاء العصر الثاني - وهو عصر الصحابة - جاريّاً على هذا النمط سالكاً هذا المنهج... إلى أن فتحت الأمصار وخالط العرب غير جنسهم من الروم والفرس والحشب والنبط... فاختلطت الفرق وامتزجت الألسن، وتداخلت اللغات ونشأ بينهم الأولاد، فتعلموا من اللسان العربي ما لا بد لهم في الخطاب منه... وتركوا ما عداه لعدم الحاجة إليه... فصار بعد كونه من المعارف مطرحاً مهجوراً))⁽⁴⁾.

(1) غريب الخطابي، المقدمة، 70/1

(2) ج 24/1

(3) المصدر نفسه، قال ابن الأثير: ((ورتبته مقفّى على حروف المعجم على وضع لم يسبق في غريب القرآن والحديث إليه))، النهاية، 8/1

(4) الفائق، 12/1

(2) المجموع المغيبي، 4/1

(3) غريب الحديث، لابن الجوزي، 1/1

(4) النهاية، 4/1 - 5



والألفاظ المفردة عند ابن الأثير على قسمين: ((أحدهما خاص والآخر عام، فأما العام فهو ما يشترك في معرفته جمهور أهل اللسان العربي مما يدور بينهم في الخطاب فهم في معرفته شرع سَوَاءٌ أو قريب من السواء... وأما الخاص فهو ما ورد فيه من الألفاظ اللغوية والكلمات الغريبة الحوشية، التي لا يعرفها إلا من غني بها وحافظ عليها واستخرجها من مظانها - وقليل ما هم - فكان الاهتمام بمعرفة هذا النوع الخاص من الألفاظ أهم ممّا سواه وأولى بالبيان ممّا عداه ومقدّمًا في الرتبة على غيره ومبدؤًا في التعريف بذكره، إذ الحاجة إليه ضرورية في البيان، لازمة في الإيضاح والعرفان))⁽¹⁾.

وبعد أن عرضنا طائفة من أقوال علماء الغريب في هذا الباب ولا سيما الخطابي، الذي كان أكثرهم تفصيلاً وأقربهم تحديداً لمفهوم الغريب، يمكن القول إنّ مفهوم الغريب في سياق عباراتهم يعني الخفي الغامض والبعيد من الفهم والمشكل الذي يحتاج إلى بيان، ونتلمس من عبارتهم - أيضاً - أنّ من أسباب الغرابة عندهم قلة الاستعمال الناتجة عن هجر وطرح كثير من الألفاظ التي كانت مشهورة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته في العصور التالية وتحديداً بعد فتح الأمصار ومخالطة العرب لغيرهم، ثمّ امتزاج الألسن وتداخل اللغات ممّا أدّى إلى فشو اللحن وجهل الناس معظم اللغة، فافتقر ذلك الكلام إلى تفسير، وهذا هو المفهوم من كلام ابن الجوزي وابن الأثير. والذي يتأمل قول الخطابي في هذا الباب يجده يُشير إلى تطور اللغة تبعاً للتطور الاجتماعي، فعموم معنى الغريب، إنّما هو الغامض البعيد عن الفهم والإدراك، وقد قارن الخطابي بين هذا المعنى وبين معنى الغربة عن أهل والتثنية ثمّ البعد المكاني، فالأصل واحد، وقد تواردت عليه كل هذه المعاني، وعليه فالخطابي يُقسم الغريب إلى نوعين:

النوع الأول: نوع يقصد به الغامض في المعنى، الصعب الفهم وهو مصطلح يتصل بدلالة المفردات ويعني أنّ الكلمة غير واضحة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال، وهذا لا يؤدي الغرض الذي وضعت الألفاظ من أجله، قال ابن سنان الخفاجي: ((إنّ غرابة الألفاظ لا تدلّ على المقصود، لأنّ الألفاظ مبنية على الكشف الواضح، موضوعاً للبيان الظاهر، والغرض بها السلامة من الغامض))⁽²⁾.

النوع الثاني: الغريب بالنسبة لعصره المعروف لأهله، والمقصود منه لغات القبائل التي عاشت في البداية، وعُرفت بالفصاحة، ممّن ذهب إليهم اللغويون ليأخذوا اللغة عنهم، فعندما تصل إلينا مثل هذه اللغة نستغرب كثيراً من ألفاظها ونحتاج معها إلى بيان وتوضيح ومعانة فكر.

ويظهر أنّ هذا المعنى هو المفهوم عند البلاغيين، فهم يخصّون بمصطلح الغرابة الكلمات التي لا يُعرّف معناها إلا بالبحث والتنقيب في المظان وبطون الكتب أو عند رواة اللغة⁽³⁾.

إلا أنّ هناك ميادين متسعة يتصل بها مفهوم الغريب، وقد يقع الباحث على جملة من الألفاظ كلها تدور في فلك الغريب كالحوشي أو الوحشي والمشكل والشاذ والنادر.

قال الجوهري: ((الحُوشِيّ: الوحشيّ وحُوشِيّ الكلام: وحشيّه وغريبه ورجلٌ حُوشِيّ: لا

يخالط الناس وفيه حُوشِيّة))⁽¹⁾.

وأما ابن فارس في ((الصاحبي)): باب مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله، فواضح الكلام عنده: ما يفهمه كلّ سامع عَرَفَ ظاهر كلام العرب، وأمّا مشكله فالذي يأتيه الإشكال من عدة وجوه منها غرابة لفظه⁽²⁾.

وعند ابن رشيق ت(456 هـ): ((الوحشيّ من الكلام ما نفرَ عن السمع، ويُقال له أيضاً حُوشِيّ... قال: وإذا كانت اللفظة حسنة مستغرّبة لا يعلمها إلا العالم المبرز، والإعرابي القحّ فتلك

(1) النهاية، 4/1

(2) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 59/1982

(3) ينظر: المصدر نفسه/66-68، والمزهر: 147/1

(1) الصاحح، 190/3 (حوش)

(2) الصاحبي/74



وحشيّة⁽³⁾)). والغرائب عنده: ((جمع غريبة، وهي بمعنى الحُوشي، والشوارد جمع شاردة وهي أيضاً بمعناها⁽⁴⁾)).

ويرى السيوطي في النوع الثالث من مزهره في الباب الذي خصّسه لمعرفة الحوشي والغرائب والشوارد والنوادر أنّ هذه الألفاظ متقاربة وكلها خلاف الفصيح⁽⁵⁾. ويظهر لنا من مجمل ما عُرض من أقوال العلماء أنّهم يختلفون في مفهوم الغريب، فمنهم من وجّه معنى الغرابة إلى الغموض وعدم وضوح المعنى وصعوبته، ومنه ما يتصل بالاستغراب الناتج عن البعد المكاني لبعض القبائل العربية البدويّة الفصيحة، التي صدرت عنها طائفة من المفردات، نقلها رواة اللغة، ولم يقعوا على معانيها إلا بعد بحثٍ وتنقيب، وهذا ظاهر كلام الخطابي، ولم يبعد كلام ابن فارس عن هذا المفهوم فمشكل الكلام عنده يأتي من وجوه منها غرابة اللفظ أي عدم وضوحه.

وما نُقل عن ابن رشيق وابن سنان في هذا الموضوع لا يكاد يختلف إجمالاً عمّا ذكره الخطابي وابن فارس، إلا أنّ الذي عرضه السيوطي - هنا - يحتاج إلى وقفة وتأمل، فهو قد وضع الغريب مع جملة من المصطلحات هي الحوشي والشاذ والنادر، ثمّ نصّ على أنّها ((خلاف الفصيح)). وإذا وافقنا السيوطي أنّ دلالات هذه الاصطلاحات متقاربة، فلا يمكن موافقته على أنّها خلاف الفصيح، بهذا الإطلاق، لأنّ مثل هذا الوصف إذا صحّ على بعض كلام العرب، فلا يصحّ على القرآن أو الحديث النبوي الشريف.

فأمّا غريب القرآن، فيتّضح الاهتمام به من خلال بحوث إعجاز القرآن التي عُيّنت بالنص القرآني محاولةً تحديد علله وأسبابه التي تقنع الباحثين، فالخطابي أدلى بدلوه في هذا المضمار - أيضاً - فهو في كتابه ((بيان إعجاز القرآن))، يرى أنّ هناك أسباباً ذاتية في القرآن تجعله يتصفّ بهذا الإعجاز، فالقرآن الكريم ((إنما صار معجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمناً أصح المعاني⁽¹⁾)).

فقد اجتهد هذا العلامة في تفصيل الخصائص التي يصبح بها الكلام بليغاً واللفظ فصيحاً ليتسنى للمتلقي معرفة الفرق بين النص الكريم وكلام البشر، فيتّضح الإعجاز القرآني الذي يمتاز عن كلام البشر.

ومّا يُحسن ذكره في هذا الموضوع أنّ الخطابي نبّه على شيءٍ جديد في الأسلوب غير اللفظ والمعنى ذلك هو النظم ليصرف علماء البلاغة عن تلك البحوث إلى بحث أصيل تجب مراعاته⁽²⁾، فقد بنى أهميّة خاصة على هذا الجانب من نظم القرآن وإعجازه البياني، فليس غريب القرآن وحده، أو لفظه هو سرّ إعجازه، فلفظه ممّا تلوكه الألسن وتتكلمه العرب، وهو مبذول للناس، لكنّ السرّ يكمن في نظمه المعجز الذي يرجع في رأي الخطابي إلى التأليف، قال: ((ولم تقتصر فيما اعتمدنا من البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التي منها يتركب الكلام دون ما يتضمّنه من ودائعه التي هي معانيه وملابسه التي هي نظوم تأليفه⁽³⁾)).

ويظهر أنّ ذلك هو ما فسّر نظرة هذا العلامة إلى اللفظ الغريب حين أراد أن يكمل ملامح نظريته في إعجاز القرآن، فالمتملّ على وفق رأيه يجدّ ((معظم كلامه مبنياً ومولفاً من ألفاظٍ مبتدلة في مخاطبات العرب مستعملة في محاوراتهم، وحظ الغريب المشكل منه بالإضافة إلى الكثير من واضحه قليل وعدد الفقر والغرر من ألفاظه بالقياس إلى مبادلته ومراسيله عدد يسير فكيف يتوهم عليهم العجز عن معارضته والإتيان بمثله⁽⁴⁾)).

(3) العمدة/1015، والمزهر، 233/1، 234

(4) العمدة/1015، وينظر: المزهر، 234/1

(5) المزهر، 233/1

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن/24

(2) ينظر: أثر القرآن في تطور النقد العربي، د: محمد زغلول سلام/260، ومعجم غريب الحديث والأثر، د: السيد الشراوي/30، 31

(3) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن/32

(4) المصدر نفسه/32



وقد أجاب عن هذا الإشكال بالإحالة على ما قدمه من شروط البلاغة التي أقام عليها فهمه للإعجاز وفحواها أنه لا يقتصر في ذلك على الألفاظ من دون المعاني ونظوم التأليف⁽⁵⁾.

ويأتي كلام الخطابي هذا على الغريب في سياق ردّه على بعض المخالفين، وفي تأييد نظريته في الإعجاز قال: ((وما ذكروه من قلة الغريب في ألفاظ القرآن الكريم بالإضافة إلى الواضح منها، فليس الغرابة مما شرطناه في حدود البلاغة، وإنما يكثر وحشي الغريب في كلام الأوحاش من الناس والأجلاف من جفاة العرب الذين يذهبون مذاهب العنجهية ولا يعرفون تقطيع الكلام وتنزيله والتخير له، وليس ذلك معدوداً في النوع الأفضل من أنواعه، وإنما المختار من النمط الأقصد الذي جاء القرآن وهو الذي جمع البلاغة والفخامة والعذوبة والسهولة))⁽⁶⁾.

وقد كان الجاحظ أسبق من الخطابي في بيان أن غرابة اللفظ متعلقة بحال المتكلم، قال: ((وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً وساقطاً سوقياً فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقى وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات))⁽¹⁾.

والموقف من الغريب الوارد في الحديث يختلف - أيضاً - عن هذا الذي نصّ عليه الجاحظ في غرابة اللفظ.

فالجاحظ نفسه يعبر عن هذا الموقف في حديثه على كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو يصفه بأنه ((الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، وكان كما قال الله: «وَمَا أَنَا مِنَ الْمُسَكِّفِينَ»⁽²⁾، فكيف وقد عاب التشديق وجانب أصحاب التعجير واستعمل

المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر وهجر الغريب والوحشي ورغب عن الهجين والسوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حفّ بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق))⁽³⁾.

فينبغي إذن أن يفرّق بين ما يُراد به الكلام العادي وما يُطلق على القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهذا ما نصّ عليه بعض المتأخرين، إذ قال: ((الغريب قسمان، حسن وقبيح، فالحسن هو الذي لا يُعاب استعماله على العرب لأنه لم يكن وحشياً عندهم... وهو في النظم أحسن منه في النثر ومنه غريب القرآن والحديث))⁽⁴⁾، وزبدة القول هنا إن غرابة اللفظ في القرآن أو الحديث الشريف تعني لطافته وجزالته وبلاغته ومثل هذا الغريب لا ينبغي أن يُقرن بكلام جفاة العرب الذين لا يعلمون تقطيع الكلام وتنزيله والتخير له.

فإذا كان هذا شأن غريبي القرآن والحديث، فهل يُعدّ ما عدهما من الغريب مجانباً لخصائص اللفظ الفصيح؟ وهو ما ذكره بعض العلماء ونقله السيوطي.

قد يقع الباحث على جواب لمثل هذا التساؤل إذا ما وقف على طائفة من أقوال العلماء ولا سيما المتخصّصين بالدراسات البلاغية الذين عرضوا لهذا الباب فإذا ما عُدنا إلى الجاحظ الذي يُعدّ عند بعضهم رائداً للدراسات البلاغية المنظمة⁽⁵⁾ نجده - مثلاً - يسوق عبارة ليحيى بن يعمر وهي مشحونة بألفاظ غريبة ثم يُعقّب عليها بقوله: ((فإن كانوا إنما رَوَوْا هذا الكلام لأنه يدلّ على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة، وإن كانوا إنما دَوَّنوه في الكتب وتذكروه في المجالس لأنه غريب، فأبيات من شعر العجاج وشعر الطرمّاح وأشعار هذيل تأتي لهم مع حسن الرّصف على أكثر من ذلك))⁽¹⁾.

(5) ينظر: نفسه/32، ومعجم غريب الحديث والأثر/31

(6) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن/34

(1) البيان والتبيين، 110/1

(2) ص/76-75 من هذا الفصل

(3) البيان والتبيين، 28/2

(4) شرح عقود الجمان للمرشدي، 12/1

(5) معجم غريب الحديث والأثر/34

(1) البيان والتبيين، 240، 239/1



إنَّ نصَّ الجاحظ هذا يوجِّه عناية المتلقي إلى أنَّ هناك نوعاً من الغريب مستكره ومُعَمَّى لا يؤدي وظيفة التوصيل المنوطة باللغة فقول يحيى محلَّ الشاهد هنا ((إن سألته ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضلها))، لو خوطب به الأصمعي لجَهَلَ بعضاً منه، كما يظنَّ الجاحظ ولا تليق بأخلاق الكُتَّاب ولا بآدابهم⁽²⁾.

فعلى الكاتب أو المؤلف أو الأديب الذي يتصدر الخطاب أن يراعي مستوى المخاطبين ويكلِّمهم على قدر عقولهم وبما يفهمون، فالفصاحة أو البلاغة واقعة في ألفاظ يحيى ولم يكن قوله بدعاً من القول واختراعاً من مخيلته إنما هي ألفاظ استعملها العرب ونطق بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)⁽³⁾، ولكنها لم تقع في محلها أو زمانها المناسب فحملت هذا الغموض والإبهام الذي أشار إليه الجاحظ.

ويظهر أنَّ فريقاً آخر من الدارسين يَعدُّ الغرابة أمراً نسبياً⁽⁴⁾، فقد نقل لنا السيوطي في مزهره أنَّ ((الغرابة هي أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج في معرفتها إلى أن يُنقَر عنها في كتب اللغة المبسطة))⁽⁵⁾.

لكنَّ السيوطي لم يترك هذا القول على إطلاقه بل ينقل عن الشيخ بهاء الدين السبكي (ت 773 هـ) استدراكاً مفاده أنَّ الغرابة - هنا- ينبغي أن تحمَّل على ما صدر عن العرب ((العرباء لا بالنسبة إلى استعمال النَّاس وإلا لكان جميع ما في كتب الغريب غير فصيح، والقطع بخلافه))⁽⁶⁾، ومن ثمَّ فليس غريب القرآن أو غريب الحديث يستقلُّ بصفة الفصاحة المشار إليها، بل من غريب كلام العرب ما يملك هذه الصفة.

وقد ذهب بعض اللغويين ولا سيما البلاغيين منهم إلى أنَّ الغرابة قد تطلبُ أحياناً لذاتها وتُعدُّ حينئذٍ من أساليب البلاغة فالباقلاني في كتابه ((إعجاز القرآن)) يُشير إلى أنَّ أهل الصنعة ويعني بهم أهل النقد ودارسي البلاغة ممَّن يهتمُّون بتمييز الفصيح من غيره تختلف اختياراتهم في تمييز نوع الفصيح، فمنهم من يختار الكلام المتين والقول الرصين، ومنهم من يختار الكلام الذي يروق ماؤه أي: الذي يكون قريب المعنى غير عويص اللفظ ولا مبهم المعنى، وآخرون يختارون ما غمض معناه وعرَّب لفظه فلا يقع اختيارهم على ما سهل على اللسان وسبق إلى البيان⁽⁷⁾، وقال في موضع آخر ((وقوم يميلون إلى الرصين من الكلام الذي يجمع الغريب والمعاني... ومنهم من يختار الوحشي من الشعر))⁽¹⁾، وقد نصَّ على أنَّهم إنما اختاروا الغريب لغرضٍ لهم في تفسير ما يشتهبه على غيرهم وإظهار التقدم في معرفته. وقد علَّق على لفظة غريبة وردت في بيتٍ لامرئ القيس بقوله: ((أغرب بهذه اللفظة الوحشية وليس في ذكرها فائدة، واللفظ الغريب قد يحمَد إذا وقع موقع الحاجة في وصف ما يلانمه كقوله تعالى: ﴿عَبُوسًا قَنَطَرِيًّا﴾⁽²⁾، وإما إذا وقع في غير هذا الموضع فهو مذموم))⁽³⁾.

فزبدة القول هنا أنَّ الغرابة التي تجيء في غير النصوص أو الألفاظ القرآنية أو الحديثية لا تتعارض والفصاحة، إنما يُراد منها إذا طلبت أن تقع موقع الحاجة وتلائم الغرض أسوة بغريبي القرآن والحديث.

ينبغي - هنا - التريث ثمَّ تأمل مسألة جوهرية في هذا الباب، لها تحكُّم في قضية الغرابة هذه ألا وهي كثرة الاستعمال أو قلَّته.

(2) المصدر نفسه

(3) ينظر: النهاية، 440/2 (طل)، 136/3 (شبر)

(4) ينظر: معاجم غريب الحديث والأثر، 35

(5) المزهر، 186/1

(6) المصدر نفسه، 149/1، وينظر: عروس الأفراح للسبكي، 88/1

(7) ج1، 200، 201، وينظر: معاجم غريب الحديث والأثر، 36

(1) إعجاز القرآن، 204/1

(2) الإنسان، 10

(3) إعجاز القرآن، 204/1-207



ولقد ظهر أنَّ من أسباب الغرابة عند مصنّفي الغريب قلة الاستعمال الناتجة عن هجر وطرح كثير من الألفاظ التي كانت مشهورة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته من الأجيال التي تلت عصرهم، للأسباب التي ذُكرت في موضعها (4). ويرى لغويون آخرون أنَّ قلة الاستعمال التي أدّت إلى الغرابة معناها قلة استعمال اللفظة لذلك المعنى لا لغيره (5).

وتفسير ذلك أن تكون اللفظة وحشيّة غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال (6). فأما كون اللفظ حُوشياً، فقد زاد القزويني في شروط فصاحة اللفظ: ((خلوصه من الكراهة في السمع، بأن يَمِجَّ الكلمة وينبو عن سماعها، كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة، فإنَّ اللفظ من قبيل الأصوات منها ما تستلذ النفس بسماعه ومنها ما تكره سماعه، كلفظ الجرشي في قول أبي الطيب:

... كريم الجرشي شريف النسب (7)

أي كريم النفس، وهو مردود، لأنَّ الكراهة لكون اللفظ حُوشياً فهو داخل في الغرابة (8). وكون الكلمة فصيحة عند القزويني أن يكون استعمالها عند العرب الموثوق بعربيّتهم كثيراً أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها (9). وقد ساق اللغويون فضلاً على كثرة الاستعمال أو قلّته في تحديد الفصاحة ما يعود إلى مطابقة القياس.

ويبدو أنَّ ما نصَّ عليه العلماء في شرط الفصاحة وهو كثرة الاستعمال، وعدم مخالفة القياس قد يرتدّ عليهم إذا ما أُريد تطبيقه على بعض الأصول ومنها القرآن الكريم، فقد استعمل القرآن الكريم ألفاظاً لا تتفق مع مقاييس اللغويين كما في لفظ ((استحوذ)) مثلاً. فهل يُقال إنَّ مخالفة القياس إنّما تُخلّ بالفصاحة إذ لم تقع في القرآن الكريم؟ لا يختلف العلماء في هذا الموضع في أنَّ الاستعمال القرآني يعصم اللفظ الوارد فيه من مخالفة القياس الذي نصَّ عليه علماء اللغة، فمخالفة القياس مع قلة الاستعمال، مجموعهما هو المخل، فأما ما ظاهره يبدو مخالفاً للقياس من ألفاظ القرآن، فليس فيه التنافر الذي يتجلّى في غير ألفاظ القرآن، ويؤدّي به إلى الكراهة في السمع.

وبذلك رجعت غرابة اللفظ ومخالفته للقياس إلى اعتبار قلة الاستعمال والتنافر معاً (1). فهل نستطيع القطع بأنَّ كل ما ورد في كتب غريب الحديث فصيح ولا يدخل في معنى الغرابة التي تُخلّ بالفصاحة؟

ينبغي لنا قبل الإجابة عن هذا السؤال أن نُميّز بين عددٍ من المستويات اللغويّة التي وردت في كتب غريب الحديث، فمن هذه المستويات وعلى رأسها لغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته وتابعيه ثم لغة الرواة من محدّثين وغيرهم.

ثانياً: غريب لغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته:

فأما لغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهي كما وصفها ابن الأثير قائلاً: ((إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان أفصح العرب لساناً وأوضحهم بياناً وأعذبهم نطقاً، وأسدّهم لفظاً وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة وأعرفهم بمواقع الخطاب وأهداهم إلى طرق الصواب. تأييداً إلهياً ولطفاً سماوياً، وعناية ربانية ورعاية روحانية، حتى لقد قال له علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) - وسمعه يخاطب

(4) ينظر: هذا المبحث: ص 68

(5) ينظر: المزهري، 187/1

(6) ينظر: شرح عقود الجمان للمرشدي، 12/1

(7) هذا البيت للمتنبّي من المتقارب وصدره: مبارك الاسم أغرّ القلب، ينظر: ديوان المتنبّي، بشرح العكبري، 99/1

(8) الإيضاح/70-73، والمزهري، 186/1، 187

(9) ينظر: الإيضاح/70-72، والمزهري، 187/1

(1) ينظر: المزهري، 187/1، 188



وقد بني نَهْد - : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره! فقال: (أدبني ربي فأحسن تأديبي وربيت في بني سعد). فكان (صلى الله عليه وسلم) يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم , كلاً منهم بما يفهمون, ويحادثهم بما يعلمون. ولهذا قال - صدق الله قوله - : (أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم), فكان الله عز وجل قد أعلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بني أبيه وجمع فيه من المعارف ما تفرق ولم يوجد في قاصي العرب ودانيه. وكان أصحابه (رضي الله عنهم) ومن يفد عليه من العرب يعرفون أكثر ما يقوله, وما جهلوه سألوه عنه فيوضحه لهم⁽²⁾.

لقد تجلت كل هذه الصفات في الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وزيادة, وكان المعلم الأول لأُمَّته, بل لكل الإنسانية, نشأ في أعظم الأسر العربية, وولد في أكرم بقاع الدنيا, تولاه الباري سبحانه بعين رعايته وأطافه فتولى رعاية الأمة على أهدى منهج وأقوم طريق وأزكى شريعة⁽¹⁾ وكان النبي المبلّغ ومقام التبليغ في مورد النبوة أو الرسالة يتطلب ممن يتصدى له أن يكون فصيح اللسان, واضح البيان, قوي الحجة, عارفاً بمواقع الخطاب, مُنَزَّهاً عن التكلف, بعيداً عن الصنعة, ليتسنى له إيصال أمانته إلى الجميع دون عُسْر أو مشقّة. ولذلك يكون الموقف من الغريب إذا جاء في الحديث النبوي مختلفاً عن هذا الإطلاق الذي تقدّم في غرابة لفظ غير القرآن, وقد عبّر الجاحظ عن هذا الموقف في حديثه على كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً بأنّه: ((الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلّ عن الصنعة ونزّه عن التكلف, وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكَفِّرِينَ﴾⁽²⁾, فكيف وقد عاب

التشديد وجانب أصحاب التقيع واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصود في موضع القصر وهجر الغريب والوحشي ورغب عن الهجين والسوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق⁽³⁾. وقد يكون في ما عرّضه أصحاب غريب الحديث في تحرير القول في الإعجاز والبلاغة النبوية ما يُغني الباحث في هذه المسألة ويجعله بمنأى عن إطلاق عدم الفصاحة على غريب الحديث النبوي.

ولعلّ الخطابي أكثر العلماء في هذا الباب تفصيلاً في هذه المسألة إذ وقف عليها طويلاً مؤيداً مروياته بالأمثلة الوافية التي تغني عن الرجوع إلى مثله.

قال في ذكر فصاحة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنّ الله وضع رسوله موضع البلاغ من وحيه ونصبه منصب البيان لدينه, أختار له من اللغات أعربها ومن الألسن أفصحها وأبينها ليباشر في لباسه مشاهد التبليغ وينبذ القول بأوكد البيان والتعريف, ثمّ أمده بجوامع الكلم التي جعلها رداءً لنبوته وعلماً لرسالته, لينتظم في القليل منها علم الكثير فيسهل على السامعين حفظه ولا يؤودهم حمّله, ومن تتبّع الجوامع من كلامه لم يعدم بيانها, وقد وصفت منها ضرباً وكتبت لك من أمثلتها حروفاً تدلّ على ما وراءها من نظائرها وأخواتها فمنها في القضايا والأحكام⁽⁴⁾ كقوله: ((المؤمنون متكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم, وهم يد على من سواهم))⁽⁵⁾, وقوله: ((المنيحة

(2) النهاية, 4/1

(1) صفات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر من أن يحاط بها وللمزيد ينظر: كتب السير النبوية, وأوقافها ((السير النبوية)) لابن هشام, حيث

تتجلى تلك الصفات في كل صفحة من صفحاتها

(2) ينظر: ص/75 من هذا الفصل

(3) البيان والتبيين, 28/2

(4) غريب الخطابي, 64/1

(5) المصدر نفسه, 64/1, وينظر: غريب القاسم, 263/1, والفائق, 265/3 (كفاً)



مردودة والعارية مؤداة والذين مقضي والزعيم غارم⁽¹⁾، فهذان الحديثان على حُقة ألفاظهما يتضمنان عامة أحكام الأنفس والأموال⁽²⁾...

ومن فصاحته وبيانه أنه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((قد تكلم بألفاظ اقتضبها لم تُسمع من العرب قبله ولم توجد في متقدم كلامها كقوله: (ماتَ حَتَفَ أنفه)⁽³⁾، وقوله: ((حَمِي الوطيس))⁽⁴⁾، وقوله في المسلم والكافر: ((لا تراءى ناراهما))⁽⁵⁾ في ألفاظ ذات عددٍ من هذا الباب تجري مجرى الأمثال وقد يدخل في هذا النوع إحداثه الأسماء الشرعية...))⁽⁶⁾.

ومن فصاحته وبيانه ((أنه قد يوجد في كلامه الغريب الوحشي الذي يعيى به قومه وأصحابه وعامتهم عرب صُرحاء، لسانهم لسانه ودارهم داره...))⁽⁷⁾.

وتمثل لذلك بقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما سئل، مَنْ أهل النار؟ قال: ((كل قَعْبَرِيّ. قال: يا رسول الله، ومن القعبري؟ قال: الشديء على الأهل، الشديء على العشيرة، الشديء على (الصاحب))⁽⁸⁾.

ومنه ((ألا أنبئكم بأهل النار؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: كُلُّ جَطٍّ جَعَطٍ، قلت: ما الجَطُّ؟ قال: الضخم، قلت: ما الجعظ؟ قال: العظيم في نفسه))⁽⁹⁾.

ولكن ما السبب الذي من أجله وقع الغريب في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

يجدُ الخطابي في ما ذكره من جوامع كلامه وفصله من ضروب بيانه ما يكفي سبباً لما يرد فيه من الغريب، ثم يذكر هذا العلامة أمراً آخر في غاية الأهمية لتوجيه هذه المسألة التي مؤداها وقوع الغريب واللغات في حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ((...ثم أنه (صلى الله عليه) بُعِثَ مُبَلِّغاً وَمُعَلِّماً، فهو لا يزال في كل مقام يقومه وموطن يشهده يأمر بمعروفٍ وينهى عن منكرٍ ويشرع في حادثةٍ ويفتي في نازلةٍ، والأسماع إليه مصغية والقلوب لما يرد عليها من قوله واعية، وقد تختلف عنها عباراته ويتكرر فيها بيانه ليكون أوقع للسامعين، وأقرب إلى فهم من كان منهم أقلّ فقهاً وأقرب بالإسلام عهداً، وأولو الحفظ والإتقان من فقهاء الصحابة يرعونها كلها سمعاً ويستوفونها حفظاً ويؤدونها على اختلاف جهاتها فيجتمع لذلك في القضية الواحدة عدّة ألفاظ تحتها معنى واحد وذلك كقوله: ((الولد للفراس وللعاهر الحجر))⁽¹⁰⁾، وفي

رواية أخرى ((وللعاهر الأثلث))⁽¹⁾، وقد مرّ بمسامعي: ((وللعاهر الكثكث))⁽²⁾.

وقد يتكلم (صلى الله عليه) في بعض النوازل وبحضرته أخلاط من الناس، قبائلهم شتى ولغاتهم مختلفة، ومراتبهم في الحفظ والإتقان غير متساوية، وليس كلهم يتيسر لضبط اللفظ وحصره أو يتعمد لحفظه ووعيه، وإنما يستدرك المراد بالفحوى ويتعلق منه بالمعنى ثم يؤديه بلغته، ويعبر عنه بلسان قبيلته فيجتمع في الحديث الواحد إذا انشعبت طرقه عدّة ألفاظ مختلفة موجبها شيء واحد...))⁽³⁾.

(1) غريب الخطابي: 65/1، وينظر: الفائق: 261/3، 262 (منج)

(2) غريب الخطابي: 65/1

(3) المصدر نفسه: 66/1، وينظر: غريب القاسم: 68/2، والفائق: 259/1، والنهاية: 337/1 (حتف)

(4) غريب الخطابي: 65/1

(5) المصدر نفسه: 65/1، 66، وينظر: غريب القاسم: 56/3 (رأى)

(6) غريب لخطابي: 65/1

(7) المصدر نفسه: 66/1

(8) نفسه: 66/1، وينظر: الفائق: 212/3، 213، والنهاية: 86/4 (قعبر)

(9) غريب لخطابي: 66/1، 67، وينظر: النهاية: 274/1 (جظ)، 276/1 (جعظ)

(10) غريب لخطابي: 68/1، وينظر: الفائق: 41/3 (عهر)، والنهاية: 153/4 (كثكث)، وينظر: غريب الحديث في بحر الأنوار: 200/1

(تلب)، وفي البخاري: 4/4، ومسلم: 1080/2 برواية الحجر

(1) غريب الخطابي: 68/1، وينظر: الفائق: 41/3 (عهر)، والنهاية: 153/4 (كثكث)، وينظر: غريب الحديث في بحر الأنوار: 1/1

(تلب)، وفي البخاري: 4/4، ومسلم: 1080/2 برواية الحجر

(2) غريب الخطابي: 68/1، وينظر: النهاية: 153/4

(3) غريب الخطابي: 68/1، 69، وينظر: الغريبيين: 286/1 (بع)، وينظر: الفائق: 254/3، 255 (كرم)



ومما تمثّل له في هذا المورد حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) للرجل الذي كان يُهديه كل عامٍ ((رواية الخمر، فأهداها عام حرّمت... قال: فما أصنع بها؟ قال: سنّها في البطحاء، قال: فسنّها)) وجاء في رواية أخرى: ((فهتّها)) وفي رواية أخرى ((فبعتها)) والمعنى واحد. ولكثرة ما يرد من هذا ومن نظائره، يقول أبو عبيدة معمر بن المثنى: ((أعيانا أن نعرف أو نحصي غريب حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) (4).

فحديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) تملّك كل تلك الصفات البيانية، واشتمل على جوامع الكلم بكيفية لم تكن لأحدٍ غيره.

والمتوقع وفاقاً لذلك أن يشتمل حديثه أو ألفاظه على أشياء لم يُحط بها غيره، حتى أقرب أصحابه فيكون منها ما يُنسب إلى الغريب من حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أعبى أصحابه وكثير منهم غُرب صُرحاء فسألوه عن الجعظ والقعبري، وقد سألوا عن أشياء في القرآن لم يعرفوها ففي ((حديث أنس أن عمر بن الخطاب قرأ قوله تعالى ﴿وَكَانَ وَبّاً﴾ (5) وقال: فما الأب؟ ثم قال: ما كُلفنا أو ما أمرنا بهذا)) (6).

وحديث ابن عباس ((ما كنت لأدري ما ﴿فاطر السموات والأرض﴾ حتى احتكم إليّ أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأت حفرها)) (7).

فإذا هم سألوا عن أشياء في القرآن لم يعرفوها، فالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو ربيب القرآن ولسانه الناطق، فالأقرب أن تفوتهم أشياء من حديثه تبعاً لذلك، فكما أبدع القرآن أشياء لم يعرفوها فكذلك حصل مثله للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا يناظر بكتاب الله ولا سنة رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) (1).

وإذا جرى مثل هذا الأمر للصحابة، فهو قد حصل للأجيال التي تلتهم قطعاً لأنّ الحكم على اللفظ بالغراية يجب أن يراعى فيه الزمان والمكان والاستعمال إذا ما أخذنا بالحسبان ما ذكره المحدثون من اللغويين عن حياة اللغة وقوانين تطورها (2)، بل إنّ دلالات بعض ما ورد مما ينسب إلى غريب حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خفيت على بعض أئمة هذا الباب فهذا أبو عبيد الذي يُعدّ من أكثر العلماء معرفة بلغات العرب (3) يتوقف عند لفظة (جدف) قائلاً: ((ولم اسمعه إلا في هذا الحديث وما جاء إلا وله أصل، ولكن ذهب من كان يعرفه ويتكلم به، كما قد ذهب من كلامهم شيء كثير)) (4).

فقد كبرت الهوة في إدراك كثير ممّا نطق به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند تلك الأجيال، فشاع الإبهام والإيهام وكثر الغريب في حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته فهم قطعاً توقفوا طويلاً عند كتابه لوائل بن حجر الحضرمي وقومه، والذي نقله أبو عبيد وفيه ((من محمد رسول الله إلى الأقبال العبايلة من أهل حضرموت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة على التّبعة شاة والتّيمة لصاحبها

(4) غريب الخطابي، 69/1، قال الزمخشري: الثلاثة في معنى الصب إلا أنّ السنّ في سهولة، والهتّ في تتابع، والبع في سعة وكثرة

(5) عيس/31

(6) النهاية، 13/1 (أبب)

(7) الفائق، 127/3 (فطر)، وينظر: أمثلة أخرى في غريب القاسم، 406/2، إذ سأل ابن عباس عن أشياء ولم يدري ما هي مثل: الحنان، والرقيم...

(1) من حديث للزهري كما في النهاية، 78/5 (نظر)

(2) ينظر: فقه اللغة، د: علي عبد الواحد وافي، 143-127، والتطور اللغوي التاريخي، 33-20

(3) ينظر: تاريخ بغداد، 405/12

(4) غريب القاسم، 381/3 (جدف)، وينظر: 246/2 (كيل)



وفي السيوب الخمس، لاخلاط ولاوراط ولا شناق ولا شغار، ومن أجبي فقد أربى، وكل مسكر حرام⁽⁵⁾.

فالغريب الذي ذُكر في هذا الموضع منه ما اختصت به لغة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تمثل أعلى اللغات وأفصحها ولا يمكن أن يُحيط بها أو يدركها إلا من أوتي حظاً عظيماً، وقليلاً ما هم، وغيرهم بادر إلى سؤال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأفصح لهم عن مضامينها وقد سمى الخطابي مثل هذا بالغريب الوحشي الذي اصطلح عليه ابن رشيقي بالحسن والمستغرب الذي لا يعلمه إلا العالم المبرز أو الأعرابي القح، ومما نُسب إلى حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووضع موضع الغرابة ما نشأ عن الرواة في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم أخلاط الناس من شتى القبائل ممن سمع حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم صدر إلى أهله ناقلاً ما سمعه بلسان قومه أو حاملاً ما فهمه بفحوى ما أدركه فالغريب - هنا - نشأ عن الناقل أو الراوي وهو كثير إلى الحد الذي أعيا أبا عبيد وأقرانه من إحصاء مثل هذا الغريب المنسوب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيتضح الأمر أكثر عند الكلام على لغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التي خلفت شيئاً من هذا الغريب في ما صدر أو رُجِحَ صدره من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجاء على لغة من لغات العرب.

ويظهر أن ممّا ضخم من حجم هذا الغريب كثرة ما وضع على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو صحابته وتابعيه، فأصحاب الصحاح والسنن صرحوا بأنهم أخرجوا أحاديثهم من بين أحاديث كثيرة هائلة، قد تعرب هذه الكميات الهائلة عن كثرة الدس والوضع على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته زيادة على أن المنع من كتابة الحديث قرابة قرن ونصف، ثم اندفاع العالم الإسلامي فجأة إلى كتابته أوجد أرضية صالحة للكذب، والوضع، وفسح للأخبار والرهبان التحدث ببعد يهودية وسخافات مسيحية وأساطير مجوسية إلى أن أغترّ بها السذج من المسلمين ومن أنعم النظر في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مكة والمدينة المنورة وما قام به من أعباء الرسالة والجهاد ضد المشركين والمنافقين وعقد المواثيق مع القبائل ورؤساء البلدان يقف على أن الزمان الذي كان للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التحدث فيه أقل بكثير من أن يسعه التحدث بهذه الأباطيل بل لا يبلغ لبيان معشارها، ثم إن الكتب قبل تدوين الصحاح كانت ممزوجة فيها الصحيح بغيره، وكانت الآثار في عصر الصحابة وكبار التابعين غير مدونة ولا مرتبة، ولأنهم كانوا نهباً أولاً عن كتابتها خشية اختلاطها بالقرآن، ولأن أكثرهم كان لا يحسن الكتابة، فلما انتشر العلماء في الأمصار وكثر الابتداء دوّنت ممزوجة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، فأول من جمع ذلك ابن جريج بمكة وابن إسحاق ومالك بالمدينة⁽¹⁾.

وليس الموضوع من الحديث مختصاً بفئة دون أخرى، ولأجل تمحيص السنة النبوية عن الموضوع من الحديث قام غير واحد من العلماء المحققين من أهل السنة والإمامية بوضع كتب عن الموضوعات، افرزوا فيها جملة من الموضوعات كان أعظمهم ضرراً قوم ينسبون إلى الزهد ثم الفقهاء من أصحاب الأهواء وخصوصاً فقهاء مدرسة الرأي الذين خلطوا أقيستهم بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلذلك شُحنت كتبهم بأحاديث تشهد متونها بأنها موضوعة، لأنها تشبه فتاوى الفقهاء ولأنهم لا يقيمون لها سنداً⁽²⁾، فضلاً على هؤلاء هنالك المتزلفون والشعوبيون والزنادقة والمتعصبون وفرنق المتكلمة المنحرفة كالقدرية والمرجئة والمجسمة والمعطلة والمشبهة والجهمية وبعض الأشاعرة والماتردية وغلاة الشيعة، يضاف إليهم بعض المتكسبين والقصاصين والشحاذين

(5) المصدر نفسه، 211/1

(1) ينظر: تدريب الراوي للسيوطي، 66/1، وأصول الحديث وأحكامه في علم الدراية: جعفر السبحاني/119-120، ومذاهب الإسلاميين

في علوم الحديث، د.حسن الحكيم/266-267

(2) ينظر: أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية/123، 124



فلربّ فقيه أو متكلم أو متعصب أو متزلف نسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو صحابته أو تابعيهم فتوى أو عظة أو كلاماً يُؤيد ما ادعاه ثم حُسِبَ مثل هذا على الغريب أو المشكل، ولرب قاص أو شحاذ آمال وجوه العوام واستدّر ما عندهم فوضع المناكير والغريب، إذ من شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجباً خارجاً عن فطر العقول.

ولا يريد الباحث الاستطراد أكثر فلربّما وضحت الفكرة التي أرادها وهي أنّ كثيراً مما يُنسب إلى الغريب قد يأتي من هذا الباب⁽¹⁾.

وأما ما يخصّ الصحابة أو تابعيهم فلم يختلف الأمر في ما نُقل عنهم، إذ كثر الغريب فيه إلى حدّ الشيوع ويرجع كثير منه إلى اختلاف النقل أو الرواية عنهم، فضلاً على أن هذا النقل أو التتبع لآثارهم لم يصل إلى ذلك الحد من الاحتراز والاحتياط الذي جرى في ما نقل عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فما ينقل عنه دين وأي تساهل فيه قد يضع المتساهل في خانة الكذابين الذين سيتبوّئون مقعدهم من النار، فحديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) كالقرآن الكريم فرض من فروض الكفايات يجب التزامه⁽²⁾، فمما يعود إلى اختلاف أقوال الصحابة في الموضوع الواحد واختلاف الروي عنهم مثلاً ما نُقل عن أم المؤمنين عائشة وهو قولها لابن أختها عروة بن الزبير: ((بلغني أنّك تكتب عني الحديث ثم تعود فتكتبه، فقال لها: اسمعه منك على شيء ثم أعود فاسمعه على غيره، فقالت: هل تسمع في المعنى اختلافاً؟ قال: لا، قالت: لا بأس بذلك))⁽³⁾.

ويستنتج من هذا النص أنّ الأمر لم يكن ليقصر على اختلاف أقوال الصحابة في الموضوع الواحد، فزيادة على ذلك فإنّ معاصريهم ممّن يُعدّون من طبقة الصحابة يضطربون في النقل عنهم، فما بالك بمن تلاهم من الرواة؟

ثم إنّ أحاديثهم قد تشتمل على مضامين ودلالات لا يقع عليها إلا القليل ممّن فقه كلامهم ووعاه وأدرك شيئاً من مكنوناته وبواطنه، فعندما سُمع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يقول: ((مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي علماً بدرهم؟))⁽⁴⁾، لم يكن الجميع ليفهموا كلام الإمام ومؤداه بل قد يخفى على الخواص منهم، وحينئذٍ استلزم الأمر وجود من يقوم بمهمة الإبلاغ والتوصيل، فكان أبا حنيفة الذي أنبأ بأن الإمام يريد ((مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي صحيفة يكتب بها العلم))⁽⁵⁾.

وممّا يدخل في هذا الباب أنّ بعض الصحابة قال: لما نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾⁽⁶⁾ ((أنت يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر وبقينا نحن في

جلج لا ندري ما يصنع بنا))⁽⁷⁾، قال أبو حاتم: ((سألت الأصمعيّ عنه فلم يعرفه))⁽⁸⁾. فلا يدري الأصمعي أو أبو حاتم ما ((الجلج))، وحتى من بحث عن معناه فلم يكن على يقين ممّا قاله، وقيل: ((معناه وبقينا نحن في عدد من أمثالنا من المسلمين لا ندري ما يُصنع بنا، وقيل الجلج في لغة أهل اليمامة: جباب الماء، كأنه يريد: تُركنا في أمر ضيق كضيق الجباب))⁽¹⁾.

(1) ينظر: علوم الحديث ونصوص من الأثر، د: رشدي عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري وكاظم فتحي الراوي/ 106-120، فقد ذكر هؤلاء الأساتذة جملة من الأمثلة في هذا الموضوع، يمكن الرجوع إليها للاستزادة والتأكيد فضلاً عما ذكره الشيخ السبحاني في المصدر السابق مما يوضح الفكرة ويكمل المقصد.

(2) ينظر: النهاية، 3/1

(3) الكفاية في علم الدراية للخطيب البغدادي/ 205

(4) تقييد العلم للخطيب البغدادي/ 90

(5) المصدر نفسه

(6) الفتح، 1، 2

(7) الغريبين، 377/1، 378 (جلج)

(8) المصدر نفسه

(1) النهاية، 283/1 (جلج)



فإذا كان هؤلاء العلماء لا يكادون يَقْعُونَ على دلالة هذا اللفظ وهم أدرى بلسان العرب، وَمَنْ خَاضَ فِيهِ لم يَقْعَ على معْنَى محدد له، أو نسبته إلى اللغات، فغموض اللفظ وغرابته على غيرهم سيكون أشد وأوقع، فأما التوجيه إلى اللغات فهو أهم عناصر الكشف في مورد الغرابة وهو ما سيفصل فيه القول في نهاية هذا المطلب بمشيئته سبحانه.

وقد يجهل العلماء أصل اللفظ، وبأي لسان هو كحديث سعد بن معاذ ((لَمَّا حُكِّمَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ حَمْلُوهُ عَلَى شَنْدَةِ مِنْ لَيْفٍ))⁽²⁾، قال ابن الأثير: ((هي بالتحريك شبه إكاف يجعل لمقدّمته حِنْوً))⁽³⁾، قال الخطابي: ((ولست أدري بأي لسان هي))⁽⁴⁾، وهي عند الزمخشري ((ليست بعربية))⁽⁵⁾ فلا يدري الخطابي بأي لسان هي، وقد يفهم من كلامه أنها قد تكون عربية، وإن نَصَّ الزمخشري على عجمتها.

ثالثاً: الغرابة الناشئة عن العجمة في ما نسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته وتابعيهم:

المفهوم من كلام ابن الأثير أنه بعد أن فُتِحَت الأمصار واختلط العرب بغيرهم من الأمم تداخلت اللغات وتلاقت الألسن، فنشأ جيل تعلّم من اللسان العربي ما لا بدّ له في الخطاب منه، وحفظ من اللغة ما لا غنى له في المحاوره عنه وترك ما عداه وأهمله لِقَلَّةِ الرغبة في الباعث عليه مما أدّى إلى ضياع كثير من المعارف وهجرها ويستطرد صاحب ((النهاية)) قائلاً: ((وتمادت الأيام والحالة هذه على ما فيها من التماسك والثبات واستمرت على سنن من الاستقامة والصلاح إلى أن انقرض عصر الصحابة والشأن قريب والقائم بواجب هذا الأمر لقلّته غريب وجاء التابعون لهم بإحسان فسلخوا سبيلهم لكنهم قلّوا في الإتقان عدداً واقتفوا هديهم وإن كانوا مدّوا في البيان يداً فما انقضى زمانهم على إحسانهم إلا واللسان العربي قد استحال أعجمياً أو كاد فلا ترى المستقلّ به والمحافظ عليه إلا آحاداً))⁽⁶⁾.

ولا يبعد كلام ابن الأثير عن الصواب لمن تأمل النصوص الواردة في كتب غريب الحديث مما نُسب إلى الصحابة أو تابعيهم من الغريب الناشئ عن العجمة، وهو كثير شائع في كتب غريب الحديث وقد يحتاج إلى دراسة لغوية مقارنة تكشف عن أصوله واستعماله وتطوره. والذي يعنيني - هنا - هو أن مثل هذا الأعجمي كان سبباً من أسباب الغرابة التي أحاطت بكثير من النصوص والألفاظ التي نسبت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته وتابعيهم.

وإذا كاننا وصلنا إلى عرض شيء من هذه الألفاظ الأعجمية كسبب من أسباب الغرابة فلا بأس من التوقف قليلاً عند أمثلة منها نُسبت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته وتابعيهم، لنعرف ولو على وجه التقريب مدى صحّة هذه النسبة أو عدمها ما قد يكون من أثر النقل أو الرواية، فقد نُسبَ إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ((يُوتَى بَابِن آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بِذِجٍّ مِنَ الدَّلِّ))⁽¹⁾.

قال الفراء: ((قوله: بذج، قال: هو ولد الضأن وجمعه بذجان، قال أبو عبيد: وهذا معروف عندهم))⁽²⁾، وعليه قول أبي محرز المحاربي:

قد هلكت جارتنا من الهمج وإن تجّع تأكل عتوداً أو بذج⁽³⁾.

قال الزمخشري: ((هي كلمة فارسية تكلمت بها العرب وهو أضعف ما يكون من الحملان وتجمع على بذجان))⁽⁴⁾.

(2) المصدر نفسه، 504/2 (شذ)

(3) نفسه

(4) غريب الخطابي، 322/2، والحديث أخرجه الواقدي في مغازيه، 510/1، 511، وينظر: النهاية، 504/2

(5) الفائق، 64/2 (شذ)

(6) النهاية، 5/1

(1) غريب القاسم، 165/1 (بذج)، وينظر: مسند الإمام أحمد، 105/2، وغريب ابن الجوزي، 62/1

(2) غريب القاسم، 165/1 (بذج)

(3) ينظر: اللسان، 211/2 (بذج)

(4) الفائق، 90/1 (بذج)



اختلف العلماء في أصل هذه الكلمة ونصّ الزمخشري على أنّها فارسيّة، لكن الفراء وأبا عبيد والجوهري وابن منظور لم يلتفتوا إلى هذا الذي قاله الزمخشري. وقد اشتقوا منه المثنى، ولم يُعثر عند هؤلاء اللغويين على ما يفهم منه إحساسهم بأعجميّة اللفظ، لذا يرجح أن يكون هذا اللفظ عربيّاً وهو ما يناسب لغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد نطق به الشعر وكان معروفاً عند العرب كما نصّ أبو عبيد إلا أنّ الزمخشري على ما يبدو تابع ابن دريد⁽⁵⁾ على قوله في فارسيّة اللفظة دون دليل على ما يقول⁽⁶⁾.

ومما تُسبب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً: قال أبو عبيد: ((إنّه أوصى أبا قتادة بالإناء الذي توضأ منه، فقال: ازدهر بهذا فإنّ له شأنًا))⁽⁷⁾ ... وأعقب ذلك قوله: ((وأظنّ قوله: ازدهر كلمة ليست عربيّة كأنها نبطيّة أو سريانيّة فعربت))⁽⁸⁾.

ذكر هذا الحديث الزمخشري وابن الأثير ولم يُشير إلى ما قاله أبو عبيد ونقل كلام الزمخشري ابن منظور بتمامه ثمّ عَقَّب عليه ((وقال أبو سعيد: هي كلمة عربيّة))⁽⁹⁾، وأنشد لجربير: **فإنك قَيْنٌ وابن قينين فازدهر** **بكيرك إنّ الكير للقين نافع**⁽¹⁰⁾

وأبو عبيد ينقل عن الأموي قوله: ((ازدهر به - أي احتفظ به ولا تضيعه وأنشد:

كما ازدهرت قينة بالشرع لأسوارها علّ منها اصطباحا)⁽¹⁾

ونقل صاحب ((اللسان)) جملة دلالات لهذا اللفظ تؤكد عربيّته أصالة⁽²⁾، وإذا استطلعنا بعض المعجمات كالجمهرة⁽³⁾، والصحاح⁽⁴⁾، لا نجدها تشير من قريب أو بعيد إلى ما ذكره أبو عبيد.

ومثله ما نسبوه إلى الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قوله للمرأة: ((استغفري

وتلجّمي)⁽⁵⁾، فقد نصّ بعضهم على أنّ ((اللجام)) معرّب (لغام)⁽⁶⁾، وإذا استطلعنا بعض كتب

الغريب، نجد أبا عبيد⁽⁷⁾، والزمخشري⁽⁸⁾، وابن الأثير⁽⁹⁾، والحافظ أبا موسى صاحب ((المجموع

المغيث))⁽¹⁰⁾ كلّاً منهم يذكّر اشتقاق هذا اللفظ وتصريفاته ودلالاته دون الإشارة إلى هذا الزعم

بأعجميته. أمّا أصحاب المعجمات فلا يبدو أنّهم على بينة منه، قال ابن دريد: ((واللجام معروف ذكر

قوم أنّه عربي وقال آخرون بل معرّب))⁽¹¹⁾ وذكر الجوهري أنّه فارسيّ معرّب واكتفى بذلك⁽¹²⁾،

أمّا صاحب ((اللسان)) فذكر أنّ ((لجام الدابة معروف، وقال سيبيويه: هو فارسيّ معرّب، والجمع

ألجمة ولُجْم ولُجْم، وقد ألجمَ الفرس. وفي الحديث من سئل عما يَعْلَمُهُ فكْتَمَهُ ألجمه الله بلجام من

نار يوم القيامة)⁽¹³⁾ وأنشد:

له منخرٌ مثل جحر اللُجْم ...

ثمّ أنشد لآخر:

(5) ينظر: الجمهرة، 207/1 (بذج)

(6) ينظر: أوهم الحوالي في المعرب، د: صباح السالم/20

(7) غريب القاسم، 157/1 (زهر)، وينظر: مسند الامام احمد، 298/5

(8) غريب القاسم، 157/1 (زهر)

(9) اللسان، 333/4 (زهر)

(10) ديوانه/ 290، والرواية في الديوان: ((فإنك قَيْنٌ وابن قَيْنين فاصطبر لذلك إذ سُدَّت عليك المطالع))، وينظر: اللسان، 333/4 (زهر)

(11) غريب القاسم، 156/1 (زهر) والشعر في اللسان، 333/4 (زهر)

(12) ينظر: اللسان، 333/4

(13) ينظر: الجمهرة، 328/2 (زهر)

(4) ينظر: الصحاح، 346/2 (زهر)

(5) النهاية، 215/5 (تقر)، 235/4 (لجم)

(6) ينظر: المزهري، 286/1 (تقر)

(7) غريب القاسم، 279/1 (تقر)

(8) الفائق، 168/1 (تقر)

(9) النهاية، 215/1 (تقر)، 235/4 (لجم)

(10) ينظر: المجموع المغيث، 114/3 (لجم)

(11) الجمهرة، 110/2، 111 (لجم)

(12) ينظر: الصحاح، 412/5 (لجم)

(13) اللسان، 534/12 (لجم)



لا يهتدي الغراب فيها واللجم (14).

فقد تمكّن هذا اللفظ من الاستعمال وتصرف فيه، وذلك يرجّح بأنّه عربي لا معرّب ولا منقول (15) وزيادة على ذلك، فاللفظ قد شاع في نصوص جاهلية وإسلامية وهي ضابطة عدّها بعض المحدثين مقياساً على عروبة اللفظ أو عجمته (16).

هذه النصوص أو الألفاظ وغيرها تعكس هذا الاضطراب والحيرة التي عليها علماء اللغة في تحديدها وهو ما يرجّح نسبتها إلى الغرابة عندهم، تلك الغرابة التي يمكن الزعم أنّها نشأت نتيجة سبغة استعمال اللفظ أو انحرافه في بعض مجالاته الدلالية مع مرور الزمن وتباين البيئات والحضارات (1).

وما جرى لحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حدث لأحاديث الصحابة وتابعيهم مع ملاحظة أنّ هذه الأحاديث تكون أكثر تأثراً بمحيطها وبيئاتها من لغة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم). وحيث أنّ بعض هؤلاء عرّبوا أقحاحاً، فقد تظهر عليهم آثار عجمة كما أثر عن مكحول قوله: ((... وفيها تكون الخُبنة)) (2)، قال الزمخشري: ((كانت فيه لكنة فجعل الطاء تاء وإنما أراد الخبنة...)) (3). وقد أكد هذه العجمة الزمخشري في موضع آخر عند حديثه على قول مكحول: ((... وما فعلت في تلك الهاجة)) (4)، قال الزمخشري: ((أراد الحاجة، فلكنها، لأنه كان أعجمي الأصل من سبي كابل)) (5) بل اتهم بعضهم سلمان بالعجمة، قال ابن قتيبة: ((إنّ أبا عثمان ذكره، فقال: كان لا يكاد يفقه كلامه من شدة عجمته، وكان يسمي الخشب خشباناً)) (6)، وقد أنكر ابن قتيبة ذلك قائلاً: ((أنا أنكر هذا الحديث، لأنه وصف شدة عجمة سلمان وأنه لم يكن يفقه كلامه وقد قدمنا من كلامه ما يضارع كلام فصحاء العرب)) (7) ثمّ صحح قول سلمان معقّباً: ((فإن كان إنّما استدل على عجمته بقوله: للخشب خشبان، فهذا في اللغة صحيح جيد وله مخرجان، أحدهما أن تجعله جمعاً للخشب فيكون جمع الجميع، مثل: حمل وحملان وسلق وسلقان... والمخرج الآخر، أن تجمع خشبة فتقول: خشب ساكنة الشين ثم تزيد الألف والنون فتقول: خشبان، كما تقول: سود ثم تقول: سودان)) (8). فغرابة اللفظ قد تأتي من هذه العجمة التي خلّفت هذا التبدل في ألفاظ مكحول أو من هذا اللبس الذي عرض لأبي عثمان فأخرج كلام سلمان مخرج الكلام الأعجمي، فأحتاج الأمر إلى التوجيه والتوضيح وهو ما تكفل به ابن قتيبة.

وممّا ينسب إلى عمر (رضي الله عنه) حديثه ((سقط البرنس عن رأسي)) (9)... قال ابن الأثير: ((هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به... وقيل إنه غير عربي)) (10)، وذكره الزمخشري في ((الفائق)) ولم يكن ثمة ما يُشير إلى عجمته (11) ونصّ ابن دريد على أنّ أصله أعجمي قائلاً: ((... هو مُعرّب لأنّ البرّ بالنبطية ابن ونا إنسان)) (1) وقال الجوهرى: ((البرنس قُنْسوة طويلة وكان النسّاك يلبسونها في صدر الإسلام)) (2).

(14) ينظر: اللسان، 534/12 (لجم)

(15) ينظر: المزهري، 288/1

(16) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د: عبد الصبور شاهين/344

(1) ينظر: لهجة قریش، أطروحة دكتوراه، د: مهدي حارث/166

(2) ينظر: الفائق، 353/1 (خبث)

(3) المصدر نفسه

(4) الفائق، 415/3 (هوج)

(5) المصدر نفسه، 415/3

(6) غريب ابن قتيبة، 268-267/2

(7) المصدر نفسه، 268/2

(8) نفسه

(9) النهاية، 122/1 (برنس)

(10) المصدر نفسه

(11) ينظر: الفائق، 90/1 (برنس)

(1) الجمهرة، 255/1 (برس)

(2) الصحاح، 66/3 (برنس)



وفي اللسان ((وقد تبرنس الرجل إذا لبسه - أي البرنس - وهو من البرس بكسر الباء، القطن والنون زائدة، وقيل إنه غير عربي))⁽³⁾، وفي ((المعرب))⁽⁴⁾ و((المزهر))⁽⁵⁾ نُسبَ اللفظ إلى السريانية.

أما في هذا اللفظ فلا يمكن الوقوع على رأي قاطع بل يمكن أن يرجح الباحث أن مثل هذا اللفظ مثل كثير من الأسماء والأعلام التي وقعت للعرب من الأمم الأخرى نتيجة الاحتكاك الحضاري والتعامل التجاري الذي اكتنف مكة على مَرَّ العصور⁽⁶⁾.

ومثل ذلك في حديث أنس ((رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجمع بين الرُّطْب والرُّبْز))⁽⁷⁾ وهو البطيخ في الفارسية⁽⁸⁾، وعن الصادق (عليه السلام): ((كان النبي يُعجبه الرُّطْب بالرُّبْز))⁽⁹⁾ وعليه حديث آخر لأبي عبد الله (عليه السلام) لغلامه: ((أرد عليك فلانة على أن تطعمنا بدرهم خريزة...))⁽¹⁰⁾

ويبدو من هذه النصوص أن هذا اللفظ مما شاع استعماله في هذا المعنى جنبا إلى جنب مع لفظ (البطيخ)، وعليه الرواية الأخرى: ((كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يعجبه البطيخ بالرُّطْب))⁽¹¹⁾ ويمكن أن يُنسب ذلك إلى اختلاف الرواية، كما لا يبعد أن يكون اللفظ الأعجمي مما استعمله الخواص كما رأينا الإمام الصادق (عليه السلام) وأنس (رضي الله عنه)، فضلا على عوام الناس في مرحلة يُرجح أنها تأخرت عن الزمن الذي استعمل فيه لفظ البطيخ وشاع في الحجاز . ومما نُسب إلى التابعين ومن بعدهم ما نُقل عن أيوب السختياني في الحسن البصري: ((ما رأينا الحسن قط إلا حزينا كأنه... خربندج ضلَّ حماره))⁽¹²⁾، قال البيهقي: ((لعله مُعرب خربنده: أي مكاري الحمار))⁽¹³⁾

ومما نُقل عن دعبل ((رجع إلي جميع ما كان معي ثم بذرقنا))⁽¹⁾، نصَّ البيهقي على أن ((البذرة مُعرب بذرقه وهي الجماعة التي تتقدم القافلة))⁽²⁾ ونسبها ابن دريد إلى المعرب الفارسي⁽³⁾، أما في ((اللسان)) فنقل ابن منظور: ((... البذرة: فارسي مُعرب، قال ابن بري: البذرة الخُفارة ومنه قول المتنبي: أبذرق ومعني سيفي، وقاتل حتى قتل. وقال ابن خالويه: ليست البذرة عربية وإنما فارسية فعربتُها العرب...))⁽⁴⁾.

وظهور بعض الألفاظ الأعجمية على لسان التابعين ومن تلاهم ليس بمستغرب بعد الاختلاط والتلاقي بين العرب وغيرهم بعد الفتوحات الإسلامية ثم استفحال هذه الظاهرة بدخول الكثيرين من غير العرب إلى الإسلام ولا سيما في نهاية الدولة الأموية ومجيء دولة بني العباس وهو ما وجدنا آثاره على لسان الحسن البصري وهو من أوائل التابعين⁽⁵⁾، ثم من تأخر عنه كمثل دعبل الذي عُدَّ

(3) اللسان، 26/6 (برنس)

(4) للجواليقي/156

(5) للسيوطي، 282/1

(6) لهجة قريش/166

(7) النهاية، 19/2 (خربز)

(8) المصدر نفسه، 19/2 (خربز)

(9) غريب بحار الأنوار، 401/1 (خربز)، وبحار الأنوار للمجلسي، 193/63

(10) غريب الحديث في بحار الأنوار، 402/1، وبحار الأنوار، 345/100

(11) الجمهرة، 237/1 (بخط)، وينظر: ديوان الأدب للفارابي، 340/1، والتهذيب، 253/7 (بطخ)، ومعجم مقاييس اللغة، 261/1

(بطخ)، والمزهر، 371/1، واللسان، 9/3 (بطخ)

(12) غريب الحديث في بحار الأنوار، 402/1 (خربندج)، وينظر: بحار الأنوار، 302/41

(13) غريب الحديث في بحار الأنوار، 302/1 (خربندج)

(1) غريب الحديث في بحار الأنوار، 106/1 (بذرق)، وينظر: بحار الأنوار، 243/49

(2) غريب الحديث في بحار الأنوار، 106/1 (بذرق)

(3) ينظر: الجمهرة، 304/3

(4) اللسان، 14/10 (بذرق)

(5) ينظر: تهذيب التهذيب، 263/2، وكتاب الطبقات الكبير، 114/7



من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا (عليهما السلام) وقيل أدرك الجواد (عليهما السلام) (6) , وغيرهم كالمتنبي كما نصَّ صاحب اللسان - هنا - ولعلَّ هذا هو المفهوم من كلام صاحب ((النهاية)) الذي يُشير إلى هيمنة العُجْمَة بعد انقضاء زمن التابعين فلا ترى المستقلَّ باللسان العربي والمحافظ عليه إلا أحاداً (7)

وخلاصة القول في هذا الموضوع إنَّ ما ورد من ألفاظ أعجمية أو معربة في أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته وتابعيهم احتلَّ مساحة واسعة من الغريب الذي ورد في كتب غريب الحديث، وللحديث بقيّة - إن شاء الله - في فصل الدلالة.

ويبقى أمر مهم هو هل يُعدُّ هذا الغريب من الفصيح ؟ لا شكَّ في أنَّ ما نطق به الخواص من الصحابة والتابعين والأقحاح من العرب فضلاً عما صدر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الموضوع لا يعدو مفهوم الفصيح إذا ما قيس بما ورد في القرآن الكريم الذي نصَّ كثيرٌ من أهل العلم أنَّ فيه ألفاظاً جاءت بلحون العجم (8) .

رابعاً: الغرابة والابتدال في كلام غير الصحابة والتابعين:

وإذا ما تجاوزنا كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته وتابعيهم فإننا نجد كثيراً من الألفاظ التي وردت في كتب غريب الحديث مما صدر عن بعض المحدثين ومما نُسبَ إلى العوام، نجد أنَّها وُضِعَتْ في حقل الكلام غير الفصيح وهو يرادف ما اصطُح عليه بألفاظ العامة أو أقوالهم أو ما سُمِّيَ بالمتنزل ، وتبعاً لذلك عدَّ بعضهم من شروط الفصاحة ألا تكون الكلمة مبتذلة وينشأ الابتدال من تغيير العامّة للكلمة إلى غير أصل وضعها مثل لفظ (الصُّرم) للقطع جَعَلَتْهُ العامّة للمحل المخصوص (1) . وينشأ الابتدال - كما ينقل السيوطي أيضاً - من سخافة اللفظ في أصل وضعه كلفظ ((الفالق)) (2) .

وقد ورَّع حازم القرطاجني في كتابه ((منهاج البلغاء)) أقسام الكلمة من حيث الفصاحة أو الغرابة والابتدال إلى عدّة مستويات، منها:

- 1- ما استعملته العرب في كلامها كثيراً دون المحدثين، فهذا حسن فصيح، فأما ما قلَّ في كلامها ولم يُحسن تأليفه أو صنعته فهذا لا يحسن إيراده.
- 2- ما استعملته العرب وخاصة المحدثين دون عامتهم فهذا حسن جداً، لأنَّه خلَّص من حوشية العرب وابتدال العامة، ولا بأس بما كثر في كلام العرب وخاصة المحدثين وعامتهم، ولم يكثر في ألسنة العامة.
- 3- وما كثر في كلام العرب وخاصة المحدثين وعامتهم، وكذلك كثر على ألسنة العامة وكان لذلك المعنى اسم استغنت به الخاصّة عن هذا فهذا يقيح استعماله لابتداله.
- 4- إذا كان الاسم كثيراً عند الخاصّة والعامة وليس له اسم آخر وليست العامّة أحوج إلى ذكره من الخاصّة ولم يكن من الأشياء التي هي أنسب بأهل المهن فهذا لا يقبح ولا يُعدُّ مبتذلاً مثل لفظ الرأس والعين فما كان كذلك إلا أنَّ حاجة العامّة له أكثر فهو كثير الدوران بينهم كالصنائع فهذا مبتذل.
- 5- ما كثر استعماله عند العرب والمحدثين لمعنى وقد استعمله بعض العرب نادراً لمعنى آخر فيجب تجنب هذا.
- 6- ما استعمله العرب والعامّة دون الخاصّة، وكان استعمال العامّة له من غير تغيير، فاستعماله على ما نطقت به العرب، فليس مبتذلاً، فأما على التغيير فقبیح مبتذل (3) .

(6) فهرست النجاشي/198، وينظر: القصائد الخالدات، محمد عباس الدراجي/46

(7) ينظر: النهاية، 5/1

(8) ينظر: غريب القاسم، 242/4-243، والمزهر، 268/1

(1) ينظر: المزهر، 189/1 (صرمُت الشيء صرماً قطعته... والاسم: الصُّرم) : الصحاح، 318/5، واللسان، 335/12 (صرم)

(2) ينظر: المزهر، 189/1

(3) ينظر: منهاج البلغاء/385، 386، وعروس الأفراح للسبكي، 93/1، والمزهر، 189/1، 190



فهذه هي الضوابط التي وضعها حازم ويمكن تطبيقها أو بعضها على جملة من ألفاظ الغريب التي وردت في كتب غريب الحديث ما وسع الباحث وأمكنه، وقبل ذلك تجب الإشارة إلى أنه يفهم من كلام حازم أن هناك طبقات من الكلمات تندرج تحت هذه المسميات التي أطلقها، فأعلى هذه الطبقات ما وافق كلام العرب وكثر فيه، ثم ما شاع عند خاصة المحدثين دون عامتهم وقد وافق كلام العرب، ثم ما شاع عند عامة المحدثين دون خواصهم، وقد نجد بين المستويين الأخيرين ما يطلق عليه العلماء بالمولد، وهو المحدث من الكلام الذي ليس بالعتيق⁽⁴⁾. فمن أمثلة ذلك في كتب غريب الحديث:

1- قال أبو عبيد: ((قال الفراء: قوله تعالى: ﴿آل حم﴾، إنما هو كقولك آل فلان وآل فلان، كأنه نسب السورة كلها إلى حم، وأما قول العامة: الحواميم، فليس من كلام العرب))⁽¹⁾. وقيل: ((الحواميم ليس من كلام العرب، إنما هو من كلام الصبيان، تقول: تعلمنا الحواميم، وإنما يقال: آل حاميم))⁽²⁾، كما قال الكميت: وجدنا لكم في آل حاميم آية⁽³⁾.

فهذا لفظ مولد كما نص السيوطي، فهو وإن استعمله العرب قديماً إلا أن العامة غيرت صيغته فعد بسبب ذلك مولداً وقد يكون اتهام الأصمعي للكميت بأنه من المولدين آتياً من استعمال الشاعر لمثل هذه الألفاظ⁽⁴⁾.

2- وقال أبو عبيد في حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أنه مرّ برجلٍ يعالج ظلمة... فقال النبي (عليه السلام): لا يصيبه حرّ جهنم أبداً))⁽⁵⁾، ثم عقّب أبو عبيد قائلاً: ((الظلمة يعني الخبزة وهي التي تسميها الناس الملة وإنما الملة اسم الحفرة نفسها... وأكثر من يتكلم بهذه الكلمة أهل الشام والثغور وهي مبتذلة عندهم))⁽⁶⁾. ويذكر ابن دريد أن ((الظلم ضربك خبزة الملة بيدك لتنفض ما عليها من الرماد وكان الخليل يروي بيت حسان:

تَظَلُّ جِيادُنَا مَتَمَطِّراتٍ يُظَلِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النساء

وينكر يُظَلِّمُهُنَّ - والظلمة: خبزة الملة))⁽⁷⁾.

ويظهر مما مرّ أن تطوراً دلاليّاً حصل في معنى المفردة إذ الظلم كان يعني ضرب خبزة الملة باليد لنفض الرماد عنها، وهو ما ذكره ابن دريد بل الأقرب إلى دلالة الظلم في بيت حسان ثم حصل نوع من الانتقال في دلالة هذه المفردة عند العامة فدلت على الخبزة نفسها. فالظلمة عند أهل الشام والثغور آنذاك الخبزة، وفي الأصل هي التي يمل فيها أو يخبز كما يفهم من كلام أبي عبيد وهذا يمكن أن يكون مألوفاً في باب تسمية الحال باسم محله أو العكس وهي من علاقات المجاز المرسل⁽⁸⁾.

3- ومثلها مفردة (بطاقة) قال الزمخشري في حديث عمر (رضي الله عنه): ((يؤتى برجلٍ يوم

(4) ينظر: المزهر، 321-304/1

(1) غريب القاسم، 93/4-94 (حمم)، و(حم) الآية الأولى من: غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف

(2) المزهر: 246/1

(3) الشعر في اللسان، 589/12 (عرب)، و150/12 (حمم)، والبيت مما أخل به الديوان

(4) ينظر: الموشح/ 330

(5) غريب القاسم، 90/3 (ظلم)، وينظر: الفائق، 365/2 (ظلم)، والنهاية، 137/3 (ظلم)

(6) المصادر السابقة

(7) الجمهرة، 116/3 (ظلم)، وينظر: الصحاح، 334/5، واللسان، 369/12، وينظر ديوان حسان/ 15

(8) ينظر: الإيضاح للزويني، 275/2



القيامة، وتخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله ...⁽¹⁾ ثم نقل الزمخشري: ((قال ابن الإعرابي : البطاقة : الورقة وروي نطاقة بالنون، وقال شمر: هي كلمة مبتذلة بمصر وما والاها يدعون بها الرُقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه...))⁽²⁾ ، وروى ابن الأثير المضمون نفسه، ثم ذكر أنها كلمة كثيرة الاستعمال بمصر⁽³⁾ ، أما ابن قتيبة فقال: ((ولا أدري من أي شيء أخذ ذلك والذي دعا إلى تفسير هذا الحرف وهو مبتذل بتلك الناحية كثرة من سألني عنه وبلغني أنها سميت بطاقة لأنها تُشدُّ بطاقة من هُذب الثوب ولست من هذا على يقين))⁽⁴⁾ . ونقل ابن الأثير حديث ابن عباس⁽⁵⁾ ((قال لامرأة سألته عن مسألة: أكتبها في بطاقة))، قال ابن الأثير: ((أي رُقعة صغيرة ويروى بالنون وهو غريب))⁽⁶⁾ .

فالابتذال هو كثرة الاستعمال وهو المفهوم من مقارنة كلام ابن قتيبة والزمخشري مع ما صدر عن ابن الأثير، ويبدو أن استعمالها بمعنى الورقة التي يكتب فيها قديم كما هو المفهوم من كلام ابن عباس، إلا أن استعمالها بمعنى الرُقعة التي توضع في الثوب وفيها رقم ثمنه في مصر وما والاها كثر وشاع في تلك الأصقاع.

4- وفي الحديث المنسوب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((أنه نهى عن الأكل مُتَكِنًا))⁽⁷⁾ ، فالمتكى ((في العربية كل من استوى قاعداً على وطاء متمكناً))⁽⁸⁾ والعامة ((لا تعرف المتكى إلا من مال في قعوده معتمداً على أحد شقيه... ومن حمل الاتكاء على الميل إلى أحد الشقين تأوله على مذهب الطب، فإنه لا ينحدر في مجاري الطعام سهلاً ولا يُسيغه هنيئاً وربما تأذى به))⁽⁹⁾ . فدلالة اللفظ اختلفت بين استعمال أهل العربية وبين العامة وقد شاع عندهم بهدي من أهل الطب.

ومما يمكن أن يُحسب على لغة الخواص ما يُنسب إلى الأطباء ما ورد في قول الصادق (عليه السلام) في المعادن: ((وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس والجبيسن))⁽¹⁰⁾ ، قال البيرجندي: ((الجبس - بالكسر - الجص وفي أكثر النسخ الجبسين ولم أجده فيما عندنا من كتب اللغة لكن في لغة الطب...))⁽¹¹⁾ ومنه ما ينسب إلى المنجمين،

فعن الصادق (عليه السلام): ((ضع الجدي على قفاك وصل))⁽¹⁾... قال البيرجندي: ((... الجدي... نجم إلى جانب القطب تعرف به القبلة... والمنجمون يُسمونه الجدي على لفظ التصغير...))⁽²⁾ ، فهذه اللغات ليس من كلام العرب العتيق الفصيح ولا من كلام العوام المبتذل إنما هي من مسميات الخواص.

5- ومما ولده المحدثون ونسبه بعضهم إلى اللحن قول بنت أبي جعفر العمري لأبي جعفر بن بسطام (((مهلاً يا ستي)))⁽³⁾ ... ويرجح فيه أنه يعني: يا سيدي⁽⁴⁾ ... وهو الشائع الآن في كلام المصريين، ويقرب منه ما نقل عن المغيرة ((أنه كره ضرب الباله))⁽⁵⁾ ، قال ابن الأثير: ((هي

(1) الفائق، 117/1 (بطاقة)

(2) المصدر نفسه

(3) ينظر: النهاية، 135/1 (بطق)

(4) غريب ابن قتيبة، 387/2، وينظر: غريب ابن الجوزي، 76/1 (بطق)

(5) النهاية، 136/1، وينظر: الصحاح، 181/4 (بطق)، واللسان، 21/10 (بطق)

(6) النهاية، 136/1 (بطق)

(7) بحار الأنوار، 389/63، وينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 181/1، والنهاية، 193/1 (تكأ)

(8) المصادر السابقة

(9) نفسها

(10) بحار الأنوار، 186/57، وينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 214/1 (جيس)

(11) المصدران السابقان

(1) بحار الأنوار، 55/81، وينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 223/1 (جدا)

(2) غريب الحديث في بحار الأنوار، 223/1 (جدا)

(3) بحار الأنوار، 372/51، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 199/2 (ستت)

(4) ينظر: المصدران السابقان

(5) النهاية، 164/1 (بول)



بالتخفيف حديدة يُصاد بها السّمك...))⁽⁶⁾ , والآن يُسمّيها بعض العراقيين في الأهوار (قالة) ثم انتقلت إلى بقية أنحاء العراق.

6- ومما يُنسب إلى المحدثين ويُعدّ غريباً قياساً على كلام العرب حديث كعب الأحبار الذي منه ((... فأصابه سَهْمٌ غَرَبٌ))⁽⁷⁾ , قال أبو عبيد القاسم بن سلام: ((والمحدثون يحدّثونه - يعني غَرَب - بتسكين الراء, والفتح أجود وأكثر في كلام العرب))⁽⁸⁾ , ومنه في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((... يجتمع النَّفَرُ على القِطْفِ فيشمِعُهُمْ))⁽⁹⁾ , قال ابن قتيبة: ((والمحدثون أو أكثرهم يروونه بفتح القاف والقياس أن يكسر))⁽¹⁰⁾ .

خامساً: أسباب آخر للغرابة:

عَرَضَ الباحث جملة من الأسباب التي أدّت إلى ظهور الغريب, منها ما يعود إلى اختلاف الرواية وتعدد الرواة للحديث الشريف ومنها ما يعود إلى غموض بعض الألفاظ نتيجة التطور أو الانحراف الدلالي وتأثير عامل الزمن في هذا التغيير فضلاً على أثر الاستعمال وتأثير البيئة في توجيه الدلالة أو البنية الوجهة التي تتساقط وظروف الصقع أو المكان الذي نشأت منه الظاهرة من حيث حركة أبنائه واحتكاكهم بغيرهم يُزاد على ذلك تأثير العجمة أو المعرّبات التي كان لها حضورها في كتب غريب الحديث وخلفت جمهوراً كبيراً من هذا الغريب, ومن الأسباب التي أدّت إلى كثرة الغريب - أيضاً - ما يرجع إلى الابتذال الذي ينشأ عن كثرة استعمال اللفظ أو الدلالة المحدثّة أو المولدة من العوام. وتبقى هناك أسباب جوهرية ومهمّة منها ما يتعلق ببنية الألفاظ ومنها يعود إلى دلالاتها, وقد نجد شيئاً يسيراً يرجع إلى التركيب فضلاً عما ينشأ عن تعدد اللغات وعلى النحو الآتي:

أولاً: الإشكال الصوتي: فهناك كثيرٌ من الألفاظ أو المفردات التي يتجلّى فيها هذا المطلب إذ يُثير التغير الصوتي لبساً أو غرابة في بنية اللفظ ما يستدعي الشروع في توضيح هذا الغموض أو اللبس فمن ذلك:

- حديث النخعي ((لا بأس بالصلاة في دِمّة الغنم))⁽¹⁾ , قال ابن الأثير: ((يريدُ مرابضها, كأنه دُمّ بالبول والبعر...)) وقيل: أراد دِمّة الغنم, فقلبت النون ميماً لوقوعها بعد الميم ثم أدغم⁽²⁾ .
لقد وقع لبسٌ وغموض في مفردة (دِمّة), فقد ذكرها النقلة والرواة هكذا, إلا أنّ الأقرب إلى سياق الحديث ومؤداه أن يكون بلفظ دِمّة, قال أبو عبيد: ((وإنّما هو دِمّة الغنم - بالنون في الكلام))⁽³⁾ وعند الزمخشري: ((قلبت نون الدِمّة لوقوعها بعد الميم ميماً ثم أدغمت الأولى في الثانية وذلك لتقاربهما واتفاقهما في الغنة والهواء. قال سيبويه: وتدغم النون مع الميم نحو عمّطر لأنّ صوتهما واحد ثم قال: حتى أنّك تسمع الميم كالنون والنون كالميم حتى تُبَيّن الموضع, ولهذا جمعوا بينهما في القوافي في كثير من الشعر))⁽⁴⁾ .

- وفي حديث الأضاحي ((كلوا وأخروا وانتجروا))⁽⁵⁾ , قال الهروي الثاني: ((أي تصدّقوا طالبين الأجر بذلك, ويجوز: اتّجروا كقولهم: اتّخذ كذلك والأصل فيه: اتّخذ, أدغمت الهمزة في التاء))⁽⁶⁾ , واستشهد عليه بالحديث الآخر: ((... مَنْ يَتَجَرَّ فيقوم فيصلي معه ؟))⁽⁷⁾ , والراجح هنا والمناسب

(6) المصدر نفسه

(7) غريب القاسم, 345/4 (غرب)

(8) المصدر نفسه

(9) غريب ابن قتيبة, 273/1

(10) المصدر نفسه, 276/1

(1) النهاية, 134/2 (دمم)

(2) المصدر نفسه

(3) غريب القاسم, 433/4 (دمم)

(4) الفائق, 440/1 (دمم), وينظر: سيبويه, 452/4

(5) الغريبين, 21/1

(6) المصدر نفسه

(7) نفسه



لهدف الحديث وغايته هو المعنى الثاني، ومؤذاه أن يأكل المؤمن ويدّخر ويتصدّق وفيه حثٌّ على تعجيل الصدّقة وهو هدف لا يتأتّى مع المعنى الأول كما أنّ الثواب حاصل قطعاً مع التصدّق، وقد لا يحصل مع التجارة التي قد لا تنفع إلا صاحبها، ولذلك ردّ بعض علماء الغريب المعنى الثاني، قال الزمخشري: ((واتّجروا على الإدغام خطأ، لأنّ الهمزة لا تدغم في التاء، وقد غلّط من قرأ: الذي اتّمنّ وقولهم: اتّزر عامي، والفصحاء على انتزّر))⁽⁸⁾ ونصّ ابن الأثير على كلام الزمخشري نفسه⁽⁹⁾... فأما الحديث الآخر: ((من يتجر فيقوم فيصلي معه)) فروايته بحسب ابن الأثير إنّما هي ((ياتجر))⁽¹⁰⁾.

- ومنه: قال أبو عبيد في حديث ابن عباس أنّ رجلاً قال له: ((ما هذه الفتيا التي شغبت الناس؟ ويروى شغبت - بالعين - ومعناها فرقت. قال أبو عبيد: وهو عندي... بالعين، قال الأصمعي: ويُقال: شغبت الرجل أمره إذا شتته وفرقه وأنشد لعلي بن الغدير:

وإذا رأيت المرء يشغّب أمره شغّب العصا ويلجّ في العصيان....))⁽¹⁾

ومما يرجح ما صحّحه أبو عبيد هو أن رواية ((الفائق)) جاءت بالعين⁽²⁾ واعتمد الجوهري رواية العين وأهمل الأخرى⁽³⁾.

فكل هذه البُنى أثارت هذا اللبس، والتداخل بينها واضح كأن يكتنف البنية معنيان أو أكثر فيقع اللبس كما رأينا في المثالين الأخيرين، ولذلك وجدنا العلماء يجهدون إلى تبين المعنى وإيضاحه أو ترجيح المعنى الأوفق باللفظة وسياقها الذي وردت فيه.

ثانياً: الإشكال الصرفي: وقد صدر المصنّفون في غريب الحديث عن مُحكّم آخر، إذ إنهم وجدوا بنى صرفيّة موهمة محتملة كثيرة، دعّتهم إلى تفسيرها وتوضيحها دفعاً للبس والغموض الحاصل، فمن ذلك:

- في الحديث: ((إنّ الله أذهب عنكم عُبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء...))⁽⁴⁾، يرى الزمخشري أنّ العُبيّة الكبر عموماً، لكنّه يذكر أنّ لها وزنين صرفيّين فلا ((تخلو من أن تكون فُعيلة أو فَعولة، فإن كانت فُعيلة فهي من باب عُباب الماء وهو رُخيره وارتفاعه... والأبيّة بمعناها من الأبواب بمعنى الغياب ويجوز أن يكونا فَعولة من العُباب والأبواب إلا أن اللام قلبت ياء، كما في تقضى البازي... وإن كانت - أعني العُبيّة - فَعولة فهي من عباه، إذا هيأه، لأنّ المتكبر ذو تكلف وتعبئة خلاف من يسترسل على سجيته ولا يتصنع...))⁽⁵⁾، فهذه بنية انتسبت إلى أصلين اشتقاقيين، جعلنا العلماء يردّونهما دون ترجيح واضح لأحدهما كما مرّ وكما عند المعجميين⁽⁶⁾. وليس ببعيد أن يكون هذا الاختلاف عائداً إلى تعيّد اللغات، وهو ما يفهم من قول الزمخشري ((والكسر في العبيّة لغة))⁽⁷⁾.

- في كتاب وائل بن حجر ((ومن أجبا فقد أربى))⁽⁸⁾، قال ابن الأثير: ((الإجباء: بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه وقيل هو أن يُغيّب إبله عن المصدّق، من أجباؤه إذا واريته والأصل في هذه اللفظة الهمز، ولكنّه روي هكذا غير مهموز))⁽⁹⁾، وعقب ذلك بقوله: ((فأما أن يكون تحريفاً من الراوي أو يكون ترك الهمز للزدواج بأربى))⁽¹⁾، هذا هو المعنى الأوّل لهذه اللفظة وأما المعنى الآخر فهو

(8) الفائق، 26/1، 27 (أجر)

(9) النهاية، 25/1 (أجر)

(10) المصدر نفسه

(1) غريب القاسم، 212/4-213 (شعب)

(2) ينظر: الفائق، 250/2 (شعب)

(3) ينظر: الصحاح، 234/1 (شعب)، و237/1 (شعب)

(4) الفائق، 384/2، وينظر: النهاية، 169/3 (عجب)

(5) المصدران السابقان

(6) ينظر: اللسان، 575/1 (عجب)

(7) الفائق، 324/2 (عجب)

(8) النهاية، 237/1 (جبا)

(9) المصدر نفسه

(1) النهاية، 237/1 (جبا)



على ما قال صاحب((النهاية)): ((وقيل أراد بالإجباء العينة وهو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثمن الذي باعها به))⁽²⁾.

هذان معنيان لهذه البنية فأما من(أجبا) ويعني: باع الحرث قبل أن يبدو صلاحه على ما يقول الهروي الأول⁽³⁾ أو من(أجبا) الذي يحتمل كل هذه الدلالات⁽⁴⁾ ويرجح الباحث أن أصل الكلمة بالهمز على ما ذكره بعض مصنفى غريب الحديث وما أكدته أهل المعجمات⁽⁵⁾، وليس ببعيد أن يكون الحديث بتسهيل الهمز إذا ما صحت نسبته إلى الرسول الأعظم ذلك أن أهل المدينة كانوا ينكرون الهمز⁽⁶⁾.

- ومن الأمثلة الأخرى على تناوب الصيغ الصرفية قول الحسن: ((حادثوا هذه القلوب بذكر الله، فإنها سريعة الدثور...))⁽⁷⁾ وموضع الشاهد هنا قوله((حادثوا))، والمعنى كما ينقل ابن الأثير هو: ((اجلواها به واغسلوا الدرن عنها وتعاهدوها بذلك كما يحدث السيف بالصقال))⁽⁸⁾، فمعنى المحادثة هنا: التجديد والتحديث وظاهر الصيغة أنها جاءت على وزن (فاعلوا) والمفاعلة قد تكون من اثنين وذلك نحو المجاذبة والمشاركة⁽⁹⁾ ولكنها لم تأت في هذا الموضع كذلك، ويبدو أنها جاءت بدلالة((أحدثوا))، ومنه أحدث الرجل سيفه⁽¹⁰⁾، وذلك أن(فاعل) تجيء بمعنى (أفعل) مجيئاً صالحاً⁽¹¹⁾.

ثالثاً: الإشكال التركيبى: المتأمل في مصنفات غريب الحديث، لا يجدها تُعنى بمشكل الإعراب، والتركيب عناية لها حضورها ولا يعني ذلك أن هذه العناية منتفية أو مُغيبة تماماً في هذه المصنفات، ولكنها لم تكن كعناية العكبري وابن مالك ت(672هـ) في هذا الموضع، فقد وقفا على نصوص وأحاديث مشككة في تركيبها وتعدد وجوه القول فيها، والذي يعنينا في هذا الموضع ما صدر عن علماء غريب الحديث، ومن شواهد ذلك:

- قال ابن الزبير الأسدي لابن الزبير: ((لا حملت ناقة حملتي إليك. فقال: إن وصاحبها))⁽¹⁾، فما معنى ((إن)) هنا؟ يجيب ابن قتيبة على هذا الإشكال بقوله: ((... وإنه، فيه قولان، أحدهما: أن تجعل إنه بمعنى نعم، والآخر: أن تجعل الكلام مختصراً مقتصراً مما بعده عليه، كأنه قال: وإنه كذلك أو إنه على ما تقول))⁽²⁾ ثم تمثل ابن قتيبة لقول الأسدي السابق⁽³⁾. والجيد عند ابن هشام في قول ابن الزبير لمن قال: ((لعن الله ناقة حملتي إليك)) ((إن وراكبها)) أي: نعم ولعن راكبها، فلا يجوز عنده حذف الاسم والخبر جميعاً⁽⁴⁾.

فقد وقف ابن قتيبة على مشكل هذا الحديث واحتمال تعدد الوجوه فيه فقدّر ما أمكنه التقدير لرفع اللبس في هذا التركيب.

ومن ذلك أيضاً في الحديث المنسوب إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في دعائه ((مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا))⁽⁵⁾، اللبس الحاصل في الضمير المتصل بالفعل((اجعل)) وقد جاء بلفظ الواحد وقد تقدّم ذكر الأسماع والأبصار بلفظ الجماعة وكان يفترض عود الضمير عليها بلفظ

(2) المصدر نفسه

(3) غريب القاسم، 133/1(جنى)

(4) ينظر: اللسان، 131/14(جنى)، 44/1(جبا)

(5) ينظر: الصحاح، 46/1(جبا)، 225/6(جبا)، واللسان، 44/1(جبا)، 131/14(جنى)

(6) غريب ابن قتيبة، 633/2، وينظر: في نسبة الحديث إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، غريب الحديث في بحر الأنوار، 215/1، وبحار

الأنوار، 125/100

(7) الفائق، 268/1(حدث)

(8) النهاية، 351/1(حدث)

(9) ينظر: شرح ابن عقيل (تكملة في تصريف الأفعال)، 60/2

(10) ينظر: اللسان، 134/2(حدث)

(11) ينظر: أدب الكاتب لابن قتيبة، 303

(1) غريب ابن قتيبة، 537-538/1

(2) المصدر نفسه

(3) نفسه

(4) ينظر مُعْنَى اللَّيْبِ لابن هشام، 56/1، 57

(5) غريب الخطابي، 343/1، وينظر: الترمذي، 528/5



الجماعة، قال الخطابي: ((فيه وجهان: أحدهما أن تكون الهاء راجعة إلى ضمير الفعل وهو الاستمتاع بهما، والوجه الآخر أن تكون الإشارة بها إلى واحدٍ واحدٍ من كُلِّ سمع ومن كل بصر))⁽⁶⁾، فكأنه يقول: واجعل الاستمتاع الوارث، فمؤدَّى الإسماع والإبصار وفاقاً للحديث الشريف هو الاستمتاع مذكراً مفرداً، واجتهد الخطابي في إيجاد تفسير آخر وهو أن تكون الإشارة بالضمير إلى واحد من كل سمع ومن كل بصر، وهكذا حُلَّ هذا الإشكال التركيبي.

- وفي حديث آخر ((ما زالت أكلة خبير تُعَادني فهذا أَوَانٌ قَطَعْتُ أبهرى))... عرض ابن الأثير إلى لفظ (أوان) وعده من الأسماء التي تُضاف إلى الجملة جوازاً فيجوز فيه ((الضم والفتح: فالضم لأنه خبر المبتدأ والفتح على البناء لإضافته إلى مبني))⁽⁷⁾.

وقد تمثل له بقول النابغة الذبياني:

على حين عاتبت المشيب على الصبا⁽⁸⁾.

قال ابن عقيل ت(769هـ): ((وهذا مذهب الكوفيين وتبعهم الفارسي وابن مالك لكن المختار فيما أضيف إلى جملة فعلية صُدِرَت بماضٍ البناء... وما وقع قبل فعلٍ معرب أو قبل مبتدأ فالمختار فيه الإعراب ويجوز البناء... ومذهب البصريين أنه لا يجوز فيما أضيف إلى جملة فعلية صُدِرَت بمضارع أو إلى جملة اسمية إلا الإعراب ولا يجوز البناء إلا في ما أضيف إلى جملة فعلية صُدِرَت بماضٍ))⁽¹⁾ فالإشكال التركيبي في إعراب لفظ (أوان) وقد وجهه ابن الأثير وسوّغ له على وفق رأي الكوفيين لكن المختار غيره على ما يقول ابن عقيل.

ولحديث النحو والتركيب بقية سيتناولها الباحث في الإشكال الذي يحصل لتعدد اللغات إن شاء الله سبحانه.

رابعاً: الإشكال المعجمي والدلالي: وهو محتكم آخر صدر عنه مصنفو غريب الحديث وهو من أجلى المحتكمات ظهوراً وأكثرها شيوعاً في هذه المظان، ولذلك سيأخذ مساحة أكبر - هنا - للإحاطة ببعض جوانبه وسيوزع البحث فيه على جملة مطالب منها:

1- الألفاظ الغريبة: ينبغي القول - هنا - إنَّ الغرابة شيءٌ نسبيٌّ ذلك أنَّ الأنس بالكلمات القديمة وفهم معانيها يتضاءل مع تقدّم الزمن، ولأنَّ الحديث كلما اتسع نطاق استعماله بين الناس وازداد انتشاره بين المجتمعات البشرية وكثر التساؤل عن معانيه تزداد إلى جانب ذلك المباحث اللغوية وهذا يجري طوال الزمن فالمفردة التي كانت بالأمس متداولة معروفة واضحة المعنى قد يُترك استعمالها جانباً أو قد تحدّد أو تقيد أو تنحرف فيؤدي ذلك إلى تراكم الغرابة عليها تدريجياً، بل إنَّ مصنّفات الغريب نفسها قد تحتاج بعد تقادم الزمن عليها إلى شرح وتبسيط⁽²⁾.

فكثير من الألفاظ يستغلّق معناها على قارئ الحديث وإن كانت في أيامها الأولى مفهومة لا إشكال فيها، وكثير منها قد يحتاج فيمن يطلبها إلى معرفة ثقافية واجتماعية لتمثّل المتعين منها، وقد مرّ بنا أن ألفاظاً ابتدعها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصدرت عنه غمضت واستغلّقت على من كان حوله فسألوه عن ((القبيري)) و((الجز)) و((الجعظ)) وغيرها⁽³⁾.

ومثل هذا الإشكال وقع لمؤلفي غريب الحديث أنفسهم، فلم يفقوا على معاني الألفاظ إلا بالتوهم والحيرة فمن ذلك قول ابن قتيبة في صفة الدجال: ((رَجُلٌ فيلِقُ بالقاف، ولست أعرفُ الفيلق إلا الكتيبة العظيمة... فإن كان جَعَلَهُ فيلقاً لعظمه فهو وجه إن كان هذا محفوظاً وإلا فإتما هو الفيلم بالميم، والفيلم العظيم من الرجال))⁽⁴⁾، وقد مرّ بنا كيف: أنَّ أبا عبيد لم يسمع بكلمة (الجدف) ولم

(6) غريب الخطابي، 343/1

(7) النهاية، 18/1 (ابهر)

(8) المصدر نفسه، وينظر ديوان النابغة الذبياني/76

(1) شرح ابن عقيل، 59/2، 60

(2) ينظر: غريب الحديث في بحر الأنوار/21

(3) ينظر: ص 76 من هذا الفصل

(4) غريب ابن قتيبة، 375/1، وينظر: غريب ابن الجوزي، 207/2



يعرف لها أصلاً⁽⁵⁾. وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنَّه شُقَّ عن قلبه وجيء بطسَّت رَهْرَهَة))⁽⁶⁾، جاء في غريب ابن قتيبة: ((قال أبو حاتم: سألت الأصمعي عن ذلك فلم يعرفه ولست أعرفه أنا أيضاً وقد التمسْتُ لهذا الحرف - يعني رهره - مخرجاً فلم أجده إلا من مخرج واحد وهو أن تكون الهاء فيه مبدلة من حاء وهي تبدل منها لقرب مخرجها...))⁽¹⁾.
وتبقى أن هناك مصادر أخرى مهمة تنشأ عنها الغرابة فمنها ((أسماء الأماكن))، فليس كل امرئ يعرف أسماء الأماكن أو يتمثل مواضعها، فقد يحصل اللبس بالاشتيا به دلالة ما تفضي إليه التفاصيل نحو قول لابن عباس ((بعثني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الثَّقَل من جمع بليل))⁽²⁾، الشاهد في ((جمع)) فمؤدَّى اللفظ قد يكون أولاً نحو دلالة (الجمع)⁽³⁾ إلا أن الواقع يشير إلى أن ابن عباس يريد: المزدلفة، قال ابن الأثير: ((سُمِّيت به لأن آدم (عليه السلام) وحَوَّاء لما أهبطا اجتماعاً بها))⁽⁴⁾.
ومثله ما نُسب إليه أنه ((احتجم (صلى الله عليه وسلم) بلحي جمل))⁽⁵⁾، فقد يظن القارئ في الوهلة الأولى بأن الباء للاستعانة⁽⁶⁾ وأن ((لحي جمل)) شيء احتجم به إلا أن الواقع أن ((لحي جمل)) مكان بين مكة والمدينة⁽⁷⁾، وقيل عَقَبَة، وقيل ماء⁽⁸⁾.
ومنه في حديث عطاء ((لا بأس أن يتداوى المحرم بالسَّنا والعُتر))⁽⁹⁾، فقد يظن الدارس أن العُتر دواء يتداوى به، بل هو المتبادر من سياق الحديث وقد نصَّ عليه ابن منظور⁽¹⁰⁾، إلا أن العُتر يعني جبل بالمدينة من جهة القبلة⁽¹¹⁾.
وقد تكون الغرابة ناشئة عن بعض ((أسماء الأطعمة أو صفاتها)) فمن ذلك أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ((أهديت له ضغابيس فقبلها وقبلها وأكل منها))⁽¹²⁾، قال الزمخشري ((هي: صغار القَتَاء ... قال الأصمعي: وهو نبت ينبت في أصول التَّمَام... يُسَلَّقُ بالخلِّ والزيت ويؤكل))⁽¹³⁾
ومن ذلك ما نُسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) من ((أنه عاد سَعْدًا فوصف له الوجيئة))⁽¹⁴⁾... والوجيئة كما يصفها ابن الأثير: ((تمرَّ يبلُّ بلبنٍ أو سَمْنٍ ثمَّ يُدَقُّ حتى يلتئم))⁽¹⁵⁾.
وقد تنشأ الغرابة من بعض ((أسماء النباتات)) نحو الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الدَّجَال والمسيح ((لا يبقى شيء مما خلقه الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا شجر ولا حجر ولا دابة... إلا الغُرْقَدَة...))⁽¹⁾ فما هي الغُرْقَدَة: قال الزمخشري: ((الغُرْقَد من العضاة وقيل هي كبار العوسج))⁽²⁾ وهي عند ابن الأثير: ((إلا الغرقد...))⁽³⁾ هو: ((ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك...))⁽⁴⁾.

(5) ص 84 من هذه الأطروحة

(6) غريب ابن قتيبة، 380/1، وينظر: غريب الخطابي، 675/1، وغريب ابن الجوزي، 426/1، والنهاية، 281/2 (رهره)

(1) غريب ابن قتيبة، 139/1

(2) النهاية، 296/1 (جمع)

(3) ينظر: اللسان، 53/8 (جمع)

(4) النهاية، 296/1 (جمع)

(5) الفائق، 310/3 (لحي)

(6) ينظر: مغني اللبيب، 139/1

(7) ينظر: الفائق، 310/3

(8) ينظر: النهاية، 243/4 (لحا)

(9) ينظر: المصدر نفسه، 178/3 (عتر)

(10) ينظر: اللسان، 539/4 (عتر)

(11) ينظر: النهاية، 178/3 (عتر)

(12) الفائق، 341/2، وينظر: النهاية، 89/3 (ضغيس)

(13) الفائق، 341/2، وينظر: النهاية، 89/3 (ضغيس)

(14) النهاية، 152/5 (وجأ)

(15) المصدر نفسه

(1) الفائق، 60/3 (غرقد)، وينظر: النهاية، 362/3 (غرقد)

(2) الفائق، 60/3 (غرقد)

(3) النهاية، 362/3 (غرقد)

(4) المصدر نفسه



فسياق الحديث يدلُّ على أنَّها نبات ولكن أيَّ نبات، وما هي هيئته ؟ هذا ما دعا علماء الغريب إلى السعي لعرض هذه الدلالات لإيضاح هذا الغموض.

وقد تتجلى الغرابة في أسماء ((بعض الأدوات))، فمن ذلك حديثه في الأوعية فقد نهى (صلى الله عليه وآله وسلم) من ((الدُّبَاءِ والحَنْتَمِ والنَّقِيرِ والمَزْفَتِ))، قال أبو عبيد مُعَقِّباً: ((وقد جاء تفسيرها كلها أو أكثرها في الحديث عن أبي بكره قال: أما الدُّبَاءُ فإنما معاشر ثقيف كنا بالطائف نأخذ الدُّبَاءَ فنخرط فيها عناقيد العنب ثم ندفنها حتى تهدر ثم تموت، وأما النَّقِيرُ فإنَّ أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة ثم يشدخون فيه الرطب والبسر ثم يدعونه حتى يهدر ثم يموت وأما الحَنْتَمُ فجرار خضر كانت تحمل إلينا فيها الخمر، قال أبو عبيد: أما الحديث فجرار حمر وأما في كلام العرب فهي الخضر وقد يجوز أن يكون جمعاً وأما المزفت فهذه الأوعية التي فيها الزفت...))⁽⁵⁾ فهذه أوعية لا يمكن الوقوع على مفاهيمها لولا ما ذكره مصنّفو الغريب في شأنها⁽⁶⁾.

ومما اجتلب الغرابة ((بعض ألفاظ الأوزان والمقادير)) وذلك أنَّ مقدار بعضها كان يختلف باختلاف الصقع والأماكن أو لم يكن لبعضها شهرة وشيوع فمن ذلك ((ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة))⁽⁷⁾، فالغموض يحصل من اختلاف مقدار الوسق بين بلد وآخر لذلك يلجأ علماء الغريب إلى تعيين المقدار لإزالة الغموض قال ابن الأثير: ((الوسق بالفتح: ستون صاعاً وهو ثلاثمائة وعشرون رطلاً عند أهل الحجاز وأربعمائة وثمانون رطلاً عند أهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمد))⁽⁸⁾.

وقد وَجَدَ بعض المحدثين مِمَّنْ عرض شيئاً من الغريب أنَّ الغموض الآتي من هذا الغريب قد تمثّل في كتب غريب الحديث في ثلاثة محاور.

أولها: أحاديث اشتملت على مفردات غريبة وحشيّة استوقفت السامع في سياقها الأول ففسّرها القائل ليرفع الغموض الآتي من هذه الجهة.

وثانيها: أحاديث أخرى استوقفت المصنّفين أنفسهم، فشرعوا يبحثون وينقّبون عن المعاني المتعيّنة مع تعذّر وقوفهم عليها إلا بالتوهم والترجيح.

وثالثها: أحاديث اشتملت على ألفاظ غريبة فسّروها قدر استطاعتهم، وقد اختلفت بواعث الغرابة فيها كأسماء الأمكنة والأطعمة والأشربة والأدوات و((البلاد منداحة واسعة فما هو معروف عند جماعة من ملبس ومشرب ومأكّل قد يكون غير معروف عند جماعة أخرى بعيدة فأسماء الأماكن تشبه وتتعدّد وألفاظ الأوزان والمقادير متباينة أيضاً بتباين الديار ولعلّ بعضها لم يكن معروفاً ذائعاً عند العامة، والأوصاف الدقيقة كأوصاف الخيل أو شاة التضحية بحاجة إلى من هو عارف ومتصلّ بها اتصالاً وثيقاً حتى يقيم الفروق الدلالية بين ألفاظها، وذلك أنَّها تنتسب إلى حقلٍ دلاليٍّ واحدٍ))⁽¹⁾.

2- المشترك اللفظي⁽²⁾: وهو محتكم آخر ينتمي إلى الدلالة المعجميّة، وقد واجه المصنّفون في غريب الحديث جملةً صالحة من الألفاظ التي تكتنفها معانٍ متعددة تجعل منها مكاناً خصباً للغموض والتوهم فمن ذلك:

- في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لو كان شيء ينجي من الموت لكان السنّا والسُّنُوت))⁽³⁾، السُّنُوت: العسل، وقيل: الرُّبُّ عصير التمر والعنب، وقيل: الكمّون، وقيل: ضرب من

(5) غريب القاسم، 305/1، 306، واخرج حديث نهيه (صلى الله عليه وآله وسلم) مسلم في صحيحه، 1577/3-1584، وأحمد في مسنده، 277/5

(6) ينظر: النهاية، 304/2 (زفت)، 448/1 (حنتم)، 104/5 (نقر)

(7) النهاية، 185/5 (وسق)، وينظر: غريب الخطابي، 246/1، 247، إذ تحدّث الخطابي عن بعض الموازين كالمدي والمكوك والصاع...

(8) النهاية، 185/5 (وسق)

(1) ظاهرة اللبس في العربية، د: مهدي اسعد عرار/343

(2) ينظر: تعريف المشترك اللفظي، التعريفات/119، المزمهر، 369/1، الصاحبي/114

(3) غريب ابن قتيبة، 358/1، والفائق، 202/2 (سنا)



التمر (4) ، فأَيّ من هذه الدلالات يمكن تعيينه ؟ لا يستطيع الدارس ذلك إلا على التوهم أو الترجيح، فيمكن أن يكون كلُّ منها صالحاً في سياق الحديث - والله أعلم - ونَصَّ ابن قتيبة على أنه العسل (5) . ومنه - أيضاً - ((ليس في النَّخَةِ صدقة)) (6) ، قال ابن الأثير: ((هي الرقيق، وقيل هي الحمير وقيل : البقر العوامل... وقيل: هي كل دابة استعملت)) (7) ، ورَجَّح أبو عبيد: في معنى النَّخَةِ أن تكون الرقيق ونسبها إلى الكسائي، لكنّه ما لبث أن نسب إليه ولغيره كلاماً آخر وهو أنّها ((البقر العوامل قال الكسائي: هذا كلام أهل تلك الناحية كأنّه يعني أهل الحجاز وما وراءها إلى اليمن وقال الفراء: النَّخَةُ أن يأخذ المصدق ديناراً بعد فراغه من أخذ الصدقة)) (8) .

فاختلاف هؤلاء العلماء دليل على ما أسلفنا من أن ما ذكره لا يتعدّى الترجيح أو التوهم. والأمر المهمّ الآخر هو أنّ تعدد دلالات هذا اللفظ قد يرجع إلى اختلاف اللغات وقد نصّ عليه الكسائي، واختلاف اللغات يُعدّ من أهم مناشئ هذه الظاهرة... وممّا يعزّز ذلك رواية معاوية بن عمار ((قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) إنّ الناس يروون أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إنّ العَدَسَ بَارِكَ عليه سبعون نبياً فقال: هو الذي تُسمّونه عندكم الحمص ونحن نسميه العدس)) (1) فكلام الإمام (عليه السلام) يدلُّ دلالة لا لبس فيها على اختلاف دلالة المفردة بين صقعين.

وممّا يدخل في هذا الباب ما يُنسب إلى الأضداد (2) ففي حديث ابن مسعود ((كُنَّا عند النبي (صلى الله عليه وسلم) ذات ليلة فأكثرنا في الحديث)) (3) ، وأكثرى من الأضداد، يُقال: إذا أطال وقصّر وزاد ونقص، ورَجَّح ابن الأثير في تفسيره للفعل أن يكون بمعنى: أطلنا وأخرنا (4) ، والسياق يحتمل المعنيين مع أدنى تأمل.

3- التطور الدلالي: ذُكر في ما سبق أنّ الغرابة تنشأ نتيجة التغيير الحادث في دلالات الألفاظ، إذ تحوّل كثيرٌ من الألفاظ عن دلالاته الأولى ثمّ كانت الغرابة والغموض بعد حين، ومن المواضيع التي أُشير فيها إلى تطور الدلالة ((المجالات الدلالية)) وذلك أنها تفرز مواضع لبس محتملة حتى مع توقّر سياق جملي (5) ، ومن أظهر الشواهد على هذا التطور في الدلالة ما خلفه الإسلام الكريم بقرآنه المجيد وسنة نبيه الشريفة من نقل في الدلالات من مجال إلى آخر، ولعلّ ابن قتيبة في كتابه ((غريب الحديث)) من أكثر علماء غريب الحديث تمثلاً لهذا الباب إذ عرّج هذا العلامة على هذه الظاهرة جانحاً إلى إقامة بون بين المعنى اللغوي القديم والمعنى الشرعي الجديد، إذ أثر الإسلام العظيم بمصطلحاته الجديدة في تحوّل كثير من الألفاظ عن دلالاتها إلى الحدّ الذي صار فيه الفرعُ أصلاً والأصلُ فرعاً، كالصلاة التي أصلها الدعاء لكنّها أصبحت تدلُّ على هيئة مخصوصة في العبادة يجب التزامها، فإذا ما ذُكرت بالمعنى الأول في سياق ما فإنّ المرء قد يقع في اللبس إذ لا يتبادر إلى الذهن إلا المعنى الشرعي ومثلها الزكاة والتيمم والوضوء والقنوت (6) .

ومن الأمثلة: عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((التَّهْجِيرُ إِلَى الْجُمُعَةِ حَجٌّ فَقَرَاءُ أُمْتِي)) (7) ذكر الأزهري أنّ كثيراً من الناس يذهبون إلى أنّ التهجير في هذا الحديث هو من المهاجرة وقت الزوال، وهو غلط (8) ، بل هذا هو المعنى الذي يلجّ الذهن ابتداءً ، لكن الأزهري يرى أنّ ذلك غلط

(4) الفائق، 202/2، والنهاية، 415/2 (سنا)

(5) ينظر: غريب ابن قتيبة، 358/1

(6) النهاية، 31/5 (نخ)، وينظر: غريب الخطابي، 107/1

(7) النهاية، 31/5 (نخ)

(8) غريب القاسم، 8-7/1 (نخ)

(1) بحار الأنوار، 161/57، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 364/1، 365 (حمص)

(2) ينظر: تعريف الأضداد، الصاحبي/117، والمزهر، 387/1

(3) ينظر: النهاية، 170/4 (كر)، وينظر: أمثلة للأضداد، الفائق، 377/3، والنهاية، 122/5 (نوء)، والنهاية، 147/3 (طهم)

(4) ينظر: النهاية، 170/4 (كر)

(5) ظاهرة اللبس في العربية/350

(6) ينظر: غريب ابن قتيبة، 241-153/1، وظاهرة اللبس في العربية/350

(7) بحار الأنوار، 197/86، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 166/4 (هجر)

(8) اللسان، 255/5 ، وينظر: التهذيب/275/4 (هجر)



والصحيح على وفق ما روى بعض أهل اللغة أن التهجير هو التكبير والمبادرة⁽⁹⁾، ويظهر أن الدلالة الأخيرة نشأت عن التحول الذي طرأ على هذا اللفظ فحوّله من دلالاته الأولى إلى الدلالة الأخيرة، التي يبدو أنها من إبداعات الإسلام الجديدة، ويظهر أن هذه الدلالة شاعت عند الحجازيين وكانت ألصق بهم من غيرهم على وفق ما يشير بعض أهل الغريب وأصحاب المعجمات⁽¹⁾.

ومن مثل ما تقدم ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**خمس فواسق يُقتلن في الحل والحرم، الفأرة والعقرب والحدأة والغراب الأبقع والكلب العقور**))⁽²⁾، الفسق: هو العصيان والترك لأمر الله والخروج عن طريق الحق، والعرب تقول: إذا خرجت الرطبة من قشرها فقد فسقت الرطبة من قشرها، وكأن الفأرة سميت فويسقة لخروجها من جحرها على الناس⁽³⁾. فهناك معنى جامع بين دلالة الفسق لغة وشرعاً، ففي الحالتين خروج، ويظهر أن العودة إلى المعنى القديم يؤذن بشيء من اللبس، فلعن غاية ما يريده علماء الغريب من ذلك هو التنبيه على المجال الدلالي الذي استعملت فيه الكلمة في سياقها لرفع الغموض الحاصل، فالفأرة فويسقة وكذلك العقرب والحدأة... فلخروجهن من مستقرهن على الناس وإفسادهن كما تخرج الرطبة من قشرها فتغدو فاسقة⁽⁴⁾... قال الزمخشري: ((**وإنما سميت هذه الحيوانات فواسق على سبيل الاستعارة لخبثهن وقيل لخروجهن من الحرمة**))⁽⁵⁾.

خامساً: الإشكال الأسلوبي والسياقي:

وقد وجد علماء غريب الحديث بعض الأحاديث يتجافى في أسلوبه عن مضمار اللغة النمطية المباشرة فلا يقتنص المراد منها بالنظر إلى ظاهر اللفظ بل تنأى بالمعنى إلى مكان طروح، كالأحاديث التي فيها ذكر للجوارح والأبعاض في الذات الإلهية وهي مدخل من مداخل القائلين بالتشبيه والتجسيم، والأحاديث المجملّة التي يعوزها بسط وتطويل لتعيين المراد وكذا الأحاديث ذات الدلالة العامّة المحتملة. فمن أمثلة هذا المورد:

- في حديث فاطمة بنت قيس ((**قال لها: أما أبو جهم فأخاف عليك فسقاسته**))⁽⁶⁾، وفي الرواية ((**أني أخاف عليك فسقاسته العصا**))⁽⁷⁾، والمعنى عند الخطابي أن ((**أبا جهم سيئ الخلق سريع إلى التأديب والضرب**))، وعقب الخطابي بقوله: ((**وفي أكثر الروايات أنه قال: أن أبا جهم لا يضع عصاه عن عاتقه**))⁽⁸⁾ وهذا يؤول إلى أنه لا يزال رافعاً لها على عاتقه ما دام يضرب، إلا أن هناك وجهاً آخر يحتمله هذا الأسلوب الكنائي وهو أن هذا الرجل مسفارٌ يكثر الظعن ويقلُّ المقام فكُنِيَ بالعصا عن نوى السفر، ((**يُقال: رفع فلان عصا السير إذا سافر وألقى عصاه إذا أقام**))⁽¹⁾.

وعليه قول الشاعر:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى **كما قرّ عيناً بالإياب المسافر**⁽²⁾

ومما يمكن أن ينتسب إلى هذا المورد وتبرز فيه مشكلة الإجمال وعموميّة الدلالة ما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب**))⁽³⁾ فالإشكال والغموض تمثّل في تقارب الزمان فدلالاتها غير محددة وفضفاضة تحتمل أموراً منها الأول: أنه أراد آخر الزمان واقترب الساعة، وذلك أن الشيء إذا قلَّ وتناقص تقاربت أطرافه، ولذلك يُقال: للقصير

(9) المصدران السابقان

(1) ينظر: النهاية، 246/5، وغريب الحديث في بحار الانوار، 166/4، واللسان، 255/5 (هجر)

(2) ينظر: الفائق، 116/3 (فسق)

(3) ينظر: اللسان، 308/10 (فسق)

(4) ظاهرة اللبس/351

(5) الفائق، 116/3، وينظر: النهاية، 446/3 (فسق)

(6) النهاية، 61/4، وينظر: غريب الخطابي، 96/1 (فسقس)

(7) المصدران السابقان

(8) غريب الخطابي، 96/1، 97

(1) غريب الخطابي، 96/1، 97

(2) المصدر نفسه، 97/1، واللسان، 347/15 (نوى)

(3) غريب الخطابي، 93/1، وينظر: الفائق، 81/3، 82 (قرب)



متأزف ومتقارب، ويقولون: تقاربت إبل فلان إذا قلت⁽⁴⁾، يعضده ما ينسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) ((في آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً))⁽⁵⁾. والثاني: أنه أراد استواء الليل والنهار وهو معنى سديد عند الخطابي، يزعم العابرون أن أصدق الأزمان لوقوع العبارة وقت انفتاح الأنوار ووقت إدراك الثمار وحينئذ يستوي الليل والنهار⁽⁶⁾. والثالث: أنه من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة))⁽⁷⁾، فلا يمكن الوقوع على معنى محدد بسبب عمومية الدلالة وإطلاق القول.

وقد يكون باعث الغموض والالتباس ناشئ عن إشكال سياقي حالي، أو مقامي، أو تاريخي اجتماعي، فهناك قرائن أو إشارات خارجية تحيط بالحديث لا يمكن عزلها عن صياغته اللفظية. فلا يفهم المعنى إلا بتضافر المعنيين، المقالي والمقامي⁽⁸⁾، فمن ذلك ما نسبته أبو عبيد إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن))⁽⁹⁾، نقل أبو عبيد أن معناه من لم يستغن به ولا يؤول إلى الصوت وليس للحديث عنده وجه آخر غير هذا⁽¹⁰⁾، وذهب بعضهم إلى أن المراد هو تطريب الصوت والتحزين له وإلى هذا ذهب ابن الإعرابي، قال: ((إن العرب كانت تتغن بالركباني وهو النشيد بالتمطيط والمد إذا ركبت الإبل وإذا انبطحت على الأرض وإذا جلست في الأفنية، وعلى أكثر أحوالها فلما نزل القرآن، أحب النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يكون القرآن هجيراً هم مكان التغني بالركباني))⁽¹⁾.

فالمحتكم إليه هنا سياق الحال وهو الذي احتكم إليه القاسم بن سلام وهو أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسب ما يروى عنه ((دخل على سعد وعنده متاع رث ومال رث فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحسب ما يروى عنه ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن))⁽²⁾، وعقب على ذلك الهروي بقوله: ((فذكره رثاة المتاع والمال عند هذا الحديث يبين أنه إنما أراد الاستغناء بالمال القليل وليس الصوت من هذا في شيء))⁽³⁾، وعضد قوله بحديث مسند آخر عن ابن مسعود، قال: ((من قرأ سورة آل عمران فهو غني))⁽⁴⁾.

ومما يتصل باللباس والغموض ما ينتج عن غياب السياق التاريخي والاجتماعي نحو ما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا إسعاد ولا عقر في الإسلام))⁽⁵⁾، فلا يمكن الوقوف على مضمون الحديث دون فهم ((الإسعاد)) و((العقر))، ويروي أبو سليمان، أن إسعاد النساء في المناحات، هو أن تقوم المرأة في المأتم فتقوم معها أخرى فيقال: قد أسعدتها وهي مسعدة، وقد تمثل له الخطابي بقول الأحوص:

بكيت الهوى جهدي فمن شاء لامني ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا⁽⁶⁾

(4) الفائق، 82/3، وينظر: غريب الخطابي، 94/1

(5) المصدران السابقان

(6) غريب الخطابي، 94/1، والفائق، 82/3، وينظر: النهاية، 33/4 (قرب)

(7) المصادر السابقة

(8) ينظر: ظاهرة اللبس، 356

(9) غريب القاسم، 142/2، وينظر: غريب الخطابي، 358/1، وأخرجه البخاري في التوحيد، 188/9، وغيره

(10) غريب القاسم، 142/2 (غنا)، وينظر: غريب الخطابي، 358/1

(1) غريب الخطابي، 358/1

(2) غريب القاسم، 142/2 (غنا)

(3) المصدر نفسه

(4) نفسه

(5) غريب الخطابي، 386/1، ومسند أحمد، 197/3

(6) ينظر: الخطابي، 368/1، والشعر في الديوان، 98 برواية بكيت الصبا



فالنياحة فِعْلَةٌ جاهلية نهى عنها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). و((العقر)) مرتبط بإشارة تاريخية إلى عقر الإبل على قبور الموتى، فقد نُقل عنهم أنَّ الرجل الشريف إذا مات((عَقَرُوا عند قبره وكانوا يقولون عن صاحب القبر: كان يعقرها للأضياف يقرهم أيام حياته فيكافأ عليه بمثل صنيعه ويقال: إنما كانوا يعقرونها لتطعمها السباع والطير عند قبره، فيُدعى مُطْعَمًا حيًّا وميتًا ويقال: بل كان من مذهبهم أنَّ صدى الميت يُصيبُ من ذلك الطعام وذلك من ترهات الجاهلية))⁽⁷⁾.

وخلاصة ما يُراد هنا أنَّ هذا الحديث يشتمل على إشارات تاريخية وملاحظ سياقية لا يُفهم المعنى إلا من خلالها ولذلك غُذَّ مثل هذا الحديث غريباً، فمعرفة (الإسعاد) و(العقر) اجتماعياً وتاريخياً وحدها الكفيلة بتوضيح هذا الاستغراب وهذا الغموض.

سادساً: الإشكال الناشئ من تعدد اللغات :

يُعدُّ هذا الإشكال من أهم الإشكالات التي تعرض في هذا الموضوع، وذلك لأنَّ موضوع الدراسة في هذه الأطروحة هو((اللغات في كتب غريب الحديث)) زيادة على أنَّ تعدد اللغات هذا يُعدُّ من عناصر اللبس المعجمي، التي نشأت عنها الغرابة وأريد أن أنبه على جملة أمور منها أنَّ مصنَّفِي غريب الحديث تناولوا هذا التعدد على مستويين: الأول بَعْدَه سبباً مباشراً للغرابة كما سيتبين في هذا الموضوع، وفي ما يليه من فصول هذه الأطروحة ، والثاني: بَعْدَه موضوعاً عاماً وشاهداً ثانوياً في ما عرضوا له ، أو لعلَّه صاحب الشواهد التي وظَّفوها عرضاً فنتاولوه على نطاقٍ محدود لاقنتين الأنظار إلى ثقافتهم اللغوية وطول باعهم في التصريف والدلالة، ومنها أنَّ هذا التعدد توزَّع على مستويات التحليل اللغوي المعروفة في الصوت والصرف والدلالة وهي التي ورَّعت بموجبها فصول الأطروحة، فأما المستوى النحوي فلم يكن له حضوره الواضح - كما أسلفنا في مورد الإشكال التركيبي - في كتب غريب الحديث شأنها شأن معظم المعجمات التي وجَّهت جلَّ عنايتها في هذا المورد إلى الحديث على الأدوات، فضلاً على عدد يسير من المسائل التركيبية التي قد لا تتعدى بضعة شواهد، فلم يتسنَّ للباحث عرضها في مبحث خاص لقلَّتْها، زيادة على تناولها في معظم كتب اللغة قديمها وحديثها لذا كان الإسهاب في تفاصيلها حشواً لا طائل منه⁽¹⁾، إنما سيُشير الباحث إلى شيء منها في نهاية هذا المورد، إن شاء الله سبحانه.

وعوداً إلى موضوع الإشكال الحاصل نتيجة تعدد اللغات يرى بعض المتخصصين أنَّ باعث الغرابة هو أنَّ اللغويين لم يقعدوا العربية من جميع لهجاتها، بل تخيروا قبائل مخصوصة واستثنوا أخرى، وإذا ما عُرِضَ شيء مما استثنى وأطرح خفي وغمض ثم غُذَّ غريباً، فلم يدر ابن عباس على جلاله قدره ما فاطر السموات والأرض؟ حتى احتكم إليه إعرابيان في بئر، ((فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأتها))⁽²⁾، فقد ارتكز في ذهن ابن عباس وغيره ممَّن عاش في بيئته معنى غير هذا الذي سمَّعه من هذين الإعرابين، ووردت عليه الدلالة القرآنية ولذلك نصَّ أبو عبيد على أنَّ ابن عباس كان يُسأل عن القرآن فينشد الشعر⁽³⁾، وهو أمر يدلُّ على أنَّ في القرآن من لغات العرب أكثر ممَّا أحصاه اللغويون وجَرَدَه الرواة⁽⁴⁾، ولم يدر الأصمعي ما الزَّلْفَةُ؟ وغمضت عليه في حديث يأجوج ومأجوج((... فيَغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلْفَةِ))⁽⁵⁾ وقال الكسائي: أنَّ العرب تُسمِّي المرأة الزَّلْفَةَ، وقال غيرهما: هي الإجانة الخضراء⁽⁶⁾، فالراجح هنا أنَّ ما جرى من غموض عند الأصمعي واختلاف عند غيره راجع إلى اختلاف اللغات، وقد نصَّ ابن درستويه⁽⁷⁾ ت(330هـ) ثم أبو علي الفارسي ت(377هـ) على أنَّ اتفاق الألفاظ واختلاف المعاني ليس أصلاً في

(7) غريب الخطابي، 369/1

(1) ينظر: الخليل في معجم مقاييس اللغة/129

(2) ينظر: غريب القاسم، 373/4، وينظر: الفائق، 127/3، والنهية، 457/3، واللسان، 56/5(فطر)

(3) ينظر: غريب القاسم، 373/4

(4) ينظر: كتاب اللغات في القرآن/12-14

(5) الفائق، 8/4(زلف)

(6) ينظر: المصدر نفسه

(7) تصحيح الفصح: 240/1



الوضع اللغوي، إنما هو من لغات تداخلت⁽¹⁾، وينبغي على رأي الدكتور رمضان عبد التواب: أن ينظر إلى المعاني المختلفة التي ذكرها اللغويون لهذا اللفظ أو ذاك في ضوء هذا الذي ذكر⁽²⁾. وقد وقع في حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ظواهر لغوية (لهجية) متعددة، وقد ذكر في موضع سابق⁽³⁾ أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بُعثَ مبلِّغاً ومُعلِّماً وقد كان يتحلق حوله أصحابه يسألونه عن أمور الدين والدنيا فيجيبهم ويردُّ عليه الناس فرادى وجماعات وقبائل، وقد كان يخاطبهم في بعض الأوقات بما مرَّنت عليه ألسنتهم من لغات متباينة في بعض ملاحظها اللغوية عمَّا هو شائع، وقد يحدث - أحياناً - أن يكون للرواة أنفسهم يدٌ في وقوع التباين اللغوي (اللهجي) في الحديث الشريف⁽⁴⁾، وهو ما سيتأكد في قادم الفصول - إن شاء الله - ولم يختلف حديث الصحابة أو التابعين في هذا المورد كثيراً عما جرى لحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومسألة تباين اللغات في كتب غريب الحديث ليست مقصورة على وجهة واحدة بل شملت كثيراً من الظواهر الصوتية والصرفية والدلالية التي سيفصح عنها البحث لاحقاً - إن شاء الله - وجملة القول إن كثيراً مما أثير - هنا - من تباين لغوي (لهجي) كان له أثره الواضح في نشوء الإبهام أو الغموض في هذه النصوص، فمن ذلك ما نُسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال لعطية السعدي: ((ما أغناك فلا تسأل الناس شيئاً، فإنَّ اليد العليا هي المنطية، وإنَّ اليد السفلى هي المنطاة وإنَّ مال الله مسؤول ومنطى))⁽⁵⁾، فالأصل في الكلام والذي جرى عليه اللسان العربي استعمال الفعل (أعطى) واشتقاقاته⁽⁶⁾ فأما مجيء الفعل على هذه الصورة (أنطه كذا) ثم ما اشتق منه (منطى) و(منطية) و(منطاة)⁽⁷⁾، فهو ممَّا أثار غموضاً وغرابة لم تتضح إلا بتفسيرها على الاستنطاء في لغة بعض العرب الذين يجعلون العين الساكنة نوناً إذا جاوزت الطاء⁽⁸⁾ ولم يقف الإبهام عند هذا بل نُقل عن زيد بن ثابت أنه كان مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والنبي يملئ عليه كتاباً وهو يستفهمه فأذن رجل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((انطُ))⁽⁹⁾، فالغموض هنا أشدُّ وأكثر إلباساً ذلك لأنه في هذا الموضع تجاوز الأثر النطقي إلى التبدل الدلالي، (أنط) معناه: أسكت قال ابن الإعرابي: ((فقد شَرَّفَ النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه اللغة وهي حميرية))⁽¹⁾.

ومن مواضع الغموض واللبس أيضاً ما روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتابه لأهل حضرموت وأقوال شبوة ((بما كان لهم فيها من ملك وعُمران، ومزاهر، وعُمران، وملح ومحجر وما كان فيها من مال بحضرموت أعلاها وأسفلها))⁽²⁾، ذكر الخطابي اختلاف المتخصصين وغيرهم في تفسير هذه الأسماء، وقد سمع الخطابي من بعض الحضرميين أن (مَحْجَر) هي قرية معروفة فيها، والمحجر الحديقة، والمحاجر: الحدائق، وقال حضرمي آخر: بل هو المَحْجَن والأحتجان الاحتظار للشيء، قال الحضرمي: فأما العُمران فهي المزارع ومفردها العريم، والعُرمة: الكديس وهو حصيد الزرع إذا دُقَّ قبل أن يُذَرى والمزاهر: الرياض وهي مجمع لأصناف الزهر والنبات⁽³⁾.

(1) ينظر: المخصص لابن سيده، 259/13

(2) ينظر: فصول في فقه اللغة، د: رمضان/325، ودراسات في فقه اللغة، د: صبحي صالح/303

(3) ينظر: الغريب في لغة النبي (ص) من هذه الأطروحة

(4) ينظر على سبيل المثال: ظاهرة اللبس في العربية/344، ولهجة قريش/242-247، وينظر: ص: 80، 81 في هذا الفصل

(5) الفائق، 442/3، وينظر: النهاية، 76/5 (نطا)

(6) ينظر: اللسان، 333/15 (نطا)

(7) ينظر: المزهر، 222/1

(8) ينظر: المزهر، 222/1

(9) ينظر: الفائق، 442/3، واللسان، 333/15 (نطا)

(1) الفائق، 442/3، والنهاية، 76/5، واللسان، 333/15 (نطا)

(2) غريب الخطابي، 148/1 - 151

(3) المصدر نفسه، 149/1 - 151



أما كتابه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الأقوال العباهلة فقد أحال الخطابي تفسيره إلى أبي عبيد القاسم وكتابه غريب الحديث (4).

وفي الحديث عن علي (عليه السلام) : ((أنه سئل عن البتّع، فقال: كل مسكر حرام)) (5)، ونُسب هذا الحديث في ((الفائق)) (6) إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والبتّع نبيذ العسل، وهو خمر أهل اليمن وقد تحرّك التاء كقَمْعٍ وقَمَعٍ، وقال أبو موسى الأشعري: ((خمر المدينة من البسر والتمر، وخمر أهل فارس من الغنّ، وخمر أهل اليمن من البتّع وهو من العسل، وخمر الحبش السُّكْرَكَة)) (7) فكل لفظ هنا مثل لغة بعينها وقد غمض وغرّب فاحتاج إلى تفسير لإزالة هذا الإيهام. ومما ينسب إلى الظواهر الصوتية - أيضاً - ما نُقلَ عن ابن عباس ((لا بأس بقتل الجدو والإفْعو)) (8)، وهي لغة في الوقف على ما آخره أَلْفٌ، فقلّبت الألف واواً، ومنهم من يقبلها ياءً وقد تخفّف أو تشدّد، والجدو هي الجدأ: جمع جدأة وهي الطائر المعروف، لما سكّن الهمز للوقف صارت أَلْفاً فقلّبت واواً في سنن من يتمثل هذه اللغة (9).

وفي حديث لقمان: ((إِنَّ أَرْمَظَمِي فَحْدُو تَلَمَعُ)) (10)، أي تختطف الشيء في انقضاضه وقد أجرى الوصل مجرى الوقف، فقلب وشدّد. وقيل أهل مكة يسمّون الجدأ جدوّاً بالتشديد (1). ويمتدّ ملحظ تباين اللغات في الحديث إلى الإعراب، وقد وقع الباحث على شواهد قليلة في مورد النحو والإعراب لم يتسنّ له تخصيص مبحث خاص بها للأسباب التي ذكرها - آنفاً - لذا اختار الإشارة إليها والوقوف على شيء من خصائصها اللغوية (اللهجية)، للفراغ منها ومن ثمّ الانتقال مباشرة إلى الموارد الأخرى في الصوت والصرف والدلالة إذ انتظمت مساحة أكبر وأكثر عمقاً في كتب غريب الحديث وهو ما ستكشف عنه فصول الأطروحة القادمة على التوالي - بمشيئته سبحانه وتعالى - .

- فمنها ما نُسبَ إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) من الدعاء ((اللهم اشُدّد وطأتك على مضر وأبعث عليهم سنين كسنّي يوسف)) (2). وفي رواية أخرى ((اللهم أجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف)) (3)، فهاتان روايتان للفظ (سنين) نُسبتا إلى الحديث النبوي الأولى على لغة عامّة العرب، وقيل لغة الحجاز، وعلياً قيس، الذين أعربوا اللفظ بالواو، رفعاً، وبالياء نصباً وجرّاً، والرواية الثانية على لغة بعض بني تميم وبني عامر الذي أعربوا بحركات على النون والتزام الياء في جميع الأحوال. ((فأما أن يكون (صلى الله عليه وسلم) تكلم باللغتين جميعاً مرّة بهذه، ومرّة بتلك، لأنّ الدعاء مقام تكرار للمدعو به وهذا هو الظاهر، وأما أن يكون (صلى الله عليه وسلم) قد تكلم بإحدى اللغتين ورواه الرواة بهما جميعاً كلّ منهم رواه بلغة قبيلته، لأنّ الرواية بالمعنى جائزة عند المحدثين)) (4).

ومثله ما نقل الزمخشري في القول: ((شَهِدْتُ صَفَيْنَ وبُسْتُ الصَّفُونِ))، قال: ((فيه وفي أمثاله من نحو فلسطين وقنسرين وبيرين لغتان للعرب إحداهما: إجراء الإعراب على ما قبل النون وتركها مفتوحة كجمع السلامة، والثانية: إقرار ما قبلها على الياء وإعراب النون كقولك: هذه صَفَيْنُ ومررت بصَفَيْنٍ، وشهدتُ صَفَيْنَ)) (5)، ونقل ابن الأثير كلام الزمخشري بتمامه (6).

(4) ينظر: نفسه و غريب القاسم، 211/1

(5) النهاية، 94/1، وينظر: الفائق، 72/1 (بتع)

(6) ج 72/1 (بتع)

(7) النهاية، 94/1 (بتع)

(8) المصدر نفسه، 355/1 (حدّا)

(9) نفسه

(10) نفسه

(1) النهاية، 94/1 (بتع)

(2) غريب ابن قتيبة، 409/1، وينظر: الفائق، 22/3، و غريب ابن الجوزي 125/2، والنهاية، 293/3 (عليه)

(3) شرح ابن عقيل و هامشه، 64/1، وينظر: النهاية، 414/2، واللسان، 501/13 (سنه)

(4) شرح ابن عقيل و هامشه، 64/1

(5) الفائق، 306/2 (صفن)



- ومن أمثلة الإعراب - أيضاً - في حديث عمر (رضي الله عنه) : ((لا يَدْخُلَنَّ رجلٌ على امرأةٍ وإن قيل حموها إلا حموها الموت))⁽⁷⁾ . قال الزمخشري: ((الأحماء: أقرباء الزوج كالأب والأخ والعم وغيرهم، الواحد حم في غير الإضافة وإذا أضيف قيل: هذا حموها ورأيت حماها ومررت بحميها، وهو أحد الأسماء الستة التي إعرابها بالحروف مضافة ويقال أيضاً هذا حما كقفا وهو حماها))⁽¹⁾

ذكر الزمخشري في هذا الموضع لغتين في (حم)، الأولى: أنها تُعرب بالحروف، وذلك عند إضافتها إلى غير ياء المتكلم وهذه هي اللغة المشهورة. والثانية: إعرابها بالألف مطلقاً رفعاً ونصباً وجرّاً، ولغة ثالثة - لم يذكرها - وتكون بحذف الأحرف الثلاثة وهي نادرة⁽²⁾ .

وفي أبيات أنشدها الكسائي عن أشياخ من بني تميم عن أشياخهم عن هوبر الحارثي، ومنها:

تزود منا بين أذنائه ضربة
دعته إلى هاني التراب عقيم

نصّ أبو عبيد على أنّ قوله: ((بين أذنائه)) هي لغة بني الحارث بن كعب. يقولون: رأيت الرجلان⁽³⁾

- وفي ما يتصل بـ (ما) الحجازية والتميمية ذكر الزمخشري في حديث ابن مسعود: ((ما مُصَلَّى لامرأة أفضل من أشد مكان في بيتها ظلمة))⁽⁴⁾ ، قال: ((وأفضل إما يُنصب على لغة أهل الحجاز أو يرفع على لغة بني تميم))⁽⁵⁾ ، وقد نصّ أبو الفتح ابن جني على أن التميمية أقوى قياساً من ((حيث كانت عندهم كـ (هل) في دخولها على الكلام مباشرة كلّ واحد من صدري الجملتين: الفعل والمبتدأ كما أنّ (هل) كذلك))⁽⁶⁾ ، إلا أنّ ابن جني رجّح الحجازية مسوّغاً ذلك بقوله: ((إلا أنك إذا استعملت أنت شيئاً من ذلك فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله وهو الحجازية ألا ترى أنّ القرآن بها نزل))⁽⁷⁾ ، ولغة الحجازيين عند ابن هشام في إعمال (ما) هي اللغة القويمة، وجاء بها التنزيل قال الله تعالى: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾⁽⁸⁾ ، و﴿ مَا هُنَّ امَّهَاتُهُنَّ ﴾⁽⁹⁾ .

وبنو تميم لا يعملون (ما) شيئاً ولو استوفت الشروط فيقولون: ما زيد قائم⁽¹⁰⁾ ويقرؤون ﴿ مَا هَذَا

بَشَرًا ﴾⁽¹¹⁾ .

- وعلى لغة (أكلوني البراغيث). نقل الزمخشري ما نسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((كُنْ نَسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يَشْهَدْنَ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) الصَّبْحَ...))⁽¹⁾ . قال: ((النون في كُنْ علامة وليست بضمير كالواو في (أكلوني البراغيث))⁽²⁾ .

(6) ينظر: النهاية، 40/3، وأعراب الزمخشري ((البلغين)) في حديث عائشة ((قد بلغت منّا البلغين))، بمثل ذلك، الفائق، 130/1 (بلغ)

(7) الفائق، 318/1 (حمو)

(1) الفائق، 318/1 (حمو)

(2) ينظر: شرح ابن عقيل، 50-48/1

(3) ينظر: غريب القاسم، 200/1، والشعر في اللسان، 351/15 برواية ((بين أذنيه))

(4) الفائق، 119/1 (بعل)

(5) المصدر نفسه

(6) الخصائص لابن جني، 126/1

(7) المصدر نفسه

(8) يوسف، 31

(9) المجادلة، 2

(10) ينظر: شرح قطر الندى، 143، 144

(11) ينظر: المصدر نفسه، 144

(1) الفائق، 323/3

(2) المصدر نفسه



وفي حديث الدجال ((إنه تلده أمه فيحملن النساء بالخطائين))⁽³⁾ ... قال ابن الأثير: ((وقوله: يحملن النساء على لغة من يقول: أكلوني البراغيث))⁽⁴⁾.

اتفق النحويون على أن من أحكام الفاعل أنه لا يلحق عامله علامة تنثية ولا جمع فلا يقال: قاما أخواك، ولا قاموا أخوتك، ولا قمن نسوتك، بل يقال في الجميع (قام) هذا هو الأكثر ومن العرب من يلحق هذه العلامات بالعامل، واصطلح على الأخيرة بلغة أكلوني البراغيث، وسماها بعضهم بلغة ((يتعاقبون فيكم ملائكة...)) وقد نسبها النحويون إلى طائفة من العرب هم بنو الحارث بن كعب⁽⁵⁾. - وفي مورد إجراء القول مجرى الظن أو عدم إجرائه قال ابن الأثير في حديث ((لما أراد أن يعتكف ورأى الأخبية في المسجد، فقال: البرّ تقولون بهن؟))، أي أتظنون وترون أنهن أردن البرّ⁽⁶⁾. وفعل القول إذا كان بمعنى الكلام لا يعمل في ما بعده تقول: قلت زيد قائم، وأقول عمرو منطلق وهذا مذهب عامة العرب، وهو أنهم لا يجرون القول مجرى الظن إلا بشروط أربعة ذكرها النحويون، وهي أن يكون الفعل مضارعاً للمخاطب مسبقاً باستفهام غير مفصول بينه وبين الاستفهام بغير ظرف ولا جارٍ و مجرور ولا معمول الفعل⁽⁷⁾.

وبعض العرب، كما ينقل ابن الأثير يُعمله فيقول: قلت زيد قائماً، فإن جعلت القول بمعنى الظنّ أعملته مع الاستفهام، كقولك: متى تقول ذاهباً، وأقول زيداً منطلقاً⁽⁸⁾؟ والذين يجرون القول مجرى الظن في نصب المفعولين مطلقاً، أي: سواء كان مضارعاً أم غير مضارع وجدت فيه الشروط أم لم توجد هم بنو سليم كما نصّ بعض النحويين⁽⁹⁾.

وأما ما يتعلق بالأدوات فذكر مصنفو الغريب عدداً منها وأشاروا إلى وظيفتها في التركيب فمن ذلك ذكر الزمخشري في الحديث المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((... ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتم عليه)) أن (بله) من أسماء الأفعال كرويد ومه وصه يُقال: بله زيداً بمعنى دعه واطركه، وقد يوضع موضع المصدر فيقال: بله زيد، كأنه قيل: ترك زيد، ويقلب في هذا الوجه فيقال: بهل زيد، لأن حال الإعراب مظنة التصريف⁽¹⁾. وعقب على ذلك بقوله: ((وما أطلعتم عليه: يصلح أن يكون منصوب المحل ومجروره على مقتضى اللغتين))⁽²⁾.

و(بله) عند النحويين على ثلاثة أوجه: اسم فعل بمعنى (دع) ومصدر بمعنى (الترك) النائب عن (اترك) واسم مرادف (لكيف) والذي بعدها منصوب على الأول ومجرور على الثاني ومرفوع على الثالث، وفتحها بناءً على الأول والثالث وإعراب على الثاني⁽³⁾ وقد روي بيت كعب بن مالك الأنصاري:

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها بله الأكف كأنها لم تخلق⁽⁴⁾

على الوجهين⁽⁵⁾ بل روي على الأوجه الثلاثة عن الحسن بن القاسم المرادي ت(749هـ)⁽⁶⁾ وقد توسّع ابن منظور في عرض أقوال العلماء فيها ونسب الجر بها إلى بعض العرب دون تحديده⁽⁷⁾،

(3) النهاية، 44/2 (خطأ)، وينظر: 260/4 (لغ)، و219/5 (وكد)

(4) المصدر نفسه

(5) ينظر: شرح قطر الندى/182، وشرح ابن عقيل، 473/1

(6) النهاية، 123/4، 124

(7) شرح ابن عقيل، 446/1، 447

(8) النهاية، 123/4، 124

(9) شرح ابن عقيل، 449/1، 450، وينظر: اللسان، 575/11 (قول)

(1) الفائق، 127/1 (بله)

(2) الفائق، 127/1 (بله)

(3) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن القاسم المرادي، تح: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب

العلمية، بيروت، 1413هـ - 1992م: 156/1

(4) ديوانه، 245/، وينظر الجنى الداني، 425/، والمغني، 156/1، واللسان، 478/13 (بله)

(5) ينظر: الفائق، 127/1 (بله)

(6) ينظر: الجنى الداني، 505/، 506، والمغني، 156/1

(7) ينظر: اللسان، 478/13 (بله)



وَنَقَلَ أَبُو عبيد أن معنى(بله) في الحديث(كيف), قال الفراء: معناه كَفَّ ما أطلعتم عليه ودع ما اطلعتم عليه وكلاهما معناه جائز عند الهروي(8).

ومن الأدوات الأخرى (نَعَمْ) ففي حديث قتادة ((عَنْ رَجُلٍ مِنْ خَنَعَمٍ, قَالَ: دَفَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) وَهُوَ بِمَنْى فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ؟ قَالَ: نَعَمْ)) وكسر العين . قال ابن الأثير: هي لغة في (نَعَمْ) بالفتح التي للجواب وقد قُرئ بهما(9).

وعَقَّبَ ابن الأثير على ذلك بحديث لأبي عثمان النهدي جاء فيه ((أمرنا أمير المؤمنين عمر بأمر فقلنا (نَعَمْ) فقال: لا تقولوا (نَعَمْ) وقولوا (نَعَمْ) وكسر العين)) (10).

وقال بعض وَلَدَ الزبير ((ما كنت اسمعُ أشياخَ قريش يقولون إلا نَعَمْ)) بكسر العين(11). هذه نصوص متضاربة صدرت عن قرشيين تُشيرُ إلى أنهم يكسرون عين (نعم) بل يؤكِّد النص الأخير إجماع شيوخ قريش على ذلك.

والأصل عند المرادي حرف من حروف الجواب، وفيها ثلاث لغات: (نَعَمْ) بفتح العين و(نَعَمْ) بكسرها، وهي لغة كنانة وبها قرأ الكسائي(12).

فأما كنانة فهي وقريش يرجعان إلى كنانة بن خزيمة، وبنو كنانة من تغلب بن وائل وهم عكَب يقال لهم قريش تغلب، فالأصل واحد والمكان قريب والتزاور مستمر(1)، قال الهمداني: ((الغميماء لكنانة في تهامة الحجاز)) (2)، ومكة ويثرب وينبع وخيبر والطائف، وغيرها، من جملة الصقع التي يتكون منها الحجاز(3).

إلا أن ذلك لا يمنع من ورود بعض النصوص المنسوبة إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وقد جاءت فيها (نَعَمْ) بفتح العين، مثل: ((قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ سَاعَةٍ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ: نَعَمْ جَوْفَ اللَّيْلِ الْآخِرِ)) (4)، ولا يبعد أن يكون للرواية يدٌ في تباين هذه الألفاظ.

- ومن شواهد الأدوات والإعراب قول ابن عمر: ((اذهب بهذه تَلَان))... قال أبو عبيد(5): ((قال الأموي: قوله تَلَان - يريد: الآن وهي لغة معروفة، يزيدون التاء في الآن وفي حين فيقولون: تَلَان وتَحِين، قال: ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَلَّاتِ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (6)، قال: إنما هي: ولا حين مناص، وأنشدنا الأموي لأبي وجزة السعدي:

العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم(7)

وفي ((اللسان)): ((وأما قول أبي وجزة... قال ابن سيدة: قيل إنه أراد العاطفون مثل القائمون والقاعدون، ثم إنه زاد التاء في حين، كما زادها الآخر في قوله... وصلينا كما زعمت تَلَانا

أراد الآن فزاد التاء وألقى حركة الهمزة على ما قبلها، قال أبو زيد: سمعتُ من يقول: حَسْبُكَ تَلَان يريد الآن فزاد التاء...)) (8).

(8) ينظر: غريب القاسم، 186/1 (بله)

(9) النهاية، 84/5 (نعم)

(10) المصدر نفسه

(11) نفسه

(12) ينظر: الجنى الداني/505، 506 والمغني، 451/1

(1) ينظر: اللسان، 335/6 (قرش)، و362/13 (كنن)

(2) ينظر: صفة جزيرة العرب/296

(3) ينظر: أحسن التقاسيم/69

(4) النهاية، 139/5 (نعم)

(5) غريب القاسم، 250/4، واللسان، 43/13 (تَلَان)

(6) ص/ من الآية: 3

(7) البيت في غريب القاسم، 250/4، واللسان، 43/13 (أين)

(8) اللسان، 134/13 (حين)



توطئة: السبب في اعتماد مستويات التحليل اللغوي

اتبعت المدارس اللغوية الحديثة تقسيمات محددة لمستويات التحليل اللغوي وذلك لأغراض تحليل الظاهرة اللغوية ووضع المناهج المناسبة لها، وبيان أوجه التماثل والتقابل المشتركة أو المتباينة فيها وصولاً إلى نتائج صحيحة وضوابط ذات صفة استقرائية، لاستعمالها في دراسة اللغات المختلفة والموازنة بينها.

وعلى كل منهج من المناهج اللغوية أن يستعمل هذه التقسيمات على وفق طريقته وهدفه، ويظهر أن كثيراً من علماء اللغة كان يقسمها لأغراض البحث وليست تحديداً وعزلاً تاماً لمستوى دون آخر، فهي متداخلة يفيد منها الباحث في كل مرحلة وتبعاً لذلك فقد تستعمل المصطلحات الخاصة بمنهج لغوي في منهج آخر.

ويبدو لي أن أوفق المناهج وأقربها لدراسة اللغات (اللهجات) هو توزيعها على مستويات التحليل اللغوي الأربعة المشار إليها، إذ لا تتجاوز الظواهر اللغوية المخصوصة بلغة أو بأخرى هذه المستويات⁽¹⁾.

فإذا جاوزنا المستوى النحوي الذي تكلمنا عليه بما يُغني في الفصل الأول، وتبعاً للأسباب المذكورة حينذاك، فستبقى لدينا مستويات التحليل الثلاثة: المستوى الصوتي - والمستوى الصرفي - والمستوى الدلالي.

مدخل في المستوى الصوتي:

إن أبرز الاختلافات التي تنشأ بين اللغات تحدث في مجال الأصوات، فينتج عن ذلك جملة من الظواهر الصوتية التي تميز لغة من غيرها، ومن خلال ما ذكره مصنفو غريب الحديث من أحاديث شريفة، سعياً لبيان الغريب فيها عُرِضَتْ طائفة من الظواهر الصوتية التي ميّزت نطق أو أداء بعض الرواة أو المحدثين الذين عبّروا عن قبائلهم وبيئاتهم المختلفة فضلاً على ما صدر عن النبي (صلى الله عليه وآله) أو صحابته وتابعيه، باعتبارهم يصدر عن بيئاتهم مع فارق هو أن هؤلاء قد لا يمثلون بيئاتهم المخصوصة في جملة مما صدر عنهم تأثراً أو قصداً، كما في تلك الموارد القليلة التي وردت في الحديث النبوي وعبرت عن بعض لغات القبائل العربية، وهو ما سوّغ لطائفة من العلماء القول إن الحديث النبوي لا يُعدّ قرشياً كلياً بل هو عربي كما قالوا في لغة القرآن للسبب عينه⁽¹⁾.

(1) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د: علي عبد الحسين آل زوين، 59

(1) ينظر: لهجة قريش، 237



ويظهر لمتتبع الدرس الصوتي في اللغات العربيّة أنّ عرضَ القدماء، والمحدثين هذه اللغات اعتمد نظاماً تقابلياً متميزاً، فالظاهرة اللغويّة التي توجد في بيئة ما تستدعي مقابلهما الموجود في بيئة أخرى، وهو أمرٌ مَبْنِي على الاعتقاد بتقابل البيئات اللغوية (اللهجيّة) أصلاً وعليه بنى المحدثون كثيراً من تحليلاتهم، ومنه انطلقت فكرة البداوة والحضريّة وتقابلهما، وإن كان لهذه الفكرة جذرها في الموروث القديم.

ويظهر - أيضاً - أنّ هؤلاء اللغويين عرضوا جمهوراً من هذه الظواهر من دون تحديد لها تأصيلاً أو فرعيّة، وهو ما لا يتفق مع سنان اللغات ولا سيما لغات البيئة الواحدة التي جاءت من أصل موجود، حتى لو لم نستطع تحديده ونحن نعرض هذا الأمر⁽²⁾. ويسعى الباحث - هنا - للوقوف على جملة من الظواهر الصوتيّة التي عرضها علماء غريب الحديث محاولاً تحديد هذه المنطلقات قدر ما يستطيع، وعارضاً هذه الظواهر بالوصف المقرون بالتحليل والمشفوع بالتعليل ومعقّباً ذلك بأمثلة وافية على كلّ ظاهرة وعلى يأتي:

المبحث الأول

المماثلة

تتأثر الأصوات اللغويّة بعضها ببعض في كثير من الكلام، فالمرء حين ينطق بلغته نطقاً طبيعياً لا تكلف فيه، فإنّ أصوات الكلمة الواحدة قد يُؤثر بعضها في الآخر، ويظهر أنّ قابلية التأثير تختلف من صوت لآخر، فمن الأصوات ما هو سريع التأثير يندمج في سواه أكثر من غيره من الأصوات، والسرّ في ما قد يصيب بعض الأصوات من تأثر يعود إلى مجاورتها لبعضها في الكلام المتصل. والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المشابهة أو المماثلة بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات وفي المخارج، ويمكن أن يدعى مثل هذا التأثير بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة⁽¹⁾.

وقد عرّف بعضهم المماثلة بأنها: ((التعديلات الكيفيّة للصوت بسبب مجاورته - ولا نقول ملاصقته - لأصواتٍ أخرى أو تحول الفونيمات المختلفة إلى المماثلة إمّا تماثلاً جزئياً أو كلياً))⁽²⁾. أو هي: التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات⁽³⁾. فالمحدثون أرادوا بمصطلح المماثلة تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض وميلها إلى التقارب في ما بينها في الصفات والمخارج، لتحقيق الانسجام بينها، سعياً للاقتصاد في الجهد العضلي وتيسير النطق⁽⁴⁾.

وقرّروا أنّه قد يتجاور صوتان لغويان فيتأثر الأول منهما بالثاني، واصطلحوا على تسمية هذا النوع من التأثير بـ (الرجعي) وأحياناً يتأثر الصوت الثاني بالأول فيعرف هذا بالتأثير (التقدّمي)⁽⁵⁾، وقد ذكر برجشتراشر نوعاً ثالثاً اسماء (المتبادل) وهو الذي يحدث فيه التأثير في اتجاهين في آنٍ

(2) ينظر: المصدر نفسه، 69، 70.

(1) ينظر: الأصوات اللغوية، د: إبراهيم أنيس، 145.

(2) دراسة الصوت اللغوي، د: أحمد مختار عمر، 324.

(3) التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، د: رمضان عبد التواب، 22.

(4) ينظر: الأصوات اللغوية، 145، وفي البحث الصوتي عند العرب، د: خليل العطية، 71، ولهجة قبيلة أسد، 82.

(5) ينظر: الأصوات اللغوية، 145، والتطور النحوي برجشتراشر، 29.



واحد وتمثل له بلفظة (أذكر) فقال: ((فالذال الرخوة صارت شديدة أي دالاً والتاء المهموسة أصبحت مجهورة أي دالاً أيضاً))⁽⁶⁾.

ولم يغفل اللغويون القدامى هذه الظاهرة فقد رصدها الخليل في كتابه (العين) وفي غيره منبهاً على أن الكلام يحسن عند تجاور بعض الأصوات مع بعضها ويقبح عند تجاور أصوات أخرى⁽⁷⁾. وسمّاها سيبويه بـ (المضارعة أو التقريب) مُشيراً إلى ميلهم نحو هذا الانسجام بين الأصوات عن طريق التماثل⁽¹⁾، وذكرها ابن جني في (خصائصه) في (باب في الإدغام الأصغر) وهو: ((تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك))⁽²⁾، وأطلق عليها ابن يعيش بـ (المشكلة لغرض التجنيس)⁽³⁾، وسمّاها ابن الحاجب بـ (المناسبة)⁽⁴⁾. هذا وقد فصل المحدثون القول في أنواعها ودرجاتها مستنيرين بما أثار عن القدماء⁽⁵⁾.

ويمكن توزيع المماثلة على العنوانات الآتية:

- 1- الإدغام وسمّاه المحدثون بالمماثلة الكاملة⁽⁶⁾.
- 2- الإبدال وهو من أهم عناصر المماثلة ويسميه بعضهم بـ (المماثلة الجزئية) أو (الإدغام الأصغر).

3- الإمالة وهي ضرب من ضروب الإدغام الأصغر بحسب ابن جني⁽⁷⁾.
أولاً: الإدغام: كان موضع عناية علمائنا القدماء كالخليل الذي ذكر أمثلة منه في كتابه (العين)⁽⁸⁾، وسيبويه الذي عقد له باباً خاصاً في كتابه⁽⁹⁾، وابن جني الذي عرّفه بأنّه: ((تقريب صوت من صوت))⁽¹⁰⁾.

ومعنى الإدغام عند الزجاجي: ((أن يلتقي حرفان من جنس واحد، فتُسكّن الأول منهما وتدغمه في الثاني، أي تدخله فيه، فيصيران حرفاً واحداً مشدداً ينبو اللسان عنه نبوة واحدة، أو يلتقي حرفان متقاربان في المخرج فتبدل الأول من جنس الثاني وتدغمه فيه وإنما تفعل ذلك تخفيفاً نحو: شدّ ومدّ وما أشبه ذلك))⁽¹¹⁾.

وعليه يظهر أن الإدغام عند هؤلاء وسواهم على ثلاثة أقسام:

- 1- إدغام التماثلين: وهما ما اتفقا مخرجاً وصفةً.
 - 2- إدغام المتقاربين: وهما ما تقاربا في المخرج أو في الصفة.
 - 3- إدغام المتجانسين: وهما ما تقاربا مخرجاً واختلفا صفةً⁽¹²⁾.
- وإذا تتبعنا هذه الظاهرة في كتب غريب الحديث نجد أن مؤلفي هذه المظان وقفوا على جملة من الأحاديث، أو النصوص التي اشتملت على هذه الظاهرة مصنفين إياها غالباً في حقل تعدد اللغات، وقد أطبق هؤلاء العلماء على نسبة الإدغام إلى أهل تميم وفك الإدغام إلى أهل الحجاز، وهو ما شاع عند غيرهم من العلماء قديماً وحديثاً⁽¹⁾.

(6) التطور النحوي، 29

(7) ينظر: العين، 152/8 (ظن)، وعبري من البصرة، د: مهدي المخزومي، 522

(1) ينظر: الكتاب، 479-477/4

(2) الخصائص، 143/2

(3) شرح المفصل، 54/9

(4) ينظر: شرح الشافية، للاستريادي، 4/3

(5) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب، 70-84، والمصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، 35-138

واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع، 64

(6) ينظر: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، د: غالب المطليبي، 78

(7) ينظر: الخصائص، 143/2 واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع، 64

(8) ينظر على سبيل المثال: 50/1، 29/2 (عند)، 395/4 (دغم)

(9) ينظر: 437/4

(10) الخصائص، 141/2

(11) الجمل، للزجاجي، 134

(12) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري، 278/1 واتحاف فضلاء البشر، 22، 23، والبحث الصوتي عند العرب، 81،

واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع، 65

(1) ينظر: الكتاب، 4/473، والخصائص، 260/1، 261، وهمع الهوامع، 446/3، وينظر: من المصادر الحديثة: في اللهجات العربية،

د: إبراهيم أنيس، 73، 74، والدراسات اللهجيّة والصوتيّة عند ابن جني، د: حسام النعيمي، 170، ولهجة قریش، 80



والإدغام الأكبر عند ابن جنيّ قسماً: الأول منهما هو المؤلف المعتاد وبه يلتقي المثلان على الأحكام التي ينتج عنها الإدغام فيدغم الأوّل في الآخر نحو: قَطَعَ والأصل قَطُّطَعَ وشَدَّ والأصل: شَدَّدَ، والثاني وفيه يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوِّغ معها الإدغام فيُقلَّب أحدهما إلى لفظ صاحبه فيدغم فيه⁽²⁾.

ويمكن توزيع الشواهد التي رصدها مصنفو غريب الحديث تبعاً لذلك على وفق المقدمات الآتية:

1- فعل الأمر والمضارع المنجزم:-

ذكر سيبويه أنّ العرب مجمعون على إدغام المثلين في الفعل إذا تحرّك الثاني منهما قال: ((والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد نحو رددت ووددت... فإذا تحرك الحرف الآخر فالعرب مجمعون على الإدغام))⁽³⁾.

إلا أنّهم اختلفوا في فعل الأمر وفي المضارع المنجزم، وقد نسب سيبويه فكاً الإدغام إلى الحجازيين وإبقاءه إلى بني تميم وإلى غيرهم من العرب ووصفهم بالكثرة قال: ((فإذا كان حرف من هذه الحروف في موضع تسكن فيه لام الفعل فإنّ أهل الحجاز يضاعفون... وذلك قولك: اردد واجترر وإن تضارر أضارر... يدعونه على حاله ولا يدغمون... وأما بنو تميم فيدغمون المجزوم كما أدغموا إذا كان الحرفان متحركين لما ذكرنا من المتحركين فيسكنون الأوّل ويحركون الآخر لأنّهما لا يسكنان جميعاً، وهو قول غيرهم من العرب وهم كثير))⁽⁴⁾.

فمن ذلك ما ورد في حديث عبد الله بن مسعود: ((... فننادني رجلاً: أن اجرره الرمح))⁽⁵⁾، ومنه الحديث الآخر: ((أجرّ لي سراويلي))⁽⁶⁾... الحديث الأوّل: أظهر فيه على لغة أهل الحجاز وهذا أدغم على لغة غيرهم⁽⁷⁾.

ومنه في حديث الحسن البصري: ((... فإن وافق قولٌ عملاً نقل له: نعم... أخه وأودده))⁽⁸⁾... قال الزمخشري: ((تقول: ودّه وأودده نحو عضّه واعضّضه، أي احبّبه الإدغام تميمي والإظهار حجازي))⁽¹⁾، قال ابن الأثير: ((فأظهر الإدغام للأمر، على لغة أهل الحجاز))⁽²⁾. ومن الشواهد الأخرى حديث العباس: ((أنّه قال: يا رسول الله إني مدحتك فقال: قل لا يفضّض الله فاك))⁽³⁾، ومنه في حديث النابغة الجعدي: ((لما انشدّه القصيدة الرائية قال: لا يفضّض الله فاك...))⁽⁴⁾.

فما نصّ عليه سيبويه وتبعه مصنفو الغريب في نسبة الفك إلى أهل الحجاز والإدغام إلى تميم جرى عليه ابن جنيّ مرجحاً الحجازية بقوله: ((فهكذا لغة أهل الحجاز وهي اللغة الفصحى القدي))⁽⁵⁾.

وقد فسّر الخليل وسيبويه الإدغام في الصوتين المتماثلين بأنّهما: ((لما كانا من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم رفعة واحدة))⁽⁶⁾.

أما المحدثون فنسبوا الإدغام أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض إلى البيئات البدائية حيث سرعة نطق الكلمات ومزجها بعضها ببعض، فلا يعطى الحرف حقّه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به ويظهر أثر هذا بجلاء ووضوح بين البدو وفي القبائل الرحل التي لا تكاد تستقرّ على

(2) ينظر: الخصائص، 141/2، 142

(3) الكتاب، 529/3، 530

(4) المصدر نفسه

(5) النهاية، 258/1 (جرر)

(6) المصدر نفسه

(7) نفسه

(8) الفائق، 5/4 (نعم)، وينظر: النهاية، 165/5

(1) الفائق، 6/4 (نعم)

(2) النهاية، 165/5

(3) النهاية، 453/3، واللسان، 207/7 (فضض)

(4) المصدران السابقان

(5) الخصائص، 261/1

(6) الكتاب، 417/4



حالٍ وهو ما شاع في قبائل وسط الجزيرة وشرقيها والبيئة العراقية التي نزحت إليها قبائل أقرب إلى البداوة، ممَّن عاشوا في البيئة الحجازية.

فأما البيئة الحجازية فقد كانت بيئة استقرار وبيئة حضارية نسبياً يميل الناس فيها إلى التآني في النطق وإلى تحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها، ومن ثمَّ يُتوقع أن تكون نسبة الأمثلة الإدغامية فيها قليلة⁽⁷⁾.

وينبغي التنبيه - هنا - على أنَّ ما قرَّره القدماء أو المحدثون في هذا الموضع لا يمكن قبوله على إطلاقه، إذ نجد بعضاً ممَّن نُقِلَ عنهم الحديث لا يعبرون عن بيئاتهم في ما أثر عنهم فمن ذلك - مثلاً - قول أبي ذر: ((فلم أتقارَّ أنْ قُمتَ))، وأصله: أتقارَّ، فأدغمت الراء في الراء⁽⁸⁾، وأبو ذر من كنانة⁽⁹⁾، وكنانة من القبائل التي أثرت الإظهار⁽¹⁰⁾، ومنه الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((تراصوا بينكم في الصلاة))⁽¹¹⁾ قال ابن الأثير: ((وأصله تراصصوا... فأدغم))⁽¹⁾ ويمكن أن يكون منه حديث سلمان الذي عاش شطراً كبيراً من حياته في المدينة قال: ((إنَّه كان إذا تعارَّ في الليل))⁽²⁾.

وقد توصَّل الدكتور إبراهيم أنيس بعد عرضه جملة من القراءات إلى نتيجة مفادها أنَّ أصحاب الإدغام ليسوا جميعاً من بيئة واحدة، وكذلك أصحاب الإظهار⁽³⁾.
وأما في القرآن الكريم فقد وردت هذه الظاهرة بالحالين إلا أنَّ المواضع التي جاءت على فكَّ الإدغام شكلت النسبة الكبرى لم تأت على الإدغام إلا في مواضع قليلة في خصوص الفعل المضارع المنجز ولم يجد الدكتور حسام النعيمي في خصوص الأمر في ما رجَّع إليه من كتب القراءات قراءة بالإدغام⁽⁴⁾.

والسبب في ميل الحجازيين إلى الإظهار عند النعيمي هو إيضاح الأصوات وتجنُّب اللبس الذي قد يحصل بين صيغتي الأمر من المضاعف المدغم في نحو (رُدَّ) وبين الماضي المبني للمجهول، ثمَّ حملوا المضارع عليه في فكَّ الإدغام لكي يجري الفعلان على سننٍ واحد.
والابتعاد عن اللبس ظاهرة حضريَّة ولذلك ألفيناها عند الحجازيين⁽⁵⁾.

وإذا ما استطلعنا أمثلة أخرى بثَّها مصنِّفو الغريب في غير هذين الموضعين فقد نجد ما يعزز قناعاتنا بشيوع هذه الظاهرة ورسوخها عند الحجازيين لا سيما القرشيين منهم فمن ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لنسائه: ((ليت شعري أيتكَّن صاحبة الجمل الأدب تنبجها كلاب الحوَّاب)) قال الزمخشري وتبعه ابن الأثير: ((أراد الأدب فأظهر الإدغام لاجل الحوَّاب))⁽⁶⁾.

والذي أرجحه أنَّ في هذا الموضع فائدتين الأولى ما ذكره المصنِّفان والثانية أنَّ اللفظ جاء على اللغة الحجازية القرشية التي كثر عليها ورود القرآن.

ومن الأمثلة - أيضاً - في حديث عمر (رضي الله عنه): ((... أتيتك بهذا لما يَغرُرك))⁽⁷⁾، قال ابن الأثير: ((والوجه فيه أنَّ الأصل: يَغرُّك، فكَّ الإدغام ولا يجيء مثل هذا الاتساع إلا في الشعر))⁽⁸⁾.

(7) ينظر: في اللهجات العربية، د: إبراهيم أنيس/74-70

(8) النهاية، 38/4 (قرر)

(9) ينظر الإصابة 60/7

(10) في اللهجات العربية/63

(11) غريب القاسم، 161/1، وينظر: غريب ابن الجوزي 396/1

(1) النهاية، 227/2 (رخص)

(2) ينظر: تهذيب التهذيب 137/4 والإصابة 113/3 والحديث في غريب القاسم 134/4، والنهاية، 204/3، واللسان، 557/4 (عرر)

(3) ينظر: في اللهجات العربية/72

(4) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني/171 وهامشه حيث أحصى الدكتور النعيمي المواضع التي جاءت على الإظهار أو الإدغام في فعل الأمر والمضارع المنجز

(5) ينظر: المصدر نفسه/170، 171، وفي اللهجات العربية/73

(6) الفائق، 408/1، والنهاية، 96/2 (دب)

(7) النهاية، 204/3 (عرر)

(8) المصدر نفسه



وقال ابو عبيد: ((لا أحسبه محفوظاً ولكنه عندي (لما يَغُورُك) بالواو: أي لما يُنَوِّبُك))⁽⁹⁾. ويمكن أن يكون قول معاوية: ((أَنْ تَمَمْتُ على ما تريد))⁽¹⁰⁾ يقال: تَمَّ على الأمر وتمَّ عليه

بالإظهار⁽¹⁾، ونقل ابن قتيبة أن في (قصص) لأهل الحجاز لغة أخرى (قصّ) هو المستعمل في الكلام⁽²⁾.

والذي يبدو للباحث أن ما حصل هاهنا لا يتعدى هذا الاعتياد الذي جرى على ألسنة الحجازيين ولا سيما القرشيين بالإظهار، وزعم الباحث هذا ينسجم مع إطباق العلماء على إرجاع الإظهار والفك لهؤلاء، وقد جرت كثير من الأمثلة على وفق ضوابط العلماء ففي الحديث: ((إذا استلجج أحدكم))⁽³⁾، قال ابن الأثير: ((بإظهار الإدغام وهي لغة قریش يظهره مع الجزم))⁽⁴⁾، وعليه ما ينسب إلى الإمام علي (عليه السلام): ((فارفع ذيلك وأشدّد مئزرَكَ))⁽⁵⁾.

وهذه هي اللغة ((العربية القديمة الجيدة))⁽⁶⁾ عند سيبويه وهي ((اللغة الفصحى القدمى))⁽⁷⁾ عند ابي الفتح بن جني والظاهر أن الاستعمال القرآني والحديثي الغالب بفك الإدغام كان هو المحتكم عند هذين العالمين بترجيح الحجازية والقرشية.

وفي حديث أحد: ((حتى رأيت النساء يشتدّن في الجبل))⁽⁸⁾ ذكر ابن الأثير أن لفظة (يشتدّن) هكذا جاءت في كتاب الحميدي والذي جاء في كتاب البخاري ((يشتدّن)) هكذا جاء بدال واحدة، والذي جاء في غيرهما ((يُسندن)) بالسین المهملة أي يصعدن فيه.

ثم عَقِبَ على ذلك قائلاً: ((فان صَحَّت الكلمة على ما في البخاري وكثيراً ما تجيء أمثالها في كتب الحديث، وهو قبيح في العربية، لأنّ الإدغام إنما جاز في الحرف المضعف لما سَكَنَ الأول وتحرك الثاني، فأما مع جماعة النساء فإنّ التضعيف يظهر، لأن ما قبل نون النساء لا يكون إلا ساكناً فيلنقي ساكنان فيحرك الأول وينفك الإدغام فتقول: يشتدّن))⁽⁹⁾.

وأما ما جاء في نسخة ابن الأثير من كتاب البخاري فخرّجه على لغة بعض العرب من بكر ابن وائل يقولون: ((ردّث، وردّث، وردن يريدون ردّث ورددّث ورددن، قال الخليل: كأنهم قدروا الإدغام قبل دخول التاء والنون، فيكون لفظ الحديث يشتدّن))⁽¹⁰⁾.

وقد جاء الحديث في نسخة البخاري التي بين يديّ بلفظ (يشتدّن) وأشار في الهامش إلى لفظين آخرين هما (يشتدّن) و(يُسندن)⁽¹¹⁾ والأخيرة ذكرها ابن الأثير.

والذي يغلب على الظن - في ما جرى أنّه يرجع إلى اختلاف الرواة وتباين اللغات ولذلك قال الدكتور رشيد العبيدي: ((وغالباً ما تكون الأحاديث مظنة الاستعمالات القليلة في اللغة لأنّها...تمثل صورة من اللهجات العربية المختلفة))⁽¹⁾ ويحتمل أن يكون ذلك من اجتهاد النقلة أو عبث النساخين، إلا أنّ الراجح ما نقله صاحب (النهاية) من نسخته من البخاري فابن الأثير من أهل الفن وزمنه أقرب إلى الحدث فحظّه في الحصول على نسخ أفضل وأدق كان أوفر.

(9) النهاية، 205/3 (عرر)

(10) المصدر نفسه، 233/1 (تمم)

(1) النهاية، 205/3 (عرر)

(2) غريب ابن قتيبة، 551/2

(3) النهاية، 433/4 (لجج)

(4) المصدر نفسه

(5) غريب الحديث في بحر الانوار، 286/2 (شدد)، وينظر: البحار، 65/32

(6) الكتاب، 473/4

(7) الخصائص، 261/1

(8) النهاية، 452/2، وينظر: صحيح البخاري، 120/5 (باب غزوة أحد)

(9) النهاية، 452/2 (شدد)

(10) المصدر نفسه

(11) صحيح البخاري، 120/5 شخص

(1) الزمخشري اللغوي وكتابه الفائق، 114



وقبيلة بكر بن وائل ممَّن عُرِفَت بالإدغام⁽²⁾، ويقرب من هذه اللغة ما نسمعه الآن في البيئة العراقية عند إسناد الفعل إلى نون النسوة فهم يقولون : مثلاً : (يَشْتَدُّنْ) و(ايْمَدَّنْ) وفي الماضي (اشْتَدَّنْ) و(مَدَّنْ) ... الخ⁽³⁾.

فالذي جرى هنا أنَّهم ينطقون اللفظ مع الوقف فلا تظهر حركة البناء، ويقرب منها ما جاء في صحيح مسلم (أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا)⁽⁴⁾ قال النووي: ((وفي بعضها هَزَّتْ...بزاي واحدة مشددة وإسكان التاء وهي لغة صحيحة))⁽⁵⁾.

2- إدغام التاء في الدال:-

التاء والدال من مخرج واحد إلا أنَّ الدال مجهور والتاء مهموس فإذا جاء الدال قبل التاء سُمِعَ فيه ضَعْفٌ يكاد يدنيه من التاء في الهمس نحو(رَدَدْتُ) ويمكن ملاحظة ذلك بمقارنة صوت الدال الأولى بالثانية عند النطق، وقد أدَّى ميل التميميين إلى فخامة اللفظ تبعاً لطبيعتهم البدويَّة إلى أن اسكنوا التاء في كلمة (الوتد) التي يكثر استعمالها عندهم ثمَّ قبلوا التاء دالاً اختياراً للصوت المجهور فقالوا: (وَدٌّ) في (وَتِدْ)⁽⁶⁾.

ففي الحديث: ((يوشك أن يخرج جيش من قبل المشرق أدى شيء وأَعَدَّهُ))⁽⁷⁾، قال الزمخشري: ((وأَعَدَّ على الإدغام كقولهم(وَدٌّ) في (وَتِدْ))⁽⁸⁾.

قال سيبويه: ((ومن ذلك قولهم: وَتِدْ وإنما أصله (وَتِدْ) وهي الحجازيَّة الجيدة، ولكن بني تميم أسكنوا التاء كما قالوا في فَحَذْ: فَحَذْ فَادَعُمُوا... ومما بينوا فيه قولهم: عَتْدَان، وقال بعضهم: عَتْدَان فراراً من هذا وقد قالوا: عَدَان شبهوه بوَدْ وقلماً تقع في كلامهم ساكنة يعني التاء في كلمة قبل الدال لما فيه من الثقل فإنما يفرون بها إلى موضع تتحرك فيه))⁽⁹⁾.

وفي حديث ابن عتيك: ((ثمَّ علق الأغاليق على وَدِّ))⁽¹⁰⁾ قال البيرجندي نقلاً عن العلامة المجلسي: ((الْوَدَّ - بفتح الواو - الوتد، وهي لغة تميم))⁽¹¹⁾، وقد نسبها قبلاً سيبويه - كما

ذُكر - وابن جني إلى تميم⁽¹⁾.

وفي حديث أبي هريرة في بعض الروايات: ((أَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتَهُ أَوْ لَعَنْتَهُ أَوْ جَلَدْتَهُ))⁽²⁾، قال ابن الأثير: ((هكذا رواه بإدغام التاء في الدال وهي لُغِيَّة))⁽³⁾، وفي (اللسان) هي لغة⁽⁴⁾.

فقد قلبت التاء المهموسة إلى نظيرها المجهور وهو الدال ثمَّ أدغم الدال الساكن في المتحرك إدغاماً رجعيّاً أو أدغم الحرف الأخير المتحول في الأول إدغاماً تقدُّميّاً على غير العادة في الإدغام العربي⁽⁵⁾ وقد يكونُ هذا هو مُودَى كلام ابن الأثير بعدّها(لُغِيَّة) بلفظ التصغير.

وأبو هريرة من قبيلة(دَوْس) اليمانية الاصل، التي ترجع إلى الازد⁽⁶⁾، والتي يبدو أنَّها أو قسمًا منها سكنت الحيرة والعراق بعد ذلك على ما يذكر الاصفهاني في(صفة جزيرة العرب)⁽⁷⁾ والبيئة

(2) في اللهجات العربية/73

(3) وقد ذكر ابن حزم في جمهرة انساب العرب/ 271 أنَّ بكر بن وائل كانت تسكن جنوب العراق

(4) صحيح مسلم بشرح النووي، 29/15(كتاب الرؤيا)

(5) المصدر نفسه

(6) ينظر: الدراسات اللغوية والصوتية/ 171، 172، والأصوات اللغوية، د: ابراهيم انيس/ 44، 45

(7) الفائق، 31/1(أدى)

(8) المصدر نفسه

(9) الكتاب، 482/4

(10) بحار الأنوار، 303/20

(11) غريب الحديث في بحار الأنوار، 4/ 115(ودد)

(1) ينظر: الخصائص، 142/2

(2) النهاية، 285/1(جلد)

(3) المصدر نفسه

(4) ينظر: اللسان، 125/3(جلد)

(5) ينظر: في اللهجات العربية/73

(6) ينظر: تهذيب التهذيب، 262/12، والاصابة، 199/7، واللسان، 90/6(دوس)

(7) ص330



العراقية قد تأثرت بقبائل وسط الجزيرة وشرقيها في إثثار الإدغام⁽⁸⁾ ميلاً إلى التخفيف والسرعة في الكلام⁽⁹⁾ كما أنَّ الدال صوت مجهور⁽¹⁰⁾ وهو ما تتطلبه البيئات البدوية إذ إنَّ الصوت المجهور يكون أوضح في السمع من نظيره المهموس الذي قد يخفى في تلك الصحراء الشاسعة⁽¹¹⁾.

3- صيغة افتعل:-

يجري فيها تقريب الصوت من الصوت، لأجل الإدغام، إذ أراد العرب التخفيف عندما تتجاوز تاء الافتعال المهموسة الشديدة مع بعض الأصوات المجهورة أو الرخوة كالدال والذال والزاي، لصعوبة النطق بها من دون حدوث تغير صوتي⁽¹²⁾، قال ابن يعيش ((إنَّ العرب أرادوا تجانس الصوت فأبدلوا من التاء الدال، لأنها من مخرجها، وهي مجهورة فتوافق جهرها جهر الدال والذال فيقع العمل من جهة واحدة))⁽¹³⁾

فمن ذلك في حديث شريح: ((كان لا يردُّ العبد من الأذنان))⁽¹⁴⁾...الأذنان: هو افتعال من الدفن⁽¹⁵⁾ وفي حديث أبي (تدري) أصلها (تدثري) تفتعل، فأدغمت التاء في الدال⁽¹⁶⁾ فالتاء المهموسة لا تتناسب مع الدال المجهورة، كما أنَّ الدال مع جهرها حرف رخو فتقلب تاء الافتعال ذالاً، فيقال في افتعل من دفن دفن ومن دخر: إدخر.

وبعض العرب - في غير المتماتلين كالذال - يزيد من قوَّة التماثل فيحول الدال صوتاً من جنس فاء الافتعال ويدغمها فيها فيقول من دخر: ادخر.

وبعضهم يقلب فاء الافتعال إذا كانت ذالاً من جنس الدال بعدها ثمَّ يدغمها فيها فيقول: ادخر⁽¹⁾، وعليها قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أَمَةٍ﴾⁽²⁾ وقرأ بعضهم: (واذكر) بالذال⁽³⁾.

وفي حديث أصحاب المائدة: ((أمرُوا أَنْ لَا يَدْخَرُوا فَأَدْخَرُوا))، قال ابن الأثير عقيب ذكره الحديث: ((هذه اللفظة هكذا ينطق بها بالذال المهملة ولو حملناها على لفظها لذكرناها في حرف الذال... وأصل الإدخار: إدخار وهو افتعال من الدخر... فلما أرادوا أَنْ يدغموا ليخفَّ النطق قلبوا التاء إلى ما يُقاربها من الحروف وهو الدال المهملة، لأنهما من مخرج واحد فصارت اللفظة: مُدْخَرٌ بذالٍ وذالٍ ولهم حينئذٍ مذهبان: أحدهما: وهو الأكثر أن تقلب الذال المعجمة ذالاً وتدغم فيها فتصير ذالاً مشددة.

وثانيهما:- هو الأقل أن تقلب الدال المهملة ذالاً وتدغم فتصير ذالاً مشددة معجمة وهذا العمل مُطَرَّدٌ في أمثلة نحو اذكر وأذكر واشغَر))⁽⁴⁾.

ويبدو أنَّ الذين قالوا: ادخر وأذكر تجافت ألسنتهم عن الدال وغلب عليها صوت الدال لما في الدال من الشدة فتحولوا إلى صوت رخو، فكان أن جرى على ألسنتهم قلب الشدید إلى رخو يناسب الفاء، فأبدلوا مع الدال ذالاً، ويرجح أن يكون هؤلاء من المتحضرين الذين نفروا من الشدید إلى الرخو بخلاف البدو الذين أثروا الحرف الشدید انسجماً مع طبائعهم⁽⁵⁾.

(8) ينظر: في اللهجات العربية/73

(9) اللهجات العربية نشأة وتطوراً، د: عبد الغفار هلال/370، واللهجات العربية في القراءات القرآنية/160

(10) ينظر: الأصوات اللغوية/46

(11) ينظر: في اللهجات العربية/106

(12) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً/365

(13) شرح المفصل:150/10

(14) النهاية، 126/2 (دفن)

(15) المصدر نفسه

(16) نفسه، 116/2 (دري)

(1) اللهجات العربية نشأة وتطوراً/365

(2) يوسف/45

(3) النشر، 3/2

(4) النهاية، 155/2، 156 (دخر)

(5) ينظر: في اللهجات العربية/101، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني/173



وقريب من ذلك في حديث ابن عباس: ((في كرشٍ لم تَنْغِرْ))⁽⁶⁾، قال الزمخشري: ((وَأَنْغَرِ وَأَنْغَرُ مثله ... ويقال للنبات بعد السقوط: اَنْغَرَ وَأَنْغَرَ أيضاً وهما لغتان في الافتعال من اَنْغَرِ والأصل اَنْغَار، فأما أن تقلب التاء تاء وهو المشهور في الاستعمال والقوي في القياس، وأما أن تقلب التاء ثاء ومثل ذلك اَنْأَرِ وَأَنْأَرِ وَأَنْأَرِدَ وَأَنْأَرِدَ))⁽⁸⁾.

ويرى بعض المحدثين أن الذين تحولوا من التاءين إلى التاءين قد فروا من الشدة إلى الرخاوة لأن التاء حرف شديد والتاء حرف رخو وإن كانا مهموسين وهم على الأرجح من المتحضرين⁽⁹⁾. وقد يكون في الشاهد الذي نُقِلَ عن ابن عباس وهو قرشي مدني ما يعزّز هذا الزعم فأما الذين التزموا التاءين فهم بعض بني أسد قال الفراء: ((سمعت بعض بني أسد يقول: قد اَنْغَرِ وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصةً وغيرهم: قد اَنْغَرِ))⁽¹⁾، وقبيلة أسد من القبائل البدوية التي تؤثر الأصوات الشديدة⁽²⁾ كما مر.

وأراد العربي - أيضاً - التخفيف - حين تكون فاء الافتعال من أصوات الإطباق (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء)، لأن تاء الافتعال مستقلة، وهذه أصوات مستعلية مطبقة مما يسبب ثقلاً في النطق بها متجاوزة مع التاء بعدها، ولذلك يحوّل العربي هذه التاء إلى صوت من مخرجها له صفة الاستعلاء والأطباق وهو صوت الطاء، لكي ينتقل اللسان من صوت مطبق إلى نظير مطبق أيضاً، ليسهل النطق ويتحقق الانسجام⁽³⁾.

فمن ذلك في حديث ابن سيرين الذي جاء بروايتين الأولى: ((لم يكن علي يُظَنُّ في قتل عثمان))⁽⁴⁾.

قال أبو عبيد: ((قوله: يُظَنُّ، يقولُ يَنْهَمُ وأصله من الظَّنِّ إِنَّمَا هو يُفَعَّلُ منه وكان ينبغي أن يكون يُظَنُّ فَنَقَلْتُ الظاء مع التاء فَقُلِبَتْ ظاء))⁽⁵⁾، قال الشاعر:
وما كلُّ من يُظَنُّني أنا مُعْتَبٍ ولا كلُّ ما يُروى عليّ أقول⁽⁶⁾

وقال زهير:

وهو الجواد الذي يُعْطِيكَ نائله عَفْواً ويظلم أحياناً فيظلم⁽⁷⁾
والرواية الأخرى لحديث ابن سيرين: ((لم يكن علي يُظَنُّ ...))⁽⁸⁾ ... ومنه الحديث: ((فَمَنْ تَطَّنَ؟)) أي من تتهم وأصله تَطَّنَ ... فأدغم الظاء في التاء ثُمَّ أبدل منهما طاءً مشددة⁽⁹⁾، قال أبو موسى: ((كما يُقال مُظْلَمٌ ومُذَكَّرٌ وأصله: مُظْتَلَمٌ ومُذْتَكَّرٌ ... ولو رُوِيَ بالظاء المعجمة لجاز))⁽¹⁰⁾.
وقد أشار الخليل إلى هذه الحالة قائلاً: ((واظننتُ افْتَعَلْتُ وتقول: اظننته وتظننتُ عنده اردت افعلت فصيرت التاء طاءً ثُمَّ أدغمت الظاء في الطاء حتى حَسُنَ الكلام ولو تركت الظاء مع التاء لقبح اللفظ... وفلان يُظَنُّ به، أي يفعله أي يُتَّهَمُ به، مُدْغمة فَتَقُلِبْتُ الظاء مع الطاء فَقُلِبَتْ طاء))⁽¹¹⁾.

هذا وقد فصّل سيبويه ميلهم إلى هذا الانسجام بين الأصوات قال: ((... إذا كانا منفصلين، يعني الظاء وبعدها التاء جاز البيان، ويترك الإطباق على حاله إن أدغمت، فلما صارا في حرف واحد

(6) الفائق، 168/1 (نغر)، وينظر: النهاية، 213/1 (نغر)

(8) المصدران السابقان

(9) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، 173، وفي اللهجات العربية، 102

(1) معاني القرآن، 215/1

(2) اللهجات العربية في التراث، 304/1، ولهجة قبيلة أسد، 84

(3) اللهجات العربية نشأة وتطوراً، 366

(4) الفائق، 381/2 (ظن)، وينظر: غريب القاسم، 464/4 - 465

(5) غريب القاسم، 464/4 - 465

(6) البيت في غريب القاسم، 465/4، والفائق، 381/2، واللسان، 273/13 (ظنن)

(7) ديوانه، 91، وينظر: شرح الديوان، صنعة أبي العباس تغلب، 152، وغريب القاسم، 465/4، واللسان، 273/13 (ظنن) وجاء في

سبويه، 368/4 برواية (فيظلم)

(8) النهاية، 140/3 (ظنن)

(9) المصدر نفسه

(10) المجموع المغيب، 369/2 (ظنن)

(11) العين، 52/8 (ظن)



ازدادا ثقلًا، إذ كانا يستقلان منفصلين، فالزموها ما ألزموا الصاد والتاء فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالطاء وهي الطاء، ليكون العمل من وجه واحد كما قالوا: قاعد ومغاليق فلم يميلوا الألف وكان ذلك أخفّ عليهم، وليكون الإدغام في حرف مثله إذ لم يجز البيان والإطباق حيث كانا في حرف واحد فكأنهم كرهوا أن يجحفوا به حيث منع هذا وذلك قولهم: مُطْطِعْنَ، ومُظْطَلَمَ وإن شئت قلت: مُطْطِعْنَ ومُظْطَلَمَ⁽¹⁾.

وتمثل لذلك بببيت زهير برواية (يَطْلَمَ).
ويبدو أن بعض العرب يقوم بقلب فاء الافتعال من جنس الطاء التي حَلَّت مكان التاء فيقول (اِطَّنْ) في (اِظْطَنَ) كما مرَّ في الرواية الثانية لحديث ابن سيرين وكما قرأ ابن محيص (اِطَّرَه) بتشديد الطاء⁽²⁾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اضْطَرْأَ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾⁽³⁾.

وقد عدَّ ابن جنبي إدغام الصاد في الطاء لغة مرذولة، لما فيها من الامتداد والفسو⁽⁴⁾، أمَّا سيبويه فقد سَوَّعَ مثل ذلك قائلاً: ((وإذا كانت الطاء مع التاء فهو أجدر أن تقلب التاء طاء، لأنهم لم يريدوا إلا أن يبقى الإطباق، إذ كان يذهب في الانفصال فكرهوا أن يلزموه ذلك في حرف ليس من حروف الإطباق وذلك قولك: اِطْعِنَا))⁽⁵⁾.

وقد يزيد بعض العرب التخفيف والتقريب فيقلب الطاء المبدلة من تاء الافتعال إلى جنس الصوت الذي هو فاء الافتعال ثم يدغم فيه فيقول في اصطبر: اصْبِرْ وفي اصطاد: اصْأَدْ، ومن ذلك في الحديث: ((إِنَّا اصْأَدْنَا حِمَارَ وَحْشٍ))، فقال ابن الأثير عقيب نقله للحديث: ((هكذا روي بصاد مشددة وأصله: اصطدنا فقلبت الطاء صاداً وأدغمت، مثل: اصْبِرْ في اصطبر وأصل الطاء مبدلة من تاء افتعل))⁽⁶⁾.

وهذه الحروف يدغم بعضها في بعض ويحوّل بعضها إلى بعض، لقرب المخارج، فحروف الإطباق أخوات ومن قبلها الدال والذال والزاي كلهن من الثنايا وطرف اللسان فكلهن من حيز واحد⁽⁷⁾.

أمَّا إذا بُنيت (افتعل) من واوٍ الفاء أو يائيه، ففي ذلك لغتان فالحجازيون ومنهم القرشيون لا يعبأون بتأثير الحركات التي قد تحوّل الواو ياءً وألفاً أو تقلب الياء واواً أو ألفاً فمن ذلك في الحديث: ((اركبوا هذه الدواب وايتدعوها سالمة))⁽¹⁾ ... قال ابن الأثير: ((هو افتعل من ودع ... وايتدع فهو مُتَدَع ... أو من ودَعَ إذا ترك، يُقال: اتَدَعَ وايتدع على القلب والإدغام والإظهار))⁽²⁾.
فالإدغام تميمي إذ يبذلون الواو أو الياء تاء ويدغمونها في تاء الافتعال، (اتَدَعَ)، حتى لا تتعرض لتأثير الحركات، وأمَّا الإظهار فحجازي⁽³⁾.

ومما روي على التميمية حديث الزبير: ((ووقف حتى أتَقَفَ الناس))⁽⁴⁾ قال أبو موسى: ((يقال وقفه فوقف واتَقَفَ وأصله ايتَقَفَ وقد كثر باب فعلته فافتعل يُقال: حبسته فأحتبس ووصفته فأَتَصَفَ وأَفَكْتَه فأَتَفَكَّ))⁽⁵⁾.

ومما جاء على اللغة القرشية في الحديث ((كان اسم نَبْلِه ... الْمُؤْتَصِلَه))⁽⁶⁾، والموتصله: لغة قریش، فإنّها لا تُدغم هذه الواو وأشباهها في التاء فنقول: مُوتصل، ومُوتَقِّق، ومُوتعد وغيرهم يُدغم فيقول: مُتَّصل ومتَّقِّق، ومُتَّعد وهؤلاء تميم كما مرَّ⁽⁷⁾.

(1) الكتاب، 468/4، 469

(2) المحتسب، 106/1، وينظر: الكتاب، 468/4، 469

(3) البقرة/ من الآية 126

(4) ينظر: المحتسب لابن جني، 106/1

(5) الكتاب، 470/4

(6) النهاية، 65/3 (صيد)

(7) اللهجات العربية نشأة وتطوراً/368، وينظر: الأصوات اللغوية/44

(1) النهاية، 166/5 (ودع)

(2) المصدر نفسه

(3) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً/368

(4) المجموع المغيَّب، 441/3، 442 (وقف)

(5) المصدر نفسه



4- صيغة تفعل:-

تأتي هذه الصيغة بإظهار التاء دون إدغامها في ما بعدها، وإذا كانت الفاء فيها من الحروف التي تخرج من أصول الثنايا العليا أو السفلى أو مما بين الثنايا (ط د ت - ظ ذ ث - ص - س - ز) أو من حروف وسط اللسان (ج ش) فقد اختلفت القبائل العربية في نطقها. فبعضها يظهر التاء فيها من دون إدغام لها في الفاء بعدها وبعضهم يدغم⁽⁸⁾. فمن ذلك ما نقله القاسم بن سلام مُعَقِّباً على ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((زَمَلُوهم في دمائهم وثيابهم))⁽⁹⁾ قال: ((قد تَزَمَلْ وقد تَدَثَّر وهو متزَمَل ومتدَثَّر فأدغم التاء وقال: مُزَمَل ومُدَثَّر وبهذا نزل القرآن بالإدغام))⁽¹⁰⁾.

ونقل الحربي قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾⁽¹¹⁾ ثم عَقَّب عليها قائلاً: ((فأدغم التاء

عند الدَّال وأكثر القرآن على التشديد))⁽¹²⁾.

ومنه في حديث ابن مسعود البدري: ((في ذكر الْمُطَوِّعِينَ من المؤمنين)) وقد عَقَّب عليه ابن الأثير قائلاً: ((أصل الْمُطَوِّع: المتطَوِّع فأدغمت التاء في الطاء... وهو تفعل من الطاعة))⁽¹⁾.

وفي القرآن: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾. وأصله: المتطَوِّعِين⁽³⁾.

ومنه في حديث الزكاة ((إلا أن يشاء المصدِّق))⁽⁴⁾. أي: المتصدِّق فأدغمت التاء في الصاد⁽⁵⁾. ففي غالب هذه الأمثلة القرآنية أو الحديثية جاءت الكلمات على الإدغام، وأثار مثل هذه اللغة نسمعها الآن في بعض بيئاتنا العراقية: (مَطَوِّعِين) و(مصدِّقِين) مع شيء من التغير في بنية الكلمات أو حركاتها.

وقد نَسَبَ بعض المحدثين الإظهار إلى البيئات المدنية، فوضوح الأصوات وفصل بعضها عن بعض يتطلب بذل مجهود عضلي كبير كي لا تختلط أو تتشوّه صورها، أمّا غموض الأصوات ودخول بعضها في بعض والذي ينجم عن السرعة في نطقها وعدم التأني فذلك راجع إلى البيئات البدوية⁽⁶⁾.

وقد أحصى بعض المحدثين القبائل التي تذهب إلى الإدغام ثمان قبائل وهي تميم، وأسد، وغنّ، وعبد القيس، وبكر بن وائل، وكعب، ونمير، وهذيل (في حالة واحدة)⁽⁷⁾.

وقد يستوقف الباحث ما ينسبُه هؤلاء اللغويون إلى بعض اللغات من تشويه للحروف أو تخطيط بينها، وهي قد نطق بها القرآن أو جاءت في الحديث الشريف، وذلك ممّا لا يجوز بحال فما نطق به القرآن هو الأعلى والأولى وهو القياس⁽⁸⁾ وقد اختار من اللغات أفصحها وأنقأها وأكثرها شيوعاً وضمّ ألفاظاً من معظم القبائل وهو أمر يؤمّي إلى غاية سامية هي توحيد العرب وجعل القرآن كتاباً تجد فيه كل قبيلة من ألفاظها الخاصة ثمّ إيجاد لغة واحدة تكون اللغة الرسمية للعرب جميعاً هي تلك

(6) النهاية، 194/5، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 134/4، وبحار الأنوار، 126/16

(7) ينظر: النهاية، 184/5، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 134/4 (وصل)، وينظر: مثل ذلك النهاية، 231/5 (وهب)

(8) اللهجات العربية نشأة وتطوراً/368

(9) غريب القاسم، 70/2

(10) المصدر نفسه

(11) التوبة/ من الآية 90

(12) غريب الحربي، 273/1

(1) النهاية، 142/3

(2) التوبة/ من الآية 79

(3) ينظر: معجم مقاييس اللغة، 431/3، 432 (طوع)

(4) النهاية، 18/3، والمجموع المغيث، 260/2 (صدق)

(5) المصدران السابقان

(6) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً/370

(7) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/159، واللهجات العربية نشأة وتطوراً/370، 371

(8) ينظر: الخصائص، 126/1



اللغة الكاملة الصافية التي تجدها في القرآن⁽⁹⁾، زيادة على أن تغير البنية في النص القرآني قد يشير إلى مضامين لا تنتمي إلى اختلاف اللغات .

قال الفراء في قوله تعالى: (المعذرون): ((وهم الذين لهم عُذْرٌ وهو في المعنى المعتذرون... وأما المعذر على جهة المفعّل فهو الذي يعتذر بغير عذر ... وقال: لعن الله المعذرين ذهب إلى من يعتذر بغير عُذر))⁽¹⁾، وأن «المُطَهِّرِينَ»⁽²⁾ فيها زيادة مدحٍ لهؤلاء الذين هم أهل قبا الذين كانوا يغتسلون إثر الغائط بخلاف غيرهم⁽³⁾، وهكذا.

تعقيب:

ومما قيل في الإدغام ما نسبوه من إدغام الألف المقصورة في ياء المتكلم وعزوه إلى هذيل وعليه قول أبي ذؤيب:

سبقوا هويّ واعنقوا لهواهم فَتَخَرَّمُوا وَلَكَلَّ جَنْبِ مَصْرَعٍ⁽⁴⁾ .
ونسبها الفراء إلى بعض بني قيس وهذيل وقال: ((وقال لي بعض بني سليم: أتيتك بمولي فإنه اروى مني))⁽⁵⁾ .

وقد نسب أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي والزمخشري وابن الأثير هذه اللغة إلى طيّئ قال أبو عبيد في حديث طلحة ((وقربوا فوضعوا اللجّ على قفّي))، قوله: ((قفّي هي لغة طائفة وكانت عند طلحة امرأة طائفة ويقال إنّ طيّاً لا تأخذ من لغة أحد ويؤخذ من لغاتها))⁽⁶⁾ وقال ابن الأثير: ((وهي لغة طائفة يشددون يا المتكلم))⁽⁷⁾ .

هذا وقد فسّر الدكتور خليل العطية هذا المنحى على سبيل المماثلة فقال: ((وهو ضرب من تأثر الأصوات بعضها ببعض يعرف بالتأثير الرجعي وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني))⁽⁸⁾ .
فعلماء غريب الحديث فسّروا أداء طلحة على هذه اللغة بتأثره بزوجته الطائفة وليس ذلك ببعيد، ومما يمكن أن يُستأنس به في هذا الموضع قول الفراء: ((ومن قال: يا بُشْرَى فأضاف وغير الألف إلى ياء فإنه طلب الكسرة التي تلزم ما قبل الياء من المتكلم في كل حال ألا ترى أنّك تقول: هذا غلامي فتخفف الميم في كل جهات الإعراب))⁽⁹⁾ .

وقد أنكر الدكتور أحمد علم الدين الجندي نسبة الظاهرة إلى طيّئ⁽¹⁰⁾، وقد نسبها الفراء - كما اسلفنا - إلى بعض بني قيس، وسمعا من بعض بني سليم وهو مما لا سبيل إلى إنكاره مع ورود السماع، بل إنّ ديار سليم تحاذي طيّناً وتمتد من وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة إلى حدّ الجبلين والحرّة، وهو ما نصّ عليه الهمداني قال: ((فمن وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة إلى حدّ الجبلين إلى ما ينتهي إلى الحرّة ديار بني سليم لا يخالطهم إلا صرّم من الأنصار سيارة وقد يحالون طيّناً))⁽¹⁾ .

بل إنّ إنكار الجندي لما نقله أبو عمرو بن العلاء الذي نسب هذه الظاهرة إلى بعض القرشيين⁽²⁾ ليس تاماً - أيضاً - مع هذا الامتداد الواسع والأفق الكبير لهذه المجموعات التي سمعت منها هذه الظاهرة.

(9) ينظر: كتاب اللغات في القرآن/8، ومن أسرار اللغة/64

(1) معاني القرآن، 447/1، 448

(2) التوبة/ من الآية 108

(3) ينظر: الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي، 407/9، 408

(4) ديوان الهذليين، 2/1، وكتاب شرح أشعار الهذليين للسكري، 7/1، وينظر: معاني القرآن، 39/2، وشرح ابن عقيل، 89/2

(5) معاني القرآن، 39/2

(6) غريب القاسم، 11-10/4، وينظر: الفائق، 297/3، والنهاية، 94/4

(7) النهاية، 94/4 (قفا)

(8) دراسات في اللهجات العربية، لهجة هذيل د: خليل العطية، مجلة الخليج العربي، ع2، 1975، ص200

(9) معاني القرآن، 41/2

(10) ينظر: اللهجات العربية في التراث للدكتور الجندي، 540/2

(1) صفة جزيرة العرب/245

(2) ينظر: الاشموني، 282/2



ثانياً: الإبدال:-

يُعدُّ الإبدال أبرز مظاهر التغيرات الصوتية وحدهُ ((وضع الشيء مكان غيره ويراد به اصطلاحاً: جعل حرف مكان حرف غيره))⁽³⁾. أو هو في قول صاحب(التعريفات): ((جعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل))⁽⁴⁾.

يرى بعض المحدثين أنَّ الإبدال شبيه بالإدغام أو الإمالة في تقريب الصوت بعضه من بعض ووجدوا أنَّ الإبدال إمَّا أن يكون لإدغام أو لا، فإذا تجاور حرفان بينهما علاقة مخرجية ووصفية فقبل أن تحدث عملية الإدغام لابد أن تسبق بعملية إبدال حتى تحدث عملية التماثل ، التي يكون على أساسها الإدغام.

فإذا كان الإبدال لغير إدغام كان على ثلاثة أنواع:

- 1- ما يبدل من غيره إبدالاً قياسياً شائعاً مضطراً إليه في التصريف وذلك في تسعة أحرف جمعها ابن مالك في قوله: ((هدأت موطياً))⁽⁵⁾ وهذا الإبدال يحدث لعلّة تختلف من صيغة إلى أخرى وكلها تدخل ضمن سهولة نطق الأصوات وتأثير بعضها ببعض⁽⁶⁾.
 - 2- ما يبدل من غيره ندوراً وذلك في سبعة أحرف (ق, خ, ذ, ظ, ض, ح, غ) وذلك مثل: وقنه في وكنه، وأخن في أغن، وتلعثم في تلعثم، ويقول بعض العراقيين أخسل وجهي وخسلت.
 - 3- ما يبدل من غيره شيوعاً من دون اضطراب إليه في التصريف، بأن يشيع عند قوم مقصوراً على السماع وذلك ما أشارت إليه الروايات اللغوية معزواً لقوم أو لقبائل مخصوصة دون غيرهم، كالعننة، والفحفة، والعجعة، وغيرها⁽⁷⁾.
- والذي يهمنا في هذه الدراسة النوع الثالث، لأنَّ فيه تتفاوت القبائل العربية وتختلف فبعضها يؤثر في الإبدال صوتاً، في حين يؤثر آخرون صوتاً غيره .

ويرى بعض علماء العربية كابن فارس أنَّ عملية الإبدال سُنَّة من سنن العرب⁽¹⁾، وقد يبدو أنَّ هذا العلامة يريد أنَّها طريقة في لغتهم، ولم ينصَّ على كونها إرادية كما فهم بعض المحدثين⁽²⁾، وهي ترتبط بالتاريخ والزمن الطويل بحيث يجد المتكلمون باللغة أنفسهم أمام كلمات متعددة يدلُّ تشابهها على أنَّ إحداها قد تعرضت لمثل هذا التطور خلال دهور، وليس من حق إنسان أن يقوم هو بإحلال صوت محل آخر⁽³⁾.

وقد ذكر بعض المحدثين أسباباً للإبدال منها داخلية ذاتية في الحروف نفسها كعملية التماثل أو التخالف بغية التخفيف النطقي والتيسير في الجهد العضلي، وهناك أسباب خارجية تعود إلى أخطاء الأطفال وعيوب النطق والتصحيح⁽⁴⁾.

وأشار مصنفو غريب الحديث إلى أمثلة تتعلق بعيوب النطق منها في الحديث: ((إذا بعت فقل لا خلابة))، قال ابن الأثير مُعَقِّباً: ((أي لا خداع، وجاء في رواية: (فقل لا خيابة) بالياء وكأنها لثغة من الراوي أبدل اللام ياء))⁽⁵⁾.

وفي حديث مكحول: ((... وفيها يَنْتَشِرُونَ وفيها تكون الخُبَّة))، قال الزمخشري : ((كانت فيه لُكْنَة، فجعل الطاء تاء، وإنما أراد الخُبَّة))⁽⁶⁾.

(3) شرح شافية ابن الحاجب للرضي، 197/3

(4) كتاب التعريفات للشرىف علي بن محمد الجرجاني/8

(5) ينظر: شرح ابن عقيل، 210/4، وشذى العرف للحملوي/136، واللهجات العربية في التراث، 347/1

(6) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوي، د: رمضان عبد التواب/37، والتطور النحوي لبرجشتراسر/18

(7) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 347/1، 348

(1) ينظر: الصحابي لابن فارس/333

(2) ينظر: من أسرار اللغة، د: ابراهيم انيس/59، والتطور اللغوي التاريخي، د: ابراهيم السامرائي/108، واللهجات العربية في التراث، 348/1

(3) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 348/1، والتطور اللغوي التاريخي/117

(4) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 348/1، 349، ومن أسرار اللغة/62-71

(5) النهاية، 58/2 (خلب)

(6) الفائق، 353 /1، وينظر: غريب ابن الجوزي، 262/1 (خبث)



ومما جاء في مورد التصحيف الحديث: ((والله ما كان سعد ليُخْنِي بابه في سَقَةٍ من تمر))، حيث نقله بعض المتأخرين في باب السين والقاف من السَقَةِ جمعٌ وسَق وهو الحمل، وزعموا أنَّ نقله بالشين المعجمة تصحيف⁽⁷⁾، إلا أنَّ هذا ليس بشيء إذ نقله المحققون والحفاظ بالشين المعجمة⁽⁸⁾.

ومنه في الحديث: ((نهى أن يُذَبِّحَ الرجلُ في الصلاة))، إنَّ: (يُذَبِّح) بالذال المعجمة تصحيف والصحيح بالمهملة. ومعناه أن يطأطئ رأسه في الركوع حتى يكون أخفض من ظهره⁽⁹⁾ وقد أنهم بعض المتأخرين صاحب (الغريبين) أنه صحَّف لفظة (غريرا) في حديث حاطب: ((كنتُ غريراً فيهم)) بوضعه إيَّاهَا في العين المهملة، وقد عَقَّبَ صاحب (النهاية) على ذلك قائلاً: ((أما الهروي فلم يُصحِّف ولا شرح إلا الصحيح فإنَّ الأزهري، والخطابي، والجوهري، والزمخشري، ذكروا هذه اللفظة بالعين المهملة في تصانيفهم وشرحوها بالغريب وكفأك بواحد منهم حجةً للهروي فيما رَوَى وشرح))⁽¹⁰⁾.

وفي حديث: ((حُمَادِيَّاتُ النِّسَاءِ غَضَّ الْأَطْرَافِ))، غَلَّقَ عليه الزمخشري قائلاً: ((ولا أكاد أشكُّ أنه تصحيف والصواب: غَضُ الْأَطْرَاقِ))⁽¹¹⁾.

فالتصحيف كان له أثر كبير في تشويه اللغة ونشوء الغرابة ولم تسلم منه كثيرٌ من كتب اللغة، لذا يلزم الباحث أن يكون على حذرٍ في أمثلة الإبدال حذراً من الوقوع في التصحيف⁽²⁾. وقد وقف علماء العربية على كثير من أمثلة الإبدال ناسبين إيَّاهَا إلى اللغات من دون عزو إلى لغة معينة في غالب الأمثلة التي نقلوها، ولم يحد عنهم مصنفو غريب الحديث في هذا المنهج إلا أنَّ الباحث لا يَغْدُمُ أن يجد طائفة من هذه الشواهد وقد غُزِيَتْ إلى قبائلها ولغاتها.

فممن عزا الإبدال إلى اختلاف اللغات أبو الطيب اللغوي قال: ((ليس المراد بالإبدال أنَّ العرب تعتمد تعويض حرفٍ من حرفٍ، وإنما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين والمعنى واحد، حتى لا تختلفان إلا في حرفٍ واحد، والدليل على أنَّ قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة، ولا بالصاد مرةً وبالسین مرةً أخرى، وكذلك إبدالهم لام التعريف ميماً والهمزة المصدرة عيناً كقولهم في نحو أن: عن لا يشترك العرب في شيء من ذلك، وإنما يقول هذا قوم وذاك قوم آخرون))⁽³⁾.

وقد نسب ابن السكيت قبل ذلك طائفة من أمثلة الإبدال إلى اختلاف اللغات إلا أنه وجد أنَّ الإبدال قد يحصل بين أبناء البيئة الواحدة⁽⁴⁾. وتابع ابن السكيت ابن سيده الذي ذهب إلى إمكان المعاقبة في القبيلة الواحدة⁽⁵⁾.

إلا أنَّ بعض المحدثين لم يكن ليقنع بهذه الفكرة، إنما عزا ما يقع في البيئة الواحدة إلى الإبدال، وما يقع في بيئتين مختلفتين إلى اختلاف اللغات⁽⁶⁾.

ثمَّ إنَّ الباحث ليجد أنَّ معظم الكلمات التي رواها علماء غريب الحديث هي من النوع الذي نلاحظ فيه صلة وثيقة في الصفة أو المخرج أو كليهما، وهذا شرط أساس عند القدماء والمحدثين في كلِّ تطور صوتي. إلا أنَّ هؤلاء اللغويين وقعوا على كلمات أخرى نُسِبت إلى الإبدال ولم يكن بين الصوتين أيُّ رابط من الصفة أو المخرج، وقد فُسِّرَ مثل هذا بالترادف⁽⁷⁾. لكنَّه لا يتفق مع مفهوم الترادف عند بعض المحدثين الذين يشترطون في الكلمات المترادفة أن تكون في آن واحد وبيئة

(7) النهاية، 380/2 (سقة)

(8) ينظر: المجموع المغيَّب، 214/2 (شقق)، والنهاية، 380/2 (سقه)

(9) ينظر: النهاية، 97/2 (دبج)

(10) النهاية، 357/3، 358، وينظر: الفائق، 412/4، والصاح، 446/2، واللسان، 557/4 (غرر)

(1) الفائق، 168/2 - 170 (سدد)، وينظر للمزيد: الفائق، 31-30/2 (ربب)، 302/2 (صف)، والنهاية، 380/2، و، 10/3

(2) ينظر: كتاب التصحيف والتحريف للعسكري/9

(3) المزهر، 460/1

(4) ينظر: الإبدال لابن السكيت/84-141، وينظر: المزهر، 460/1-461

(5) ينظر: المخصص، 19/14

(6) ينظر: من أسرار اللغة/60، 61، وفقه اللغة العربية، د. كاسد الزبيدي/195

(7) ينظر: كتاب الإبدال لابي الطيب اللغوي مقدمة المحقق/37، وسر صناعة الإعراب، 72/1، والمخصص، 274/13



واحدة⁽⁸⁾ . ويرجح في هذا ما نصَّ عليه الدكتور إبراهيم أنيس بأن لا نربط بين الصورتين بل أن نُعدَّ كلَّ منهما صورة أصلية مستقلة تمام الاستقلال عن الصورة الأخرى⁽⁹⁾ .

وتبعاً لذلك يمكن توزيع الأمثلة التي بثَّها مصنّفو غريب الحديث في هذا المورد على محاور عدّة على وفق تدانيها في المخرج الواحد أو تقاربها في المخارج أو الصفات المتعددة وإتماماً للفائدة سيرعرض الباحث أمثلة مما قد ينسب إلى الإبدال ولم يتوافر فيه هذا التقارب مخرجاً أو صفةً .

- 1- الإبدال بين الحروف المتدانية في المخرج الواحد.
 - 2- الإبدال بين الحروف المتقاربة في المخارج.
 - 3- الإبدال بين الحروف المتقاربة في الصفات.
 - 4- ما قد يُنسب إلى الإبدال بين الحروف المتباعدة مخرجاً وصفةً
- 1- الإبدال بين الحروف المتدانية في المخرج الواحد:**

الهمزة والهاء:-

الهاء حرف مهموس مهتوت ضعيف⁽¹⁾ فأما الهمزة فمجهور مضغوط قويّ عند القدماء⁽²⁾ ، ومخرجهما من أقصى الحلق⁽³⁾ أو من أسفله وأقصاه على ما ينقل ابن جني⁽⁴⁾ .

وقد وردت ألفاظ عدّة في كتب غريب الحديث ممّا ظاهرها الإبدال بين الحرفين، فمن ذلك في حديث علقمة بن قيس ((... إذا رأى من أصحابه بعض الأشاش)) ، نقل القاسم بن سلام عن الأصمعي وغيره أنّه يريد الهشاش، ((فجعل الهمزة مثل أرقت الماء وهرقت الماء))⁽⁵⁾ .

ونصّ الزمخشري على هذا الإبدال ، كما قيل في (ماء) ماء⁽⁶⁾، وقال ابن دريد: ((... أشّ على غنمه يؤشّ أشّا مثل هشّ هشّا، ولا أقف على حقيقته))⁽⁷⁾ .

ويرى بعض المحدثين أنّ الهمز إنّما كان عند أهل الهمز، لحالة نفسية تطلّبت الضغط على الهاء المهتوت والنبر بها فحوّلتها إلى همزة⁽⁸⁾، والضغط على الحرف أو الجهر به وإيثار الأصوات الشديدة من صفات البدو⁽⁹⁾، وقد عُرف إيثار الهمز في البيئة العراقية وخصوصاً عند قرّائها كالكسائي⁽¹⁰⁾ ، وعلقمة الذي نُقل عنه الحديث السابق تابعي كوفي⁽¹¹⁾ .

وقد نقل لنا اللغويون أنّ بعض القبائل العربية تستعمل وزن (أفعل) وبعضها الآخر (هفعل)، وقد عزا اللحياني الصيغة الأخيرة إلى اليمن، ثمّ فشّت في مُضر⁽¹²⁾ .

ونسب مصنّفو غريب الحديث أمثلة من ذلك إلى حجازيين قرشيين، نحو ما نسبهُ الزمخشري إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((فأهريقوا عنه دماً)) ، معقّباً ذلك ((هراق واهراق لغتان بإبدال الهاء من

الهمزة وزيادتها))⁽¹⁾ ، وما نسبهُ ابن الأثير إلى أمّ سلمة ((أنّ امرأة كانت تهراق الدم)) ثم قال: ((والهاء في هراق بدل من همزة أراق، يُقال: أراق الماء يريقه وهراقه يهريقه))⁽²⁾ .

ويظهر أن صيغة (هفعل) كانت أصلاً في اللغات العربية الجنوبية ولكنّها ظهرت في مناطق جغرافية أخرى كاللحيانية القديمة والكنعانية والمؤابية والآرامية⁽³⁾ .

(8) ينظر: الترادف في اللغة ، د.حاكم الزبيدي/306 ، ومن أسرار اللغة/69

(9) ينظر: من أسرار اللغة/63

(1) ينظر: الكتاب، 4/434، و سر الصناعة، 78/1

(2) ينظر: الكتاب، 4/434، و سر الصناعة، 83/1-87

(3) ينظر: الكتاب، 4/433

(4) ينظر: سر الصناعة، 1/60

(5) غريب القاسم، 4/361 (أشش)

(6) الفائق، 1/40، وينظر: النهاية، 1/51 (أشش)

(7) الجمهرة، 1/18 (أشش)

(8) ينظر: الدراسات اللغوية والصوتية عند ابن جني/11

(9) ينظر: في اللهجات العربية/75، 76

(10) ينظر: النهاية، 5/7 (نبر)

(11) ينظر: تهذيب التهذيب، 7/276

(12) ينظر: اللسان، 10/135 (ريق)

(1) الفائق، 3/11 (عق)

(2) النهاية، 5/260 (هراق)، وينظر: ما نسبهُ الخطابي إلى عمر (رضي الله عنه) في غريبه، 2/90

(3) ينظر: اللهجات العربية في التراث/613



ويمكن أن تكون انتقلت - أيضاً - إلى لغات الشمال, كما في الأمثلة التي نقلناها عن هؤلاء القرشيين الذين استحسنوا الصيغة المهموسة بالهاء, لانسجامها مع طبيعتهم المتحضرة على ما يبدو, ولا يبعد أثر الرواة في هذه المواضع .

وتبعاً لذلك فليس ثمة إبدال بين الصيغتين , فكلّ منهما أصل قائم برأسه⁽⁴⁾ , وقد أثر عن طيّء قولها(هنّ) في (إنّ) الشرطية⁽⁵⁾ , وقالوا: هَزَيْدُ فعل ذلك؟ في (أزید)⁽⁶⁾ .

وقد يكون السرّ في ذلك أنّ طيّئاً قبيلة يمانية الأصل نزحت إلى الشمال بعد ذلك⁽⁷⁾ . ومِمّا أبدلت فيه الهاء همزة ما ذكره ابن الأثير مسوّغاً ((إنّ رجلاً من أسلم عدا عليه ذنب فانزع شاة من غنمه فجهاه الرجل)) أي زبره, فأبدل الهاء همزة, لكثرة الهاءات وقرب المخرج⁽⁸⁾ .
العين والحاء:

فمنها قلب الحاء عيناً في ما يسمّى بالفحفة, وقد عزيت إلى هذيل وثقيف, وقد نُقل عن عمر (مرضي الله عنه) أنّه قال لعبد الله بن مسعود حين بلغه أنّه يُقرئ الناس (عَتَى حين) يريد: حتى حين: ((أنّ هذا القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش))⁽⁹⁾ , وقال الفراء ((حتى لغة قريش وجميع العرب إلا هذيلاً وثقيفاً فأنهم يقولون: عتي))⁽¹⁰⁾ , وأنشده بعض أهل اليمامة:
لا أضغ الدلو ولا أصلي عَتَى أرى جلتها تولي⁽¹¹⁾

وقال أبو عبيدة: ((من العرب من يقول: أقم عني عَتَى آتيك وآتَى آتيك, بمعنى حتى آتيك وهي لغة هذيل))⁽¹⁾ , ونصّ على مثل ذلك ابن قتيبة في (غريبه)⁽²⁾ .
لقد شاع عند العلماء نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل, وبعضهم نسبها - أيضاً - إلى ثقيف وسمعتها الفراء - كما مر - من بعض شعراء اليمامة, فهل يصحّ نفي هذه الظاهرة أو الشكّ فيها؟ كما وجدنا عند الدكتور الجندي⁽³⁾ .

إنّ هذا النفي يعوزه الدليل القاطع مع هذا الشيوع الذي يكاد يصل إلى التواتر لدن العلماء في نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل ونسبتها إلى ثقيف عند بعض منهم.
جاء في (اللسان): ((وعَتَى بمعنى حتى, هذلية وثقيفية))⁽⁴⁾ .

ويظهر أنّ قلب الحاء عيناً مطلقاً ثابت لورود ذلك في أمثلة لغوية كثيرة⁽⁵⁾ , قال الزمخشري: ((ومن معاقبة العين الحاء قولهم: الدَّعْدَاع في الدَّحْداح والعَفْضاج في الحَفْضاج وتصوَع في تصوَح, وجيء به من عَتِكَ وحَسِكَ والغَالَة بمعنى الخُثالة))⁽⁶⁾ .

والحاء والعين من مخرج الحلق ويتفقان في صفات الاستفال والانفتاح والإصمات إلا أنّ العين مجهورة والحاء مهموسة, والحاء رخوة والعين متوسطة بين الشدّة والرخاوة فأمكن تبادلهما⁽⁷⁾, فبين العين والحاء ((من القرب ما لولا بحّه في الحاء لكانت عيناً كما أنّه لولا إطباق في الصاد لكانت سيناً ولولا إطباق في الظاء لكانت ذالاً))⁽⁸⁾ .

(4) ينظر: المصدر نفسه, والمراجع التي اعتمدها لترجيح هذا القول

(5) ينظر: شرح الشافية, 223/3, واللسان, 36/13 (أنن)

(6) اللسان, 373/2

(7) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/27, 31

(8) النهاية, 319/1, واللسان, 486/13 (جهجه), وللمزيد من الأمثلة على هذا الإبدال ينظر: ابن قتيبة, 196/2, والفاق, 76/2 (رفق), و

116/2 (هنبر), والنهاية, 95/2 (دأدا), و278/5 (هنبر), والمزهر, 461/1, 465

(9) الفائق, 391/2 (عتى), وينظر: النهاية, 181/3 (عتا)

(10) الفائق, 391/2

(11) ينظر: المصدر نفسه: 330/2

(1) الفائق, 330/2

(2) ينظر: ج1/286

(3) ينظر: اللهجات العربية في التراث/372

(4) ج28/15 (عتا)

(5) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطور/172

(6) الفائق, 391/2 (عتى)

(7) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطور/173, وفي اللهجات العربية/108, 109

(8) الفائق, 391/2, 392, وينظر: المحتسب, 343/1



والمعروف أنَّ كثيراً من الهذليين يميلون إلى البدواة لمجاورتهم واتصالهم بكثير من القبائل البدوية⁽⁹⁾، فأما ثقيف فهي حيٌّ من قيس⁽¹⁰⁾، وبعض منازل قيس على اتصال بحصون اليمامة، قال الهمداني: ((وهذه اليمامة حصون متفرقة ونخل ورياض وقف من عن يمينها وبينها وبين نساخ يُقال لها أكلب وهي منازل بني قيس بن ثعلبة))⁽¹¹⁾.

وعلى ذلك فسماع هذه الظاهرة من ثقيف وبعض أهل اليمامة له ما يعضده هنا، للاتصال بينهما، وليس كل القيسيين أو الثقيفيين من الحضر كما يبدو لبعض المحدثين⁽¹²⁾، بل إنهم يستوطنون أرضاً واسعة فيها قرى ووديان ومزارع كثيرة⁽¹³⁾، فلعن بعضهم بدوي أو تأثر بمن ينطق بجهر الحاء فيحوّلها إلى عين على سَمَت البدو في هذا الموضع.

ويرى بعض المستشرقين أنَّ (عتى) في لغة هذيل لها صلة بكلمة (عدى) الموجودة في بعض اللغات السامية وهي العربية الجنوبية القديمة، وكذلك الكلمة العبرية (عدّ) بمعنى (حتى) فالحاء تقابل العين والتاء تقابل الدال، فنحن - هنا - أمام صورتين لكلمة واحدة إحداها تشتمل على صوتين مهموسين والأخرى تشتمل على نظيريهما المجهورين، وبناءً على ذلك يمكن أن يُعدَّ ما هُمِسَ حضرياً وما جُهرَ بدوياً فلا تكون هناك ظاهرة تدعى بالفحفة⁽¹⁾.

- ومما رُوِيَ فيه قلب الحاء عيناً: ((إن جاءت به أريصح أثير))، عَقَبَه الزمخشري بقوله: ((الأرصح، والأرصح، والأرصح أخوات بمعنى الأزل))⁽²⁾، ورُوِيَ في (النهاية) بالعين⁽³⁾، وذكر الجوهري أنَّ (الأرصح) لغة في (الأرصح)⁽⁴⁾.

- وفي الحديث ((... إذا اعرنجم بقلوص)) ذكر الزمخشري أنَّ (اعرنجم) يمكن أن يكون لغة في (أخرنجم) كما قرأ ابن مسعود (عتى حين) وكقولهم: (العِفْضاج) في (العِفْضاج)⁽⁵⁾.
- وفي الحديث الآخر: ((لفعتك النار))، جَوَزَ ابن لَآثِر أن تكون العين بدلاً من حاء (لفته)⁽⁶⁾.

فلم يقتصر أمر هذه اللغة على شاهد واحد حتى يَصَحَّ نفيها بل وردت لها نظائر كثيرة ((وإذا صَحَّت الرواية مع وجود النظير في العربية فقد أنسد باب الرد))⁽⁷⁾، كما أنَّ الشكَّ في قراءة لا يعني إسقاطها إلا إذا كان معتمداً على أوجه عدم صحّة النقل، وطرق الرواية وذلك لم يتوافر لصاحب النفي.

ومما أُبْدِلت فيه العين حاءٌ وهو نظير الفحفة، ما نقل عن ابن معاذ: ((كان رجلاً ضخماً جُلُغاباً)) وروي: جُلُغاباً⁽⁸⁾.

ومثله: ((يُقال... فُوَعته وفُوَحته))⁽⁹⁾ والدَّعْب والدَّحْب⁽¹⁰⁾. وقد غَلَبَت الحاء على العين في لغة سعد من مثل قولهم: كنْتُ محمُّم في معنى مَعْمُ⁽¹¹⁾.

لغة سعد هذه شائعة في لهجات عراقية عدّة، فقد سمعت أناساً كثيرين جداً في مناطق وسط وجنوب العراق يقولون: مَحَّد في: معهد.

(9) ينظر: صفة جزيرة العرب/288، واللسان، 694/11، واللهجات العربية نشأة وتطوراً/174

(10) ينظر: اللسان، 20/9 (ثقف)

(11) صفة جزيرة العرب/253

(12) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً/174

(13) ينظر: صفة جزيرة العرب/177، 178، 189

(1) ينظر: في اللهجات العربية/109، واللهجات العربية نشأة وتطوراً/173

(2) الفائق، 61/2 (رصح)

(3) ينظر: 227/2 (رصح)، وأخرج الحديث أبو داود في الطلاق (باب اللعان)، 277/2 في حديث طويل

(4) ينظر: الصحاح، 487/3 (رصح)

(5) الفائق، 351/2، وينظر: اللسان، 398/12 (عرجم)

(6) ينظر: النهاية، 261/4 (لفع)

(7) الفائق، 169/3 (قذف)

(8) الفائق، 230/1، وينظر: اللسان، 275/1 (جلعب)

(9) الفائق، 56/3 (فوع)

(10) ينظر: المصدر نفسه، 358/1 (دحم)

(11) ينظر: التهذيب، 282/12، واللسان، 40/2 (ستت)



الجيـم والشين:-

كلاهما في حيز واحد ومخرجهما من شجر الفم أي مفرج الفم⁽¹⁾ إلا أن الجيم مجهور شديد والشين مهموس رخو⁽²⁾ ، ومن شواهد ذلك:
 جاء في غريب الحربي: ((وشنت إلى ذلك الأمر ألجنت إليه، وأنت تشاء إليه وشيات الرجل على الأمر: حملته... أهل الحجاز يقولون: الأجابة، وغيرهم يقول: الأشاءة... يُقال: ما جاءك إلى كذا؟ أي ما أضطرك إليه. وقال الأسدي:
 كيما أعدم لأبعد منهم
 ولقد يجاء إلى ذوي الأحقاد⁽³⁾)
 وأنشد الأخطل:

ستقذف وائل حولي جميعاً واطعن إن أشنت إلى الطعان⁽⁴⁾
 وفي الأمثال: أشنت عُقيل إلى عقلك أي أضطرت إليه⁽⁵⁾ .

ونقل الحربي عن الفراء: أن تميمًا تقول: شر ما أشاءك إلى مخة عرقوب⁽⁶⁾ .
 والذي يستوقف الباحث هنا أن القبائل البدوية تميم تميل غالباً إلى الأصوات المجهورة وفي مثالنا هذا مالت تميم إلى المهموس وهو الشين الذي يتطلب مجهوداً عضلياً .
 يرجح المحدثون من أهل اللغة أن الشين هنا ليس بالشين المعروفة لنا وهي المهموسة الرخوة بل هي شين أخرى لم تستطع الكتابة التعبير عنها، ليست شيئاً خالصة إنما هو صوت بين الجيم والشين يُسمع عادة من أهل الفرات وكثير من أهل الجنوب العراقي عندما ينطقون بحرف (الجيم) وهو حرف مجهور، وربما تكون قريبة الشبه من التي عناها ابن جني بقوله: ((وأما الشين التي كالجيم فهي الشين التي يقلّ تفشيها واستطالتها وتراجع قليلاً متصعدة نحو الجيم))⁽⁷⁾ .

قال الفراء - بعد إيراد الآية «فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ»⁽⁸⁾ - : ((ولغة أخرى لا تصلح في الكتاب وهي تميمية فأشاءها المخاض، ومن أمثال العرب: شر ما ألجأك إلى مخّة عرقوب وأهل الحجاز وأهل العالية يقولون: شر ما أجاءك إلى مخّة عرقوب والمعنى واحد وتميم تقول: شر ما أشاءك إلى مخّة عرقوب))⁽⁹⁾ .

فلغة أهل الحجاز هي الأصل الذي نطق به القرآن، فأما لغة تميم فهي انحراف عن ذلك الأصل. ويمكن أن يحمل على ذلك ما نقله أبو عبيد القاسم في حديث أبي هريرة: أنه كره السراويل المخرفجة ((وهي التي تقع على ظهور القدمين ، ... هذا تأويلها وإنما أصل ذلك مأخوذ من السعة ولهذا قيل: عيش مخرفج، إذا كان واسعاً رخداً))⁽¹⁾ .
 وعليه قول العجاج:

غراء سؤى خلقها الخبرنجا مأذ الشباب عيشها المخرفجا⁽²⁾
 وعقّب أبو عبيد على ذلك بقوله: ((وبعضهم يقول: المخرفشة: بالشين وليس هذا بشيء إنما المحفوظ بالجيم))⁽³⁾ .

(1) ينظر: العين، 57/1، والمقرب لابن عصفور/355
 (2) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث/66-71
 (3) غريب الحربي، 625/2، 626
 (4) ديوانه/337
 (5) مجمع الأمثال، 165/2
 (6) غريب الحربي، 625/2، 626، ومجمع الأمثال، 151/2
 (7) سر الصناعة، 56/1
 (8) مريم/ من الآية 23
 (9) معاني القرآن، 164/2، وينظر: مجمع الأمثال، 151/2
 (1) غريب القاسم، 196/4 (خرفج)
 (2) ينظر: المصدر نفسه، وينظر: ديوان العجاج/283، واللسان، 246/2 (خبرنج)، و254/2 (خرفج)
 (3) غريب القاسم، 196/4 (خرفج)



فالراجح أنَّ القول بالشين إنما هو قريب ممّا ورد على التمييزية، وأمّا اعتراض أبي عبيد فلائ المذكور - هنا - خالف الأصل الفصيح ، ويرى أستاذنا الدكتور صباح السالم أنَّ هذه الجيم التي تنقلب إلى شين هي نفسها الجيم المعطشة في اللهجة اللبنانية ولهجات أهل ميسان⁽⁴⁾ .

الدال والتاء:-

الدال صوت مجهور شديد، مخرجه بين طرف اللسان وأصول لثنايا، أمّا التاء فهو صوت مهموس شديد يخرج مما بين طرف اللسان وأصول اللثايا⁽⁵⁾ .

وقد وقع الإبدال بين الدال والتاء في جملة من الأمثلة التي ذكرها مصنفو غريب الحديث فمن ذلك في سليمان(ع)

وَمُصَمِّدًا بِطَوَابِقِ الْجَلَامِيدِ⁽⁶⁾

المُصَمِّد: لغة في المُصَمِّم وهو الذي لا جوف له⁽⁷⁾ .
ومن ذلك: ((فَأَدْخَلْتُهَا الدَّوْلَجَ)) , عَقَّبَ الخطابي على ذلك بقوله: ((الدَّوْلَج: المَخْدَع وفيه لغة أخرى التولج, وأصله الدُولَج... وقال بعضهم أصله دُولَج ثم قلبوا الواو تاء))⁽⁸⁾ .

وقد أثر بعض الهذليين الدال على التاء في هذه اللفظة بخلاف غيرهم قال شاعرهم:

وَسَدَّتْ عَلَيْهِ دَوْلَجًا ثُمَّ يَمَّمَتْ بني فالج بالليث أهل الخزائم⁽⁹⁾

وذكر ابن سيدة أنَّ الدال فيه بدل من التاء عند سيبويه، وإنّما ذكره في باب الدال، لغلبة هذا الباب عليه وأنّه غير مستعمل على الأصل، قال جرير:

مَتَّخِذًا فِي ضَعَوَاتٍ دَوْلَجًا .

ويروى: تولجاً⁽¹⁾ ... فأمّا جرير، فشاعر تميمي⁽²⁾ , لذا يتوقع إثارة الحرف المجهور الشديد وفقاً لطبيعة بينته البدوية، وأمّا الشاعر الهذلي فيبدو أنّه ينتمي إلى بعض الهذليين الذين تأثروا بمجموعة اللغات الشرقية التي غلبت عليها صفة البداءة⁽³⁾ , وقد رجّح بعض مصنفي الغريب الإبدال في (لحادة) , قال: ((وما أراها إلا لحاته بالتاء من اللحت... وإن صحت الرواية بالدال فتكون مبدلة من التاء كدولج في تولج))⁽⁴⁾ .

وممّا أبدلت فيه الدال تاء((أَنْ أَبَا جَهْلَ لَمَّا رَأَى الدَّبْرَةَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَرَادَ بِقَرِيْشِ التَّوْلَةَ)), عَقَّبَهُ الزمخشري بقوله: ((والتاء مبدلة من دال كما قال سيبويه في تاء تَرْبُوت... أَنَّهَا بَدَلٌ مِنْ دَالٍ مَدْرَبٍ, واشتقاق التَّوْلَةَ مِنْ تَدَاوُلِ الْأَيَّامِ ظَاهِرٌ))⁽⁵⁾, فإيثار التاء المهموس أنبأ عن اختيار حضري على الأرجح وقد صدر عن أبي جهل القرشي المكي .

وفي الحديث المنسوب إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((يَنْزِلُ عَنِ الْمَنَارَةِ ... فِي مَهْرُودَتَيْنِ)) , وقف ابن قتيبة على رواية (مهرودتين) بالدال ولم يعلم لها وجهاً... ثم قال: ((إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ مِنَ الْهَرْدِ, وَالْهَرْدُ وَالْهَرْتُ: الشَّقُّ... قَالَ سَاعِدَةُ بْنُ الْعَجْلَانِ الْهَذَلِيُّ:

غَدَاةٌ شَوَاحِطُ فَنَجُوتٍ شَدًّا وثوبك في عباقيّة هريد⁽⁶⁾

ومنه الحديث: ((أَنَّهُ أَكَلَ كَتِفًا مَهْرَتَةً)) ... وقيل: إنّما هو مُهَرَّدَةٌ بالدال، ولحم مهرّد إذا نضج حتى تهراً⁽⁷⁾, ووقع مثل هذا في لهجتي قيس وأسد وذلك قولهم: (التفتّر) في لفظة (الدفتّر)⁽⁸⁾ , فأمّا

(4) من مدونتي الخاصة لمحاضرات الاستاذ الدكتور صباح السالم في 2006/9/8, وينظر: الاصوات اللغوية/68, 69

(5) ينظر: الكتاب, 433/4, 434, ولهجة قبيلة أسد/91

(6) ينظر: بحار الأنوار, 165/51

(7) غريب الحديث في بحار الأنوار, 367/2, وينظر: الصحاح, 94/2, واللسان, 258/3(صمد)

(8) غريب الخطابي, 83/2, وينظر: الفائق, 435/1(دلج)

(9) ينظر: البارع/634, والمحيط في اللغة, 45/7

(1) اللسان, 273/2, 274(دلج), وينظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب, 187/1

(2) ينظر: طبقات الشعراء للحمي/86, والشعر ولشعراء, 381/2

(3) ينظر: اللهجات العربية في التراث/93

(4) النهاية, 237/4(لحد), ونقل ابن الأثير في هذا الموضع أنّ(اللحاته) من (اللحت) وهو أن لا يدع عند الإنسان شيئاً إلا أخذه

(5) الفائق, 157/1(تولة), وينظر: الكتاب, 316/4, والحديث أخرجه أحمد في مسنده, 381/1, وأبو داود في الطب, 9/4

(6) غريب ابن قتيبة, 391/1, وغريب ابن الجوزي, 496/2, وينظر: كتاب شرح اشعار الهذليين للسكري, 335/1

(7) النهاية, 257/5(هرت), وينظر: أمالي القالي, 241/2

(8) ينظر: القلب والإبدال/54, واللسان, 92/4, والمصباح, 266/1, والتاج, 68/3(تفتّر)



قيس فبطون متفرقة كثيرة منها الحضري ومنها البدوي⁽⁹⁾ ، وأما أسد فقبيلة بدوية - عموماً - إلا أن منهم من امتنهن الصناعة أو الحداثة وغيرهما فتهاياً لهم الاستقرار الذي يُعدّ أحد مظاهر التحضر⁽¹⁰⁾ ، فأثر عنهما مثل هذا الهمس في الحروف .

التاء والطاء:-

مخرجهما من طرف اللسان وأصول الثنايا⁽¹¹⁾ ، إلا أن التاء مهموس⁽¹²⁾ - كما مر ذكره سابقاً - والطاء من أصوات القفلة والإطباق⁽¹³⁾ ، ومن شواهد ذلك:

- في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((**فَضْرِبُوهُ بِالْثِيَابِ وَالنِّعَالِ وَالْمِثْيَخَةِ**)) ، ذكر بعض علماء الغريب أنها من تَاخَ يَتَوَخَّ ، إلا أن هذا ليس بصحيح عند الزمخشري، إنما هي من (طَيْخَه) العذاب إذا ألحَّ عليه وديَّخه إذا ذلَّه، لأنَّ التاء أخت الطاء والذال، كما اشتق سيبويه قولهم: جمل تَرَبُّوت من التَّدرِيب، وليس لهذا الشأن عند الزمخشري إلا الحَذَّاق من الخاصة على دقائق علم العربية ولطائفه التي يجفو عنها وعن إدراكها أكثر الناس⁽¹⁾ .
- ومن ذلك - أيضاً - وهبته وهبَّطه أخوان⁽²⁾ ، ويُقال: هَطَلت السماء وهَتَلت بمعنى⁽³⁾ .
وفي حديث ابن مسعود ((**لَا غَلَت فِي الْإِسْلَامِ**))، ذكر ابن الأثير أنَّ الغَلَّت في الحساب كالغلط وقيل: هما لغتان⁽⁴⁾ ، ومنه في حديث غسل الحيز ((**تُبْدَةُ مِنْ كُسْتِ أَظْفَارٍ**)) وفي رواية (كُسُط) بالطاء وهو هو⁽⁵⁾ ، وفي حديث آخر: ((**مَا لَا يَرَى قَطْرَاهُ**)) ، نقل القاسم بن سلام عن الأصمعي أنَّ القُتْرُ مثل القُطْر⁽⁶⁾ .

وقد أثر عن هذيل قولهم: التقطُر في التَقَتَّر⁽⁷⁾ ، قال المتنخل الهذلي:

مُجْدَلًا يَتَسَقَّى جُلْدُهُ دَمَهُ كَمَا تَقَطَّرَ جُدْعُ الدَّوْمَةِ الْقُطْلُ⁽⁸⁾

وفي (اللسان): ((**الْفَلَاطُ: الْفَجَاءُ لُغَةً هَذِيلٌ. لَقِيْتَهُ فَلَطًا وَفِلَاطًا أَيْ فَجَاءَهُ، هَذِيلِيَّةٌ، وَقَالَ: الْمَتَنَخَلُ الْهَذِيلِي:**

بِهِ أَحْمِي الْمُضَافَ إِذَا دَعَانِي وَنَفْسِي سَاعَةَ الْفَرْعِ الْفَلَاطِ))⁽⁹⁾

ويبدو أنَّ بعض القبائل البدوية تؤثر الطاء أحياناً، جاء في (اللسان) - أيضاً - ((**وَأَفْلَطْنِي الرَّجُلُ إِفْلَاطًا: مِثْلُ أَفْلَتْنِي، وَقِيلَ لُغَةً فِي أَفْلَتْنِي، تَمِيمِيَّةٌ قَبِيلَةٌ**))⁽¹⁰⁾ .

وقد أبدلت الطاء من التاء - عند ابن سيدة - في (فعلت) إذا كانت بعد حرف من حروف الإطباق، وهي لغة تميم قالوا: (فحصط برجلك) يريدون: (فحصت)⁽¹¹⁾ .

السين والصاد:-

السين والصاد في حيز واحد، مخرجهما من أسلة اللسان⁽¹²⁾ . وفوق الثنايا، وهما من الأصوات المهموسة الرَّخوة⁽¹³⁾ ، وقد شاع إثثار الصاد على السين ، وذلك إذا كان بعد السين

(9) ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، 22/1، ولهجة قبيلة أسد/17

(10) ينظر: لهجة قبيلة أسد/19

(11) ينظر: الكتاب، 433/4، وسر الصناعة، 60/1

(12) ينظر: الكتاب، 434/4

(13) ينظر: سر صناعة الاعراب، 60/1

(1) الفائق، 342/3 (متخ)، وينظر: الكتاب، 316/4

(2) الفائق، 88/4 (هبت)

(3) ينظر: المصدر نفسه، 107/4 (هطم)

(4) ينظر: النهاية، 377/3 (غلت)

(5) المصدر نفسه، 172/4 (كست)

(6) غريب القاسم، 132/4-133 (قطر)

(7) ينظر: الصحاح، 518/2، واللسان، 107/5 (قطر)

(8) ينظر: الصحاح، 519/2، وديوان الهذليين، 34/2، واللسان، 106/5 (قطر)

(9) اللسان، 372/7 (فلط)

(10) المصدر نفسه

(11) ينظر: المخصص لابن سيدة، 270/13

(12) العين، 57/1، وينظر: البحث الصوتي عند العرب، د: خليل العتيبة/20

(13) ينظر: المقرب لابن عصفور/356، والأصوات اللغوية، د: انيس/44، 67، 68



غين أو خاء أو قاف أو طاء⁽¹⁾ .
قال ابن الأثير معقّباً على حديث ابن عباس: ((أما أنا فأصغصغه في رأسي)) هكذا يُروى، وأنما هو (اسغِصْغِه) بالسين - عند الحربي - ((والسين والصاد يتعاقبان مع الغين والحاء والقاف والطاء))⁽²⁾ .

وقال الزمخشري في حديث ذكر المنافقين: ((صُخْبٌ بالنهار - ويروى: سُخْبٌ - بالسين)) , ((السُّخْبُ والصُّخْبُ: اختلاط الأصوات، والأصل: السين ... والصاد بدل، والذي أبدلت له وقوع الخاء بعدها كقولهم: صَخَر في سَخَر، والغين والقاف والطاء أخوات الخاء في ذلك، يُقال: أَصْبَغ ويُصَاقون ومصيطر))⁽³⁾ .

ويرجع إثبات الصاد مع هذه الحروف عند المحدثين إلى عامل المماثلة الذي هو تأثير الأصوات بعضها ببعض⁽⁴⁾ , وسمّاه ابن جني (التقريب)⁽⁵⁾ , وذلك لأنَّ حروف: القاف والطاء والغين والحاء - حروف استعلاء - والسين حرف غير مستعل - بل هو من حروف الاستفال , فكرهوا الخروج منه إلى المستعلي، لأنَّ ذلك مما يتقل، فأبدلوها بالصاد، لأنَّ الصاد توافق السين في الهمس والصفير، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء فيحصل التجانس، وهذا العمل شبيه بالإمالة في تقريب الأصوات بعضها من بعض⁽⁶⁾ .

لذلك رأى ابن منظور قبحاً في كلمة (السُّخْب) بالسين قال: ((الصُّخْب... والسُّخْب لغة فيه رُبْعِيَّة قبيحة))⁽⁷⁾ إلا أنَّه أقرَّ أنَّ (السُّخْب) لغة في الصُّخْب مُضَارعة⁽⁸⁾ .

ورأى الزمخشري أنَّ إبدال السين بالصاد في (الصَّمَام) شاذ عن القياس، لأنَّه ليس بعدها أحد من الحروف الأربعة المذكورة، كما شدَّ (صَلَّهَب) في معنى (سَلَّهَب)⁽⁹⁾ .

وقد شكك الدكتور إبراهيم أنيس في نسبة الصاد إلى قریش ورجَّح نسبة السين إليها، لأنَّها بيئة حضرية تميل إلى ترفيق الأصوات⁽¹⁰⁾ , إلا أنَّ الدكتور أحمد علم الدين الجندي، لم يوافق في هذا القول متذرعاً بأمور ذكرها في محلها⁽¹¹⁾ , وهي لا ترقى إلى الأدلة التي تصمد أمام البحث والنقاش، وذلك لأنَّ لقول الدكتور أنيس ما يُعزِّزه، وهو جريان السين على السنة بعض خواص قریش في جملة من الأمثلة التي ذكرها مصنّفو غريب الحديث فمن ذلك:

- في حديث ابن عباس أنَّه سئل عن الطيب عند الإحرام فقال: ((أما أنا فأصغِصْغِه في رأسي)) وبعضهم يرويه (أصغِصْغِه)، قال القاسم بن سلام: ((هذا لا يجوز ولكن المحفوظ عندنا هو الأول وهو وجه الكلام))⁽¹⁾ .

- ومن ذلك حديث علي (عليه السلام): ((لا يذهب أمرُ هذه الأمة إلا على رجل واسع السرم ضخم

(البلعوم)) , قال ابن الأثير: السُّرْم: الدبر⁽²⁾ ويسمع الآن - أي السرم - بالصاد.

- ومنه في حديث المبعث: ((فأنطلقا بي إلى ما بين المقام وزمزم فسلقاني على قفائي)) , ويروى بالصاد، والسين، والسين أكثر وأعلى⁽³⁾ .

- ومنه في حديث عمر (رضي الله عنه): ((يُعَسِّرُ الوالدُ من مال ولده)) , ويروى بالصاد⁽⁴⁾ , وأمثلة أخرى بثَّها علماء غريب الحديث في كتبهم⁽⁵⁾ .

(1) ينظر: سر الصناعة، 220/1، والمزهر، 469/1

(2) النهاية، 33/3 (صغصغ)

(3) الفائق، 370/1 (خشب)

(4) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 446/

(5) ينظر: الخصائص، 143/2

(6) ينظر: سر الصناعة، 223/1، وشرح المفصل لابن يعيش، 51/1، 52، واللهجات العربية في التراث، 446/2، 447

(7) اللسان، 521/1 (صخب)

(8) المصدر نفسه، 462/1 (سخب)

(9) ينظر: الفائق، 189/1 (جيب)

(10) ينظر: في اللهجات العربية، 130

(11) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 445/2

(1) غريب القاسم، 221/4، وينظر: النهاية، 371/2 (سغصغ)، و33/3 (صغصغ)

(2) النهاية، 362/2 (سرم)

(3) المصدر نفسه، 391/2 (سلق)، وينظر: غريب ابن قتيبة، 382/1



هذا وقد غُزيت الصاد إلى تميم عامّة وبني العنبر خاصّة⁽⁶⁾ ، وفي (اللسان): ((لصق به يُلصق لصوقاً وهي لغة تميم، وقيس تقول لسق بالسين، وربّعة لَزَق وهي أقبحها إلا في أشياء نصفها في حدودها))⁽⁷⁾، فتميم نُسبت إلى البداوة - غالباً - وبني العنبر ممّن توغلوا في هذه البداوة لذلك مالوا إلى تفخيم الأصوات⁽⁸⁾، وربّعة جهروا بالزاي ذهاباً إلى قوة الاسماع وهو ما ينسجم مع طبيعة كثير من بطونها التي تسكن البراري⁽⁹⁾، أمّا قيس فعموم أهلها من الحضر لذلك همسوا بالسين⁽¹⁰⁾.

ويبقى أنّ لحروف الاستعلاء الأثر الأكبر في قلب السين إلى صاد للسبب الأنف كما مرّ في بعض الأمثلة السابقة وكما في حديث الزهراء (عليها السلام): ((فلا ينكفي حتى يَطأ صماخها بأخمصه)) وبالسين لغة أخرى في (الصماخ)⁽¹¹⁾.

وحديث علي (عليه السلام): ((كان إذا أُوتِيَ بالقتيل قد وجد بين القرّيتين حملة على أصقَب القرّيتين إليه))⁽¹²⁾، وقد رجح الجندي⁽¹³⁾ حديث الإمام بالصاد وأختار هذه اللغة محتجاً بقول أبي جعفر الطوسي الذي عدّها لغة قريش الجيدة⁽¹⁴⁾، إلا أنّ ذلك لا يجري على ما يريد الجندي لأنّ في الحديث رواية ثانية بالسين⁽¹⁾، ويبدو أنّ الشيخ الطوسي إنّما أختار رواية الصاد ونعتهها بالجيدة، لملازمتها حرف الاستعلاء، وهو اختيار غيره من العلماء، كالزمخشري - كما مر - على وفق هذا الشرط.

الزاي والصاد:-

مخرج الزاي كمخرج الصاد والسين إلا أنّ الزاي مجهور⁽²⁾، وقد غُزيت الزاي - كما مرّ - إلى ربّعة وربّما قُلّبت الصاد زايّاً في (هيصم) وهو ضرب من الحجارة، فقالوا (هيزم) وأكثر من يتكلم بها بنو تميم⁽³⁾، وجهر الحرف يناسب البيئات البدوية كتميم. وقد روي حديث مناهي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على هذه اللغة ((أنّه نهى أن يمحي شيء من كتاب الله عز وجل بالبزاق))⁽⁴⁾، بَزَق يَبْزُقُ بَزْقاً بمعنى بصق⁽⁵⁾، كذلك يفعلون في الحرف إذا كانت فيه الصاد مع القاف يُقال: اللصق واللّزق والبُصاق والبزاق⁽⁶⁾. وفي حديث طاوس: ((المُرّة الواحدة تحرّم))، هي المصّة يُقال للمصّوص: المزوز⁽⁷⁾. وروي حديث الحسن ((يضرب أسنديه)) أي عطفه ومنكبيه بالزاي والصاد بدل السين بمعنى واحد⁽⁸⁾. وهذه الاحرف الثلاثة تتعاقب مع الدال⁽⁹⁾.

فالذين قلبوا الصاد أو السين قبل القاف زايّاً وهم (كلب) على ما يذكر ابن جني⁽¹⁰⁾، إنّما فعلوا ذلك لأنّ الزاي يوافقهما في المخرج والصغير، وينسجم مع القاف في الجهر⁽¹¹⁾، وهناك نمط آخر في

(4) النهاية، 236/3 (عسر)

(5) ينظر على سبيل المثال: غريب الحربي، 1124/3، والنهاية، 128/1 (بسق)، و107/4 (حمّس)

(6) ينظر: الجهمرة، 44/3 (سويق)

(7) اللسان، 329/10 (لصق)

(8) ينظر: في اللهجات العربية، 128

(9) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، 38

(10) ينظر: صفة جزيرة العرب، 253

(11) بحار الأنوار، 224/29، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 366/2، 367 (صمخ)

(12) النهاية، 41/3 (صقّب)

(13) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 444

(14) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان، 25/1، واللهجات العربية في التراث، 444

(1) اللسان، 52/1 (سقب)

(2) ينظر: المقرب، 256، والأصوات اللغوية، 44

(3) ينظر: الجهمرة، 90/3، واللسان، 611/12 (هصم)

(4) بحار الأنوار، 34/89

(5) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 121/1، وينظر: مجمع البحرين للطريحي، 139/5 (بزق)

(6) ينظر: المزهر، 365/1

(7) الفائق، 242/3 (مزز)

(8) النهاية، 354/2 (سدر)

(9) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 342/2 (صدر)



تقريب الأصوات، وذلك إذا وقعت الصاد ساكنة وبعدها دال كما في (يضرب أصدره) إذ روي بالزاي⁽¹²⁾، وهذه لغة لبعض العرب يبدلون هذه الصاد زايًا خالصة، وقد علّل الرضي ذلك بقوله: ((لأنّ الزاي من مخرج الصاد وأختها في الصفيّر وهي تناسب الدال في الجهر وعدم الإطباق))⁽¹³⁾.

الزاي والسين:-

ومما ورد فيه الإبدال بين السين والزاي ((أنّ ابن مسعود كان جالساً إذ سَقَسَقَ على رأسه عصفور فنكتته بيده)) أي ذرق، يُقال: سَقَسَقَ وَرَقَرَقَ، وَسَقَّ وَزَقَّ⁽¹⁴⁾. ومنه في حديث البرنطي ((سألنا الرضا عليه السلام) هل أحد من أصحابكم يعالج السلاح؟ فَقُلْتُ: رجل من أصحابنا زَرَاد، فقال: إنّما هو سرّاد أما تقرأ: ﴿أَنْ أَعْمَلُ سَبْغَتٍ وَقَدِمْتُ فِي السَّرْدِ﴾⁽¹⁾.

فالبرنطي نطق الحرف على لغته ونبّه الإمام (عليه السلام) على الأصل وهو ما نطق به القرآن، وهو القياس ويمكن أن يُقاس عليها لفظ (صراط)، إذا يُرَجَّح أن الأصل هو (سراط)، لا ما نطقت به قریش وقرأ به الجمهور بالصاد، وقد نصّ على هذا الأصل أبو علي الفارسي في (الحجّة)⁽²⁾ وابن جني في (المحتسب)⁽³⁾ وأبو حيان في (البحر)⁽⁴⁾، وكُتِبَ كذلك في مصحف ابن عباس، وقرأها قنبل من طريق ابن مجاهد ورويس⁽⁵⁾، ويرى الدكتور انوليمان: أنّها مشتقة من كلمة لاتينية هي (Strata)⁽⁶⁾.

وعليه فاللغة القديمي بالسين، ثم تطور الزمن فصارت تلك السين صاداً في قریش أو غيرها للإطباق، وقد فُرئ بالزاي كذلك⁽⁷⁾. وهذا ينقض ما ذهب إليه الجندي من أنّ لغة قریش القديمي بالصاد ثم قرّوها بالسين في زمن متأخر⁽⁸⁾، وتبعاً لذلك فالراجح في ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((على أصقّب))، أنّه ورد على السين جزياً على النسق القرآني وليس تأثراً بلغة قریش على ما يذهب الدكتور إبراهيم أنيس⁽⁹⁾.

ومن هذا الإبدال في الحديث ((دعاه صلى الله عليه وسلم) رجل فقدم إليه إهالة زَنخة))، سَنَخَ وَزَنَخَ: إذا تغير وفسد والأصل السين، والزاي بدل⁽¹⁰⁾ وهي لغة عند ابن منظور⁽¹¹⁾. وفي حديث عبد الله بن بسر: ((فوضعنا له قطيفة رَبيزة))، نقل ابن الأثير أنّ ربيز مثل ربيس⁽¹²⁾.

الباء والميم:-

حدّد سيبويه وابن جني مخرجي الباء والميم ممّا بين الشفتين⁽¹³⁾، وكلاهما مجهور شديد مع غنة في الميم⁽¹⁴⁾، الذي صنّفه بعض المحدثين مع الأصوات المتوسطة بين الشدّة

(10) ينظر: سر الصناعة، 208/1

(11) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 449/2

(12) النهاية، 16/3، وينظر: غريب الحديث في بحار الانوار، 342/2 (صدر)

(13) شرح الشافية، 232/3

(14) النهاية، 378/2

(1) بحار الأنوار، 61/97، وغريب الحديث في بحار الانوار، 216/2 (سرد) والآية (11) من سورة سبأ

(2) ج 1/ 28

(3) ج 2/ 346-347

(4) ج 1/ 25

(5) ينظر: اتحاف فضلاء البشر للدمياطي/ 123، واللهجات العربية في التراث/ 443

(6) ينظر: اللهجات العربية في التراث/ 443، 444

(7) ينظر: اللسان، 307/7، 308 (زرط)، والمزهر، 1/ 471

(8) ينظر: اللهجات العربية في التراث/ 445

(9) ينظر: في اللهجات العربية/ 130

(10) الفائق، 125/2 (زنخ)

(11) ينظر: اللسان، 27/3 (سنخ)

(12) ينظر: النهاية، 183/2 (ربز)، وينظر: الصحاح، 25/3، والمزهر، 472/1

(13) ينظر: الكتاب، 433/4، وسر الصناعة، 61/1



والرخاوة⁽¹⁵⁾.

وممّا ورد في كتب غريب الحديث من هذا الإبدال في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا))... قال أبو عبيد: ((وفيه لغة أخرى بالميم (ميد)، والعرب تفعل هذا تدخل الميم على الباء والباء على الميم كقولك: أغمطت عليه الحمى وأغبطت وقوله: سمّد رأسه وسبّد وهذا كثير في الكلام))⁽¹⁾ وفي الحديث الآخر المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أنّه أغبطت عليه الحمى))، قيل: يعني لزمته، وقال الواقدي في هذا الحديث: ((أصابته حمى مغمطة - بالميم في معنى الباء - وقال الأصمعي: أغبطت علينا السماء إذا دام مطرها وهو من هذا))، ثم ذكر أبو عبيد أنّهما لغتان قد سمعهما جميعاً بالباء والميم وأنّهما مثل: سبّد وسمّد⁽²⁾.

وفي الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - أيضاً - أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وعد رجلاً أن يخرج إليه فأبطأ عليه فلمّا خرج قال له: ((شغلني عنك خطم))⁽³⁾.

الميم في (خطم) بدل الباء، ونظيره قولهم: بنات مخر في بنات بخر، ورأيته من كثم وكثب، ومازلت راتماً على هذا وراتباً، وهو الذي نصّ عليه ابن الأعرابي⁽⁴⁾. ومنه في حديث بدر في وصف جبرئيل: ((قد عصم ثنيته الغبار))، من عصب الريق فاه وعصمه إذا لثق به على اعتقاب الباء والميم، ولهما نظائر⁽⁵⁾.

وحسبه ابن قتيبة غلطاً من نقلة الحديث وصوابه: عصب بالباء أي يبس الغبار على ثنيته فتوهمه السامع (عصم) لقرب مخرج الباء من مخرج الميم وأشباههما في السمع⁽⁶⁾.

فإذا كان هذا التعاقب غلطاً في هذا الحديث فما تفسيره في الأحاديث السابقة وغيرها؟ علماً أنّ مثل هذا التعاقب ورد في القرآن في مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا

وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾⁽⁷⁾.

قال بعض المحققين من المفسرين: ((ربما قيل أن بكّة هي مكّة وأنّه من تبديل الميم باء كما في قولهم: لازم ولازب وراتم وراتب ونحو ذلك))⁽⁸⁾، وهذا الذي ذهب إليه المفسرون قاله مصنفو الغريب⁽⁹⁾، وأصحاب المعجمات⁽¹⁰⁾.

وممّا أثر في هذا الموضع أنّ أهل اليمن يقولون: الكحب في الحكم وهو الحصرم⁽¹⁾، ونُقِلَ عن بني أسد أنّهم يبدّلون الميم باءً في (اطمأننت) ، قال الفراء: ((يُقَالُ اطمأننت إليه ولغة بني أسد اطمأننت)) وأنشد:

وَبَشِّرْنِي جِبْنِكَ مِنْ بَعِيدٍ بخير فاطبأنّ له جناني⁽²⁾

يرى الدكتور إبراهيم أنيس أنّ مثل هذا التأثير بين الأصوات المتجاورة يحصل في البيئات البدوية بصفة خاصة، ومنها تميم وأسد - كما أشير هنا - وقد أحصى أمثلة قُلبت فيها الميم باءً إذ تكتنفها في الكلمة الواحدة أصوات مجراها الفم، وأنّ الباء قد تقلب ميماً حين تكتنفها أصوات مجراها

(14) المصدران السابقان

(15) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث/68

(1) غريب القاسم، 89/3 (ميد)

(2) غريب القاسم، 99/1، وينظر: اللسان، 202/3، 203 (سبد)

(3) الفائق، 381/1، وينظر: النهاية، 51/2 (خطم)

(4) ينظر: الفائق، 381/1، واللسان، 187/12 (خطم)

(5) الفائق، 369/2، والنهاية، 248/3 (عصم) وينظر: النهاية، 244/3 (عصب)

(6) ينظر: غريب ابن قتيبة، 323/1-324

(7) آل عمران/96

(8) ينظر: الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي، 401/3

(9) ينظر: غريب ابن قتيبة، 475/1، والغريبيين، 202/1، والفائق، 126/1، وغريب ابن الجوزي، 84/1، والنهاية، 150/1 (بك)

(10) ينظر: الجمهرة، 328/1، والصاحح، 349/4، واللسان، 402/10 (بك)

(1) ينظر: الجمهرة، 186/2 (كم)، ومختصر العين، 148/2

(2) ينظر: القلب والإبدال لابن السكيت/13، وشرح شافية ابن الحاجب، 462/4-463، ولهجة قبيلة أسد/88



الأنف وقد نُسبَ مثل ذلك إلى بعض القبائل نحو قبيلتي مازن وبكر بن وائل من ربيعة، وواضح أنَّ هذا الإبدال مقيد بوجود (الميم) أو (الباء) في مواضع خاصّة من الكلمات، وأنَّ يكتنفهما أصوات خاصّة تساعد على هذا الانقلاب، وليس المسألة قاعدة مطّردة في كلّ (ميم) وفي كلّ (باء) .

وما لا يمكن قبوله على إطلاقه في قول الدكتور إبراهيم أنيس هو نسبة هذه الظاهرة لأخطاء الأطفال في البيئات المنعزلة⁽³⁾، ولا ينكر أن يكون هناك قدر من هذا التعاقب ينتج عن مثل هذا التأثير والتطور، إذ مع هذا المسموع من هذا الإبدال والمنسوب إلى لغات مخصوصة - أحياناً - وغير مخصوصة - أحياناً - أخرى يلزم الإقرار بحصول مثل هذا التعاقب بين اللغات ثمَّ ألا يصحّح الطفل خطأه بعد أن يتجاوز مرحلة الطفولة؟ ولم يستمر الخطأ عند الكبار الذين سبقوه؟؟!

وفي ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يمكن نسبة طائفة منه إلى الرواة، وذلك لا يمنع صدور بعض منه عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد خاطب ((العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم كلّ بما يفهمون ويحدثهم بما يعلمون... فكأن الله قد أعلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بني أبيه وجمع فيه من المعارف ما تفرّق ولم يوجد في قاصي العرب ودانيه))⁽⁴⁾ .

فليس بغريب إذاً أن نجد مثل هذا التعاقب في لغته (صلى الله عليه وآله وسلم)، وليس من حقّ أحد أن ينسب ألفاظه إلى طائفة دون غيرها، والقرآن نزل بلسانٍ عربي مبين، لا بلسانٍ قرشيّ فقط ولو كانت الفصحى في أصلها لغة قریش وكانت قریش أصفى العرب لساناً لكان من المتوقع أن يُكرّم الله رسوله بالإشارة بفصاحة لغته، إلا أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أشاد بفصاحة نفسه وحسب، وحين فعل ذلك أشار إلى أنّه نشأ في (سعد بن بكر) وهي من غلبا هوازن، فهل كانت أولى بالفصاحة من قریش⁽¹⁾ ؟ ولقد قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾⁽²⁾، فإذا كانت إحدى الآيتين تفسر الأخرى فإنَّ قومه هنا هم العرب جميعاً لا قریش⁽³⁾، وقد أثر عنه قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أنا أفصح العرب مبدأً أي من قریش... وأنزل القرآن بلغتي وهي أفضل اللغات بيد أني ربيت في بني سعد بن بكر))⁽⁴⁾، وهنا جملة من المسلمات ذكرها بعض المحدثين التي تؤكد أن لغة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هي العربية الفصحى المشتركة والأدبية التي حوت الكثير ممّا لم تحويه لغة قریش، ويمكن تلمسُه في القرآن الكريم أو في أدب العرب شعرهم ونثرهم في عصور الجاهلية وبعدها⁽⁵⁾ .

وقد أشار علماء الغريب - كما ذكر سابقاً - إلى أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) و ((قد يتكلم (صلى الله عليه وسلم) في بعض النوازل وبحضرته أخلاط من الناس من قبائل شتى ولغاتهم مختلفة))⁽⁶⁾، فعندما لا يتيسر لبضعهم ضبط اللفظ وحصره أو حفظه ووعيه ((يستدرك المراد بالفحوى ويتعلق منه بالمعنى ثم يؤديه بلغته ويعبر عنه بلسان قبيلته))⁽⁷⁾ .

وينبغي إستحضار هذين الأمرين في كلّ ما يُنسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) من نقول، يعني لسانه العربي المبين والشامل ودور الرواة في اختلاف النقل عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد يكون هذا أشبه بالقرآن وقراءاته عند مَنْ يعتقد أنّ هذه القراءات تُعبّر في مستوى من مستوياتها عن لغات القراء المختلفة⁽⁸⁾ .

(3) ينظر: في اللهجات العربية/ 166

(4) النهاية، 4/1

(1) ينظر: الأصول، د: تمام حسان/ 74

(2) إبراهيم/ من الآية 4

(3) ينظر: الأصول، د: تمام حسان/ 75

(4) بحار الأنوار، 158/17، وينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 162/1

(5) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د: جواد علي، 640/8، والأصول، د: تمام/ 74-78، واللهجات العربية، نشأة وتطور/ 89

(6) ينظر: غريب الخطابي، 68/1

(7) المصدر نفسه

(8) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/ 82-85



فلا يمكن عدّ اختلاف اللغات في حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) مخالفاً للفصاحة، بل هو دليل على تكامل شخصيته الربانية، فلا أقلّ من أن شخصيته الكريمة اشتملت على هذه الفصاحة وزيادة وهو المأمور أن يكلم الناس على قدر عقولهم⁽⁹⁾.
ومما روي على التعاقب بين الميم والباء في حديث الإسراء ((وإذا بأمتي شطرين... شطراً عليهم ثياب رُمد))، وروي: رُبد⁽¹⁰⁾.
ومما يُنسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((... لا والله إلا توصيباً))، قيل: أن يكون التوصيب معاقباً للتوصيم كالدائم والدائب، واللازم واللازب⁽¹¹⁾.
وفي حديث علي (عليه السلام): ((كأني بحبشيٍّ مُخربٍ على الكعبة))، يُقال: مُخربٌ ومُخرَّم⁽¹⁾، وأنشد بلال:

وهل أردن يوماً مياه مَجَنَّةٍ وهل يبدون لي شامةً وطْفِيل

قال بعضهم: ((أنه أرد شابةً بالباء وهو جبل حجازي))⁽²⁾.

الهمزة والعين:-

يعرف إبدال الهمزة عيناً في كتب القدماء بالعننة، قال ابن دريد: ((العننة: حكاية كلام نحو قولهم: عننة تميم، لأنهم يجعلون الهمزة عيناً))⁽³⁾ وقال السيوطي: ((وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم، تجعل الهمزة المبدوء بها عيناً فيقولون في أنك: عنك وفي أسلم عسلم، وفي أذن عنن))⁽⁴⁾، ونقل الزمخشري أن: ((عني: تميمية في أني وهي العننة))⁽⁵⁾.
ومما ورد منها في كتب غريب الحديث:
- في حديث قيلة التميمية ((تحسب عني نائمة، أرادت: تحسب أني نائمة، وهذه لغة بني تميم))⁽⁶⁾، قال ذو الرمة:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة كالوحي في مصحفٍ قد محّ منشور⁽⁷⁾

- ومنه حديث حصين بن مسمت: ((أخبرنا فلان عن فلاناً حدثه)) أي: أن فلاناً حدثه⁽⁸⁾، ومما ورد على إبدال العين همزة:

- في حديث الحد: ((فجلد بأثكول)) وفي رواية بإثكال، هما لغة في العثكول والعثكال، وهو عذق النخلة... والهمزة فيه بدل العين⁽⁹⁾، وليس زائدة كما ظنّ الجوهري⁽¹⁰⁾.

ومنه في حديث هجرة الحبشة ((قال: والله لأستأدينه عليكم)) أي: لأستعدينه، فأبدل الهمزة من العين، لأنهما من مخرج واحد⁽¹¹⁾، ونُسب إلى أهل الحجاز استأديت السلطان عليه أي استعديت⁽¹²⁾.

والتعاقب بين الحرفين ممكن، لأنهما أختان مخرجهما الحلق، فالهمزة من أقصاه والعين من وسطه⁽¹³⁾.

(9) ينظر: النهاية، 4/1

(10) غريب ابن قتيبة، 375/1، وينظر: الفائق، 85/2 (رمد)

(11) ينظر: الفائق، 42/2 (وثب)، والنهاية، 190/5 (وصب)

(1) النهاية، 18/2 (خرب)

(2) المصدر نفسه، 521/2 (شيم)

(3) الجمهرة، 160/1 (عنن)

(4) المزهر، 176/1

(5) الفائق، 101/3

(6) غريب القاسم، 51/3، وينظر: النهاية، 314/3 (عنن)

(7) ديوانه، 128، وينظر: غريب القاسم، 51/3

(8) النهاية، 314/3 (عنن)

(9) النهاية، 23/1 (أثكل)

(10) ينظر: المصدر نفسه، والصاح، 442/4 (ثكل)

(11) النهاية، 33/1 (أدا)

(12) ينظر: اللسان، 25/14 (أدا)

(13) ينظر: الكتاب، 433/4، وسر الصناعة، 61/1



ونقل ابن دريد عن أبي حاتم أن بني تميم في عنتهم إنما يُحَقِّقُونَ الهمزة حتى تصير عيناً، يقولون: خباغنا يريدون خباؤنا، وجارية خبعة أي تختبي مرة وتطلع مرة⁽¹⁾. وهي مناسبة لطبيعة البدو الذين يحتاجون إلى نبرة عالية، لاتساع الصحراء⁽²⁾، كأنهم يفعلونه لبَحَح في أصواتهم⁽³⁾، والْبَحَح غِلْظ في الصوت وخشونة⁽⁴⁾.

ومما يتصل بذلك رواية الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((كان إذا رَفَأَ رجلاً، قال: بارك الله عليك)) إذ جاء في رواية: (رُفِّحَ)، وقد تصرفوا فيه بقلب همزته حاء، وإذا كانوا ممن يقلبون اللام في (قائلة) عيناً فهم بهذا القلب أخلق، على ما يقول الزمخشري⁽⁵⁾، ويبدو للباحث أن هذه مستويات من تحقيق الهمز، وسيجيء إن شاء الله تعالى.

الحاء والهاء:-

يتعاقب الحاء والهاء في طائفة من الأمثلة، لأنهما حرفان حَلْقِيَّان متدانيان مخرجاً متحدان صفة، إذ كلاهما مهموس⁽⁶⁾، ((ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرجها))⁽⁷⁾، ففي الهاء ضعف وخفاء يظهر على شكل هتة ميزتها عن الحاء التي فيها بحة، ولتقارب مخرجيهما لا يأتلفان في كلمة واحدة ويقبج اجتماعهما على ألسنة العرب⁽⁸⁾.

ومما رواه مؤلفو غريب الحديث على هذا الإبدال:-

- ((أن رجلاً من أسلم كان في غنيمة له يحشُّ عليها)) قالوا: إنما هو يهشُّ بالهاء، ... ويحشُّ ويهشُّ بمعنى ومثله مدح ومدّه⁽⁹⁾.

- ومما يرجح فيه إبدال الحاء هاء في الحديث ((لعن من النساء ... الممتهشة))، ... قيل: كأن هاءها مبدلة من حاء، من المحش... يقال: مرَّ بي فمَحَشَنِي⁽¹⁰⁾.

وفي حديث المبعث ((فشقَّ عن قبله وجيء بطسب رهره))، قال القتيبي: سألت أبا حاتم عنها فلم يعرفها، وسأل أبو حاتم الأصمعي عنها فلم يعرفها، وقد التمسوا لهذا الحرف مخرجاً فلم يجدوا إلا المخرج الواحد وهو أن تكون الهاء فيه مبدلة من حاء نحو: مدحته ومدته وأمر مهم ومحم وأنشد ابن الأعرابي:

تَمَّتْهُي ما شئت أن تَمَّتْهُي⁽¹¹⁾.

وبعد أن عرضت هذه الأمثلة التي غلب عليها الترجيح لا القطع، يريد تأكيد حقيقة مفادها أن مثل هذا التعاقب ليس بمطرد، إنما هو بموضع قد لا تتجاوز المسموع من كلام العرب، وقد ناقش الدكتور الجندي أمثلة وقع فيها مثل هذا التعاقب وخلص إلى نتيجة مفادها ((أن هذه السمة اللهجية فارسية تأثرت بها القبائل العربية التي كانت تتاخم حدود فارس))⁽¹⁾، وكلامه ليس بعيداً عن واقع النصوص التي ذكرها، إذ صدرت على ما يبدو عن أناس رجح أن أقوامهم كانوا على اتصال بالفرس والخميين والأحباش وغيرهم⁽²⁾.

وأرجح هذا الذي ذهب إليه الجندي اعتماداً على أمرين:-

الأول: أن غير العرب في وقتنا الحاضر ولا سيما من يتكلم الفارسية أو الهندية والإنكليزية وغيرهم يقلبون الحاء هاءاً في ما ينطقونه من كلمات عربية عند جريانها على ألسنتهم.

(1) ينظر: الجمهرة، 76/3، 77 (عكس)

(2) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د: عبد الصبور شاهين/23-25، واللهجات العربية نشأة وتطوراً/171

(3) النهاية، 314/3 (عن)

(4) اللسان، 406/2 (بح)

(5) الفائق، 72/2 (رفأ)، وينظر: النهاية، 241/2 (رفج)

(6) ينظر: الأصوات اللغوية/77

(7) العين، 5/1، وينظر: اللسان، 7/1

(8) ينظر: اللهجات العربية في التراث/470

(9) الفائق، 285/1، والنهاية، 390/1 (حشش)

(10) الفائق، 306/1، 307 (حلق)، والمحش في هذا الموضع هو السَّحَج والقَشَر

(11) ينظر: غريب ابن قتيبة، 381/1، والنهاية، 281/2 (رهره)

(1) ينظر: اللهجات العربية في التراث/470

(2) ينظر: المصدر نفسه/469-471



الثاني: أنَّ علماء غريب الحديث نَصَّوا على مثل ما ذهب إليه الجندي ورَّجَّحه الباحث في هذا الموضوع فمن ذلك:

في حديث مكحول حين قال لرجلٍ ((ما فَعَلْتَ في تلك الهَاجَةِ)) , أراد الحاجة , فلكنها , لأنَّه كان اعجميَّ الأصل من سبي كابل⁽³⁾ .

وقل الكسائي: ((سمعتهم يقولون: باقلي هار, فقلت: تجعلونه من التَّهَرِّي: قالوا: لا, ولكن من الحرارة, ومثله: تمدَّهي ما شئت أن تمدَّهي))⁽⁴⁾ .

ويرجِّح الباحث - أيضاً - أنَّ الصيغ المختلفة للكلمة الناشئة عن هذا التعاقب لم تحدث في وقتٍ واحد, وإنما حدثت في عصور مختلفة⁽⁵⁾ .

فمن ذلك في حديث المحرق ((إذا مُت فاسْحَكُوني))...رواه بعضهم (اسْهَكُوني) بالهاء وهو بمعناه⁽⁶⁾ .

وقريب من ذلك في حديث الإمام علي (عليه السلام): ((أما صاحب الفقه تراه... قد قام الليل في حنْدسه))⁽⁶⁾, وحديث أبي هريرة ((كنا عند النبي (صلَّى الله عليه وسلم) في ليلة ظلماء حِنْدس)) أي:

شديدة الظلمة⁽⁷⁾ .

واليوم تُسمع حاء (حنْدس) بالهاء (هندس) عند كثيرين في وسط وجنوب العراق, ولا يبعد أن يكون الهاء في نطق المتأخرين من آثار لكنة أعجمية .

الغين والعين:-

الغين والعين صوتان متدانين مخرجاً وصفة عند القدماء⁽¹⁾ . فهما مجهوران, الأول رخو مخرجه أدنى الحلق والثاني وسط الحلق⁽²⁾ وقد اختلف في شدَّته ورخاوته وإن رجَّح بعضهم رخاوته⁽³⁾ .

وممَّا ورد على هذا الإبدال:

- ((احبسوا صبيانكم حتى تذهب فَوْعَة العشاء)) أي أوله...ويُروى بالغين لغة فيه⁽⁴⁾ .
- وفي حديث حكيم بن معاوية ((فأعرض عنه فقام متمعِّطاً)) أي متَسَخَّطاً متغضباً , يجوز أن يكون بالعين والغين⁽⁵⁾ .

قال الأزهري: ((المعروف في الطول المُعْط بالغين المعجمة وكذلك رواه أبو عبيد عن الأصمعي, قال: ولم اسمع ممعطاً بهذا المعنى لغير الليث إلا بإقرانه في كتاب الاعتقَاب لأبي تراب, قال سمعت أبا زيد وفلان بن عبد الله التميمي يقولان: رجل مُمَعَّطٌ ومُعْط أي طويل, قال الأزهري: ولا أبعد أن يكونا لغتين كما قالوا: لَعْنُكَ وَلَعْنُكَ بمعنى لَعْنُكَ والمُعْص والمَعْص... وسُرُوع وسُرُوع))⁽⁶⁾ .

وفي (اللسان): أنَّ ابن الفرج سَمِعَ جماعة من أعراب قيس يقولون: الشَّلْغف والشَّلْغف المضطرب, بالعين والغين⁽⁷⁾ .

هذا التقارب بين الحرفين يسوِّغ الإبدال بينهما, والراجح في ما نُقِلَ عن بعض التميميين أو القيسيين أنَّهم من بيئات مختلفة, فمنازل تميم في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة في اليمامة حتى

(3) الفائق, 120/2, 121, والنهاية, 281/5 (هوج)

(4) الفائق, 121/4

(5) ينظر: اللهجات العربية في التراث/471

(6) النهاية, 347/2 (سحك)

(6) بحار الانوار, 47/2, وغريب الحديث في بحار الانوار, 370/1 (حنْدس)

(7) النهاية, 450/1 (حنْدس)

(1) ينظر: الكتاب, 433/4, 434, وسر الصناعة, 60/1, والمقرب/355-356

(2) ينظر: الأصوات اللغوية/76, 77

(3) ينظر: منهج البحث اللغوي/68

(4) النهاية, 479/3 وينظر: اللسان, 257/8, 258 (فوع), و 448/8 (فوع)

(5) النهاية, 343/4 (معط)

(6) اللسان, 404/7, 405, وينظر: التهذيب, 28/2, 29 (معط)

(7) اللسان, 183/9 (شلغف)



جنوب العراق⁽⁸⁾، وقيس بطون وأفخاذ كثيرة متفرعة جُعِلَتْ مقابل اليمانية بأسرها، فيقال: قيس ويمن⁽⁹⁾.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ قبيلة واحدة أو بيئة واحدة لا تتكلم بكلمةً طوراً بالغين وطوراً بالعين، إنَّما يحصل ذلك حين يعيش التميميون أو القيسيون أو غيرهم في أماكن أو أصقاع مختلفة ومن أمثلة الإبدال هذا أيضاً:

- في حديث أبي هريرة ((إذا لم أرك تبغث نفسك))، أي جاشت ويروى بالعين⁽¹⁰⁾.
- ومنه في حديث الحوض: ((يُعْبُ فيه ميزابان)) أي يصبَّان... هكذا جاء في رواية، والمعروف بالغين المعجمة⁽¹⁾.

ويظهر للباحث أو المتتبع لهذا النوع من التعاقب أنَّ كثيراً مما يُنسب إليه، ليس منه، إنَّما هو تصحيف أو غلط أو ممَّا لم يكن محفوظاً عند العلماء، فمن ذلك:
في حديث عائشة ((... يوم بُعِثَ))... ذكر ابن الأثير أنَّ بعضهم يقوله بالغين المعجمة وهو تصحيف⁽²⁾.

- وفي حديث ابن جبير في قوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾⁽³⁾، رَغَن... إذا مال ورَكَن، قال الخطابي: الذي جاء في الرواية بالعين المهملة وهو غلط⁽⁴⁾.
- وفي قول امرئ القيس:

فَلَمَّا أَجَنَّ الشَّمْسُ عَنِّي غَوَارَهَا نَزَلْتُ إِلَيْهِ قَائِماً بِالْحَضِيضِ⁽⁵⁾

ذكر أبو عبيد أنَّ (غوارها) قد يُروى بالعين والمحفوظ بالغين⁽⁶⁾.
- وفي الحديث المنسوب إلى علي (عليه السلام): ((إِنَّ مَعَاوِيَةَ قَادُ لُئْمَةٍ... وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ))، العَمَس: ان تُرِّيَ أَتَكَ لا تعرف الأمر وأنتَ به عارف، ويروى بالغين المعجمة⁽⁷⁾.
وقد وجد الأزهري أنَّه بالغين المعجمة خطأ⁽⁸⁾، ونَصَّ الصَّغَانِي على المضمون الذي ذكره مصنفو غريب الحديث⁽⁹⁾.

- وفي حديث أبي وائل ((... فقام إليها فَعَبَطَ))، عَبَطَ، يعني جسَّ، وقال بعضهم فَعَبَطَ بالعين، قال أبو عبيد: ((فَمَنْ قَالَ بِالْعَيْنِ فَإِنَّهُ أَرَادَ الدَّبْحَ))⁽¹⁰⁾.
وختلاصة ما أريد من هذا النوع من التعاقب أنَّ كثيراً منه يؤول إلى الغلط أو التصحيف أو اختلاف الدلالة بين الصيغتين على الأصل.

الغين والهاء:-

حرفان متدانيان مخرجاً وصِفَةً، ومن الشواهد على الإبدال فيهما، قال أبو عبيد في حديث ابن مسعود: ((إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ فِي الرَّفَاهِيَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ...)) وفي الرفاهية لغة أخرى: الرفاغية... يُقال: هو في رَفَاهِيَةٍ ورفاغِيَةٍ من العيش⁽¹¹⁾.

(8) صفة جزيرة العرب/251، 254

(9) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/36

(10) النهاية، 139/1 (بعثر)، و143/1 (بعثر)، وينظر: اللسان، 72/4 (بعثر)، 73/4 (بعثر)

(1) النهاية، 168/3، وينظر: اللسان، 573/1 (عيب)

(2) ينظر: النهاية، 139/1، واللسان، 117/2 (بعث)

(3) الأعراف/176

(4) غريب الخطابي، 80/3، والنهاية، 239/2، وينظر: اللسان، 183/13 (رغن)، وقد أخرج الحديث الطبري في تفسيره، 127/9

(5) الشعر في غريب القاسم، 490/4، وقد ورد في شرح الأشعار السَّيِّئَةِ للبطلوس، 211/1، واللسان، 37/5 (غور) وقد جاء برواية (غيارها)

(6) ينظر: غريب القاسم، 490/4 (عور)

(7) النهاية، 299/3 (عمس)

(8) ينظر: التهذيب، 533/1، واللسان، 147/6 (عمس)

(9) ينظر: العباب للصغاتي (س)، 295/ (عمس)

(10) غريب القاسم، 373/4، 374 (غبط)

(11) المصدر نفسه، 72/4 (رغه)، واللسان، 184/13 (رفغن)، و43/8 (رفهن)، والعباب، (ع)، 40/ (رفغ)



- ووصف علي (عليه السلام) الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ((وكان نَغَاضَ البطن)) ، النَّغْضُ والنَّهْضُ: أخوان يقولون: نَغَضْنَا إلى القوم ونَهَضْنَا⁽¹⁾ .
الحاء والخاء:-

حَلَقِيَانِ مهموسان، فالعلامة بينهما توحى بالإبدال وتسوِّغه، إذ هما متدانيان مخرجاً وصفة⁽²⁾ ومن شواهد ذلك:

- قال ابن قتيبة معقباً على حديث مالك بن دينار ((يا داود مَجْدَنِي بِذَلِكَ الصوت الرخيم)) ، الرخيم من الصوت: الرقيق الشجي... وقال أبو زيد الأنصاري: ((أما أهل اليمن فيقولون: رَحْمَتُهُ رَحْمَةٌ فِي مَعْنَى رَحْمَتِهِ))⁽³⁾ .

قال اللحياني: ((سمعت أعرابياً يقول: هو رَاخِمٌ له وفي نوادر الأعراب: مَرَّةٌ تَرَخَّمَ صَبِيهَا... إذا رَحِمْتُهُ، والرخم المحبة))⁽⁴⁾ .

- وفي قوله تعالى ﴿وَيَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾⁽⁵⁾... قال الفراء: ((جاء التفسير بأنه التنقص والعرب

تقول: تَحَوُّفُهُ بالحاء: تنقصته من حافته فهذا الذي سمعت، وقد أتى التفسير بالحاء وهو

معنى))⁽⁶⁾ ومثله مما قرئ: بوجهين قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾⁽⁷⁾، و(سَبَخًا) بالحاء

والحاء⁽⁸⁾ ، وقد سمع الفراء العرب تقول: ((سَبَخِي صُوفَكَ)) ، وهو شبيه بالندف، والسَّبَح - عنده - نحو من ذلك، وكلُّ صواب⁽⁹⁾ .

وفي (اللسان): ((وَحَصَّهُ وَحْصاً: سَحَبَهُ يَمَانِيَةً ، قال ابن السكيت: سمعتُ غير واحد من الكلابيين يقول: أصبحت وليس بها وَخْصَةٌ أي بردٌ يعني البلاد والأيام والحاء غير معجمة))⁽¹⁰⁾

وآثر بعض بني عقيل الحاء في لفظ(بحق) على الخاء عند غيرهم، وبخفق الجرادة: الجلباب الذي على أصل غُنْقِهَا⁽¹¹⁾ .

ومما ورد على هذا التعاقب عند أهل غريب الحديث أيضاً:

- في حديث عمر (رضي الله عنه): ((إذا أَقَمْتَ فَاخْذُم)) ، ولم يخرج الزمخشري على ما ذكر ابن الأثير، ورواه بعضهم بالحاء المهملة⁽¹²⁾ .

- ومنه في حديث ابن عباس ((والوادي يومئذٍ لَاحٌ)) ، لَاحٌ: ضَيَّقَ بكثرة الشجر والحجارة وروي: لَاحٌ: أي ملتفت مختلط... وروي لَخِخْتُ عينه، مثل لَحِخْتُ⁽¹⁾ ، ونَصَّ ابن منظور على أن ((لَحَّتْ عينه كَلَخَتْ: كثرت دموعها وغُلْظَتْ أجفانها))⁽²⁾ .

- وفي الحديث الآخر لعمر (رضي الله عنه) : ((إذا أُقِيمَت الصلاة وَلَى الشيطان وله خَبَجٌ، الخَبَجُ

بالتحريك: الضراط ويروى بالحاء المهملة))⁽³⁾ .

ونَصَّ ابن منظور على أن ((الخَبَجُ: نوع من الضرب بسيف أو بعضاً... والحاء لغة))⁽⁴⁾ .

(1) ينظر: الفائق، 8/4 (نغض)، وينظر: اللسان، 245/7 (نهض)

(2) ينظر: الأصوات اللغوية/76

(3) غريب ابن قتيبة، 313/2، وينظر: اللسان، 234/12 (رخم)

(4) اللسان، 234/12

(5) النحل/47

(6) معاني القرآن، 102/2، وغريب الحربي، 834-836/2

(7) المزمّل/7

(8) معاني القرآن، 102/2، وغريب الحربي، 834، 835، وهذه قراءة ابن يعمر وعكرمة وابن أبي عيلة وهي قراءة شاذة: البحر المحيط

363/8،

(9) ينظر: معاني القرآن، 102/2، وغريب الحربي، 834-836/2

(10) ج 105/7 (وخص)، وينظر: في الموضع نفسه (وخص)

(11) ينظر: المصدر نفسه، 13/10 (بخفق)

(12) ينظر: النهاية، 16/2 (خزم)، 357/1 (حزم)

(1) الفائق، 417/1، والنهاية، 243/4 (لحج)

(2) اللسان، 577/2 (لحج)

(3) النهاية، 6/2 (خبج)، وينظر: الفائق، 325/2 (ضال)، وغريب ابن الجوزي، 1/ 262 (خبج)

(4) اللسان، 246/2 (خبج)



وقد حدث هذا التعاقب بين الحرفين في السامية الأم والعبرية⁽⁵⁾ ، وكذلك في لغة الجزيرة في السودان⁽⁶⁾ .

القاف والكاف:-

كلا الصوتين شديد مهموس غير أنَّ مخرج القاف من أقصى اللسان مما يلي الحلق ومما يحاذيه من الحنك الأعلى من منبت اللهاة والكاف من أقصى اللسان مما يلي مخرج القاف⁽⁷⁾ . ويظهر أنَّ القدماء يهيمسون الكاف ويجهرون بالقاف بحسب ما يُنقل عنهم⁽⁸⁾ .

ومن الأمثلة التي نشرها أصحاب غريب الحديث حول هذا الإبدال:-

- في الحديث المنسوب إلى الإمام علي(عليه السلام) أَنَّهُ بَعَثَ عَمَرًا إِلَى السُّوقِ فَقَالَ: ((لَا تَأْكُلُوا الْأَنْكَلِيسَ مِنَ السَّمَكِ)) ... ذكر الزمخشري أَنَّهُ الشَّلِقُ وقيل: سمك شبيه بالحيات وفيه لغتان: الْأَنْكَلِيسُ وَالْأَنْقَلِيسُ بفتح الهمزة واللام⁽⁹⁾ .

- ومنه الحديث المنسوب إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((مَرَّ عَلَى أَصْحَابِ الدَّرَكَلَةِ)) ... الدَّرَكَلَةُ والدَّرَقَلَةُ بوزن الرِّبْحَلَةِ: ضرب من لُعَبِ الصِّبْيَانِ⁽¹⁰⁾ .

- ومنه في حديث أم سلمة((مَا كَانَ لَكَ أَنْ تُعْكِهَا)) التعنك: المشقة... وروي بالقاف⁽¹¹⁾ .

تكاد الروايات التي نقلها اللغويون تجمع على أنَّ أداء قريش كان بالكاف، وأنَّ غيرها من القبائل كان ينطق بالقاف((قريش تقول: كشط، وتميم وأسد يقولون: قشط... والعرب تقول: الكافور والقافور، والكُسْطُ والقُسْطُ وإذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات))⁽¹²⁾ .

وفي موضع آخر((تميم وأسد يقولون: قشطت، بالقاف، وقيس تقول: كشطت، وليست القاف في هذا بدلاً من الكاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين))⁽¹⁾ .

وإذا ما أُريد توزيع الأمثلة التي ذُكرت على خارطة القبائل التي ذكرها اللغويون يجد أنَّ نصيب قريش منها الحرف المهموس وهو الكاف على ما نصَّ القدماء وجملة الأمثلة التي ذُكرت في هذا الموضع نُسبت إلى أشخاص ينتمون غالباً لبيئة قريش الحضرية، والهمس أشبه بالبيئة الحضرية ومثله في حديث المَحْرَق: ((إِذَا مِتُّ فَأَسْحُقُونِي)) ، أو قال: ((فَأَسْحُقُونِي)) هكذا جاء في رواية⁽²⁾ .

وحديث رُقَيْبَةَ بنت أبي صيفي عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((فَقَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ، فَأَعْتَضَدَ ابْنَ

ابْنِهِ مُحَمَّدًا فَرَفَعَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَهُوَ يَوْمُنَا غَلَامٌ قَدْ أَفْعَ أَوْ كَرَبٌ)) ، ... قال الزمخشري - معقباً - كَرَبٌ: قَرَبٌ ومنه الكروبيون: المقرَّبون من الملائكة⁽³⁾ .

ومنهُ أَنَّ رجلاً قال له: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا قَوْمٌ نَتَسَاءَلُ أَمْوَالَنَا. فقال: ((يَسْأَلُ الرَّجُلُ فِي الْجَانِحَةِ وَالْفَتْقِ فَإِذَا اسْتَعْفَى أَوْ كَرَبَ اسْتَعْفَى))⁽⁴⁾ .

ومنهُ حديث الرجل الذي تكلم خلف رسول الله في الصلاة قال: ((فَبَإِبي هُوَ وَأَمِي مَا كَهْرَنِي وَلَا شَتْمَنِي))⁽⁵⁾ ، قال أبو عمرو: ((وَلَا كَهْرَنِي: الكهر: الانتهار، يُقَالُ: كَهَرْتُ الرَّجُلَ فَأَنَا أَكْهَرُهُ كَهْرًا))⁽⁶⁾ ،

والكهر والقهر أخوات عند الزمخشري⁽⁷⁾، ونقل الكسائي أنَّها في قراءة عبد الله بن مسعود والشعبي ((فَأَمَّا

(5) ينظر: التطور النحوي/23

(6) ينظر: اللهجات العربية في التراث/467

(7) ينظر: الأصوات اللغوية/73، 74، واللهجات العربية في التراث/462

(8) ينظر: المقرَّب/357، والنشر في القراءات العشر، 199/1-200

(9) ينظر: الفائق، 62/1، والنهاية، 77/1(أنكلس)

(10) الفائق، 421/1، وينظر: النهاية، 114/2(دركل)

(11) النهاية، 312/3(عنك)

(12) اللسان، 387/7(كشط)

(1) اللسان، 379/7(قشط)

(2) النهاية، 347/2(سحك)

(3) الفائق، 160/3، 161(فحل)

(4) المصدر نفسه، 242/1(جوح)، وينظر: الخصائص، 88/2

(5) غريب القاسم، 76/1، وينظر: الفائق، 287/3(كهر)

(6) المصدران السابقان

(7) الفائق، 287/3(كهر)



النَّبِيَّ فَلَا تَكْمُرُ)) (8) والرجل الذي تكلم خلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو معاوية بن الحكم السلمي كما نَصَّ الزمخشري (9).

وسليم هذه على صلة قرابة بقريش وبينهما مُصَاهِرَةٌ وتحالف واختلاط (10). كما أَنَّ الأقرب إلى وصفها أن تكون بيئة حضرية، فقد اشتهرت ديارهم بوفرة المياه التي استفادت منها القبيلة في الزرع، وكثرت فيها الجرار كَحَرَّة سُلَيْم وحَرَّة لَيْلَى وكانت الجرار مناجم لمعادن اشتهرت بها مثل مَعْدَن بني سُلَيْم (11)، فهي على ذلك بيئة مستقرة، فَيَصِحُّ الأداء النطقي المشار إليه عنها، فأما ابن مسعود فقد كان في اتصال دائم بالقرشيين وصاحب نعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعاصر خلفاءه الأربعة (12) وإنْ أثرت عنه بعض القراءات على غير نطق القرشيين.

ومِمَّا جاء على القاف: قول خالد بن صفوان: ((يَطْعَم الدَّرْمَقُ وَيَكْسُو النَّرْمَقُ)) (1)، قال ابن الأثير: ((الدَّرْمَقُ هُوَ الدَّرْمَكُ فَأَبْدَلَ الْكَافَ قَافًا)) (2)، وقد ذُكِرَ أَنَّ الدَّرْمَقَ لغة في الدَّرْمَكِ وهو الدَّقِيقُ المحور (3).

ومنه في حديث غسل الحوض ((نَبْذَةُ مَنْ كُسْتُ أَظْفَارُ)) هو القسط الهندي، وفي رواية: (كسَط) بالطاء وهو هو، والكاف والقاف يُبْدَلُ أحدهما من الآخر، هذا قول ابن الأثير (4). والقسط عودٌ يُتَبَخَّرُ به لغة في الكُسَطِ، والقاف بدل على ما يقول يعقوب ... وكذلك قول الليث (5) ينسب المُحَدَّثُونَ تبعاً للقدماء القاف المجهورة إلى البيئات البدوية كتميم (6) وأسَد (7)، وهو ما يناسب طبائعهم - كما ذُكِرَ -.

وليس في موقف قيس غموضٌ حين يُنسب إليها الكاف - كما ظن الدكتور أنيس (8) - فقد ذُكِرَ أَنَّ قيساً قبائل وبطون كثيرة (9)، وبنو سليم المذكورون أحفاد قيس عيلان وكانوا أكثر قبائل قيس عدداً (10).

ومِمَّا تجدر ملاحظته هنا أَنَّ الراجح في القاف المبدلة إلى كاف عند غير التميميين، أنها تشبه إلى حدٍ بعيد ابدال العراقيين في عصرنا هذه الكاف من القاف المعقودة في كلمتين هما (وكت) في (وقت) و(كتل) في (قتل)، على حين أَنَّهُمْ ينطقون القاف في الألفاظ الباقية قَافًا معقودة (تميمية) (11). ويظهر أَنَّ تميمًا كانوا يلحقون القاف باللهاء حتى تغلظ جداً فيقولون: القيوم، بين الكاف والقاف، قال الشاعر:

وَلَا أَكُولُ لِكْدَرِ الْكَوْمِ: كَدَ نَضَجَتْ وَلَا أَكُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَكْفُولِ (12)

ومنه أَنَّ تميمًا تقول: أَيْنَ بَكْعٍ، بمعنى أَيْنَ بَقْعٍ (13). وهي على ما يذكر بعض المحدثين صورة من صور القاف المهموسة، وهي على ذلك تختلف في الصفة عن القاف العربية التي درسها اللغويون ووصفوها بالجهر (14).

(8) في الضحى/9، وينظر: غريب القاسم، 76/1، والفائق، 287/3

(9) ينظر: الفائق، 287/3 (كهر)

(10) ينظر: معجم ما استعجم، 28/1

(11) ينظر: جمهرة أنساب العرب/249-251، وصفة جزيرة العرب/154، ومعجم ما استعجم، 14/1

(12) ينظر: الإصابة، 127/4، وتهذيب التهذيب، 27/6

(1) غريب ابن قتيبة، 275/1، وينظر: غريب ابن الجوزي، 334/1، (درمق)

(2) النهاية، 115/2 (درمق)

(3) ينظر: اللسان، 96/10 (درمق)

(4) النهاية، 172/4 (كست)

(5) ينظر: اللسان، 378/4، 379

(6) ينظر: في اللهجات العربية/131، ولهجة تميم/103، ولهجة قبيلة أسد/98

(7) ينظر: لهجة قبيلة أسد/98، وفي اللهجات العربية/131

(8) في اللهجات العربية/131

(9) ينظر: ص/155 هنا

(10) ينظر: صبح الأعشى، 345/1

(11) ينظر: لهجة تميم/105

(12) ينظر: الجمهرة، 5/1، والصاحبي، 54

(13) ينظر: الصاحح، 442/3 (بمع)، والتاج، 28/5 (بمع)

(14) ينظر: لهجة تميم/103، ولهجة قبيلة أسد/99



وهناك طريقة أخرى متطورة لجهر القاف نسمعها الآن من البدو - غالباً - كقولهم: ((كُعُود))
لذكر الإبل, وفي الخبر المأثور ((جاء أعرابي على قُعود له))⁽¹⁾, ومما أثر عند القدماء أنهم يقولون
((قُفَّة))⁽²⁾, والآن يقول البدو وغيرهم (كُفَّة) , ويقول بعض القدماء للديوث القُوَاد⁽³⁾ وينطق بها
الآن (كُوَاد) قريب إلى حرف (G) .

السين والتاء:-

ذكر ابن الأثير أنَّ ((الختيت)) بتاءين: ((الخصيس))⁽⁴⁾, ذُكِرَ أَنَّ بعض العرب يقول: ((أخسَّ
اللهُ خطَه وأختَه))⁽⁵⁾ وأختٌ: أخسَّ وهو خَتِيت, قال السموأل:

ليس يُعطي القويُّ فضلاً من المالِ ولا يُحرِمُ الضعيفُ الخَتِيتُ

... والخَتِيتُ: الخصيس⁽⁶⁾ .

- وفي حديث الإسراء: ((بثلاث طساس من زمزم)) , الطساس: جمع طِسّ وهو الطست, والتاء فيه
بدل من السين. فُجِّعَ على أصله⁽⁷⁾ .

وقد نُسبت التاء لطِيء - أيضاً⁽⁸⁾ - ولا غرابة في أن يكون نطق طِييء بالحرف الشديد, (التاء)
انسجماً مع طبيعتها المتوغلة في البداوة⁽⁹⁾ .

الباء والفاء:-

مخرج الفاء من باطن الشِّفَّة السفلى وطرف الثنيتين⁽¹⁰⁾, وهو من الأصوات الرّخوة
المهموسة⁽¹¹⁾, أمّا الباء فمخرجه ممّا بين الشفتين وهو صوت شديد مجهور⁽¹²⁾ .

وقد سُمِعَ أَنَّ أعرابياً من بني حنظلة يُسمِّي المصنّطة المصنّطة بالفاء⁽¹³⁾, وسُمِعَ من أعرابي
آخر من بني فزارة يقول لخدام له: ((ألا وأرفع لي عن صعيد الأرض مصنّطة أبيث عليها
بالليل))⁽¹⁴⁾ .

وعكفت الخيل, وعكبت بمعنى واحد, قيل: الباء لغة بني خفاجة من بني عَقِيل, وقد أنشد الليث
لشاعرهم مزاحم العقيلي:

تَظَلُّ نُسُورٌ من شِمامٍ عليهم عُكُوباً مع العِقْبَانِ عِقْبَانٌ يَذْبُلُ⁽¹⁵⁾

فأمّا بنو حنظلة فهم أكثر قبيلة في تميم⁽¹⁾, وكان يُتوقع إثارة الحرف الشديد المجهور إلا أنَّ
بني حنظلة مثل كثير من بني تميم كانوا على صلات دينية ونسبية وثيقة بقريش⁽²⁾, وقد ذكر الإمام
علي(عليه السلام) بني تميم قائلاً: ((إنَّ لهم بنا رحماً ماسّةً وقرابة خاصّةً نحن مأجورون على صلتها
ومأزورون على قطيعتها))⁽³⁾ .

وتبعاً لذلك يتوقع أن يؤثر هذا القبيل أو ذاك من تميم الحرف الرخو المهموس, أمّا فزارة فهم
حيّ من غطفان, لهم قبابٌ مضروبة في البادية⁽⁴⁾, فلا غرابة في إثارة الحرف المجهور الشديد,

(1) بحار الانوار, 14/60, وينظر: غريب الحديث في بحار الانوار, 266/3

(2) ينظر: النهاية, 91/4 (قف)

(3) ينظر: المصدر نفسه, 41/4 (صقر)

(4) ينظر: النهاية, 4/2 (خبث)

(5) اللسان, 64/6 (خس)

(6) ينظر: المصدر نفسه, 28/2, 29 (ختت), وشعر السموأل في ديوانه 88 برواية.... فضلاً من الرز ق ولا يُحرِمُ الضعيفُ الشَّخِيت

(7) نفسه, 124/3 (طس)

(8) ينظر: المخصص, 78/3, واللسان, 123/6 (طس)

(9) ينظر: في اللهجات العربية, 103

(10) ينظر: الكتاب, 433/4, والمقرب, 365, والأصوات اللغوية, 44

(11) ينظر: المقرب, 351, والأصوات اللغوية, 44

(12) الكتاب, 433/4, والأصوات اللغوية, 43

(13) ينظر: التهذيب, 132/12, واللسان, 193/9 (صطف)

(14) اللسان, 523/1, وينظر: التهذيب, 132/12 (صطب)

(15) ينظر: اللسان, 626/1 (عكب)

(1) ينظر: اللسان, 84/11 (حنظل)

(2) ينظر: لهجة تميم, 19, 20

(3) نهج البلاغة, 20/2

(4) ينظر: اللسان, 53/5, 55 (فزر)



ومثلهم قبيلة عقيل التي عاشت بالقرب من تميم وتأثرت بها، فهي من قبائل البدو الذين أثروا الحروف الشديدة⁽⁵⁾.

ومما أثر من هذا الإبدال في مصنفات الغريب:

- في صفة الدجال ((أحمر فَيْلَ مَ)) وفي رواية ((فَيْلَمَانِيَا))⁽⁶⁾، وفي حديث ابن عباس ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ((رايته فَيْلَمَانِيَا))⁽⁷⁾، ورُوي حديث الدجال بالباء في رواية أخرى ((بَيْلَمَانِيَا))⁽⁸⁾.

- وذكر أبو عبيد حديث عمر (رضي الله عنه) بالفاء ((إني أستعمله لأستعين بقوته ثم أكون على قفانه))، ثم عقبه بقوله: ((ولا أحسب هذه الكلمة عربية إنما أصلها قَبَان، ومنه قول العامة: فلان قَبَان على فلان))⁽⁹⁾.

لقد صدر الحرف الرخو المهموس عمّن يُنسب إلى بيئة حضرية وهو المتوقع، فأما الحرف الشديد فقد نُسب إلى العامة وهو الأقرب لهذه الفئة.

يعزّز ذلك ما يروى عن عائشة ((جعل سحره في جُفْ طلعة))... فقال أبو عبيد عقيب ذلك: ((روى بعض المحدثين هذا الحديث... في جُبْ طلعة... ولا أرى المحفوظ في الحديث إلا الجف بالفاء))⁽¹⁰⁾.

أما في حديث المغيرة ((أنّه كره ضرب البالة))، هي بالتخفيف حديدة يُصاد بها السمك⁽¹¹⁾. آلة الصيد هذه تلفظ عند بعضهم الآن (فالة) بالفاء، ويحتمل أن يكون هذا الحرف (الفاء) هو الذي قصده الدكتور أنيس بأنّه الصوت الرخو الذي فُقد من العربية القديمة وبقي نظيره الشديد الذي يشبه الصوت الأوربي (P)⁽¹⁾.

الميم والفاء:-

نُقل عن بعض بني سليم في الغرارة ثُقْلَة من تمر وثُمْلَة منه، أي بَقِيَّة⁽²⁾، ومما رُوي على هذا الإبدال: في حديث أبي هريرة ((مثل المؤمن كمثل خافه الزرع)) ويروى - أيضاً - بالميم⁽³⁾ والخافة في هذا الموضع وعاء الحب، سميت بذلك لأنها وقاية له.

ومنه حديث عائشة: ((ولا قصموا له قناة)) وروي ((ولا قصفوا))، ...القسم والقصف: الكسر⁽⁴⁾ لا يُنكر أن تصدر الرواية بالحرف المهموس الرخو، عن أبي هريرة وهو من قبيلة دوس⁽⁵⁾ التي ترجع إلى الأزدي التي تجمع قبائل وعمائر كثيرة في اليمن⁽⁶⁾، أما قول عائشة فإنه وإن كان أشبه بالرواية الثانية إلا أنه لا يبعد أداؤها على الرواية الأولى، إذ جاء الأداء على الدلالة الأصلية والمعنى الشائع.

اللام والراء والنون:-

اللام والراء ومعهما النون أصوات متوسطة بين الشدة والرخاوة مجهورة⁽⁷⁾، سُمّيت بالأصوات المذلقة، لأنّ الذلاقة في النطق تكون بطرف اللسان والشفيتين⁽⁸⁾، إلا أنّ الراء صوت مكرر يضرب اللسان مع اللثة ضربات متتالية بخلاف اللام والنون فلا ينمازان بصفة التكرار هذه⁽⁹⁾.

(5) ينظر: في اللهجات العربية/101

(6) ينظر: النهاية، 474/3 (فلم)

(7) اللسان، 458/12 (فلم)

(8) ينظر: الفائق، 128/1 (بلم)

(9) غريب القاسم، 240/3 (قف)

(10) المصدر نفسه، 266/2، 268 (جفف)

(11) النهاية، 164/1 (بول)

(1) ينظر: في اللهجات العربية/101

(2) ينظر: اللسان، 85/11 (ثفل)

(3) النهاية، 88/2 (خوف)، وينظر: 89/2 (خوم)

(4) الفائق، 113/2 (زفل)

(5) ينظر: اللسان، 90/6 (دوس)

(6) ينظر: المصدر نفسه، 71/3 (أزد)

(7) ينظر: الأصوات اللغوية/58-61

(8) ينظر: العين، 51/1، وشرح المراح في التصريف للعيني/165



اللام والراء:-

جاء في (الصاحح): سَدَرَتِ المرأةُ شَعْرَهَا فَأَنسَدَرَ: لغة في سَدَلَتْهُ فَأَنسَدَلَتْ (10)، وقد سَمِعَ أبو عمرو وبعض قيس يقول: سَدَل الرجل في البلاد وسَدَرَ إذا ذهب فيها فلم يثنه شيء (11). وفي (الفائق): عن ابن عباس: ((كان يأكل الفطر... من طرف الصَّريقة ويقول أنه سنّه))، قال الزمخشري: ((الصَّريقة والصِّلِيقَة: الرُّقاقة)). وقال ابن الأعرابي: العامة تقولها باللام، والصواب بالراء (12).

ويبدو أن ابن الأعرابي يُشير إلى اللغة الأعلى والأفصح، فأما العامة، فيرجح أنها مالت إلى اللام طلباً للتخفيف من الجهد العضلي الذي يصاحب الراء (13)، وجرى هذا الصوت المكرر على لسان ابن عباس لأنه من بيئة حضرية يتأتى إبنائها في النطق والأداء. وفي حديث قيس بن عاصم ((فإني كنتُ أغاؤلهم))، يرى أبو عبيد القاسم أن المحفوظ (أغاؤلهم) (1).

ويبدو أن قيس بن عاصم أنما أثر اللام، لأنه من بيئة بدوية تميل للتخفيف من الجهد العضلي فعاصم تميمي سعدي، وقد على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع وفد تميم، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لما رآه: هذا سيد أهل الوبر واستعمله على صدقات قومه (2)، وأراد أبو عبيد - في إشارته إلى المحفوظ - الأصل والأفصح في المقام.

ويمكن أن يحمل على ذلك الحديث ((ليس لابن آدم إلا بيت يُكنّه... وجَرَفُ الخبز))، عَقَبَ على ذلك أحمد بن محمد الهروي بقوله: ((يريد: كِسَر الخبز... من قولك: جَلَفْتُ الشيءَ وجَرَفْتُهُ: أي قَشَرْتُهُ)) (3)، ويروى باللام والراء (4)، وكذلك حديث البراء: ((... لا يدخلونها إلا بجَلْبَانٍ السلاح))... الجُلْبَانُ والجُرْبَانُ: القِرَاب بما فيه (5)، باللام والراء على البديل (6).

اللام والنون:-

قال الفراء: ((والعربُ تقولُ بَنٌ واللّه لا أتيكُ وبَنٌ واللّه، يجعلون اللام فيها نوناً وهي لغة بني سعد ولغة كلب، قال: وسَمِعْتُ الباهليين يقولون: لابن بمعنى لابل)) (7)، والنَّهْثَالُ مثل التَّهْثَانِ عند الأصمعي (8) وأنشد للعجاج التميمي (9):
ضَرْبُ السَّوَارِي مَتْنُهُ بِالنَّهْثَالِ (10).

وقال بعض غنيي: ((يُقَالُ لَجَلَجَتِ اللَّقْمَةُ وَنَجْنَجْتُهَا إِذَا حَرَكْتُهَا فِي فَيْكِ وَرَدَدْتُهَا فَلَمْ تَبْتَلَعْهَا)) (11).

إنَّ القرابة بين اللام والنون تسوّغ الإبدال بينهما، ونجد في كثير من الحالات أن هذا الإبدال ليس فيه إشارة إلى اختلاف اللغات، فكثيراً ما نسمع أبناء البيئة الواحدة يقولون: إسماعيل واسماعيلين. غير أن بعض اللغات تميل إلى إثارة أحد الحرفين على الآخر كما مرَّ ومن أمثلة هذا الإبدال: - في صفته (صلى الله عليه وآله وسلم) ((سائل الأطراف)) أي ممتدّها، ورواه بعضهم بالنون وهو بمعناه

(9) ينظر: الكتاب، 435/4، ودراسة الصوت اللغوي/340

(10) ج 2/355، وينظر: اللسان، 355/4 (سدر)

(11) ينظر: التهذيب، 355/12، واللسان، 456/4 (سدر)

(12) الفائق، 296/2

(13) ينظر: لهجة قبيلة أسد/92

(1) ينظر: غريب القاسم، 339/2، 340

(2) ينظر: تهذيب التهذيب، 399/8، والطبقات الكبير، 23/7

(3) الغريبيين، 347/1، 348

(4) ينظر: الفائق، 203/1، 204، والنهاية، 262/1 (جرف)

(5) ينظر: الفائق، 227/1 (جلب) وأخرج الحديث البخاري في 241/3، وأحمد في مسنده 289/4، 291، 302

(6) ينظر: النهاية، 262/1 (جرف)

(7) اللسان، 70/11 (بل)، وينظر: الخصائص، 86/2

(8) ينظر: الصاحح، 146/5 (هتل)

(9) ينظر: طبقات الشعراء لابن سلام الحنفي، 148، والشعر والشعراء لابن قتيبة، 493/2

(10) ديوانه، 318/2، 319، والصاحح، 146/5 (هتل)

(11) اللسان، 375/2 (نجد)



كجبريل وجبرين⁽¹⁾، ومن ذلك في مدح الإمام عليّ (عليه السلام):

عليّ له فضلان فضل قرابة
وفضل بنصل السيف والسمر الذكل

قال ابن الأثير: ((الذكل والذكن واحد، يريد لَوْن الرّماح))⁽²⁾.

- وعن عليّ بن جعفر ((سألته عن الرجل هل يصلح له أن يصلي على الحشيش النابت أو الثّيل))⁽³⁾، قال البيرجندي: العامة تسميه: الثّين⁽⁴⁾.

وفي حديث ابن أبي هالة التميمي يصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((شثن الكفين والقدمين))، عقّب على ذلك أبو محمد بن قتيبة: ((شثن الكفين والقدمين، يريد: أنّهما إلى الغلظ والقصر، وفيه لغة أخرى شثل))⁽⁵⁾.

فقد سمع هذا التعاقب في لغة واحدة من تميميين هما: أبو هالة والعجاج، وهو ما يؤكد أنّ مثل هذا الإبدال قد يحدث في البيئة الواحدة.

الراء والنون:-

سمع مثل هذا التعاقب عند بني سليم، قال ابن فرج ((سمعت بعض بني سليم يقول: قد رجّع كلامي في الرجل ونجّع فيه بمعنى واحد))⁽⁶⁾.

وفي الحديث: ((...فانتفع بها قومٌ وبقي قومٌ يتفكّنون))، قيل: تفكّن وتفكّر بمعنى⁽⁷⁾. وقال أبو تراب: ((سمعتُ مزاحماً يقول تفكّن وتفكّر واحد))⁽⁸⁾.

ويمكن أن يكون منه: ((فإذا جاء التقاضي قالوا أصاب الثمر الدّمان))، هو بالفتح وتخفيف الميم: فساد الثمر وعفنه قبل إدراكه... ويُقال الدّمال باللام أيضاً بمعناه⁽⁹⁾.

2- الإبدال بين الحروف المتقاربة في المخارج:

الدال والذال:-

الدال: صوت شديد مجهور⁽¹⁰⁾، مخرجه الأسنان بمصاحبة اللثة⁽¹¹⁾، أمّا الذال فرخو مجهور⁽¹²⁾ مخرجه الأسنان⁽¹³⁾، جاء في (اللسان): ((دَحْجَه يَدَحْجُهُ دَحْجاً: عَرَكَهُ عَرَكاً كَعَرَكِ الْأَدِيمِ، يَمَانِيَّةٌ،

والذال المعجمة لغة وهي الأعلى))⁽¹⁾، وهي الأعلى: لأتّها الأصل والأكثر شيوعاً على ما يظهر⁽²⁾.

وكان أبو عمرو الشيباني عند يزيد بن مزيد فأنشده بيت قيس بن زهير: ومُجَنَّبَاتٍ ما يَدُقُّنْ عَدُوفَةً.

بالدال، فقال يزيد: ((...صَحَفْتُ أبا عمرو إنّما هي عَدُوفُهُ بالذال، قال، فقلت: لم أُصَحِّفْ أنا ولا أنت، تقول ربّعة هذا الحرف بالذال، وسائر العرب بالدال))⁽³⁾، أمّا ابن الأثير فقد ذكر هاتين

(1) النهاية، 434/2 (سيل)

(2) المصدر نفسه، 128/2 (دكل)

(3) بحار الأنوار، 93/81

(4) غريب الحديث في بحار الأنوار، 210/1 (ثيل)

(5) ابن قتيبة، 501-500/1

(6) اللسان، 118/8، وينظر: التهذيب، 368/1 (رجع)

(7) الفائق، 322/1 (حمة)

(8) اللسان، 324/13 (فكن)

(9) النهاية، 135/2، وينظر: اللسان، 158/13، 159 (ذمن)

(10) ينظر: الأصوات اللغوية، 46

(11) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب، 20

(12) ينظر: الأصوات اللغوية، 45

(13) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب، 20

(1) اللسان، 265/2 (دحج)

(2) ينظر: المصدر نفسه، 278/2 (دحج)

(3) نفسه، 235/9 (عَدَف)



اللغتين لكتّه نَسَبَ الدال إلى مضر⁽⁴⁾ ، ممّا يوحي بأنّ نسبة الدال إلى العرب ليس بهذا الإطلاق وتمتد قبيلتا مضر وربيعه على مساحة واسعة من الجزيرة والعراق واليمن وغيرها وهما عمائر وأفخاذ وبطون كثيرة تفرّقت على أرض العرب، فمنهم من استقر ومنهم من أثر الرحلة وعيشة البداوة⁽⁵⁾ ، فيمكن نسبة الحرف الشديد إلى من تبدى منهم إلا أنّهما أهل فصاحة عموماً ولا سيما ربيعة كما يصفها الهمداني ((ديار ربيعة فيها الفصاحة إلا قراها))⁽⁶⁾ .

ويظهر أنّ كلا الحرفين يُنسب إلى الفصاحة في أمثلة أو تُنسب اللغة العالية لصيغة اشتقاقية دون أخرى، ومن أمثلة ذلك:

- عن لقمان (عليه السلام): ((السفينة إيمان ... ومجاذيفها الصوم والصلاة))⁽⁷⁾ ، مجذاف السفينة بالذال

والدال جميعاً لغتان فصيحتان⁽⁸⁾ ، على ما نصّ اللغويون، لأنّهما بالمستوى نفسه من الشيع والاسعمال في كلام العرب شعرها ونثرها⁽⁹⁾ . وإلى الآن - في عصرنا - نسمع بعضهم يقول لربّان الزورق أو السفينة: جدّف أو جدّف.

- وفي حديث الدعاء: ((بعد أن يُدِيخَهُم الأسر))، بعضهم يرويه بالذال المعجمة وهي لغة شاذّة⁽¹⁰⁾ فالأصل - كما يظهر من تتبع استعمالات هذا الفعل - يجري ويشيع على الدال واوياً كان (دَوخ)⁽¹¹⁾ ، أو يائياً (دِيخ)⁽¹²⁾ ، أمّا صيغة الجمع فينصّ اللغويون على أنّ الصيغة الأعلى تأتي على الدال ((الدِيخ: القنو وجمعه دِيخَة مثل دِيك وديكة والذال أعلى))⁽¹³⁾ .

- ويمكن أن يكون من هذه الأمثلة: ((إنّ الشيطان عرض لي يقطع فأمكنني الله منه فدعته)) أي خفّته ، والدّعت والدّعت بالذال والدال: الدفع العنيف⁽¹⁾ .

الضاد والظاء:-

الضاد والظاء متقاربان مخرجاً، إذ يخرج الضاد من الأسنان بمصاحبة اللثة وتخرج الظاء من الأسنان⁽²⁾ ، ويتفق الحرفان في معظم الصفات كالإطباق والجر والرخاوة⁽³⁾ ، إلا أنّ نطق الظاء يتم بتضييق المجرى ونطق الضاد يكون بقل المجرى ثمّ وقفة ثمّ تسريح فجائي⁽⁴⁾ . ومن أمثلة ذلك:

- في حديث علي (عليه السلام) في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((وفاضت نفسك بين نحري وصدري))⁽⁵⁾ ، ذكر ابن الأثير وتبعه البيرجندي أنّه يُقال في هذا المقام: ((فاض الميت بالضاد والظاء ولا يُقال فاظت نفسه بالظاء))، ثمّ نقل عن الفراء قوله: إنّ قيساً تقول: بالضاد، وطيباً تقول بالظاء⁽⁶⁾ .

أمّا الروايات التي في (المزهر) فهي: ((فاظت نفسه تفيظ: مات وناس من بني تميم يقولون: فاظت نفسه تفيض))⁽⁷⁾ ، وقال المبرد: ((أخبرني التوزي عن أبي عبيدة قال: كلّ العرب تقول: فاظت نفسه بالضاد إلا بني ضبّه فإنهم يقولون: فاظت نفسه بالظاء))⁽⁸⁾ .

(4) ينظر: النهاية، 190/3 (عذف)

(5) ينظر: صفة جزيرة العرب/246، واللهجات العربية في التراث/44-47

(6) صفة جزيرة العرب/250

(7) بحار الأنوار، 247/13

(8) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 225/1 (جذف)

(9) ينظر: الصحاح، 30/4، 31، واللسان، 23/9، 24 (جذف وجذف)

(10) النهاية، 147/2 (ديخ)

(11) ينظر: اللسان، 16/3 (دَوخ)

(12) ينظر: المصدر نفسه، 17/3 (دِيخ)

(13) نفسه، 16/3 (ديخ)

(1) النهاية، 160/2 (ذعت) ، وينظر: اللسان، 33/2 (ذعت، دعت)

(2) ينظر: كشف المشكل، لعلي بن سليمان اليمني، 278/2، وفي البحث الصوتي عند العرب/20

(3) ينظر: الكتاب، 435/4، والمقرب، 356، 357، والأصوات اللغوية/45-47

(4) ينظر: دراسة الصوت اللغوي/276

(5) بحار الأنوار، 193/43، وينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 214/3 (فيض)

(6) النهاية، 485/3، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 214/3 (فيض)

(7) المزهر، 561/1

(8) المصدر نفسه



إلا أن روايات (اللسان) بخلاف ما نقله ابن الأثير في شأن قيس وبخلاف السيوطي في شأن العرب وبني ضبّه، جاء في (اللسان) : ((أما أبو عبيدة فقال: فاظت نفسه بالطاء، لغة قيس وفاضت بالضاد لغة تميم، وقال أبو حاتم: سمعت أبا زيد يقول: بنو ضبّه وحدهم يقولون: فاظت، وكذلك حكى المازني عن أبي زيد قال: كل العرب تقول: فاظت نفسه إلا بني ضبّه فأتهم يقولون فاظت بالضاد، وأهل الحجاز وطيّ يقولون: فاظت نفسه، وقضاعة وتميم وقيس يقولون فاظت نفسه مثل فاظت دمعته وزعم أبو عبيد أنها لغة لبعض بني تميم يعني فاظت وفاضت))⁽⁹⁾.

والباحث أمام هذا الاختلاف أمام أمرين: الأول: أن ما ذكره اللغويون إنما يعبر عن وحدات اجتماعية صغرى تنتمي إلى وحدات أكبر فتميم أو قيس أو الحجاز أو مضر وغيرها وحدات كبرى يمكن أن تشمل كل منها وحدات صغرى تختلف عن بعضها في أمور محدودة بسبب العزلة، والتأثر بما يجاورها من وحدات أخرى، وهو ما يمكن أن يزعمه الباحث في ما نقل عن بني ضبّه⁽¹⁾،... والأمر الآخر هو أن الفرق بين الضاد والطاء يُعد من أشكال الأمور على اللغويين في مورد الاختلاف بين اللغات ولعل هذا الخلط، إنما كان سببه أن هذين الصوتين يشتركان في بعض النواحي الصوتية، ووقعهما في الأذان كان متشابهاً⁽²⁾.

والذي يخلص إليه الباحث أن الاختلاف في نطق الحرفين كان على مستوى الأفراد والجماعات في الماضي والحاضر، وقد ينشأ حتى بين أفراد البيئة الواحدة، وكان النطق بالضاد معياراً للفصاحة، ويظهر أن النطق بالضاد كان عصياً على العرب أنفسهم، ولهذا ربما نُطقت طاء أو أُخرجت بين الضاد والطاء⁽³⁾، واستمرت هذه الحال على ما هي عليه إلى عصرنا، فما زال الكثيرون في البلاد العربية ينطقون الضاد كالطاء - وأحياناً - كالزاي أو الصاد، ويشير بعض المحدثين إلى أن الضاد العربية تقابل الصاد الأكديّة والعبرية وتقابل الطاء أو الصاد في اللغة الأجرية، كما كانت تكتب صاداً في النبطية وتتنطق ضاداً⁽⁴⁾.

وتبعاً لذلك لا يمكن نسبة أي من الحرفين إلى بيئة بعينها، فنسبة الطاء إلى الحجازيين لا يمكن قبوله بهذا الإطلاق، فكثير من الشواهد التي أثرت عن أفراد ينتمون إلى هذه البيئة جاءت على الضاد ومن ذلك: ما نسبته الزمخشري إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((يا طلحة أنت الفيّاض فسَمِي فيّاضاً))⁽⁵⁾، ثم قال:

((هو الواسع العطاء من فاض الإناء... ومنه قولهم: اعطاني غيضاً من فيض))⁽⁶⁾، وأنشد لزهير:

وأبيض فياض يداه غمامة
على المُعْتَفِينَ ما تُعَبُّ نوافله⁽⁷⁾

ثم ذكر حديث الدجال على المورد نفسه وهو ((ثم يكون على أثر ذلك الفيض))⁽⁸⁾، معقباً ذلك: ((هو موت، يُقال: فاظت نفسه وفاظت))⁽⁹⁾.

ومنه قول الزهراء (عليها السلام): ((ما قُلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم... ولكنها فيضة

النفس))⁽¹⁰⁾، ومن ذلك في كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ((فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك... وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها))⁽¹¹⁾.

فهذه النصوص ونصوص أخرى أثرت عن حجازيين أو قرشيين جاءت على الضاد - كما مر - ترجح صدور الصوتين في هذه البيئة أو غيرها، ولعل في الرواية الآتية ما يعزّز ذلك، وفيها ((قال

(9) اللسان، 211/7، 212 (فيض)

(1) ينظر: اللهجات العربية في التراث/ 82

(2) ينظر: الأصوات اللغوية/ 51

(3) ينظر: شرح الشافية، 256/3

(4) ينظر: اللهجات العربية في التراث/ 431، 432

(5) الفائق، 151/3 (فيض)

(6) المصدر نفسه

(7) في ديوانه/ 139، وينظر: شرح الديوان/ 139 برواية: على مُعْتَفِيهِ، والفائق، 151/3

(8) الفائق، 151/3 (فيض)

(9) المصدر نفسه

(10) بحار الأنوار، 229/29، وينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 214/3 (فيض)

(11) نهج البلاغة بتحقيق الصالح/ 319، 320، وينظر: تعليق البيرجندي على مقولة الإمام (عليه السلام) : غريب الحديث في بحار

الأنوار، 2/ 394 (ضفر)



رجل لعمر: يا أمير المؤمنين، أُظْهِرْ بضمي؟ قال: ما عليك لو قلت: أَيْضَحِي بظبي؟ قال: إنها لغة، قال: انقطع العتاب ولا يُضَحَى بشيءٍ من الوحوش⁽¹⁾.

وقد يكون الخواص من أهل الفصاحة هم مَنْ يُثَقِّنُ أداء الضاد، على حقيقتها - كما مرّ - وعلى رأسهم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد نسب بعض النحويين حديثاً إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نصّه: ((أنا أفصح من نطق بالضاد...))⁽²⁾، فإذا صحّت نسبة هذا الحديث الذي لم يثبت أصله عند الثقات، سوى بعض النحويين أو الأصوليين⁽³⁾، فهذا دليل على ما ذكرناه من أنّ هذا الحرف يُعدُّ معياراً للفصاحة ولا يجيده إلا القليلون من نحو ما ذكر في الشواهد الأخيرة

الذال والزاي:-

الزاي من الأصوات الاسلية أو الصفيرية مثل السين وهو صوت رخو مجهور مخرجه النقاء اللسان بالثنايا⁽⁴⁾.

ومن أمثلة الإبدال:

- قال الزمخشري في حديث أبي أيوب: ((ما من مسلمٍ يمرض في سبيل الله إلا حطّ الله عنه خطياه ولو بلغت قنذعة رأسه))، هي القنذعة... وهي ما يبقى من الشعر مفراً في نواحيه. وهما لغتان كالزُعاف والدُعاف والزُؤاف والدُؤاف ولُذِمَ ولُزِمَ. وليس أحد الحرفين بدلاً من الآخر⁽⁵⁾.

إلا أنّ الدرس اللغوي الحديث يُقرُّ الإبدال، لاشتراك الحرفين بصفات الجهر والرخاوة وقرب المخرج.

قال الهروي الأول في حديث عائشة تصف عمر (رضي الله عنه): ((كان والله أحوزياً)) رويها بالزاي، وبعضهم يرويها بالذال: أحوزياً... وكان أبو عمرو يقول: الأحوزي الخفيف والأحوزي مثله⁽⁶⁾، قال العجاج يصف ثوراً وكلاباً.

يحوزهن وله حوزي كما يحوزُ الفئنة الكمي⁽⁷⁾

فإذا صحّت نسبة هذا التعاقب إلى اللغات، فالراجح أنّ العجاج إنّما أثر الصوت الصفيري، لأنّه أوضح في السمع من غيره، فيناسب البدو على الأغلب⁽⁸⁾ والعجاج تميمي - كما ذكر - والسمة العامة لهذه القبيلة البداوة ويرجح في رواية عائشة أن تكون بالذال على ما نصّ صاحب (اللسان)⁽¹⁾.

ومثل ذلك قول أبي ذؤيب:

عرفت الديار كرقم الدّوا عة يذبرها الكاتب الحميري⁽²⁾

ويروى: يذبرها أيضاً وهو مثله⁽³⁾، والراجح هنا رواية الذال، لأنّ لغة هذيل (ذبر) بالذال⁽⁴⁾، ويغلب على هذه اللغة - عموماً - التحضّر⁽⁵⁾، لذا يتوقع إيتارهم الحرف الأقل إسماعاً وشفيراً على وفق هذا النظام.

الزاي واللام:-

صوتان مجهوران، سوى أنّ الزاي من الأصوات الرخوة - كما مرّ - واللام من المتوسطة⁽⁶⁾ ومخرج اللام اللثة⁽⁷⁾ ويُشير اللغويون إلى أنّ تميماً أثرت اللام على الزاي في قولهم: ((أخذت بلُغَب رقبته، لغة في زغب رقبته))⁽⁸⁾.

(1) المزهر، 562/1، 563

(2) مغني اللبيب، 155/1، والمزهر، 209/1

(3) ينظر: كشف الخفاء للعجلوني، 200/1، والنشر، 220/1

(4) ينظر: المقرب، 356، والأصوات اللغوية، 67، 68

(5) الفائق، 230/3 (قزع)

(6) غريب القاسم، 12/2

(7) ينظر: المصدر نفسه، وديوان العجاج، 260، واللسان، 340/5 (حوز)

(8) ينظر: في اللهجات العربية، 115

(1) ينظر: اللسان، 487/3 (حوز)

(2) ينظر: غريب ابن قتيبة، 56/1، واللسان، 301/4 (ذبر)

(3) ينظر: غريب ابن قتيبة، 56/1، وينظر: شرح اشعار الهذليين، 98/1

(4) ينظر: اللسان، 301/4 (ذبر)

(5) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 93

(6) ينظر: المقرب، 356، 357، ومنهج البحث اللغوي، 68



ومما أثار في كتب غريب الحديث، قول أبي سفيان لبني أمية ((تَرْقُفُوهَا تَرْقُفَ الْكُرَةِ)) وروي (تَلْقُفُوهَا) يعني الخلافة⁽⁹⁾، ونقل الزمخشري - كذلك - حديثاً مثله لمعاوية⁽¹⁰⁾. وفي (اللسان): ((تَرْقُفَ الْكُرَةِ كَتَلْقَفَهَا... يُقَالُ: تَرْقَفْتَهَا وَتَلْقَفْتَهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ))⁽¹¹⁾. ومنه قول عبد الله الزبير يوم الجمل: ((لَمَا اصْطَفَّ الصَّفَانُ يَوْمَ الْجَمَلِ كَانَ الْأَشْتَرُ زَقْفَنِي مِنْهُمْ ... فَقُلْتُ: أَقْتُلُونِي وَمَالِكاً))⁽¹²⁾. ويبدو أن هذا الفعل ممّا جرى على السنة بعض القرشيين بالتعاقب مع الفعل (لقف) الأصل وبدلالة الاستلاب والاختطاف بسرعة⁽¹³⁾.

التاء والتاء:-

يتعاقب هذان الحرفان، لتقاربهما مخرجاً وصفاتٍ سوى الرخاوة في التاء والشدة في التاء ومن أمثلة ذلك في كتب الغريب:

- قول عبد الله بن أبي يصف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((...وكان قدومه كئ منخره))... وروي: ((الكئ - بالتاء، بمعنى الإرغام، وحكى اللحياني عن أعرابي قال لآخر: ما تصنع؟ قال: ماكتك وعظاك! أي ما أرغمك وأغضبك))⁽¹⁾.

وقد سمع الفراء - كما ينقل الحربي - عن بعض بني أسد وهي قبيلة تغلب عليها البداوة قولهم: قد أنغر الصبي، والكلام قد أنغر⁽²⁾.

ويبدو أن عبد الله بن أبي سلول أثر الحرف الرخو، انسجماً مع طبيعته فهو من أهل المدينة⁽³⁾، بخلاف بعض الأعراب الذين أثروا الحرف الشديد.

ونقل الزمخشري عن السموأل الخبيري اليهودي⁽⁴⁾.

فأتاني اليقين أني إذا متُّ أو رُم أعظمي مبعوثُ
ينفع الطيب القليل من الكس ب ولا ينفع الكثير الخبيث⁽⁵⁾

ثم روى الزمخشري عن عمر بن شبة قوله: ((هذه لغته أراد مبعوث والخبيث))⁽⁶⁾.

ولم يكن يتوقع من يهود خيبر من أهل المدينة الذين تأثروا بالبيئة الحجازية قلب الصوت الرخو إلى نظيره الشديد⁽⁷⁾، بل المتوقع أن يسيروا على نهج ابن سلول - كما مر -.

على أن هذه الرواية كانت موضع شك من الخليل، بل عدّها آخرون تصحيفاً، فقد روي عن الخليل أنه سأل الأصمعي عن (الخبيث)، فقال: أراد (الخبيث) وهي لغة خيبر، فقال الخليل: لو كان ذلك لغتهم لقال: الكثير، وإنما كان ينبغي لك أن تقول: أنهم يقلبون التاء في بعض الحروف⁽⁸⁾.

وفي رواية (الأصمعيات): ((قال الخليل للأصمعي: ما الخبيث - هنا؟ قال: الخبيث بالتاء، ومن لغته أن يبدل التاء تاء، فقال: أسأت العبارة))⁽⁹⁾.

ونقل عن بعض اللغويين أن ذلك ((تصحيف، لأنّ الشيء الحقيق الرديء إنّما يقال له الختيت بتاءين وهو بمعنى الخسيس، فصحّفه وجعله الخبيث))⁽¹⁰⁾.

(7) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب/20

(8) التهذيب، 138/8 (لغ)

(9) الفائق، 117/1 (زقف)

(10) المصدر نفسه، والنهاية، 306/2 (زقف)

(11) اللسان، 137/9، 138 (زقف)

(12) الفائق، 118/1، والنهاية، 306/2 (زقف)

(13) ينظر: الفائق، 117/1 (زقف)

(1) ينظر: الفائق، 8/3 (عفر)

(2) ينظر: غريب الحربي، 677/2

(3) ينظر: سيرة ابن هشام، 772، 773

(4) ينظر: الأصمعيات، 80

(5) ديوان السموأل، 85، وينظر: الفائق، 351/2 (خبت)

(6) الفائق، 351/2 (خبت)

(7) ينظر: في اللهجات العربية، 102

(8) اللسان، 28/2 (خبت)

(9) ص 86

(10) اللسان، 28/2



ولعلَّ ما يُقَوَّى ذلك ما نقله الزمخشري من أنَّ أبا عامر الذي يلقب بالراهب كان مُقيماً على الحنيفية قبل مبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان حسوداً، فساعة بلغه أن الأنصار بايعوه (صلى الله عليه وآله وسلم).

والله (تغَيَّرَ وَخَبَّتْ وعاب الحنيفية)) قال الزمخشري: هو ((بمعنى خَبَّتْ))⁽¹⁾.

وتبعاً لذلك فيكون نطق هؤلاء اليهود بالتاء ناتج عن لغتهم الأصلية العبرانية التي لا ثاء فيها أصلاً⁽²⁾، لذلك قال - مثلاً - (مبعوث) ولم يقل: (مبعوث)، ولعلَّ كلام عمر بن شنبه بأن هذه لغته - يعني السموال - ما يُعزِّز هذا الزعم.

الطاء والفاء:-

ليس الأمر مقصوراً على المقارنة بين صوت مجهور وآخر مهموس في نسبة الوضوح السمعي، فقد نجد صوتين مجهورين لكن أحدهما أوضح في السمع من الآخر أو مهموسين وأحدهما أوضح في السمع، وفي تلك الحالة يرجح أن ينسب المجهور أو المهموس الأكثر وضوحاً في السمع إلى البيئة البدوية، وتبعاً لذلك فالأقرب إلى البيئة البدوية حرف التاء، لأنه أوضح في السمع من الفاء على الرغم من أنَّهما مهموسان⁽³⁾.

قال الزمخشري مُعقِّباً على حديث المبعث: ((... فَجُنِثَتْ مِنْهُ فَرْقاً))، .. (جُنِثَ) الرجل: قُلِعَ من مكانه فزعاً، والطاء بدل من فاء (جُنِثَ)، قال زَيْدُ الفوارس:

... أَثَلَّ جَأَفْتُ أَصُولَهُ أَوْ أَثَابَ.

ومثله قولهم: في فروغ الدلو تُرُوغ، وفي أَثَابٍ أَثَاف، وعكسه: فُمَّ في ثُمَّ وَجَدَفَ في جَدَث⁽⁴⁾.

- وقال أبو زيد: ((تقول تميم تَلَثَّمَتْ على الفم، وغيرهم يقولون: تَلَفَّمَتْ))⁽⁵⁾، فقد أثرت تميم الصوت الأكثر وضوحاً في السمع وهو التاء، في حين نجد بعض من ينتمون إلى البيئة الحجازية القرشية يؤثرون الصوت الآخر انسجاماً مع طبيعتهم، فمن ذلك:

- أَنَّ عائشة قالت لسودة إذا دخل عليك رسول الله فقولي: ((أَكَلْتُ مَغَافِيرَ))، وهو شيء ينضخه العُرْفُط وله رائحة كريهة... قال الفراء: ((فيه لغة أخرى: المغاثير بالتاء... وهذا مثل قولهم: جَدَثَ وَجَدَفَ وكقولهم: ثوم وفوم وما أشبهه في الكلام مما تدخل فيه الفاء على التاء والطاء على الفاء))⁽⁶⁾.

- ومنه ما يُنسب إلى علي (عليه السلام): ((اللهم إني قد مللتهم وملّوني وسنمتهم وسنموني، فسلط عليهم فتى ثقيف الذيال المنان يلبسُ فروتها ويأكل خضرتها))، عقب ابن الأثير: فلان ذو فروة، وذو ثروة بمعنى⁽⁷⁾.

- وحديث ابن عمر: ((ما لم يسقط فُورُ الشفق)) هو بقيّة حمرة الشمس ويروى: بالطاء⁽¹⁾.

- ومنه في حديث سحر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((وَدُفِنَ تَحْتَ رَاغُوثة البئر))، عقب ابن الأثير قائلاً: ((هكذا جاء في رواية والمشهور بالفاء وهي هي))⁽²⁾، فالأرجح والأشبه بما يصدر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أن يكون بالفاء لسببين هما أن الأصل هو النطق بالفاء⁽³⁾، وأنَّ الأقرب

(1) الفائق، 351/1 (خبت)

(2) ينظر: في اللهجات العربية/ 102، واللهجات العربية في التراث/ 432، 433

(3) ينظر: في اللهجات العربية/ 115

(4) الفائق، 183/1 (جُنِثَ)، وينظر: الغريبين، 309/1، والنهاية، 232/1 (جَأَفَ)، ويرجع إلى ما ذكره ابن جني في هذا الموضع: الخصائص، 86/2

(5) غريب القاسم، 464/4 (لثم)

(6) ينظر: غريب القاسم، 256/2، وابن قتيبة، 98/1، والنهاية، 374/3 (غفر)

(7) النهاية، 442/3 (فرا)

(1) النهاية، 478/3 (فور)

(2) المصدر نفسه، 234/2 (زعت)

(3) نفسه، 234/2 (ر عف)، وينظر: الصحاح، 71/4، واللسان، 123/9، (ر عف)، وينظر: اللسان، 152/2، 153 (ر عث)



إلى البيئة التي يعيشها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي بيئة قريش أن يجري نطقها على الفاء وفقاً للنظام الذي اختاره الباحث في الترجيح.

الجيم والخاء:-

يظهر أن الجيم التي تسمع عند مجيدي القراءة القرآنية، هي أقرب إلى الجيم الأصلية، وإن لم تكن هي نفسها - بحسب وصف الدكتور إبراهيم أنيس - وهذه الجيم صوت مجهور، مخرجه التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى، ويكاد يكون انفجارياً، إلا أن انفصال هذين العضوين أبطأ قليلاً مما في حالة الأصوات الشديدة الأخرى، ولهذا يمكن وصفه بأنه صوت قليل الشدة⁽⁴⁾. ويعدّه بعض المحدثين صوتاً غارياً فهو بهذا يقارب الخاء الذي مخرجه الطباق (أدنى الحلق) لكنه صوت مهموس رخو⁽⁵⁾.

فُقرّب المخرج بين الحرفين فضلاً على قلة الشدة في الجيم ورخاوة الخاء، مما يرجح حصول الإبدال بينهما وقد نُقِلَ أن الكوفيين أجمعوا على أن (الأصلح) بالخاء بخلاف أهل البصرة ومن في ذلك الشق من العرب يقولونه بالجيم، وسمع ابن الأعرابي أعرابياً يقول: فلان يتصالح علينا أي يتصامم، ورأى أمة صماء تعرف بالصلحاء، قال: ((فها تان لغتان جيدتان بالخاء والجيم، قال الأزهرى: سمعت غير واحد من أعراب قيس وتميم يقول للأصم أصلح، وفيه لغة أخرى لبني أسد ومن جاورهم صلح بالخاء))⁽⁶⁾، والصلح ((بالتحريك: الصمم، والأصلح: الأصم، وليس بتصحيح الصلح بالخاء، بل هي لغة صحيحة فصيحة لأعراب قيس وتميم))⁽⁷⁾.

فقد نسب الحرف المجهور، القليل الشدة إلى الأعراب والقبائل ذات السمة البدوية: تميم وبعض أعراب قيس، ونُسب الحرف المهموس الرخو إلى أهل المدن كالكوفيين، فأما ما نسب إلى البصرة ومن جاورها فيمكن أن يلمح فيه أن ابن الأعرابي سمعه من بعض النازلين الجدد من القبائل النازحة من البيئة الحجازية إلى البيئة العراقية⁽⁸⁾، ورجح الدكتور علي ناصر أن تكون ((الكلمة كانت بالجيم ثم تحولت إلى الخاء، لأن الخاء مهموس ورخو وهذا التطور من الجيم الصوت المجهور الشديد إلى الخاء تحتمه طبيعة الحياة الحضرية التي تأثر بها قبيل من بني أسد، ومن الممكن أن نتصور أن كلتا الكلمتين قد تطورتا تطوراً مستقلاً))⁽¹⁾.

ومما يمكن حمله على هذا التوجيه هذه الأمثلة من كتب غريب الحديث فمن ذلك:

- في حديث: ((كأنني أنظر إلى موسى له جوار إلى ربّه بالتلبية)) الجوار رفع الصوت والاستغاثة... ثم تبعه ابن الأثير بالحديث ((بقرة لها جوار))، معقّباً: ((هكذا روي من طريق. والمشهور بالخاء المعجمة))⁽²⁾.

ونصّ الجوهري على أن الجوار مثل الخور⁽³⁾، وقرأ بعضهم ((عجلاً جسداً له جوار)) بالجيم، حكاة الأخفش⁽⁴⁾.

- ومن ذلك في حديث صلاة الجماعة ((... ولو دُعِيَ إلى مِرامتين جَشِبَتَيْنِ أو خَشِبَتَيْنِ لأجاب))... وقد ذكر ابن الأثير أن بعض المتأخرين ذكره في حرف الجيم، وقال: ((الجَشِبُ الغليظ، والخَشِبُ اليابس))⁽⁵⁾.

فالدلالة قريبة بين الكلمتين وهذا يرجح كونهما لغتين يُعَضَّدُ ما ينقله ابن دريد من أن ((طعام جشب إذا كان غليظاً خشناً وكل بشع فهو جشب وأهل اليمن يسمّون قشور الرمان الجُشْب))⁽⁶⁾

(4) ينظر: الأصوات اللغوية/68، 69، ودراسة الصوت اللغوي/276

(5) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب/20، والأصوات اللغوية/68، 76

(6) اللسان، 310/2، 311، وينظر: التهذيب، 562/10 (صلح)

(7) التكملة والذيل والصلة للصغاني، 457/1

(8) ينظر: في اللهجات العربية/71

(1) لهجة قبيلة أسد/95، 95، وينظر: لهجة تميم/114

(2) النهاية، 232/1 (جار)

(3) ينظر: الصحاح، 251/2 (جار)

(4) في الآية 148/الأعراف، وينظر: الصحاح، 251/2، واللسان، 112/4 (جار)

(5) النهاية، 272/1، وينظر: غريب ابن الجوزي 156/1 (جشب)

(6) الجمهرة، 210/1 (بجش)



- ومن ذلك ((مَثَلُ قَرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ كَمَثَلِ غَنَمٍ ... شَرِبْتَ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى انْتَفَجْتَ أَوْ انْتَفَخْتَ خَوَاصِرَهَا))... الانتفاج والانتفاخ بمعنى⁽⁷⁾. وجاء في (الصحاح): ((وَرَجُلٌ ذُو نَفْخٍ وَذُو نَفْجٍ بِالْجِيمِ: أَيُ صَاحِبُ فَخْرٍ وَكِبَرٍ))⁽⁸⁾ ونقل ابن منظور: ((وَقِيلَ: نَفَّاجٌ يَفْخَرُ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ وَلَيْسَتْ بِالْعَالِيَةِ))⁽⁹⁾, قوله (ليست بالعالية) لأنها ليس بأصل, وهي بالخاء أفصح وأكثر شيوعاً وتَصَرُّفاً ويمكن نسبة بعض من هذا الإبدال إلى التصحيف⁽¹⁰⁾.

الجيـم والكاف:-

الحرفان متقاربان مخرجاً, فمخرج الأول - كما ذكر - عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى, ومخرج الثاني من أقصى اللسان ممّا يلي مخرج القاف, ويظهر على وفق تصورات المحدثين أنَّ القدماء يهملون بالكاف, ويجهرون بالجيـم, إلا أنَّ الكاف حرف شديد والجيـم أفل شدة⁽¹¹⁾.

وأورد ابن عصفور في (المقرب)⁽¹⁾ مثلاً لها في نطقهم لفعل الماضي (كمل) على شكل (جمل), وربما كان ذلك ضرباً ممّا عُرِفَ بـ (الكشكشة) الشائعة في كلامنا الدارج في العراق من قلب كاف الخطاب للمؤنث جيماً⁽²⁾.

ومما يمكن حمله على هذا التعاقب من الأمثلة التي أوردها أهل الغريب في حديث عائشة أنها: ((استأذنت النبي (صلى الله عليه وسلم) في دخول أبي القعيس عليها فقال: انذني له فإنه عمّج)), يريد عمّك من الرضاغة, فأبدل كاف الخطاب جيماً وهي لغة قوم من اليمن⁽³⁾.

وقد نسب الخطابي هذا التعاقب للنقلة, فإنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان لا يتكلم إلا باللغة العالية⁽⁴⁾, وليس كذلك - على ما يقول ابن الأثير - فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تكلم بكثير من لغات العرب منها قوله: ((ليس من أميرٍ امصيام في امسفر)) وغير ذلك⁽⁵⁾.

والقول قول ابن الأثير, فالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) تملك اللغة العالية فضلاً على صفات أخرى انمازت بها شخصيته الكريمة منها أنه كلّم كثيراً من الوفود بلغاتهم مراعيّاً حال المخاطب, وتطميناً وبتاً للأمن في نفسه⁽⁶⁾.

أمّا في خصوص هذا المثال فيلزم أن يكون المعنيّ وهو أبو القعيس ممّن يتكلم بهذه اللغة, وإلا لا معنى لمخاطبة عائشة بلغة لا تعرفها أو تجيدها, والذي يعيننا - هنا - أنَّ مثل هذا التعاقب يمثل لغة من لغات العرب بقي أثرها إلى وقتنا هذا.

الغين والقاف:-

الغين والقاف يتقاربان مخرجاً⁽⁷⁾, إلا أنَّ القاف من الأصوات المهموسة الشديدة والغين من الأصوات المجهورة⁽⁸⁾ وقد اختلف في شدّته ورخاوته وإن رجّح بعضهم رخاوته⁽⁹⁾.

قال أبو عبيدة: ((قَتِي الرَّجُلُ يَقْتِي قَتِي مِثْلَ غَنِي يَغْنِي غَنِي... وَمِنْهُ قَوْلُ الطَّمَّاحِي:

كَيْفَ رَأَيْتَ الْحَمِقَ أَلَدًا لِنَظْيٍ يُعْطَى الَّذِي يَنْقُصُهُ فَيَقْتِي

أَيُ فِيرَضِي وَيَغْنِي))⁽¹⁰⁾.

(7) النهاية, 272/2

(8) الصحاح, 638/1, واللسان, 64/3 (نفخ)

(9) اللسان, 382/2, وينظر: الصحاح, 511/1 (نفج)

(10) ينظر: الصحاح, 638/1 (نفخ), و511/1 (نفج), واللسان, 64/3 (نفخ), و382/2 (نفج)

(11) ينظر: حرف الكاف/ص158, وحرف الجيم/ص173 من هذا الفصل

(1) ج1/ص226

(2) في البحث الصوتي عند العرب/ص34

(3) النهاية, 303/3, وينظر: اللسان, 424/12 (عمم)

(4) ينظر: غريب الخطابي, 253/2, 254, والنهاية, 303/3 (عمم)

(5) النهاية, 303/3 (عمم)

(6) ينظر: هذا البحث/150, 151

(7) ينظر: العين, 57/1, والنشر في القراءات العشر, 199/1, والبحث الصوتي عند العرب/ص20

(8) ينظر: المقرب/356-357, وكشف المشكل, 281/2

(9) ينظر: منهج البحث اللغوي/ص68



ومن أمثلة هذا الإبدال: قول جُهيش بن أوس النخعي ((... يُضحي أعلامها قامساً)) ... قَمَسَ وغمس: أخوان ومنه قولهم في المثل: أخوتاً تُقامس!⁽¹⁾ والنخعي من حيٍّ من مذحج مثلما عرّف بنفسه وأصحابه للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)⁽¹⁾ , ومذحج جزء من الحجاز على ما يُفهم من وصف الهمداني⁽²⁾ , فيتوقع أن يجري كلامه على الحرف المهموس.

ومثله ما يُنسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال يصف رجلاً رجَمَه وصلى عليه فقال: ((إنَّه الآن لينقمس في رياض الجنة))... يُقال: قَمَسَه في الماء فأنقمس أي غَمَسَه⁽³⁾ و عليه قول مالك بن المنتخل الهذلي:
ولكنما حوتاً بدجنى أقامس⁽⁴⁾ .

ومثله حديث أنس: ((أتينا أهل خيبر حين برقت الشمس)) , هكذا رواية, يُقال: برقت الشمس وبزغت⁽⁵⁾ , قال ابن الأثير أنهما بمعنى واحد أي طلعت والقاف والغين من مخرج واحد⁽⁶⁾ .
وجاء حديث الأحنف ((إياك وحمية الأوغاب)) وهم اللئام على الغين ويروى بالقاف⁽⁷⁾ . ومنه قول رؤبة وهو تميمي⁽⁸⁾ :

لا تَعْدِليني, واستحي بيازب ولا ببرشام الوخام وَغَب⁽⁹⁾

وإلى الآن نسمع في أماكن كثيرة من العراق لا سيما الرمادي وكركوك والبدو قولهم: غاسم في قاسم, وفي غانم قائم, وغيرها وسبب ذلك عند بعضهم ضياع الانفجار من صوت القاف وتزحزح مخرجها إلى الأمام قليلاً⁽¹⁰⁾ .

3- الإبدال بين الحروف المتقاربة في الصفات: الجيم والطاء:-

الجيم والطاء متباعدان مخرجاً⁽¹¹⁾ , إلا أنَّ الجيم مجهور⁽¹²⁾ . والطاء مثله وإن همسهما بعض المحدثين ولكن تجمعهما الشدة⁽¹³⁾ . ومن أمثلة ذلك:

- في حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أنه (صلى الله عليه وسلم) خرج وقريش ملبوط بهم)) يعني سقوط بين يديه, قال القاسم ابن سلام: ((وفي هذا لغة أخرى ليس بالحديث, يقال: لبيج بمعنى لبط (سواء))⁽¹⁴⁾ .

ابن الأعرابي: ((جاء فلان سكران مُلتبِطاً كقولك مُلتبجاً))⁽¹⁾ ... قال ابن منظور: ((لبيج به بالجيم مثل لبط به سواء))⁽²⁾ .

الجيم والقاف:-

يفترض الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ الانتقال بمخرج القاف إلى الأمام يجعله أقرب إلى الجيم, وتطور القاف إلى الجيم عند بعض العراقيين في الوسط والجنوب كقولهم: في (قريب) - (جريب) ,

(10) اللسان, 201/15, وينظر: الصحاح, 478/6 (قنا)

(11) الفائق, 385/2, 387 والمثل في المستقصى في امثال العرب للزمخشري, 89/1

(1) ينظر: الفائق, 385/2 (عيب)

(2) ينظر: صفة جزيرة العرب/85

(3) النهاية, 107/4 (قمس), وينظر: اللسان, 182/6, 183 (قمس)

(4) ينظر: اللسان, 182/6 (قمس) , وفيه شأهداً آخر لابي ذؤيب, 183/6 (قمس)

(5) الغريبين, 161/1 (بزق)

(6) ينظر: النهاية, 125/1 (بزق)

(7) ينظر: المصدر نفسه, 208/5 (وغب)

(8) ينظر: طبقات الشعراء, 148, والشعر والشعراء, 495/2

(9) ينظر: اللسان, 800/1 (وغب)

(10) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة/10, 11, والأصوات اللغوية/74, واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع/85

(11) ينظر: البحث الصوتي عند العرب/20, وهذا المبحث ص 143, 144 (حرف الطاء) وص 173 (حرف الجيم)

(12) ينظر: المقرب/355, 366, والأصوات اللغوية/68, 69

(13) ينظر: سر صناعة الأعراب, 75/1, والأصوات اللغوية/57

(14) غريب القاسم, 268/1, وينظر: الغريبين, 380/1, والفائق, 293/3 (لبط)

(1) اللسان, 388/7 (لبط)

(2) المصدر نفسه, وينظر: 353/2 (لبيج)



وفي(القاسم) - (الجاسم), يعود إلى أن الأصل في القاف صوت مجهور, فحين تتطوّر تنتقل في تطورها إلى صوت أمامي هو الجيم, وكلاهما صوت شديد مجهور, هذا ما أفترضه الدكتور أنيس عند مقارنته بين القاف الأصلية والجيم القاهرية⁽³⁾, وهو ما يمكن التعلق به لاستحضار العلاقة بين هذه القاف وبين الجيم عند بعض العراقيين, ومن الأمثلة التي يمكن تطبيقها على ذلك:

- ما نُقِلَ عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((**أنّه نهى عن تطيين القبور وتقصيصها**))...التقصيص هو التجصيص وذلك أن الجص يُقال له: القصّة, ويُقال منه: قصصت القبور والبيوت إذا جصّصتها⁽⁴⁾, والقَصّ لغة حجازية بمعنى الجَصّ⁽⁵⁾, والقاف هي الأصل وعليها الفصحاء⁽⁶⁾, ويوحى كلام الزمخشري في عدّه لفظة (الجص) ليست بأصل إلى أنّها معرّبة كما نصّ كثير من اللغويين⁽⁷⁾.

- ومنه ما يُنسب إلى الإمام الصادق(عليه السلام): ((**ما خلق الله عز وجل خلقاً أصغر من البعوض, والجرّس أصغر من البعوض**)) , الجرّس لغة في القرّس⁽⁸⁾, ونصّ ابن الجبّان على أن القرّس: البعوض والعامة تقول له: جرّس⁽⁹⁾, وليس كذلك إنّما هي لغة فصيحة جيدة - بدليل ورودها في كلام الإمام الصادق - فضلاً على أنّنا لا نجد ما يوهن هذه اللغة عند أصحاب المعجمات⁽¹⁰⁾, بل يُشير ابن دريد ثم ابن منظور في الموضع نفسه إلى أن (القرّس) وهو طين يختم به فارسي معرّب, وهذا لا يمنع أن يكون ما نُسب إلى الإمام الصادق إنّما هو من أثر النقلة, أو أن الإمام خاطب به من تكون لغته على هذا الأداء.

السين والشين:-

متباعدان مخرجاً إلا أن كليهما مهموس رخو⁽¹¹⁾, وهو ما سوّغ الإبدال بينهما في جملة من الأمثلة:

- في الحديث المنسوب إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((**أنّه عطس عنده رجلان فشمت أحدهما ولم يُشمت الآخر**))...في هذا الحرف لغتان: شمت وشمت, والشين أعلى في كلامهم وأكثر⁽¹⁾.

وفي الحديث: ((**سَمُّوا ودنّوا وسَمّتوا هذا في الطعام**)) , ذكر ابن قتيبة: أن قوله: ((وسمّتوا يُقال: إذا فرغتم من الطعام فادعوا بالبركة... ومنه تسميت العاطس إنّما هو الدعاء له وفيه لغة أخرى التسميت بالشين المعجمة وهي المستعملة))⁽²⁾.

ويفهم من كلام ابن قتيبة أن اللغة بالسين مستعملة - أيضاً - وقد جرى عليها الحديث الذي رواه, والصحيح ما ذكره أبو عبيد في هذا الموضع وما نصّ عليه غيره أنّهما لغتان إلا أن الشين أعلى وأكثر استعمالاً⁽³⁾, والاختيار عند ثعلب بالسين, لأنّه مأخوذ من السمّت وهو القصد والمجّة⁽⁴⁾.

وفي حديث عمر(رضي الله عنه) ((**...فمن شاء فليمسكها ومن شاء فليسمرها**)) , رواية أبي عبيد

(يسمرها)) , بالسين, فأما الأصمعي فيعرف (التسمير) بالشين هو الإرسال, ثم حوّلت الشين إلى السين, قال أبو عبيد: ((**وأما الشين فكثير في الشعر وغيره, قال الشماخ: ...**

أرقت له في النوم والصبح ساطع كما سطع المريخ شمّره الغالي))⁽⁵⁾

(3) ينظر: الأصوات اللغوية/75

(4) غريب القاسم, 277/1

(5) ينظر: اللسان, 76/7(قصص)

(6) ينظر: الفائق, 199/3(قصص)

(7) المزهر, 270/1, 271

(8) ينظر: غريب الحديث في بحار الانوار, 229/1(جرّس)

(9) ينظر: شرح الفصح في اللغة لابن الجبّان/218

(10) ينظر: الجمهرة, 348/3, والصاح, 72/3, واللسان, 37/6(جرّس), 173/6(قرّس)

(11) ينظر: ص 135 حرف الشين وص 138 حرف السين من هذا الفصل

(1) غريب القاسم, 183-184, وينظر: النهاية, 499/2(شمت)

(2) غريب ابن قتيبة, 745/3

(3) ينظر: الصاح, 378/1(سمّت), 381/1(شمت), واللسان, 46/2(سمّت), 52/1(شمت)

(4) ينظر: الصاح, 378/1, واللسان, 46/2(سمت)

(5) غريب القاسم, 246/3(شمر), وينظر ديوان الشماخ/456



وَعَقِبَ الهروي الأول بقوله: ((والتشهير بالإرسال، فهذا كثير في كلامهم بالشين فأما بالسین فلم يوجد إلا في هذا الحديث وما أراها إلا تحويلاً كما قالوا: الرّواسم - بالسین - وهو في الأصل بالشين وكما قالوا: شَمَتَ الرجل وسمته))⁽⁶⁾.

فالأرجح أنّ هذا التحويل عن الأصل إنّما يوحى إلى أنّ اللغة بالسین انحرفت عن الأصل، وهي لغة على ما يبدو قليلة الاستعمال، قال النضر: ((التسمير: الإرسال، وقد سمعتُ مَنْ يقول: أخذتُ غريمي ثُمَّ سَمَرْتُهُ أي أرسلته، وقال ابن الأعرابي: التسمير: إرسال السَّهْم بالعجلة والخَرْقلة: إرساله بالتأني يُقال: سَمِرَ فقد أخطأك الصيد وخزّقل حتى يخطئك، وروي عن شمر: التسمير والتشهير معاً))⁽⁷⁾.

فهذه لغة ورد عليها السماع بشهادة هؤلاء العلماء. على أنّ مثل هذا الانحراف قد يكون مصدره المحدثين فمن ذلك في الحديث ((فيسمعون صوت جَرَس طير الجئة)) أي صوت أكلها، قال الأصمعي: ((كنتُ في مجلس شُعْبَةَ فقال: يسمعون صَوْتُ جَرَش طير الجئة، بالشين، فقلتُ: جَرَس، فنظر إليّ وقال: خذوها عنه فإنه اعلم بهذا منا))⁽¹⁾، وفي المثال الذي استعملناه سابقاً⁽²⁾ هو ((أنّ رجلاً من أسلم كان في غنيمة له يحشّ عليها))، قالوا: إنّما هو يهسّ بالهاء، أي يضرب أغصان الشجرة حتى ينتشر ورقها⁽³⁾، ويغلب على الظن أنّ هذه لغات، ومثلها، قال ابن الفرج: يُقال: ألحق الجِسَّ بالإسّ قال: وسمعتُ بعض بني أسد: ألحق الحشّ بالأش⁽⁴⁾، ونُسبت لغة السين إلى العقيلين⁽⁵⁾.

الميم والنون:-

صوتان متساويان في التردد، والصفة المشتركة بينهما هي خروج الهواء من الأنف عند النطق بهما فضلاً على الجهر والتوسط والانفتاح⁽⁶⁾، ومما رُوِيَ من تعاقبهما: ((إنّه ليغانُ على قلبي))... أي يُطبق عليه إطباق الغين، وهو الغيم⁽⁷⁾، نُسبَ الحديث في البحار إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)⁽⁸⁾ الغين لغة في الغيم، وغان على قلبي كذا: أي غطاه⁽⁹⁾. ونصّ على ذلك الجوهرى⁽¹⁰⁾، وابن منظور الذي أنشد لرؤبة:

أَمْسَى بِلَالٌ كَالرَّبِيعِ الْمُدْجِنِ أَمْطَرَ فِي أَكْنَافٍ غَيْنٍ مُغِينِ⁽¹¹⁾

وكذا أنشد لرجل من بني تغلب:

كَأَنِّي بَيْنَ خَافِيَتَيِ عُقَابٍ تَرِيدُ حَمَامَةً فِي يَوْمِ غَيْنِ⁽¹²⁾

- ومنه: ((إنّ بلالاً أدنّ بليل، فأمره أن يرجع فينادي إلا أنّ الرجل تهم))، وروي: تهن، قال الزمخشري: ((النون فيه بدلٌ من ميم، كما حكى البنّام في بنان، وجاء قاتن بمعنى قاتم في شعر الطرمّاح:

كَطُوفٍ مُتَلِيٍّ حَجَّةٍ بَيْنَ غُبُوبٍ وَفُرَّةٍ مُسَوِّدَةٍ مِنَ النَّسْكِ قَاتِنِ⁽¹³⁾

(6) المصدران السابقان وينظر: غريب ابن الجوزي 496/1

(7) غريب القاسم، 246/3 (شمر)

(1) النهاية، 260/1، 261 (جرس)

(2) ينظر: ص 153 من هذا المبحث: مورد تعاقب الحاء والهاء

(3) النهاية، 390/1

(4) اللسان، 285/6 (حشش)

(5) ينظر: التهذيب، 395/3 (حش)

(6) ينظر: سر صناعة الإعراب، 69/1، والمقرب، 356، واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع، 83

(7) الفائق، 82/3 (غين)

(8) ينظر: بحار النوار، 282/90

(9) غريب الحديث في بحار الانوار، 160/3 (غين)

(10) ينظر: الصحاح، 46/6 (غين)

(11) ينظر: اللسان، 316/13 (غين)

(12) ينظر: المصدر نفسه

(13) الفائق، 157/1 (التهم)، وديوان الطرمّاح، 501، وينظر: اللسان، 330/13 (قتن)، وقد ذكر ابن منظور أمثلة أخرى على هذا الإبدال في

مادة (قتن) فلزم التنبيه



- وفي حديث عمر (رضي الله عنه): ((أنه قضى في الأرنب بحلان)) يعني إذا قتلها المحرم...يعني الجدي ... وفي الحلان لغة أخرى الحَلَام بالميم, ... وهذا كقولهم: اغبطت عليهم الحمى واغمطت⁽¹⁴⁾, يعني في تعاقب الحرفين، وقال مهلهل:

كل قتل في كليب حَلَام حتى ينال القتل آل هَمَام⁽¹⁾

- وفي حديث ابن زمّل الجُهني عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((...فانتَقَعَ لون رسول الله)) , عقب ابن قتيبة: ((فانتَقَعَ لون رسول الله(صلى الله عليه وسلم) أي تَغَيَّر يُقال: امْتَقَعَ لَوْنُهُ وانتَقَعَ... واللغة العالية: امْتَقَعَ))⁽²⁾ لأنها هي الأصل في ما جَرَتْ عليها هذه الدلالة, والميم عندهم أعرف وأجود⁽³⁾ , وفي الصحاح: ((وانتَقَعَ لَوْنُهُ فهو منتَقع: لغة في امْتَقَعَ))⁽⁴⁾ .

وقد نَسَبَ بعض اللغويين الميم إلى الحجاز والنون إلى تميم, وإذا كان لهذا القول ما يُعَصِّدُه من النصوص السابقة كجريان الميم في الحديث المنسوب إلى بلال وهو قد عاش في الحجاز. وشعر رؤبة وهو تميمي, إلا أن بعض النصوص - هنا - لم تجر على وفق هذا المنظور كحديث عمر (رضي الله عنه) مثلاً.

والذي يبدو للباحث أن الذي وقع في هذه الأحاديث أنما هو من أثر النقلة والرواة, ورواية الحديث تكون عادة مَظَنَّة لتعدد لغات الرواة, فضلاً على أن بعض البيئات تتكون من قبائل وبطون كثيرة, وعليه فالاحتمال قائم على أن بعض البطون تنطق بالميم وأخرى تنطق بالنون, فإذا نُسبت الميم إلى الحجاز على ما يذكر بعض اللغويين فهذا لا يعني أن كل الحجازيين يجرون على ذلك, فمن المتوقع أن نجد بعضاً ممن يُنسب هذا الصقع أو ذاك من الحجازيين من يخالف هذا وهو ما يُفسِّر الأمثلة التي عُزيت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعمر (رضي الله عنه) وغيرهم ممن نُسب لقریش⁽⁵⁾ .

الميم واللام (الطمطممانية):-

نَسَبَ الرواة لقبيلة حمير أنها كانت تقلب اللام في أداة التعريف (ميماً) في ما عُرف بالطمطممانية, وقد روى النمر بن تولب أن رجلاً من لغته الطمطممانية سأل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الصيام في السفر فأجابه (صلى الله عليه وآله وسلم) بلغته ((ليس من امبر امصيام في امسفر))⁽⁶⁾ , فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تكلم باللغة التي سمّاها الخطابي بالعالية فضلاً على أنه تكلم بكثير من لغات العرب ومنها هذه⁽⁷⁾ .

- وفي حديث أبي هريرة حين دخل على عثمان (رضي الله عنه) وهو محصور ((الآن طاب امضرب)) , وأراد: طاب الضرب فأبدل لام التعريف ميماً وهي لغة معروفة بحسب ابن الأثير⁽⁸⁾, قال الأصمعي: ((هذه لغة أهل اليمن أو قال لغة حمير وأنشد:

ذاك خليلي وذو يعائبني يرمي ورائي بأمسهم وامسلمه

يريد : بالسهم والسلمة, واحدة : السلام ومنه الحديث المرفوع : ليس من امبر امصيام في امسفر... وبعضهم يرويه بإظهار اللامات))⁽¹⁾ .

وقد ورد الحديث في مسند الإمام أحمد بلغة حمير وقد ورد عليه السماع من كعب بن عاصم الأشعري وكان من أصحاب السقيفة⁽²⁾ , إلا أن الحديث ورد بلام التعريف في (فتح الباري)⁽³⁾ .

(14) غريب القاسم, 292/3, وينظر: غريب ابن الجوزي 2/ 145 (غبط), والنهاية, 435/1 (حلق)

(1) ديوانه/97

(2) غريب ابن قتيبة, 486/1, وينظر: غريب القاسم, 59/4 (لمع), وغريب ابن الجوزي 2/ 432 (نقع)

(3) ينظر: اللسان, 341/8 (مقع), و463/8 (نقع)

(4) الصحاح, 590/3 (نقع)

(5) ينظر: أمثلة أخرى لقرشيين: غريب القاسم, 255/3 (نثث), والفاق, 422/1 (درك), وغريب ابن الجوزي 2/ 390 (نثث)

(6) ينظر: المفصل, 483, ومغني اللبيب, 71/1, والنهاية, 303/3 (عمم)

(7) ينظر: غريب الخطابي, 253/2, 254, والنهاية, 303/3 (عمم), وص169 من هذا الفصل

(8) النهاية, 150/3 (طيب), وينظر: غريب القاسم, 193/4 (ام)

(1) النهاية, 150/3 (طيب), وينظر: غريب القاسم, 193/4 (ام)

(2) ينظر: مسند أحمد, 434/5



فأما أبو هريرة فهو من قبيلة دوس اليمانية⁽⁴⁾، التي ترجع إلى الأزدي⁽⁵⁾، وقد نَصَّ ثعلب في (مجالسه) على أنها لغة للأزد مشهورة⁽⁶⁾، وقريب منه ما ذكره الأصمعي من نسبة هذه اللغة إلى اليمن.

روى ابن الأثير عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من زنى مِم بَكَر فأصقعه مائة)) أي اضربه... وقوله: ((مِم بَكَر)): لغة أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميماً⁽⁷⁾.

والذي يسوّغ العلاقة بين الحرفين هو أنّهما مجهوران متوسطان ليسا بشديدين ولا رخوين⁽⁸⁾ العين والنون (الاستنطاء):-

ونُسب الرواة إلى قبائل سعد بن بكر وهذيل والأزد والأنصار أنّهم يبدّلون العين في الفعل (أعطى) نوناً، فيقولون (أنطى)، وسمّيت هذه الظاهرة بالاستنطاء، وهي قريبة من الطمطمائية إذ فيهما يقلب صوت من أصوات الفم إلى آخر من أصوات الأنف والعكس، وهو أمر معترف به في معظم اللغات⁽⁹⁾، فكلّ من العين والنون صوت مجهور متوسط لا هو بالشديد ولا بالرخو، مُستقل مُنفّتح، الأمر الذي سوّغ التعاقب بينهما⁽¹⁰⁾، وقد حاول الدكتور إبراهيم السامرائي تفسير هذه الظاهرة بالفعل (أعطى) بقوله: ((وملاك الأمر في هذه النون أنّها لم تكن مقابلة للعين في أعطى وإنّما جاءت من أنّ الفعل كان (أتى) بمعنى (أعطى) ثمّ ضعّف الفعل فصار إلى (أتى) بتشديد التاء، ومعلوم أنّ فك الإدغام في العربية، وفي غيرها من اللغات السامية يقتضي إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين كما نقول في العربية (جندل) وهي من (حدل) بتشديد الدال وهذا كثير معروف))⁽¹¹⁾.

ويرى برافمان أنّ أنطى ((تمثّل تغيراً صوتياً خالصاً حيث كانت صفة الأنفية أصلية في العين السامية القديمة ومع هذا فهناك ما يدعو لاحتمال أن يكون هناك سبب غير صوتي لوجود (أنطى) لأنّ هذا اللفظ مستعمل الآن في بغداد وجنوب العراق ونبلس بفلسطين، وعند قبيلة عنيزة في الصحراء السورية. أمّا في اليمن ذاتها فلا يوجد سوى (أعطى) بضم الهمزة ضمة مماله، ويجب أن نتذكر أنّ مادة (ع ط ي) لا توجد إلا في العربية))⁽¹⁾.

وقريب من هذا قول الدكتور إبراهيم أنيس⁽²⁾، واجتهد باحثون آخرون لتفسير الظاهرة سعياً للوصول إلى مسوّغ معقول إلا أنّ محاولاتهم - عموماً - بقيت في نطاق الاحتمالات والاجتهادات التي لا تستند إلى واقع لغوي ملموس⁽³⁾، وما يعني الباحث هو أنّها ظاهرة لغوية استعملها جمهور كبير من الناس ونُسبت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وامتدت إلى عصرنا، ومن أمثلتها:

- ما نُسبَ إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا مانع لما أنطيت ولا منطيت لما منعت))، هو لغة أهل اليمن في أعطى... ومنه الحديث: ((اليد المنطية خير من اليد السفلى))... ومنه كتابه لوائل بن حجر ((وانطوا الثبحة))... وقوله لآخر: ((أنطه كذا))⁽⁴⁾... والذي يبدو لي أنّ كلا اللفظين أصل قائم برأسه، وهو رأي قابل للمناقشة ولعلّ ذلك يُفسّر لنا شيوع هذا الاستعمال عند كثير من العرب قبل ظهور الإسلام وبعده، قال الأعشى:

(3) ينظر: فتح الباري، 7/9، 11 في كتاب الجهاد والسير والمغازي

(4) ينظر: تهذيب التهذيب، 262/12، والإصابة، 199/7

(5) ينظر: اللسان، 90/6 (دوس)

(6) ينظر: مجالس ثعلب، 58/1

(7) النهاية، 42/3 (صق)

(8) ينظر: في اللهجات العربية، 141

(9) ينظر: المزهر، 222/1

(10) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً، 186

(11) دراسات في اللغة، 217

(1) اللهجات العربية الغربية، 69

(2) ينظر: في اللهجات العربية، 142

(3) ينظر: على سبيل المثال لاهصر: محاضرات في فقه اللغة، د: عصام نور الدين، 103-108، واللهجات العربية نشأة وتطوراً/

188-185، ودراسات في اللغة، د: إبراهيم السامرائي، 217، 218

(4) ينظر: هذه النصوص على الترتيب في النهاية، 76/5 (نطا)، وينظر: الفائق، 442/3 (ابو)، و168/1، 169 (جد)



جيداك خيرُ جيدِ الملوك تصان الجلال وتنطى الشعير⁽⁵⁾.

وقال لبيد: وهم العشيرة إن تناطى حاسدٌ ...

التناطي: تعاطي الكلام وتجاذبه⁽⁶⁾ ... وعزاها التبريزي إلى العرب العاربة⁽⁷⁾.

ويرى بعض المحدثين أنَّ الوضع العام في العربية على أنَّ (أنطى) كان الصيغة المعدَّة بالهمزة من الفعل (نطى) وهو الفعل الأقدم الذي استبدل به في الشرق الفعل (عطى) الذي صار مرادفاً لفعل (نطى) بعد أن تخصص معنى الأخير. وقد كان فوللرز أول من افترض أنَّ (أعطى) العربي يناظر (ناط) في العبرية، وقد استغرقت الصيغة الجديدة بعض الوقت حتى شاعت في المناطق الغربية، وقد ورد الفعل (أنطى) في الحديث على لسان رجلٍ من قبيلة (غنى) التي تعدُّ من اللهجات الشرقية. ويرى فيل (fell) أنَّ المادة (ن ط ي) تعني (يعطي المطر) وهذا الفرض يعكس الاستعمال القديم للفعل⁽⁸⁾.

والشيء الأهم هو أنَّ هذا الفعل شاع واستعمل على نطاقٍ واسع من قبل العرب من سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار وأهل اليمن وغيرها قبل الإسلام وبعده، يعزِّز ذلك وروده على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمثلة كثيرة، ذكر شيء منها في هذا المورد، والحديث النبوي يُعدُّ معياراً لا غناء عنه في هذا التحديد، فضلاً على بعض القراءات القرآنية التي تُسبب بعضها إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما وجدت هذه الصيغة في بعض المصاحف القديمة⁽¹⁾، ثم استمرار وشيوع استعمال هذا على نطاقٍ واسع في الأرض العربية إلى عصرنا.

4- ما قد يُنسب إلى الإبدال بين الحروف المتباعدة مخرجاً وصفةً:-

وهناك بعض الصيغ التي تُسبب إلى تعدد اللغات، لا يجد فيها الباحث أية صلة صوتية بين هذه الصيغة وتلك، ويرى بعض الباحثين المحدثين أنَّ الرواية إن صحَّت على هذه الصيغ فتعدُّ الصيغتان حينئذٍ مستقلتين تنحدران من مصدرين مختلفين وهما أقرب إلى الترادف الحقيقي من الإبدال ومن ذلك:

الفاء والقاف:

فمن ذلك عن الإمام علي (عليه السلام): ((والثابت القدم على زحاليها في الزمن الأول))⁽²⁾، قال الأصمعي: ((الزُحْلُوفَة: آثار تزُج الصبيان من فوق التل إلى أسفله وهي لغة أهل العالية، وتميم تقوله بالقاف))⁽³⁾.

ومن ذلك قول أبي بكر (رضي الله عنه): ((إني وجدت في ظهري إنفصاماً)) أي إنصداعاً ويروى بالقاف وهو قريب منه⁽⁴⁾.

وتُسبب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ضُمُّوا فواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء)) والمحدثون يقولون: فحمة⁽⁵⁾، فأهل العالية وهي الحجاز وما والاها⁽⁶⁾ آثروا الفاء في ما نُقِلَ عنهم من نصوص هنا، وهو صوت رخو مهموس.

والحديث: ((إن شيعة الدجال شوابهم طويلة وخفافهم مُفرطمة))، قال الزمخشري: ((من الفرطومة وهي منقار الخُفّ، وقيل: الصحيح بالقاف. وروى ابن الأعرابي عن بعض الأعراب:

(5) ينظر: البحر المحيط، 519/8، والامالي، 75/1، وفي ديوانه 99 برواية: جيداك في الصيف في نعمة تُصانُ الجلال وتعطى الشعير

(6) اللسان، 333/15 (نط)

(7) ينظر: البحر المحيط، 519/8

(8) ينظر: محاضرات في فقه اللغة، 107، 108

(1) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 387-385/1

(2) بحار الأنوار، 340/84

(3) غريب الحديث في بحار الانوار، 163/2 (زحلف)، وينظر: الصحاح، 73/4 (زحلف)

(4) النهاية، 452/3 (فصم)

(5) غريب القاسم، 240/1 (قحم)، وينظر: غريب ابن الجوزي، 92/1 (بهر)

(6) ينظر: اللسان، 87/15 (علا)



جاءنا فلان في خافين... مقرطمين)) (7). وأثر الأعراب القاف وهو شديد مهموس. ومن ذلك قول رؤبة:

وفتنة ترمي بمن تصعقا
مَنْ خَرَّ فِي طَحْطَاحِهَا تَرَحَّلَقَا (8).
ومما يُحسب لمصنفي غريب الحديث أنهم لم يُشيروا إلى الإبدال في مثل هذه الصيغ، بل هم أقرب إلى عدِّ الصيغتين من المترادفات مع إتفاق المعنى.

الجيم والحاء:
متباعداً مخرجاً وصفة (1)، ومن أمثلتهما:
- في حديث عمر (رضي الله عنه): ((بل تحوسك فتنة))... قال أبو عبيد: الحوس والجوس بمعنى واحد، وهو كل موضع خالطته ووطنته فقد حُسْتُه وجُسْتُه (2)، قال تعالى: ﴿فَجَاسُوا خَلَلِ الدِّيَارِ﴾ (3) وأنشد القاسم لجريز:

نَجُوسٌ عَمَارَةٌ وَنَكُفٌ أُخْرَى
لَنَا حَتَّى يَجَاوِرَهَا دَلِيلُ (4)
قال أبو عبيد معقلاً: ((نجوس عمارة ونطأها حتى نبلغ ما نريد منها... فهذا الجوس، وقال الحطيئة في الحوس يذم رجلاً:

بالهمز من طول الثَّاقَفِ وجارهم
يعطي الظلامَةَ فِي الْخَطُوبِ الْخَوْسِ.
يعني الأمور التي تنزل فتغشاهم وتخلل ديارهم)) (5).
وقد سمع المازني أبا سرار الغنوي يقرأ: (فحاسوا)، فقلت: إنما جاسوا، فقال: جاسوا وحاسوا واحد وقريب من ذلك الحديث: ((لَا تُحَرِّمِ الْمَلْحَةَ وَالْمَلْحَتَانِ)) وروى: الإملاجة والإملاجتان، قال الزمخشري بعد ذلك: ((أملجت بالجميم مثل أملت، ومَلَحَ الصَّبِيَّ أُمَّهُ وملجها رضعها... ويحكى أَنَّ أَعْرَابِيًّا اسْتَعْدَى عَلَى رَجُلٍ وَالِي الْبَصْرَةِ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا شَتَمَنِي، قَالَ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ لِي مَلَجْتُ أُمَّكَ، قَالَ الْوَالِي: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: كَذَبَ، إِنَّمَا قُلْتُ: لَمَجْتُ أُمَّكَ، أَي رَضَعْتُهَا)) (6)، والملج: النكاح (7)، ويبدو أَنَّ لَمَجَ جاء على القلب.

الحاء والقاف:
متباعداً أيضاً (8):
- في حديث الصلاة: ((التسبيح للرجال والتصفيح للنساء))، التصفيح والتصفيق واحد، وهو من ضَرَبَ صَفْحَةَ الْكَفِّ عَلَى صَفْحَةِ الْكَفِّ الْآخَرِ (9)، وفي (اللسان): ((التصفيح مثل التصفيق. وَصَفَحَ الرَّجُلُ بِيَدَيْهِ: صَفَّقَ... وَرَوَى بَيْتَ لَبِيدٍ: كَأَنَّ مَصَفَّحَاتٍ فِي ذِرَاهِ. جَعَلَ الْمُصَفَّحَاتِ نِسَاءً يُصَفِّقْنَ بِأَيْدِيهِنَّ فِي مَأْتِمٍ...)) (10).

القاف والسين:

متباعداً (1).

(7) الفائق، 114/3 (فرطم)

(8) ديوانه، 115، وينظر: الصحاح، 233/4، واللسان، 138/10 (زحلق)

(1) ينظر: منهج البحث اللغوي، 66-72، واللهجات العربية في التراث، 476

(2) غريب القاسم، 403/3 وينظر: غريب ابن الجوزي، 252/1 (حوس)

(3) الإسرائ، 5

(4) غريب القاسم، 403/3 (حوس)، وينظر: اللسان، 606/4 (عمر)، والبيت مما أخلَّ به الديوان

(5) غريب القاسم، 403/3، وينظر: ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسُّكْرِي والسجستاني، 273، واللسان، 59/6 (حوس)

(6) الفائق، 383/3 (ملج)

(7) المصدر نفسه

(8) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 476، ومنهج البحث اللغوي، 66-72

(9) النهاية، 33/3، 34 (صفح)

(10) اللسان، 514/2، وينظر: الصحاح، 564/1 (صفح)، وديوان لبيد، 90

(1) ينظر: منهج البحث اللغوي، 66-72، وفي البحث الصوتي عند العرب، 20



- في حديث ابن عباس: ((...املقي مالك ما شئت)) قال الزمخشري: ((قولهم: املق من الأمر وأملس أي افلت))⁽²⁾ قال أوس:

ولما رأيت العذم قيد نائلي
وأملق ما عندي خطوب تنبل⁽³⁾
و((ملقوا وملسوا واحد... والملق الملوثة))⁽⁴⁾.

ثالثاً: الإمالة:

وتعد ضرباً من ضروب المماثلة التي تجنح إليها كثير من القبائل البدوية مثل: تميم وأسد وقيس وعامة أهل نجد⁽⁵⁾.

وحقيقة الإمالة ((عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء))⁽⁶⁾.

والإمالة: ((أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء))⁽⁷⁾، وذكر خالد الأزهري ((إنما كانت من أجل تناسب الأصوات وصيروتها من نمط واحد))⁽⁸⁾، وعلّلها ابن الجوزي بسهولة اللفظ، قال: ((وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل))⁽⁹⁾.

ويُقابل الإمالة التّفخيم أو الفتح وهو لغة أهل الحجاز⁽¹⁰⁾، وقد وضع اللغويون أسباباً للإمالة وفصلوا القول فيها ووضّحوا معالمها كما حدّدوا موانعها في كثير من المظان التي غُيّت بهذا الباب⁽¹¹⁾، وقد وقع للباحث أمثلة عدّة من هذا الباب منها:

- في القول: ((...فَنظَفُوا عَذْرَاتِكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ، تَجْمَعُ الْأَكْبَاءُ فِي دَوْرَهَا))... الأكباء: جمع كِبَا: (بالكسر والقصر) وهو الكُناسة... وألف الكِبا عن واو لقولهم: كبوت البيت أكبوه كبوا، وقد ثَمِلَهِ العرب، فهو في ذلك أخو العشا في الشذوذ عن القياس⁽¹²⁾.

فالقاعدة على ما يذكر سيبويه أنهم ((يتركون الإمالة فيما كان على ثلاثة أحرف من بنات الواو نحو قفا... وذلك أنهم أرادوا أن يبينوا أنها مكان الواو))⁽¹⁾.

إلا أنه يُصرّح بأن بعضهم ((أمالوا شيئاً من ذلك من نحو العشا) من ذوات الواو تشبيهاً بذوات الواو من الأفعال كغزا ونحوها... وليس يطرد في الأسماء إنما يطرد في الأفعال))⁽²⁾. ويظهر أن هذه الإمالة انتشرت في غير الحالات الأساسية التي حدّدها سيبويه أو غيره من اللغويين إلى الحدّ الذي احتلت فيه معظم مكان الألف في اللغات العربية القديمة⁽³⁾، فما كانت قاصرة على سياقات معينة لدرجة جعلت سيبويه نفسه يجد أنه من الصعوبة وضع قوانين صوتية محددة لظاهرة الإمالة قال: ((إنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممّن يميل، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه))⁽⁴⁾، وعليه فقول ابن يعيش إنّ: ((الإمالة أكثر كلام العرب))⁽⁵⁾، يكاد يكون

(2) الفائق، 386/3 (ملق)

(3) المصدر نفسه، وديوان أوس/94

(4) اللسان، 348/10 (ملق)

(5) ينظر: النشر في القراءات العشر، 30/2، والإتقان للسيوطي، 236/1

(6) شرح المفصل لابن يعيش، 54/9، وينظر: الكتاب، 259/2

(7) الكتاب، 259/2، والنشر، 30/2

(8) شرح التصريح للأزهري، 346/2

(9) النشر، 35/2

(10) ينظر: الإتقان، 236/1

(11) يمكن الإفادة من بحث بعنوان (الإمالة بين النحاة القدماء واللغويين المحدثين)، د: محمد أحمد العمروسي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول، رجب، 1409 هـ

(12) الفائق، 402/2 (عذر)

(1) الكتاب، 119/4

(2) المصدر نفسه، واللسان، 57/15 (عشا)

(3) ينظر: في الأصوات اللغوية، د: غالب المطليبي، 166

(4) الكتاب، 125/4

(5) شرح المفصل، 1263/2



دقيقاً في التعبير عن حقيقة خريطة الإمالة، ولم ينسب سيبويه أو الزمخشري الإمالة إلى فصيل معين بل أهملوا العزو مثل معظم علماء العربية إهمالاً يكاد يكون تاماً⁽⁶⁾.

- وفي الحديث: ((كان قبل أن يوحى إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) يأتي جرّاء فيتحنّث فيه الليالي))، جرّاء: من جبال مكّة، ((وللناس فيه ثلاث لحنّات يفتحون حاءه وهي مكسورة، ويقصرون ألفه وهي ممدودة ويميلونها ولا يسوّغ فيها الإمالة، لأنّ الرّاء سبقت الألف مفتوحة وهي حرف مكرّر، فقامت مقام الحرف المستعلي ومثل رافع وراشد لا يُمال))⁽⁷⁾.

ويُفهم من كلام العلامة الزمخشري أنّ الناس يخرجون على الأصل فيغلطون فيه فيفتحون حاءه ويُقصرونه ويميلونه، ولا تجوز إمالته، لأنّ الرّاء قبل الألف مفتوحة، كما لا تجوز إمالة راشد ورافع وهذا ما نصّ عليه الخطابي⁽⁸⁾ - قبله - وتابعه علماء غريب الحديث⁽⁹⁾ وغيرهم⁽¹⁰⁾.

ويظهر أنّ هذه لغات خرجت على بعض من ضوابط العلماء في هذا المورد، إذ نصّ العلماء على أنّ هناك ثمانية أحرف تمنع الإمالة منها سبعة تسمى بأحرف الاستعلاء وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والحاء، والغين، والقاف، والثامن: الرّاء المكسورة، وقد علّل العلماء ذلك ((أنّ السبعة الأولى تستعلي إلى الحنك فلم تمل الألف معها طلباً للمجانسة، وأمّا الرّاء فشُبّهت بالمستعلية لأنها مكررة))⁽¹¹⁾.

بل صرح الزمخشري في (المفصل) أنّ: ((الرّاء غير المكسورة إذا وليت الألف منعت منع المستعلية تقول: راشد وهذا حمارك ورأيت حمارك على التفخيم))⁽¹⁾.

إلا أنّ ذلك لا يمنع من الخروج على هذه القاعدة، فيميل بعض الناس مع الرّاء المفتوحة وهذه سنة اللغات في التمرّد والخروج على ضوابط المقيّنين أو المقعّدين، مهما كانت محصّنة.

وفي حديث بيع الثمار: ((إمّا لا فلا تبايعوا...))، هذه الكلمة تردّ في المحاورات كثيراً وقد جاءت في غير موضع من الحديث وأصلها إنّ وما ولا، فأدغمت النون في الميم، وما زائدة في اللفظ لا حكم لها، وقد أمّالت العرب (لا) إمالة خفيفة، والعوام يُشيعون إمالتها فتصير ألفها ياء⁽²⁾. وقد عقّب على ذلك ابن الأثير بقوله (وهو خطأ)⁽³⁾: لكنها لغة وعادة نطقية جرت على ألسنة هؤلاء، ويعود السبب في ما ذهب إليه ابن الأثير إلى أنّ الإمالة من خواص الأفعال والأسماء المتمكنة، لذلك لا تطرد في غير المتمكن وفي الحروف إلا أنّ العلماء أو الرواة سمعوا إمالة شيء من الأسماء المبنية وبعض الحروف ومنها (لا)⁽⁴⁾، وقد روى الجوهر (لا) ممّالة بقوله: ((وقولهم: إمّالي فأفعل كذا بالإمالة، أصله إنّ لا، وما صلة، ومعناه إنّ لا يكن ذلك الأمر فأفعل كذا))⁽⁵⁾.

وفي حديث أبي هريرة: ((العجماء جبار والنار جبار))... قيل هو تصحيف (البئر) فإنّ أهل اليمن يميلون (النار) فتتكسر التّون فسمعه بعضهم على الإمالة فكتبه بالياء فقرأوه مصحّفاً بالياء⁽⁶⁾، والذي يعني الباحث هنا هو أنّ ابن الأثير عزا هذه الإمالة إلى اليمن، ولعلّ هذا دليل على انتشار الإمالة في بلاد اليمن.

ويُعزّز ذلك ما ذكره أبو بكر بن مقسم: من أنّ أكثر أهل اليمن يميلون ألف حتّى، لأنّ الإمالة غالبية على ألسنتهم في أكثر الكلام⁽⁷⁾، وقد علّل بعض المحدثين جنوح بعض القبائل التي تغلب عليها البداوة كتميم وأسد ونجد وغيرهم نحو الإمالة، لأنها تساعدهم على سرعة النطق، وعدم بذل مجهود

(6) ينظر: اللهجات العربية في التراث/290

(7) الفائق، 272/1 (حراً)

(8) ينظر: غريب الخطابي، 240/3، 241

(9) ينظر: المجموع المغيبي، 438/1، والنهاية، 376/1 (حراً)

(10) ينظر: اللسان، 174/14 (حري)

(11) شرح الأشموني على الألفية، 147/3، وينظر: الإمالة بين النحاة القدامى واللغويين المحدثين/196

(1) المفصل، في علوم العربية/337

(2) المصدر نفسه

(3) نفسه

(4) ينظر: ارتشاف الضرب لابي حيان، 245/1، 246

(5) الصحاح، 595/6 (لا)

(6) النهاية، 126/5 (نور)

(7) ينظر: همع الهوامع، 204/3



عضلي كبير وهو من خصائص البدو، ويصاحب ذلك عدم وضوح الأصوات والخلط بينها، إذ إنَّها تجعل الفتحة قريبة من الكسرة والألف قريبة من الياء، وهكذا تقرب الأصوات أو تتجانس ويحدث التناسب بينها⁽⁸⁾.

المبحث الثاني

الهَمْز والتسهيل بين لغات القبائل

اختلفت اللغات العربية القديمة في الهمز والتسهيل، فقد جَنَحَتْ طائفة منها إلى الهمز على حين جَنَحَتْ طائفة أخرى إلى التسهيل.

وتكاد الروايات تجمع على أنَّ التزام الهمز وتحقيقه من خصائص تميم وبعض قبائل وسط الجزيرة وشرقيها في حين تنسب التخلص منه إلى البيئة الحجازية.

قال أبو زيد: ((أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون. وقف عليها عيسى بن عمر فقال: ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا. وقال أبو عمر الهذلي: قد تَوَضَّيت فلم يهَمْز وَحَوْلَهَا ياء))⁽¹⁾.

والنبر بالكلام الهمز، ويعني رفع الكلام⁽²⁾، والهمزة عند القدماء حرف مجهور من أقصى الحلق⁽³⁾ أو حرف مجهور سفلي في الحلق وبعد عن الحروف وَحَصَلَ طرفاً⁽⁴⁾، أو هي حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق⁽⁵⁾.

وللهمزة حكمٌ خاصٌّ عند المحدثين يخالف جميع الأصوات الأخرى، لأنَّها صوتٌ ليس بالمجهور ولا بالمهموس، وهي أكثر الأصوات الساكنة شِدَّةً، وعملية النطق بها محققة من أصعب العمليات الصوتية، لأنَّ مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها ثُمَّ تَنْفَتِح فجأةً، فيُسمع ذلك الصوت الانفجاري الذي يُسمَّى بالهمزة المحققة⁽⁶⁾.

ولعلَّ ذلك يُفسِّر لنا ميل كثير من الحجازيين إلى التخلص منها مع ما عُرف عنهم من تأنٍ في نطق الحروف، فضلاً على أنَّ ترك الهمز نوع من الميل إلى السهولة وبُعْدٌ عن التزام تحقيق النطق بالأصوات وهو ما يوافق على الأرجح أداء القبائل البدوية كتميم، إلا أنَّ اللغات لا يمكن أن تلتزم - دائماً - حالة واحدة في كلِّ صفاتها، بل تخرج - أحياناً - عن صفاتها التي اختصت بها لظروف لغوية خاصة، فاللغات ظواهر اجتماعية تخضع في أصولها وقواعدها لظرف المجتمع والبيئة، فليست القوانين أو الضوابط التي تخضع لها اللغات كالقوانين الطبيعية في الكون، تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها، ومما يقوي ذلك أنَّ بعضاً من أفراد هذه البيئة - الحجازية - ولا سيما قراءها كانوا يُحقِّقون⁽⁷⁾.

أمَّا تميم فتحقيق الهمزة يناسبها، لأنَّ هذا الصوت شديد انفجاري، منطلقه الحنجرة، لا هو: بالمجهور أو المهموس على ما يصف المحدثون، ولقد أدرك القدماء هذه الحقيقة فعَبَّرَ غير واحد منهم عن ثقلها وصعوبتها في النطق، قال أبو الفتح: ((وإنَّما لم تجتمع الفاء والعين ولا العين واللام همزتين، لثقل الهمزة الواحدة، لأنَّها حرف سفلي في الحلق وبعد عن الحروف، وَحَصَلَ طرفاً، فكان النطق بها تكلفاً))⁽¹⁾، وقال ابن يعيش: ((الهمزة حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف في الحلق فأستثقل النطق به، إذ كان إخراجها كالتهوع، فلذلك من الاستثقال

(8) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 276/1، ولهجة قبيلة أسد/127، 128

(1) اللسان، 22/1 (حرف الهمزة)

(2) ينظر: المصدر نفسه، 189/5 (نبر)

(3) ينظر: الكتاب، 433/4، 434

(4) ينظر: سر صناعة الأعراب، 83/1، 85

(5) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش، 107/9

(6) ينظر: في اللهجات العربية/77، والأصوات اللغوية/87، واللهجات العربية في القراءات القرآنية/114

(7) ينظر: في اللهجات العربية/75-77، واللهجات العربية في التراث، 339/1، 340، واللهجات العربية في القراءات القرآنية/117

(1) سر الصناعة، 81/1



ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز وهو نوع استحسانٍ لثقل الهمزة، والتحقيق لغة تميم وقيس، قالوا: لأنَّ الهمزة حرف فُوجب الإتيان به كغيره من الحروف⁽²⁾.

هذه الهمزة التي تَخَلَص كثيرٌ من الحجازيين منها هي التي سادت اللغة العربية المشتركة أو (اللغة الأدبية الإنموزجية)، لغة الخاصة التي كانت تُلْتزَم في الخطب والشعر، ويبدو أنَّ ظاهرة الهمزة من تحقيق أو تسهيل كانت في أصلها من الأمور التي فرقت بين لغات وسط الجزيرة وشرقيها وبين لغات البيئة الحجازية، ولما نشأت اللغة النموزجية قبل الإسلام اتخذت الهمز صفة من صفاتها ثم شاعت بين الخاصة من أبناء هذه القبائل، فلما جاء الإسلام وجد التحقيق صفة من صفات الفصاحة التزمها الخاصة من العرب في الأسلوب الجدِّي من القول، وإن ظَلَّت في الوقت نفسه شائعة بين اللهجات البدوية كتميم وأمثالها، ولذلك يُعَدُّ تحقيق الهمز من أهم الأمور التي اقتبستها اللغة النموزجية من غير البيئة الحجازية وهو دليل على أنَّ هذه اللغة التي عُرفت في النصوص الجاهلية ثم في الإسلامية قرآنية وحديثية لم تَقم على لغة قريش وحدها أو بعبارة أخرى ليست لغة قريش هي هذه اللغة النموزجية المشتركة على ما يدَّعي بعض القدماء والمحدثين⁽³⁾.

أولاً: أهل التخفيف من العرب:

ينبغي للباحث المدقِّق قبل الخوض في مثل هذا المورد الإشارة إلى قضية مهمة هي أنَّ ما يُنسب إلى أهل الحجاز ولا سيما القرشيين منهم، في ما يتصل بعزوفهم عن الهمز، ينبغي أن لا يؤخذ على إطلاقه ويُعمَّم على هذه البيئة، فمع هذه الكثرة الكاثرة من الأمثلة التي نسبت إليهم في التسهيل ومع جريانه على ألسنتهم إلا أنَّ جملة من النصوص والأمثلة التي نقلها مصنفو غريب الحديث يُشير إلى أنَّ بعضاً ممَّن يُنسبون إلى هذه البيئة نطقوا على التحقيق وهو ما سيتضح لاحقاً - إن شاء الله - بل التزموا ذلك في الأساليب الأدبية من شعر وخطابة، ويبدو أنَّ قول عيسى بن عمر: ((أنَّ أهل الحجاز إذا اضطروا نبروا))⁽⁴⁾، معناه: ((أنهم كانوا يهمزون حين يلجأون إلى اللغة النموزجية وفي المجال: الجدِّي من القول، فحينئذ يخرجون عن عاداتهم وسليقتهم في تسهيل الهمز))⁽¹⁾.

- عن أعرابي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((السلام عليك يا نبيَّ الله، قال: لست نبيَّ الله، ولكني نبيُّ الله))⁽²⁾، وفي رواية: ((لا تنبرُ باسمي فإنما أنا نبيُّ الله))، النبيُّ عند مصنفي الغريب فعيل بمعنى فاعل للمبالغة من النبأ: وهو الخبر... ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه. قال سيبويه: ((ليس من العرب أحد إلا وهو يقول: تنبأً مسليمة وإنما هو أنبات))⁽³⁾، ونقل ابن الأثير عن سيبويه بعد ذلك قوله: ((غير أنهم تركوا الهمز في النبي، كما تركوه في الذرية والبرية والخاية، إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف الثلاثة ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك))⁽⁴⁾.

ومؤدَّى ذلك أنَّ بعض القرشيين همزوا ما لا يهمزه العرب على الأقل في هذه الألفاظ الثلاثة وهو ما يُقَوِّي زعم الباحث في نسبة الهمز إلى بعض القرشيين، أمَّا قول العلماء أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما أنكر على هذا الأعرابي الهمز لأنَّه ليس من لغة قريش⁽⁵⁾، فلا يبدو مُقتعاً مع ما عرف عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) من مخاطبته الناس على قدر مستواهم اللغوي وهو العظيم الذي نزل - أحياناً - إلى مستواهم في خطابهم وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وكلام الدكتور الجندي: إنَّ (حمران) وهو

(2) شرح المفصل، 107/9، وينظر: شرح الشافية، 31/3

(3) ينظر: في اللهجات العربية، 76، 78، واللهجات العربية في القراءات القرآنية، 128، وينظر: اللهجات العربية في كتاب سيبويه (الصوت والنحو)، رسالو ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية، رافع مطهر سعيدان، 8-13، إذ عرض الباحث موقف عدد من القدماء والمحدثين في أصل هذه اللغة بما يُغني عن إعادتها في هذا الموضع.

(4) اللسان، 22/1

(1) في اللهجات العربية، 79، وينظر: اللهجات لعربية في التراث، 318/1

(2) بحار الأنوار، 29/11، وينظر: الخصائص، 384/1

(3) الكتاب، 460/3

(4) النهاية، 4/5، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 9/4 (نبأ)، وينظر: الكتاب، 555/3

(5) النهاية، 4/5، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 9/4



الرجل الذي جاءنا الحديث عنه كان رافضاً وليس بثقة⁽⁶⁾، لا يمكن الركون إليه، مع إطباق علماء غريب الحديث على هذه الرواية⁽⁸⁾، كما نصَّ عليها صاحب البحار⁽⁹⁾.
فهذا الأعرابي ممَّنْ أثروا الهمز في هذا الحرف، وقد عدَّها العلماء لغة رديئة⁽¹⁰⁾، ويظهر أنَّ إنكارها يرتدُّ من ملحظ دلالي وشرعي، فالهمز في النبي لغة رديئة لقلَّة استعمالها وقد غلب أنَّ يَحْقِّقُوا النبي⁽¹¹⁾، وجاء الأداء القرآني على التخفيف، وقد يتوهم منها مهموزة أنَّها من (نبا) من أرض (إلى أرض) أي خرج منها، لأنَّه خرج من مكة إلى المدينة⁽¹²⁾، وقد ذكر ابن جنِّي أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنَّما ((أنكر الهمز في اسمه فردَّه على قائله، لأنَّه لم يدر بما سمَّاه، فاشفق أن يُمسك على ذلك وفيه شيء يتعلّق بالشرع، فيكون بالإمسك عنه مبيحَ محظورٍ أو حاطِرٍ مُباحٍ))⁽¹³⁾.
وممَّا يؤثّر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله في القرآن: ((ياكم والنَّبَرُ فيه، يعني الهمز))⁽¹⁾، ويبدو - والله أعلم - أنَّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد لا تهمزوا الهمز الفاحش كنحو قراءة قوم⁽²⁾ أمثال نافع المدني الذي حقَّق: النّبیین والنّبیون والنّبوة والنبي إذ كان يقرؤها بالهمز⁽³⁾، وابن كثير المكي الذي كان أكثر الهامزين⁽⁴⁾، فالهمز الذي اتخذته الفصحى شعاراً لها، لانتمائه القرآني ملك على بعض الحجازيين شعورهم فبالغوا فيه إلى الحدِّ الذي جعلهم يهمزون ما ليس مهموزاً، فجاء التحذير، ولذلك نَبَّه القارئ المشهور حمزة الكوفي من المبالغة في تحقيق الهمز عند التلاوة⁽⁵⁾.
إلا أنَّ عموم المجتمع الحجازي ولا سيما القرشي المكي والمدني من الخواص والعوام كانوا لا يَحْقِّقُونَ، بل أنكروا الهمز على ما تنقل الروايات.
قال ابن قتيبة: ((بلغني أنَّ الكسائي حجَّ مع المهدي، فقدَّمه بالمدينة يُصَلِّي بالناس فهمز فأنكر ذلك أهل المدينة وقالوا: يَنْبَرُ في مسجد النبي بالقرآن، كأنَّه ينشد الشعر))⁽⁶⁾.
فما كان القوم يهمزون إلا حين يلجؤون إلى اللغة النموذجية، بل يضطرون إليه عند قراءة القرآن، فإنكارهم هذا له ما يسوّغه، فهو ليس من طبيعتهم وأدائهم، ثُمَّ إنَّهم ربطوا القرآن بالشعر، والشعر لم يكن سمة للقرشيين إلا على قِلَّة فالعرب على ما يصف القدماء ((كانت تُقرَّر لقریش بالتقدُّم في كلِّ شيء إلا الشعر، فإنَّها كانت لا تُقرَّر لها به))⁽⁷⁾.
بل لم يُسمع عن شاعر جاهلي قرشي فحل، ومقابل ذلك وُجِدَ الشعر في قبائل عربية شمالية وجنوبية حجازية ونجدية⁽⁸⁾، وكان القرشيون يسمعون أداء الشعراء الذين يحضرون إلى مكة في مواسم الحج والأسواق وهم من قبائل شتى على التحقيق⁽⁹⁾، لذا صدرت عنهم هذه المقايسة.
ولعلَّ ما يُعزِّد ذلك ما تُسبِّب إلى الإمام علي (عليه السلام): ((نزل القرآن بلسان قریش وليسوا بأهل نبر - أي همز - ولولا أنَّ جبرئيل نزل بالهمز على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما همزنا))⁽¹⁰⁾

(6) ينظر: اللهجات العربية في التراث/317، إذ اعتمد الجندي على رواية للذهبي كما في الاتفاق، 254/1
(8) ينظر: الفائق، 401/3، والنهاية، 4/5، والمجموع المغيَّب، 250/3، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 9/4 (نبا)

(9) ج 11/ص 29

(10) ينظر: اللسان، 162/1 (نبا)

(11) ينظر: الفائق، 272/3، واللسان، 162/1 (نبا)

(12) ينظر: النهاية، 4/5، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 9/4

(13) الخصائص، 384/1، واللسان، 62/1 (نبا)

(1) بحار الأنوار، 211/89، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 11/4 (نبر)

(2) ينظر: غريب ابن قتيبة، 633/2

(3) ينظر: إتحاف فضلاء البشر/138

(4) المصدر نفسه/59، وينظر: في اللهجات العربية/76، اللهجات العربية في التراث/319

(5) ينظر: اللهجات العربية في التراث/319، واللهجات العربية القديمة: رابين/145

(6) غريب ابن قتيبة، 283/2، وينظر: النهاية، 7/5 (نبر)

(7) وفيات الأعيان لابن خلكان، 538/1، وينظر: طبقات الشعراء، 648/2

(8) ينظر: الأصول، د: تمام حسان/75

(9) ينظر: فقه اللغة، د: علي عبد الواحد وافي/104-114

(10) شرح شافية ابن الحاجب، 32/3، وبحار الأنوار، 211/89، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 11/4 (نبر)



فالإمام يُشير إلى عادةٍ متأصلةٍ عند القرشيين في ترك الهمز وما فارقوها إلا بسلطان الوحي، ونزول القرآن بلسان قریش إنّما يكون على سبيل التغليب، وقد أخذ من ألفاظ قریش بأوفر نصيب، وأخذ من غيرها⁽¹⁾، ولعلّ جريان القرآن على التحقيق ممّا يُفوّي هذه الحقيقة ويُعضّدها. ومن الأمثلة الأخرى:

- حديث معاوية: ((والله لقد منعتني القدرة من ذوي الحنات))، فهي جمع حنة، وهي لغة رديئة، واللغة العالية إحنة على قول الخطابي⁽²⁾، وهي لغة قليلة في الإحنة عند ابن الأثير⁽³⁾ وفي الحديث الآخر: ((لا تجوز شهادة ذوي الظنة والحنة))، عُبِّ على ذلك ابن الأثير قائلاً: ((وهي لغة قليلة في الإحنة وهي على قنّتها قد جاءت في غير موضع من الحديث))⁽⁴⁾.

وقال الزمخشري: ((أحنّ عليه يَحنّ ولعلّ همزتها عن واو فقد جاء وَحَنَ بمعنى ضَعَنَ. قال أبو تراب: قال الفرّاء: وَحَنَ عليه، وأحنّ، أي حَقَد، وعن اللحياني: وَحَنَ عليه وَحْنَةً، أي أحنّ إحنةً))⁽⁵⁾، فالأصل أن يكون هذا الحرف بالهمز على ما ذكر هؤلاء اللغويون، فضلاً على علماء الغريب وغيرهم⁽⁶⁾، والذي جرى هنا أنّ هذا الحرف جاء على حذف الهمزة بقصد التسهيل على عادة القرشيين.

وقد نقدها الأصمعي - كعادته في نقد القليل وغير المقيس - فقد حُكي عنه أنّه قال: ((كنّا نظنّ أنّ الطرماح شيءٌ حتى قال:

واكثره أن يعيب عليّ قومي هجائي الأرذلين ذوي الحنات))⁽⁷⁾

ويبدو أنّ ما صدر عن الأصمعي: ((استرذالٌ منه لَوْحَن وقضاء على الهمز بالأصالة، أو برفض الواو في الاستعمال))⁽⁸⁾، لكنها لغة جرت على لسان الطرماح كما جرت على لسان معاوية وهو القرشي المعروف، إنّ لم يكن الوزن الشعري اضطرّ الطرماح إلى الحذف.

وفي حديث سلمة بن الأكوع: ((أتيت النبي(صلى الله عليه وسلم) وهو على الماء الذي حَلَّيتهم عنه بذِي قَرْدٍ))، هكذا جاء في الرواية غير مهموز، فقلب الهمزة ياء، وليس بالقياس، لأنّ الياء لا تبدل من الهمزة إلا أن يكون ما قبلها مكسوراً، نحو بير وإيلاف، وقد شدّ، قريت في قرأت وليس بالكثير والأصل الهمز⁽⁹⁾، وسلمة هذا ممّن كانوا على اتصال دائم - على ما يظهر من بعض النصوص - بالقرشيين فتبعهم على التسهيل⁽¹⁰⁾.

وقد نسب إبدال الهمزة ياء إلى هذيل، قال أبو عمر الهذلي: ((قد توضيت فلم يهمز وحولها ياء))⁽¹⁾.

وقيل: أنّ الحسن قال لبعض جلسائه: توضّيت، فقل له: أتلحن يا أبا سعيد؟ فقال: إنّها لغة هذيل، وقد ذُكر أنّ هذا الجواب أبين عن فصاحته من الفصاحة نفسها⁽²⁾.

وقد نُسب إلى الإمام علي(عليه السلام):

وفي الأحد البناء لأنّ فيه تَبَدَّى الله في خلق السماء

تَبَدَّى: أي ابتدأ قلبت الهمزة ألفاً⁽³⁾، قال الجوهري: ((وتقول: افعل ذاك باديّ بدّ وباديّ بديّ أي أولاً وأصله الهمز، وإنّما ترك لكثرة الاستعمال))⁽⁴⁾، ومثله قول عبد الله بن رواحة الأنصاري:

(1) ينظر: كتاب اللغات في القرآن/مقدمة المحقق/6

(2) غريب الخطابي، 529/2

(3) النهاية، 28/1 (أحن)

(4) المصدر نفسه، 453/1 (حنة)

(5) الفائق، 26/1

(6) ينظر: الصحاح، 473/5 (أحن)، ولم يذكر الجوهري اللغة الأخرى على وفق منهجه الذي يعتمد على الأصل الشائع والمقيس ويهمل

- غالباً - القليل والناذر من غير المقاس، وينظر: اللسان، 8/13 (أحن)، و444/1 (وحن)

(7) الفائق، 26/1 (أحن)، وشعر الطرماح في ديوانه/35

(8) الفائق، 26/1 (أحن)

(9) النهاية، 421/1 (حلّ)

(10) ينظر: المصدر نفسه، 109/1 (بدا)

(1) اللسان، 22/1

(2) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 329/1

(3) بحار الأنوار، 28/56، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 100/1



باسم الإله وبه بديننا ولو عَبدْنَا غَيْرَهُ شَقَيْنَا (5) .
وأهل المدينة يقولون: بديننا بمعنى بدأنا(6)، وقريب منه قول سعد بن أبي وقاص يوم الشورى:
((الحمد لله بدياً)) (7) .

ويظهر أنَّ ميل القرشيين إلى قلب الهمزة ياء - كما ورد في الأمثلة السالفة - انعكس على بعض القبائل المحيطة أو المتصلة بها ككنانة التي كانت تسكن تهامة بالقرب من مكة(8) ، فمن ذلك قول أبي ذر وهو من كنانة(9) : ((مَنْ لَا يَمُكُّم مِّنْ مِّمْلُوكِكُمْ فَأَطْعِمُوهُ مِمَّا تَأْكُلُونَ)) ، هكذا يروى بالياء منقلبة عن الهمزة، والأصل: لَاءَمَكُمْ(10) .

وكان حَقُّهَا أَنْ تَخَفَّفَ بَيْنَ بَيْنٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَالمَتَوَقَّعُ أَنْ يُسْمَعَ صَوْتُ بَيْنِ الْهَمْزَةِ وَحَرَكَتِهَا وَهِيَ الْفَتْحَةُ لَا مَا ذَكَرَهُ الْمَصْنِفُ هُنَا(11) .

وفي حديث ابن أم مكتوم: ((لِي قَائِدٌ لَا يُلَائِمُنِي)) أي يوافقني ويُساعدني، ذكر ابن الأثير أنَّ الهمزة تَخَفَّفَ فَتَصِيرُ يَاءً، وَرَدَّ الرِّوَايَةَ بِالْوَاوِ (يُلَائِمُنِي) ، فَلَا أَصْلَ لَهَا، وَهُوَ تَحْرِيفٌ مِنَ الرِّوَايَةِ لِأَنَّ الْمُلَاوِمَةَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ اللَّوْمِ(12) .

أشار ابن الأثير هنا إلى ما يحصل من تداخل دلالي في هذا الموضع، وقد نبَّه العلماء - عموماً - قبل ذلك على ما هو أصل شائع ومقيس وإلى ما هو قليل أو نادر، إلا أنَّ ذلك كُلُّهُ وبجميع مستوياته المُشار إليها يُعَبِّرُ عَنْ وَاقِعٍ لُغَوِيٍّ لَا يَصِحُّ إنْكَارُهُ .

وهنا ينبغي الالتفات إلى أنَّ واقع اللغات ومعطياته ممَّ لا يمكن صيرورته في قوالب جاهزة لا يمكن تخطيها، أو حكمه بضوابط أو قواعد صارمة لا يمكن تجاوزها، بل قد يكون الشذوذ فيه هو القاعدة، فاللغوي - هنا - يتعامل مع أناس تهجمُ بهم طباعهم على ما ينطقون، ولذلك يُرَجَّحُ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ لَمْ يَكُنْ مُوَفِّقاً فِي اتِّهَامِهِ الطَّرْمَاحَ بِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْئاً، لِقَوْلِهِ: (الْحِنَاتُ)، لِأَنَّهَا لُغَةٌ نَطَقَهَا عَلَى وَفْقِ طَبْعِهِ وَسَجِيَّتِهِ، وَنَطَقَهَا مَعَاوِيَةُ وَغَيْرُهُ - كَمَا مَرَّ - بِمِثْلِ مَا نَطَقَ الطَّرْمَاحُ، وَلَا نَدْرِي مَا قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ فِي ذَلِكَ؟ وَلَا نَدْرِي رَأْيَهُ فِي مَا أَثَّرَ عَنْ عَلِيٍّ (عليه السلام) أَوْ أَبِي ذَرٍّ وَسَعْدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فَضْلاً عَلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَسَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ !!؟ .

الذي أُرِيدُهُ أَنَّ هَذِهِ اللُّغَاتُ عَبَّرَتْ عَنْ وَاقِعٍ لُغَوِيٍّ تَجَاوَزَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَصْمَعِيُّ أَوْ غَيْرُهُ، وَامْتَدَّتْ جُذُورُهَا إِلَى عَصَرِنَا فَلُغَاتٌ مِثْلُ: ((قَرَيْتُ وَبَدَيْتُ - وَتَوَضَّيْتُ)) نَسْمَعُهَا الْآنَ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَنَاطِقِ الْعِرَاقِ وَخُصُوصاً فِي وَسْطِهِ وَجَنُوبِهِ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي أَدَاءِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَهُوَ أَنَّهُمْ جَرُّوا عَلَى إِمَالَةِ الْفَتْحَةِ قَبْلَ الْيَاءِ تَخْلُصاً مِنَ الْمَزْدُوجِ الْهَابِطِ (- ي) عَلَى وَفْقِ مَا كَانَ يَصْنَعُ التَّمِيمِيُّونَ فِي ظَوَاهِرٍ مِثْلِ الْإِتْبَاعِ وَالْإِمَالَةِ وَالْمُعَاقِبَةِ وَكَسْرِ حَرْفِ الْمُضَارَعَةِ فَمَا أَنَّ تُوجَدُ كَسْرَةٌ فِي الْكَلِمَةِ حَتَّى تُؤَثِّرَ وَفْقَ شُرُوطٍ مُّحَدَّدَةٍ فِي الْحَرَكَاتِ الْآخَرَى(1)، فَكَأَنَّ الَّذِي جَرَى - هُنَا - تَطَوُّرٌ مُّركَّبٌ اسْتَمَدَّ جُذُورَهُ مِنَ اللَّغَتَيْنِ الْحِجَازِيَّةِ وَالتَّمِيمِيَّةِ .

وممَّا يَحْسُنُ ذِكْرُهُ فِي الْمَوْضِعِ قَوْلُ ابْنِ الْأَثِيرِ: ((يُقَالُ: أَوَمَاتُ إِلَيْهِ... وَوَمَاتُ لُغَةٍ فِيهِ وَلَا يُقَالُ أَوْمَيْتَ. وَقَدْ جَاءَتْ فِي الْحَدِيثِ غَيْرُ مَهْمُوزَةٍ عَلَى لُغَةٍ مِنْ قَالَ فِي قَرَأَتْ قَرَيْتَ)) (2) .

لكنها جاءت في الحديث غير مهموزة على ما يذكر ابن الأثير - هنا - ومثلها حديث عليّ ابن الحكم: ((رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) فِي الْمَحْمَلِ يَسْجُدُ عَلَى الْقُرْطَاسِ، وَأَكْثَرَ ذَلِكَ يَوْمِي إِيْمَاءً)) (3) ، وَنَقَلَ الْبَيْهَقِيُّ ذَلِكَ(4) - كَعَادَتِهِ - عَنْ ابْنِ الْأَثِيرِ مُتَابِعاً إِيَّاهُ فِي كُلِّ مَا قَالَ

(4) الصحاح، 198/6، 199 (بدا)، و40/1 (بدا)

(5) ديوانه، 107، وينظر: الصحاح، 199/6، والنهاية، 109/1 (بدا)

(6) الصحاح، 198/6 (بدا)، وينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 100/1 (بدا)

(7) النهاية، 109/1 (بدا)

(8) ينظر: معجم البلدان، 155/1

(9) ينظر: الإصابة، 60/7، وحاشية غريب القاسم، 181/2

(10) النهاية، 221/4 (لأم)

(11) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، 109

(12) النهاية، 220/4، 221، وينظر: اللسان، 531/12 (لأم)

(1) ينظر: لهجة تميم، 129

(2) النهاية، 80/1 (أوما)



وفي ما نقله ابن الأثير شاهدان الأول: أَنَّ (وَمَات) لغة في (أومات) , وجاءت على تسهيل الهمزة الثاني في (أوميت) فالصحيح أَنَّها لغة, وَأَنَّها قيلت, وقد نصَّ هو على ذلك, جاء في (اللسان): ((أُمِيت لغة في أُمَات... قال الفراء أُمى يُومى وومى يَمى مثل أوحى وَوحى))⁽⁵⁾, وفي حديث تميم الداري ((ثم أرفأوا)) عَقَّب ابن الأثير: ((وبعضهم يقول: أرفينا بالياء))⁽⁶⁾. وفي حديث بدر: ((قال أبو جهل: إِنَّ الله تعالى قد أراد بقريش التَّوَلَة)) هي بضم التاء

وفتح الواو: الدَّاهية, وقد تهمز⁽¹⁾, قال ابن الأعرابي: ((التَّوَلَة بالضم والهمز, الداهية قال الفراء: يُقال: جاء فلانٌ بالتَّوَلَة والتَّوَلَة وهما الدَّواهي))⁽²⁾.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا يُوازى فضله ولا يُجبر فَعْدُه))⁽³⁾, قال الجوهري: ((وتقول: هو بإزائه, أي: بحذائه وقد آزيته إذا حاذيته ولا تقل وازيته))⁽⁴⁾, لكن كلام الجوهري لا يمكن قبوله على إطلاقه, قال أبو البختري: ((فوازينا العد وصاففناهم, الموازة المقابلة والمواجهة. قال والأصل فيه الهمزة. يُقال: آزيته إذا حاذيته))⁽⁵⁾, ومنه في حديث صلاة الخوف: ((فوازينا العدو)) أي قابلناهم⁽⁶⁾, هذا فضلاً على ما رُوِيَ عن أمير المؤمنين (عليه السلام) على هذه اللغة وهو سيد الفصحاء⁽⁷⁾, وحديث آخر رواه ابن الأثير: ((فرفع يديه حتى آرتا شحمة أذنيه)) أي حاذتا والإزاء المحاذاة والمقابلة ويُقال فيه: وازتاً⁽⁸⁾, ونقل في موضع آخر أَنَّ غيرَ الجوهري أجازَه على تخفيف الهمزة وقلبها⁽⁹⁾. ومما يدلُّ على قوَّة هذه اللغة جريانها على ألسنة الناس الآن بخلاف اللغة الأولى.

ومن ذلك حديث ابن الحنفية: ((كان يُدَوِّب لَمَّتَه)) أي يمشطها ويضفرُ ذوائبها والقياس يُدَوِّب, لأنَّ عين (ذوابة) همزة ومنه قولهم: غلام مُدَّاب أي له ذُؤابة⁽¹⁰⁾, عَقَّب ابن الأثير على ذلك بقوله: ((لكنه جاء غير مهموز, كما جاء الذوائب على غير قياس))⁽¹¹⁾.

فهو لاء طائفة من القرشيين نطقوا بالتسهيل, لكننا سوف نجد في المورد القادم أَنَّ بعضاً منهم يُحقِّق الهمز, وسيأتى بمشيتته سبحانه وتعالى.

ثانياً: أهل التحقيق من العرب:

وقد ظهر تحقيق الهمز في مناطق أخرى اختلفت عن الأولى, ولنبدأ بما يُنسب إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) كما بدأنا في المورد الأول, والحقيقة أنَّه (صلى الله عليه وآله وسلم) تملَّك تلك اللغة الأنموذجية وسيطر عليها سيطرة تامَّة حتى أضحت له سليقة, لكنَّ العظماء وهو مثلهم وأُسوتهم قد ينزلون - أحياناً - إلى مستوى الناس في خطابهم على قدر مستواهم ولا بُدَّ أنَّه كان يتكلم - أحياناً - بلهجة قريش فهو بين ظهرائهم, وعليه فلا يمكن نسبة أحاديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى هذه الجهة أو تلك, بل هي تنتمي إليها, إجمالاً, فمَّا نُسب إليه على التحقيق:

(3) بحار الأنوار, 91/81

(4) ينظر: غريب الحديث في بحار الانوار, 84/1

(5) اللسان, 415/15 (ومي)

(6) النهاية, 241/2 (رفأ)

(1) النهاية, 200/1, وينظر: اللسان, 80/11 (تول)

(2) اللسان, 76/11 (تأل), وينظر: الصحاح, 439/4 (تول)

(3) بحار الأنوار, 221/18, وغريب الحديث في بحار الانوار, 59/1 (إزاء)

(4) الصحاح, 183/6 (أزا)

(5) اللسان, 391/15 (وزي)

(6) النهاية, 47/1 (إزاء)

(7) ينظر: بحار الأنوار, 222/18, وغريب الحديث في بحار الانوار, 125/4 (وزا)

(8) النهاية, 47/1 (إزاء)

(9) المصدر نفسه, 182/5 (وزا)

(10) الفائق, 19/2 (ذوب)

(11) النهاية, 171/2 (ذوب), وجاءت الرواية في النهاية: (يُدَوِّب أُمّه)



- قال لسعد ابن أبي وقاص وراه يومئ بأصبعيه : ((أَحَدٌ أَحَدٌ)) أراد وَحْدَ , فقلب الواو همزة , كما قيل أَحَدٌ وَأَحَادٌ وإحدى, فقد تَلَعَّبَ بها القلب مضمومة ومكسورة ومفتوحة⁽¹⁾ .
الأحد الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر, وهو اسم بُنِيَ لنفي ما يذكر معه من العدد تقول: ما جاءني أحد, والهمزة بدل من الواو وأصله وَحْدٌ, لَأَنَّهُ من الْوَحْدَةِ⁽²⁾ .
وحكى الفراء عن بعض الأعراب: مَعِيَ عَشْرَةٌ فَأَجَدْتُ, أي صَيَّرْتُ أَحَدَ عَشَرَ وفي الحديث - يعني هذا الذي نُسِبَ إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) - قال لرجلٍ أشار بسبَابَتَيْهِ في التشهد: ((أَحَدٌ أَحَدٌ))⁽³⁾ . وأستأحد الرجل: إنفرد وما استأحد بهذا الأمر: لم يُشعر به يمانية⁽⁴⁾ .
و(أَحَدٌ) وصف لاسمه سبحانه على قول بعض العلماء فلا يوصف بالأحدية غيره, فلا يُقال: رجل أحد ولا درهم أحد, كما يُقال: رجل وَحْدٌ أي فرد, ولذلك جاء اختياره(صلى الله عليه وآله وسلم) لهذا الوصف, فقال للمخاطب: (أَحَدٌ) ولم يقل(وَحْدٌ) كما جرى عند الناس وإلى الآن في مثل هذا. ((لأنَّ أحدًا صفة من صفات الله عز وجل التي استخلصها لنفسه ولا يشركه فيها شيء, وليس كقولك: الله واحد وهذا شيء واحد, ولا يُقال شيء أحد))⁽⁵⁾ .
إلا أنَّ بعض اللغويين ممَّن قال إنَّ الأصل في الأحد وَحْدٌ أشار إلى شيء من التطور الدلالي الذي حصل في معنى هذا الحرف. قال اللحياني: ((قال الكسائي: ما أنت من الأحد أي من الناس وأتشد:

وليس يَطْلُبُنِي في أمر غائية إلا كعمرو, وما عمرو من الأحد))⁽⁶⁾
ومن أمثلة الهمز أيضاً قوله(صلى الله عليه وآله وسلم) لأسمامة لما أرسله إلى الروم: ((أَغِرْ على ابني صباحاً)) قيل هو اسم موضع من فلسطين بين عسقلان والرملة, ويُقال لها(يُنَى) بالياء⁽⁷⁾ .
ومن ذلك في حديث لقمان بن عاد قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ((ثم قال لقمان بن عاد... إذا أنضجْتُ لا أَجْلَنْظِيء)) , قال ابن قتيبة: ((المُجْلَنْظِيء هو الذي يستلقي على ظهره ويرفع رجليه. يُقال: أَجْلَنْظَات بالهمز وأَجْلَنْظِيء بلا همز. ومثله في التقدير: احبْنَطَات واحبْنَطِيء))⁽⁸⁾
وكلُّ ذلك يعرِّز ما ذهب إليه الباحث من أنَّ لغته(صلى الله عليه وآله وسلم) أكبر من أن تُنسب إلى هذا الفريق أو ذاك, فصفا الهمز هذه على ما ظهر كانت سليقة له(صلى الله عليه وآله وسلم) في الوقت الذي كانت تكلفاً لكثير ممَّن عاش بين ظهرانيهم ممَّن لا ينبرون من قريش.

ومثل ذلك في دعاء علي(عليه السلام): ((فلك مولاي انقاد الخلق مُستخذنين بإقرار الربوبية))⁽¹⁾
خذيء له وَحْدًا له...خَضَعَ وانقاد له وكذلك استخذأت له, وترك الهمز فيه لغة⁽²⁾ .
وفي (الصحاح): ((واستخذيت: خضعت. وقد يهمز, وقيل لأعرابي في مجلس أبي زيد: كيف تقول استخذأت؟ ليتعرَّف منه الهمز, فقال: العرب لا تستخذِيء, وهمز))⁽³⁾ , والرواية في (اللسان): ((كيف استخذأت))⁽⁴⁾ .

(1) الفائق, 26/1, وينظر: النهاية, 27/1(أحد)

(2) اللسان, 70/3(أحد)

(3) الصحاح, 5/2, وينظر: اللسان, 71/3(أحد)

(4) اللسان, 71/3(أحد)

(5) المصدر نفسه, 451/3(وحد)

(6) نفسه

(7) النهاية, 17/1, 18, وينظر: اللسان, 6/13(ابن), و455/1(بين)

(8) غريب ابن قتيبة, 528-527/1

(1) بحار الأنوار, 141/87, وغريب الحديث في بحار الأنوار, 400/1(خذا)

(2) اللسان, 64/1(خذا)

(3) ج267/6(خذا), وينظر: اللسان, 64/1(خذا), والرواية فيه(كيف تقول استخذيت)

(4) ج14/ص225



ونُقل لنا البيرجندي عن (البحار) رواية للإمام (عليه السلام) بالتسهيل هي: ((ذَلَّ (أي الماء) مُستخدِياً إذ تمَعَّت عليه بكواهلها))⁽⁵⁾.

ومثلها عن النخعي: ((إذا كان الشَّقُّ أو الخَذَا في أذن الأُضحِيَّة...))، عقب الزمخشري على ذلك قائلاً: ((وهو استرخاء الأذن وانكسارها ولائمه واو لقولهم: خذوا))⁽⁶⁾.

والنخع قبيلة من الأزد، وقيل: قبيلة من اليمن رهط إبراهيم النخعي⁽⁷⁾، وقيل قبيلة من مذبح معروفة⁽⁸⁾، والراجح أنها من مذبح على ما يصف الهمداني لسرو مذبح ومناطق من النخع⁽⁹⁾، وهي المناطق المستقرة في اليمن⁽¹⁰⁾. فحالها كحال قريش إذا في تسهيل الهمز.

وممن همز من القرشيين عمر (رضي الله عنه) قال: ((فِيمَ الرَّمْلَانِ وقد أَطَأَ اللهَ الإسلام)) أي ثبته وأرساه والهمزة فيه بدل من واو (وطأ)⁽¹¹⁾.

قال ابن منظور: ((وقد أوطأ ووطأ، فأطأ على بدل الهمزة من الواو كوناة وأناة))⁽¹²⁾. والهمز هنا لغة قليلة على ما يظهر من مراجعة اللغويين، فلقد أهمل الجوهري الهمز بالمادة وذكرها ابن منظور عَرَضاً في مادة (وطأ)⁽¹³⁾.

ونسب الزمخشري هذه اللغة إلى بني قيس في الحديث: ((حين غاب الشَّفَق وانتطى العشاء)) قال: ((هو من قول بني قيس: لم يَأْتِ السَّعَر بعد... وقد انتطى يأتطى كانتلى يأتلي، وهؤلاء يقولون: ما أطاني على كذا، أي ما ساعفني ولو أطاني لفعلت كذا))⁽¹⁴⁾. وروي قول كُثِير عَزَّة:

فَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ شَعْبِي إِلَى بَدَا
إِلَيَّ وَأُوطَانِي بِلَادَ سِوَاهُمَا

وأطاني بلاد، بمعنى ووافقني بلاد⁽¹⁾. وسَوَّغ الزمخشري قولهم: (إيتطأ) بأنه: ((لما قيل إطاء في وطاء، نحو إعاء في وعاء، وأطاني في وأطاني نحو أحد وأناة في وَحد ووناة شيعوا ذلك بقولهم: إيتطأ))⁽²⁾.

فأمَّا قيس فمن جملة القبائل التي تحقَّق الهمز، على ما يذكر ابن جني في (المحتسب) في سورة البقرة الآية (16) من أنهم يقولون: «اشْتَرَوْا الضَّلَكَةَ».

والراجح أنَّ قول كُثِير جاء على التخفيف، فهو من خزاعة وهي على ما يبدو تخفف الهمز فلقد نُقِلَ أنَّ كُثِيرًا أنشد:

لَا أَنْزُرُ النَّائِلَ الْخَلِيلَ إِذَا
مَا اعْتَلَّ نَزْرُ الظَّوُورِ لَمْ تَرَمْ⁽³⁾

فقال له بعض من سمعه لحن، قال: في أي شيء؟ قال: في قولك: ((...لم ترم)) وأصله (ترأم) بالهمز، فقال: اسكت: هذا كلام قومي⁽⁴⁾. ويظهر - أيضاً - أنَّ بني نُمَيْرَ مَمَّنْ يهمزون، ففي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه: ((...كان يكتحل من قبل مَوْقِهِ مَرَّةً وَمَاقِيهِ مَرَّةً))، نقل الزمخشري عن أبي الدقيش: ((مَوْقُ العين مؤخرها ومَاقِيها مُقدِّمها)) وكلاهما يصلح أن يكون واحد المَاقِي عند الأصمعي ومن ذلك حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنَّه كان يمسح المَاقِيَيْنِ)) وقال أبو حيَّة النميري:

(5) بحار الأنوار، 111/54، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 400/1 (خذا)

(6) الفائق، 359/1 (خذا)

(7) اللسان، 349/8 (نخع)

(8) ينظر: صفة جزيرة العرب/175

(9) المصدر نفسه/175-178

(10) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/32

(11) النهاية، 53/1

(12) اللسان، 200/1 (وطأ)

(13) المصدر نفسه

(14) الفائق، 69/4 (وطأ)

(1) الفائق، 69/4 (وطأ)، وينظر: ديوان الشاعر/324، ومغني اللبيب، 215/1

(2) الفائق، 69/4 (وطأ)

(3) ديوانه/350

(4) ينظر: شرح السيرافي على سيبويه، 272/1، واللسان، 204/5 (نزر)، واللهجات العربية في التراث، 318/1، 319



إذا قلتَ يفنى ماؤها اليوم أصبحت غداً وهي رياء المأقيين نضوح⁽⁵⁾

تعقيب:-

وجدنا في ما مضى أنَّ بعض القبائل العربية تميل إلى تحقيق الهمز وأخرى آثرت تخفيفه إلا أنَّ اللافت أنَّ بعضاً ممن ينتسبون إلى هذه القبيلة أو تلك جروا في نطقهم على خلاف ما عُرفت به قبائلهم وكان ذلك عند القرشيين أكثر من غيرهم فقد ذُكر أنَّ عمر (رضي الله عنه) حَقَّق الهمز في قوله: ((فيم الرملان وقد أظأ الله الإسلام))، وكان الأقرب أن يسمع منه (وطأ) تساوقاً مع بينته، ويبدو أنَّ اختيار هذه اللغة جاء على طريقة بعض القرشيين في المبالغة بتحقيق الهمز محاكاة للغة القرآن، ومثله حديثه الآخر لخالده: ((وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار)) يعني خلقها الذين خُلِّقوا لها ويروى: ((ذرؤ النار بالواو))⁽⁶⁾، إذ جاء اقتباساً ومصدقاً لقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا

من الجن والإنس﴾⁽⁷⁾.

ومما يمكن حمله على محاكاة الأسلوب القرآني قول عبد الرحمن بن عوف: ((عَبَّأْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَبَدْرٍ لَيْلًا))، يُقال: عَبَّأْتَهُمْ... وقد يُترك الهمز، فيُقال: عَبَّيْتَهُمْ تعبئةً: أي

رَبَّيْتَهُمْ في مواضعهم وهيأتهم للحرب⁽¹⁾.

فالمُتَوَقَّع أن يقع الاختيار على التسهيل تساوقاً مع بينته القرشية، وكان يونس: لا يهمز تعبئة الجيش⁽²⁾. قال: ((عَبَّيْتُ الْجِيْشَ تَعْبِيَةً... إِذَا هَيَّأْتَهُ فِي مَوَاضِعِهِ))⁽³⁾. أما أبو زيد: فيرى ذلك كله من كلام العرب، قال: ((وَعَبَّأْتُ الْخَيْلَ تَعْبَةً وَتَعْبِيًّا))⁽⁴⁾.

فلقد سَمِعَ العلماء - على ما يبدو - كلتا اللغتين من العرب، وإن وقع اختيار يونس على التسهيل في ما تضمنه حديث ابن عوف، فلربما استعصم المتكلم بهذه اللغة واستهواها تاركاً اللغة الأخرى وهي الأقرب إلى طبعه، تقليداً واتباعاً للأوّل.

ومما حمله العلماء على أغلاط العرب في هذا المورد قولهم: ((حَلَّاتُ السَّوَيْقِ وَرَثَاتُ زَوْجِي بِأَبْيَاتٍ وَاسْتَلَامَتِ الْحَجْرَ وَلَبَّاتٍ بِالْحَجِّ))⁽⁵⁾.

إلا أنَّ ذلك لغات وإن خرج على قياس اللغويين، جاء في (اللسان): ((وَحَلَّى الشَّيْءَ وَحَلَّاهُ كَلَاهِمًا: جَعَلَهُ ذَا حَلَاوَةٍ، هَمْزُوهَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ. اللَّيْثُ: تَقُولُ: حَلَّيْتُ السَّوَيْقَ، قَالَ وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ هَمْزُهُ فَقَالَ: حَلَّاتُ السَّوَيْقِ، قَالَ: وَهَذَا مِنْهُمْ غَلَطٌ))⁽⁶⁾، و((وَرَثَاتُ الرَّجُلِ رَثًا: مَدَحَتْهُ بَعْدَ مَوْتِهِ لُغَةً فِي رَثِيَّتِهِ، وَرَثَاتُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا، كَذَلِكَ... وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: رَثَاتُ زَوْجِي بِأَبْيَاتٍ، وَهَمْزَتْ، أَرَادَتْ رَثِيَّتَهُ))⁽⁷⁾... ومثلهما: استلأمت⁽⁸⁾، ولبأت⁽⁹⁾.

ومن ذلك في حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((...أَيَنْ مَا تَحَاوَتْ عَلَيْكَ الْفُضُولُ))، التحاوي...الجمع، إذ رواه بعضهم: (تحاوت)، قال الزمخشري معقباً: ((فَوَجَّهَهُ إِنْ صَحَّتْ رَوَايَتُهُ أَنَّ يَكُونُ فِي الشَّدُوذِ كَقَوْلِهِمْ: حَلَّاتُ السَّوَيْقِ وَلَبَّاتٍ فِي الْحَجِّ))⁽¹⁰⁾.

(5) ينظر: غريب الخطابي، 145/1، 146، والفائق، 341/3 (مأق)، وأخرج الحديث أبو داود، 33/2، وابن ماجه، 152/1 وأحمد، 268/5

(6) النهاية، 156/2 (ذرأ)

(7) الأعراف، 179

(1) النهاية، 168/3 (عبأ)

(2) الصحاح، 87/1، وينظر: العباب الهمزة، 133 (عبأ)

(3) الصحاح، 405/6، واللسان، 26/15 (عبأ)، وينظر: العباب الهمزة، 133

(4) الصحاح، 86/6، وينظر: العباب الهمزة، 133 (عبأ)، واللسان، 26/15 (عبأ)

(5) الخصائص، 282/3

(6) اللسان، 192/14 (حلا)

(7) المصدر نفسه، 83/1 (رثأ)

(8) نفسه، 297/12، 298 (سلم)

(9) ينظر: الصحاح، 493/6 (لبي)

(10) الفائق، 328/1 (حوى)



وقد ذكر الفراء هذه الأحرف مُقارباً إياها مع قراءة الحسن البصري: ((ولا أدركتم به))⁽¹¹⁾, قال: ((فإن يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت, ففعل الحسن ذهب إليها... وربما غلطت العرب في الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز, سمعت امرأة من طيء تقول: رثأت زوجي بأبيات... ذهبت إلى رثينة اللبن...)), وفسر بقية الألفاظ بما ضارعه⁽¹²⁾. ومما يتصل بذلك ويحسن ذكره - هنا - أن لتحقيق الهمزة مراحل تصاعدية, ولتسهيلها مراحل تنازلية⁽¹⁾.

وإن: ((تحقيقها هو الأصل كسائر الحروف والتخفيف استحسان))⁽²⁾.
والمراحل التصاعدية في تحقيقها هي:-

أ - أن تجري على النطق المؤلف كما في كثير من الأمثلة السابقة ونحو: فأس, مؤصدة, بئر.
ب - أن ينطق بها شبيهة بالعين⁽³⁾. جاء في (الجمهرة): ((ويقال: كعصنا عند فلان ما شئنا وكأصنا أي أكلنا, قال أبو حاتم: هي همزة فُلبت عيناً, لأن بني تميم ومن يليهم يُحقِّقون الهمزة حتى تصير عيناً وذلك قولهم: عني في معنى أني, قال الشاعر ذو الرمة:
أعن ترسمت...))⁽⁴⁾

ويمكن أن يحمل عليه قولهم: صدأ حديد وصدع حديد⁽⁵⁾, عُربان وعُربون وأُربان أُرَبون⁽⁶⁾
ت - وهناك مستوى من تحقيق الهمز بأن ينطق بها شبيهة بالحاء, ففي حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((كان (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا رَفَأَ رجلاً قال: بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَارَكَ فِيكَ, وجمع بينكم في خير)) وروي: (رَفَحَ عَقَبَ الزمخشري على ذلك فقال: ((ولما قيل لكل من يدعو للمتزوج بأي دعوة دعا بها: قد رَفَأَ, تصرفوا فيه بقلب همزته حاء, وإذا كانوا ممن يقبلون اللام في قائلته عيناً فهم بهذا القلب أخلق))⁽⁷⁾.

بل نقل ابن الأثير الحديث برواية الحاء: ((كان إذا رَفَحَ إنساناً قال: بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ)), ثم قال: ((أراد رَفَأً... فأبدل الهمزة حاء))⁽⁸⁾.
فأما المراحل التنازلية في التسهيل فهي⁽⁹⁾:-

أ - سقوطها من الكلام:- كما في: حِنَّةٌ في إحنَةٍ, وومأت في أومأت, وقد مرّت.
ب - ثم قلبها إلى حرف مدٍّ, ومن ذلك, قال ابن قتيبة: ((الأرندج: جلود سودّ, وفيها لغة أخرى يرندج))⁽¹⁰⁾, وفي الحديث: ((في الجنة أنجوج يتأجج من غير وقود)), قال الزمخشري: ((هو العود الذكي... وقد ذكر سيبويه فيه ثلاث لغات ألنجج وألنجوج ويلنجوج))⁽¹¹⁾.
وفي حديث ابن مسعود: ((قال له رجل: كيف تقرأ هذه الآية, من ماءٍ غير آسن أو ياسن))⁽¹²⁾

ت - تسهيلها بما يُسمّى بين بين :- وهي الهمزة المتحركة الواقعة بعد ألف أو فتحة, وتتنطق عندهم صوتاً بين الهمزة وبين صوت حركتها, ويجعلون حركة الهمزة سهلة بحيث تبدو ساكنة, فينطقون بصوتٍ يسمع بين الهمزة والألف إن كانت مفتوحة مثل: تساءل, وبينها وبين الياء إن كانت مكسورة مثل: دعائم⁽¹⁾. وليس من اليسير وصف التكييف الصوتي لهذه الحالة وصفاً علمياً مؤكداً

(11) من الآية 16/سورة يونس

(12) معاني القرآن, 459/1

(1) ينظر: في اللهجات العربية/111, 112

(2) شرح الشافية للرضي, 32/3, وينظر: شرح المفصل, 107/9

(3) ينظر: في اللهجات العربية/112

(4) الجمهرة, 76/3, وينظر: النهاية, 314/3 (عن), وشعر ذي الرمة في ديوانه/128 وقد ورد بتمامه 152/ من هذه الأطروحة

(5) ينظر: الفائق, 129/2 (صدأ)

(6) ينظر: غريب ابن قتيبة, 197/1

(7) الفائق, 70/2 (رفأ)

(8) النهاية, 241/2 (رفج)

(9) ينظر: في اللهجات العربية/109

(10) غريب ابن قتيبة, 293/2

(11) الفائق, 305/3 (لجج), وينظر: غريب الحديث في بحار الانوار, 70/1 (ألنجوج)

(12) النهاية, 49/1 (أسن), والآية (15) من سورة محمد

(1) ينظر: الكتاب, 541/3, 542, وفي البحث الصوتي عند العرب/32, 33, والأصوات اللغوية/78, 79



عند الدكتور إبراهيم أنيس، إلا أنه يخلص بعد سماعه لبعض القراء إلى أنها عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام تاركة حركة وراءها والذي يسمع حينئذ لا يمت إلى الهمزة بصله بل هو صوت لين قصير يُسمى عادة حركة الهمزة من فتحة أو ضمة أو كسرة⁽²⁾.

وقد عرض الدكتور جواد كاظم عناد جملة من آراء القدماء والمحدثين بما يُغني عن إعادتها في هذا الموضوع، ثم خلص إلى أن حقيقة هذا الصوت هي ((حالة وسطى أو انتقالية بين المصوتات والهاء وهو في ما يظهر ذو صفة حيادية وغامضة عندما يكون بمعزل عن تشكيل معين غير أن هذا الحياء ينتهي عند دخوله في هذا التشكيل إذ يتخذ له صوراً عدة على وفقه، فنجد مَرَّة يشبه الفتحة وأخرى يشبه الضمة وثالثة يشبه الكسرة))⁽³⁾.

ومن أمثلة ذلك في كتب غريب الحديث:-

- في الحديث: ((إنه كان يتفاعل ولا يتطير))، الفأل في ما يَسِر ويسوء... يُقال: تفاعلْتُ بكذا وتَفألْتُ على التخفيف والقلب، وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً⁽⁴⁾. والذي يبدو أن نطق الهمزة بعد تسهيلها على ما يصف ابن الأثير هو صوت بين الهمزة والألف في هذا المثال.

- وفي الحديث الآخر المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه أتى بأسير يُوعك، فقال لقوم: ((اذهبوا فادفئوه، فذهبوا به فقتلوه فوداه رسول الله))، ذكر الزمخشري وابن الأثير أن الإدفاء من الدَفء، فحسبوه الإدفاء بمعنى القتل في لغة أهل اليمن، وأراد (صلى الله عليه وآله وسلم): ادفئوه بالهمز فخففه بحذف الهمزة، وهو تخفيف شاذ⁽⁵⁾ وعقب ابن الأثير ذلك قائلاً: ((فاركتب الشذوذ لأن الهمز ليس من لغة قريش))⁽⁶⁾.

وقبل الوقوف على الشاهد في هذا الحديث، يجب أن نكون على حذر شديد ممَّا زعمه المصنِّفان في هذا الحديث وللباحث جملة ملاحظات فمن ذلك، كيف تَسْنَى للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يرتكب مثل هذا الشذوذ ويقع في المحذور مع ما عُرف عنه من دقَّة وضبطٍ وتحري في أقواله وأفعاله وخطاباته وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعرف مواقع الخطاب ويكلم الناس بما يفهمون وعلى قدر مستواهم اللغوي، وابن الأثير نفسه كان أكثر علماء الغريب تأكيداً على هذا المعنى ولا ندري من هؤلاء الذي أرسلهم للاهتمام بهذا الأسير على التحديد، أليس من المفترض أن يكون للقائد أتباع يعرفون ما يُريد ويُعتمد عليهم في مثل هذه المواقف، ويكونون غالباً من بيئته، والأهم من ذلك كله أن الهمز كان له سليقة - كما مر في هذا المورد - فكيف يرتكب مثل هذا الشذوذ المخالف للغة الوحي؟ ثم أننا لا نجد لهذا الحديث أصلاً في كثير من الصحاح فضلاً على مصنفات الغريب سوى الفائق والنهاية.

قال الدكتور أنيس: ((ولكنَّا نتردّد قليلاً أمام هذه الرواية ونسائل أنفسنا أكان (صلى الله عليه وسلم) يلجأ أحياناً إلى الحديث بلهجات الخطاب أم كان يلتزم في كلامه تلك اللغة الإنموزجية التي ألفناها في الآثار الأدبية والقرآن الكريم؟ يبدو أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يسمو بكلامه فوق المستوى العام لقومه، فقد أتى من الفصاحة في القول والبلاغة في الأسلوب ما لم يؤت غيره... وكان مزوداً بفيض رباني جعله أقدر العرب على التعبير بما شاء تعبيراً سامياً... فقد سيطر على اللغة الإنموزجية... حتى أصبحت له وحده لغة سليقة لا يعمد إليها ولا يتكلّف القول بها... فكيف مع هذا يروى عنه أنه (صلى الله عليه وسلم) قد نطق بقول فيه صفة من صفات لهجة قومه وهي تسهيل الهمز؟ ... ولكن العظماء ينزلون - أحياناً - إلى مستوى الناس في خطابهم ويتبسطن معهم في الحديث... وهو ما كان يقوم به (صلى الله عليه وسلم) في القليل من الأحيان، حين يفد إليه جماعة من

(2) الأصوات اللغوية/79

(3) الهمزة بين بين، د: جواد كاظم عناد/125-126، وللإستزادة والإفادة ينظر: هذا البحث بهذا العنوان/مجلة القادسية، مجلد2، ملحق بالعدد 2، شباط، 1997

(4) ينظر: النهاية 405/3 (فأل)

(5) ينظر: الفائق 428/1، وغريب ابن الجوزي 341/1، والنهاية 124/3 (دفاً)

(6) النهاية، 124/3 (دفاً)



البدو ليكلموه... فإذا تصوّرنا أنّ الذين أتوا له بالأسير كانوا من العامة وأنه (صلى الله عليه وسلم) رأى أن يخاطبهم على قدر مستواهم , فكيف تأتّى أن يخاطبهم وهم من اليمين على رأي قوم أو من جهينة على رأي آخرين بصفة من صفات لهجة قريش؟! (1) .

فلا يمكن للنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يرتكب مثل هذا الشذوذ الذي يؤدي إلى مثل هذا العدول الدلالي, فيقلب المعنى إلى ضده. ومما يُعزّز ذلك أن الهروي الأول نسب هذا الحديث إلى خالد بن الوليد ثم ذكر أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودّى هذا القتل (2) .

قال الزمخشري: ((وتخفيفه القياسي أن تجعل الهمزة بين بين)) (3) , لا أن تحذف (4) .
- وقال الزمخشري في قول الفرزدق:

... فارعي فزاره لا هناك المرتع,

((أنهم قلبوا الهمزة التي لام ألفاً - في هنا - فليس بقياس, إنما هو تخفيف شاذ, وتخفيفه القياسي أن تجعل الهمزة بين بين)) (1) .

ومما يمكن أن يكون قريباً من ذلك في حديث ابن أم مكتوم: ((لي قائد لا يلائمني)) أي لا يوافقني. وقد تحفّفتصير ياء (2) .

قد يكون المسموع صوتاً بين الهمزة والياء, يُسمّى عادة حركة الهمزة, وهو صوت لين, لا يمت إلى الهمزة بصلّة, وحركة الهمزة هنا الكسرة فأشتبهت الحالة على السامع فلم تكن من وسيلة للتعبير عنها إلا هذه الياء (3) .

خلاصة في سبب التحقيق أو التخفيف:

ذكرت - سلفاً - آراء بعض القدماء في سبب إثارة التخفيف عند بعض العرب, فكان نوعاً من الاستحسان, لنقل الهمزة, فأما التحقيق الذي أثره آخرون, فلأنّ الهمزة حرف فوجب الاتيان به كغيره من الحروف (4) . وذكر ابن سيده أنّ شيوع إبدال الهمزة لشبهها بحروف العلة من جهات الحذف وجعلها بين بين وقلبها على حركة ما قبلها, ومن أجل أنّها من أقصى الحلق فإذا أبدلت أو لا جرى اللسان إلى جهة القدام, فهذا يطرد عليه الإبدال, فلاجتماع الشيين من مناسبة حروف العلة وأنّها من أقصى الحلق يستمر بها اللسان لإخراج الحرف جاز أن تبدل من غيرها (5) .

وأما المحدثون فقد عالجوا هذه الظاهرة مُتَكَيِّين على مسألتين هما لإثارة بعض القبائل العربية لمقطع معين من الكلمات واختيار نوع من النبر على ما سيذكر إن شاء الله .

فأما المقطع فهو عبارة عن حركة قصيرة أو طويلة مكتنفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة (6) .

ويمكن تقسيم المقاطع بسبب الطول إلى نوعين:

- أ - مقطع قصير: مكون من: صوت صامت + حركة قصيرة نحو (ق), أو (ت), أو (ل) .
 - ب - مقطع طويل: وهو الذي ينتهي أما بحركة طويلة نحو (با), أو (بي), أو (بو) أو بصوت صامت من نحو: (عَن) أو (قَد).
- والصفة الأساس الثانية التي تختلف فيها المقاطع هي نوع الصوت اللغوي الموجود في نهاية المقطع إذ يمكن تقسيم المقاطع إلى نوعين وفقاً لهذه النهاية .

(1) في اللهجات العربية 113/114, وينظر: ملايسات القصة في اللسان, 76/1, 77, و264/14 (دفا), ولهجة قريش/250, 251

(2) غريب القاسم, 32/4-33

(3) الفائق, 428/1 (دفا)

(4) النهاية, 123/2, واللسان, 76/1 ((دفا))

(1) الفائق, 428/1 (دفا), و369/3 (وط), وينظر: المخصص, 14/14, واللسان, 184/1

(2) النهاية, 220/4 (لام)

(3) ينظر: الأصوات اللغوية/79, والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث, د: عبد الصبور شاهين/98

(4) ينظر: 183-189 من هذا الفصل

(5) المخصص, 568/13, وللإستزادة يمكن الرجوع إلى ما نقل عن القدماء في هذه الظاهرة, في هذا المبحث فضلاً على ما ذكره الدكتور

عبد الغفار حامد هلال في كتابه (اللهجات العربية نشأة وتطوراً) 210-227

(6) موسيقا الشعر, د: إبراهيم أنيس/46, وينظر: الأصوات اللغوية/131-138



أ - المقطع المفتوح: وهو الذي ينتهي بحركة طويلة أو قصيرة .
ب - المقطع المغلق: وهو الذي ينتهي بصوت ساكن . ويظهر - مما سبق - أنَّ المقاطع القصيرة تكون دائماً مفتوحة . وأنَّ المقاطع المغلقة تكون دائماً مقاطع طويلة⁽¹⁾ .

فأما النبر لغة: فهو الضغط، ومنه قيل للهمز النبر لأنه ضغط أيضاً⁽²⁾ . واصطلاحاً: هو ضغط المتكلم على مقطع معين من مقاطع الكلمة ، بحيث يتميز عن غيره من المقاطع ويزداد وضوحه في السمع⁽³⁾ .

فالطريقة الأكثر دقة - في رأي بعض المحدثين - في دراسة نظم النبر في العربية إنما تأتي من خلال دراستنا لأنظمة المقاطع والنبر في اللغات العربية عن طريق الصيغ والأساليب والظواهر اللغوية الخاصة بهذه اللغات، وعليه يمكن تسويق ظواهر مثل التخفيف، والإدغام، والإتمام، والهمز⁽⁴⁾ .

ولعلَّ من الحقائق المشهورة أنَّ الهمز كان خاصّة من خصائص القبائل البدوية التي انتشرت في وسط الجزيرة وشرقها، وأنَّ عدم الهمز خاصّة حضرية، وصفت بها قبائل شمال الجزيرة وغربها، ولا يمكن قبول هذا الكلام على إطلاقه بل رأينا خروجاً واسعاً في ما صدر من أمثلة ذُكرت في ما مضى .

ولمّا كانت القبائل البدوية تميل إلى السرعة في النطق وتتوخّى أيسر السبل إلى هذه السرعة، لجأت إلى تحقيق الهمز للتخفيف من هذه السرعة، لذلك نبر البدوي في موضع الهمزة، لضرورة انتظام الإيقاع النطقي، وحتمية الإبانة عمّا يريد من نطقه لمجموعة من المقاطع المتتابعة السريعة الانطلاق على لسانه فموقع النبر في نطقه كان غالباً أظهر المقاطع لذلك منحه كل ضغطه واهتمامه .

أمّا القبائل الحضرية فعلى خلاف ذلك كانت متأنية في نطقها متندة في أدائها، فلم تكن بها حاجة إلى توخّي المزيد من مظاهر الأنأة، فأهملت الهمز - تقريباً - أي المبالغة في النبر والتوتر، واستعاضت عن ذلك بوسائل التسهيل، والتخفيف، والتلين، والإبدال، والإسقاط⁽⁵⁾ .

إنَّ أسباب النبر في موضع معين، والميل إلى نسيج مقطعي بعينه يرجع إلى أسباب بيئية ونفسية وليس لأسباب لغوية، ولهذا أثرت بعض اللهجات العربية نسجاً مقطعياً خاصاً ونبراً معيناً على اختلاف بيئاتها⁽⁶⁾ .

ويرى بعض المحدثين أنَّ القبائل الهامزة مالت إلى ما يُسمونه بالنبر التوتري أو (نبر ارتفاع في الصوت) وينشأ عن حبسة حنجرية ينحصر فيها الهواء في الحنجرة، أثر توتر أعضاء النطق ثم يخرج هذا الهواء على هيئة انفجار عند أداء الهمز، ويكون عند البدو بالضغط على بعض المقاطع ولا سيما على المقطع الأول، وتبعاً لذلك فسروا ميل اللفظة البدوية إلى أن يكون هذا المقطع مقطعاً مغلقاً، ثم أنَّ الضغط على المقطع الأول وعدم الضغط على المقاطع الأخيرة يوضح لهم حقيقة الأداء السريع لهذه اللغات البدوية⁽¹⁾ .

لكن افتراض هذا قد يكون عند تصور الكلمة بمعزل عن سياقها في التركيب، لأنَّ موقع النبر يختلف بمجرد اتصال هذه الصيغة أو تلك بلاحةً، فضلاً على وقوعها في الجمل أو المجموعات الكلامية، فيقع على غير المقتضيات الصرفية البحتة⁽²⁾ .

وتبعاً للمقتضى الصرفي يمكن - مثلاً - تفسير عنعنة تميم في قلب الهمزة المبدوء بها عيناً في مثل: أن وأن (عربان) في (أربان) فلم تحدث العننة إلا في موضع النبر فلما بولغ في الضغط

(1) لهجة تميم 200، وينظر: الأصوات اللغوية/131-138

(2) اللسان، 189/5 (نبر)

(3) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: كانتينو/194، واللغة العربية معناها ومبناها/170، والأصوات اللغوية/139

(4) وقد فسّر بعض المحدثين الإدغام وتحديداً في المضارع المنجزم وفعل الأمر على أساس المقاطع، ينظر: لهجة تميم/204-205

(5) ينظر: في اللهجات العربية/66، والقراءات القرآنية، د: شاهين/30

(6) ينظر: لهجة تميم/215

(1) ينظر: القراءات القرآنية/30، 109، ولهجة تميم/217

(2) ينظر: دراسات في اللسانيات العربية، د: عبد الحميد السيد/50



انقلبت الهمزة إلى ما يوافقها وهو العين⁽³⁾ . ولعلَّ ذلك يُفسَّر - أيضاً - النبر في نحو(أحد ووحْد) - و(أطًا ووطًا) - و(أناة ووناة) اكتفاءً بالهمز دون المبالغة، والأقرب عند المحدثين أن إثثار ذلك كان ميلاً إلى الجهر بالأصوات لجعلها واضحة في السمع.

أما في نحو(صدَّع في صدًا) و(كعص في كأص)، فالنبر الذي بلغ العنونة طرأ على نهاية المقطع ويبدو أن الهدف في كلِّ هذا وذاك هو الجهر بالصوت طلباً لوضوحه في السمع في أي موقع من الكلمة.

ومما أثر عن بعض نمير قولهم(مأق) وغيرهم(ماق) و(مُوق) في(مُوق)، فيظهر أن هؤلاء مثل بني تميم الذين حقَّقوا الهمزة في مثل هذا الموقع من(فَعَل) و(فَعْلَه) إذا كان موضع العين ألفاً ساكنة ما قبلها مفتوح أو واواً ساكنة ما قبلها مضموم على ما يفهم من كلام ابن دريد في هذا الموضع⁽⁴⁾ . وهذا يوضِّح حقيقة صوتية هي أنَّهم تعوَّدوا على أن يضغطوا هذا المكان ضغطاً قوياً نتج عنه قلب صوت اللين الطويل إلى صوت انفجاري شديد مضغوط هو الهمز، ولما كان هذا المكان هو نهاية المقطع الأول عُرف أنَّهم اعتادوا على الضغط على نهاية المقطع الأول⁽⁵⁾ .

وعلى خلاف هؤلاء يرى بعض المحدثين أنَّ الحضر كالحجازيين أثروا في الغالب نبر الطول الذي يرتفع به الصوت نتيجة ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين ليفرِّغ منهما الهواء، فتؤدي كمية الهواء إلى اتساع مدىذبذبة الأوتار الصوتية فيكون من ذلك ارتفاع الصوت⁽⁶⁾ .

وتبعاً لذلك يمكن تفسير الانتقال بين صيغتي(ثولة) و(ثولة) كما نقلنا في حديث أبي جهل، إذ يمكن أن يكون انتقالاً من نبر الطول في أداء أبي جهل إلى نبر الارتفاع (التوتر) في قول من قال: (ثولة)

وهو يمكن أن يُفسَّر لنا - أيضاً - ميلهم إلى إسقاط الهمزة في مثل(مُوقَة) من(مُوقَة) ، فهم حين اجتمعت في الكلمة(حركة قصيرة + همزة) أسقطوا هذه الهمزة التي لا تتناسب نبرهم وعَوَّضوا عنها بنبر الطول وهم بذلك حقَّقوا غرضين: الأول: نبر المقطع ذاته بطول الحركة، والثاني: الاحتفاظ بالإيقاع المقطعي أي زنة الكلمة كما لو أنَّها مهموزة .

وفي مثل: (تفاعلت) يرى ابن الأثير أنَّهم أولعوا بترك الهمزة تخفيفاً⁽¹⁾ ، ولم يذكر نوع التخفيف أو حرف اللين الذي استحالت إليه الهمزة، وقد افترضت - في ما مضى - أن يكون تخفيفه (بين بين)، تبعاً لتوفر شروط هذا الإبدال في هذه اللفظة .

وافترض هنا أنَّهم خَفَّفوا الهمزة إلى الواو في مثل ما ينطق الآن(فاوَل) و(يتفاوَل)، وفي مثل هذا اجتمعت في الكلمة(فتحة طويلة + همزة + حركة قصيرة) وحينها أسقطوا الهمزة على عادتهم، واحتفظوا لها بموقعها، فتحول نبر الارتفاع (التوتر) الهمزي إلى نبر طول تحمله الثاني المزدوج وهو بداية المقطع المنبور⁽²⁾ . وهكذا يمكن تفسير كثير من الألفاظ التي عُرضت في هذا المبحث .

وإذا تجاوزنا الأمثلة التي خَفَّفَت فيها الهمزة نحو(جَنَّة) في(إحَنَّة) - و(ومأت) في(أومأت)، تبقى لدينا الأمثلة التي حَقَّقَ فيها الهمز على غير قياس مثل: (تحاوت) والأمثلة التي خَفَّفَت على غير قياس في مثل: حَلَّيتهم في حَلَّتْهم، وقرَّبت في قرأت، وتوضَّبت في توضأت ولايمكم في لاءمكم وغيرها وقد نسب العلماء - كما مرَّ - هذه الأمثلة إلى الشذوذ مرَّةً وإلى الغلط مرَّةً أخرى.

فأكثر العرب تحقَّق الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها ولكنَّ تميماً وبعض القبائل البدوية تميل إلى تخفيفها بإبدالها مدَّةً من جنس حركة ما قبلها، واستعمال التخفيف في غير ذلك غير مقيس حقاً،

(3) ينظر: لهجة تميم/217-219، والقراءات القرآنية/31-33

(4) ينظر: الجمهرة، 293/3

(5) ينظر: لهجة تميم/217

(6) ينظر: العربية معناها ومبناها، د: تمام/171، وعلم أصوات العربية: كانتينو/194، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث/26

و 109، ولهجة تميم/214، والنبر بنوعه عند الدكتور أنيس(ليس إلا في شدَّة الصوت أو ارتفاعاً فيه وتلك الشدَّة أو الارتفاع يتوقف

على نسبة ضغط الهواء الداخل إلى الرئتين ولا علاقة له بدرجة الصوت أو نغمته الموسيقية، الأصوات اللغوية/142

(1) ينظر: النهاية، 405/3(فال)

(2) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث/109



فإبدال الهمزة المفتوحة ألفاً غير قياسي وإبدال الهمزة ياء في غالب هذه الأمثلة غير قياسي، جاء في (اللسان): ((تقول: تَوَضَّاتُ للصلاة، ولا تقل تَوَضَّيتَ و بعضهم يقوله))⁽³⁾.

فأمّا إبدال الهمزة ألفاً أو ياء في حَلَاتِهِمْ ولَاءُكُمْ فيُعَدُّ من اختلاف اللغات، وإن كان القدامى سموا بعضه إبدالاً قياسياً - حال سكون الهمزة - وسموا الآخر إبدالاً غير قياسي - عند تحريكها، ويبدو أنّ ذلك يعود إلى شروط خاصّة تعرف في فن التصريف، إلا أنّه يمثل سمة لأصحاب التسهيل من العرب ولعله لمخالفته القواعد العامة صدر عن بعضهم دون الآخر، يُعَضَّد ذلك قول ابن سيده: ((إنّ قول العرب أخطيت ليس بتخفيف قياسي وإنّما هو تخفيف بدلي محض لأنّ همزة أخطأت ساكنة قبلها فتحة فصورة تخفيف الهمزة التي هذه نصبتها أن تخلص ألفاً محضة فيقال: أخطات كقولهم في تخفيف كأس كاس))⁽¹⁾.

والأقرب أنّ أمثلة الجواز والشذوذ هي من اختلاف اللغات، ولم يكن ذلك ليغيب عن بال القدماء، فقد نبّه ابن جني على ذلك عند تعليقه على قراءة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾⁽²⁾، إذ نقل رواية مسندة عن أبي زيد أنّه سمع عمرو بن عبيد يقرأها هكذا فظنّه قد لحن، إلا أنّه سمع العرب تقول: شأبة ودأبة، كما سمع ابن جني شعراً يؤكد ذلك هو:

وبعد انتهاض الشيب من كلّ جانب على لمتي حتى اشعلّ بهيمها⁽³⁾

المبحث الثالث

كراهية توالي الأمثال

(3) اللسان، 1/195 (وضاً)، وينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً/232

(1) المحكم، 1/9، وينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً/232، 233

(2) الرحمن/39

(3) ينظر: سر الصناعة، 1/87، والمحتسب، 1/47، واللهجات العربية نشأة وتطوراً/224



وهي عبارة عن نزوع صوتين مثليين أو ذوي صفات مشتركة إلى التباين، وذلك إذا كانا متجاورين⁽¹⁾. أو هي جنوح أحد الصوتين المتماثلين في الكلمة إلى أن ينقلب إلى صوت مغاير⁽²⁾، ويغلب أن يكون الصوت الجديد المغاير أحد الأصوات المائعة⁽³⁾.

فالمخالفة في حقيقتها على ما يبدو تعديل في الصوت الموجود بتأثير صوت مجاور، لكنّه تعديل عكسي - على ما يذكر الدكتور أحمد مختار عمر - يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين⁽⁴⁾. ويُفسّر علماء اللغة المحدثون هذه الظاهرة بقولهم: إنّ كثيراً من الكلمات التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير فيها أحد الصوتين إلى صوت لين طويل - غالباً - أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين - أحياناً - ولا سيما اللام والنون، والسرّ في ذلك: أنّ الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي يُقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم مجهوداً عضلياً كأصوات اللين⁽⁵⁾.

وقد عرف القدماء معظم مظاهر هذا القانون وأطلقوا عليه مصطلح (كراهية التضعيف)، وقد أشار سيبويه إلى مثل ذلك في: ((باب ما شدّ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد)) وذلك قولك: ((تسريت، وتظنيت، وتقصيت من القصة، وأملت كما أنّ التاء في اسنتوا مبدلة من الياء أرادوا حرفاً أخفّ عليهم منها وأجلد))⁽⁶⁾.

وفسّره أبو الفتح بأنّه: ((باب في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف وذلك أنّه أمر يعوض للأمثال إذا ثقلت. لتكريرها فيتترك الحرف إلى ما هو أثقل منه يختلف اللفظان فيخفّان على اللسان))⁽⁷⁾.

ولقد افترض هافنز: ((أنّ تكون الكلمات العربية الكبيرة البنية التي تشتمل على راء أو لام أو نون أو ميم قد تولدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين))⁽⁸⁾. وقد مثل لذلك بنحو: رجل في حجلّ وعنكب في عكب وعرقب في عقب وفلطح في فطح، وعلل ذلك بكثرة ما يوجد من مقابلات مضعّفة للصيغ الرباعية السابقة⁽⁹⁾.

وقد ذهبت طائفة من الباحثين إلى أنّ ثمة علاقة بين الفعل المضعّف والفعل المعتل وأنّ هذا المعتل، إنّما نشأ عن طريق الإبدال والتعويض في الفعل المضعّف، ومن ذلك ما ذكر من أنّ الفعل المضعّف في مواد (كنّ، وغبّ، وجبّ) أصل في (كان، وغاب، وجاب) على التوالي وأنّ هناك ثمة معالم لغوية احتفظت بها العربية تشير إشارة واضحة إلى الأصل التضعيفي الذي أشير إليه، وهي أنّ لكثير من هذه الأفعال الجوف مصادر تحتفظ بالحرف المضعّف من نحو قولهم: كان كينونة، ودام ديمومة، وبان بينونة، وصار صيرورة... الخ⁽¹⁾.

هذا وقد سلك العرب طرائق للتخلص من اجتماع المثليين منها:

1- الإبدال، 2- الحذف، 3- الفصل، وغيرها ممّا عرضه الباحثون في مؤلفاتهم وفسّروه⁽²⁾. وقد نقلت كتب غريب الحديث طائفة من الأمثلة على هذه الظاهرة لم يُنسب معظمها إلى لغة بعينها، إنّما اكتفوا في أمثلة منها بوصفها لغات:

(1) ينظر: دروس في علم الأصوات، كانتينو/26، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية/283

(2) ينظر: الأصوات اللغوية/169

(3) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، د: أحمد مختار/330

(4) ينظر: المصدر نفسه

(5) ينظر: الأصوات اللغوية/170، واللهجات العربية في التراث/350، 351

(6) الكتاب، 424/4، وينظر: المخصص، 288/13

(7) الخصائص، 20/3

(8) دراسة الصوت اللغوي/330

(9) المصدر نفسه

(1) ينظر: دراسات في اللغة، د: إبراهيم السامرائي/166، وفي الأصوات اللغوية، د: غالب المطلبي/195

(2) ينظر على سبيل المثال: الأصوات اللغوية/169-172، وفي الأصوات اللغوية، د: غالب المطلبي/283-291، واللهجات العربية نشأة وتطوراً/154-155



أولاً: شواهد الإبدال:-

- قال أبو عبيد القاسم في حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من بات على إجار - أو قال: على سطح - ليس عليه ما يَرُدُّ قدميه فقد برئت منه الذمة)) ، ...الإجار والسطح واحد .
وفي الموضع نفسه من (غريب القاسم): عن ابن عمر قال: ((ظهرت على إجار لحفصة ... وقال بعضهم: على سطح، فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جالساً على حاجته مستقبلاً بيت المقدس مستدبر الكعبة)).

عَقَّبَ على ذلك القاسم: ((وجمع الإجار أجابير وأجابه , وهو كلام أهل الشام وأهل الحجاز))⁽³⁾ ، قال الهروي الثاني: ((والإنجار لغة فيه))⁽⁴⁾ والجمع الأجابير والأناجير⁽⁵⁾ .
وجاء في حديث الهجرة: ((فتلقى الناس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في السوق على الأناجير))⁽⁶⁾ ، وقد نصَّ الجوهري على أنَّ التضعيف لغة أهل الشام والحجاز⁽⁷⁾ . وناسٌ من اليمن يقولون: إنجار بالنون⁽⁸⁾ .

ويظهر من تأمل الروايات أنَّ من ينتسب إلى البيئية القرشية وهي جزء من الحجاز آثروا التضعيف، فمن ذلك ما نُسِبَ إلى الإمام الرضا (عليه السلام): ((أرى الإجاَص يُطفِي الحرارة ويُسَكِّن الصفراء))⁽⁹⁾ . عَقَّبَ البيرجندي: ((ثمر معروف دخیلٌ لأنَّ الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة ... ولا تقل إجاَص أو لُغِيَّة ... والأجاَص المشمش والكمثري بلغة الشاميين))⁽¹⁾ ، وهذا قريب من كلام الجوهري⁽²⁾، لكنهما لغتان وقد حكى بعضهم: إجاَصَة وإجاَصَة وقال: هما لغتان⁽³⁾ ... وذكر الكسائي أنَّ الناس في عصره يزدون في أمثال: إجاَصَة إجار، إجاَص، اترجَ نوناً فيقولون: إجاَصَة إجاَصَة، إجار، إجاَص، اترنج⁽⁴⁾ . وقال ابن السيد في (الاقتضاب)⁽⁵⁾ : ((وقد حكى اللغويون أنَّ قوماً من أهل اليمن يبدلون الحرف الأول نوناً فيقولون: حنظ يريدون حظاً وإجاَص وإجاَصَة فإذا جمعوا رجعوا إلى الأصل، وهذه لغة لا ينبغي أن يلتفت إليها فإنَّ اللغة اليمانية فيها أشياء منكورة خارجة عن القياس، وإنَّما ذكرنا هذا ليُعلم أنَّ لقول العامة مخرجاً على هذه اللغة)). ونصَّ ابن الجبَّان أنَّ العامة تقول: ((إجاَصَة وإجاَصَة وليس ذلك بصحيح))⁽⁶⁾

وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): ((كان... يأخذ الخبز ويجعله في إجاَصَة ويصب عليه الماء))⁽⁷⁾ . الإجاَصَة - بالتشديد - إناء يُغسل فيه الثياب والجمع أجاجين⁽⁸⁾ .

فالقرشيون آثروا التشديد وكان اختيارهم على اللغة العليا وغيرهم من أهل اليمن أو العامة آثروا المخالفة، وصيغة التضعيف تحتاج إلى جهد عضلي أكثر، لأنَّهما صوتان متماثلان، وقانون المخالفة يبدل أحد الصوتين المتجاورين إلى صوت لين أو أحد الأصوات المشبهة بأصوات اللين، وهي: النون واللام والميم والراء، ولقد لاحظ القدماء ما بين هذه الأصوات من علاقة إذ أطلقوا عليها، الأحرف الذَلْفِيَّة، أو المتوسطة بين الشدَّة والرخاوة. كما لاحظ المحدثون العلاقة بين هذه الأصوات

(3) غريب القاسم، 276/1 (أجر) ، وينظر: الفائق، 24/1 (أجر) ، وغريب ابن الجوزي ، 12/1 ، والنهاية ، 26/1 (أجر)

(4) الغريبين، 21/1 (أجر)

(5) النهاية، 26/1

(6) الفائق، 21/1 (إجار)، وينظر: 26/1 (أجر)

(7) ينظر: الصحاح، 206/2 (أجر)

(8) ينظر: التهذيب، 40/11 (نجر)، و180/11 (أجر)

(9) بحار الأنوار، 189/63

(1) غريب الحديث في بحار الأنوار، 42/1 (أجص)

(2) ينظر: الصحاح، 227/3 (أجص)

(3) ينظر: اللسان، 3/7 (أجص)

(4) ينظر: ما تلحن فيه العوام، 35، والتهذيب، 202/11 (أجن)

(5) ص195

(6) شرح الفصح في اللغة، 255

(7) بحار الأنوار، 268/12

(8) غريب الحديث في بحار الأنوار، 42/1 (أجن)



وبين أصوات اللين - أيضاً - وفي تحويل هذه الأصوات المتماثلة إلى أصوات اللين أو ما يشبهها أقصى مراحل التيسير في المجهود العضلي⁽⁹⁾.

وقد فسّر القاسم بن سلام هذا القانون مُعَقِّباً على حديث تلبية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: ((تفسير التلبية الاستجابة وكان الخليل بن أحمد - رحمه الله - يُفسّر أصل التلبية أَنَّها الإقامة بالمكان يُقال: ألببت بالمكان - إذا أقمت به، ولَبَّيت - لغتان، قال: ثم قلبوا الباء الثانية إلى الياء استئقلاً كما قالوا: تَظَنّيت فإنما أصلها تظننت وكما قال العجاج:

تَقْضِي الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَر

وإنما أصلها تقضض .⁽¹⁰⁾

- وفي حديث عائشة: ((قد مضى لذواها وبقي بلواها))، نقل الزمخشري عن ابن اعرابي أن: ((اللذّة واللذوى واللذادة كلها الأكل والشرب بنعمة وكفاية وكأنّها في الأصل لذى - فُعِلَ من اللذّة، فُقِلَ أحد حرفي التضعيف حرف لين كالتقضيّ والا املاه))⁽¹⁾ وأملت وامليت لغتان عند الحربي⁽²⁾، قال الفراء: ((أملت لغة الحجاز وبني أسد وأملت لغة بني تميم وقيس، يُقال: أَمَلَّ عليه شيئاً يكتُبُه وأملَى عليه ونزل القرآن العزيز باللغتين معاً))⁽³⁾.

وهذا يوافق أداء العجاج، فأما قوله:

تَشْكُو الْوَجَى مِنْ أَظْلَلٍ وَأَظْلَل

مِنْ طُولِ إِمْلَالٍ وَظَهَرَ مُمْلَلٌ

فأظهر التضعيف لحاجته إليه⁽⁴⁾.

وعلى نسق الأداء السابق لنطق القرشيين جاء حديث عائشة: ((كُنْتُ أُغَلِّلُ لِحْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ بِالْغَالِيَةِ))، قال ابن الأثير: ((أي أَلَطَّهَا، قال الفراء: يُقال تَغَلَّلْتُ بِالْغَالِيَةِ، وَلَا يُقال تَغَلَّيْتُ، وأجازه الجوهري))⁽⁵⁾، قال: ((والغالية من الطيب، يُقال أول من سَمَّاهَا سليمان بن عبد الملك، تقول منه: تَغَلَّيْتُ بِالْغَالِيَةِ))⁽⁶⁾.

وحكى اللحياني: ((تَغَلَّى بِالْغَالِيَةِ، فأما أن يكون من لفظ الغالية وأما أن يكون أراد تَغَلَّلَ فأبدل من اللام الأخيرة ياء، كما قالوا: تَظَنَّيْتُ في تَظَنَّنْتُ، قال: والأول أقيس... الليث ويُقال: من الغالية، غَلَّلْتُ وَغَلَّيْتُ وَغَلَّبْتُ))⁽⁷⁾، فهذه لغات على الأقوى وإن اختلف تقويم اللغويين لها، وخالف بعضهم إلا أن الواقع اللغوي يفرض نفسه غير آبه بكثيرٍ من مقاييس اللغويين ومحتكماتهم وفي الأمثلة الأخيرة مثل: ((تَغَلَّلْتُ وَلَبَّيْتُ)) تمت المخالفة في أحد ثلاثة أصوات متماثلة، وغالباً ما يكون الصوت الأخير منها، وتحافظ العربية في هذا المجال على الإدغام في الصوتين الأخيرين، ويظهر أن صوت المد هذا يتغير في التصريفات الأخرى لهذه الكلمات فيتحول إلى ما يُسمَّى بنصف المد، نتيجة التداخل الفونيمي بين أصوات المد وأنصاف المد.

ويُرجَّح أن تكون هذه المخالفة قد ظهرت أول الأمر في صيغ غير الصيغ الفعلية من نحو المصدر أو الفعل نفسه وقد لحقته تاء الفاعل من مثل: تَسَرَّيْتُ وتَقَضَّيْتُ في تَسَرَّرْتُ وتَقَضَّضْتُ⁽⁸⁾.

ومن الشواهد الأخرى: ما نُسِبَ إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((...فَتَدْهِي الصخرة...))، والتدْهِي أصله: التَّدْهْدُ، فقلبت الهاء ياء، لاستئقال التضعيف، كما قيل: تقضي البازي وهو التدرج⁽¹⁾.

(9) ينظر: الأصوات اللغوية/170، 171، واللهجات العربية في التراث/350

(10) غريب القاسم، 16-15/3 (لبي)، والرجز في ديوانه/28، وادب الكاتب/281، والصاحح، 327/3 (قضض)

(1) ينظر: الفائق، 314/3 (لذو)

(2) ينظر: غريب الحربي، 338/1

(3) اللسان، 631/11 (مل)، وينظر: الأيتان 282/البقرة (وليمِلَل) و32/الرعد (أملت)

(4) اللسان، 631/11 (مل)، وينظر: ديوان العجاج/155 برواية: وطول إملال

(5) النهاية، 382/3 (غل)، وينظر: الصاحح، 449/6 (غلا)

(6) الصاحح، 449/6 (علا)

(7) اللسان، 503/11 (غل)

(8) ينظر: في الأصوات اللغوية، د: غالب المطليبي/285، وينظر: التعريف بنصف المد في هذا المصدر/41، 42، ومن أمثلته: وَلَدَ وَيُسِر

(1) الفائق، 152، 151/1 (تلغ)



وقد حُكي عن أهل العالية قولهم: ((دهديت الحجر)) وأصله: ((دهدته الحجر))، فقلبت الهاء الثانية ياء كراهية التضعيف⁽²⁾. والعالية: ((ما فوق أرض نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراء مكة وهي الحجاز))⁽³⁾. وقد أنشد رؤبة:

دهدهن جولان الحصى المدهده⁽⁴⁾.

فرؤية كأبيه العجاج تميمي - كما أسلفنا⁽⁵⁾ - وقد جرت تميم على المخالفة بين المتماثلين في الأمثلة السابقة، وقد نصّ بعض اللغويين على ذلك في ما سبق، وأهل العالية على ما ذكر منطقة واسعة شملت كل تلك الأجزاء وقد كانت لغة تميم في محيط من لغات القبائل المجاورة لها والتي سكن بعضها نجد فجاور تميماً، وسكن بعضها منطقة وسطاً بين تميم في نجد وأرض الحجاز، فكانت لغاتها متأثرة بلغة الحجاز من جهة وبلغة تميم من جهة أخرى كأسد وقيس⁽⁶⁾ وما صدر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يُعزّد هذا الذي تُسبب إلى أهل العالية في هذا اللفظ فهو ممّن ينسبون إلى هذه البيئة، وليس ببعيد أن يكون المنقول عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) من أثر الرواة.

ويجوز أن يكون منه الحديث: ((رأيتُ علجاً يوم القادسية قد تكنّى وتحجّى فقتلته))، قال الزمخشري مُعقّباً: أي تَسْتَرّ... ويجوز أن يكون أصله تَكَنّن، فقيل تَكَنّى، كتظنّى في تظنن⁽⁷⁾. وقريب منه ما تُسبب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((... ما شفى فلان أفضل ممّا شفيت...)) ... لعلّها من باب الإبدال عند ابن الأثير، فإنّ الشفّ الزيادة والربح، فكأن أصله شفّفت، فأبدل إحدى الفاءات ياء كقوله تعالى: ((دَسَّاهَا)) في (دَسَّسَهَا))⁽⁸⁾.

وفي حديث سليمان: ((إن آية موتك أن شجرة تخرج في بيت المقدس يُقال لها: الخرنوبة))، هكذا جاءت في (بحار الأنوار)⁽⁹⁾ على المخالفة ونقلها البيرجندي⁽¹⁰⁾. وجاءت في (النهاية)⁽¹¹⁾. على التضعيف وفي (اللسان)⁽¹²⁾: ((والخرنوب والخرُوب، بالتشديد نبت معروف، واحدته خرنوبة وخرنوبة ولا تقل الخرنوب، بالفتح... وأراهم أبدلوا النون من إحدى الراعين كراهية التضعيف كقولهم إنجانة في إجانة))، ويظهر من كلام ابن منظور أنّ المصريين يقولونه على التضعيف⁽¹⁾، قال الجوهرى: ((والخرُوب بالتشديد: نبت معروف والخرنوب لغة: ولا تقل الخرنوب بالفتح))⁽²⁾. ويبدو أنّ الذي منعه الجوهرى كان لغة - أيضاً - وهي مستعملة الآن في كثير من مناطق العراق ولا سيما في الوسط والجنوب.

وقد نجد الإبدال بغير أصوات اللين أو الأصوات المشبّهة بها فمن ذلك: في حديث أنس: ((أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يتوضأ بمكوكٍ ويغتسلُ بخمسة مكاكٍ)) وفي رواية ((الخمسة مكاكٍ)) أراد بالمكوك المُدّ وقيل: الصاع... والمكاكِي: جمع مكوكٍ، على إبدال الياء من الكاف الأخيرة⁽²⁾.

(2) المخصص، 287/13

(3) اللسان، 87/15 (علا)

(4) المصدر نفسه، 489/13 (دهده)، وينظر: إشارة صاحب اللسان إلى هاتين اللغتين، 276/14 (دهدي)

(5) ينظر: طبقات الشعراء، 148، والشعر والشعراء، 493/2، 495

(6) ينظر: معجم ما استعجم، 87، 90، وعالية الحجاز أعلاها بلداً وأشرفها موضعاً وهي بلاد واسعة... ويُقال: على الرجل وأعلى إذا

أتى عالية الحجاز ونجد، اللسان، 87/15 (علا)

(7) الفائق، 283/3، والنهاية، 207/4 (كنى)

(8) النهاية، 488/2 (شفا)، والآية (10) من سورة الشمس

(9) ج 140/14

(10) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 401/1 (خرّب)

(11) ج 18/2 (خرّب)

(12) ج 350/1 (خرّب)

(1) اللسان، 350/1 (خرّب)

(2) الصحاح، 181/1 (خرّب)

(2) النهاية، 350/4 (مكك)



وقيل: ((المَكَّوك: مكيال معروف لأهل العراق والجمع مكايك ومكاي على البديل كراهية التضعيف))⁽³⁾، ومكاي أصله مكايك مثل شَبُوط وشبابيط وسُمُور وسمامير - عند ابن جني - فأبدل كراهية التضعيف⁽⁴⁾.

إنَّ ميل بعض اللغات كالقرشية إلى نطق الصوتين المتماثلين مع ما يُنسبُ لهما من جهد عضلي واضح بخلاف غيرها كتميم - مثلاً - التي اعتصمت بالمخالفة سعياً إلى التيسير، إنَّما يعود إلى أنَّ بيئة قريش بيئة حضرية غلب عليها التآني في النطق⁽⁵⁾.

ثانياً: شواهد الحذف:

ويتم التخلص من توالي الأمثال عن طريق حذف أحد المتثلين:

- ففي حديث أبي هريرة ((لو رأيتُ الوُعولَ تجرُّشُ ما بين لابتيها ما مسَّتها))، هكذا روي وهي لغة في مَسَّتها. يُقال: مسَّت الشيء بحذف السين الأولى وتحويل كسرتها إلى الميم، ومنهم من يُقرُّ فتحها كظَلَّت في ظَلَّت⁽⁶⁾.

وهذا هو كلام الجوهرى بعينه، فهم ربَّما قالوا: مسَّت الشيء... وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَظَلَّمْتُمْ نَفْسَكُمْ﴾⁽⁷⁾. وأصله ظَلَلْتُمْ، وهو من شواذ التخفيف، وأنشد الأخفش:

مَسَّنَا السَّمَاءَ فَلَنَّاها وَطَالَهُمْ
حَتَّى رَأَوْا أَحَدًا يَهْوِي وَتَهَلَّلْنَا⁽⁸⁾.

وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي: ((فَهَجَمْتُ عَلَى رَجُلَيْنِ فَقُلْتُ: هَلْ حَسَمْتَا مِنْ شَيْءٍ))... قيل هو من باب ظَلَّتْ ومسَّ في حذف أحد المتثلين، ويمكن أن يكون الأصل فيه حَسَمْتُ، فأبدلوا إحدى السينين ياء⁽¹⁾. وعوف هذا من أشجع وهي قبيلة من غطفان في قيس⁽²⁾. ومنازل غطفان على ما يذكر القلشندي بنجد ممَّا يلي وادي القرى⁽³⁾. وقد غلب على هذه البيئة البداوة فهي مفاوز وصحاري وماؤها من الآبار⁽⁴⁾، وتبعاً لذلك آثروا إسقاط أحد المتثلين وفاقاً لنظرية السهولة والحصول على الحد الأقصى من التأثير بالحد الأدنى من الجهد⁽⁵⁾.

ومنه الحديث: ((كَيْفَ تَبْلُغُكَ صِلَاتُنَا وَقَدْ أَرَمْتُ)) أي بُلَيْتُ، عَقَّبَ الخطابي أصله أَرَمْتُ أي بَلَيْتَ وصرت رميماً، فحذف إحدى الميمين، كقولهم: ظَلَّتْ في ظَلَّت⁽⁶⁾. وَذَكَرَ الحربي أَنَّ المحدثين يقولون: ((أَرَمْتُ...)) ولا أعرف وجهه والصواب: وقد أَرَمْتُ أو رَمَمْتُ أي صِرْتُ رميماً⁽⁷⁾، كما قال تعالى: ﴿... مِنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾⁽⁸⁾.

وقال عمر بن سلمة الجرمي: ((وكانت العرب تَلَوُّمٌ بإسلامهم الفَتْحُ)) أي تنتظر، أراد تَتَلَوَّمُ فحذف إحدى التاءين تخفيفاً. وهو كثير في كلامهم⁽⁹⁾.

وجرم هذه بطنان بطن في قضاة والآخر في طيئ، وبنو حارم بطنان بطن في بني ضبة والآخر في بني سعد⁽¹⁰⁾. فامَّا قضاة فهي عمائر كثيرة فيها قرى وصحارى ومدائن⁽¹¹⁾ لا يمكن

(3) اللسان، 149/10 (مك)

(4) ينظر: سر الصناعة، 388/2

(5) ينظر: لهجة قبيلة أسد، 87، ولهجة تميم، 116

(6) النهاية، 330/4 (مس)

(7) الواقعة، 65

(8) الصحاح، 158/3، وينظر: اللسان، 217/6 (مس)

(1) النهاية، 387/1 (حسا)، وينظر: غريب الخطابي، 504/2، 505، والفاوق، 198/2 (سمت)

(2) ينظر: اللسان، 175/8 (شجع)

(3) ينظر: نهاية الأرب، 388

(4) ينظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري، 169/2

(5) ينظر: علم الأصوات، برتيل مالبرج، 143، والأصوات اللغوية، 170، 171

(6) غريب الخطابي، 86/1، 87، والنهاية، 40/1 (أرم)

(7) غريب الحربي، 72/1

(8) يس، 78

(9) النهاية، 278/4 (لوم)

(10) ينظر: اللسان، 95/12 (جرم)

(11) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، 27-30



تحديد نمطها اللغوي اعتماداً على هذا العنوان الواسع، وأمّا طيّء فيذكر ابن حوقل أنّهم بدو رعاة لقلة مياههم وزرعهم⁽¹²⁾. وأمّا بنو ضبة فقد سكنت بلاد نجد وصحاريها⁽¹³⁾. وأمّا بنو سعد فكانوا يسكنون نجداً شرقي مكة قبل الإسلام⁽¹⁴⁾.

ونخلص من هذا التحديد إلى أنّ الراجح أنّ عمر بن سلمة الجرمي ينتسب إلى واحدة من هذه البيئات البدوية التي أثرت الحذف تخفيفاً، وأشار ابن الأثير إلى أنّه كثيرٌ في كلامهم.

ثالثاً: شواهد الفصل:

ومن أساليب التخلص من توالي الأمثال الفصل بين الأمثال بصوتٍ يغلب أن يكون صوت مدّ ولين أو أحد الأصوات الصحاح ومن ذلك:

– قال القاسم بن سلام في حديث عمر (رضي الله عنه): ((أَنَّهُ رَأَى جَارِيَةً مُتَكَمِّمَةً...)) ... وقوله: متكemme نرى أنّه إنّما أراد متكemme وأصله من الكمة وهي القلنسوة... كما قالوا: مُتَجَمِّمَةٌ مِنَ الْجَمَّةِ وَمُتَعَمِّمَةٌ مِنَ الْعَمَّةِ، والعرب تفعل هذا إذا اجتمعت الحروف من جنسٍ واحد ففرقوا بينها استنقلاً لجمعها، كما قالوا: كَفَكَفْتُ فَلاناً عن كذا وكذا وإنّما أصلها كَفَفْتُ، وقال أبو زبيد:

ألم ترني سَكَنْتُ إِلَيَّ لِأَلْكُمِ وَكَفَكَفْتُ عَنْكُمْ أَكْلِي وَهِيَ عَقَرٌ⁽¹⁾

وقال متمم بن نويرة:

ولكنني أمضي على ذاك مُقَدِّمًا إذا بعضٌ من يَلْقَى الحروبَ تَعَكِّعًا⁽²⁾

وهو من كَعَعْتُ عن الأمر، ومنه قولهم: تصرصر الباب من الصرير وإنّما أصله تصرّر الباب⁽³⁾. والعرب إنّما فعلت ذلك، استنقلاً للجمع بين ثلاثة أحرف من جنسٍ واحد ففرّقوا بينها بحرفٍ مُكرّرٍ، والمقصود هنا بعض العرب، لأنّ طائفة كبيرة منهم أثرت التضعيف وغلب ذلك على أهل المدن والحضرين الذين يتأثّون في كلامهم، فالتشديد أكثر عند العرب على ما يذكر ابن منظور⁽⁴⁾. إلا أنّ فئة أخرى من العرب كنتميم التي غلبت عليها البداءة أثرت المخالفة ميلاً إلى السهولة، لأنّ المثليين في غير الإدغام ثقلان لما في النطق بهما من تحرّك اللسان ثم رجوعه إلى مكانه الأوّل، فهو شبيه بمشي المقيد كلما تحرّك خطوة رجّع أخرى⁽⁵⁾. فلا إنكار للتخفيف بهذا الإبدال بل ينصّ ابن جني على وجوب التغير في ما فيه ثلاثة أمثالٍ ممّا خرج على أصله⁽⁶⁾ فإذا كانت المخالفة في المثليين فالثلاثة أولى، ولعلّ إيثار متمم بن نويرة وهو شاعر تميمي معروف⁽⁷⁾ للمخالفة ممّا يُعْضِد هذا التوجّه لِغَلْبَةِ البداءة على بني تميم.

وتتمثل ابن قتيبة لهذه الظاهرة في حديثه على الغُلُول في المغنم قال: ((يُقَالُ غَلَّتْ الشَّيْءُ فَأَنْغَلَ أَي ادخلته... وقيل: فلان يتغلغل إلى كذا... والأصل يتغلغل، فأبدلوا من إحدى اللامات غيناً كما قالوا: يتكمم والأصل: يتكمم... وقالوا: يتحلحل والأصل يتحليل، وهذا إنّما يكون في الحرف إذا كان آخره مُشَدِّداً مثل: الحثّ فيقال: حثّته والأصل حثّته وغلّته والأصل غلّته))⁽⁸⁾

وقد ذكر حرفاً شاذاً عن العرب وذلك قولهم: ((تَعْظِظِي ثُمَّ عِظِينِي)) وقال الأصمعي: ((لا تَعْظِظِي وتَعْظِظِي)) من الوعظ... ثُمَّ عَقَبَ الأصمعي بعد ذلك بقوله: ((ولا أعلم أنّه جاء له مثل))⁽⁹⁾.

(12) ينظر: صورة الأرض، 23/1

(13) ينظر: معجم ما استعجم، 88/1

(14) ينظر: صبح الأعشى، 340/1

(1) غريب القاسم، 343/3-344/3 (كم)، وينظر: اللسان، 303/9 (كف)

(2) ينظر: غريب القاسم، 343/3-344/3 (كم)، واللسان، 313/8 (كع)

(3) غريب القاسم، 343/3-344/3 (كم)

(4) ينظر: اللسان، 313/8 (كع)

(5) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطور، 154

(6) ينظر: الخصائص، 234/2، 235

(7) ينظر: الشعر والشعراء، 254/1

(8) غريب ابن قتيبة، 45/1

(9) المصدر نفسه



وَنَسَبَ ابن قتيبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإسناد إلى أبي هريرة: ((لا يُوطَّن المساجد للصلاة والذكر رجل إلا تَبَشَّبَشَ الله به من حين يخرج من بيته، كما تَبَشَّبَشَ أهل البيت بغائبهم إذا قدم عليهم))، قال أبو محمد مُعَقِّباً: ((قوله: يتبشَّبَش هو من البشاشة وهو يتفَعَّل إلا أنهم يستقلون الكلمة إذا جاءت على هذا الوزن، وذلك لأنه يجتمع فيه ثلاثة أحرف، فيبدلون الأوسط منها ومثله قولهم: فلان يتملَمَل على فراشه، إنما أصله يتملَل... ومنه قولهم: حَتَّثْته، إنما أصله: حَتَّثْته وكفكفته إنما كفَّفْته وتكممت الجارية، إنما هو تَكَمَّمت)) ثم أردف ذلك بقول الفرزدق: مَوَانِعَ لِلأَسْرَارِ إِلَّا لِأَهْلِهَا وَيُخْلِفْنَ مَا ظَنَّ الْغِيُورَ الْمُشْفِشُفُ⁽¹⁾ والفرزدق أشعر بني تميم هو وجريـر⁽²⁾

المبحث الرابع

المعاقبة بين الواو والياء وإيثار بعض الصوائت القصيرة في لغات القبائل أو حذفها
أولاً: المعاقبة بين الواو والياء:

المعاقبة: هي أن تدخل الياء على الواو، أو الواو على الياء، من غير علة، فأما ما دَخَلَتْ فيه الواو على الياء والياء على الواو، لعلَّة، فليس من ذلك، لأنه قانون من قوانين التصريف، يوجب التحول عن الياء إلى الواو أو عن الواو إلى الياء في الصيغ الصرفية التي تخرج عن أصلها اليائي أو الواوي ويُفهم من أقوال العلماء في المعاقبة أنها تنشأ لاختلاف اللغات، ويُشترط فيها اتحاد المعنى بين الصيغتين وعدم العلة⁽¹⁾.

(1) غريب ابن قتيبة، 414/1، وينظر: إنشاد الفرزدق في ديوانه، 24/2، واللسان، 180/9 (شغف)

(2) بنظر: الأغاني، 309/21 وطبقات الشعراء، 75، 86، والشعر والشعراء، 493/2، 495

(1) اللهجات العربية نشأة وتطوراً، 238، ولهجة قريش، 88



وقد صَنَّف ابن جني كتاباً في التبادل بين الياء والواو وسمَّاه (التعاقب)⁽²⁾ , وقد روى في موضع آخر عن أبي حاتم قال: ((قرأ عليّ أعرابي: ﴿طَبِييْ لَهُمْ وَحُسْنُ مَبَآبٍ﴾⁽³⁾ , فقلت: طُوبَى, فقال: طَبِييْ قلت طُوبَى, قال: طَبِييْ. فلما طال عليّ قلت: طوطو, فقال: طي طي)) , وأتبع ذلك أبو الفتح بقوله: ((أفلا ترى إلى استعصام هذا الأعرابي بلغته وتركه متابعة أبي حاتم))⁽⁴⁾ . وجاء في (المخصص): ((إنَّ المعاقبة هي لغة لأهل الحجاز))⁽⁵⁾ , إذ أثر الحجازيون الياء في طائفة من الألفاظ التي صدرت عنهم. وقربة الصوتين مخرجاً أدى إلى إحلال أحدهما محل الآخر⁽⁶⁾ , وقد كانت هذه المعاقبة في أخوات العربية كالأرامية والسريانية, ووجدت في النقوش اليمنية فكلمة (قَوْل) تُقابل الكلمة العربية (قِيل)⁽⁷⁾ . ومن أمثلتها في مصنفات غريب الحديث:

- نقل الحربي عن الكسائي ((تذروه الريح وتذريه لغتان, أخبرنا سلمة عن الفراء تذروه... وذريت لغة, ولو قرأ قارئ تذريه من أذريت أي: تلقيه كان وجهاً))⁽⁸⁾
- ومنها كتابه (صلی الله علیه وآله وسلم) لوائل بن حجر: ((إنَّ وائلاً يُستسعى ويترفل على الأقوال حيث كانوا من حضرموت)) وفي رواية ((إلى الإقبال العباهلة...))⁽⁹⁾ ومن ذلك في الحديث: ((أكذب النَّاس الصَّوَاغُونَ)) , ... ويروى (الصَّيَّاعُونَ) بالياء, وهي لغة كالدَّيَّار والقيَّام. وإن كانا من الواو⁽¹⁰⁾ .
وقرأ عمر وابن مسعود: ((الحَيِّ القَيَّام))⁽¹⁾ , على زنة (الفيعال), قال الفراء: ((وأهل الحجاز أكثر شيء قولاً الفيعال من ذوات الثلاثة, فيقولون للصَّوَاغ: الصَّيَّاع))⁽²⁾ .
ومما نُسب إلى القرشيين بالياء - أيضاً -
- ما نُسب إلى النبي (صلی الله علیه وآله وسلم): ((...فَلَحِيأاً لصاحبنا لحياً...)) , ثم ذكر ابن قتيبة: هو من: ((لَحَوْتُ الرجلَ ولَحِيئُهُ إذا عَذَلْتَهُ وَلَمَّتْهُ وفيه اللغتان جميعاً الواو والياء. وكذلك لَحَوْتُ الشجرة ولحيتها إذا أخذت لحاءها وهو القشر))⁽³⁾ .
وعنه (صلی الله علیه وآله وسلم): من شرب ماء المطر في نيسان: ((لا يشتكي ظهره, ولا ييجع بطنه)) ,
ييجع لغة في يَوْجَع⁽⁴⁾ .

ومن ذلك ما نُسب إليه من الدعاء: ((اللَّهُمَّ ذَا الْحَيْلِ الشَّدِيدِ)) , وهو الحَوْل, أبدل واوه ياء وروى الكسائي: لا حَيْل ولا قُوَّة إلا بالله⁽⁵⁾ .
ومما نُسب إلى الإمام علي (عليه السلام): ((والله لو دَّ معاوية أَنَّهُ ما بَقِيَ من بني هاشم نافعٌ ضَرَمَةٌ إلا طعن في نيطة)) , قال ابن قتيبة بعد إيراد الحديث: ((وكان القياس أن يُقال: نَوِط, لأنَّه من ناط ينوِط, غير أن الياء تعاقب الواو في حروف كثيرة... مثل: لاط بقلبي يلوط ويليط لوطاً وليطاً. وحدثنى أبي قال: أخبرني ابن جَبَّان النحوي, قال أخبرني بكر المازني, أَنَّهُ سأل أبا عبيدة والأصمعي عن قول الأعشى:

لعمري لئن أمسي من الحي شاخصاً
لقد نال خيصاً من عُفيرة خائصاً

(2) ينظر: الخصائص, 265/1, 267

(3) الرعد / من الآية 29

(4) الخصائص, 385/1

(5) المخصص, 19/14

(6) المصدر نفسه

(7) اللهجات العربية في التراث, 407/408

(8) غريب الحربي, 256/1, ويقصد الآية (45) من الكهف ((فأصبح هشيماً تذروه الرياح))

(9) الفائق, 14/1 (أبو)

(10) النهاية, 61/3 (صوغ)

(1) في الآية (2) آل عمران

(2) معاني القرآن, 190/1

(3) غريب ابن قتيبة, 520/1

(4) بحار الأنوار, 31/63, وغريب الحديث في بحار الأنوار, 109/4 (وجع)

(5) الفائق, 340/1, وينظر: النهاية, 470/1 (حيل)



...قال الأصمعي: يُقال: فلان يُخَوِّص في بني فلان العطا إذا كان يُعطيهم شيئاً يسيراً. وقال بكر: فقلت له: فينبغي أن يكون المصدر خَوْصاً، فقال: ربّما اشتق المصدر من غير لفظ الفعل، يُقال: أتيتُه أتيةً وآتوه ولا نعلمُ أحداً يوثق بعربيته يقول: أتوته إلا أن النحويين لما سمعوا أتوة، قاسوه فقالوا: أتوته آتوه⁽⁶⁾.

وأجاب المفضل الأصمعي حين سألته عن بيت الأعشى على نحو الجواب السابق ثم أضاف أنها: ((مُعاقبة يستعملها أهل الحجاز يسمون الصَوَاغ الصِّيَاغ ويقولون الصِّيَام للصَوَام ومثله كثير))⁽⁷⁾.

وعزا ابن الأعرابي ما جاء في كلام علي (عليه السلام) إلى المعاقبة⁽⁸⁾. و(لا حيل...) لغة في (لا حول...) والواو أعلى، ودُعَاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان برواية ابن عباس عنه⁽¹⁾، فالاحتمال قائم على أن هذه لغة ابن عباس على المعاقبة الحجازية فضلاً على أن الياء في هذا الموضع لغة معتبرة نصّ عليها اللغويون⁽²⁾.

ومما ورد على المعاقبة الحجازية حديث عائشة تصف عمر (رضي الله عنه): ((فَفَنَخَ الْكَفَرَةَ وَدَيَخَهَا)) أي أدلّها وقهرها، يُقال دَيَخَ ودَوَخَ بمعنى واحد⁽³⁾. والآن تُسمع (دَوَخ) في كثير من أجزاء العراق ولاسيما في مناطق الوسط والجنوب. ومع ورود هذه الأمثلة على إثثار الحجازيين ولا سيما القرشيين الياء إلا أن الباحث يواجه أمثلة أخرى لهؤلاء وقد جاءت بالواو فمن ذلك:

- قال أبو زيد: ((أهل الحجاز يقولون: لا تَوَجِّل، وتميم وقيس لا تَيَجِّل إذا لم يستيقنوا الخبر))⁽⁴⁾، وقال ابن الأثير: ((وقد وجِّلَ يُوَجِّلُ ويَجِّلُ))⁽⁵⁾.

وذكر الجوهري لغتين أخريين فضلاً على هاتين اللغتين هما: ياجل ويَجِّل بكسر الياء، ونسب الأخيرة إلى بني أسد ثم قال: ((وهم لا يكسرون الياء في يعلم، لاستثقالهم الكسر على الياء، وإنما يكسرون في يَجِّل، لتقوي إحدى اليائين بالأخرى، ومن قال: يَجِّل بناءه على هذه اللغة ولكنه فتح الياء كما فتحوها في يعلم))⁽⁶⁾.

وقال ابن بري: ((إنما كسرت الياء في يَجِّل ليكون قلب الواو ياءً بوجه صحيح، فأما يَجِّل بفتح الياء فإن قلب الواو فيه على غير قياس صحيح وتقول منه: إني لأُوَجِّل))⁽⁷⁾.

ونُسب إلى علي (عليه السلام): ((اللهم يا داحي المدحوات))، وروي: المدحيات، والدَّحُو: البسط والمدحوات الأرضون⁽⁸⁾، ونَصَّ المجلسي⁽⁹⁾، والبيرجندي⁽¹⁰⁾ على مثل ذلك، وحكى اللحياني: ((ودحيث الشيء أدحاه دحياً: بسطته، لغة في دَحَوته))، ثم تمثل صاحب (اللسان)⁽¹¹⁾ بعد نقله حكاية اللحياني بحديث علي (عليه السلام).

ومن ذلك في حديث القاسم بن محمد بن أبي بكر: ((إنه دَخَلَ بها وأَعُولت))، أي ولدت أولاد عند ابن الأثير والأصل فيه: أعيلت، أي صارت ذات عيال. كذا نقل صاحب (النهاية)⁽¹²⁾.

(6) غريب ابن قتيبة، 367/1، وينظر: شعر الأعشى في ديوانه/149

(7) اللسان، 34/7 (خيص)

(8) ينظر: المصدر نفسه، 421/7 (نيط)

(1) ينظر: اللسان، 196/11 (حيل)

(2) ينظر: الصحاح، 487/4، 488، والنهاية، 470/1، واللسان، 196/11 (حيل)

(3) النهاية، 147/2 (ديخ)

(4) غريب الحربي، 137/1

(5) النهاية، 157/5 (وجل)

(6) الصحاح، 136/5، وينظر: اللسان، 722/11 (وجل)

(7) اللسان، 722/11 (وجل)

(8) النهاية، 106/2 (دحا)

(9) البحار، 83/91

(10) غريب الحديث في بحار الانوار، 16/2 (دحا)

(11) اللسان، 251/14 (دحا)

(12) النهاية، 322/3، 323 (عول)



إلا أنَّ الزمخشري يرى أنَّ عين الفعل واو والياء في عَيْلٍ وعِيَالٍ منقلبة عنها وقولهم: أَعِيلَ منظور في بنائه إلى لفظ عِيَال كقولهم: أقيال وأعياد، والذي يُصَدِّقُ أصالة الواو قولهم: فلان يَغُولُ ولده ، والاشتقاق من عاله الأمر عَوَلًا⁽¹⁾ .

فأمَّا كلام علي(عليه السلام) فقد جاء على اللغة الأعلى⁽²⁾، وكذا كلام القاسم بن محمد، قال الكسائي: ((ومن العرب الفصحاء من يقول: عال يَعلو إذا كثر عياله))⁽³⁾ . والكسائي: ((لا يحكي عن العرب إلا ما حفظه وضبطه))⁽⁴⁾ .

وقد ذهب الشافعي إلى مثل ذلك في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَقُولُوا﴾⁽⁵⁾ وتبعه بعض اللغويين كالكسائي في ما مرَّ، وردُّوا على المعترضين أنَّ كلام الشافعي حُجَّةٌ لأنَّه ((عربي اللسان فصيح اللهجة قال: وقد اعترض عليه بعض المتحذلقين فخطَّاه، وعَجَلَ ولم يَتَثَبَّتْ فيما قال ولا يجوز للحضري أن يعجل إلى إنكار ما لا يعرفه من لغات العرب))⁽⁶⁾، وعليه قول الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم): ((ابدأ بنفسك ثم بمن تعول))⁽⁷⁾ .

وينبغي أن يُلتَقَت إلى دور الرواة في ما يحدث من هذه النُّقُول، فالحديث عموماً مظنة لاختلاف الرواة وتباين اللغات في عموم مستوياته، ولا يبعد أن يكون إثثار بعضهم لغةً غير لغة قومه، تَمَسُّكاً باللغة الفصحى العليا كما عُرِفَ عند الخاصَّة والشعراء والأدباء وغيرهم⁽⁸⁾ . وقد تكون تلك اللغة الإنموجية سليقة كما عُرِفَ عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ بها تجاوز منطق بيئته ولغة قومه، ومثله بعض أهل بيته وصحابته، فمن ذلك:

قول علي(عليه السلام): ((واعِثْ صَوَاغاً من بني قَيْنَقَاع))⁽⁹⁾، فهذه هي اللغة العالية⁽¹⁰⁾، وقد نطَقَ بها أمير المؤمنين على غير ما عُرِفَ عن أبناء بيئته و((رجلٌ صايغٌ وصَوَّاعٌ وصيَّاعٌ مُعاقبة في لغة أهل الحجاز... قال ابن جني: إنما قال بعضهم صيَّاعٌ، لأنَّهم كرهوا التقاء الواوين ولا سيما في ما كثر استعماله، فأبدلوا الأولى من العينين ياء كما قالوا في أمَّا أيما...))⁽¹¹⁾. ومنه قول أبي هريرة وقيل له خَرَجَ الدَّجَالُ فقال: ((كُذِّبَ كَذِبُهَا الصَّوَاغُونَ))⁽¹²⁾، وممَّا يجلب الانتباه في ما يخص هذه اللفظة أنَّ بعض الناس فيوسط العراق الآن يستعملون في نطقهم اللفظتين، وإن كانت الصيغة اليائية هي الأكثر شيوعاً.

ويرى بعض المحدثين أنَّ القبائل البدوية بوجه عام مالت إلى مقياس اللين الخلفي المسمَّى بالضمَّة، لأنَّه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية، فحيث كسرت القبائل المتحضرة وجدنا القبائل البدوية تضم، والكسر والضم متشابهان من الناحية الصوتية لأنَّهما من أصوات اللين الضيِّقة⁽¹⁾ . لذلك تحلُّ أحدهما محل الأخرى في كثير من الظواهر اللغوية، إلا أنَّ الكسر دليل التحضر والرِّقَّة في كثير من الظواهر اللغوية، فهي حركة المؤنث في العربية والتأنيث محل الرِّقَّة أو ضعف الأنوثة والحضري أميل إليه بوجه عام، بل يؤكد بعض المحدثين أنَّ الكسرة في كثير من اللغات ترمز إلى صغر الحجم والرِّقَّة وقصر الوقت⁽²⁾ .

(1) الفائق، 40/3 (عول)

(2) ينظر: الصحاح، 280/6، واللسان، 251/14 (دحا)

(3) اللسان، 482/11 (عول)

(4) المصدر نفسه

(5) النساء، 3، وقد نقل قول الشافعي هذا في اللسان، 482/11 (عول)، ويؤيد ذلك ما نُقِلَ في مجمع البحرين، 432/5 (عول)

(6) اللسان، 482/11 (عول)

(7) أخرجه بهذه الرواية الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، 65/1، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، 597

(8) ينظر: في اللهجات العربية، 38-46، 94

(9) النهاية، 61/3 (صوغ)

(10) ينظر: الجمهرة، 80/3، والصحاح، 14/4، واللسان، 442/8 (صوغ)

(11) اللسان، 442/8 (صوغ)، وينظر: الخصائص، 351/1

(12) النهاية، 61/3 (صوغ)

(1) ينظر: في اللهجات العربية، 91، والأصوات اللغوية، 40

(2) ينظر: في اللهجات العربية، 91، ومن أسرار اللغة، 126



والواو ليست في الحقيقة إلا مدّاً للضم مع فرقٍ طفيفٍ في وضع اللسان وإنّ الياء هي مدٌّ للكسرة مع فرقٍ طفيفٍ - أيضاً - في وضع اللسان⁽³⁾، وعليه كان الحجازيون يميلون إلى الكسر بخلاف غيرهم من البدو، إلا أنّ ذلك لا يمكن أن يؤخذ على إطلاقه كما رأينا في ما سبق، وفي ما يأتي:

- في حديث عبد الله بن مسعود: ((إياكم وهَوَشات الليل وهَوَشات الأسواق - وبعضهم - يقول: هَيَشات السوق))... والهوشة: الفتنة والهيح والاختلاط⁽⁴⁾. وابن مسعود من هُذيل ويتوقع منهم إيثارهم الياء، لأنّهم أقرب إلى التحضّر⁽⁵⁾. إلا أنّ الأمثلة التي رويت على هذه اللغة، تُرَجِّح أنّ بعضهم كانوا بدواً يعيش على قنن الجبال ومسارب المياه، كان عملهم إثارة الرعب، ونهب القوافل، والصعلكة التي تتمثل في مجموعة من شعرائها⁽⁶⁾. ومن ذلك قول خالد بن زهير:

يا قوم مالي وأبا ذؤيب كنت إذا أتوته من غيب⁽⁷⁾.

قال ابن دريد مُعَقِّباً بعد إيراده البيت: ((هذه لغة هذيل أتا يأتوا أتوا...))⁽⁸⁾. ونَسَب ابن عقيل إلى بني هذيل قولهم (الذون) في الرفع و(الذين) في النصب والجر وعليه قول الشاعر:

نحن الذون صَبَحُوا الصَّبَاحَ يوم النخيل غارة ملحاحاً⁽⁹⁾.

وقول أبي صخر الهذلي:

فإن يعذر القلب العَشِيَّة في الصِّبَا فؤادك لا يعذرک فيه الأَقاوم⁽¹⁰⁾.

وقد روى (الأقايم) يريد القوم⁽¹⁰⁾. وتبعاً لذلك يُرَجِّح أن تكون ثلّة كبيرة من أبناء هذه القبيلة بدواً على ما ذُكِرَ. أمّا قول أوس بن حجر:

لَحِيثُهُمْ لَحَوَ العصا فطَرَدَتْهُمْ إلى سَنَةِ جَرْدَانِهَا لم تَحْلَمْ

الذي نقله ابن قتيبة⁽¹⁾. فكان الأقرب فيه أن ينطقه بالواو لأنّه شاعر تميمي⁽²⁾. وتغلّب على تميم البداوة كما ذُكِرَ إلا أنّ ذلك يمكن أن يعود إلى العلاقة والتزاوج بين تميم وقريش إلى الحدّ الذي جعلت لها الإفاضة في الحج من المكيين⁽³⁾، فضلاً على علائق النسب والتزاوج بين القبيلتين⁽⁴⁾، ويرى الدكتور أنيس أنّ الشاعر في النادر من الأحيان قد ينسى نفسه وينطلق على سجيّته فينطق بغير ما كان متوقعاً منه، وهو ما يمكن أن يُفسّر لنا بعض الروايات النادرة على افتراض صحتها⁽⁵⁾.

وأما قول الحجاج بن يوسف الثقفي: ((لألحونكم لَحَوَ العود))، فكان يتوقع وروده بالياء لأنّه من ثقيف وثقيف من قيس⁽⁶⁾. وقيس على ما يروي أبو زيد تقول: لا تَجَلْ، بخلاف الحجازيين الذين يقولون: لا تَوَجَلْ⁽⁷⁾، إلا أنّ قيساً - كما ذكر - قبائل وبطون كثيرة فيتوقع صدور هذا الحرف من بعض بطونها ممّن تغلّب عليه صفة البداوة، وحتى مع احتمال نسبة ثقيف إلى هوازن على ما يذكر

(3) ينظر: في اللهجات العربية/91، 92

(4) غريب القاسم، 2/، وينظر: غريب ابن قتيبة 442/2، و غريب ابن الجوزي 504/2 (هوش)

(5) ينظر: ص 170 من هذه الأطروحة

(6) ينظر: اللهجات العربية في التراث/407

(7) ديوان الهذليين، 165/1

(8) الجمهرة، 170/1

(9) ينظر: شرح ابن عقيل، 144/1

(10) ينظر: المخصص، 22/14

(1) ينظر: غريب ابن قتيبة، 701/3، وديوان أوس/119

(2) ينظر: الأغاني، 64/11

(3) ينظر: النقائض، 450/1

(4) ينظر: ص 156 من هذا الفصل

(5) ينظر: في اللهجات العربية/96

(6) ينظر: اللسان، 20/9 (ثقف)

(7) ينظر: غريب الحربي، 137/1



ابن منظور⁽⁸⁾، فهو وزن قبيلة كبيرة تمتد على أصقاع واسعة وتشمل بطوناً كثيرة⁽⁹⁾. وثقيف نفسها بطن واسع نزلت الطائف من أرض نجد على مرحلتين من مكة⁽¹⁰⁾. وعليه يكون من العسير معرفة بيئة الملقى أو الناقل مع انتسابه إلى هذه البيئات الفضفاضة والمتحركة، واحتمال طروء عنصر التأثير والتأثر بين البدو والحضر، وسيكون الترجيح هو الفصيل - غالباً - في مثل ذلك، لذا يمكن تصور ورود اللغة بالواو عن بعض الحجازيين بحسب رواية أبي زيد - الأنفة - كما يمكن أن يكون هذا المستوى النطقي أو ذاك من اختيار الخطيب أو الشاعر نفسه سعياً إلى اللغة العليا في ما عُرف في مواقع الخطاب والمناسبات الاحتفالية، وهو ما يمكن تأمله في قول الحجاج باختياره اللغة الواوية مثلاً⁽¹¹⁾.

ثانياً: إيثار بعض الصوائت القصيرة في لغات القبائل أو حذفها

ذُكر في مورد المعاقبة بين الواو والياء ميل بعض القبائل إلى إيثار الواو وآثرت قبائل أخرى الياء، والصوائت القصيرة هي أبعاض حروف المد واللين (الألف والواو والياء)، قال ابن جني: ((علم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو، فكما إن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو، وقد كان متقدِّمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة))⁽¹⁾.

وقال في موضع آخر: ((فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنها توابع للحركات ومُتَنَشِّئة عنها وأنَّ الحركات أوائل لها، وأجزاء منها، وأنَّ الألف فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة))⁽²⁾.

وقد أخذت الدراسات الصوتية المعاصرة بهذا التقسيم إذ جَعَلَت الحركات صنفين أحدهما: حركات طويلة: الألف والواو والياء، والآخر قصيرة: الفتحة والضمة والكسرة⁽³⁾. وبما أن الصوائت القصيرة هي أبعاض لحروف اللين هذه، فقد آثرت بعض القبائل صائناً قصيراً على غيره مثلما آثرت صائناً طويلاً على غيره.

هذه الصوائت الطويلة التي تكون مخارجها أوسع والتعديلات التي تقوم بها أعضاء النطق في طريق الهواء لا تؤدي إلى عوقه بل يكون حراً طليقاً ويتخذ اللسان والشفَتان أوضاعاً ثابتة⁽⁴⁾ هي التي تحدّد هوية مخارج الصوائت القصيرة فأما أن تكون خلفيّة كالضمة والفتحة، وذلك لأنَّ مؤخرة اللسان تصعد نحو الحنك الأعلى وتهبط إلى قاع الفم، أو أماميّة كالكسرة، لأنَّ طرف اللسان يصعد نحو الحنك الأعلى ويهبط إلى قاع الفم⁽⁵⁾. إنَّ هذا التقارب في المخرج والصفة أدّى إلى إحلال إحدى الحركات محل الأخرى، انسجاماً مع طبيعة المتكلم وظروف بيئته.

1- الميل إلى الكسر: ذهب المحدثون إلى أنَّ الكسر ينسجم مع الحياة الحضرية، ويدلّ على الرِّقة في معظم البيئات اللغوية، وأنَّ الضم يوافق البداوة التي تؤثر الخشونة⁽⁶⁾. ومن أمثلة ذلك:

(8) ينظر: اللسان، 20/9 (ثقف)

(9) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 45/46

(10) ينظر: صبح الأعشى، 343/1، ومعجم قبائل العرب، 149/1، ومعجم ما استعجم، 67/1، 77، 79

(11) لقد تصدرت اللغة الواوية كلام المعجمين وقُيِّمت على اختها اليائية، وإن لم ينصوا صراحة على هذا، ينظر: الصحاح، 495/6، واللسان، 243-241/15 (لحا)

(1) سر الصناعة، 33/1

(2) المصدر نفسه، 26/1

(3) منهج البحث اللغوي، د: علي زوين، 64

(4) ينظر: أسس علم اللغة، ماريو باي، 78، والكلام إنتاجه وتحليله، د: عبد الرحمن أيوب، 296، واللهجات العربية في معجمات القرن

الرابع، 120

(5) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، د: محمد عبد العزيز، 48، واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع، 120

(6) ينظر: في اللهجات العربية، 91، ولهجة قبيلة أسد، 126



- في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((في الرَّحِمِ هي شَجَنَةٌ من الله))، قال أبو عبيد وتبعه ابن الجوزي: يعني قرابة مشتبكة كأشتباك العروق... وفيه لغتان: شَجَنَةٌ وشَجَنَةٌ⁽⁷⁾.
ومما تُسَبِّحُ إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((في السَّقَطِ يَظَلُّ مُحَبَّنْطِيًّا عَلَى بابِ الْجَنَّةِ. فيُقالُ له: أَدْخِلْ، فيقول: حَتَّى يَدْخُلَ أَبْوَيا))... قال الأصمعي: السَّقَطُ والسَّقَطُ لغتان⁽¹⁾.
وفي تَبَعِ الأول: ((فَعَزَمَ الْمَلِكُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَخْرِبَ مَكَّةَ وَيَقْتُلَ أَهْلَهَا فَأَخَذَهُ اللَّهُ بِالصَّدَامِ))⁽²⁾
عَقَّبَ البيرجندي بقوله: ((الصَّدَام - بالكسر - داءٌ يَأْخُذُ رُؤُوسَ الدَّوَابِّ - والعامةُ تَضُمُّه، وهو القياس))⁽³⁾.
ومنه عن الصادق (عليه السلام): ((أُعِيذُ مَنْ عُلِقَ عَلَيْهِ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْخِيلِ... وَالصَّدَامِ))⁽⁴⁾، لكن السماع وَرَدَ عَلَى الكسر في هذين الحديثين، وعليه قول الشاعر:
وما اتَّخَذْتَ صِدَاماً لِلْمَكُوثِ بِهَا وما انتَفَشْتَكَ إِلَّا لِلْوَصَرَاتِ⁽⁵⁾.
وهو ممَّا يُقَوِّي هذه اللغة ويُقَدِّمُهَا.
وتُسَبِّحُ إِلَى الإمام الباقر (عليه السلام) فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ: ((إِنَّمَا أَنْتَ لِصٍّ مِنْ لُصُوصِ الذُّنُوبِ))⁽⁶⁾، قال البيرجندي: ((اللِّص - بالكسر - واحد اللصوص، وهو السارق، وبالضم لغة))⁽⁷⁾.
جاءَ فِي (غريبِ الحربي): ((جَجِرَ وَحُجِرَ... كَسَرَ قَوْمَ الْحَاءِ فَقَرَأَ جَجِرَ وَرَفَعَ آخَرُونَ فَقَالُوا: حُجِرَ...))، ثم ذكر الحربي طائفة من القراء الذين قرأوا بالكسر وغيرهم ممَّن قرأ بالضم، فكان أكثر القراء على الكسر، ونَصَّ الكسائي على اللغتين، ثُمَّ قال الحربي أَنَّ عيسى بن عمر سئِلَ فقال: ((جَجِرَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَحُجِرَ لُغَةُ سُقْلَى مُضَرَ))⁽⁸⁾، وسُقْلَى مُضَرَ هي تميم والقبائل النجدية⁽⁹⁾.
هذا وقد تَوَقَّفَ بعض علماء الغريب عند هذه اللغات مُشِيرِينَ إِلَى هذه الاختيارات، فقد نقل ابن قتيبة عن الفراء أَن: ((الْمُجَسَّدُ وَالْمُجَسَّدُ وَاحِدٌ... فَكُسِرَ أَوَّلُهُ بَعْضُهُمْ وَكَذَلِكَ قَالُوا: مِصْحَفٌ... وَأَصْلُهُ الضَّم، وَمِطْرَفٌ... وَيُقَالُ: مُطْرَفٌ وَمِصْحَفٌ عَلَى الْقِيَاسِ))⁽¹⁰⁾.
قال أبو بكر بن دريد: ((تميم تقول: مُطْرَفٌ وَمِصْحَفٌ وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: مُطْرَفٌ وَمِصْحَفٌ))⁽¹¹⁾، ولغة بصرية تقول: الْمُجَسَّدُ، بضم الميم وهو المشبع صبغاً فِي الْمُجَسَّدِ⁽¹²⁾.
وفي الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فِي ذِكْرِه الدِّجَالُ: ((... وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ تَنْبَتُ كَمَا كَانَتْ تَنْبَتُ عَلَى عَهْدِ آدَمَ (صلى الله عليه وسلم) يَجْتَمِعُ النَّفَرُ عَلَى الْقُطْفِ فَيَشْمِعُهُمْ))، ذكر ابن قتيبة: ((أَنَّ الْقُطْفَ الْعُنُقُودُ، وَالْمُحْدَثُونَ أَوْ أَكْثَرُهُمْ يَرَوْنَهُ بِفَتْحِ الْقَافِ، وَالْقِيَاسُ أَنْ يَكْسَرَ، لِأَنَّهُ اسْمٌ مَا قُطِفَ))⁽¹⁾.
وفي حديث عثمان (رضي الله عنه): ((وَأَبْلَغْتَ الرَّائِعَ مَسْقَاتِهِ))، قال ابن قتيبة وتبعه ابن الجوزي: ((وَالْمَسْقَاةُ: مَوْضِعُ الشَّرْبِ وَهُوَ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْعَوَامُ تَقُولُ: مِسْقَاةٌ بِكسرها))⁽²⁾.

(7) غريب القاسم، 209/1، وغريب ابن الجوزي، 502/1 (شجن)

(1) غريب القاسم، 130/1، وينظر: غريب ابن الجوزي، 485/1 (سقط)

(2) بحار الأنوار، 345/2

(3) غريب الحديث في بحار الأنوار، 345/2، وينظر: الصحاح، 318/5 (صدم)

(4) بحار الأنوار، 43/92، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 345/2 (صدم)

(5) اللسان، 334/12 (صدم)

(6) بحار الأنوار، 170/75

(7) غريب الحديث في بحار الأنوار، 368/3، وينظر: الصحاح، 263/3، واللسان، 87/7، ومعجم البحرين، 182/4 (لصص)

(8) ج1/ص232، والآية 138 من سورة الأنعام

(9) ينظر: اللهجات العربية في التراث/567

(10) غريب ابن قتيبة، 198/2-199

(11) الجمهرة، 369/2 (رطف)

(12) ديوان الأدب، 296/1، وينظر: المجلد، 131 (جسد)

(1) غريب ابن قتيبة، 273/1، 276

(2) المصدر نفسه، 82/2، وينظر: غريب ابن الجوزي، 359/2



وفي رواية البزنطي: ((سألت الرضا(عليه السلام) عن قوله عز وجل: ﴿وَأَتَوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾⁽³⁾... قال: هكذا يقرؤها من قبلكم؟ قلت نعم، قال: افتح الفم بالحاء، قلت: حصاده⁽⁴⁾، فالبزنطي أمال بالكسر على وفق لغته، التي لم تلق قبولاً من الإمام(عليه السلام) الذي استعصم بلغة الوحي. ومن ذلك في حديث أبي هريرة: قال أبو عبيد أن رجلاً سأله فقال: ((إني رجل مصرّاد أفأدخل المَبْوَلَة معي في البيت؟ فقال: نعم، وادخل في الكسر))، ثم قال القاسم: ((قوله في الكسر، هي الشقّة التي تلي الأرض من الخباء...))، وأنشد للأخطل يذكر رجلاً: وقد عَبَّرَ الفعلان حيناً إذا بكى
ثم قال: ((وفيه لغتان الكسر والكسر))⁽⁶⁾. فأما أبو هريرة فأكثر مقامه في المدينة⁽⁷⁾. وإن كان ينتسب إلى دوس الأزدية اليمانية⁽⁸⁾. لذا يتوقع جريانه على ما جرى عليه الحضر في إثارة الكسر في هذا. ونُقِلَ عن أبي ذر: ((وامرأتان تدعوان إسافاً ونائلة))، وإساف بكسر الهمزة، وقد تُفْتَحَ⁽⁹⁾. وأبو ذر من كنانة⁽¹⁰⁾ وكنانة حجازية⁽¹¹⁾.
2- الميل إلى الضم: وقد علّل المحدثون الميل إلى الضم بأنه يُمثّل بيئته البداوة التي تحرص على الخشونة، والنطق بالضمّة يحتاج إلى مجهود عضلي أكثر من غيرها، لأنها تتكون بتحريك أقصى اللسان⁽¹²⁾ فمن ذلك:
- الحديث: ((اللهم أغفر لنا حَوْبَنَا)) أي إثمنا، وتفتح الحاء وتضم، وقيل الفتح لغة الحجاز، والضم لغة تميم⁽¹³⁾.
- في حديث عمر(رضي الله عنه): ((إذا التقى الرَّفْعَانِ وجب الغسل)) هما أصول الفخذين، وقال أبو خَيْرَة: الرَّفْعَانِ بفتح الراء، وأهل الحجاز يرفعونه⁽¹⁾. وقد علّل بعض الباحثين إثارة الحجازيين لهذه الضمة، وذلك لضرب من المجانسة بين الحرف الشفوي الأسناني(الفاء) والحركة⁽²⁾. والرواية في النهاية بالرفع⁽³⁾، وكذا في اللسان⁽⁴⁾. وقريب من قول عمر(رضي الله عنه) السابق قوله الآخر في الدعاء يستسقي بالعباس عمّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((اللهم إنا نتقرب إليك بعَمّ نبيك... وكُبّر رجاله))... ويُقال: كَبُر، وقرئ قوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾⁽⁵⁾ باللغتين⁽⁶⁾.
- وفي النهاية: ((يُقال: برأت من المرض أبرأ برءاً بالفتح... وغير أهل الحجاز يقولون: برئت بالكسر برءاً بالضم))⁽⁷⁾.

(3) الأنعام / من الآية 141

(4) بحار الأنوار، 332/1، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 332/1(حصد)

(5) ديوان الأخطل/125

(6) غريب القاسم، 197/4-198 (كسر)

(7) ينظر: تهذيب التهذيب، 262/12، والإصابة، 199/7

(8) ينظر: ص180، 181

(9) النهاية، 49/1(أسف)

(10) ينظر: الإصابة، 60/7، وغريب الخطابي، 17/2

(11) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 567، والأصوات اللغوية، د: غالب/157

(12) ينظر: في اللهجات العربية/91، ولهجة قبيلة أسد/91

(13) النهاية، 455/1(حوب)

(1) الفائق، 72/2(رفع)

(2) ينظر: اللهجات العربية الغربية القديمة/184، واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع/122

(3) النهاية، 244/2

(4) اللسان، 429/8

(5) النور/ من الآية 11

(6) الفائق، 215/3، 216(قفى)

(7) النهاية، 111/1(برأ)



- وفي الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ملعون من غيّر تُخوم الأرض)) قال القاسم بن سلام: ((وأما قوله التّخوم، فإنّ فيه قولين، فأما أصحاب العربية فيقولون: هي التّخوم مفتوحة التاء، ويجعلونها واحدة، وأما أهل الشام فيقولون: التّخوم بضم التاء، يجعلونها جمعاً والواحدة منها في قولهم: تَخَمُ))⁽⁸⁾.

والراجح ما نصّت عليه الرواية الأولى، واتفق عليها مصنفو غريب الحديث⁽⁹⁾، وعليها حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) الآخر: ((من صَبَرَ على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تُخوم الأرض إلى العرش))⁽¹⁰⁾ تُخوم الأرض معالمها وحدودها واحدهما تَخَم⁽¹¹⁾. قال أحيحة بن الجلاح: ويُقال هو لأبي قيس بن الأسلت:

يا بنيّ التّخوم لا تظلموها إن ظلم التّخوم ذو عقال⁽¹²⁾

وحتى إذا افترضنا مع من يفترض أداء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على البيئة الحجازية أو القرشية دون غيرها، فما ورد - هنا - لا يتفق مع ما ذهبوا إليه من إثارة البيئات الحضرية غير الضم.

إلا أنّ الضم والفتح عليّ ما يظهر من بعض الروايات لغتان، قال ابن بري: ((يُقال: تَخُوم وتُخُوم ورُبُور ورُبُور وعُدُوب وعُدُوب في هذه الأحرف الثلاثة قال: ولم يعلم لها رابع، والبصريون يقولون: تَخُوم بالضم، والكوفيون يقولون: تَخُوم بالفتح وقال كثير: وعُلّ ثرى تلك الحفيرة بالندى وبُورك مَنْ فيها وطابت تُخومها))⁽¹⁾

وأنشد ابن السكيت لأعرابي من بني سليم:

فإنّ أفخر بمجد بني سليم أكنّ منها التّخومة والسّرار⁽²⁾

وذكر الهروي الأول حديث عروة بن الزبير بن العوام حين ذكر أحيحة بن الجلاح وقول أخواله فيه: ((كنا أهل ثَمّه ورُمّه حتى استوى على عمّه))، فقال: ((هكذا يحدثونه: أهل ثَمّه ورُمّه - بالضم، ووجهه عندي ثَمّه ورُمّه بالفتح، والثم: إصلاح الشيء وإحكامه ... والرّم من المطعم))⁽³⁾

وبعدَ عرض هذه الروايات يظهر أنّ طائفة ممّن ينتسبون إلى بيئات تُعدّ بوجه عام حضرية آثروا الضم، فمنها ما نُقلَ عن حجازيين وما نُسبَ إلى البصريين وما أثر عن كثيرٍ وهو من خزاعة وهي كما ذكر تتسم بالتحضر⁽⁴⁾. وما نُقلَ عن أخوال أحيحة الذي ينتسب إلى الخزرج⁽⁵⁾ فضلاً على ما يُنسب إليه في اللسان.

وإذا ما تجاوزنا الرواة في هذه الاختلافات، فينبغي أن لا ننسى دور الخطيب أو الشاعر في الاختيار والتماس اللغة العليا وإن جرت على خلاف ما جرى عليه قومه، فضلاً على ما ذكر من أنّ كثيراً من القبائل أو البيئات والأصقاع التي يُنتسب إليها واسعة مترامية الأطراف، تحتاج إلى تحديد أكثر دقة لتحصيل المراد وهو ممّا لم يحصل - غالباً - يُضاف إلى ذلك حركة القبائل والبطون الدائمة والمستمرة وما يتبعها من تأثير أو تأثر في ما بينها، وغير هذا وذاك فاللغات لا يمكن أن تحكم بضوابط أو قواعد لا يمكن الخروج عليها، فالتأثير والتأثر - كما مر - والتطور الذي يطرأ عليها بتعاقب الأزمان مما لا سبيل إلى نكرانه، وإلا فكثير ممّا اعتصم به الباحثون المحدثون لا يعدو الترجيح .

(8) غريب القاسم، 111/3 - 112، وينظر، غريب ابن الجوزي 104/1 (تخم)، والجامع الكبير، 804/1

(9) ينظر: الفائق، 149/1، والنهاية، 183/1، 184 (تخم)

(10) بحار الأنوار، 77/68

(11) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 173/1 (تخم)

(12) ينظر: غريب القاسم، 112/3، والصاح، 189/5، واللسان، 64/12 (تخم)، وقد وردت نسبة البيت إلى قائله في (اللسان) فقط دون غيره من المصدرين المذكورين

(1) اللسان، 65/12 (تخم)، وينظر: ديوان كثير، 334

(2) ينظر: الصاح، 189/5 (تخم)

(3) غريب القاسم، 403/4 - 404، وينظر: غريب ابن الجوزي 129/1 (ثم، رمم)

(4) ينظر: 192 من هذا الفصل

(5) ينظر: اللسان، 426/2 (جلج)، والأوس والخزرج يسكنون المدينة، ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/32



3- الميل إلى الفتح:- الفتحه أخفُّ الحركات وأيسرها على جهاز النطق, ولذا يُعدُّ الميل إليها طلباً للتخفيف من الجهد العضلي المبذول⁽⁶⁾, ويبدو أنَّ البيئات الحضرية أكثر ميلاً إلى الفتح من البيئات البدوية.

وقد وجدنا الأخطل التغلبي شاعر الأمويين⁽⁷⁾ يؤثر الفتح - في المورد السابق - وتغلب على ما يصف الفارابي كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية, وقد غلبت على كثيرٍ منهم الحضرية⁽⁸⁾. وكذلك تصورنا هذه الصفة على بني سليم - سابقاً⁽¹⁾ - .

ومما يؤكد ذلك ما رُوِيَ عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وقرشيين آخرين ، من ذلك:

- ما نسبته الهروي الأول إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ((...المسلم أخو المسلم يسعهما الماء والشجر ويتعاونان على الفتان)) - يروى: الفتان... ومعناها واحد وهو الشيطان أو المضلُّ عن الحق, ورواية الضم قد تكون عن قِيلة التميمية التي نقلت الحديث, وقد تركت عليه شيئاً من أدائها التميمي كالعننة⁽²⁾.

- ومن ذلك قول عمر بن عبد العزيز لعدي بن أرطاة: ((إنما أنت ربذة من الربذة...)), قال ابن قتيبة عقيب ذلك أنَّ ابن الأعرابي سئل عنها فقال: ((هي خرقاة أو صوفة يهنأ بها البعير ... وذكر الزيادي عن الأصمعي أنه قال: الربذة أيضاً: صوفة تعلّق على الهودج, وقال: وهي - أيضاً خرقاة الحيز, وفيها لغة أخرى: ربذة))⁽³⁾.

- ومن ذلك حديث طلحة: ((فأدخلت في الحشّ وقربوا فوضعوا اللجّ على قفّي)) , ...قوله: اللجّ , قال الأصمعي: يعني السيف... وأمّا الحشّ فالبستان, وفيه لغتان الحشّ والحشّ⁽⁴⁾.

وعمر بن عبد العزيز ولد ونشأ في المدينة⁽⁵⁾, وكذلك طلحة التيمي القرشي المدني⁽⁶⁾.

- ومن ذلك ما نسبته الخطابي إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((الحرب خدعة)), ونقله في

الموضع نفسه عن علي(عليه السلام)⁽⁷⁾. وقال الحافظ أبو موسى: ((وقيل: الخدعة بالفتح لغة النبي(صلى

الله عليه وآله وسلم))⁽⁸⁾. وقد نصّ اللغويون على أنها أفصح اللغات⁽⁹⁾. ولا شك في ذلك, فرسول

الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أفصح الناس.

ومن ذلك حديثه(صلى الله عليه وآله وسلم) الآخر: ((فاطمة بضعة مني))⁽¹⁰⁾. قال ابن الأثير معقباً -

وتبعه البيرجندي - : ((البضعة بالفتح, القطعة من اللحم, وقد تكسر, أي أنها جزء مني))⁽¹¹⁾.

تعقيب:

لقد فسّر علماء اللغة المحدثون ميل اللغات إلى بعض الصوائت القصيرة في كثير من الألفاظ بما يسمّى بقانون انسجام أصوات اللين في الكلمة الواحدة, وهي ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات, فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تلجأ في تطورها إلى الانسجام بين هذه الحركات, وقد أثبتت الملاحظات الحديثة أنَّ الناطق حين يقتصد في الجهد العضلي يميل إلى هذا الانسجام في الغالب.

(6) ينظر: لهجة قبيلة أسد/138

(7) ينظر: الشعر والشعراء/189

(8) ينظر: الاقتراح للسيوطي/19-20, والمزهر, 167/1

(1) ينظر: ص152-153 من هذا الفصل

(2) غريب القاسم, 52/2-57 وينظر: غريب ابن الجوزي 175/2(فتن)

(3) غريب ابن قتيبة, 585/2

(4) غريب القاسم, 10/4(حش)

(5) ينظر: تهذيب التهذيب, 475/7

(6) ينظر: الإصابة, 290/3

(7) غريب الخطابي, 164/2

(8) المجموع المغيبي, 556/1(خدع)

(9) ينظر: الصحاح, 463/3, والنهاية, 14/2, واللسان, 64/8(خدع)

(10) بحار الأنوار, 39/43, وينظر: النهاية, 133/1, وغريب الحديث في بحار الأنوار, 129/1(بضع)

(11) المصادر نفسها



وتتباين درجات الانسجام من حيث اليسر أو الصعوبة، فتوالي الضم ثم الكسر ثم الفتح يُعدّ أشق من توالي ضمّتين ثم الفتح، أو توالي كسرتين ثم الفتح وأيسرها على ما يبدو مجيء فتحّتين قبل ضم.

ولا يتوقع أن يلتصق الناطق - دائماً - أيسر السبل، لكن المتوقع منه أن يقوم ببعض الانسجام أياً كانت درجته من اليسر.

وتأمل الروايات التي نُقلت عن اللغات القديمة، يظهر بوجه عام أن لغات البدو أميل إلى هذا الانسجام من لهجات الحضر، التي تحقّق فيها الأصوات نتيجة التآني والتؤدة في النطق⁽¹⁾. والانسجام ظاهرة صوتية لا يقتصر أمره على اللغات البدوية بل يوجد - أيضاً - في لغات الحضر، فمن ذلك في حديث الدعاء ((سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ))، قال ابن الأثير - معقّباً -: ((يُرويان بالضم والفتح والفتح أقيس والضم أكثر استعمالاً...))⁽²⁾.

ويظهر من استقراء أقوال اللغويين أن الفتح فيهما هو الأصل ثم تطوّر عنه الأداء بالضم، وما ذاك إلا لضرب من الانسجام حدث بعد مدّة من الزمن، ((وكان سيبويه يقول: هو قُدُّوسٌ وَسُبُّوحٌ بفتح أوائلهما... قال ثعلب: كلُّ اسم جاء على فُعُول فهو مفتوح الأول مثل سَفُودٍ، وكَلُوبٍ وَسَمُورٍ... إلا السُّبُّوحُ والقُدُّوسُ فإنّ الضم فيهما أكثر، وقد يفتحان...))⁽³⁾. وقال أبو إسحاق: ((وليس في كلام العرب بناءً على فُعُولٍ، بضم أوله، غير هذين الاسمين الجليلين وحرف آخر... ذُرُوحٍ))⁽⁴⁾.

- وفي الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((القرآن مَأْدِبَةٌ لِلَّهِ فتعلموا مَأْدِبَتَهُ ما استطعتم))⁽⁵⁾، جاءت كلمة (مَأْدِبَةٌ) بضم الدال ومثله حديث علي (عليه السلام) لعثمان بن الأحنف: ((بلغني أن رجلاً... دعاك إلى مَأْدِبَةٍ فأسرعت إليها))⁽⁶⁾، ونسب الهروي الأول حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا إلى ابن مسعود ثم قال: ((وكان الأحمر يجعلهما لغتين مَأْدِبَةٌ ومَأْدِبَةٌ بمعنى واحد))⁽⁷⁾.

وذكر ابن الأثير وتبعه البيرجندي أن: ((المشهور في المَأْدِبَةِ ضمّ الدال، وأجاز بعضهم

الفتح))⁽¹⁾، ونصّ الجوهري على هاتين اللغتين⁽²⁾، وكذلك ابن منظور⁽³⁾. وتبعاً لذلك يُرجّح أن اللغة بالضم هي الأصل بدليل ورودها في هذه الأحاديث وصدورها عن الفصحاء، وأمّا اللغة بالفتح فقد تطوّرت عن الأولى بإيثار الفتحة على الدال الأولى لتنسجم الفتحة مع الفتحة⁽⁴⁾.

- ومن ذلك في حديث علي (عليه السلام) في الأضحية: ((ولو كانت عضباء القرن تُجرُّ رجلها إلى المنسك))⁽⁵⁾، المنسك والمنسك - فتحاً وكسراً - الموضع الذي يُذْبَح فيه⁽⁶⁾. وقد قرئ بهما⁽⁷⁾ في

(1) ينظر: في اللهجات العربية/96-98

(2) النهاية، 332/2 (سبح)

(3) الصحاح، 135/3 (قدس)، وينظر: الكتاب، 327/1، و42/4، واللسان، 472/2 (سبح)

(4) اللسان، 472/2 (سبح)

(5) بحار الأنوار، 19/89، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 46/1 (أدب)

(6) المصدران السابقان

(7) غريب القاسم، 108/4، وينظر: غريب ابن الجوزي 15/1

(1) النهاية، 31/1، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 46/1 (أدب)

(2) ينظر: الصحاح، 133/1 (أدب)

(3) ينظر: اللسان، 206/1 (أدب)

(4) ينظر: في اللهجات العربية/96-99، واللهجات العربية في التراث/266-273

(5) بحار الأنوار، 300/96، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 40/4 (نسك)

(6) غريب الحديث في بحار الأنوار، 40/4، وينظر: مجمع البحرين، 295/5 (نسك)

(7) ينظر: الصحاح، 397/4، واللسان، 499/10 (نسك)



قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسِكًا مِّمَّنْكُمْ﴾⁽⁸⁾ وقد رُوِيَ عن بني أسد أنهم يقولون: مَنْسِكٌ وأهل الحجاز يقولون: مَنْسِكٌ⁽⁹⁾.

- ورُوِيَ عن الصادق (عليه السلام): ((شُهُ شُهُ تِلْكَ الْحَمْرَةُ الْمُتَنِّتَةُ))⁽¹⁰⁾، النَّثْنُ - بالفتح - فالسكون - الرائحة الكريهة ... واثْنَنَّا انتاناً فهو مُتْنَنٌ، ومُتْنَنٌ كُسِرَت الميم اتباعاً لكسرة التاء⁽¹¹⁾.
ومُتْنَنٌ هي الأصل على ما يظهر ثم كُسِرَت الميم لتحقيق الانسجام في زَمَنِ تَالٍ، قال ابن جني: ((أَمَّا مُتْنَنٌ فَهُوَ الْأَصْلُ ثُمَّ يَلِيهِ مُتْنَنٌ...))⁽¹²⁾. وكُسِرَت الميم - عند الجوهري - اتباعاً لكسرة التاء، لأنَّ (مفعلاً) ليس من الابنية⁽¹³⁾.

هذا وقد غُزِيت صيغة (مُتْنَنٌ) بالكسر إلى تميم، وبالصم إلى الحجاز⁽¹⁴⁾. فالبيئات البدوية كأسد وتميم⁽¹⁵⁾، أثرت الانسجام، فأما البيئات الحضرية كقريش أو الحجاز عموماً، التي يُنسب إليها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو علي (عليه السلام) أو حفيده الصادق (عليه السلام)، فيظهر أنها بقيت على الأصل، وكذلك جرت هذيل على ما يبدو على الأصل تبعاً لما نُقِلَ عن ابن مسعود وهو هذلي، والحجاز وهذيل من اللغات التي تَنْتَسِبُ إلى الكتلة الغربية التي تتسم - عموماً - بالتحضر⁽¹⁶⁾.
فأما حديث علي (عليه السلام) في الأضحية، فيمكن أن يُنسب الأداء فيه إلى الرواة، فهو لم يوافق ما نُقِلَ عن الإمام في حديثه الآخر، فضلاً على عدم موافقته لحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهما من أبٍ واحد، واختلافه عن حديث حفيده الإمام الصادق (عليه السلام). وقول الباحث - هنا - لا يتجاوز الترجيح والاجتهاد وإلا فلم تكن ظاهرة الانسجام جكراً على البيئات البدوية، فالبيئات الحضرية قد تجري على ذلك - أيضاً -.

ومن ذلك أن الحجازيين كما ذكرنا في هذا المورد كانوا يقولون: ((بَرَأْتُ مِنَ الْمَرَضِ))، وسائر العرب يقولون: ((بَرِئْتُ))، ويمكن أن نتصور تبعاً لذلك أن الأصل هو (بَرِئْتُ)، وإنَّ نوعاً من الانسجام بين الحركات قد أدَّى إلى الصيغة الأخرى (بَرَأْتُ).

ويرى بعض المحدثين أن السَّرَفَ في ميل العربية إلى هذا التقريب أو الانسجام أو المماثلة - وكلها مصطلحات متقاربة - أن اللغة نشأت شفوية لم تُقَيَّدَ بقيود الكتابة، واكتُفِيَ فيها أول الأمر بالسمع والنطق، فلا بُدَّ من أن تعنى كل العناية بهذا الانسجام أو التقريب الصوتي في الأمثلة السابقة، وعلى كثير من أبواب العربية كالإدغام والإبدال والإمالة والإتباع والقوافي وغيرها⁽¹⁾.

ويتصل بموضوع الانسجام هذا أن بعض العرب يُسَكِّنُ المتحرك في بعض الأوزان المستعملة في الاسماء والأفعال رَغْبَةً في التخفيف وقد نسبوا هذا التسكين في الأغلب إلى تميم وغيرها ممن تغلب عليهم صِفَةُ البداوة⁽²⁾ إلا أنه ليس بقاعدة تطرّد في كل الأمثلة التي سيعرضها الباحث في هذا المورد، وهو ما أُلْفَاهُ في عموم هذه الدراسة. وقد أوماً مصنفو غريب الحديث إلى هذا الباب إيماءً في بعض من الأمثلة التي عرضوها في مظانهم: قال ابن قتيبة: ((وَأَمَّا الْقَدْرِيَّةُ: فَإِنَّهُمْ مَنْسُوبُونَ إِلَى الْقَدْرِ، وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى الْقَدَرُ وَبَلْغَنِي عَنِ الْكِسَائِيِّ، أَنَّ هَـ قَالَ: يُقَالُ هَذَا قَدَرُ اللَّهِ وَقَدَرَهُ. وَقَالَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ»⁽³⁾. لو نُقِلَتْ كان صواباً. وفي قوله: «أُودِيَ بَقْلًا دَرَمًا»⁽⁴⁾ لو خُفِّفَتْ كان صواباً وأنشد:

(8) الحج/67

(9) ينظر: معاني القرآن، 230/2

(10) بحار الأنوار، 230/47

(11) غريب الحديث في بحار الأنوار، 16/4، ومجمع البحرين، 321/6 (نتن)

(12) الخصائص، 145/2، وينظر: اللسان، 426/13 (نتن)

(13) الصحاح، 98/6

(14) ينظر: المخصص، 206/11

(15) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 269

(16) ينظر: الأصوات اللغوية، د: غالب المطليبي، 157

(1) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 267، والأصوات اللغوية، 145-167، ولهجة قبيلة أسد، 82-140

(2) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً، 306

(3) الأنعام/91



وما صبَّ رجلي في حديد مُجاشع
أراد: القَدْر، ويُقال: هذا على قَدْر هذا وقَدْر هذا .
قال الأصمعي: أنشدني عيسى بن عمر لبدوي:
كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى أَخِيكَ مَتَاعٌ
وبَقْدَرٍ تَفَرَّقُوا وَاجْتَمَاعُ (5)

لقد عرض ابن قتيبة هاتين اللغتين وتمثَّل لهما من القرآن والقراءات والشعر، والنثر ولعلَّ ما نقله عيسى بن عمر عن هذا البدوي ما يؤكد حرص البدو على هذا الإسكان لغرض التخفيف.
وقال في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ويل لأقمار القول)) ... يعني الذين يستمعون القول كثيراً ولا يعملون به وهو جمع قَمْعٍ ومنه لغة أخرى قَمَعٌ مثل: ضِلَعٌ وضِلْعٌ (6).
وقال الهروي الأول في حديث كعب الأحبار ((فأصابه سهمٌ غَرَبٌ...)) : ((قال الكسائي والأصمعي: إنما هو سهمٌ غَرَبٍ بفتح الراء وهو السهم الذي لا يُعرف راميهِ... والمحدثون يُحدِّثونه بتسكين الراء، والفتح أجود وأكثر في كلام العرب)) (1).

وقد نُسِبَ مثل (قَمْع) بالتخفيف إلى تميم (2). وقال الجوهري: ((القَمْعُ والقَمْعُ: ما يُصَبُّ فيه الدُّهْن وغيره مثل نطع ونطع وناس يقولون: قَمْعٌ بفتح أوله وتسكين ثانيه)) (3).
ويُرجَّح في حديث كعب الأحبار أنَّه قيل في حِقْبَةٍ متأخرة على ما يُفهم من تحديث المحدثين فيه على التسكين، وأصل هذه اللغة بالفتح - على ما يظهر من كلام الكسائي والأصمعي (4) - ثم لجأ بعضهم ومنهم المحدثون إلى التسكين لغرض التخفيف.
وذكر البربرجندي في حديث علي (عليه السلام): ((لا أكون كالضُّبُع تنام على طول اللِّدَم)) (5):
((الضُّبُع بضم الباء في لغة قيس، وبسكونها في تميم)) (6).
ونقل الهروي الأول عن أعشى قيس:

إذا انكَبَّ أزهرُ بين السُّقاة
تراموا به غَرَباً أو نُضاراً (7).

فالإمام (عليه السلام) على ما روي عنه لم يُخَفِّف هنا، لأنَّه من بيئَةٍ عُرِفَتْ بالتأني والتؤدَّة، وكذلك جرى ذلك عند القيسيين مؤيداً بقول شاعرهم الأعشى، وكلا قريش وقيس من القبائل التي ينسبون لها إلى عليا مضر (8)، إلا أنَّ بني تميم حذفوا الحركة، رغبة منهم في التخفيف على ما عُرِفَ عن البدو عموماً.

ولقد فسَّر بعض المحدثين هذا التخفيف في لهجة تميم وإهماله عند غيرها إلى أنَّ لهجة تميم تنجح غالباً إلى أن تبدأ بمقطع طويل مغلق، بل تميل بوجه عام إلى المقاطع المغلقة، كما يكون عدد المقاطع في النطق التميمي، أقل منها في النطق الحجازي وتتوسَّل لهجة تميم وغيرها من القبائل البدوية إلى ذلك بوسائل منها: الإدغام والحذف ومنها التخفيف، ومن أمثلته:
- كلمة (قَمْع) عند تميم تتكون من: مقطع طويل مغلق + مقطع طويل مغلق (9).

قَمْعٌ = ق - م/ع - ن

والكلمة نفسها عند الحجازيين (قَمْع): مقطع قصير مفتوح + مقطع قصير مفتوح + مقطع طويل مغلق:
قَمْعٌ = ق - م/ع - ن

(4) الرعد/17

(5) غريب ابن قتيبة، 254/1

(6) المصدر نفسه، 337/1

(1) غريب القاسم، 344/4 - 345 وينظر غريب ابن الجوزي 148/2

(2) ينظر: جوامع كتاب إصلاح المنطق لأبي الخير البغدادي/56

(3) الصحاح، 560/3، وينظر: اللسان، 295/8 (قَمْع)

(4) ينظر: اللسان، 641/1 (غرب)

(5) بحار الأنوار، 135/32

(6) غريب الحديث في بحار الأنوار، 381/2 (ضبع)

(7) ديوانه/47، وينظر: غريب القاسم، 371/2 (غرب)

(8) ينظر: اللهجات العربية في التراث/567

(9) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د: عبد العزيز الصبيح/274-279



إنَّ قِلَّةَ عدد المقاطع في الكلمة التميمية بالموازنة مع كثرتها عند الحجازيين يوضِّح حقيقة سرعة الأداء عند بني تميم، فلو لا سرعة الأداء ما تأثرت الأصوات المتجاورة بعضها ببعض هذا التأثير القوي⁽¹⁾.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: ((إنَّ تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، ظاهرة صوتية تحدث كثيراً في البيانات البدائية حيث السرعة في نطق الكلمات ومزجها بعضها ببعض فلا يُعطى الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به))⁽²⁾.

ويرى الدكتور غالب المطلبي أنَّ التميميين نبروا على المقطع الأول في تخفيفهم نحو (ضَبْع) و(قَمْع) وهو ما يُفسَّر ميلهم إلى أن يكون هذا المقطع مغلقاً، ثم أنَّ النبر على المقطع الأول وعدم الضغط على المقاطع الأخيرة، يوضِّح لنا حقيقة أنَّ اللغة التميمية سريعة الأداء، وهي صفة تظهر إلى حدٍّ بعيد في اللغات البدوية كثيراً⁽³⁾، إلا أنَّ هذا يجري على تصور الكلمة بمعزل عن سياقها لأنَّ موقع النبر - مثلاً - يختلف بمجرد اتصال هذه المفردة بالحققة فضلاً على ورودها في جملة⁽⁴⁾. إنَّ ظاهرة التخفيف هذه لم تقتصر على البدو وحدهم بل أثرت جملة من النصوص التي نُسبت إلى أناس ينتسبون إلى بيئات حضرية وقد مالوا إلى التخفيف فمن ذلك:

- قول أبي عمرة عبد الرحمن بن محصن الأنصاري: ((... ليس كالصَّقر في رؤس الرِّفَل، الراسخات في الوَحْل))، قال الزمخشري عقيب نقله الحديث: ((الوَحْل: لغة في الوَحْل وهو الطين))⁽⁵⁾. والأنصار ممَّن يحسبون هم والمدينة عادة على القبائل الحضرية⁽⁶⁾.

قال الجوهري: ((الوَحْل بالتحريك: الطَّيْن الرقيق... والوَحْل بالتسكين لغة رديئة))⁽⁷⁾، ويبدو أنَّ وصفها بالرداءة يعود إلى مخالفتها الأصل المتحرِّك، كما يظهر من استقراء مرويات أهل اللغة في هذه المادة⁽⁸⁾.

- وحديث أبي سفيان: ((فَقُمْتُ إلى بكرة قَحْدَة أريد أن أُعْرِقَها))، قال ابن الأثير بعد نقله للحديث: ((القَحْدَة: العظيمة السَّنام... يُقال: بكرة قَحْدَة بكسر الحاء، ثم تُسَكَّن تخفيفاً فَخَذٌ وفَخَذٌ))⁽⁹⁾.

فإذا لم يكن للرواية أثر في هذا التغير، فَلَعَلَّ هؤلاء تركوا لغتهم ومالوا إلى التخفيف في مثل هذه الكلمات، ولقد ذكر ابن جني أنَّ بعض التميميين في بعض الألفاظ كانوا يتركون لغتهم إلى لغة الحجازيين وأنَّ هؤلاء يفعلون ذلك - أحياناً⁽¹⁾ -.

والوزن (فَعِلَ) نحو (قَحْد) و(فَخَذ) بفتح الفاء وكسر العين، إذا كان حلقي العين، فالمشهور عن التميميين تخفيفه بإسكان عينه مع بقاء حركة الفاء فيصيرا (قَحْد) و(فَخَذ)، ولهم طرق أخرى في التخفيف أشار إليها المحدثون⁽²⁾.

ولم يقتصر التخفيف على هذه الصيغ المفردة، بل يشمل ذلك بعض صيغ الجموع، ومن ذلك في حديث ابن عباس: ((أجاز لها العيرَات))، ذكر ابن الأثير: أنَّها جمع: عَيْر، ثم نقل عن سيبويه: إنَّهم اجتمعوا فيها على لغة هذيل، يعني تحريك الياء، والقياس: التسكين⁽³⁾.

وجاء في (اللسان): ((العير... والجمع عيرَات... وقد قال بعضهم عيرَات بالإسكان...))⁽⁴⁾، ويُفهم من هذا أنَّ الأصل بالتحريك ثم خُفِّف هذا الجمع بعد ذلك، فالأصل ما نطقت به هذيل، وما نطق به ابن عباس الذي يُنسب إلى قريش، ثم أثر أناس آخرون التسكين طلباً للتخفيف.

(1) ينظر: لهجة تميم/209، 210، والمصطلح الصوتي/274-279

(2) ينظر: في اللهجات العربية/71

(3) ينظر: لهجة تميم/217، 218، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث/35، 36

(4) ينظر: دراسات في اللسانيات العربية/50

(5) الفائق، 220/1 (حيلة)، وينظر: ديوان الأدب للفارابي، 426/2 (الوَحْل)، والمزهر، 224/1

(6) ينظر: اللهجات العربية في التراث/336

(7) الصحاح، 137/5 (وَحْل)

(8) المصدر نفسه، وينظر: النهاية، 162/5، واللسان، 723/11 (وَحْل)

(9) النهاية، 16/4 (قَحْد)

(1) المحتسب، 85/1

(2) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً/302، ولهجة تميم/150، 151

(3) النهاية، 329/3 (عير)، وينظر: الكتاب، 600/3، والخصائص، 186/3، 187



وممّا يُخَفَّف - أيضاً - ما كان على وزن (فَعْلَة) , فإنّها تتحول إلى (فَعْلَة) في التخفيف ومثال ذلك: في حديث صلاة العيد: ((فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ سَفَلَةِ النِّسَاءِ)) , قال ابن الأثير: ((السَفَلَة: بفتح السين وكسر الفاء: السُّفَاط من الناس... يُقَالُ هو من السَّفَلَة, وَلَا يُقَالُ هو سَفَلَة, والعامة تقول رجل سَفَلَة من قوم سَفَل, وليس بعربي, وبعض العرب يُخَفِّف فيقول: فلان من سَفَلَة الناس, فينقل كسرة الفاء إلى السين))⁽⁵⁾.

المبحث الخامس

القلب المكاني

هو تغيير حرف مكان حرف بالتقديم والتأخير⁽¹⁾, من دون زيادة أو نقص فيها⁽²⁾, وقد جعله ابن فارس من سنن العرب وذلك يكون في الكلمة وفي القصة⁽³⁾. وقال ابن دريد: ((باب الحروف التي قلبت وزعم قوم من النحويين أنها لغات... وهذا القول خلاف على أهل اللغة والمعرفة))⁽⁴⁾, وقد عُرِفَ عند أبي الفتح ابن جني بـ ((الاشتقاق الأكبر))⁽⁵⁾. وقد ساق السيوطي في (مزهرة)⁽⁶⁾ والشدياق في (جاسوسه)⁽⁷⁾ وغيرهما أمثلة عديدة ومعظمها مهملة العزو, ويعني هذا عند الجندي ((تفاهة هذه اللهجات العربية وأنها غير جديرة بالدرس والبحث عندهم))⁽⁸⁾. وليس للقلب صورة محددة, بل يكون بتقديم اللام على العين أو العین على الفاء أو بتأخير الفاء عن اللام, وكما كثرت صورته, كثر اختلاف العلماء فيه⁽⁹⁾. فمنهم من أنكره كابن درستويه⁽¹⁰⁾. ومنهم من جعل بعضه مقلوباً عن نظائره, وبعضه الآخر كلمات مستقلة, كلٌ منها أصل قائم برأسه, وقد ذكر ذلك ابن جني في باب الأصلين: ((يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير)), قال: ((فَمِمَّا تَرَكَّبَاهُ أَصْلَانِ لَا قَلْبَ فِيهِمَا قَوْلُهُمْ: جَذَبَ وَجَبَذَ, لَيْسَ أَحَدُهُمَا مَقْلُوبٌ عَنْ صَاحِبِهِ, وَذَلِكَ أَنَّهُمَا جَمِيعاً يَتَصَرَّفَانِ تَصَرُّفاً وَاحِداً نَحْو: جَذَبَ يَجْذِبُ جَذْباً فَهُوَ جَاذِبٌ وَمَفْعُولٌ مَجْذُوبٌ, وَجَبَذَ يَجْبِذُ جَبْذاً فَهُوَ جَابِذٌ وَالْمَفْعُولُ مَجْبُودٌ... فَإِنْ قَصَرَ أَحَدُهُمَا عَنْ تَصَرُّفِ صَاحِبِهِ وَلَمْ يَسَاوِهِ فِيهِ كَانَ أَوْسَعُهُمَا تَصَرُّفاً أَصْلاً لَصَاحِبِهِ))⁽¹¹⁾.

وقد تمثل لهذا الأمر الأخير بقولهم: ((امْضَحَلَّ, وهو مقلوب عن اضمحلَّ: ألا ترى أنَّ المصدر إنما هو على اضمحلَّ وهو الاضمحلال, ولا يقولون: امضحلال))⁽¹²⁾. ويبدو أنَّ أبا الفتح يرى أنَّ القلب يكون إذا لم تتساوِ الكلمتان تصرفاً واستعمالاً, فَعَلَّ إِحْدَاهُمَا تَكُونُ أَصْلاً وَالْأُخْرَى فِرْعاً, فَإِذَا تَسَاوَتِ الْكَلِمَتَانِ تَصَرُّفاً وَاسْتِعْمَالاً فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ اخْتِلَافِ اللَّغَاتِ,

(4) اللسان, 624/4 (عبر)

(5) النهاية, 376/2 (سفل)

(1) ارتشاف الضرب, 160/1

(2) ينظر: الاشتقاق لعبد الله أمين/373

(3) ينظر: الصاحبى/202

(4) الجمهرة, 431/3

(5) الخصائص, 135/2

(6) ينظر: 476/1 - 481

(7) ص/45

(8) ينظر: اللهجات العربية في التراث/647

(9) ينظر: المصدر نفسه

(10) ينظر: المزهرة, 481/1

(11) الخصائص, 71/2, 72

(12) المصدر نفسه, 75/2



فمتى كانت مثل هذه الصيغ في بيئة واحدة فلا بد من أن نؤمن بإصالة بعضها، ثم تفرّع المقلوب عنها على شرط وحدة المعنى بينهما⁽¹³⁾.

ويرجع سبب القلب إلى الميل إلى التخفيف اللفظي، وقد سمعنا بعض المصريين يقول: فحرت الأرض في حفرتها.

فالميل إلى تخفيف اللفظ أو التفتن فيه، سبب جوهري ويحدث في الغالب اعتباطاً⁽¹⁾، ويرى بعض المحدثين أن القلب قد ينشأ من خطأ الأجيال، كأن يخطئ الطفل في ترتيب الكلمة ولا يجد من يصح له خطأ فتصبح الكلمة ذات صورة جديدة في لغته ولم تكن مألوفاً في لغة السلف، وقد يكون للقياس الخطأ نصيب كبير في إيجاد القلب، هذا القياس الذي كان له أثر مهم في خصائص اللغات، وقد يكون للتوهم السمعي أثره في القلب⁽²⁾، فلربما تسمع (صخام) فتتوهم أنك سمعت (صماخ)، ومن التوهم السمعي وضعف الإصغاء جاء البلاء⁽³⁾، إلا أن طائفة كبيرة من هذا القلب يرجع إلى اختلاف اللغات، ولعل وجوده في الألسن الدارجة مما يرجح هذا القول فمعظم العراقيين يقولون: ((إن هذا الشيء يساوي هذا الشيء)) في حين أن جماعات أخر في جنوب العراق يقولون: ((إن هذا الشيء يواسي هذا الشيء))⁽⁴⁾.

أما مصنفو غريب الحديث فتنبهوا إلى هذا الباب وذكروا له شواهد كثيرة:
- ففي الحديث الذي نسبته الخطابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أن رجلاً قال: يا رسول الله، من أهل النار؟ قال: كل قعبري...))⁽⁵⁾، قال الزمخشري: ((وأرى أنه قلب عبقرى، يقال رجل عبقرى، وهذا عبقرى قوم إذا كان شديداً... وأنشد الأصمعي لرجل من غطفان:

أكلف أن تحل بنو سليم
جبوب الإثم ظلم عبقرى

وقد جاء القلب في كلامهم مجبياً صالحاً يقولون: كعبره بالسيف وبعبره، وتقطرب على قفاه وتبرقط وسحاب مكفهر ومكزهف، واضمحل وامضحل، ولعمري ورع ملي وعصاير القتب وعراصيفه⁽⁶⁾.

ومما عزاه مصنفو غريب الحديث إلى اللغات:-

- في الحديث: ((فجبتني رجل من خلفي))، ذكر ابن الأثير أن الجبذ لغة في الجذب، وقيل هو مقلوب⁽⁷⁾، بل الراجح ما ذهب إليه ابن جني من أنهما أصلان أو (لغتان)⁽⁸⁾ بدليل ما نقله صاحب (بحار الأنوار) في حديث الصلاة على الإمام العسكري (عليه السلام): ((خرج صبي فجذب رداء جعفر بن علي))⁽⁹⁾.

وقال الهروي الأول في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لولا بنو إسرائيل ما خنز الطعام ولا أنتن اللحم، كانوا يرفعون طعام يومهم لغدهم))، قوله: ((خنز - يعني أنتن، وفيه لغتان: يقال: خنز يخنز وخنز يخزن - مقلوب، كقولهم: جبذ وجذب، قال طرفة:

ثم لا يخزن فينا لحمها
إنما يخزن لحم المدخر⁽¹⁾

وفي نتن اللحم أيضاً لغات في غير هذا الحديث، يقال: صل اللحم واصل وخم وأخم وثبت وثبت⁽²⁾، وثبت وثبت: لغتان على القلب وهو معنى كلام القاسم.

(13) ينظر: اللهجات العربية في التراث/648

(1) ينظر: الفلسفة اللغوية، جرجي زيدان/33، 4، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني/192

(2) ينظر: اللهجات العربية في التراث/654

(3) الإبدال لأبي الطيب، 37/1، المقدمة

(4) ينظر: التطور اللغوي التاريخي/120، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني/192

(5) غريب الخطابي، 66/1، وينظر: الفائق، 212/3 (قعبر)

(6) الفائق، 212/3، وينظر: النهاية، 86/4 (قعبر)

(7) النهاية، 235/1 (جبذ)

(8) ينظر: الخصائص، 441/2

(9) ج67/52، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 213/1 (جبذ)

(1) ديوانه/61، ص56، وينظر: الصحاح، 531/5 (خنز)

(2) غريب القاسم، 166/3-167 (خنز)



وَحَنَزَ اللحم بالكسر يَحْنُزُ حَنْزاً - عند اللغويين - أي أُتِنَ، مثل حَزَنَ على القلب⁽³⁾، وقال الاعلم الهذلي:

زَعَمْتُ حَنْزاً بَأَنَّ بُرْمَتَنَا تجري بلحم غير ذي شحم

يعني المُنْتِنَةُ أَخَذَهُ مِنْ حَنْزِ اللحمُ وَجَعَلَ ذلك اسماً لها وَعَلِمًا⁽⁴⁾. ومما رواه الهروي الأول عن سعيد بن جبير أنه قال: ((ما أَرْحَفَ نَاكِحُ الأَمَةِ عن الزنا إلا قليلاً لأنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَأَنْ تُصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾⁽⁵⁾، ثم عَقَّ بَ عليه:)) (قوله: ما أَرْحَفَ: يقول ما تنحى عن ذلك... وفيه لغتان: أَرْحَفَ وَأَرْحَفَ مثل جذب وجذب، قال العجاج:

والشمس قد كادت تكون دَنَفًا ادْفَعُهَا بِالرَّاحِ كِي تَرْحَلَا⁽⁶⁾

فبدأ بالحاء قبل اللام⁽⁷⁾)) وجرى الزمخشري على مثل ذلك وعنده: ((أَرْحَفَ مِنْ أَرْحَفَ كَاطِمَانِ مِنْ أَطَامِنَ لِقَوْلِهِمْ: زَحْلَفْتُهُ فَتَرَحَلَفَ كَمَا قَالُوا: طَامَنَهُ فَطَامَنَ))⁽⁸⁾، وَنَصَّ ابن منظور على أنَّهما لغتان⁽⁹⁾، ويسمع صدى هاتين اللغتين الآن في قولهم: الزحالف والزلاحف⁽¹⁰⁾، ونسمعهم الآن يقولون: ترحلف وتزحلف. في بعض مناطق وسط العراق وجنوبه.

- وفي الحديث: ((لا يَغْيَرُ وَاهِفٍ مِنْ وَهْفِيَّتِهِ...))... وَرُوي: ((وَافَةٌ عَنْ وَهْفِيَّتِهِ))، والواهِف والوافه: القيم على بيت النَّصَارَى الذي فيه صليُّهم⁽¹¹⁾. وَنَصَّ ابن الأثير على أَنَّ الوافه: لغة أهل الجزيرة⁽¹²⁾. والواهِف في الأصل عنده قِيمُ البيعة⁽¹³⁾. قال الجوهري: ((الوافه: قِيمُ البيعةِ بِلُغَةِ أَهْلِ الجزيرة))⁽¹⁴⁾.

ومما يدلُّ على أَنَّ الأصل: (الواهِف) حديث عائشة: ((قَلَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَهَفَ (الدين))، أي القيام به⁽¹⁾. وقد نَصَّ ابن منظور على ذلك بقوله: ((الواهِف: قِيمُ البيعة... ومنه قول عائشة...)) يريد حديث عائشة الذي ذكره ابن الأثير⁽²⁾.

- ومنه في حديث الرجل الذي قال لعمر (رضي الله عنه): ((... لو فعلت ذلك يا أمير المؤمنين ما كنتُ فيها ابن ثأد))، هكذا يروى الحديث عند الهروي الأول الذي عقب ذلك قائلاً: ((قال الفراء: إنما هو ابن ثأداء - يعني الأَمَةِ... وفيها لغتان ثأداء، ودأءاء مقلوب مثل جذب وجذب، قال الكمي: وما كُنَّا بَنِي ثَأْدَاءَ لَمَّا قَضَيْنَا بِالْأَسْنَةِ كُلِّ وَتَرٍ⁽³⁾))⁽⁴⁾.

وقال ابن منظور: ((وقيل في الثأداء ما قيل في الدأءاء من أَنَّها الأَمَةُ والحمقاء جميعاً))⁽⁵⁾، وجمع دَأَتْ: دَأَاتٍ، ويُقال للأحمق: ابن دَأَاءٍ قال روبة:

وإنْ فَشَّتْ فِي قَوْمِكَ الْمَشَاعِثُ مِنْ إَصْرٍ أَدَاتٍ، لَهَا دَأَاتُ⁽⁶⁾

وأَنشد ابن الأعرابي:

أَصْدَرَهَا عَنْ طَثْرَةِ الدَّأَتْ

صَاحِبُ لَيْلٍ، خَرَشُ التَّبْعَاتِ⁽⁷⁾.

(3) الصحاح، 531/1 (خزن)
(4) اللسان، 346/5، 347 (خزن)، وينظر: بيت الاعلم في: كتاب شرح اشعار الهذليين، 324/1 برواية: تغلي بلحم
(5) النساء/25
(6) الرجز: في ديوانه/493-494، والصحاح، 74/4، واللسان، 132/9 (زحلف)
(7) غريب القاسم، 439/4 (زحلف)
(8) الفائق، 121/2 (زحلف)
(9) ينظر: اللسان، 140/9 (زحلف)
(10) ينظر: اللهجات العربية في التراث/656
(11) الفائق، 84/4 (وهف)، وينظر: غريب الخطابي، 499/1
(12) ينظر: النهاية، 211/5 (وفه)
(13) ينظر: المصدر نفسه، 232/5 (وهف)
(14) الصحاح، 166/6 (وفه)
(1) النهاية، 232/5 (وهف)
(2) اللسان، 365/9 (وهف)
(3) المصدر نفسه، 101/3 (ثأد)، وديوانه/209 برواية: (بني الثأداء حتى شفيها...)، وينظر: اللسان، 101/3 (ثأد)
(4) غريب القاسم، 336/3، وينظر: الفائق، 142/1، 143، وغريب ابن الجوزي، 117/1، واللسان، 101/3 (ثأد)
(5) اللسان، 101/3 (ثأد)
(6) ينظر: المصدر نفسه، 147/2 (دأث)



فمع قول الفراء إنهما لغتان وتعصيد قوله من لغويين آخرين⁽⁸⁾، أهمل الرواة من أهل اللغة عزو اللغتين، وهو ما جروا عليه في كل أمثلة هذا الباب إلا القليل، وقد يكون في تمثيل أقوال الشعراء كالكميت الأسدي ورؤية التميمي أو غيرهم من الناقليين ما يُقرَّبنا من هدفنا في هذا التحديد. إلا أن الباحث قد يقع على أمثلة نقلها أهل الغريب وعُزيت في مظان أخرى، فمن ذلك ما ذكره الزمخشري من قولهم: رَعَمَلي في عمري، وقد عُزيت الصيغة الأولى إلى تميم والثانية إلى الحجاز⁽⁹⁾. وعزا الفيومي صيغة (جبد) إلى تميم⁽¹⁰⁾. واضمحل الشيء: ذهب - عند صاحب اللسان - وفي لغة الكلابيين امضحل بتقديم الميم، حكاها أبو زيد⁽¹¹⁾.

ومما يمكن تحديد اللغة فيه حديث مجالد بن مسعود أخي مجاشع السلمي: ((... رأيتكم صَنَعْتُمْ شيئاً فَشَفْنُ الناس إليكم فإياكم وما أنكر المسلمون...))، قال الهروي الأول بعد روايته الحديث: ((وأما قوله: فشفن الناس إليكم، فإن الشفن أن يرفع الإنسان طرفه ناظراً إلى الشيء كالمتعجب منه أو كالكاره له قال القطامي يذكر الإبل:

وإذا شَفْنُ إلى الطريق رأيتهُ
وفيه لغة أخرى قالها الكسائي وأبو عمرو: شَنَفَ، مثل جبذ وجذب⁽²⁾)).

فمجالد السلمي قال: (شفن) بتقديم الفاء على النون، والقطامي على رواية أبي عبيد قال: (شَنَفَ) بتقديم النون على الفاء، والباحث يرجح صدور هذا البيت عن القطامي، اعتماداً على قول أبي عبيد، فهو معتمد العلماء في عصره وبعد عصره بل إن جميع من جاء بعده استقى من بحر علمه في الغريب، بل عدّه ابن قتيبة من الفقهاء وقَرَّنه بالإمام الشافعي - رحمه الله⁽³⁾ - ونقل الشعر في ديوان الشاعر فضلاً على الأغاني مع اختلاف الرواية، وتبعاً لذلك فالشعر للقطامي لا للأخطل كما نقل صاحب (اللسان)⁽⁴⁾. وينقل ابن منظور نفسه للقطامي قوله على اللغة نفسها:

يُسارِقُنْ الكلامَ إليّ لما
حَسُنَ حَدَارُ مُرْتَقِبٍ شَفُونٍ⁽⁵⁾

والقطامي من تغلب⁽⁶⁾. فيتوقع أن يكون جرى على ما جرت عليه قبيلته ولو فرضنا أن القول للأخطل فهو من تغلب - أيضاً⁽⁷⁾ - فلا تعارض في الشاهد.

أما على اللغة الأخرى فوجدنا أمثلة لشاعرين تميميين هما العجاج وجريز، قال العجاج:

أزمان عَرَاءُ تَرَوْقُ الشَّنْفَا⁽⁸⁾...

قال أبو زيد معقّباً: ((الشَّنْفُ أن يرفع الإنسان طرفه ناظراً كالمتعجب منه أو الكاره له ومثله شَنَفَ))⁽⁹⁾... ثم أتمّ كلامه قائلاً: ((وشَنَفْتُ إلى الشيء، بالفتح، مثل شَفَنْت وهو نظر في اعتراض وأنشد لجريز يصف خيلاً:

شَنَفْنُ للنظرِ البعيد كَأَمَّا
إِزْنَانُهَا بِبَوَائِنِ الْأَسْطَانِ

ونسب ابن بري الشعر إلى الفرزدق وفيه بفضل الأخطل ويمدح بني تغلب ويهجو جريزاً⁽¹⁰⁾، وعلى كل حال فالفرزدق وجريز كلاهما من تميم⁽¹¹⁾ فلا تعارض - أيضاً - في الشاهد، وتبعاً لذلك فالراجح أن بني تميم جروا على تقديم النون على الفاء.

(7) نفسه

(8) ينظر: الجمهرة، 217/3، 417، والصاح، 21/2 (تأد)

(9) ينظر: المزه، 277/2

(10) المصباح، 140/1

(11) ينظر: اللسان، 390/11 (ضحل)

(1) ديوانه/107، برواية (إذا لخطن)، وفي الأغاني، 131/20 (فإذا نظرن، والصاح، 8/6 (شفن)، ونسبه ابن منظور إلى الأخطل:

اللسان، 240/13 (شفن)

(2) غريب القاسم، 304/4-305 (شفن)

(3) ينظر: غريب ابن قتيبة، 210/1

(4) ج240/13 (شفن)

(5) المصدر نفسه، والصاح، 8/6 (شفن)

(6) ينظر: الشعر والشعراء، 227

(7) ينظر: المصدر نفسه، 89

(8) ديوانه/491

(9) اللسان، 183/9 (شفن)

(10) المصدر نفسه، والبيت في ديوان الفرزدق، 344/2



وفي الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((كان (صلى الله عليه وآله وسلم) في جنازة فقال: أيكم يأتي المدينة فلا يدع فيها وثناً إلا كسره ولا صورة إلا طلخها ولا قبراً إلا سواه))، أي لطلخها بالطين حتى يطمسها، من الطلخ وهو الطين في أسفل الغدير⁽¹⁾، وذكر ابن منظور: ((الطلخ: بالقدر وإفساد الكتاب ونحوه، والطلخ أعم...))، ثم تمثل بحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المذكور هنا، وقول الشاعر:

فكم مثل زوج طلخاء خرمل
وقريب منه قول الآخر:
لا خير في الشيخ إذا ما أجلخا
وأطلخ ماء عينه ولخاً
... وغير ذلك⁽³⁾.

إن توارد هذه الأمثلة على هذه - طلخ - وقلتها على الأخرى⁽⁴⁾ مما يقويها على أختها، يُعَضِّد ذلك نسبتها إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إن صحَّت الرواية. بل يمكن القول بأصلتها يقول الدكتور إبراهيم أنيس: ((أما حين يرد كلُّ من النطقين في نصوص قديمة، فكثرة الشواهد الخاصة بأحد النطقين ترجِّح في الغالب أصالته))⁽⁵⁾.

- ومما يمكن نسبته إلى التوهم السمعي أو الخطأ ما ذكره الخطابي في حديث ابن عباس: ((أفتنا في دابة ترعى الشجر وتشرب الماء في كرش لم تُغَر. قال: قلت: تلك عندنا الفطيمة والتولة والجدعة)). ... قال الخطابي: ((... والتولة وهو غلط، وإنما هو التلوة. يُقال للجدي إذا ارتفع وفُطِم وتبع أمه تلؤ والأنثى تلوة...))⁽⁶⁾. ونصَّ على كلام الخطابي ابن الأثير⁽⁷⁾.
فلربما حصل توهم سمعي بسبب ضعف الإصغاء من الراوي أدَّى إلى مثل هذا القلب الذي سمَّاه الخطابي بالغلط، ومن ضعف الإصغاء - على ما قال بعضهم - جاء البلاء.

بل قد نجد العلماء يختلفون في القلب على ثلاثة أوجه، نحو قول الخطابي في حديث ابن عباس: ((ستة لا يدخلون الجنة فذكر الجواظ والجعثل والقنات، فقيل له ما الجعثل؟ قال: الفظ الغليظ))، و... الجعثل، مقلوب، وإنما هو العنجل، وهو العظيم البطن، قال الشاعر:
يسقي به ذات فراغ عثجلاً...⁽⁸⁾.

وقال ابن الأثير: ((وقيل: هو مقلوب الجعثل وهو العظيم البطن))⁽¹⁾، ويظهر من كلام الخطابي والجوهري أنَّ الأصل (العنجل)، وأفرده ابن دريد في (جمهرته)⁽²⁾ بقوله: ((ورجل عثاجل: وهو العظيم البطن وهو العثجلة، قال الرازي: وعثاجل كالزق)).

فأمَّا الوجهان الآخران، فلعل الناطق بهما إنَّما لجأ إلى التخفيف اعتباطاً، كما لا يبعد تصور الأسباب الأخرى للقلب في ما ذكر في مُستهلِّ هذا المبحث.
ويمكن لهذه الألفاظ أن تتحوَّل إلى لغات شائها شأن الأصل الذي أخذت عنه، فقول بعض العراقيين الآن (يواسي) في مقابل الأصل (يساوي)، أضحي لغة لهؤلاء لا يكاد يسمع معها هذا الأصل وكذلك قول بعض المصريين (فحز) في (حفز) وغيرها...

(11) ينظر: الأغاني، 309/21، وطبقات الشعراء، 13

(1) الفائق، 366/2، وينظر: النهاية، 132/3 (طلخ)

(2) اللسان، 38/3 (طلخ)، وقوله (فكم مثل زوج.. الخ) هكذا في نسخة المؤلف وهي مكسورة ولعل أصله: فكم مثل زوج زوج طلخاء خرمل... الخ، فيكون زوج الثاني بدلاً من الأول، اللسان، 39/3، الحاشية

(3) المصدر نفسه

(4) ينظر: نفسه، 51/3 (طلخ)

(5) من أسرار اللغة، 66

(6) غريب الخطابي، 478/2، 379

(7) ينظر: النهاية، 200/1 (تول)

(8) غريب الخطابي، 450/2، 451، وينظر: الفائق، 247/1 (جوط)، والصاحح، 20/5 (عثجل)، واللسان، 113/11 (جعثل)،

و 425/11 (عثجل)، وذكره السيوطي في الدر المنثور، 252/6

(1) النهاية، 274/1 (جعثل)

(2) ج3/392 (علابط)، وقد أهمل أبو بكر الوجهين الآخرين



المبحث السادس

مطل الحركات (إشباع صوت المد القصير)

لقد استعلمت العربية درجتين من الطول في صوت المد، هما درجة القصر ودرجة الطول وكانت كل درجة منهما تُعبر عن قيمة صوتية خاصة بها. إلا أن هذا التحول من درجة القصر إلى درجة الطول لم يكن ليعبر في طائفة من الأحوال عن تحول في القيمة الفونيمية، أو عن مغايرة لبناء صرفي آخر، بمعنى أن هذا التحول لم يحصل ليميز المعاني، وإنما كان لأسباب صوتية مَحْضَة، أو لعاداتٍ نطقية معينة غالباً⁽¹⁾. ولقد عُرف هذا الانتقال في الدرجة من دون تغيير في المعنى بـ(مطل الحركات)⁽²⁾، وأطلق عليه بعضهم(الوصل)⁽³⁾، وسمّاه آخر بـ(الصلة)⁽⁴⁾. ويبدو أن استعماله قد كَثُرَ في الشعر، إذ إنَّ الضرورة قد تتطلب شيئاً من مطل صوت المد القصير ليستقيم الوزن، ومن ذلك الأمثلة التي أوردَها الفراء⁽⁵⁾ وابن جني في(باب في مطل الحركات)⁽⁶⁾. وقد التفت مصنفو غريب الحديث إلى كثرة وروده في الشعر، قال الزمخشري معقّباً على حديث عمرو بن ميمون: ((إياكم وهذه الزّعانيف الذين رغبوا عن الناس وفارقوا الجماعة)) وناقلاً عن المبرد: ((الزّعانِف: أصلها أجنحة السمك فقليل للأدعياء زعانف، لأنهم التصقوا بالصميم كما التصقت تلك الأجنحة بعظم السمك... والياء في الزعانيف إشباع كسرة وأكثر ما يجيء في الشعر))⁽⁷⁾، وتبعه صاحب(النهاية)⁽⁸⁾.

(1) في الأصوات اللغوية، د: غالب المطلبي/296

(2) ينظر: الخصائص، 123/3

(3) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري، 310/2

(4) ينظر: معاني القرآن، 161/1، 162

(5) ينظر: المصدر نفسه

(6) ينظر: الخصائص، 126-123/3

(7) الفائق، 111/2 (ز عنف)، وينظر: غريب ابن قتيبة، 214/2

(8) ينظر: النهاية، 304/2 (ز عنف)



إنَّ مِثْلَ الحركات قد ظهر - أيضاً - في كلماتٍ منفردة, ومن ذلك ما أورده أبو الفتح من أمثلة في (إشباع الكسرة ومطلها وما جاءَ عنهم من الصياريف والمطافيل والجلاليد) (9). وقال الزمخشري في الحديث: ((لقد استسقيت بمجاديح السماء)) , وهو جمع مجَدَح وهو ثلاثة كواكب كأنها أُنْفِيَّة... والقياس: مَجَادَح, فزيدت الياء, لإشباع الكسرة, كقولهم: الصياريف والdraهيم (10), وقد نسب ابن الأثير الحديث إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (11).

- وفي حديث الحديبية: ((جاءوا بالعوذ المطافيل)), قال ابن الأثير: ((...المُطْفَل: الناقة القريبة

العهد بالنتاج معها طفلها... والجمع مَطَافِل ومطافيل بالإشباع)) (1). إنَّ الأمثلة السابقة يمكن أن تكون جاءت على وزن بعض جموع الكثرة ونسقتها في نحو: برازق وبرازيق, وطواوس وطواويس (2) ونحو: مفاتح ومفاتيح وهما جمع مفتاح ومفْتَح (3). إلا أنَّ بعض الباحثين يرجع السبب إلى ظاهرة النبر, فقد ذهبوا إلى أنَّ انتقال النبر من مقطع إلى آخر يصحبه عادة إطالة في الصائت القصير (4). وقد وقع النبر في هذه الألفاظ على المقطع الأخير ويسمى نبر العلو, ونبر هذا المقطع يقتضي إطالة الحركة حتى يبرز الصوت, وقد أُشير في مورد سابق (5) إلى أنَّ القبائل البدوية كتميم تميل إلى نبر المقطع الأول نبراً توترياً كما في تحقيق الهمزة, إلا أنَّ النبر في الإشباع جرى على المقطع الأخير, وعُرف بنبر العلو, والغرض منه على ما يذكر بعض المحدثين هو التأكيد أو التعبير عن معنى معين أو هو أسلوب من أساليب العرب حين ينتهون من كلامهم (6). قال ابن جني: ((وإنما مُطْلِثٌ ومُدَّت هذه الأحرف في الوقف وعند التذكر من قِبَل أنَّك لو وقفت عليها غير ممطولة ولا ممكنة المدَّة... وأنت مع ذلك متذكر لم توجد في لفظك دليلاً على أنَّك متذكر شيئاً ولأوهمت كلَّ الإيهام أنَّك قد أتممت كلامك ولم يبقَ من بعد مطلوب متوقع لك, لكنك لما وقفت ومطلت الحرف علم بذلك أنَّك مُتَطَوِّل إلى كلامٍ تالٍ للأول منوط به معقود ما قبله على تضمينه وخلطه بجملته)) (7).

وتبعاً لذلك يمكننا أن نفهم أيَّ نصٍّ من النصوص السابقة على وفق هذه المعطيات التي تبدو جذورها قديمة, فليس المطل في كلام أبي الفتح إلا من قبيل التنغيم أو النبر الموسيقي عند المحدثين (8).

وعلَّ بعض اللغويين وجوده في الشعر بإقامة وزن الشعر, وذلك باجتلاب صوت طويل ليس من لفظ البيت, ينشأ من إشباع الحركات القصار (9), إلا أنَّ ذلك لا يقتصر على الشعر فربما جرى في النثر - أيضاً - فمن ذلك قول جرير بن عبد الله البجلي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما سأله عن منزله ببيشة فقال: ((سَهْلٌ دَكْدَاكٌ وَسَلَمٌ وَأَرَاكُ وَحَمَضٌ وَعَلَاكُ)), عَقَبَ عليه الزمخشري قائلاً: ((العَلَاكُ والعَلَاكُ: شجر بالحجاز)) (10).

وقد عزا علماء الغريب بعض هذه الألفاظ إلى اللغات, ففي الحديث: ((لا ضرورة في الإسلام)), قال الزمخشري: ((هو فَعُولَةٌ من الصَّرِّ وهو المنع والحبس... والصارورة لغة ونظيريهما الضرورة والصارورة)) (1).

(9) الخصائص, 125/3

(10) الفائق, 190/1 (جدح)

(11) ينظر: النهاية, 243/1 (جدح)

(1) النهاية, 130/3 (طفل)

(2) ينظر: غريب ابن قتيبة, 529/2

(3) ينظر: النهاية, 407/3 (فتح)

(4) ينظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة, د: عبد العزيز مطر/247, واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع/135

(5) ينظر: ص: 226-227 من هذا الفصل

(6) ينظر: لهجة تميم/220, والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث/26

(7) الخصائص, 130/3

(8) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث/22

(9) ينظر: سر صناعة الأعراب, 27/1, واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع, 135/1

(10) الفائق, 432/1 (دكدك)

(1) الفائق, 293/2 (صرر)



ويبدو أنَّ الأصل هو ما جاء في هذا الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأما بالإشباع فآفة متولدة عن هذا الأصل و((رجل صرور وصرورة لم يحج قط وهو المعروف في الكلام))⁽²⁾ قال الجوهري: ((وكذلك رجل صارورة... والصرورة في شعر النابغة الذي لم يأت النساء كآته أصر على تركهن))⁽³⁾. وقول النابغة هو:

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ
عَبَدَ إِلَهَ صَرَوْرَةٍ مُتَعَبِدٍ⁽⁴⁾.

فالمفهوم من كلام اللغويين مثل ابن الأعرابي، وابن السكيت والليثاني وابن جني وغيرهم ممن ذكر في هذا الموضوع من (اللسان)⁽⁵⁾ أنَّ (صرورة) هو الأصل وبالمطل متولّد عنه، بل نصّ ابن جني على ذلك عند حديثه على مطل الفتحة في قول عنتره:

يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ⁽⁶⁾.

وقال: ((أراد ينبع فاشيع الفتحة، فأنشأ عنها ألفاً، وقال الأصمعي: يقال: انباج الشجاع ينباج انباجاً إذا انخرط بين الصفيين ماضياً... فهذا انفعّل ينفعّل انفعلاً والألف فيه عين... وقد يمكن عندي أن تكون هذه لغة تولدت))⁽⁷⁾.

ومما يستأنس له في هذا الموضوع ما ذكره أبو حيان معلقاً على قراءة الحسن ((سأوريكم دار الفاسقين))⁽⁸⁾ بواو ساكنة بعد الهمزة على ما يقتضيه رسم المصحف، وقد نقل أبو حيان عن ابن جني أنه أشبع الضمة ومطّها فنشأ عنها الواو على وجه ما⁽⁹⁾.

ويرى أبو حيان احتمال الواو في الآية الكريمة في هذا الموضوع، لأنّه موضع وعيد وإغلاظ فمكّن الصوت، وقد جاء من هذا الإشباع الذي تنشأ الحروف عنه عدد وافر من كلام العرب، ومن ذلك: بينا زيد قائم جاء عمرو، والمراد: بين أوقات زيد قائم جاء فلان، فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفاً. وقد نسب أبو حيان الإشباع إلى الحجاز وقال: ((وهي - أيضاً - في لغة أهل الأندلس كأنهم تلقفوها من لغة الحجاز، وبقيت في لسانهم إلى الآن))⁽¹⁰⁾.

ومعنى ذلك عند بعض المحدثين أنَّ بيئة الحجاز كانت تحافظ على إعطاء كل صوت حقه بل أزيد ممّا له، لأنّ البيئات الحضرية ومنها الحجازية تتطلب الدقة في معظم مظاهرها الاجتماعية ومن بينها اللغة، ولذلك فهم يُحسنون أداء الأصوات ووضوحها⁽¹¹⁾.

وقد نجد أمثلة تقوّي هذا الذي ذهب إليه أبو حيان من مثل ما نسبته ابن الأثير إلى عمر (رضي الله عنه): ((استسقيت بمجاديح السماء))⁽¹⁾، وهو قرشي حجازي، وما نسبته الزمخشري إلى النبي (صلى

الله عليه وآله وسلم): ((إنّ قریشاً أهل أمانة من بغاها العواثير كبّه الله لمنخريه)) وروي: (العواثر) جمع عاثور وهو المكان الوعث الخشن، لأنّه يُعثر فيه⁽²⁾. ومنه في حديث سمرة بن جندب من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)⁽³⁾: ((يجزي من الضارورة صبوح أو عبوق))، قال الزمخشري: هي الضرورة⁽⁴⁾. وذكر ابن الأثير أنَّ الضارورة لغة في الضرورة⁽⁵⁾.

(2) اللسان، 453/4 (صرر)

(3) الصحاح، 400/2، وينظر: اللسان، 453/4 (صرر)

(4) ينظر: اللسان، 453/4 (صرر)، وشرح الأشعار السيئة الجاهلية، للبطيوسي/480

(5) ينظر: اللسان، 452/4، 453 (صرر)

(6) شرح المعلقات السبع للزوزني/118، وقد نصّ الشارح على هذا الإشباع وذكر شواهد عليه

(7) الخصائص، 123/3، 124

(8) من الأعراف/145

(9) ينظر: المحتسب، 320/1، والبحر المحيط لأبي حيان، 389/4

(10) البحر المحيط لأبي حيان، 389/4

(11) ينظر: في اللهجات العربية/137، واللهجات العربية في التراث/682

(1) النهاية، 243/1 (جدح)

(2) الفائق، 393/2، والنهاية، 182/3 (عثر)

(3) ينظر: رجال الشيخ، 10/40، ونقد الرجال للقرشي، 374/2، وغريب الخطابي، 487/1

(4) الفائق، 338/2 (ضرر)

(5) النهاية، 83/3 (ضرر)



إلا أنَّ الباحث واجه أمثلة أخرى للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو لغيره ممَّن تُسبوا إلى هذه البيئة ولم يُشَبِّعُوا بخلاف غيرهم، فمن ذلك حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا صُرُورة في الإسلام)) وحديث علي (عليه السلام): ((فأقبلتم إليَّ إقبال العوذ المطافيل))، قال ابن الأثير: ((فجمع بغير إشباع)) (6)، ونَصَّ على هذا آخرون (7). وجاء في (اللسان): ((أبو عبيد: ناقة مُطْفِل ونُوق مُطافِل ومطافيلُ بالإشباع معها أولادها...)) ثُمَّ تَمَثَّلَ بحديث الحديبية - على الإشباع - ثُمَّ بحديث علي (عليه السلام) - بغير إشباع (8).

وعَلَّقَ ابن الأثير على حديث جُريج: ((حتى تنظر وجوه المومسات)) قائلاً: ((المومسة: الفاجرة وتجمع على ميامس أيضاً وموامس، وأصحاب الحديث يقولون: مياميس، ولا يصحُّ إلا على إشباع الكسر ليصير ياءً كمطفِل، ومطافِل ومطافيل)) (9). وفي حديث أبي وائل الأسدي (10): ((أكثرُ تبع الدجال أولاد الميامس)) (11). ويمكن أن يُفهم موقف الأسدي من تقصير الصيغة أو ترك إشباعها ومطلها على ما سوَّغه بعض المحدثين من أنَّ قبيلة أسد من القبائل البدوية التي مالت إلى السرعة في النطق، ورتَّبَ على ذلك تقصيرها للصيغ أو حذف بعض حروفها (12).

ومن الحذف ما جاء في قول عمرو بن مرة: ((وبيض تلاًلاً في أكفِّ المغاور))، فالمغاور - عند ابن الأثير - قد تكون على حذف الياء من (المغاوير) (13)، وعليه قول طُفيل: **عناجيج من آل الوجيه ولاحق**
مغاوير فيها للأريب معقب (14)

ولا يمكن للباحث في هذا الباب أن يقطع بنسبة إشباع الصيغ إلى جهة بعينها، وفي الشواهد التي نُقِلَت عن بعض القرشيين ما يُعرِّز هذا القول. ولعلَّ السبب الأقوى في إثبات هذه الصيغة أو تلك يعود إلى اختيار الخطيب أو الشاعر ما يناسب المقام من هذه الصيغ في التعبير عن معنى معين كالتأكيد، وقد يكون للضرورة التي يفرضها الوزن الشعري أو النسق النثري ما يفرض على الشاعر أو الأديب أو الخطيب اجتلاب صيغ محددة. وممَّا يُقَوِّي أنَّ هذه الصيغ لا تنتسب إلى قبيلة بعينها قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإن حديثاً منك لو تبدلني
جنى النخل في ألبان عوذ مطافيل
مطافيل أباك حديث نتاجها
تشاب بماء مثل ماء المفاصل (1)

والمُطْفِل عند اللغويين: ((ذات الطفل من الإنسان والوحش معها طفُلها... وكذلك الناقة والجمع مطافيل ومطافيل)) (2).

فقد جمع الشاعر بين الصيغتين القصيرة والطويلة مُنقاداً لسطوة الوزن الشعري فضلاً على المعاني التي تؤدِّيها كلُّ صيغة في سياقها على ما يبدو. وتبعاً لذلك يكون حال هذيل كحال الحجازيين - عموماً - والقرشيين خصوصاً في إثبات هذه الصيغة أو تلك على وفق المقام أو المعنى المناسب، ولذلك يتحفظ الباحث - نوعاً ما - على ما يُنسب إلى الهذليين من أنهم يميلون إلى الحذف أو التقصير، فضلاً على أنَّ هذيلاً من القبائل العربية التي سكنت الحجاز، فالراجح أنَّهما على الاتفاق لا الاختلاف (3).

(6) المصدر نفسه، 130/3 (طفل)

(7) ينظر: بحار الأنوار، 78/32، وغريب الحديث في بحر الأنوار، 419/2 (طفل)

(8) اللسان، 402/11 (طفل)

(9) النهاية، 373/4 (مومس)

(10) ينظر: تهذيب التهذيب، 361/4

(11) النهاية، 373/4 (مومس)

(12) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 702

(13) ينظر: النهاية، 394/3 (غور)

(14) اللسان، 36/5 (غور)، وفي ديوان طُفيل الغنوي/58: طوأل الهوادي والمثون صليبة مغاوير.....

(1) كتاب شرح اشعار الهذليين للسكري/141، واللسان، 402/11، 403 (طفل)

(2) ينظر: اللسان، 402/11، 403 (طفل)

(3) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 689



وعلى الرغم من أن مرجع هذا الباب يعود معظمه إلى المنطقات المشار إليها في هذا الموضوع، لا يمنع ذلك من القول أن شيئاً منه قد يومئ إلى لغاتٍ محددة، وقد أشار اللغويون إلى بعض منها نحو: ((صُرورة - صَارورة) و(صُرورة وضارورة) . ومنها اختيار المحدثين لصيغة (مياميس) في (ميامس) فضلاً على ما نسمعه الآن عند بعض القرويين في وسط وجنوب العراق من إيثارهم لصيغة (مطافيل) المُشَبَّعة وإهمالهم للصيغة القصيرة .

المبحث السابع الوقف

الوقف: هو قطع النطق عند آخر الكلمة إيذاناً بتمام الكلام⁽¹⁾ . أو هو إسقاط مصوت الإعراب حركة كان أم تنويناً دالاً على حركة، والوقف هنا اختياري غير منتج للمعنى سوى الإيذان بتمام الكلام، فأما الوقف غير الاختياري فنحو ما يوجد في القرآن الكريم وله معانٍ أخرى فضلاً على الإيذان بتمام الكلام، وقد خصّه علماء الابتداء والوقف وأهل القراءات بحديثٍ مُفَصَّلٍ في مظانهم⁽²⁾ .

والوقف عند المحدثين في الحقيقة هو تغيير موقع النبر في الكلمة، فبدلاً من أن يكون هذا النبر على المقاطع الأولى في الكلمة - وهو على ما يبدو ما تميل إليه اللغات العربية القديمة - فإنه انتقل إلى المقطع الأخير منها⁽³⁾ . وهو ما يعني مراعاة لعادات نطقية أو ميولٍ تنشأ عن اختلاف اللغات في نوع النبر⁽⁴⁾ .

هذا وقد تعددت طرائق الوقف عند العرب نتيجة لاختلاف لغاتهم وأدائهم النطقي، وسيقف الباحث - بمشيئته سبحانه - على بعض من هذه الطرائق اعتماداً على الشواهد التي أثارها مصنّفو غريب الحديث في هذا الباب وعلى النحو الآتي:

أولاً: الكشكشة: هي قلب كاف المؤنث في الوقف صوتاً مزدوجاً بين الجيم والشين أي (ch) بالإنكليزية⁽⁵⁾ . وهي عند سيبويه: قلب كاف المؤنث شيئاً في الوقف وذلك أنهم أرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث⁽⁶⁾ . وتبعه على ذلك المبرد⁽⁷⁾ ، والأزهري⁽⁸⁾ . فأما ابن جني فالكشكشة عنده: هي زيادة الشين بعد الكاف في الوقف⁽⁹⁾ ، وقال ابن فارس مثل ذلك⁽¹⁰⁾ ، وفَصَّلَ القول فيها آخرون، نُقِلَتْ أقوالهم في كثيرٍ من كتب ومصادر المحدثين بما يغني عن إعادتها هنا⁽¹¹⁾ .

ولقد ذكر ذلك ابن الأثير، بل زاد عليه في حديث معاوية: ((تياسروا عن كشكشة تميم)) ، فهي عنده: إبدالهم الشين من كاف الخطاب مع المؤنث، فيقولون: أبوش وأُمّش . وربما زادوا على الكاف شيئاً في الوقف، فقالوا: مررت بكش كما تفعل بكر بالسين⁽¹²⁾ .

والذي يعيننا من كل هذا هو ما ذكر من أنها قلب كاف المؤنث في الوقف صوتاً مزدوجاً بين الجيم والشين يشبه إلى حدٍ بعيد صوت (ch) بالإنكليزية ، بل هو نفسه .

(1) حاشية الصّبان، 203/4

(2) شرح التصريح، 328/2

(3) ينظر: القراءات القرآنية، د: شاهين/21-26، ولهجة تميم/219، 220

(4) ينظر: لهجة قريش، د: مهدي حارث/84

(5) لهجة تميم/221

(6) الكتاب، 199/4

(7) ينظر: الكامل، 1582/2

(8) ينظر: التهذيب، 245/9 (كش)

(9) ينظر: الخصائص، 13/2

(10) ينظر: الصاحبي/54، والمجمل، 194/4 (كش)

(11) ينظر على سبيل المثال: اللهجات العربية نشأة وتطوراً/162-164، ولهجة تميم/106، ولهجة قبيلة أسد/101-104

(12) النهاية، 176/4 (كشكش)



ويبدو أنَّ أقرب التفسيرات إلى واقع هذه الظاهرة في مستواها الأخير ما ذكره الدكتور غالب المطليبي من ((أنَّ التميميين لما وقفوا على كاف المخاطبة التي للمذكر سَكَنُوا، أمَّا كاف المؤنث فقد أبقوا في حال الوقف على الكسرة، ليفصلوا بينها وبين المذكر. فلما اجتمع الكسر والضغط على صوت الكاف انقلب إلى هذا الصوت المزدوج))⁽¹⁾.

والحقيقة أنَّ سببويه شَعَرَ بهذا الأمر فذهب إلى أنَّ القلب إنَّما كان لأنَّ التميميين أرادوا أن يفصلوا ((بين المذكر والمؤنث وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل لأنَّهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف أقوى من أن يفصلوا بحركة))⁽²⁾.

ومن شواهد هذه الظاهرة على ما يبدو ما ذكره الخطابي من حديث عائشة أنها ((استأذنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في دخول أبي القُعَيْس عليها، فقال: انذني له فإنه عَمَج))، يريد عَمَك من الرضاغة، فأبدل كاف الخطاب جيماً، وهي لغة قوم من اليمن⁽³⁾.

الذي أُرجه أنها الكشكشة التي تولدت من قلب كاف المؤنث في الوقف إلى صوت قريب الشبه بحرفي الإنكليزية (ch)، وهما على ما وُصِفَ مزدوج بين الجيم والشين، ولا يوجد رمز له في الكتابة العربية وقدنالك ليتسنى للعلماء التعبير عنه، ودليل الباحث هو ما نسمعه الآن في مختلف مناطق العراق من مخاطبة المذكر بـ(عَمَك) والأنثى بـ(عَمَج)، ففعل ذلك أدلَّ على وصف هذه الظاهرة والتطور الذي حَصَلَ الآن هو أنَّ هذه الظاهرة أضحت الآن مستعملة في الوصل والوقف.

فأمَّا ما ذكره الخطابي من أنَّ هذا جاء عن النقلة وأنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يتكلم إلا باللغة العالية⁽⁴⁾. فالباحث لا ينكره، لأنَّ كثيراً مما نُسبَ إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ربَّما جاء عن الرواة، وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) تملَّك هذه اللغة التي يصفها الخطابي بالعالية فكانت له سليفة، فضلاً على تكلمه بكثير من لغات العرب، بخصوصية تفرَّدت بها شخصيته ومزيَّة لم يشاركه بها حتى أبناء أبيه⁽⁵⁾.

وقد ذكر الهروي الأول هذه الحادثة لكنَّه روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه قال: ((هو عَمَك فليج عليك))⁽⁶⁾، ولذلك يُرجَّح أنَّ المنقول عنها هو من أثر الرواة والحديث - كما ذكر - كان مظنة لاختلاف اللغات.

ثانياً: هناك ظاهرة أخرى تسمَّى (الكسكسة) ذكرها ابن الأثير في حديث معاوية - أيضاً - ((تياسروا عن كسكسة بكر))، وعَقَّبَ ابن الأثير بقوله: ((يعني إبدالهم السَّين من كاف الخطاب. يقولون: أبوس وأمسن: أي أبوك وأمك. وقيل: هو خاص بمخاطبة المؤنث. ومنهم من يدع الكاف بحالها ويزيد بعدها سينا في الوقف، فيقول: مررت بكس أي بك))⁽¹⁾.

ثالثاً: العججة: هي جعل الياء المشددة جيماً⁽²⁾. وقال أبو عمرو: ((وهم يقلبون الياء الخفيفة أيضاً إلى الجيم، قال الفراء: وذلك في بني دبير من بني أسد خاصة))⁽³⁾.

وقال ابن الأثير في حديث ابن مسعود: ((فلما وضعت رجلي على مُدَمَّر أبي جهل قال: أعل عَجَج))، أي: تنحَّ عني ... وأراد بعَجَج: عني، وهي لغة قوم يقلبون الياء في الوقف جيماً⁽⁴⁾.

لقد قيَّد ابن الأثير هذا الإبدال بالوقف، لكنه لم يحدِّد نوع الياء المبدلة من حيث الخُفَّة والشُدَّة وتعدَّ هذه العملية الصوتية انتقالاً من صوت لا هو بالشديد ولا الرخو وفيه بعض الرخاوة وهو الياء إلى

(1) لهجة تميم/222

(2) الكتاب، 295/2

(3) غريب الخطابي، 253/2، 254، والنهاية، 303/3

(4) ينظر: غريب الخطابي، 254/2

(5) ينظر: النهاية، 4/1، و303/3

(6) غريب القاسم، 35/3

(1) النهاية، 174/4 (كسكس)، وللاستزادة ينظر: في اللهجات العربية، 124، 125، واللهجات العربية في التراث، 362-364

(2) التهذيب، 68/1 (عج)

(3) إبدال أبي الطيب، 260/1

(4) النهاية، 294/3 (علا)، و308 (عجج)، وينظر: اللسان، 331/2 (عنج)



صوت آخر أميل إلى الشدة منه إلى الرخاوة وهو الجيم، ولعلَّ هذه الظاهرة من صفات القبائل البدوية التي حَرَصَتْ على تضخيم الياء فصارت جيماً⁽⁵⁾.

وَرَجَّحَ بعض المحدثين أن تكون هذه الظاهرة في الوقف فقط، وما عدا ذلك فضرورة، والسبب في ذلك أنَّ النطق بالياء يزداد خفاءً في الوقف لسكونها، لهذا أبدلوا منها الجيم، والجيم أظهر من الياء، أمَّا في حالة الوصل فلا حاجة إلى هذا الإبدال، لأنَّ الياء واضحة شأنها في ذلك كأي حرف⁽⁶⁾.

وقد ذكر ابن يعيش أن ((الجيم تبدل من الياء لا غير لأنَّهما أختان في الجهر والمخرج إلا أنَّ الجيم شديدة ولولا شدتها لكانت ياءً وإذا شددت الياء صارت جيماً))⁽⁷⁾.

ولهذا فالضغط على الياء في الوقف هو الذي قلبها جيماً، والضغط على ما يبدو من كلام بعض المحدثين معنى من معاني الشدة⁽⁸⁾.

ولكن هل تصحُّ نسبة هذا القول إلى ابن مسعود أو إلى أبي جهل وهو ممَّن سَمِعَ منه ابن مسعود ذلك؟ فالأول هذلي⁽⁹⁾ والثاني من سادات قریش⁽¹⁰⁾. وإذا كنَّا رجحنا نسبة هذه الظاهرة إلى البدو، فيكون الأقرب أنَّها لا تنتمي إلى هاتين البيئتين الحضريتين إجمالاً. ولكن على الباحث المتأمل أن لا ينسى التداخل بين القبائل والتأثير والتأثر، فليس هناك حدود مطلقة لكلِّ قبيلة فربَّما انتسب شقٌّ منها إلى البدو والآخر إلى الحضرة⁽¹⁾، ولكن الأقرب في ما نُقِلَ في هذا القول أن يكون من أثر الرواة ممَّن لغتهم قلب الياء في الوقف جيماً وهو ما يمكن استيعاؤه من حديث ابن الأثير هنا.

رابعاً: الوقف على الألف المقصورة:- روى لنا مصنفو غريب الحديث حديث ابن عباس: ((لا بأس بقتل الأفعو ولا برمي الحدو))⁽²⁾.

وذكروا لغات في الألف الموقوف عليها في (أفعى وحدا) منها اللغات التي رواها لنا الزمخشري قال: ((قلب ألف أفعى واواً، وهذه لغة لأهل الحجاز إذا وقفوا على الألف يقولون: هذه حُبْلُو، ولَقِيتْ سَعْدُوا، ومنهم من يقلبها ياء فيقول: حُبْلِي وسُعْدِي، وأمَّا الحدُّ فإنه لما وَقَفَ عليه فَسَكَنَتْ همزته خَفَّفَهَا تخفيفَ همزة رأس وكأس ثم عاملها معاملة الألف في أفعى))⁽³⁾.

هذه ثلاث لغات الأولى نسبها الزمخشري وغيره إلى أهل الحجاز⁽⁴⁾، وقال ابن قتيبة: ((قوله الأفعو فإنَّ الواو قد يبدلها بعض العرب من الألف آخراً فيقولون: أْفَعُو وحُبْلُو))⁽⁵⁾، وعدّها ابن الأثير لغة مشهورة⁽⁶⁾.

ومعنى كلام الزمخشري أنَّ أهل الحجاز كانوا يقفون على الألف تارةً واواً فيقولون: أْفَعُو وأخرى ياءً فيقولون: أْفْعِي، وحيناً همزة نحو: أْفَعَا، ولا يمكن للباحث أن يتصور أنَّ قبيلة واحدة كانت تنطق بهذه الأنماط المختلفة من الأداء، والأقرب إلى الواقع اللغوي ومنطق الأشياء أنَّ قبيلةً أو بطناً من الحجاز كان ينطق بالواو وآخر بالياء وثالثاً كان ينطق بالهمز أو ربَّما حدث هذا التبديل في منطقة الحجاز في أزمان متتالية لا في زمن واحد، وربَّما يكون مثل ذلك عند بعض المحدثين أنَّهم خصَّصوا الواو بحالة الرفع والياء بحالتي النصب والجر ثمَّ جمع النحاة هذه الصيغ على أنَّها من استعمالات الحجازيين بدون توضيح أو بيان⁽⁷⁾ أو ربَّما يكون ذلك ناشئاً عن المعاقبة بين الواو والياء.

(5) في اللهجات العربية/126

(6) اللهجات العربية في التراث/379

(7) شرح المفصل، 50/10

(8) ينظر: لهجة تميم/221

(9) ينظر: الإصابة، 127/4، وتهذيب التهذيب، 27/6

(10) ينظر: غريب القاسم، 55-52/4

(1) ينظر: اللهجات العربية في التراث/38

(2) غريب ابن قتيبة، 356/2، والفائق، 123/1، والنهاية، 460/3 (فعا)

(3) الفائق، 138/1 (بهش)

(4) ينظر: النهاية، 55/1 (أفع)

(5) غريب ابن قتيبة، 356/2

(6) ينظر: النهاية، 460/3 (فعا)

(7) ينظر: اللهجات العربية في التراث/497



وجملة ما نُسبَ إلى الحجاز في هذا الموضع نُسبَ إلى قبائل عربية أخرى كطيّئ بالكيفية نفسها وقد عالجها الدكتور الجندي في محلها بما يُغني عن إعادتها هنا⁽⁸⁾.

وقد رجّح حصول هذا التبديل في حالة الوقف لسببين الأول: أنّ الوقف من مواضع التغير والثاني: استناداً إلى قول الرضي في الألف إنها ((إذا وَقَفَتْ عليها فتخفى غاية الخفاء... ولهذا يبدّلونها في الوقف حرفاً من جنسها))⁽¹⁾.

فلما كانت الألف خفية أبدلت ياء، لأنّ الياء أظهر من الألف، وكذلك قلبها - أي الألف - واواً، فالواو أبين وأظهر وحروف اللين الثلاثة كثيراً ما يحلّ بعضها مكان بعض⁽²⁾.
ويظهر من كلام الزمخشري أنّ بعض هؤلاء يخفّف همزة مثل (جداً) تخفيف همزة رأس وكأس وقد مرّ في مبحث تحقيق الهمز وتخفيفه.

وما عُرِزَ إلى بعضهم أنّهم يحولون الألف إلى همزة نحو: هذه حُبلاً يريد حبلى، ورأيت رجلاً يريد رجلاً⁽³⁾، فتعليله أنّ الوقف على أصوات اللين المتطرفة كان عسيراً على اللسان العربي، وقد أشار الأزهري إلى ذلك بقوله ((ألا ترى أنّ بعض العرب إذا وَقَفَ عندهم همزهم كقولك للمؤنث أفعليء وتسكت، وللاثنتين: أفعلاً... وإنما يهمزون، لأنهنّ إذا وَقَفَ عندهنّ انقطع أنفاسهنّ فرجعن إلى أصل مبتدئنهن من عند الهمزة))⁽⁴⁾.

وعلى وفق الدرس الصوتي الحديث فهناك نوعان من المصوّتات الأول: ذو توتر رخو وتكون الحنجرة عند إصداره منفتحة ونعني الألف في (حدا)، والثاني: ذو توتر شديد وتكون الحنجرة عند إصداره منغلقة ونعني (حداً)، ففي الأول تقترب الحبال الصوتية بعضها من بعض بالقدر اللازم لإحداث الذبذبة، فإذا انتهى النطق تباعد بعضها عن بعض وتأتي نهاية المصوّت على هيئة تلاشي الصوت، وفي الثاني يحدث أن تتغلق الأحبال الصوتية أولاً ثم تنفتح بالقدر اللازم لإحداث الذبذبة فإذا انتهى النطق انغلقت وتأتي نهاية المصوّت في صورة احتباس أو قطع ضعيف. والتوتر هنا أشدّ قوة لدرجة الانفتاح المفاجئ للأحبال الصوتية فتصدر الهمزة ابتداءً ثم تستعيد الأوتار الصوتية وضعها بأن تغلق الحنجرة وهو وضع استعداد للهمزة من حيث كانت نهاية النطق عند مخرج الهمزة⁽⁵⁾.

وتبعاً لذلك فالراجح أنّ في الحالة الأولى إغراقاً في إشباع ومطل حرف المد وهو ما ينسجم مع طبائع الحضر في التآني وإعطاء كل حرفٍ ما يستحق، بخلاف البدو الذين إذا وقفوا على صوت المد قلبوه همزة نتيجة القطع المفاجئ لصوت المد، ويتحقق لهم نتيجة ذلك أمران: الأول: التخلص من الوقف على صوت المد المتطرف وهو ما يفسّر على ألسنتهم غاية العسر نتيجة سرعة الأداء عندهم⁽⁶⁾، والثاني: نقل النبر إلى المقطع الأخير من الكلمة لأغراض كالتأكيد أو التعبير عن معنى معين، وهو أسلوب من أساليبهم حين ينتهون من كلامهم⁽⁷⁾.

ومما يتصل بذلك، ما نُسبَ إلى أهل مكة أنّهم يقولون: الجِدُّ في الجِدْأ⁽¹⁾. ويبدو أنّ بعض أهل مكة ينطق هكذا وفقاً ووصلاً ومنه الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المعروف بحديث لقمان⁽²⁾ وروى فيه أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حدّث عن لقمان ((إِنْ أَرَأَيْتَ مَطْعَمِي فَجِدْأُ تَلَمَعُ)) أي تختطف الشيء في انقضاضها⁽³⁾.

(8) ينظر: المصدر نفسه/497-499

(1) شرح الشافية، 286/2

(2) ينظر: اللهجات العربية في التراث/498، 499

(3) ينظر: سر الصناعة، 82/1

(4) مقدمة تهذيب اللغة

(5) في الأصوات اللغوية، د: غالب المطليبي/274

(6) ينظر: المصدر نفسه، واللهجات العربية في التراث/499

(7) ينظر: لهجة تميم/202

(1) ينظر: الفائق، 78/1، والنهية، 271/4 (لمع)

(2) غريب ابن قتيبة، 514/1

(3) النهاية، 271/4 (لمع)



والوقف بالتضعيف روي عن قبيلة سعد كما جاء في (التصريح على التوضيح)⁽⁴⁾، ونسب الدكتور إبراهيم أنيس ذلك إلى سعد بن بكر⁽⁵⁾. ويرى الدكتور الجندي أن سعداً هذه يجب أن تكون غير سعد بن بكر لأسباب منها أن عاصماً قرأ قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾⁽⁶⁾. بالتضعيف⁽⁷⁾. وعاصم هذا - على قول الدكتور الجندي - من الكوفة، وقد تلقى قراءته عن جماعة من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عُرِفوا بطول الباع في الفصاحة والبلاغة، والكوفة تأثرت بقبائل وسط الجزيرة وشرقها كما تنقل كتب التاريخ، فإذا كان عاصم ابن أبي النجود قرأ بالتضعيف فهو متأثر حتماً بهذه القبائل، ومعنى هذا أن التضعيف كان في شرق الجزيرة كتميم وأسد وبكر بن وائل وغيرها.

ثم ذكر الجندي أن أبا عمرو بن العلاء مازني تميمي قرأ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾⁽⁸⁾ بكسر الباء، ويظهر أن الراء كانت مُضَعَّفَةً، أي أن أبا عمرو وقف عليها بالتضعيف مع نقل حركة الراء إلى ما قبلها، وإنما نقل الحركة الأخيرة إلى ما قبلها لالتقاء الساكنين، فإذا كان أبو عمرو قرأ بها وهو من تميم، فذلك مما يُعزِّز عزو ظاهرة الوقف بالتضعيف إلى سعد بن بكر كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس.

وذكر الجندي أدلة أخرى ذكرت في محلها نفى فيها نسبة الوقف بالتضعيف إلى سعد بن بكر⁽⁹⁾، ويبدو للباحث أن ما ذكره الدكتور الجندي هنا لا يتجاوز الاجتهادات الظنية التي لا ترقى إلى الأدلة الرصينة التي يُعَوَّل عليها، وأولها ما أجتهد في نسبته إلى أبي عمرو بن العلاء، فأما عاصم فقرأته التي بين أيدينا ونقلها عنه حفص وقرأها كثير من المسلمين ولا سيما في العراق تختلف عن هذا الذي نقله الجندي فلم تأتِ بالتضعيف، وحفص نفسه يقول: ((إنه لم يخالف عاصماً في شيء في قراءته إلا في حرف الروم... آية (54): الله الذي خلقكم من ضعف، قرأه بالضم وقرأها عاصم بالفتح))⁽¹⁾.

ومن الثابت أن عاصماً سَمِعَ عن أبي عبد الرحمن السلمي وهو القائل: ((ما أقراني أحد حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمي وكنت أرجع من عنده فأعرض على زر))⁽²⁾، والذي أقرأ السلمي أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، قال حفص: ((قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها علي أبي عبد الرحمن السلمي عن علي...))⁽³⁾. وقد تصوّر الدكتور إبراهيم أنيس أن عاصماً تأثر ببيئة الحجاز⁽⁴⁾. وبهذا ينتفي ما اعتمده الجندي من قراءة عاصم المدعاة، وفضلاً على هذا وذاك فإن القارئ قد لا يُمثِّل بيئته تماماً⁽⁵⁾.

ولعل أقوى ما يمكن حضوره من الأدلة هو ما نسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث لقمان والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مكِّي، والوقف بالتضعيف في (الجدأ) على ما يبدو لغة مكّية، ثم إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ربيب سعد بن بكر من هوازن وهو القائل (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أنا أفصح العرب ميد أني من قريش... وأنزل الله القرآن بلغتي وهي أفضل اللغات بيد أني ربيت في بني سعد بن بكر))⁽⁶⁾. وديار سعد بن بكر أقرب إلى مكة والبيئة الحجازية عموماً⁽⁷⁾.

(4) ج 341/2

(5) في اللهجات العربية/147، 148

(6) القمر/53

(7) ينظر: التصريح على التوضيح، 341/2، واللهجات العربية في التراث/489

(8) البلد/من الآية 17

(9) ينظر: اللهجات العربية في التراث/487-489 للوقوف على كلام الجندي ومصادره التي اعتمدها

(1) طبقات القراء لابن سعد، 254/1

(2) المصدر نفسه، 348/1

(3) نفسه

(4) ينظر: في اللهجات العربية/63

(5) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/108

(6) بحار الأنوار، 158/17، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 162/1 (بيد)



ومما يُعزّز هذا ويُقوّيه ما نصَّ عليه ابن الأثير تعقيباً على حديث ابن عباس: ((لا بأس بقتل الأفعوى))، من أنَّ بعض أهل الحجاز يُشدّد الواو والياء عند الوقف، فضلاً على أنَّ منهم من يقلب الألف واواً، وآخرون يبدّلونها ياءً عند الوقف⁽⁸⁾.

(7) ينظر: اللهجات العربية في التراث/488

(8) النهاية، 55/1 (أفع)



مدخل:

إنَّ العلاقة بين النظام الصرفي والنظام الصوتي في أية لغةٍ من اللغات علاقة وثقى، وذلك: ((أنَّ كثيراً من الموضوعات التي يدور حولها الصرف إنما تبني على قوانين صوتية مرجعها ذلك التأثير المتبادل بين الحروف حين تتألف ويتصل بعضها ببعض))⁽¹⁾. والدَّرس الصوتي الحديث ينظر في الأصوات وعلاقاتها على وفق خصائصها الذاتية وأثر هذه الخصائص في وظائفها السياقية، أمَّا علم الصَّرف فينظر إلى نسيجها من حيث هي أصوات تتفاعل في البنية من دون أن تخضع لخصائصها في ذاتها. فالصرف على ذلك دراسة في السياق الصوتي لكنَّه من نوع خاص، إذ يغلب على البنى الصرفية الثبات، وكأنَّها كذلك في أصل وضعها، فأما التغيرات فيها فهو رصد لتطورها. أي أنَّ الصرف يقيس الصيغ على غيرها على أساس نظري، وفاقاً للكثرة في الاستعمال غالباً، فهو يفترض في مورد الصحة والإعلال أنَّ الصَّحة هي الأصل، وأنَّ الإعلال خروج على هذا الأصل، وكذلك الحال في المدَّ والقصر، والتذكير والتأنيث وغيرها من الظواهر الصرفية⁽²⁾. هذا وقد توزَّعت الخصائص الصرفية في أمثلة اللغات التي ذكرها مصيِّفو غريب الحديث بين خصائص ظهرت بسبب من ميولٍ وتغيرات صوتية نحو معظم الظواهر التي ستعرض في هذا الفصل، وخصائص ظهرت بسبب من ميولٍ لغوية عامَّة، كظاهرة التذكير والتأنيث، وتبعاً لذلك يمكن تقسيم هذا الفصل على المباحث الآتية:

المبحث الأول

الاشتراك في الأبواب

شغلَ الفعل في اللغات العربية القديمة (الجزرية) مكانة عظيمة بناءً وصرفاً واستعمالاً⁽¹⁾، فقد استعملت أبنية وصيغ فعلية مختلفة للتعبير عن وجوه المعاني الفعلية⁽²⁾، فمن هذه الأبنية الوزن (فَعَلَ) المتعدي، فإذا غُيِّرَت عين الفعل بالضم أو الكسر ينتج وزن آخران لا يتعديان، يدلُّ أولهما (فَعُلَ) على الخصائص الثابتة المستمرة نحو (حَسُنَ)، والثاني (فَعِلَ) يدلُّ على الأعراض المتغيرة نحو (يَبِسَ) و(فَرِحَ)⁽³⁾. وكانت العربية أكثر وضوحاً في هذا النظام الفعلي، إذ توسَّعت فيه توسعاً لا نظير له في أخواتها (السامية) الباقية أو المندثرة⁽⁴⁾. لأنَّها نشأت في أقدم موطن، زيادة على موقعها الجغرافي الذي ساعدها على أن تبقى مستقلة حيناً من الدهر⁽⁵⁾.

(1) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/90

(2) ينظر: لهجة قريش، د: مهدي حارث/99

(1) ينظر: مباحث لغوية/67، واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع/140

(2) المنخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/229

(3) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/231

(4) ينظر: مباحث لغوية/67، واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع/140

(5) ينظر: فقه اللغة، د: وافي/158



وقد قَسَمَ العلماء الفعل على تقسيمات متعددة بحسب الزمن أو بالنظر إلى الأحرف المكون منها ونوع الحروف أو بالنظر إلى عمل الفعل، ومن مظاهر اهتمامهم بالفعل أنهم بحثوا في طرائق صياغته، والصلة بين الماضي والحاضر وما تؤديه التغيرات في العلاقة بينهما من دلالات، وهداهم استقرارهم للأفعال العربية إلى تصنيف هذه الأفعال إلى أنماط سمّوا كلّ نمط منها باباً⁽⁶⁾ ثمّ حدّدوا الطرائق التي يمكن بها معرفة البناء الذي يأتي عليه الفعل على النحو الآتي:

1- عمل الفعل (التعدي وال لزوم) 2- دلالة الفعل على صفة ما
3- العلاقة الصوتية الداخلة في بناء الفعل، وخصوصاً في بناء: فَعَلَ يَفْعُل والمضَعَّف في بناء: فَعُلَ يَفْعُل والمثال في بناء: فَعَلَ يَفْعُل⁽⁷⁾.

ويظهر أنّ هؤلاء العلماء نظروا إلى الأبواب نظرتين: إحداهما: باعتبار الماضي، والأخرى: باعتبار المضارع مقروناً بالماضي⁽⁸⁾.

وقد نسبوا هذه الأبواب - أحياناً - إلى قائلها من القبائل نحو نسبة الضم إلى البيئية البدوية والكسر إلى البيئية الحضرية، وهو ما سيُتضح عند المحدثين - خصوصاً -.

ويظهر أنّ اختلاف القبائل العربية في حركة عين الفعل يرجع إلى مبول صوتية على ما يتضح من الأمثلة التي ستعرض في هذا الباب - بمشيئته سبحانه - ولعلّ ما يُعزّز ذلك ويقوّيه وضوح هذه الظاهرة في اللهجات الداريجة الحديثة، ففي الوقت الذي كانت فيه لغة أهل بغداد تميل إلى ضم العين في المضارع في جملة من الأفعال مثل (يأْكُل ويسْكُت، ويُقْعَد)، كانت هذه الأفعال عند بعض أهل الوسط وغالب أهل الجنوب العراقي ترد بالكسر في هذا الموضع.

ويظهر أنّ حركة عين الفعل هذه لم تكن مستقرة في أفعال العربية ولغاتها على الدوام⁽¹⁾. وقد عورضت الأقيسة والضوابط التي وضعها علماء العربية في ما يخصّ هذه الأبواب بوجود صيغ تغيّرت فيها حركة العين في الماضي أو المضارع، فجاءت على وزنين أو أكثر في ما أصطلح عليه بـ (الاشتراك في الأبواب).

ويبدو أنّ هذا التغير وإيثار حركة على أخرى، يعود إلى ميل المتكلمين بطبعهم إلى الخفة والسهولة، التي نصّ عليها أبو زيد الأنصاري بقوله: ((طُفْتُ عَلَيَا قَيْسَ وَتَمِيمَ مَدَّةً طَوِيلَةً، أَسْأَلُ عَنْ بَابِ فَعَلَ يَفْعُل وَيَفْعُل بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، لَأَعْرِفَ مَا كَانَ مِنْهُ بِالضَّمِّ أَوَّلِي، وَمَا كَانَ بِالْكَسْرِ أَوَّلِي، فَلَمْ أَجِدْ لَذَلِكَ قِيَاساً، وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ عَلَى مَا يَسْتَحْسِنُ وَيَسْتَخَفُّ لَا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ))⁽²⁾.

ونصّ ابن درستويه على ذلك لكنّه قيّده بقوله: ((كلّ ما كان ماضيه على فَعَلَتْ بفتح العين، ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ولا الحلق، فإنّه يجوز في مستقبله يَفْعُل بضم العين وَيَفْعُل بكسرها... وليس أحدهما أولى به من الآخر، ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف))⁽³⁾.

فالعلماء يبحثون عن قياس مُطَرّد في هذه الأبواب، للوصول إلى ما هو أولى وأعلى، فلمّا لم يَسْغُهم ذلك صدر عنهم هذا التجويز في خصوص هذا الباب، ولأنّهم لم يقعوا على نهج خاص للغات العربية فيه.

ويظهر ممّا تقدّم أنّ أبا زيد أراد الإفصاح عمّا سمّعه من تلك القبائل، ومن ثمّ تأسيس بعض الضوابط للمتلقّي عند استعمال هذا الباب، وهو ما بنى عليه ابن درستويه قولته السابقة.

(6) ينظر: أبواب الفعل الثلاثي، دراسة صرفية صوتية: حيدر كريم فهد، رسالة ماجستير، كلية القائد للتربية، جامعة الكوفة، 1998م/ص11

(7) ينظر: الكتاب، 5/4، 28، 36، 37، 52، 53، 101، والمقتضب، 209/1، 226، والأصول، 86/3، والممتع في التصريف، 166/1، 174، 473، والمقرب، 486، وينظر: أبواب الفعل الثلاثي دراسة صرفية صوتية/11

(8) ينظر: أبواب الفعل الثلاثي دراسة صرفية صوتية/36

(1) ينظر: لهجة تميم/176

(2) المزهر، 207/1، 208

(3) تصحيح الفصح لابن درستويه، 105/1، والمزهر، 207/1، 208



هذا وقد سجّل اللغويون قوائم عدّة جاءت فيها جملة من الأفعال على الوجهين مسموعة عن العرب (4).

أمّا في ما عدا هذه الأفعال فللمتلقي أن يأتي بالوجهين ولو لم يسمع ذلك من العرب وهذا هو المفهوم من قول أبي زيد: ((إذا جاوزت المشاهير من الأفعال التي يأتي ماضيها على فَعَل بفتح العين، فأتت في المستقبل بالخيار إن شئت قلت: يَفْعَل بضم العين، وإن شئت قلت: يَفْعِل بكسرها)) (1).

ويرى بعض المحدثين أنّ الأبواب السّنة نفسها لا تكاد تخضع لقاعدة واحدة، لذا لا يصح نسبتها إلى لغة موحّدة كاللغة المشتركة أو النموذجية التي نزل بها القرآن الكريم، وجاءت بها الآثار الأدبية الجاهلية، ويظهر أنّ الرواة تلقفوها من لغات عربية مختلفة خضعت كلّ منها لقاعدة خاصّة في اشتقاق المضارع من الماضي أو العكس (2).

وقد لاحظ مصنّفو غريب الحديث كثرة الاشتراك في الأبواب، وقرّروا مثل غيرهم من اللغويين أنّه من الممكن نقل الفعل من أحد البابين إلى الآخر، حين يكون هناك سماع ينصّ على التحديد، إلّا أنّهم لم يعزوا الأمثلة التي ذكروها إلى قبيلة بعينها - غالباً - واكتفوا في أحيان كثيرة بالإشارة إلى أنّها لغات (3).

ومن شواهدهم في هذا:

- أَسَنَّ الماء يَأْسِنُ، وَأَسَنَ يَأْسُنُ فهو أَسِنٌ إذا تغيّرت رائحته (4)، ويُقال - أيضاً - : أَسِنَ الماء بالكسر يَأْسِنُ أَسْنًا فهو أَسِنٌ (5).

إنّ اشتراك هذا الفعل وغيره في بابين أو أكثر إنّما يرجع - على الأرجح - إلى اختلاف اللغات (6). ومما جاء على (يَفْعَل) بالضم قول العباس لعمر في موت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((خَلَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ صَاحِبِنَا فَاتَهُ يَأْسُنُ كَمَا يَأْسُنُ النَّاسُ)) (7)، والعباس مكي قرشي (8).

فأمّا قول قبيصة بن جابر الكوفي (9): ((إِنِّي رَمِيت ظَبِيًّا... فَرَكِبَ رَدْعَهُ فَأَسِنَ فَمَاتَ)) (10). فجاء على باب (تَعَبَ) وهي لغة على ما جاء في (المصباح) (11)، وَتَعَبَ يَتَعَبُ على الباب الرابع (فَرَحَ) (12).

- وفي الخبر: ((ثُمَّ أَتَمَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) طَوِيلًا سَاكِنًا)) (13). أَتَمَّ يَأْتُمُّ - كنصر ...: قَطَعَ، وَأَتَمَّ بِالْمَكَانِ يَأْتُمُّ... من باب تَعَبَ لغة (14).

- وعن الإمام الصادق (عليه السلام): ((الْبَيْعَانُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَفْتَرِقَا)) (1). فَفَرَّقْتُ بَيْنَ الشَّيْءِ فَرَقًا: مِنْ بَابِ قَتَلَ - فَصَلْتُ أَبْعَاضَهُ، هَذِهِ اللُّغَةُ الْعَالِيَةُ، وَفِي لُغَةٍ مِنْ بَابِ نَصَرَ (2).

(4) ينظر: المواهب الفتحية لحزمة فتح الله، 71/1، ط1، 1312 هـ، عنه: اللهجات العربية في التراث/561

(1) القاموس المحيط، 4/1

(2) ينظر: من أسرار اللغة/40، واللهجات العربية في التراث/559

(3) ينظر على سبيل المثال: غريب القاسم، 456-455/4، والفاق، 223/2، والنهاية، 445/2 (شجب)، وينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 183/2 (زهد)

(4) النهاية، 49/1، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 61/1 (أسن)

(5) الصحاح، 476/5، وينظر: المجلد، 53، والمصباح، 15 (أسن)

(6) ينظر: من أسرار اللغة/49

(7) النهاية، 49/1، 50 (أسن)، والحديث أخرجه الدارمي في سننه، 39/1، وابن سعد في طبقاته، 226/2 عن عكرمة

(8) ينظر: الإصابة، 30/4

(9) ينظر: تهذيب التهذيب، 344/8

(10) غريب القاسم، 362/3، وينظر: غريب ابن الجوزي، 27/1 (أسن)

(11) ينظر: ج15، ومجمع البحرين، 201/6 (أسن)

(12) ينظر: الجمهرة، 196/1، والصحاح، 141/1، واللسان، 231/1 (تعب)، والمهذّب في علم التصريف، 57، 61

(13) بحار الأنوار، 165/93

(14) غريب الحديث في بحار الأنوار، 35/1، وينظر: مجمع البحرين، 5/6 (أتم)

(1) بحار الأنوار، 109/100

(2) غريب الحديث في بحار الأنوار، 184/3 (فرق)



يظهر أنَّ هذه اللغة العالية، التي جاءت على الباب الأول (نصر)، هي التي كانت شائعة عند القرشيين بدليل ما رُوِيَ عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في علي (عليه السلام): ((وهو الفارق: يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطل))⁽³⁾. وعلوها آتٍ من أنَّها الأصل، فالفرق: ((خلاف الجمع، فَرَقَهُ يَفْرُقُهُ فَرْقاً، وفَرَقَهُ، وقيل: فَرَقَ للصَّلاح فَرْقاً، وفَرَقَ للإفساد تفریقاً))⁽⁴⁾. وبها نزل القرآن قال تعالى: ﴿وَقُرْءَاناً فَرَقْنَاهُ...﴾⁽⁵⁾، قال الجوهري: ((مَنْ خَفَّفَ قَالَ: بَيَّنَّاهُ، مِنْ فَرَقَ يَفْرُقُ))⁽⁶⁾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ...﴾⁽⁷⁾. أي فَلَقْنَا⁽⁸⁾.

وذكر العلامة الطريحي أنَّ بعض التابعين قرأ قوله تعالى: ﴿فَأَفْرُقْ بَيْنَ كَذَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾⁽⁹⁾. فافرق من باب (ضرب)⁽¹⁰⁾.

ويظهر من مجمل ما نُقِلَ من نصوص أنَّ القرشيين آثروا الضم على وفق اختيارهم لباب (نصر)، وهو أمرٌ قد لا ينسجم مع ما ركز في أذهان بعض المحدثين من إيثار الحجازيين للكسر⁽¹¹⁾.

وهنا ينبغي أن يُميَّز بين مستويين من الأداء هما الأصل، وما تفرَّع عنه، ويظهر أنَّ أداء هؤلاء الذين نقلنا عنهم جاء على الأصل، وهو اختيار الفصحاء، ومعنى الاختيار أنَّهم تجاوزوا الواقع الأدائي لبيئاتهم، ثمَّ أنَّ الباحث لا يشك في أنَّ ما صدرَ عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيره هاهنا هو سليقة حاكت لغة الوحي التي أشرب بها، التي نأت وارتفعت عن بعضٍ ممَّا سُمِّيَ بالمرذول أو المستكره من عادات القبائل وخصوصاً في القرآن الكريم.

- وفي (النهاية): ((يُقَالُ: نَقِمَ يَنْقُمُ، وَنَقِمَ يَنْقُمُ...))، ثمَّ نقل ابن الأثير حديث عمر (رضي الله عنه): ((فهو كالأرقم إنَّ يُقْتَلُ يَنْقُمُ))⁽¹²⁾. لقد جاء هذا الفعل على بابي (ضرب) و(فَرَحَ). ويظهر أنَّ الأصل هو الأول، قال الجوهري: ((نَقِمْتُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْقَمْتُ بِالْكَسْرِ فَأَنَا نَاقِمٌ إِذَا عَتَبْتُ عَلَيْهِ... وقال الكسائي: نَقِمْتُ بِالْكَسْرِ لُغَةً، وَنَقِمْتُ الْأَمْرَ - أَيْضاً - وَنَقِمْتُ إِذَا كَرِهْتُهُ))⁽¹⁾، وفي (اللسان): ((قال أبو إسحاق: يُقَالُ: نَقِمْتُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْقَمْتُ عَلَيْهِ أَنْقَمْتُ، قَالَ: وَالْأَجُودُ: نَقِمْتُ أَنْقَمْتُ وَهُوَ الْأَكْثَرُ فِي الْقِرَاءَةِ))⁽²⁾. وفي التنزيل الكريم: ﴿هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا﴾⁽³⁾. ومنه: ﴿وَمَا تَقْمُوا

مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾⁽⁴⁾. وعليه قول علي (عليه السلام):

بازِلَ عَامِينَ فَتَيَّ سِنِي⁽⁵⁾

مَا تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مِنِّي

وأما قول ابن قيس الرُّقَيَّات:

لَا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

مَا نَقُّوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّ

فيروى بالفتح والكسر⁽⁶⁾.

(3) بحار الأنوار، 210/38، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 184/2 (فرق)

(4) اللسان، 299/10، وينظر: معجم مقاييس اللغة، 493/4، والمجمل، 565 (فرق)

(5) الإسراء، 106

(6) الصحاح، 303/4 (فرق)

(7) البقرة، 50

(8) ينظر: مجمع البحرين، 224/5 (فرق)

(9) المائدة، 25

(10) ينظر: مجمع البحرين، 225/5 (فرق)

(11) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 567-558

(12) النهاية، 110/5، 111 (نقم)، وينظر: المجموع المغيث، 790/1 (رقم)

(1) الصحاح، 439/5 (نقم)

(2) اللسان، 591/12 (نقم)، وينظر: أدب الكاتب، 243

(3) المائدة، 59

(4) البروج، 8

(5) اللسان، 590/12 (نقم)



وقد يكون ما نقل عن عمر (رضي الله عنه) من أثر الرواة، والراجح في شعر ابن قيس الرقيات وهو شاعر قرشي⁽⁷⁾، أنه جرى بالفتح على باب (ضرب) ، على نسق قول علي (عليه السلام) بحكم وحدة البيئة بينهما، وهي اللغة العليا وعليها أكثر القراءة في التنزيل الكريم.

- وفي حديث مجالد بن مسعود السلمي: ((رَأَيْتُمْ صَنْعَتُمْ شَيْئاً، فَشَفَّنَ النَّاسُ إِلَيْكُمْ فَأَيَّاكُمْ وَمَا أَنْكَرَ الْمُسْلِمُونَ)) ، هذا الحديث رواه الهروي الأول عن مجالد⁽⁸⁾ . ونقل ابن الأثير: ((أَنَّ مَجَالِدًا رَأَى الْأَسْوَدَ يَقْصُ فِي الْمَسْجِدِ فَشَفَّنَ إِلَيْهِ)) ، ثُمَّ أَضَافَ: ((الشَّفَّنَ: أَنْ يَرْفَعَ الْإِنْسَانُ طَرْفَهُ يَنْظُرُ إِلَى الشَّيْءِ كَالْمَتَعَجِّبِ مِنْهُ... وَقَدْ شَفَّنَ يَشْفِنُ، وَشَفَّنَ يَشْفِنُ))⁽⁹⁾ .

ذكر ابن الأثير هذا الفعل على بابي (ضَرَبَ) و (فَرَحَ) ، وذكره ابن دريد على باب (نَصَرَ) - أيضاً - فضلاً على باب (فَرَحَ) قال: ((شَفَّنَ الرَّجُلُ يَشْفِنُ شَفْنًا وَشَفَّنَ يَشْفِنُ شَفْنًا...))⁽¹⁰⁾ .

فابن دريد قدَّم في هذا الفعل باب (فَرَحَ) ، واقتصر الجوهرى على باب (ضَرَبَ)⁽¹¹⁾ . قال ابن منظور: ((شَفَّنَهُ يَشْفِنُهُ، بِالْكَسْرِ، شَفْنًا وَشَفْنًا، وَشَفَّنَهُ يَشْفِنُهُ شَفْنًا كِلَاهِمَا: نَظَرَ إِلَيْهِ بِمَوْخَرٍ عَيْنِيهِ بَغْضَةً أَوْ تَعَجُّبًا))⁽¹²⁾ ، وابن منظور وإن قدَّم باب (ضرب) إلا أنَّ سياق كلامه لا يوحي بتفضيل بناء على آخر .

ويظهر ممَّا تقدَّم أنَّ اللغوي إنَّما قدَّم هذه اللغة أو تلك اعتماداً على جودتها وقوتها قياساً إلى مثيلاتها، ممَّا نصَّ عليهنَّ في كلامه .

والمشكلة التي تواجه الباحث - هنا - أنَّ هؤلاء اللغويين لم ينسبوا هذه اللغات إلى قبائل مخصوصة، بل اكتفوا في المثال الأخير - مثلاً - بالإشارة إلى الأبواب فقط .

وهذه الأبواب مرآة تعكس المستويات الأدائية للقبائل العربية - بلا ريب - ولا معنى لورود الفعل على أبواب عدَّة إلا هذا، وقد جَهِدْتُ إلى مسك هذا الخيط من خلال الأشخاص بعدهم نقاطاً دالة على قبائلهم، ولذلك نسبنا بعضهم كجمله من القرشيين، ومن ثمَّ جُعِلَتْ أقوال بعضهم معياراً لأقوال آخرين ومقياساً للغاتهم .

هذا وقد نَسَبَ المحدثون - وفق منهجهم - باب (ضرب) إلى البيئة الحجازية، التي أثرت الكسر في كثير من التغيرات الصوتية، ولعلَّ هذا يوافق ما نُقِلَ - هنا - في الفعل (نقم) عن بعض القرشيين (الحجازيين)، وما نُقِلَ عن مجالد بن مسعود المنسوب إلى سليم وهم حضر على ما عُرِفَ⁽¹⁾ .

ولعلَّ ما يُعزِّز الذي ذكرناه عن الحجازيين ولا سيما القرشيين تحديداً في إثبات الكسر ما ذكره الزمخشري - معقَّباً - على ما نُسبَ إلى النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ سَفِّهِ الْحَقِّ وَغَمَطِ النَّاسِ)): ((الْغَمَزُ الْغَمَصُ وَالْغَمَطُ أَخَوَاتُ، فِي مَعْنَى الْعَيْبِ وَالْإِزْدِرَاءِ وَفِي غَمَصَ وَغَمَطَ لُغَتَانِ: فَعَلَ يَفْعَلُ وَفَعَلَ يَفْعِلُ))⁽²⁾ .

وحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على رواية ابن الأثير: ((إِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ سَفِّهِ الْحَقِّ وَغَمِصَ النَّاسِ)) أي: احتقرهم⁽³⁾ ، وذكرها ابن منظور بفتح العين في (غَمِصَ) مَرَوِيَّةً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)⁽⁴⁾ .

(6) ديوانه/4، وينظر: الجمهرة، 166/3، واللسان، 590/12 (نقم)

(7) ينظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، 648/2

(8) ينظر: غريب القاسم، 304/4، وغريب ابن الجوزي، 1/551، والنهاية، 487/2 (شفن)

(9) النهاية، 487/2 (شفن)

(10) الجمهرة، 65/3 (شفن)

(11) ينظر: الصحاح، 7/6 (شفن)

(12) اللسان، 240/13 (شفن)

(1) ينظر: اللهجات العربية في التراث/446

(2) الفائق، 181/2 (سفه)

(3) النهاية، 386/3 (غمص)

(4) ينظر: اللسان، 61/7 (غمص)



ومما يؤكد رواية الكسر في (غَمَص) ما نُسِبَ إلى علي (عليه السلام): ((لَمَّا قَتَلَ ابْنُ آدَمَ أَخَاهُ غَمِصَ اللَّهُ الْخَلْقَ)) ، في المعنى نفسه⁽⁵⁾ ، ذكر ابن الأثير الرواية الأخرى لهذا الحديث الذي نُسِبَ ابن منظور إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي: ((إِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ سَفَةِ الْحَقِّ وَغَمِطَ النَّاسَ))⁽⁶⁾.

ومنه قول علي (عليه السلام) الآخر: ((إِنَّ مَعَاوِيَةَ غَمِصَ النَّاسَ وَسَفَةِ الْحَقِّ))⁽⁷⁾ وقول الصادق (عليه السلام): ((الْكِبَرُ أَنْ تَغْمِصَ النَّاسَ وَتَسْفَهُ الْحَقَّ)) عقبه البيرجندي قائلاً: ((غَمِصَ النَّاسَ: احْتَقَرَهُمْ وَلَمْ يَرَهُمْ شَيْئاً تَقُولُ مِنْهُ: غَمِصَ النَّاسَ يَغْمِصُهُمْ غَمِصاً))⁽⁸⁾ ، وفي (غمط) نقل صاحب (بحار الأنوار) عن علي (عليه السلام) قوله في طلحة والزبير: ((فَغَمِطَ النِّعْمَةَ وَرَدَّ الْعَافِيَةَ))⁽¹⁾.

ونقل صاحب (اللسان) حديث عمر (رضي الله عنه) الذي رواه ابن الأثير برواية: ((أُتِغَمِصُ الْفَتِيَا وَتَقْتُلُ الصَّيْدَ وَأَنْتَ مُحْرَمٌ؟)) أي تحتقر الفتيا وتستهين بها⁽²⁾ ، فأما اختلاف الرواية على هذا الفعل فقد جبره كثرة الشواهد على الكسر عند القرشيين.

وتبعاً لذلك فإن قبيلة قريش وهي جزء من الحجاز أثرت (فَعَلَ يَفْعُلُ) التي ذكرها الزمخشري وهذا ينسجم مع ما ذكره بعض المحدثين من إثبات الحضر للكسر للدلالة على الرقة⁽³⁾ . وفي ما يتعلق بالفعل المعتل الناقص ذكر الزمخشري مُعَلِّقاً علي الحديث: ((مَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ لِصَاحِبِهِ: صَهْ فَقَدْ لَغَا)) أنه يُقَالُ فِي (لَغَا): ((لَغَى يَلْغَى وَلَغَى وَلَغَا يَلْغُو، إِذَا تَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْنِي وَهُوَ اللَّغْوُ وَاللَّغْيُ))⁽⁴⁾ . وكان ابن الأثير أكثر وضوحاً وتفصيلاً إذ قال: ((يُقَالُ: لَغَا الْإِنْسَانُ يَلْغُو وَلَغَى يَلْغَى، وَلَغَى يَلْغَى إِذَا تَكَلَّمَ بِالْمُطَرَّحِ مِنَ الْقَوْلِ وَمَا لَا يَعْنِي))⁽⁵⁾ . وقال الكسائي: ((لَغَى فِي الْقَوْلِ يَلْغَى وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ يَلْغُو، وَلَغَى يَلْغَى لُغَةً))⁽⁶⁾ . وأنشد ابن بري لعبد المسيح بن عسلة:

بَاكَرْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَلْغَى عَصَافِرُهُ مُسْتَخْفِياً صَاحِبِي وَغَيْرِهِ الْحَافِي

قال: ((هَكَذَا رَوَى: (تَلْغَى عَصَافِرُهُ)... وهذا يدل على أَنَّ فِعْلَهُ (لَغَى) إِلَّا أَنْ يُقَالَ أَنَّهُ فُتِحَ لِحَرْفِ الْحَلْقِ فَيَكُونُ مَاضِيَهُ لَغَا وَمُضَارَعُهُ يَلْغُو وَيَلْغَى))⁽⁷⁾ .

وفي مسند ابن حنبل عن أبي هريرة نسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ: أَنْصِتْ فَقَدْ لَغَيْتَ)) ثم ذكر أنها لغة أبي هريرة⁽⁸⁾ .

وقياس هذا الفعل أن يكون من لغا يلغو لكن أبا هريرة نطق به على وزن يَفْعُلُ - بفتح العين في المضارع - وقد ذكر الدكتور الجندي أن السبب في إثبات الفتح هو وجود حرف الحلق، فكأن دوساً الذين ينتسب إليهم أبو هريرة وهم بطن من شنوءة من الأزدي⁽⁹⁾ . راعوا حرف الحلق فخصّوه بحركات خاصة⁽¹⁰⁾ .

لكن الجندي مسبوق بما ذكره ابن بري في خصوص هذا التفسير، وقد نصّ الكسائي قبلاً على أنها لغات، وقال الجوهري: ((لَغَا يَلْغُو لُغَواً... وَلَغَى بِالْكَسْرِ يَلْغَى لُغاً مِثْلَهُ وَقَالَ الرَّاجِزُ:

(5) النهاية، 386/3 (غمص)

(6) المصدر نفسه، 387/3 (غمط)، وينظر: اللسان، 61/7 (غمص)

(7) بحار الأنوار، 402/32، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 148/3 (غمص)

(8) غريب الحديث في بحار الأنوار، 148/3 (غمص)

(1) ج 78/32، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 149/3 (غمط)

(2) اللسان، 61/7، وينظر: النهاية، 386/3 (غمص)

(3) ينظر: من أسرار اللغة، 80، واللهجات العربية في التراث، 572

(4) الفائق، 322/3 (لغا)

(5) النهاية، 257/4 (لغا)

(6) اللسان، 251/15 (لغا)

(7) المصدر نفسه

(8) مسند أحمد، 7327/13

(9) ينظر: معجم كحالة، 394/1

(10) ينظر: اللهجات لعربية في التراث، 574



عن اللّغا ورَفَث التّكلم ((⁽¹⁾).

والراجز هو العجاج ونسبه ابن منظور إلى ابنه روبة⁽²⁾ التميمي⁽³⁾. وعليه يمكن أن تكون لغة الشاعر هي على (فَعَلَ يَفْعَل) أو (فَعَلَ يَفْعَل) والراجح أنها على الأول من هذين إذا ما تأملنا سياق كلام الجوهري هذا وكلام ابن منظور⁽⁴⁾.

وقال ابن الأثير عقيب روايته لحديث أبي الدرداء: ((وَجَدْتُ النَّاسَ اخْبُرْتُ ثَقُلَ هَ)): ((الْقَلَى البَغْضُ، يُقَالُ: قَلَاهُ يَقْلِيهِ قَلَى وَقَلَى إِذَا أَبْغَضَهُ، وقال الجوهري: إِذَا فَتَحَتْ مَدَدَتْ وَيَقْلَاهُ: لُغَةٌ طَيِّبٌ))⁽⁵⁾.

وأنشد ثعلب:

أَيَّامُ أُمِّ الْغَمْرِ لَا نَقْلَاهَا⁽⁶⁾.

والرجز لأبي النجم كما في جمهرة اللغة⁽⁷⁾ وهو من قبيلة بكر ابن وائل⁽⁸⁾، القرية من تميم وأسد وبعض بطون قيس المتاخمة لتميم في صفة البداوة⁽⁹⁾.

وفي (المزهر): ((أهل الحجاز قَلَوْتُ الْبَرَّ وَكَلَّ شَيْءٌ يَقْلِي فَأَنَا أَقْلُوهُ قَلَوًّا وَتَمِيمٌ قَلَيْتُ الْبَرَّ فَأَنَا أَقْلِيهِ قَلِيًّا وَكُلُّهُمْ فِي الْبَغْضِ سَوَاءٌ يَقُولُونَ: قَلَيْتُ الرَّجُلَ فَأَنَا أَقْلِيهِ قَلَى))⁽¹⁰⁾.

ويبدو من كلام الخليل أن الأصل في مثل هذا البناء (فَعَلَ يَفْعَل)، فأما ما عداه، فهو تطور عنه، فقد فَسَّرَ جنوح طيبي إلى (فَعَلَ يَفْعَل) بأنهم يكرهون اجتماع الكسرة والياء فيفتحون ما قبل الياء فنقلب الياء ألفاً، وكذلك لغتهم في كل ياء متحركة مكسور ما قبلها⁽¹¹⁾. وكذلك كان توجيه ابن فارس⁽¹²⁾. والرضي⁽¹³⁾.

ولعل ما يؤكد هذا الأصل وما تطور عنه ما نقله ابن منظور عن بعض اللغويين وهو ((وحكى سيبويه: قَلَى يَقْلِي وهو نادر... وحكى ابن جني: قَلَاهُ وَقْلِيهِ. قال: وأرى يَقْلِي إنما هو على قَلَى وحكى - ابن الأعرابي - في البغض: قَلَيْتُهُ بِالْكَسْرِ، أَقْلَاهُ عَلَى الْقِيَّاسِ وَكَذَلِكَ رَوَاهُ ثَعْلَبُ))⁽¹⁴⁾.

وإذا تصوّرنا المعاقبة في ما نقله السيوطي، وإن جاءت على غير العادة إذ أثر الحجازيون الواو والتميميون الياء في هذا البناء، وليس ذلك بمستغرب في منطق اللغات، فإنهم اتفقوا على باب (فَعَلَ يَفْعَل) في هذا الفعل حين يأتي بمعنى البغض وهو ما يعنينا هنا فـ ((الْقَلَى الْبَغْضُ فَإِنْ فَتَحَتْ الْقَافَ مَدَدَتْ تَقُولُ: قَلَاهُ يَقْلِيهِ قَلَى وَقَلَاهُ يَقْلَاهُ لُغَةٌ طَيِّبٌ...))⁽¹⁾ ثم أنشد ثعلب رجز أبي النجم السابق⁽²⁾.

وتبعاً لهذا المنقول فإنّ الحجازيين أو كثيراً منهم آثروا باب (ضرب) في هذا الفعل وهو متوقع - على ما ذكر سابقاً - وكذلك مال كثير من التميميين إلى هذا الباب إلا ما نُسبَ إلى روبة وأبيه وهما شاعران. قد يختاران فضلاً على أنهما كما يذكر ابن جني: ((تهضماً اللغة وولداها وتصرفا فيها غير تصرف الافحاح وذلك لا يغالهما في الرجز، وهو مما يضطر إلى كثير من التفريع والتوليد، لقصره ومساابقة قوافيه))⁽³⁾.

(1) الصحاح، 499/6 (لغا) والرجز في ديوان العجاج، 456/1

(2) ينظر: اللسان، 250/15 (لغا)

(3) ينظر: طبقات الشعراء، 148، والشعر والشعراء، 493/2، 495

(4) ينظر: اللسان، 250/15 (لغا)

(5) النهاية، 105/4، 106، وينظر: الصحاح، 476/6 (قلا)

(6) ينظر: اللسان، 198/15 (قلا)

(7) ينظر: جمهرة اللغة، 681

(8) ينظر: الشعر والشعراء، 232، والخزانة، 49/1

(9) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 251

(10) ج 2/240

(11) ينظر: العين، 230/5 (بقي)

(12) ينظر: معجم مقاييس اللغة، 276/1

(13) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، 123/1، والمزهر، 38/2

(14) اللسان، 198/15 (قلا)، وينظر: الكتاب، 105/4، والخصائص، 376/1

(1) اللسان، 198/15 (قلا)

(2) ينظر: المصدر نفسه

(3) الخصائص، 301/3



إلا أنَّ هذه اللغة التي خالفت فيها صيغة الماضي لصيغة المضارع هي الأصل فقد: ((دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع، إذ الغرض في صيغ هذه المثل إنما هو لإفادة الأزمنة فجعل لكل زمانٍ مثال مخالف لصاحبه، وكلما أزداد الخلاف كانت في ذلك قوة الدلالة على الزمان))⁽⁴⁾.

فأما لغة طيئ التي جرت على (فَعَلَ يَفْعَل) ، فيبدو أنها تطوّرت عن هذا الأصل وجنحت إلى التخفيف والمماثلة بين الحركات، لغرض الانسجام عل ما يفهم من كلام الخليل وغيره، وتبعتها كثير من القبائل ك بكر بن وائل على ما يبدو من كلام شاعرهم أبي النجم، وغيرهم⁽⁵⁾، وطيئ على ما يذكر الزمخشري هي التي تتصدر القبائل فيقال: ((إِنَّ طَيِّئاً لَا تَأْخُذُ مِنْ لُغَةٍ وَيُوْخِذُ مِنْ لُغَاتِهَا))⁽⁶⁾. وفي ما يتعلق بالمضاعف فقد ذكر الزمخشري عن المازني عن أبي عبيدة: ((لَبَّ يَلْبَبُ بوزن عَضْ يَعْضُ، إذا صار لبيباً، هذه لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: لَبَّ يَلْبَبُ بوزن فَرَّ يَفْرُ))⁽⁷⁾ ومن أمثلة ذلك على اللغة الحجازية قول صفيّة بنت عبد المطلب وقد ضربت ابنها الزبير، فقيل لها لم تضربينه؟ فقالت: ((لَكي يَلْبَبُ ويقود الجيش ذا الجلب))⁽⁸⁾. وعلى لغة أهل نجد ما نُقِلَ أنَّ ابن عمر: ((أتى الطائف فإذا هو يرى التيوس تَلْبَبُ أو تَتَبَّ على الغنم خافجة كثيراً))⁽⁹⁾.

ويتوقع أن يكون الراوي في النص الأخير نجدياً، والحديث كما ذكر دائماً مظنة لاختلاف اللغات تبعاً لاختلاف الثقل والرواة. تعقيب في ما اصطلاح عليه بـ (تداخل اللغات).

المقصود بالتداخل أنَّ الفعل الماضي قد يأتي من وزن والمضارع من وزن آخر على غير المؤلف، ومعنى هذا أنَّ لهذا الفعل لغتين مشهورتين إحداهما من وزن، والأخرى من وزن آخر، ولشيوخ هاتين اللغتين قد يأخذ العربي الفعل الماضي من لغة والمضارع من لغة أخرى، فيتم التداخل وينتج من ذلك لغة ثالثة⁽¹⁾.

وكان أبو الفتح ابن جني من أكثر علماء العربية تشخيصاً لهذا الباب وتفصيلاً له قال: ((وإذا ثبت وجوب خلاف صيغة الماضي صيغة المضارع وجب أن يكون ما جاء من نحو سلا يسلي وقلى يلقى ونحو ذلك، مما التقت فيه حركتا عينيه منظوراً في أمره ومحكوماً عليه بواجبه فنقول: إنهم قد قالوا: قَلَيْتَ الرجل وقَلَيْتَه، فمن قال قَلَيْتَه فإنه يقول: أَقْلِيه، ومن قال: قَلَيْتَه قال: أَقْلَاه... ثم تلاقى أصحاب اللغتين فسمع هذا لغة هذا، وهذا لغة هذا، فأخذ كل واحد منهما من صاحبه ما ضمّه إلى لغته فتركبت هناك لغة ثالثة))⁽²⁾.

هذا وقد تمثل أبو الفتح لهذا الباب بجملة طيبة من الشواهد مقرونة بتفسير وتحليل وافيين يُغنيان عن التوسع فيه⁽³⁾.

إلا أنَّ الدكتور الجندي يجد أنَّ هذا الذي ذكره ابن جني تبدو عليه الصنعة والتكلف، وهو نوع من الدربة الذهنية والرياضة العقلية البحتة التي لا يخضع لها تفسير الظواهر اللغوية أو التي تعبر عن اختلاف اللغات⁽⁴⁾.

ورأى آخرون أنَّ افتراض أنَّ لغة من اللغات تستعير طريقة النطق بالماضي فقط دون مضارعه أو المضارع دون ماضيه أمر بعيد الاحتمال، وذلك لأنَّ الأوزان لا تستعار وإنما الذي يستعار هو الكلمات⁽⁵⁾.

(4) المصدر نفسه، 376/1

(5) ينظر: اللهجات العربية في التراث/533-538

(6) الفائق، 297/3

(7) الفائق، 188/3، وينظر: النهاية، 223/4 (لب)

(8) ينظر: المصدران السابقان، واللسان، 730/1 (لب)

(9) الفائق، 188/3، والنهاية، 223/4، واللسان، 734/1، 735 (لب)

(1) أوزان الفعل ومعانيها، د: هاشم شلال/228، والمهذب في علم التصريف/63

(2) الخصائص، 377/1

(3) ينظر: المصدر نفسه، 375-386

(4) ينظر: اللهجات العربية في التراث/590



وقد فسّر الجندي (تداخل اللغات) بأنه يرجع إلى بقايا في جسم اللغة لم يتكامل ولم يأخذ تمام دورته بل جمد في مرحلة ما من تطور اللغة، وهو يشبه إلى حد كبير ما سمّاه اللغويون (منكراً) أو (متروكاً) أو (مماثلاً)، ومن الجائز أن يكون هذا التداخل من أخطاء القياس والأجيال الناشئة أو من أخطاء الرواة في النقل⁽⁶⁾.

إلا أن الأقوى في هذا الباب أنه يمثل لغاتٍ شذّت عن قياس اللغويين، ونعني بهم - غالباً - أجيال اللغويين المتأخرين الذين لم يسمّعوا عن العرب أو سمّعوا لكنّهم لم يُحصّوا مثل هذا وغيره. ففي حديث علي (عليه السلام): ((أنه خرج والناس ينتظرونه للصلاة قياماً، فقال: ما لي أراكم سامدين))، نقل الهروي الأول أن ((قوله: سامدين - يعني القيام وكل رافع رأسه فهو سامد، وقد سمّد يسمّد ويسمّد سموداً))⁽¹⁾.

والأصل في (سمد) على ما يبدو من أقوال اللغويين في معنى القيام أن يكون على (فعل يَفْعُل) يُقال: ((سمّد يسمّد سموداً: علا...))⁽²⁾ وذكر ابن منظور: ((سمّد يسمّد)) نقلاً عن أبي عبيد⁽³⁾. فأما مثل (سمّد يسمّد) على (فعل يَفْعُل) فليس أصلاً في الباب جاء في كتاب الأضداد لابن الأنباري ((أن الفراء يذهب إلى أن يفعل لا يكون مستقبلاً لفعل وإن أصل يفضل من لغة قوم يقولون: فضل يفضل، فأخذ هؤلاء ضم المستقبل عنهم))⁽⁴⁾. وفي (القاموس المحيط) أن مثل هذا مركب من لغتين⁽⁵⁾. بل عدّه بعضهم من الأوزان المهملة كراهية الانتقال من الكسر إلى الضم وهو انتقال من ثقيل إلى أنقل⁽⁶⁾. بل قالوا: ((إن الماضي المكسور العين يأتي مضارعه مفتوح العين أو مكسورها ولا يأتي مضمومها))⁽⁷⁾.

والذي يظهر من كلام الهروي الأول أنه يُقدّم هذه اللغة في هذا المعنى، ولا يوحي كلامه بهذا الذي ذكره هؤلاء اللغويون وهو من اللغويين المتقدمين ت(224 هـ) فقد عاصر أبا عمرو والعلاء وأبا عبيدة وسألهم وكذلك نقل عن الأصمعي والكسائي وغيرهم⁽⁸⁾، فهذا يدلنا على أن بعضاً ممّا يُنسب إلى التداخل قد يكون لغاتٍ، وممّا يُقوّي ذلك مثلاً أن الكسائي أشار إلى أن الكسر في عين مضارع (حسب) جاء من تداخل لغتين⁽⁹⁾، لكن صاحب (الغريبين) يذكر قراءة قرآنية على هذا الوزن هي⁽¹⁰⁾: ((وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب))⁽¹¹⁾، وذكر الدميّاطي: أنها لغة الحجاز وقرأ بها غير ابن عامر وعاصم وحزمة وأبي جعفر من القراء⁽¹²⁾. وقال الفيومي: ((حسبت زيدا قائماً أحسبته من باب تعجب في لغة جميع العرب إلا بني كنانة فأنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس))⁽¹³⁾.

والقياس على ما يذكر القرطبي فتح السنين وبه قرأ أهل الكوفة إلا أنه روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خلافها وأنه قرأ بالكسر في المستقبل⁽¹⁾.

وكنانة مجاورون لقريش⁽²⁾، ويشتركون معهم في كثير من الأداء اللغوي⁽³⁾. وكثير ما ترد كنانة ويقصد بها الحجاز ولا سيما في كتب لغات القرآن، كما أنهم كانوا يطلقون لغة قريش ويقصدون

(5) ينظر: من أسرار اللغة/39

(6) ينظر: اللهجات العربية في التراث/591، 592

(1) غريب القاسم، 155/2، وينظر: النهاية، 398/2 (سمد)

(2) اللسان، 219/3، وينظر: معجم مقاييس اللغة، 100/3، والمجلد/385، والصاح، 80/2 (سمد)

(3) ينظر: اللسان، 219/3 (سمد)، وينظر: شرح ابن عقيل/605

(4) الأضداد في اللغة/11

(5) ينظر: القاموس المحيط، 31/4 (فضل)

(6) شرح ابن عقيل، 474/2

(7) تكملة في تصريف الأفعال، عملها، محمد محي الدين عبد الحميد في نهاية شرح ابن عقيل/603

(8) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: غريبه، 44-49/1، ولزيادة الفائدة ينظر: منهجه في الفصل الأول، وينظر: مورد النقل الروائي

(9) ينظر: الأضداد في اللغة/11

(10) ينظر: الغريبين، 390/1 (جمد)

(11) من الآية 88/النمل

(12) ينظر: الإتحاف/340

(13) المصباح/134

(1) أحكام القرآن للقرطبي، 243/13



الحجاز أو العالية⁽⁴⁾ . ولا عجب فبين القبيلتين وبين الحجاز علاقة الجزء بالكل أو الخاص بالعام وقد يطلق الجزء ويراد الكل أو العكس⁽⁵⁾ .
فإذا ثبت أن تلك اللغة لأهل الحجاز وليس من التداخل في شيء، فالراجح أن قراءة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاءت على الأصل الذي ذكره القرطبي بفتح السين وهي القراءة التي رواها حفص عن عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي (عليه السلام)⁽⁶⁾ . وعاصم هذا كوفي كما هو ثابت⁽⁷⁾ . وتتصل قراءته بعلي (عليه السلام)، وقراءة علي (عليه السلام) هي قراءة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ ثبت أن علياً (عليه السلام) تربى في كنف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولم يفارقه مدة حياته (صلى الله عليه وآله وسلم)⁽⁸⁾ . وفي ما نقله القرطبي من أن القياس فتح السين وبه قرأ أهل الكوفة ما يُعزّز هذا الذي أذهب . ونخلص من هذا كله إلى أن بعض أمثلة التداخل يمثل لغات بعينها، لكنها لغات شذت عن قياسات اللغويين، أو أنهم لم يسمعوها أو يحصوها، ولا يبعد أن يكون بعض هذه الأمثلة ممّا تُرك، لثقله، واللغة تسعى في تطورها إلى التخلص من الثقل وإلى الانسجام كما هو معروف.

المبحث الثاني

اختلاف الأوزان واتفاق المعاني في الأفعال

إنّ اختلاف الأوزان للفظ الواحد مع الاحتفاظ بالمعنى نفسه ورد عن العرب، واهتمّ به اللغويون ولا سيما مصنّفِي غريب الحديث الذين اعتمدوا - غالباً - على ما رواه اللغويون في هذا الباب . والمعروف أن حروف الزيادة التي تدخل الأفعال يكون لكلّ منها زيادة في المعنى على وفق القاعدة التي تقول: زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى . فكل حرف يزداد على الصيغة الفعلية تقابله زيادة في المعنى وهذا واضح في الأفعال التي تعترّيها هذه الزيادة .

ولكن قد تجيء طائفة من الصيغ فيها بعض حروف الزيادة مع اتحاد المعنى ، ومعظم هذا يرجع إلى اختلاف اللغات عند كثيرٍ من علماء اللغة قدماء ومحدثين، ويمكن ملاحظة ذلك في الصيغ الفعلية الآتية:

أولاً: فَعَلَ وَافْعَلَ ثانياً: فَعَلَ وَافْتَعَلَ ثالثاً: أَفْعَلَ وَفَعَلَ
أولاً: فَعَلَ وَافْعَلَ:

نقل سيبويه عن الخليل أنهما لغتان اختلفتا قال: ((وقد يجيء فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ والمعنى فيهما واحد إلا أن اللغتين اختلفتا، زعم ذلك الخليل. فيجيء به قوم على فَعَلْتُ، ويلحق قوم فيه الألف فيبينونه على أَفْعَلْتُ))⁽¹⁾ . قال الخليل - أيضاً - : ((البرقُ وميضُ السحاب، يُقال: برَقَ السحاب برَقاً وبريقاً

(2) ينظر: البحر المحيط، 60/1، وتاريخ الأدب، حفني ناصف/15

(3) ينظر على سبيل المثال: اللهجات العربية في التراث/325، 336، 570

(4) المصدر نفسه/665

(5) ينظر: في اللهجات العربية/72

(6) ينظر: طبقات القراء، 348/1

(7) ينظر: المصدر نفسه

(8) ينظر: نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، للشبلنجي الشافعي/86-91

(1) الكتاب، 61/4



قال: وأَبْرَقَ أيضاً لغةً⁽²⁾. وحكى اللغتين أبو عبيدة وأبو عمرو، فاحتجَّ على الأصمعي ببيت الكميت:

أَرَعْدُ وَأَبْرَقُ يَا يَزِيدُ دُفَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرٍ⁽³⁾.

فقال: ليس قول الكميت بحجَّةٍ، وهو مُؤَلَّدٌ. واحتجَّ ببيت المتلمَّس:

فَإِذَا حَلَلْتُ وَدُونَ بَيْتِي غَاوَةٌ فَأَبْرَقُ بِأَرْضِكَ مَا بَدَا لَكَ وَارِعِدُ⁽⁴⁾.

والأصمعي ردَّ كثيراً من هذا أو هو لم يعرفه، ففي الحديث أنَّه (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى ((عن بيع الثمر قبل أن يَزْهُو))، قال الزمخشري: ((يُقال: زَهَى الثَّمر وأَزْهَى، إذا احمرَّ أو اصفرَّ، وأبى الأصمعي الازْهَاء، ولم تُعرف أَزْهَى))⁽⁵⁾.

وجاء في (معجم مقاييس اللغة): ((ويُقال: فَتَنَتْ نَتْنُهُ وَأَفْتَنَتْهُ وأنكر الأصمعي أَفْتَنَ⁽⁶⁾))، إلا أنَّ

إنكار الأصمعي مردود بإجماع اللغويين على ورود مثل هذا عن العرب وسماعه منهم، وقد كان الأصمعي مولعاً بالجيد ويضيق في ما سواه⁽¹⁾، ويذهب إلى الأفصح من كلام العرب وهو ما عُرف عنه في مجمل مروياته لكنَّه أقرَّ بوقوع شيء من هذا بسبب اختلاف اللغات على ما يروى عنه ابن دريد، قال: ((سألت أبا حاتم عن بَاعَ وأَبَاعَ، فقال: سألت الأصمعي عن هذا فقال: لا يُقال: أَبَاعَ فقلت: قول الشاعر الأجدع بن مالك الهمداني:

وَرَضِيْتُ آلَاءَ الْكَمِيتِ فَمَنْ يَبِعُ فَرَساً فَلَيْسَ جَوَادَنَا بِمُبَاحٍ

فقال: أي غير معرض للبيع، قال الأصمعي: لعلها لغة لهم، يعني أهل اليمن))⁽²⁾

ويجد الباحث أمثلة كثيرة ذكرها مصنفو غريب الحديث تدخل في هذا الباب، منها ما عُزي إلى أهلكه وهو أقلُّه ومنها ما اكتفى هؤلاء المصنفون بالقول: إنها لغات وهي أكثر من الأول، ومنها ما لم نجد فيها هذا ولا ذاك، إنما يوحى وصفهم لها أنها تدخل في هذا الباب وهي أكثر هذا الباب⁽³⁾. فمن أمثلة ما عُزي:

- جاء في غريب الحربي: ((ما تركت فتنة أضرَّ على الرجال من النساء... يُقال: فَتَنَ المرأةَ وَأَفْتَنَ وأهل الحجاز يقولون: فَتَنَهُ، وأهل نجد يقولون: أَفْتَنَهُ وقال الشاعر على اللغتين:

لئن فَتَنْتَنِي لَهْيَ بِالْأَمْسِ أَفْتَنْتُ سعيداً فأَمْسَى قد قلى كلَّ مسلم

ومثله سقى وأسقى))⁽⁴⁾.

- وقال في موضع آخر معقِّباً على قوله تعالى: ﴿مَا أَسْمُ عَلَيْهِ فَتْنَيْنِ﴾⁽⁵⁾، وأهل نجد يقولون: بمفتنين تقول: أَفْتَنْتَهُ، وأهل الحجاز يقولون: فَتَنْتَهُ⁽⁶⁾.

- وقال ابن الأثير معقِّباً على حديث صلاة الحائض: ((قَدْ كُنَّ نِسَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْضُنَّ، فَأَمَرَهُنَّ أَنْ يَجْزِينَ)) : ((أي: يقضين ومنه قولهم: جَزَاهُ اللَّهُ خيراً. قال الجوهري: وبنو تميم يقولون: أَجْزَأَتْ عَنْهُ شاةٌ، بالهمز: أي قُضَتْ))⁽⁷⁾.

ومما اكتفى فيه هؤلاء المصنفون بالإشارة إلى أنها لغات:

- قول ابن قتيبة: ((يُقال: أَضَافَ فلان من الأمر، إذا حاذره، قال الهذلي أبو ذؤيب:

(2) معجم مقاييس اللغة، 221/1، وينظر: العين، 56/5 (برق)

(3) ديوان الكميت/132

(4) إصلاح المنطق/193، وينظر: ديوان المتلمَّس/77، والخصائص، 296/3، 297

(5) الفائق، 137/2 (زهو)، وينظر: غريب القاسم، 233/1 (عذر)، والجمهرة، 440-434/3 (باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة)

(6) ج472/4 (فتن)

(1) ينظر: فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني/88

(2) ينظر: الجمهرة 436/3

(3) فمن أمثلة القسم الثالث في هذا الموضوع ينظر على سبيل المثال: غريب القاسم، 277-276/3 (نهج)، 67/2 (شور)، وغريب ابن قتيبة،

350/2، الفائق، 315/2 (صمت)، 349/2 (ضنى)

(4) غريب الحربي، 940/2

(5) الصافات/162

(6) غريب الحربي، 938/3

(7) النهاية، 270/1 (جزا)



وما إن وَجَدُ مُعْوَلَةً تَكُولُ بواحدِها إذا يَغْزُو تُضِيفُ

- ... وفيه لغة أخرى: ضَافَ, والضَّائِفُ المُحَاذِرُ⁽¹⁾.
- ومنه في الحديث الذي نقله صاحب (الغريبين): ((يُخْرَجُ قَوْمٌ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْعِرَاقِ يَبْسُونَ وَالْمَدِينَةَ خَيْرَ لِهِمْ...)) يُقَالُ فِي زَجْرِ الدَّابَّةِ إِذَا سَقَتْهَا بَسَ بَسَ وَهُوَ زَجْرٌ لِلسَّوْقِ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْيَمَنِ. وفيه لغتان: بَسَسْتُ وَأَبْسَسْتُ⁽²⁾.
- وقد نسب أهل الغريب صيغة (فَعَلَ) إِلَى الْحِجَازِ وَصِيغَةً (أَفْعَلَ) إِلَى نَجْدٍ أَوْ تَمِيمٍ وَلَعَلَّ مِمَّا يُعْزَرُ هَذَا الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي نُقِلَتْ عَنْ قَرَشِيِّينَ وَرَدَتْ عَلَى صِيغَةِ (فَعَلَ), وَقَرِيشَ جَزءٌ مِنْ بَيْئَةِ الْحِجَازِ فَمِنْ ذَلِكَ:
- مَا نَسَبَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ إِلَى الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): ((لَا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يَبْتَ الصِّيَامَ)) , قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: ((وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: سَكَرَانَ لَا يَبْتُ أَيُّ يَقْطَعُ أَمْرًا, وَأَجَازَ الْفِرَاءَ: لَا يَبْتُ عَلَى لَفْظِ الْعَامَةِ وَقَالَ: هُمَا لُغَتَانِ, بَتَّ وَأَبَتَّ))⁽³⁾, وَقَدْ ظَهَرَ مِمَّا نَسَبَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ أَنَّ الَّذِي أَجَازَهُ الْفِرَاءَ لَمْ يَرِقْ إِلَى مَسْتَوَى الْفَصَاحَةِ بِخِلَافِ مَا نُسِبَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عَلَى (فَعَلَ) عَلَى اللُّغَةِ الْعَالِيَةِ كَمَا يَصِفُ الْخَطَّابِيُّ⁽⁴⁾.
- وَمِمَّا رَوَى عَنْ الْقَرَشِيِّينَ مَا نُسِبَ إِلَى عَمْرِو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): ((إِذَا أُجْرِيتَ الْمَاءُ عَلَى الْمَاءِ جَزَى عَنْكَ)), وَيُرْوَى بِالْهَمْزِ⁽⁵⁾.
- وَمِنْ ذَلِكَ مَا نُسِبَ إِلَى عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ: ((قَرِيشُ تَرْعُدُ وَتَبْزُقُ))⁽⁶⁾.
- وَمِنْهُ مَا ذَكَرَ الْقَاسِمُ فِي حَدِيثٍ مُعَاوِيَةَ: ((أَنَّهُ قَدِمَ مِنَ الشَّامِ فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ فَلَمْ تَلْقَهُ الْأَنْصَارُ فَسَأَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا: لَمْ يَكُنْ لَنَا ظَهْرٌ, قَالَ: فَمَا فَعَلْتُمْ نَوَاضِحُكُمْ؟ قَالُوا: حَرَّتْهَا يَوْمَ بَدْرٍ)), قَالَ الْقَاسِمُ: ((يَعْنِي هَزَلْنَاهَا, يُقَالُ: حَرَّتْ الدَّابَّةُ وَأَحْرَتْهَا لُغَتَانِ))⁽⁷⁾.
- وَمِنْهُ حَدِيثُ الزَّبِيرِ: ((كَانَ يَقْعَصُ الْخَيْلَ قَعَصًا بِالرَّمْحِ يَوْمَ الْجَمَلِ حَتَّى نَوَّهَ بِهِ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)), قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ مَعْقِبًا: ((يُقَالُ: قَعَصَهُ وَأَقْعَصَهُ: قَتَلَهُ ذَرِيعًا - عَنِ الْأَصْمَعِيِّ وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ... نَوَّهَ بِهِ: شَهَرَهُ وَعَرَفَهُ))⁽⁸⁾.
- وَمِمَّا وَرَدَ عَلَى صِيغَةِ (أَفْعَلَ) سِوَى مَا نُسِبَ إِلَى نَجْدٍ وَتَمِيمٍ مَا عَزَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ, قَالَ زَيْدُ بْنُ وَهَبٍ: ((أَتَيْتُهُ لَمَّا قُتِلَ عُمَانُ فَاسْتَشْرَفْتُهُ, فَقَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَقَوْسُكَ وَتَرَفَاقُطُهُ, وَإِنْ كَانَ لَرُمْحِكَ سَنَانٌ فَانْصِلْ لَهُ)), وَانْزَعَهُ, يُقَالُ: نَصَلَ الرَّمْحُ: جَعَلَ لَهُ نَصْلًا, وَأَنْصَلَهُ فِي مَعْنَى النَّزَعِ⁽¹⁾.
- وَأَبُو مُوسَى مِنْ بَنِي الْأَشْعَرِ وَقَدْ وَلَدَ فِي زَبِيدٍ بِالْيَمَنِ⁽²⁾ وَقَدْ مَرَّ عَلَيْنَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ دَرِيدٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ يَمِيلُ إِلَى نَسْبَةِ صِيغَةِ (أَفْعَلَ) مِنَ الْفِعْلِ (بَاعَ) إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ.
- وَمِمَّا وَرَدَ عَلَى (أَفْعَلَ): أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِابْنِ عَمْرِو: ((إِنِّي أُعْطِيتُ بَعْضَ بَنِي نَاقَةَ حَيَاتِهِ, وَإِنَّهَا أُضْنِتُ, وَاضْطَرَبَتْ...)), قَالَ الْخَطَّابِيُّ: ((قَوْلُهُ: أُضْنِتُ إِنَّمَا هُوَ ضَنْتٌ بِغَيْرِ أَلْفٍ أَيْ كَثُرَ نِتَاجُهَا))⁽³⁾.

(1) غريب ابن قتيبة, 112/2-113, وينظر: شعر أبي ذؤيب: كتاب شرح أشعار الهذليين, 184/1
(2) ج1/165 (بس) وينظر على سبيل المثال: غريب القاسم, 90/3 (ملك), و93/2 (ثوى), والنهاية, 118/4, وينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار, 287/2 (قات)
(3) غريب ابن قتيبة, 89/1, 90, وينظر: غريب الخطابي, 239/3, وأخرج الحديث الترمذي في مواضع منها, 99/3 بلفظ (من يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له) وكذلك البيهقي في سننه, 202/4, 203
(4) ينظر: غريب الخطابي, 239/3
(5) النهاية, 270/1 (جزى)
(6) بحار الأنوار, 244/20, وغريب الحديث في بحار الأنوار, 114/2 (رعد)
(7) غريب القاسم, 295-294/4 (حرث)
(8) الفائق, 213/3 (قعض), وينظر: على لغة قريش: غريب القاسم, 246/1, والفائق, 249/1 (جهش), و387/1 (خلف), وغريب القاسم, 330/3 (ملك), و96/2 (لحق), و113/2 (جمل), والنهاية, 401/1 (حضن)
(1) الفائق, 437/3 (نصل)
(2) ينظر: تهذيب التهذيب, 362/5, والإصابة, 119/4



ونقل ابن الأثير عن غير الخطابي: ((يُقال: ضَنَّت المرأة تضنّي ضنّي وأضنت... إذا كُثِر أولادها))⁽⁴⁾. وتبعاً لذلك فهذا الأعرابي جرى على لغته، والصواب على ما يُفهم من كلام الخطابي ونقله ابن الأثير في هذا الموضع أن يكون الأداء في هذه الصيغة على (فَعَلَ). وفي حديث أبي أسيد: ((فلما فرغ من الطعام أمأثته فسَقَتَه إياه))، قال ابن الأثير: ((هكذا رُوي إمأثته والمعروف مأثته، يُقال: مَثَّت الشيء، أميئته وأموئته فأمأثت، إذا دُفَّتَه في الماء))⁽⁵⁾ ويبدو أن العِلَّة في إثارة كثير من أهل نجد وتميم وبعض أهل اليمن والأعراب لصيغة (أفعل) يرجع إلى التخلص من توالي الحركات على الفعل، وكراهية توالي الحركات هي التي حدثت بهم إلى التخفيف عن طريق إسكان عين (فَعَلَ)، على عادة البدو في إثارة التخفيف في هذا وغيره⁽⁶⁾. وهذا يعني أن كثيراً من الحجازيين كما عند بعض القرشيين جنحوا إلى أن يكون الفعل مُتألفاً من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة فأما أهل نجد وتميم وغيرهم فأثروا استعمال (أفعل)، للتخلص من توالي مقاطع مفتوحة طلباً للتخفيف - كما مر -⁽⁷⁾. إلا أن هذا لا يطرّد دائماً، فقد أثر عن بعض ممن نُسب إلى قریش استعمال صيغة (أفعل)، فمن ذلك ما نقل عن الزهراء (عليها السلام): ((ثُمَّ اجْتَلَبُوا... دَمًا عَبِيطًا وَدَعَا فَا مُمَضًّا))⁽⁸⁾. قال البيهقي: ((أَمْضِي الجرح إمضاضاً: إذا أوجعك، وفيه لغة أخرى مَضْنِي الجرح))⁽⁹⁾. وفي (اللسان) عن أبي عبيدة: ((مَضْنِي الأمر وأمضني، وقال: أَمْضِي كلام تميم... قال ربيعة: فاقني وشر القول ما أمضاً))⁽¹⁰⁾.

ولم يعرف الأصمعي مَضْنِي وقدّم ثعلب أَمْضُنِي⁽¹⁾، وكذلك قدّمها الجوهري⁽²⁾. ويظهر ممّا مَضْنِي أن الذي جرى في أداء الزهراء (عليها السلام) لا يتعلق بمستوى اختلاف اللغات إنما هو اختيار الصيغة التي تناسب المعنى المراد، فالذي يناسب إمضاض الجرح صيغة (أفعل)، وقد نصّ اللغويون - كما مر - على هذا الذي ذكرناه⁽³⁾. وقريب من ذلك ما نُسب إلى علي (عليه السلام) في صفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((به هُدَيْتِ الْقُلُوبَ بعد خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْإِثْمِ، مَوْضِحَاتِ الْأَعْلَامِ، وَنَائِرَاتِ الْأَحْكَامِ وَمُنِيرَاتِ الْإِسْلَامِ))، قال ابن قتيبة معقّباً: ((قوله: نَائِرَاتِ الْأَحْكَامِ وَمُنِيرَاتِ الْإِسْلَامِ، يريد: الواضحات البينات. يُقال: نار الشيء وأنار إذا وضح فأتى بالفتن جميعاً))⁽⁴⁾. يتفق بعض اللغويين لا سيما مصتفي الغريب على أن الصيغة الأولى (نار - نائرات) والثانية (أنار - منيرات) بمعنى واحد⁽⁵⁾. إلا أن الراجح أن ثمة فرقاً بين الصيغتين هو أن الإمام (عليه السلام) أراد أن الله سبحانه وتعالى أقام برسوله الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) الدليل الواضح الذي به يُسْتَدَلَّ على طريق الهداية⁽⁶⁾. وبه نشر الأحكام، والصيغة المجردة على ما يبدو أدلّ على الانتشار، فالمحسوس بعين البصر عند صاحب (المفردات) هو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم

(3) غريب الخطابي، 392/2، وينظر "النهاية"، 104/3 (ضنا)

(4) النهاية، 104/3 (ضنا)

(5) المصدر نفسه، 378/4 (ميث)

(6) ينظر: لهجة تميم، 184

(7) ينظر: المصدر نفسه، 207

(8) بحار الأنوار، 162/43

(9) غريب الحديث في بحار الأنوار، 420/3 (مضض)

(10) ج 233/7 (مضض)

(1) ينظر: اللسان، 233/7 (مضض)

(2) الصحاح، 333/3 (مضض)

(3) وللاستزادة ينظر: المصدر نفسه، واللسان، 233/7 (مضض)

(4) غريب ابن قتيبة، 147/2، 143، وينظر: الفائق، 416/1، والنهاية، 125/5 (نور)

(5) المصادر السابقة، وينظر: الجمهرة، 420/2، 434/3، واللسان، 240/5، والمصباح، 629 (نور)

(6) ينظر: نهج البلاغة، 101، 586



والنَّيِّرَات (7). وفي (نهج البلاغة): ((وأقام بموضحات الأعلام، ونَّيِّرَات الأحكام)) (8). وقال الفيومي: ((نارت الفتنة تنور إذا وقعت وانتشرت فهي نائرة)) (9). فأما الصيغة المزينة فهي ألصق بدلالة الوضوح والبيان والإضاءة، يُقال: ((أنار الله كذا ونوره وسمى الله تعالى نفسه نوراً من حين أنه هو المنور)) (10)، والإسلام هو المنور.

وفي الحديث: ((ثم أنارها زيد بن ثابت))، أي ثم نورها وأوضحها وبيّنها (11)، ولا يعني هذا أن مستوى اختلاف اللغات مُنتفٍ في هذا وغيره، إنما يُراد منه أن (فَعَلَ وأَفْعَلَ) تفرق في المعنى كثيراً أو قليلاً، وهو ما لمسناه في المثالين الأخيرين. وقد يكون هذا ناشئاً عن زيادة الهمزة التي تؤول بالفعل إلى التعدية وإذا لم تكن للتعدية فإنها للافتراق في المعنى. وهذا هو المفهوم من كلام الخليل وسيبويه، ذلك أنك تقول: ((دخل وخرج وإذا أخبر أن غيره صيره إلى شيء من هذا قلت: أخرجه وأدخله وأجلسه)) (12). فالهمزة هنا للتعدية فأما لافتراق المعنى فيقال: ((طلعت أي بدوت وطلعت الشمس أي بدت، وأطلعت عليهم أي هجمت عليهم وشرقت بدت وأشرقت أضاعت)) (1). وقال الزمخشري مفسراً قول الحسن: ((وأعمدته رجلاه)): ((... عمَدَتُ الشيء إذا أقمتُه وأعمدته إذا جعلت تحته عمداً)) (2).

ومما تكلمت به العرب على فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ ما أورده ابن دريد من قولهم: غَلَقْتُ الباب وأغلقته، وأبى البصريون إلا أغلقته ولم يُجيزوا غَلَقْتُه البتة (3). وذهب ابن خالويه إلى إنكار أن يكون فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى واحد، ((لأن جميع كلام العرب أن يُقال فعل الشيء وأفعله غيره مثل جلس زيد وأجلسه غيره)) (4).

ولا يختلف هذا الذي ذكره البصريون وابن خالويه عما نُقِلَ عن الأصمعي إلا أن كل ما نُقِلَ لا يعدو الاجتهاد في اختيار الأفصح أو الأقيس ولا يعكس الواقع اللغوي بتمامه. وبناء (أَفْعَلَ) على ما يُنقل بعض اللغويين قديم في العربية فأراقه وهراقه على البذل عن اللحياني ونسبها إلى اليمن ثم فشلت في مضر (5). ويُفهم من رواية اللحياني أن صيغة (هفعل) كانت أصلاً في اللغات العربية الجنوبية ثم ظهرت في مناطق جغرافية أخرى حيث ظهرت في اللحيانية القديمة ثم في الكنعانية القديمة والموابية وبعض اللغات الآرامية (6).

وعلى خلاف ذلك يذكر ثعلب أنه: ((يُقال: قد أمضني الجرح. قال: وكان من مضى يقول: مضني بغير ألف)) (7).

فهذا يُشير إلى التطور المتبادل بين الصيغتين وإن كان الراجح أن الصيغة المجردة هي الأصل على ما يُفهم من كلام ثعلب على الأقل. وهذا لا يعني أنها الأفصح أو الأقيس بدليل أن اللغويين مثل ثعلب والجوهري قدّموا الصيغة المزينة - كما مر - . ومثله عن الحربي: ((يقول بعض العرب: شَطَطْتُ عليّ في السوم وأكثر كلام العرب أَشَطَطْتُ)) (8).

(7) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن/827

(8) النهج بتحقيق، د: الصالح/101

(9) المصباح/630 (نور)

(10) المفردات/828 (نور)

(11) الفائق، 32/4، والنهاية، 125/5، واللسان، 240/5 (نور)

(12) الكتاب، 233/2

(1) الكتاب، 234/2

(2) الفائق، 413/3

(3) الجوهري، 434/3، 439

(4) ليس في كلام العرب، لابن خالويه/25

(5) اللسان، 135/10 (ريق)

(6) اللهجات العربية في التراث/613

(7) الصحاح، 333/3، واللسان، 233/7 (مضن)

(8) غريب الحربي، 1156/3



ويظهر أن الفیصل في ترجیح الصیغة المزیدة هو الاستعمال القرآني، قال سبحانه: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَكَاتُشَطِّطُ﴾⁽⁹⁾.

وفي الحديث: ((فَغَفَوْتُ غَفْوَةً))، ذكر ابن الأثير أنه يقال: ((أَغْفَى إِغْفَاءً وَإِغْفَاءَةً إِذَا نَامَ، وَقَلَمًا يُقَالُ: غَفَا)) ثم نقل أن اللغة الجيدة: أَغْفَيْتَ⁽¹⁾. وكلام العرب أَغْفَى⁽²⁾. وفي ترجيح (فَعَلَ)، قال ابن الأثير: ((تقول: غَارَ إِذَا أَتَى الْغُورَ، وَأَغَارَ أَيْضًا وَهِيَ لُغَةٌ قَلِيلَةٌ))⁽³⁾. وجاء في (اللسان): ((وَقِيلَ غَارُوا وَأَغَارُوا أَخَذُوا نَحْوَ الْغُورِ. وَقَالَ الْفَرَاءُ: أَغَارَ لُغَةً بِمَعْنَى غَارَ))⁽⁴⁾ وقد احتج ابن منظور بببيت جرير: يا أم جزرة ما رأينا مثلكم في المنجدين ولا بغور الغائر⁽⁵⁾ وبقول الأعشى:

غار لعمري في البلاد وأنجدا⁽⁶⁾.

وليس عند الأصمعي في إتيان الغور إلا غَارَ، وزعم الفراء أن ناساً يقولون: أغار⁽⁷⁾. يتضح ممّا سبق أن صيغتي (فَعَلَ وَأَفْعَلَ) يعكسان مستوى لاختلاف اللغات، وإن تباين استعمالهما هنا وهناك من حيث الفصاحة انسجاماً مع الاستعمال القرآني أو الحديثي أو استعمال العرب المطبوعين على الفصاحة.

ثانياً: فَعَلَ وَأَفْعَلَ:

جاءت صيغ من هذا النوع من الثلاثي وغيره بمعنى واحد، وترجع معظمها إلى اختلاف اللغات، وإن لم يُسم أصحابها في كتب اللغة⁽⁸⁾. ولا سيما كتب غريب الحديث، فمن ذلك: - قال القاسم في حيث عمر (رضي الله عنه): ((... أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ حَرَمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا؟)) : ((قوله: جَمَلُوهَا يعني أذابوها، وفيه لغتان: جملت الشحم وأجملته... واجتملته أيضاً))⁽⁹⁾، وأنشد للبيد: فاشتوى ليلة ريح واجتمل⁽¹⁰⁾

لقد نصّ القاسم هنا على ثلاث لغات: (فَعَلَ) وهي التي ورد عليها ما نسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعمر (رضي الله عنه)، وأخرى على (أَفْعَلَ)، وثالثة ورد عليها قول لبيد بن كلاب العامري القيسي⁽¹¹⁾.

- وفي حديث أنس: ((نظرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) ذات ليلة حتى كان شطر الليل))، قال ابن الأثير: ((يُقال: نَظَرْتُهُ وانتَظَرْتُهُ إِذَا ارْتَقَبْتَ حُضُورَهُ))⁽¹⁾. ونُسب إلى عائشة: ((تنتظرون الدعوة))⁽²⁾، ويستعمل الآن لفظ (انتظر) ومشتقاته على نطاق واسع في معظم مناطق العراق. - وقال كعب الغنوي:

عظيم رماد البيت يحتل بيته إلى هدف لم يحتجبه غيوب

(9) ص/من الآية 22

(1) النهاية، 376/3 (غفا)

(2) اللسان، 130/15 (غفا)

(3) النهاية، 393/3 (غور)

(4) ج 34/5

(5) المصدر نفسه، وديوان جرير، 308/1 برواية: يا أم طلحة ما لقينا مثلكم

(6) اللسان، 34/5 (غار)، وديوان الشاعر / 135

(7) اللسان، 34/5 (غار)

(8) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً/ 385

(9) غريب القاسم، 407/3 (جمل)، وينظر: إصلاح المنطق/ 225

(10) ديوان لبيد/ 278، وينظر: غريب القاسم، 407/3 (جمل)

(11) ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة/ 153

(1) النهاية، 18/5 (نظر)

(2) الفائق، 162/2 (نظر)



قال ابن قتيبة بعد إنشاده البيت: ((يَحْتَلُّ وَيَحُلُّ وَاحِدٌ))⁽³⁾, ويظهر - أيضاً - أنَّ الشاعر استعمل (يَحْتَجِب) بمعنى (يُحْجَب), ويمكن أن يُفهم ذلك من كلام ابن قتيبة: ((لَمْ يَحْتَجِبْهُ غُيُوبٌ, أَي: لَمْ يَصِرْ فِيهَا فِيحْجَبَهُ))⁽⁴⁾.

وَبَكَرَ يَبْكُرُ وَابْتَكَّرَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ عِنْدَ صَاحِبِ (الْغَرِيبِينَ)⁽⁵⁾.
وَكُونُ الصَّيْغَتَيْنِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الثَّانِيَةَ لَيْسَتْ افْتِعَالًا مِنَ الْأُولَى, لِأَنَّ فِي صَيْغَةِ الْافْتِعَالِ زِيَادَةَ مَعْنَى لَيْسَتْ فِي الْأُخْرَى, قَالَ ابْنُ جَنِي: ((أَعْلَمُ أَنَّ افْتَعَلْتُ قَدْ تَأْتِي فِي مَعْنَى انْفَعَلْتُ لِلْمُطَاوَعَةِ وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: شَوَيْتَهُ فَانشَوَى وَقَالُوا فِي مَعْنَاهُ اشْتَوَى وَقَالُوا: غَمَمْتَهُ فَاغْتَمَّ وَانْغَمَّ))⁽⁶⁾.

وقد نبّه مصنفو الغريب على ذلك فمثلاً في حديث صلاة الخوف: ((فاخترط سيفه)), قال ابن الأثير: ((أَي سَلَّه مِنْ غَمْدِهِ وَهُوَ افْتَعَلَ مِنْ الْخُرْطِ))⁽⁷⁾, ومثله في حديث بدر: ((فاخترج ثَمَرَاتٍ مِنْ قَرْيَةٍ)), أَي أَخْرَجَهَا وَهُوَ افْتَعَلَ مِنْهَا⁽⁸⁾.

وقد أشار ابن قتيبة في (أدب الكاتب) بعد ذكره معاني (افتعلت) إلى أَنَّ افْتَعَلَ يَأْتِي وَلَا يُرَادُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا نَحْوِ: افْتَقَرَّ وَاشْتَدَّ وَقَلَّ وَاقْتَلَعَ وَجَذِبَ وَاجْتَذَبَ وَقَرَأَتْ وَاقْتَرَأَتْ⁽⁹⁾.
يعني أَنَّ دَلَالَةَ (فَعَلَ) وَ(افْتَعَلَ) وَاحِدَةٌ, وَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ عَلَى حَذَرٍ مِمَّا يُقَالُ هُنَا, فِي حَدِيثِ الْأَسُودِ: ((خَرَجْنَا عُمَارًا فَلَمَّا انْصَرَفْنَا مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ... , عُمَارًا: أَي مَعْتَمِرِينَ)), قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ وَتَبِعَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ: ((وَلَمْ يَجِءْ فِيمَا أَعْلَمَ عَمَرَ بِمَعْنَى اعْتَمَرَ, وَلَكِنْ عَمَرَ اللَّهُ إِذَا عَبَدَهُ, ... وَعَمَرَ فَلَانِ رَكَعَتَيْنِ أَي صَلَّاهُمَا وَهُوَ يَعْمُرُ رَبَّهُ: أَي يُصَلِّي وَيُصُومُ, فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْعُمَارُ جَمْعُ عَامِرٍ مِنْ عَمَرَ بِمَعْنَى اعْتَمَرَ وَإِنْ لَمْ نَسْمَعْهُ, وَلَعَلَّ غَيْرَنَا سَمِعَهُ وَأَنْ يَكُونَ مِمَّا اسْتَعْمَلَ مِنْهُ بَعْضُ التَّصَارِيفِ دُونَ بَعْضٍ كَمَا قِيلَ: يَذُرُّ وَيَنْبَغِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ دُونَ الْمَاضِي...))⁽¹⁰⁾.

ويمكن أن تستعمل صيغ هذا الباب في اللغة الواحدة, نحو استعمال شَرَى بِمَعْنَى اشْتَرَى فَمِنْ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ الزُّبَيْرِ: ((وَاللَّهِ لَا أَشْرِي عَمَلِي بِشَيْءٍ)), قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ عَقِيبَ رِوَايَتِهِ الْحَدِيثَ: ((أَشْرِي: أَي لَا أَبِيعُ, يُقَالُ شَرَى بِمَعْنَى بَاعَ وَاشْتَرَى))⁽¹⁾. وَنَسْمَعُ الْآنَ فِي مَنَاطِقَ مِنَ الْعِرَاقِ شَرَى مَرَّةً وَاشْتَرَى مَرَّةً مِنَ الشَّخْصِ نَفْسَهُ.

- وَمِنْ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ الْاِعْتِكَافِ: ((هَاجَتِ السَّمَاءُ فَمُطِرْنَا)), أَي تَغَيَّيْمَتْ وَكَثُرَتْ رِيحُهَا, وَهَاجَ... وَاهْتَاجَ أَي ثَارَ⁽²⁾. وَعَلَى (اهْتَاجَ) أَنْشَدَ صَاحِبُ (اللِّسَانِ) لِلرَّاعِي:

قَلَى دِينُهُ وَاهْتَاجَ لِلشُّوقِ, إِنَّهَا عَلَى الشُّوقِ, إِخْوَانُ الْعَزَاءِ هَيُوجُ⁽³⁾

- وَقَالَ الْقَاسِمُ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: ((عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ قَرِيشَ بِدُنْيَاكُمْ فَاغْذُمُوها)), قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: ((الْغَذَامُ الْأَكْلُ بِجَفَاءٍ وَشِدَّةٍ نَهْمٌ... يُقَالُ: غَذَمْتُ وَاعْتَذَمْتُ))⁽⁴⁾, قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

تَغْذَمُنْ فِي جَانِبَيْهِ الْخَبِيبَ رَ لَمَّا وَهَى مُزْنُهُ وَاسْتَبِيحَا⁽⁵⁾

وَفِي (اللِّسَانِ): ((وَاعْتَذَمْتُ الْفَصِيلُ مَا فِي ضَرْعِ أُمِّهِ أَي شَرِبَ جَمِيعَ مَا فِيهِ, وَيُقَالُ لِلْحَوَارِ إِذَا امْتَكَّ مَا فِي الضَّرْعِ قَدْ غَذَمَهُ وَاعْتَذَمَهُ))⁽⁶⁾.

(3) غريب ابن قتيبة, 578/1

(4) المصدر نفسه

(5) ج1/201 (بكر)

(6) المنصف, لابن جني/98

(7) النهاية, 23/2 (خرط)

(8) المصدر نفسه, 20/2 (خرج)

(9) ص470

(10) النهاية, 297/3, 298, وينظر: الفائق, 28/3 (عمر)

(1) النهاية, 469/2 (شرا)

(2) المصدر نفسه, 286/5, وينظر: الصحاح, 520/1 (هيج)

(3) اللسان, 394/2 (هيج), وينظر: شعر الراعي النميري, دراسة وتحقيق: دنوري حمودي القيسي و هلال ناجي/125

(4) غريب القاسم, 35-34/4 (غذم)

(5) ينظر: اللسان, 434/12 (غذم)

(6) المصدر نفسه



ثالثاً: أفعَل وفَعَل

وتأتي (أفعَل) بمعنى (فَعَل) في طائفة من الأمثلة التي عرضها مصنفو غريب الحديث، ولعلَّ ابن قتيبة أكثرهم تأسيساً وتفصيلاً في هذا الباب، ففي الحديث الذي نسبَه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو محتضن أحد ابني بنته وهو يقول: ((والله إنكم لتُجَبِّنُون وتُبَخِّلُون وتُجَهِّلُون وإنكم لمن رِيحان الله، وإنَّ آخر وطأة وطْنِها الله بوج))، قال ابن قتيبة معقَّباً: ((قوله: تَبَخِّلُون وتُجَبِّنُون وتُجَهِّلُون، سمعتُ قوماً من حملة الحديث في مجلس إسحاق يختلفون في هذه الحروف، فيقول بعضهم: هي مشددة، ويقول بعضهم: هي مخففة... وأنا مُبَيِّن لك اجتماع (فَعَلت وأفَعَلت) في بعض الحروف وافتراقهما))⁽⁷⁾.

ثم يفصل أبو محمد القول في ذلك فيذكر اجتماع (فَعَلت) و(أفَعَلت)، ودخول بعضهما على بعض لتأدية بعض المعاني، ثم يُعقِب ذلك بذكر ما يختلفان فيه من المعاني، والذي يهمننا - هنا - موضع اتفاقهما، فَعَله يومئ إلى اختلاف اللغات.

قال ابن قتيبة: ((إنَّ فَعَلت تأتي بمعنى أفَعَلت، كقولك: خَبَرْتُ وأخْبَرْتُ، وبَكَرْتُ وأبَكَّرْتُ، وَسَمَّيْتُ فلاناً وأسميت، لا فرق بينهما، أيهما قلت فهو بمعنى الآخر، وتدخل (فَعَلت) على (أفَعَلت) إذ أردت تكثير العمل والمبالغة كقولك: أَجَدْتُ وَجَوَّدْتُ، وَأَغْلَقْتُ الأبواب وَغَلَقْتُ، وَأَفَقَلْتُ وَقَفَلْتُ وأنزَلْتُ ونَزَلْتُ))⁽¹⁾.

وقال في حديث سعد بن أبي وقاص: ((إنه لما ذهبَ الناس يومَ أحد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جعل سعد يرمي بين يديه وفتى يَنْبُلُهُ كُلَّمَا نفدت نَبْلُهُ...)) : ((قوله: يَنْبُلُهُ... غلط من بعض نقلة الحديث وإنما هو يُنْبِلُهُ... يُقال: أنبَلت فلاناً سهماً، أي أعطيته أياه، أو يُنْبِلُهُ، يُقال: نَبَلْتُ الرجل ناولته النبل ونَبَلْتُهُ أَجْاراً أعطيته إياها، وهذا ممَّا جاء في (أفَعَلت وفَعَلت) تقول: أنبَلْتُ ونَبَلْتُ، مثل: بَكَرْتُ وأبَكَّرْتُ وَسَمَّيْتُ وأَسَمَّيْتُ))⁽²⁾.

وقد أشار بعض مصنفي الغريب إلى مستوى اختلاف اللغات في هاتين الصيغتين، بل نصَّ ابن الأثير على ذلك فمن ذلك:

- ما نسبَه الزمخشري إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنه كان لَعَنَ الْمُحِلَّ والمُحَلَّلَ له))، وروى ((لَعَنَ الْمُحِلَّ والمُحَلَّلَ له))⁽³⁾، وفي حديث بعض الصحابة: ((لا أوتى بحالٍ ولا مُحَلَّلٍ له إلا رَجَمْتُهُما))⁽⁴⁾. قال الزمخشري مُشيراً إلى هذه اللغات بقوله: ((حَلَلْتُ لفلان امرأته فأنا حَالٌّ وهو محلول له... ويُقال: أَحَلَلْتُها له وَحَلَّلْتُها))⁽⁵⁾.

وأما ابن الأثير فقد ذكر أنَّ في ((هذه اللفظة ثلاث لغات: حَلَلْتُ، وأَحَلَّلْتُ، وَفَعَلْتُ، فعلى الأولي جاء الحديث الأول، يُقال حَلَّلَ فهو مُحَلَّلٌ ومُحَلَّلٌ له، وعلى الثانية جاء الثاني، تقول: أَحَلَّ فهو مُحَلِّلٌ ومُحَلِّلٌ له، وعلى الثالثة جاء الثالث، تقول: حَلَلْتُ فأنا حَالٌّ وهو محلول))⁽⁶⁾.

فهذه ثلاث لغات على (فَعَلَّ وأفَعَلَّ) ولغة ثالثة على (فَعَلَّ)، تُمَثِّل أنماطاً للتخاطب تبعاً لأداء الرواة على لغاتهم، ولا يبعد أثر الرواة في الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم).

(7) غريب ابن قتيبة، 407/1، وإسحاق الوارد في هذا النص هو إسحاق بن راهويه المحدث ت (238هـ) على ما في نسخة الأستاذ نعيم زرزور، 156/1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ - 1988م

(1) غريب ابن قتيبة، 407/1

(2) المصدر نفسه، 164/2

(3) الفائق، 308/1 (حل)

(4) المصدر نفسه، والنهاية، 431/1 (حل)

(5) الفائق، 308/1 (حل)

(6) النهاية، 43/1 (حل)



ومما ورد على اللغتين الأولى والثانية موضع الشاهد - هنا - قوله تعالى: ﴿يَحْلُونَهُ بَعَادًا وَيَحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾⁽⁷⁾ , وحديث العباس وزمزم: ((لست أحلها لمغتسل))⁽⁸⁾ على (أفعل) وسئل سفيان: ((ما حلّ وبلى؟ فقال: حلّ مُحَلَّل)) على (فَعَل)⁽⁹⁾ .
- ومنه في: ((أعرس وعرّس))
فيه: ((كان إذا عرّس بليلاً توسّد لبنةً , وإذا عرّس عند الصُّبح نصب ساعده...)) , يُقال منه:

عرّس يُعرّس تعريساً. ويُقال فيه: أعرس⁽¹⁾ . والمعرّس: موضع التعريس وبه سُمّي مُعرّس ذي الخليفة, عرّس به النبي (صلى الله عليه وسلم)⁽²⁾ .

ونُسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث أبي طلحة وأم سليم: ((أعرستم الليلة؟ قال: نعم)) , أعرس الرجلُ فهو مُعرّسٌ إذا دخل بامرأته... ولا يُقال: عرّس⁽³⁾ . والعامّة تقولُه⁽⁴⁾ . وإلى وقتنا هذا تجري هذه اللفظة في معظم مناطق العراق. ومن الأمثلة التي جرت على الأصل.

- حديث عمر (رضي الله عنه) حين نهى عن متعة الحجّ, وقال: ((قد علمت أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعّله, ولكني كرهت أن يظنّوا بها مُعرّسين)) أي مُلّمين⁽⁵⁾ . وقول الراجز:

يُعرّس أبكاراً بها وغنّسا
أكرّم عرّس باءةً إذ أعرّسا⁽⁶⁾

ويبدو أن صيغة (فَعَل) بدأت باحتلال الحيز الدلالي لصيغة (أفعل) , بدليل جريانها على السنة العامة حينذاك وإلى الآن. ويوحى تعقيب ابن منظور على حديث عمر (رضي الله عنه) إلى هذا الذي أذهب قال: ((قوله: مُعرّسين أي مُلّمين بنسائهم وهو بالتخفيف, وهذا يدلّ على أن إمام الرجل بأهله يُسمّى إعراساً أيام بنائه عليها, وبعد ذلك, لأنّ تمتّع الحاج بامرأته يكون بعد بنائه عليها)), ثمّ عقّب ذلك بقوله: ((ولا يُقال فيه عرّس))⁽⁷⁾ .

ويَتَضَحّ من منعهم القول بـ (عرّس) أنّهم يدعون إلى الأصل الفصح ويمنعون ما سواه, وإلا فصيغة (عرّس) كانت تجري على السنة طائفة من الناس أو في الأقلّ العامة منهم .
- ومما ورد على أفعل وفَعَل (أَحْكَمَ وَحَكَّمَ)

- ورد على الصيغة الأولى قول ابن عباس: ((كان الرجل يرثُ امرأة ذات قرابة فيَغْضُلُها حتى تموت أو تَرُدُّ إليه صداقها, فأحكم الله عن ذلك ونهى عنه)) أي منع منه, قال ابن الأثير: ((يُقال: أحكمت فلاناً: أي منعته... وقيل هو من حكمت الفرس وأحكمتُه وَحَكَّمْتُه , إذا قدعته وكففته))⁽⁸⁾ , وقال جرير:

ابني حَنيفَةٌ أَحْكَمُوا سَفْهَاءَكُمْ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضِبَا⁽⁹⁾

وقال لبيد:

(7) التوبة/ من الآية 37

(8) النهاية, 429/1 (حل)

(9) اللسان, 167/11 (حل), وللمزيد ينظر: الفائق, 308/1, والنهاية, 429/1, واللسان, في الموضع نفسه.

(1) النهاية, 206/3 (عرس), والحديث أخرجه أحمد في, 309, 298/5

(2) النهاية, 206/3 (عرس)

(3) المصدر نفسه

(4) ينظر: الصحاح, 117/3, واللسان, 135/6 (عرس)

(5) النهاية, 306/3 (عرس)

(6) الرجز بلا نسبة في الصحاح, 117/3, واللسان, 135/6 (عرس)

(7) اللسان, 135/6 (عرس)

(8) النهاية, 420/1, وينظر: الفائق, 303/1, واللسان, 141/12 (حكم), وخَرَجَ الحديث أبو داود في النكاح, 231/2, والطبري في

تفسيره, 305/4 من حديث عكرمة والحسن ولم يرفعه إلى ابن عباس

(9) ديوانه, 416, وينظر: الفائق, 303/1, واللسان, 144/12 (حكم)



أَحْكَمَ الْجَنِّيُّ مِنْ عَوْرَاتِهَا كُلَّ حِرْبَاءٍ، إِذَا أُكْرِهَ صَلَّ (1)
 ويبدو أنَّ صيغة (أحكم) أقوى وأكثر في كلام العرب وقد وردت على ما مرَّ على لسان ابن عباس القرشي وجريير التميمي وليبد العامري القيسي . وهذه أفصح قبائل العرب. يُزاد على ذلك تقديم اللغويين لصيغة (أحكم) - كما مرَّ - .
 ومما ورد على الصيغة الأخرى، قال الجوهري: ((وَحَكَمْتُ الرَّجُلَ تَحْكِيماً، إِذَا مَنَعْتَهُ مِمَّا أَرَادَ)) (2) .
 ومنه قول النخعي: ((حَكَمَ الْيَتِيمَ كَمَا تَحَكَّمُ وَلَدُكَ)) ، أي امنعه من الفساد (3) ، ويتوقع على ذلك أن تكون هذه لهجة عُرفت عند النخعيين .
 وكذلك حديث كعب: ((ذَكَرَ دَاراً فِي الْجَنَّةِ وَوَصَفَهَا، ثُمَّ قَالَ: لَا يَنْزِلُهَا إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ أَوْ مُحَكَّمٌ فِي نَفْسِهِ...)) (4) ، وكعب الأحبار تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن واصله حميري (5) . فعمل هذه لغة قومه .

المبحث الثالث

المصادر والمشتقات

ولقد كان لا بُدَّ للاختلاف في أبنية الأفعال أن يظهر - أيضاً - في المصادر والمشتقات وعلى النحو الآتي:

أولاً: المصادر

والمصدر من الثلاثي أكثره سماعي، وإن قاسوا بعضه (1) ، وهو قياسي في غير الثلاثي، وقد ذكر مصنفو غريب الحديث طائفة من المصادر، يمكن نسبتها إلى اللغات، يلحظ ذلك من الأمثلة الآتية:

- قال ابن الأثير: ((قد تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ الْوَضُوءِ وَالْوُضُوءِ، فَالْوَضُوءُ بِالْفَتْحِ: الْمَاءُ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ كَالْفَطُورِ وَالسَّخُورِ... وَالْوُضُوءُ بِالضَّمِّ: التَّوَضُّوءُ، وَالْفِعْلُ نَفْسُهُ... وَقَدْ أَثْبَتَ سَبِيوِيهِ الْوَضُوءَ وَالطَّهُورَ وَالْوَقُودَ، بِالْفَتْحِ فِي الْمَصَادِرِ فَهِيَ تَقَعُ عَلَى الْاسْمِ وَالْمَصْدَرِ)) (2) .

(1) ديوانه/95 طبعة دار المعرفة، لبنان، واللسان، 141/12 (حكم)

(2) الصحاح، 226/5 (حكم)

(3) الفائق، 303/1 (حكم)

(4) المصدر نفسه، وينظر: النهاية، 45/1 (حكم)

(5) ينظر: تهذيب التهذيب، 438/8، والإصابة، 322/5

(1) ينظر: الكتاب، 38-5/4، وأدب الكتاب، 374-378



وقال الجوهري: ((الْوَضُوءُ... المصدر من تَوَضَّأتَ للصلاة مثل الوُلوغِ والقَبُولِ بالفتح، قال اليزيدي: الوَضُوءُ بالضم المصدر... وذكر الأخفش في قوله تعالى: ﴿وَقُودِمَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾⁽³⁾، فقال: الوُقُودُ الحطب بالفتح والوُقُود بالضم: الاتقاد وهو الفعل، قال: ومثل ذلك الوَضُوء وهو الماء والوَضُوء وهو الفعل... وزعموا إنهما لغتان بمعنى واحد، تقول: الوُقُود والوُقُود يجوز أن يُعنى بهما الحطب ويجوز أن يُعنى بهما الفعل))⁽⁴⁾. وجاء في (اللسان): ((قال ثعلب: الوَضُوء مصدر... وتوضَّأت وضوءاً حسناً... قال أبو حاتم: توضَّأت وضوءاً وتطهرت طهوراً))⁽⁵⁾. إنَّ تأمل أقوال اللغويين في هذا اللفظ يرجح أنَّهما لغتان، يُقوي ذلك ورود قراءة قرآنية على كُلِّ من الوجهين، فعلى الأصل جاء قوله تعالى: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾⁽⁶⁾، لكنَّ اللغويين نقلوا لنا قراءة أخرى إذ قرئ: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾⁽⁷⁾.

ولاشكَّ في أنَّ الاختلاف في كثيرٍ من القراءات مرجعه إلى اختلاف اللغات⁽⁸⁾. ويرجح الباحث بناءً على ما قرَّره المحدثون أنَّ صيغ ((وَضُوءٌ وقُبُولٌ ووُقُودٌ)) متطورة عن الصيغ الأخرى، وأنها أقرب إلى البيئات البدوية، التي أثرت الانسجام أو المماثلة، إذ غلب فيها الحرف المتأخر على المتقدم، ليعمل اللسان للحرفين عملاً واحداً، بخلاف البيئات المتحضرة، التي بلغت مبالغة شديدة في عدم تقريب الحركات بعضها من بعض، لأنَّ لغاتهم محافظة، وعوامل التطور عندهم ليست لها القوة نفسها عند البدو⁽¹⁾. - وفي الحديث: ((أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ فَحُجُّوا))، عَقَّبَ عليه ابن الأثير: ((وفيه لغتان: الفتح والكسر، وقيل الفتح المصدر والكسر الاسم... والحجَّة بالفتح: المرَّة الواحدة على القياس، وقال الجوهري: الحجَّة بالكسر المرَّة الواحدة وهو من الشواذ))⁽²⁾، وهما لغتان عند ابن قتيبة في (أدب الكاتب)⁽³⁾ ونسب ابن الجوزي (الحج) بالكسر إلى أسد⁽⁴⁾، وذكر ابن الجزري أنَّهم اختلفوا في ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾⁽⁵⁾، فقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بكسر الحاء، وقرأ الباقر بفتحها⁽⁶⁾. ونُسب بكسر الحاء في (الإتحاف) إلى نجد وفتحها إلى العالية والحجاز⁽⁷⁾، وتقاس على ذلك لفظة (حجَّة) فـ ((الحجُّ: قضاء نسك سنَّة واحدة، وبعض يكسر الحاء، فيقول: الحجُّ والحجَّة))⁽⁸⁾. وقد نُسب أصحاب الغريب شيئاً من لغات هذا الباب إلى قائلها - أحياناً - فمن ذلك في لفظة (الحجر) بـ (تثليث الحاء لغة)⁽⁹⁾، ذكر الحربي معقَّباً على الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَمْهٌ وَحَرْتُ

(2) النهاية، 195/5 (وضأ)، وينظر: الكتاب، 42/4

(3) التحريم من الآية 6

(4) الصحاح، 122/1، 123، واللسان، 194/1 (وضأ)

(5) اللسان، 195/1، وينظر: العباب للصغاني حرف الهمزة، 191، 192 (وضأ)

(6) البروج، 5

(7) ينظر: معاني القرآن، 253/3، والصحاح، 174/2، واللسان، 465/3 (وقد)

(8) ينظر: القراءات واللهجات: عبد الوهاب حمودة، 121

(1) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 273، ولهجة تميم، 120، 121، ولهجة قبيلة أسد، 118، 119

(2) النهاية، 340/1، وغريب الحديث في بحار الانوار، 294/1، وينظر: الصحاح، 149/1 (حجج)

(3) ص 311، 312

(4) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، 209/1، ولهجة قبيلة أسد، 150

(5) آل عمران، من الآية 97

(6) ينظر: النشر في القراءات العشر، 241/2

(7) ينظر: اتحاف فضلاء البشر، 155

(8) اللسان، 227/2 (حجج)

(9) المصباح، 122، وينظر: اللسان، 167/4 (حجر)



حَجْرٌ لَا يَطْعَمُ إِلَّا مَنْ نَشَأُ (10) إِنَّ قَوْمًا كَسَرُوا الْحَاءَ فَقَرَأُوا (حَجْرٌ)، ورفع آخرون فقالوا: (حُجْر) ثم روى عن عيسى بن عمر: ((حَجْرٌ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَحُجْرٌ لُغَةُ سَفْلَى مَضَرَ)) (11)، والكسر أفصحهما وبها نزل القرآن، وقد فُرئ على اللغتين الآخرين (12). ومما نسبته ابن الأثير: ((يُقَالُ: بَرَأْتُ مِنَ الْمَرَضِ أَبْرَأَ بَرْءًا بِالْفَتْحِ، ... وَغَيْرَ أَهْلِ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: بَرَنْتُ بِالْكَسْرِ بَرْءًا بِالضَمِّ)) (13).

وقد يكون منشأ الاختلاف في المصادر وغيرها من المشتقات حاصلًا بسبب ميل بعض العرب كتميم - مثلاً - إلى استعمال أفعال مزيدة، بخلاف غيرهم كقريش الذين أبقوا على الأصل المجرد فعلاً أو مصدرًا (14)، فمن ذلك ما نقله القاسم معقباً على حديث عمر (رضي الله عنه): ((حِينَ ضَرَبَ الرَّجُلَ الَّذِي أَقْسَمَ عَلَى أَمِّ سَلْمَةَ ثَلَاثِينَ سَوْطاً كُلَّهَا يَبْضَعُ وَيَحْدُرُ))، قوله: ((يَحْدُرُ يَعْنِي يَوْمٌ وَلَا يَشُقُّ، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ فِي إِعْرَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُحْدِرُ إِحْدَاراً مِنْ أَحْدَرْتُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَحْدُرُ حُدُوراً مِنْ حَدَرْتُ، وَأَظْنَهُمَا لُغَتَيْنِ إِذَا جَعَلْتَ الْفِعْلَ لِلضَّرْبِ)) (1). وأنشد القاسم لعمر بن أبي ربيعة:

لَوْ دَبَّ ذُرٌّ فَوْقَ صَاحِي جَلْدِهَا لَأَبَانَ مِنْ آثَارِهَا حُدُوراً (2)

ويبدو أَنَّ الْعِلَّةَ الَّتِي التَّمَسُّهَا بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فِي مِيلِ الْبَدْوِ إِلَى التَّخَلُّصِ مِنْ تَوَالِي الْحَرَكَاتِ عَلَى الْفِعْلِ أَوْ مَا يُسَمَّى (تَوَالِيِ الْمَقَاطِعِ الْمَفْتُوحَةِ)، يُمْكِنُ تَوْظِيْفُهَا - أَيْضاً - فِي الْمَصَادِرِ، إِذْ إِنَّ (إِفْعَالاً) يَجْذِبُهُمْ تَوَالِيِ الْحَرَكَاتِ هَذَا سَعِيّاً إِلَى التَّخْفِيفِ بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَتَأَنَّى فِي أَدَائِهِ مِنَ الْحَضَرِ كَالْحِجَازِ (3) وَلَا سِيَمَا قَرِيشاً عَلَى نَحْوِ مَا سَمِعْنَا فِي الْحَدِيثِ وَالشَّعْرِ.

ومِمَّا يَتَّصِلُ بِالْمَصَادِرِ، وَيُحَسِّنُ التَّنْبِيْهَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا يُسَمَّى بِمَصْدَرِ الْمَرْءِ وَالْهَيْئَةِ وَالْمَصْدَرِ الْمِيمِيِّ، إِذْ يَظْهَرُ مِنْ اسْتِقْرَاءِ كُتُبِ الْغَرِيبِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيِ الْبَاحِثِ أَنَّ أَمْثَلَهُ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ لَا تُشِيرُ - غَالِباً - إِلَى تَبَايُنِ اللُّغَاتِ، بَلْ جَاءَتْ عَلَى الْأَصْلِ وَالْقِيَاسِ (4)، أَوْ جَاءَتْ عَلَى مَا شَاعَ عَنِ الْعَرَبِ وَاسْتَعْمَلَهُ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ وَإِنْ شَدَّ عَنْ قِيَاسِ اللَّغَوِيِّينَ، فَلَزِمَ التَّنْبِيْهَ (5).

تعقيب: في مطابقة المصدر لموصوفه أو عدمها

فِي مَا يَتَّصِلُ بِمُطَابَقَةِ الْمَصْدَرِ لِمَوْصُوفِهِ أَوْ عَدَمِهَا، فَالْمَشْهُورُ أَنَّ الْمَصْدَرَ لَا يُطَابِقُ الْمَوْصُوفَ وَيَلْزِمُ حِينَئِذٍ الْإِفْرَادَ وَالتَّنْكِيرَ، وَالنَّعْتُ بِهِ خِلَافُ الْأَصْلِ، لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى لَا عَلَى صَاحِبِهِ وَهُوَ مَوْوَلٌ (6).

وهذا لِأَنَّ الْوَصْفَ بِالْمَصْدَرِ مِنْ قَبِيلِ الْوَصْفِ بِالْجِنْسِ، وَالْمَصَادِرُ أَجْنَاسُ الْمَعَانِي كَمَا غَيْرُهَا أَجْنَاسُ لِلْأَعْيَانِ (7) وَالتَّنْكِيرُ وَالْإِفْرَادُ أَقْوَى عِنْدَ ابْنِ جَنِيٍّ: ((مَنْ قَبْلَ أَنتَ لَمَّا وَصَفْتَ بِالْمَصْدَرِ أَرَدْتَ الْمُبَالَغَةَ بِذَلِكَ فَكَانَ مِنْ تَمَامِ الْمَعْنَى وَكَمَالِهِ أَنْ تَوْكِدَ ذَلِكَ بِتَرْكِ التَّائِيْثِ وَالْجَمْعِ، كَمَا يَجِبُ لِلْمَصْدَرِ فِي أَوَّلِ أَحْوَالِهِ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا أَنْثَتْ وَجَمَعْتَ سَلَكْتَ بِهِ مَذْهَبَ الصِّفَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي لَا مَعْنَى

(10) الأنعام/من الآية 138

(11) غريب الحربي، 232/1

(12) ينظر: الصحاح، 274/2 (حجر)

(13) النهاية، 111/1 (برأ)

(14) ينظر: لهجة تميم، 184، 207

(1) غريب القاسم، 243/3، وينظر: غريب ابن الجوزي، 197/1، والنهاية، 354/1 (حدر)

(2) غريب القاسم، 243/3، وينظر: شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، 144 وأساس البلاغة للزمخشري، 159/1، واللسان، 173/4 (حدر)

(3) ينظر: لهجة تميم، 207

(4) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: النهاية، 13/4، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 225/3 (قتل)، إذ ذكر ابن الأثير وتبعه البيهقي أَنَّ (الْقَتْلَ) الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْحَدِيثِ الَّتِي ذَكَرَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هِيَ (الْحَالَةُ مِنَ الْقَتْلِ، وَبِفَتْحِهَا الْمَرْءُ مِنْهُ وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ وَيُفْهَمُ الْمَرَادُ بِهِمَا مِنْ سِيَاقِ اللَّفْظِ، وَيَنْظُرُ: لَفْظَةُ (الرَّجْعَةِ) بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسَرِهَا عَلَى الْمَرْءِ وَالْحَالَةِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ مِنَ الْحَدِيثِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ، 87، 86/2

(5) ينظر: لفظة (المصير) : المصدر الميمي في النهاية، 67/3، وشرح الرضي للفظ في شرح الشافعية، 172/1، 173، وشذا

العرف، 76، 77، وقد وردت هذه اللفظة في الآية (4) من سورة الممتحنة

(6) شرح ابن عقيل، 201/2

(7) ينظر: الخصائص، 208/2



للمبالغة فيها نحو قائمة ومنطلقة وضاربات ومكرمات فكان ذلك يكون نقضاً للغرض أو كالتنقض له , فذلك قلّ حتى وقع الاعتذار لما جاء منه مؤنثاً أو مجموعاً⁽⁸⁾

لكن بعض العرب لا يجري على الأصل في هذا, فيؤنث المصدر ويثنيه ويجمعه وهو قليل, قال الزجاج : ((من العرب من يثني ويجمع ويجعل المصدر بمنزلة اسم الفاعل, وإذا جمع جنب قلت: في الرجال جُنُبون, وفي النساء جُنُبات وللاتين جُنُبان))⁽¹⁾. فأما المبرّد فيرى ذلك مخالفاً للوجه الأقوى قال: ((ليس بالوجه رجلان جُنُبان وامرأة جُنُبة وقوم أجناب))⁽²⁾. وأما علماء غريب الحديث فوافقوا علماء اللغة في هذا التحديد, ففي الحديث: ((لا يَصْرُ المرأة الحائض والجُنُبُ ألا تَنْقُضَ شعرها إذا أصاب الماء سور الرأس)) , قال الزمخشري معقّباً: ((الجُنُبُ يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والاثنتان والجمع وقد يُقال: جُنُبون وجُنُبات وأجُناب))⁽³⁾.

وقال ابن الأثير في حديث: ((لا تدخلُ الملائكة بيتاً فيه جُنُب)) , ((الجُنُبُ الذي يجب عليه الغُسل بالجماع وخروج المني ويقع على الواحد والاثنتين والجمع والمؤنث بلفظ واحد وقد يجمع على أجُناب وجُنُبين وأجنب يُجنبُ إجناباً والجَنَابَةُ الاسم))⁽⁴⁾.

فالمفهوم من كلام الزمخشري وابن الأثير أنّ هناك مستويين لأداء المصدر الموصوف به: الأول: أن يجري على الأفراد والتذكير وهذا هو الأصل, والثاني: أن يطابق موصوفه على قلة, لكنهما لغتان يقطع النظر عن الأصالة أو الفرعية.

قال الزمخشري بعد روايته الحديث: ((مثل المجلس الصالح مثل الدَّارِيّ إن لم يُحَذِّك من عطره علقك من ريحه, ومثل المجلس السوء كمثل الكير إن لم يَحْرِقْك من شراره علقك من نُثْنِهِ)) , ((السَّوْء: الرداءة والفساد, فوصف به كما يصف بالمصادر, وقال أبو زيد: سمعتُ بعض قيس يقول: هو رجلٌ سَوَّء, ورجلان سَوَّءان, ورجال أسَوَاء, وأكثر الاستعمال على الإضافة تقول: رجلٌ سَوَّء وعملٌ سَوَّء ومنه قوله تعالى: ﴿ظَنَّ السَّوْءَ﴾⁽⁵⁾))⁽⁶⁾

إلا أنّ التذكير والأفراد أقوى في اللغة, وأعلى في الصيغة, وقد نزل به القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ بُخْأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾⁽⁷⁾ وقال جل وعلا: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا﴾⁽⁸⁾

ثانياً: المشتقات:

وقد ذكر مصيّفو غريب الحديث جملة أمثلة على المشتقات يمكن نسبتها إلى لغات القبائل على النحو الآتي:

أ - اسم الفاعل

- اسم الفاعل: وصف مشتق من الفعل المبني للمعلوم, الذي وقع منه الفعل, أو قام به ويدلّ على الحدوث والتجدد⁽¹⁾.

والذي يلحظ في الأمثلة التي أوردها أهل الغريب في هذا الباب أنّ بعض العرب جروا على استعمال صيغ أخرى في معنى اسم الفاعل كالصفة المشبّهة باسم الفاعل وصيغ المبالغة والمصدر,

(8) المصدر نفسه, 209/2

(1) معاني القرآن وإعرابه للزجاج, 169/2

(2) الكامل, للمبرّد, 15/3

(3) الفائق, 238/1 (جنب)

(4) النهاية, 302/1 (جنب)

(5) الفتح, 6

(6) الفائق, 384/1, 385 (دور)

(7) ص/21

(8) المائدة/6

(1) تراجع في دراسة اسم الفاعل المصادر الآتية: الكتاب, 281/4, 282, 377, والمنصف/237, 238, وشرح ابن عقيل, 106/2-112 وشرح قطر الندى/269, 270, وشذا العرف/77, 78, والتطبيق الصرفي: د. الراجحي/66, والمهذب في علم التصريف/252-261



للتشابه في المعنى بين هذه المشتقات (2) , وإن اختصت كلٌ منها بصفات لا تتوافر في الأخرى, فمن ذلك: في حديث مرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((قال العباس لعليّ (رضي الله عنه): كيف أصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً)) , قال ابن الأثير بعد روايته هذا الحديث: ((أي معافاً, يُقال: برأت من المرض أبرأ برءاً بالفتح, فأنا باريء ... وغير أهل الحجاز يقولون: برئت بالكسر برءاً بالضم)) (3) .

ومنه قول عبد الرحمن بن عوف لأبي بكر (رضي الله عنهما): ((أراك بارئاً)) (4) .

ويظهر من الحديثين السابقين لعليّ (عليه السلام) وابن عوف (رضي الله عنه) أن القرشيين جروا على أن يقولوا (باريء) , وهذا يعني: أنهم فارقوا أهل الحجاز في مثل هذا, يمكن تصوّر ذلك في ضوء ما نُقل عن اللحياني: ((أهل الحجاز يقولون: أنا منك براء, قال: وفي التنزيل العزيز ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (5) , وتبرأت من كذا وكذا وأنا براء منه وخلاء لا يثنى ولا يجمع, لأنه مصدر في الأصل مثل سمع سماعاً, فإذا قلت: أنا بريء منه وخليّ منه تثبت وجمعت وأنثت, ولغة تميم وغيرهم من العرب: أنا بريء, وفي غير موضع من القرآن ﴿إِنِّي بَرِيءٌ﴾ (6) ((7)

ولعلّ ما يقوّي ذلك ما جاء في حديث أبي هريرة: ((أنّ عمر بن الخطاب استعمله على البحرين, فلما قدّم عليه, وقال له: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله, سرقت من مال الله, فقال: لستُ بعدوّ الله ولا عدوّ رسوله ولكنّي عدوّ من عاداهما, ولكنّها سبهاً اجتمعت, ونتاج خيل, فأخذ منه عشرة آلاف درهم فألقاها في بيت المال, ثم دعاه إلى العمل فأبى, فقال عمر: فإنّ يوسف قد سأل العمل, فقال له أبو هريرة: إنّ يوسف مني بريء, وأنا منه براء, وأخاف ثلاثاً واثنين, قال: أفلا تقول خمساً؟ قال: أخاف أن أقول بغير حكم, وأقضي بغير علم, وأخاف أن يضرب ظهري, وإن يُشتم عرضي, وأن يؤخذ مالي)) (1) .

قال الخطابي معقّباً: ((وإنما أراد البراءة عن مساواته في الحكم والمقايضة به في القوّة على العمل, ويُقال: إنّه منه بريء وبراء, ويُقال أيضاً: قوم براء, وقد فُريء ﴿إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ﴾ (2) ,

قال أبو زيد: يُقال: نحن منكم براءً وبراءً وبراءً)) (3) .

وقال الزمخشري: ((البراء: البريء)) (4) .

ولا يمكن فهم ما جرى في حديث أبي هريرة الدوسي الأزدي الأصل (5) , إلا على تصوّر اختلاف النقلة أو الرواة, أو أنّ أبا هريرة أجرى الأولى على لغة العرب ولا سيما تميم, بل على اللغة التي خصّها القرآن بإحدى عشرة مرّة, إلا أنّه استدرك بالأخرى على اللغة الحجازية وهي لغة قرآنية - أيضاً - إلا أنّها وردت مرّة واحدة في القرآن الكريم ومؤدى ذلك أنّ أبا هريرة قالها في اللغة الأولى على لغته لا على اللغة الحجازية .

(2) يرجع في دراسة الصفة المشبهة الكتاب, 194/1, 206, 34-26/4, وشرح الشافية, 148-143/1, وشذا العرف/79, 80,

والتطبيق الصرفي/69, وسيأتي الحديث عن صيغ المبالغة إن شاء الله

(3) النهاية/111/1 (برأ)

(4) المصدر نفسه

(5) الزخرف/من الآية 26

(6) الأنعام/78, والأنفال/48, والشعراء/216, والحشر/16, وفي غير هذا ينظر: الآيات: الأنعام/19, والتوبة/3, ويونس/41: (أنتم

بريئون... وأنا بريء) , وردت مرتين في الآية نفسه, وهود/35, والنساء/112, والزخرف/26

(7) اللسان, 32/1, وينظر: معاني القرآن, للفراء, 30/3, والصاح, 41/1, 42, والعياب/حرف الهمزة/52 (برأ)

(1) غريب الخطابي, 432/2, 433, والفائق, 102/1, 103 (بريء وبراء) وأخرجه ابن سعد في طبقاته, 325/4 عن أبي هلال عن ابن

سيرين وابن قتيبة في عيون الأخبار, 53/1, وأبو نعيم في الحلية, 38/1

(2) وفي المصحف على قراءة حفص عن عاصم (إنّا براء منكم): الممتحنة/4

(3) غريب الخطابي, 433/2

(4) الفائق, 103/1 (بريء وبراء)

(5) ينظر: معجم كحالة, 394/1



ولعلَّ في ما ذكر هنا ما يدفع قول القائلين من أنَّ القرآن نزل على لغة قريش فقط ويؤكد حقيقة أنَّ القرآن ضمَّ ألفاظاً من كثيرٍ من القبائل العربية .

ب - اسم المفعول:

- اسم المفعول: وصف عارض مصوغ من الفعل المبني للمجهول، ليدلَّ على ما وقع عليه الفعل⁽⁶⁾ . وقد أشار مصنفو غريب الحديث إلى مسألتين في اسم المفعول: الأولى: بناؤه من فعل وقع الاختلاف في تجرُّده أو زيادته، ونتج عنه الخلف بين الناطقين في بناء اسم المفعول نفسه. والثانية: في بنائه من الفعل الأجوف يائياً أو واوياً .

فعلى المسألة الأولى: جاء في حديث خسف جيش البیداء ((فيهم المستبصر والمجبور، وابن السبيل))⁽⁷⁾ .

قال الزمخشري: ((يُقال: جَبَرَهُ وأَجْبَرَهُ، لغتان، وأَعْلَاهُما بِالْألف، أنشدني أبو عمر عن ثعلب: قد أَجْبَرَ القاضي بِحُكْمِ فُصْلٍ أَنْ يَمَحُوها بِثَلَاثِ أَدْلٍ))⁽¹⁾

وقال ابن الأثير: ((وهذا من جبرت لا من أجبرت))، وجبرت وأجبرت عند ابن الأثير هنا بمعنى قهرت⁽²⁾ واجبر عنده أكثر⁽³⁾، والمجبور: المجرى على الخروج عند الزمخشري⁽⁴⁾ . وفي الحديث: ((المؤمنُ خُلِقَ مُفْتَنًا))، عَقَّبَ عليه ابن الأثير بقوله: ((أي متحنًا يمتحنه الله بالذنوب ثم يتوب ثم يعود ثم يتوب، يُقال: فَتَنَتْهُ أَفْتَتْهُ فَتَنًا وَفَتُونًا إذا امتحنته، ويُقال فيها: أَفْتَنَتْهُ أيضاً وهو قليل))⁽⁵⁾ .

واسم المفعول (مُفْتَنًا) في الحديث جاء على لغة أهل نجد في اللفظ المزيد⁽⁶⁾، ووصفها ابن الأثير بالقلة، بل أباهما الأصمعي على ما يروى عنه⁽⁷⁾ . فأما لغة أهل الحجاز التي جرت على اللفظ المجرد، فهي الأقوى والأكثر استعمالاً على ما يفهم من كلام اللغويين⁽⁸⁾، وهي لغة قرآنية⁽⁹⁾ .

وأما في الحديث ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفْتَنًا تَوَابًا))⁽¹⁰⁾، ونُسِبَ في (بحار الأنوار) و(غريب البحار) إلى الإمام الصادق (عليه السلام) برواية: ((المؤمن...مُفْتَنٌ تَوَابٍ))⁽¹¹⁾، فمعناه مفتونٌ جداً، قال الجوهري ((وَفَتَنَتْهُ تَفْتِينًا فهو مُفْتَنٌ، أي مُفْتُونٌ جداً))⁽¹²⁾ .

وعلى المسألة الثانية: وفي ما يتصل باسم المفعول من الأجوف اليائي والواوي فقد ذكر اللغويون أنَّ كلَّ مفعول من ذوات الثلاثة إذا كان من بنات الياء، فإنه يجيء بالنقصان والتمام. وإذا كان من بنات الواو فإنه لم يجيء على التمام إلا حرفان: مِسْكٌ مَدُوفٌ، وَثوبٌ مَصُونٌ، فإن هذين جاءا نادرين⁽¹³⁾ .

ولقد أشار ابن الأثير إلى هذا وهو يُفسِّر حديث أم سليم ((قال لها وقد جَمَعْتَ عِرْقَه: ما تصنعين؟ قالت: عِرْقَكَ أدُوفٌ به طيبي))، قال ابن الأثير: ((يُقال: دُفْتُ الدَّواء أدُوفه إذا بللته بماء وخلطته، فهو مَدُوفٌ ومَدُوفٌ على الأصل، مثل مَصُونٌ ومَصُونٌ، وليس لهما نظير))⁽¹⁴⁾

(6) ينظر: في دراسة اسم المفعول: الكتاب، 348/4، 407، وشرح المفصل، 80/6، وشرح ابن عقيل، 137/2، وشذا العرف، 79، والمهذب في علم التصريف، 266، والتطبيق الصرفي، 70

(7) غريب الخطابي، 391/1، والنهاية، 236/1 (جبر)

(1) غريب الخطابي، 392/1، والحديث أخرجه مسلم في الفتن، 2210-2208/4، وينظر: مسند أحمد، 105/6، 159

(2) النهاية، 236/1 (جبر)

(3) المصدر نفسه، 235/1، وينظر: اللسان، 113/4 (جبر)

(4) ينظر: الفائق، 114/1 (بصر)

(5) النهاية، 410/3، والفائق، 150/3 برواية (مُفْتَنًا) ومجمع البحرين، 293/3 (فتن)

(6) ينظر: الصحاح، 48/6، واللسان، 319/13 (فتن)

(7) ينظر: اللسان، 318/13 (فتن)

(8) ينظر: الصحاح، 48/6، واللسان، 318/13 (فتن)

(9) ينظر على سبيل المثال: الآيات: القلم/6، والبروج/10، والصفاء/162

(10) الفائق، 150/3

(11) بحار الأنوار، 67/66، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 166/3 (فتن)

(12) الصحاح، 48/6، واللسان، 318/13 (فتن)

(13) ينظر: الصحاح، 361/3 (خيطة)، والخصائص، 260/1، 161، والممتع، 460/2، وشرح الشافية، 144/3

(14) النهاية، 140/2



قال خالد الأزهرى: ((وربما صحَّح العرب شيئاً من ذوات الواو))⁽¹⁾، والذين سلكوا هذا السبيل من العرب هم تميم، فهم يُتَمُون مثل هذه الصيغ - عادة - وقد رُوِيَ عن ابن الأعرابي: ((ثوبٌ مَصُونٌ على النقص، ومَصُونٌ على التمام، والأخيرة نادرة، وهي تميمية))⁽²⁾. وفي موضع آخر من (اللسان): ((ومسكٌ مَدُوفٌ: مَدُوفٌ جاءَ على الأصل وهي تميمية، قال: والمسكُ في عَنبره مَدُوفٌ))⁽³⁾.

وإنما قلت صيغ التمام، لثقل الضمة على الواو ومجيء واو أخرى بَعْدَهَا، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ لغة تميم هي الأصل، لأنَّ الصيغة التي تشتمل على أصوات لين منسجمة أحدث من نظيرتها التي خلت من هذا الانسجام⁽⁴⁾. ولا يرى الدكتور رايبين ذلك ضرورياً⁽⁵⁾. ولا يبدو كلام رايبين بعيداً عن الواقع، لأنَّ كثيراً من لهجاتنا العامية لا تزال تحتفظ بالصيغة القديمة التي كانت في تميم.

ت - صيغ المبالغة:

ويخصَّها الصرفيون بخمس صيغ هي: فَعَالٌ، وَمِفْعَالٌ، وفَعُولٌ، وفَعِيلٌ، وفَعِلٌ، على الترتيب من حيث الأكثر عملاً فالأقل⁽⁶⁾. وقد سُمِعَت ألفاظٌ للمبالغة غير تلك الخمسة منها فَعِيلٌ، ومِفْعِيلٌ، وفُعْلَةٌ، وفاعُولٌ، وفَعَالٌ بضم الفاء وتخفيف العين أو تشديدها⁽⁷⁾.

ومما يمكن نسبته إلى لغات القبائل من هذا الباب ما جاء في حديث الهجرة: ((وهو غلام لَقِنٌ ثَقِفٌ))، إذ ذكر ابن الأثير بعد روايته الحديث أنَّه ((ذو فطنة وذكاء. ورجل ثَقِفٌ وثَقْفٌ... والمراد أنَّه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه))⁽⁸⁾.

وقال الجوهري: ((وثَقِفَ أيضاً ثَقْفاً ومِثَالُ تَعَبٍ تَعَباً: لغة في ثَقِفَ أي: صار حاذقاً فطناً فهو ثَقِفٌ وثَقِفٌ مِثَالُ حَذَرٍ وَحَذَرٍ، وَنَدَسٍ وَنَدَسٍ))⁽⁹⁾، ونقل الصغاني مثل ذلك⁽¹⁰⁾ وتبعهما ابن منظور⁽¹¹⁾. ومثل ذلك قول ابن الأثير: ((ورجلٌ يَقِظٌ وَيَقِظٌ ويقظان إذا كان فيه معرفة وفطنة))⁽¹²⁾. وفي باب (فَعْلٌ وفَعِلٌ) ذكر ابن السكيت: ((رجلٌ يَقِظٌ وَيَقِظٌ إذا كان كثير التيقظ... ورجلٌ نَطِسٌ ونَطِسٌ المبالغ في الشيء. ووظيفٌ عَجْرٌ وعَجْرٌ للغليظ))⁽¹³⁾.

ومعظم ما ينقله ابن السكيت في مثل هذا إنما يُعَيَّرُ عن لغات⁽¹⁾. وإذا استشرنا كتب القراءات يتكشف لنا الأمر أكثر، إذ ينقل لنا أبو علي الفارسي في كتابه ((الحجة في القراءات السبع)) أنَّهم اختلفوا في قوله تعالى: ﴿لَرءَوْفٌ﴾⁽²⁾، فقرأ بعضهم (لَرءَوْف) على وزن (فَعْلٌ)، ونسب هذه القراءة لبعض قراء الحجاز كابن كثير ونافع، وذكر أنَّ هذا الوزن هو الغالب على أهل الحجاز⁽³⁾.

ومما نسبته علماء غريب الحديث إلى أبنية المبالغة ما جاء في حديث الدعاء: ((لَكَ الحمد أنتَ قَيَّامُ السمواتِ والأرضِ))، وذكر ابن الأثير رواية أخرى (قَيِّمٌ) وفي أخرى (قَيُّومٌ) معقبات ذلك بقوله:

(1) شرح التصريح على التصحيح، 395/2

(2) اللسان، 250/13 (صون)، وينظر: الخصائص، 162، 261/1

(3) اللسان، 108/9 (دوف)

(4) ينظر: في اللهجات العربية، 57

(5) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 530

(6) ينظر: شرح ابن عقيل، 111/2، وشذا العرف، 78

(7) ينظر: شذا العرف، 78، والتطبيق الصرفي للراجحي، 68

(8) النهاية، 261/1 (ثقف)، وأخرج الحديث البخاري، 75/5، برواية ثَقِفَ لَقِنٌ

(9) الصحاح، 28/4، وينظر: مختار الصحاح للرازي، 84 (ثقف)

(10) ينظر: العباب /حرف الفاء، 48 (ثقف)

(11) ينظر: اللسان، 19/9 (ثقف)

(12) النهاية، 299/5 (يقظ)

(13) إصلاح المنطق لابن السكيت، 99، وينظر: الصحاح، 436/3، واللسان، 467/7 (يقظ)، وصيغ المبالغة ترجع عند بعضهم عند التحقيق

إلى معنى الصفة المشبهة لأنَّ الإكثار من الفعل يجعله كالصفة الراسخة في النفس، وينظر: جامع الدروس العربية للغلاييني، 198/1

(1) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، 62

(2) البقرة، 143

(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع لأبي علي، 246/2



((وهي من أبنية المبالغة ... ومعناها: القائم بأمر الخلق ومُدبّر العالم في جميع أحواله وأصلها من الواو، قِيَّوَامٌ، وقِيَّوُومٌ بوزن فَيْعَالٍ، وفَيْعِلٌ، وفَيْعُولٌ))⁽⁴⁾.

وقد أثر بعض الحجازيين ولا سيما طائفة من القرشيين الياء في كثير من الصيغ مقابل إثارة غيرهم الواو في ما عُرف بـ (المعاقبة الحجازية)، فهم أكثر قولاً (الفَيْعَال) من ذوات الثلاثة، فيقولون: القِيَّام وغيرهم القِيَّوم، قال الفراء: ((الْحَيُّ الْقَيُّومُ) قراءة العامة وقرأها عمر بن الخطاب

وابن مسعود القِيَّام وصورة القِيَّوم: الفَيْعُول والفَيْيَام الفَيْعَال وهما جميعاً مَذَح وأهل الحجاز أكثر شيء قولاً: الفَيْعَال من ذوات الثلاثة فيقولون للصَّوْغ: الصِّيَاغ))⁽⁵⁾.

وعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قرشي حجازي⁽⁶⁾. فأما ابن مسعود فهو من هذيل وقد قضى شطراً من حياته في مكة ثم في المدينة⁽⁷⁾. فضلاً على ذلك أن قريشاً وهذيلاً من القبائل الحجازية أو من المجموعة الغربية التي عُرفت باتفاقها في كثير من الظواهر اللغوية⁽⁸⁾.

ومما نُسبَ إلى صيغ المبالغة المسموعة صيغة (فاعول)⁽⁹⁾. وهي من الصيغ الصرفية التي اختلفت في أصلاتها ونسبتها إلى أي اللغات العربية القديمة (السامية) فمنهم من عدّها سريانية معللاً ذلك بوجود ألفاظ كثيرة منه في هذه اللغة⁽¹⁰⁾. وقد أحصى الدكتور عبد الله الجبوري مجمل الأقوال التي خاضت في أصلاتها، وانتهى إلى القول بأنها صيغة عربية صحيحة وإن اشتركت فيها مع اللغات القديمة وردّ القول بسريانيتها أو آراميتها بأدلة منها وجودها في العربية القديمة واللغات المتفرّعة عنها وثبوتها في القرآن الكريم والشعر العربي الجاهلي والإسلامي⁽¹¹⁾. وقد نقل أصحاب المعجمات جملة من الأمثلة التي وردت عليها ونعتوها بالفصاحة⁽¹⁾.

والأهم وقوعها في لغة الحديث الشريف وهو الأصل الثاني بعد القرآن الكريم وقد حصّتها مصنفو غريب الحديث بأمثلة منها:

1- في حديث هشام بن عروة: ((قال لرجل: أنت أثقل عليّ من الزأووق))، قال الزمخشري معقّباً: ((الزأووق: هو الزئبق، لأنّه ثقیلٌ رزین))⁽²⁾، قال ابن الأثير - بعد روايته الحديث - : ((يعني الزئبق كذا يسميه أهل المدينة))⁽³⁾.

وقد تصرّف العرب في هذه الصيغة واشتقوا منها فمن ذلك:

- عن ابن عمر: ((إذا رأيت قريشاً قد هدموا البيت ثم بنوه وزوّقه، فإن استطعت أن تموت فمُت))، ومعنى التزويق عند الزمخشري: ((التزيين...، لأنّ النقض لا يكون إلا بالزأووق وهو الزئبق عند أهل المدينة))⁽⁴⁾.

- وفي الحديث الآخر: ((ليس لي ولنبيّ: أن ندخل بيتاً مَرَوَقاً))، أي: مزيناً، عند الحافظ أبي موسى وتبعه ابن الأثير وأصل الزأووق: الزئبق، لأنّه يُزَيّن به الشيء⁽⁵⁾.

إنّ هذه الاشتاقات والتصريفات التي تحقّقت لهذه الصيغة ممّا نصّ عليه أهل الغريب يضاعف دعوى استعارتها، وغاية ما يمكن أن يُسلم به - إذا صحّ وجود بعضها في غير العربية - احتمال

(4) النهاية، 134/4 (قيم)

(5) معاني القرآن للفراء، 190/1، وينظر: اللسان، 504/12 (قوم)

(6) ينظر: تهذيب التهذيب، 438/7

(7) ينظر: الإصابة، 127/4، وتهذيب التهذيب، 27/6

(8) ينظر: في اللهجات العربية، 73، واللهجات العربية في التراث، 55-69، واللهجات العربية في القراءات القرآنية، 35-40

(9) ينظر: شذا العرف، 78، والمهذب في علم التصريف، 262، 263

(10) ينظر: العربية بين أمسها وحاضرها، د: إبراهيم السامرائي، 165-166، واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع، 191

(11) ينظر: فاعول صيغة عربية صحيحة، د: عبد الله الجبوري، 7-15، واللهجات العربية في معجمات القرن الرابع، 191

(1) ينظر: اللهجات العربية في معجمات القرن الرابع، 191-193

(2) الفائق، 136/2، والنهاية، 319/2 (زوق)

(3) النهاية، 319/2، وأخرجه ابن قتيبة في غريبه، 721/3

(4) الفائق، 132/2، 133 (زوق)

(5) المجموع المغيب، 35/2، وينظر: النهاية، 319/2، وغريب الحديث في بحار الانوار، 182/2 (زوق)



حدث تبادل تاريخي في هذه الألفاظ من العربية وإليها، وهو تبادل يرجع إلى عهود ضاربة في القدم يستحيل بسببها تحديد الآخذ والمعطي من اللغات⁽⁶⁾.

2- وفي حديث الشعبي: ((اجتمع شَرَبٌ من أهل الأنبار وبين أيديهم ناجودٌ خَمَرٌ))، ذكر أهل الغريب بعد روايتهم الحديث أنَّ الناجود: الراوق، و((الناجود: كلُّ إناءٍ يجعلُ فيه الشراب))⁽⁷⁾ و الناجود: الخمر والزعفران والدم⁽⁸⁾.

وذكر أصحاب المعجمات هذه الصيغة دون الإشارة إلى استعارتها من غير العربية⁽⁹⁾. وقد فصلَ ابن منظور القول في لفظة (ناجود) وبعض من تصريحاتها معتمداً على أقوال طائفة من العلماء، مُعزِّزاً ذلك بالشعر الفصيح من دون الإشارة إلى ما يوحى إلى استعارتها⁽¹⁰⁾.

ث - اسم الآلة:

هو اسم مصوغ من مصدر الثلاثي لما وقع الفعل بوساطته وله ثلاثة أوزان قياسية رئيسة: **مِفْعَالٌ وَمِفْعَلٌ وَمِفْعَلَةٌ** بكسر الميم فيها، وأوزان أخرى غير قياسية ذكرت في محلها من كتب التصريف⁽¹⁾. وقد ذكر مصنفو غريب الحديث أمثلة عليها، يظهر من الاستقراء أنَّها تُعبر عن لغات القبائل، ومن ذلك:

في حديث أبي ذر: ((إنَّ أبا أسماء الرَّحبي دخل عليه بالزَّبدَةِ وعنده امرأة سوداء مُشَنَّعة وليس عليها أثر المجاسد))، نقل ابن قتيبة بعد روايته الحديث عن الفراء أنَّه قال: ((المُجَسَّد والمَجَسَّد واحد وهو من: أَجَسَد، أي ألصق بالجسد، فكسر أوله بعضهم وكذلك قالوا: مِصْحَف وهو مأخوذ من: أَصْحَف، أي: جُمِعَتْ فيه الصُّحُف فكسر أوله وأصله الضم، ومِطْرَف وهو من أطرف، أي: جَعَلَ في طرفيه العُلَمان. ويُقال: مِطْرَفٌ ومُصْحَفٌ على القياس))⁽²⁾.

فالقِياس الضم عند ابن قتيبة والمجاسد: ((جمع مُجَسَّد وهو المَصْبوغ المشبع بالزعفران والجِساد والزعفران فأما المَجَسَّد، بكسر الميم فالذي يلي الجسد من الثياب))⁽³⁾. والذي يظهر أنَّ ابن قتيبة احتكم إلى القياس في هذا البناء، فدلالته بالضم غير دلالاته بالكسر، (فالمُجَسَّدُ) الأحمر أو ما أشبع صبغة من الثياب والجمع مجاسيد، وهو غير (المَجَسَّد) ومعناه ما يلي الجسد من الثياب⁽⁴⁾ وهو اسم آلة على القياس ممَّا نحن بصدد.

وابن قتيبة إنَّما جرى في هذا على مذهب البصريين وهو الذي عُرف بغلوائه فيهم وإنَّ خلط المذهبين أحياناً وحكى عن الكوفيين⁽⁵⁾.

قال ابن فارس: ((الجِساد: الزعفران، فإذا قُلْتُ: هذا المَجَسَّد بكسر الميم فهو الثوب الذي يلي الجسد، قال: وهذا عند الكوفيين، فأما البصريون فلا يعرفون إلا مُجَسِّداً وهو المُشبع صبغاً))⁽⁶⁾.

فلم يأبه ابن قتيبة جرياً على منهج البصريين ببعض الأداء اللغوي الذي قد ينحرف عن الأصل على وفق عوامل التطور في حياة اللغة على خلاف الفراء وهو من زعماء المدرسة الكوفية⁽⁷⁾ الذي استشعر بهذا الانحراف والخروج عن الأصل وقد عزاه إلى بعض العرب ويعني به بعض اللغات العربية على الأرجح، فأما سبب هذا التبدل فيقول الفراء: ((المَجَسَّد والمَجَسَّد واحد، وأصله الضم، لأنَّه من أَجَسَد أي الرزق بالجسد، إلا أنَّهم استتقلوا الضم فكسروا الميم، كما قالوا للمُطْرَف مِطْرَف والمُصْحَف مصحف))⁽⁸⁾.

فالمَجَسَّد: لغة بصرية في المَجَسَّد⁽⁹⁾. وقال ابن دريد: ((والمِطْرَف كساء من خَزٍّ أو صوف

(6) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث/358

(7) الفائق، 410/3، والنهاية، 20/5، وينظر: المجموع المغني، 262/3 (نجد)

(8) المصادر السابقة

(9) ينظر: على سبيل المثال: الجمهرة، 390-388/3 (فاعول)، والصاح، 160/2، واللسان، 419/3 (نجد)

(10) ينظر: اللسان، 418/3، 419 (نجد)

(1) ينظر: الكتاب، 94/4، 95، وشرح الشافية، 188-186/1، وشذا العرف، 89

(2) غريب ابن قتيبة، 199-198/2، وينظر: الفائق، 300/2 (طرف)

(3) غريب ابن قتيبة، 199-198/2

(4) ينظر: الصاح، 30/2، 31، ومعجم مقاييس اللغة، 457/1، واللسان، 121/3 (جسد)

(5) ينظر: الفهرست، 115

(6) معجم مقاييس اللغة، 457/1، وينظر: الجمهرة، 65/2، 66، والمجل، 32 (جسد)

(7) ينظر: الفهرست، 100-104

(8) اللسان، 121/3 (جسد)، وينظر: إصلاح المنطق، 120، وأدب الكاتب، 329

(9) ديوان الأدب، 296/1 (جسد)



له أعلام بكسر الميم وضمها - تميم تقول : مُطَرَفٌ ومُصَحَفٌ وأهل الحجاز يقولون: مَطْرَفٌ ومُصَحَفٌ⁽¹⁾، ونسب أبو زيد ضم (مُطَرَفٌ) إلى قيس وكسره إلى تميم⁽²⁾ . و((المُصَحَفُ بكسر الميم لغة تميمية لأنه صحف جُمعت فأخرجوه مخرج مَفْعَل مما يتعاطى باليد وأهل نجد يقولون: المُصَحَف بضم الميم لغة علوية...))⁽³⁾، وفي (اللسان): ((قال أبو زيد: المَغْزَلُ والمِطْرَفُ والمِصْحَفُ وقيس تقول: المِطْرَفُ والمَغْزَلُ والمِصْحَفُ))⁽⁴⁾ .

وليس غريباً إثبات الحجاز وهي من الحواضر ما يناسبها وهو الكسر، وكذا إثبات قيس وهي من القبائل البدوية - عموماً - الضم وهو يوافق البدو على ما عرفناه في عموم هذا البحث تبعاً لمنهج المحدثين في معالجة ظاهرة تعدد اللغات وإنما الذي يحتاج إلى تفسير ميل بعض التميميين إلى الكسر، فأما هذا فيمكن أن يعود إلى تأثرهم بمن جاورهم من الحواضر الحجازية كقريش، إذ ارتبطت تميم بمكة بعلائق دينية وتجارية فضلاً على علائق النسب، والتزواج الوثيقة بين الطرفين⁽⁵⁾ .

فأما قول الدكتور غالب المطلبي من أن لغة تميم تميل - عموماً - إلى الكسر فلا يمكن قبوله على إطلاقه، وذلك لأن الأمثلة التي ذكرها لا تكفي وحدها دليلاً على ما ذهب إليه، إذ إن الأمثلة التي أحصاها المحدثون ثم استنتجوا إثبات البدو - ولا سيما تميمًا - الضم أكثر بكثير مما وقع للأستاذ الفاضل ولم تقتصر على الدكتور إبراهيم أنيس أو الدكتور أحمد علم الدين الجندي بحسب ما يذكر⁽⁶⁾ ففضلاً على الأمثلة التي ذكرها هو وقد أثرت فيها تميم الضم⁽⁷⁾، فهناك أمثلة ذكرها آخرون غير أنيس والجندي منهم الدكتور عبدة الراجحي⁽⁸⁾، والدكتور عبد الغفار هلال⁽⁹⁾ والمعاقبة بين الواو والياء يراها الأخير امتداداً للضم والكسرة فالياء للحجاز والواو لتميم⁽¹⁰⁾ . وخلص الدكتور علي ناصر ممّا أحصاه من أمثلة إلى محافظة تميم وقيس على الضم بسبب حياة البداوة التي تعيشانها⁽¹¹⁾ وقد أيد الدكتور حسام النعيمي ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس من إثبات تميم للضم بأمثلة نقلها عن ابن جني تقوي ذلك⁽¹²⁾ . يزداد على ذلك كله أن الباحث قد لمس في ما مرّ من موارد هذه الدراسة إثبات تميم وغيرها من القبائل البدوية للضم .

ج - اسما الزمان والمكان:

هما اسمان لزمان وقوع الفعل أو مكانه. ويصاغان من الثلاثي على وزن (مَفْعَل) إن كان المضارع مضموم العين أو مفتوحها أو معتل اللام مطلقاً، وعلى وزن (مَفْعِل) إن كانت عين مضارعه مكسورة أو كان مثلاً مطلقاً في غير مُعْتَل اللام، وقيل إن صَحَّت الواو في المضارع فهو من القياس الأول. ومن غير الثلاثي على زنة مفعوله⁽¹⁾ . هذا هو القياس الذي خَلَصَ إليه الصرفيون بعد استقرار هذه الصيغ، إلا أن بعض الصيغ جاء على غير هذا القياس الذي جرى عليه الصرفيون التقعيديون، وقد ذكر بعض هذه الصيغ علماء غريب الحديث ويمكن نسبتها إلى اختلاف اللغات ومن أمثلتها:

-
- (1) الجمهرة، 369/2 (رطب)
(2) ينظر: التهذيب، 254/4 (صحف)
(3) الجمهرة، 162/2، وينظر: اللسان، 186/9
(4) ج 186/9 (صحف)
(5) ينظر: لهجة تميم/19
(6) ينظر: المصدر نفسه 139-145
(7) ينظر: نفسه 142-143
(8) ينظر: اللهجات العربية في القراءات/146-150
(9) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطور/249
(10) ينظر: المصدر نفسه/249
(11) ينظر: لهجة قبيلة أسد/134-140،
(12) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني/210
(1) شذا العرف/88



- ما جاء في حديث عثمان (رضي الله عنه) حين تنكّر له الناس: ((أراهمني الباطل شيطاناً، أجزّرت المرسون رَسَنَهُ وأبلغت الراتع مَسَنَاتَهُ فَتَفَرَّقُوا عَلَيَّ فِرَقاً ثَلَاثاً))، قال ابن قتيبة: ((الراتع الذي يرتعي، والمَسَنَاة موضع الشرب وهو بفتح الميم، والعوام تقول مَسَنَاة بكسرهما وكذلك مَرَقَاة الذرّة بفتح الميم))⁽²⁾. فالمَسَنَاة بالفتح جاءت على الأصل وهي موضع الشرب وقد وردت هكذا في الحديث إلا أن العوام انحرفوا عن الأصل فكسروا الميم وجعلوها كالآلة التي هي مَسَنَاة الديك⁽³⁾. وقال ابن منظور: ((المَسَنَاة والمَسَنَاة ... موضع السقي وفي حديث عثمان: أبلغت الراتع مَسَنَاتِهِ بالفتح موضع الشرب وقيل هو بالكسر آلة الشرب))⁽⁴⁾. وفي الحديث: ((أنّه كان في مَسْرَبَةٍ له)) قال ابن الأثير: ((المَسْرَبَةُ بالضم والفتح: الغُرْفَةُ))⁽⁵⁾. وقال ابن قتيبة: ((المَسْرَبَةُ: الغُرْفَةُ))، وعقب ذلك بقوله: ((فأما المَسْرَبَةُ بالسین غير معجمة فهي كالصُفَّة تكون بين يدي الغُرْفَةِ، وفيها لغة أخرى: مَسْرَبَةٌ كما يقال: مَأْدِبَةٌ مَأْدِبَةٌ))⁽⁶⁾. وفي حديث الاستنجاء: ((حَجَرَيْنِ لِلصَّفَحَتَيْنِ وَحَجْرٌ لِلْمَسْرَبَةِ))، ذكر ابن الأثير أنّها: ((بفتح الراء وضمها مجرى الحدث من الدُّبُرِ وكأنّها من السَّرْبِ: المسلك))⁽⁷⁾. وفي بعض الأخبار ((دَخَلَ مَسْرَبَتَهُ))، قيل هي مثل الصُفَّة بين يدي الغُرْفَةِ⁽⁸⁾. وهي بفتح الراء وضمها مجرى الحدث من الدُّبُرِ عند ابن منظور⁽⁹⁾.

ومنه في حديث ابن مسعود: ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةٌ اللَّهُ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدِبَتِهِ))⁽¹⁰⁾، وروي: ((مَأْدِبَةُ اللَّهِ فَمَنْ دَخَلَ فِيهَا فَهُوَ آمِنٌ))⁽¹⁾. قال ابن الأثير: ((يعني مَدْعَاتِهِ))⁽²⁾، والرواية بالفتح عند ابن منظور⁽³⁾.

وقال الهروي الأول: ((من قال مَأْدِبَةٌ فَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى الْأَدَبِ يَجْعَلُهُ مَفْعَلَةً مِنْ ذَلِكَ... وَكَانَ الْأَحْمَرُ يَجْعَلُهُمَا لَغَتَيْنِ: مَأْدِبَةٌ وَمَأْدِبَةٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ))⁽⁴⁾ وقال ابن السكيت: ((وهي المَأْدِبَةُ والمَأْدِبَةُ لِلطَّعَامِ يَدْعُو إِلَيْهِ الرَّجُلُ إِخْوَانَهُ يُقَالُ قَدْ أَدَبَ يَأْدِبُ أَدْباً))⁽⁵⁾ وجملة ما يورده ابن السكيت في (إصلاح المنطق): ((مجموعة لهجات))⁽⁶⁾. ونصّ ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب) على أنّهما لغتان⁽⁷⁾. وقال ابن فارس: ((فالأدب أن تجتمع الناس إلى طعامك وهي المَأْدِبَةُ والمَأْدِبَةُ))⁽⁸⁾. فالمفهوم من أقوال هذه الطائفة من العلماء أنّ المَأْدِبَةَ الموضع الذي يجتمع الناس إليه للطعام، والتمييز بين اسم الزمان المكان والآلة ومعها المصدر لا يكون إلا بالقرائن أحياناً فإن لم توجد قرينة، فهو صالح للزمان والمكان والمصدر⁽⁹⁾.

- وفي الحديث: ((لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ أَدْهَمَ كَانَ ذَكَرَهُ عَلَى مَنْسَجٍ فَرَسَهُ))، : الْمَنْسَجُ عند ابن الأثير: ((ما بين مَغْرَزِ الْعُنُقِ إِلَى مَنْقَطِ الْحَارِكِ فِي الصُّلْبِ، وَقِيلَ: الْمَنْسَجُ وَالْحَارِكُ وَالكَاهِلُ مَا شَخَّصَ مِنْ فُرُوعِ الْكَتِفَيْنِ إِلَى أَصْلِ الْعُنُقِ، وَقِيلَ: هُوَ بِكَسْرِ الْمِيمِ لِلْفَرَسِ بِمَنْزِلَةِ الْكَاهِلِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَارِكُ مِنَ الْبَعِيرِ))⁽¹⁰⁾.

(2) غريب ابن قتيبة، 78/2، 82، وينظر: إصلاح المنطق/218، والنهاية، 381/2 (سقا)

(3) الصحاح، 349/6، واللسان، 391/14 (سقي)

(4) اللسان، 391/14 (سقي)، وينظر: أدب الكاتب/332

(5) النهاية، 455/2 (شرب)

(6) غريب ابن قتيبة، 216/2

(7) النهاية، 357/2 (سرب)

(8) المصدر نفسه

(9) ينظر: اللسان، 465/1، والمصباح/272 (سرب)

(10) الفائق، 30/1، 31 (أدب)

(1) الفائق، 30/1، 31 (أدب)

(2) النهاية، 30/1 (أدب)

(3) ينظر: اللسان، 206/1 (أدب)

(4) غريب القاسم، 223/2 (أدب)

(5) إصلاح المنطق/118

(6) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني/62

(7) ص332

(8) معجم مقاييس اللغة/64، وينظر: المجلد/48 (أدب)

(9) ينظر: شذا العرف/88

(10) النهاية، 46/5 (نسج)



وقال الزمخشري: ((الْمَنْسَجُ: الكاهل والمنسج مثله كأنه شبه بالمنسج وهو الآلة التي يمدّ عليها الثوب للنسج))⁽¹¹⁾.

إلا أن: ((مَنْسَجُ الثوب حين ينسج ومَنْسَجٌ)) لغتان على ما نصّ ابن قتيبة في ((باب ما جاء على مَفْعَلٍ فِيهِ لُغَتَانِ)) من كتابه (أدب الكاتب)⁽¹²⁾. فهما اسما موضع (مكان), قال الجوهري: ((المَوْضِعُ مَنْسَجٌ وَمَنْسَجٌ))⁽¹³⁾.

وقال الأزهرى: ((مَنْسَجُ الثوب بكسر الميم وَمَنْسَجُهُ حيث يُنسَجُ))⁽¹⁴⁾ وَمَنْسَجُ الفرس وَمَنْسَجُهُ - عند ابن دريد - مجتمع فرعي كتفه⁽¹⁵⁾.

وفي (إصلاح المنطق): ((وقالوا: مَنْسَجُ الثوب حيث يُنسَجونه وهي المناسج... وقال بعضهم: مَنْسَجُ الثوب))⁽¹⁾. وقال الطريحي: ((الموضع مَنْسَجٌ بفتح الميم وكسرها))⁽²⁾.

فالمَنْسَجُ والمنسج لغتان على ما يظهر من كلام هؤلاء العلماء, ولغة ثالثة (مَنْسَج) بكسر الميم إشارة إلى موضع نسج الثوب على ما يفهم من كلام الأزهرى, كأنه شبه بالمنسج وهو الآلة التي يمدّ عليها الثوب على ما يفهم من كلام الزمخشري والذي يعوز الباحث في هذه الصيغ وعلى وجه الخصوص اللغة الثالثة الشواهد التي تُغني - عادة - عن كثرة القول وتُحقّق المأمول بأقصر سبيل, وقد يكون عزاؤنا سماع العلماء كابن دريد والأزهرى لهذه اللغات على ما يفهم من أقوالهم.

فأما ابن منظور فنقل أقوال العلماء في هذا الموضع وأشار إلى هذه اللغات وذكر الحديث السابق في جملة شواهد على صيغة (مَنْسَج), وأنشد لأبي ذؤيب عليها:

مُسْتَقْبِلُ الرِّيحِ يَجْرِي فَوْقَ مَنْسَجِهِ إِذَا يُرَاغُ أَفْشَعَرُ الْكَشْحِ وَالْعَضْدُ⁽³⁾

المبحث الرابع الجمع

(11) الفائق, 423/3 (نسج)

(12) ص 327

(13) الصحاح, 509/1, واللسان, 377/2 (نسج)

(14) التهذيب, واللسان, 377/2 (نسج)

(15) ينظر: الجمهرة, 95/2 (نسج)

(1) إصلاح المنطق/121

(2) مجمع البحرين, 332/2 (نسج)

(3) ينظر: اللسان, 377/2 (نسج), وشرح أشعار الهذليين, 58/1



في العربية نوعان من الجمع، الأول: جمع التفسير والثاني جمع السلامة⁽¹⁾، والأخير ضربان الأول جمع المذكر السالم والثاني جمع المؤنث السالم، وضعت له بنوعيه شروط وضوابط يكاد العلماء يتفقون عليها، وقد ذكرت في محلها من تلك المظان⁽²⁾.

وجمع المذكر السالم: ما سَلِمَ فيه بناء الواحد عند الجمع⁽³⁾. وكذلك جمع المؤنث السالم⁽⁴⁾، بخلاف جمع التفسير الذي يتغيّر بناء واحده عند الجمع⁽⁵⁾، وهو على قسمين جمع قلّة، وجمع كثرة. فجمع القلّة يدلّ حقيقة على ثلاثة فما فوقها إلى العشرة، وجمع الكثرة يدلّ على ما فوق العشرة إلى غير نهاية⁽⁶⁾.

وكثيرٌ من جموع التفسير يعتمد على السماع، غير أنّ هناك جموعاً أخرى تخضع لقواعد مُطرّدة كثيرة قرّرها العلماء قديماً وحديثاً⁽⁷⁾.

إنّ تعدد الجموع للمفرد في المراجع اللغوية يؤوّل في كثير من وجوهه إلى اختلاف اللغات. ومن أمثلة ذلك في كتب غريب الحديث:

- في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مَلْعُونٌ مِنْ غَيْرِ تَخُومِ الْأَرْضِ)) رُوي: (تَخُوم)⁽⁸⁾، وهما لغتان، قال أبو عبيد: ((أصحاب العربية يقولون: هي التَّخُوم بفتح التاء، ويجعلونها واحدة، وأمّا أهل الشام فيقولون: التَّخُوم ويجعلونها جمعاً والواحد تَخْم، قال ابن بري، يُقال: تَخُوم وتَخُوم وزُبُور وزُبُور وعُدُوب وعُدُوب، في هذه الأحرف الثلاثة، قال: ولم يعلم لها رابع، والبصريون يقولون: تَخُوم بالضم والكوفيون يقولون تَخُوم بالفتح))⁽⁹⁾.

والأصل ما جاء في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الرواية الأولى، وهو ما يمكن استيحائه من أقوال اللغويين بأقلّ تأمل⁽¹⁰⁾. مُعزّزاً بأمثلة منها قول أبي قيس - صرمة ابن أبي أنس الأنصاري كما في (الجمهرة):

يا بَنِي النَّخُوم لا تَظْلِمُنْها إنّ ظَلَمَ النَّخُوم ذو عَقَالٍ⁽¹¹⁾

وقول كثير عزة:

وعَلَّ ثرى تلك الحفيرة بالندى وبورك من فيها وطابت تخومها⁽¹⁾

وغيرهما، وقد ذكر ابن منظور روايات أخرى على اللغة الأخرى (تخوم)، يمكن الرجوع إليها في (اللسان)⁽²⁾.

- وفي قول بعضهم يوم صقّين:

قُلْتُ لِنَفْسِي السُّوء لا تَفْرَيْن لا خَمْسَ إلا جَنْدَل الإَحْرَيْن

قال الخطابي: ((أراد بالإحْرَيْن جمع الحرّة، وهو جمعٌ على غير قياس، يُقال: حرّة وحرّات وجرار وإحرون، قال بعضهم: إحرون. والحرّة أرض ذات جارة سُود))⁽³⁾.

وتجمع الحرّة عند ابن الأثير على ((حرّ وجرار وحرّات وحرّين وإحرين)) وهو عنده ((من الجموع النادرة كثيبين وقلين في جمع ثبة وقلّة))⁽⁴⁾.

(1) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح، 3/1

(2) ينظر: شرح ابن عقيل، 60/1-77، وشرح قطر الندى، 48-50

(3) ينظر: شرح ابن عقيل، 63/1

(4) ينظر: المصدر نفسه، 73/1

(5) ينظر: الكافية في النحو، 190/2، وشرح ابن عقيل، 73/1

(6) شرح ابن عقيل، 452/2، وشذا العرف، 106-109

(7) ينظر: الكتاب، 480/3، 490، 567، 569، 601، 624، وشرح الشافية، 89/2، ما بعدها إلى 187، وشذا العرف، 106، والتطبيق

الصرفي، 95، 96، والمهذب في علم التصريف، 180، 181

(8) الفائق، 132/1، وينظر: الغريبين، 248/1 (تخم)، والحديث في الجامع الكبير، 804/1

(9) غريب القاسم، 428/1، واللسان، 64/12، وينظر: المجلد، 94 (تخم)

(10) ينظر على سبيل المثال: الجمهرة، 7/2، والصاحح، 189/5، ومعجم مقاييس اللغة، 342/1، والفائق، 149/1، واللسان، 64/12،

65 (تخم)

(11) المصادر السابقة

(1) ديوانه، 334، وينظر: اللسان، 65/12 (تخم)

(2) ينظر: ج، 65/12، 66 (تخم)

(3) غريب الخطابي، 203/2، والنهاية، 364/1، 365 (حرر)



وقد نصَّ الجوهري على هذه الجموع⁽⁵⁾. وزعم يونس: ((**أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: حَرَّةٌ وَحَرُونَ جَمْعُهُ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ يُشَبِّهُونَهُ بِقَوْلِهِمْ: أَرْضٌ وَأَرْضُونَ، لِأَنَّهَا مُؤَنَّثَةٌ مِثْلُهَا**))⁽⁶⁾. وإذا كانت كذلك فهي لغةٌ فصيحةٌ جيدةٌ على الرغم مما ذكر من خروجها على القياس أو ندرتها أو عدم استكمالها للشروط عند النحويين⁽⁷⁾، إذ إنَّ نظائرها نحو: عِرَّةٌ وَعِرُونَ، وَعِضَّةٌ وَعِضُونَ⁽⁸⁾ وردتا في القرآن نحو قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾**⁽⁹⁾، وقوله سبحانه: **﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾**⁽¹⁰⁾.

وكذا ورد في الحديث الشريف في الدعاء على قريش: ((**أَعْنِي عَلَيْهِمْ بِسَنِينَ كَسَنِي يَوْسُفَ**))⁽¹¹⁾ والحديث الآخر: ((**أَنَّهُ نَهَى عَنْ بَيْعِ السَّنِينَ**))⁽¹²⁾. وأما (حَرَّةٌ وإِحْرُونَ) فزعم يونس: ((**أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: حَرَّةٌ وإِحْرُونَ يَعْنِي الْحِرَارَ كَأَنَّهُ جَمْعُ إِحْرَةٍ وَلَكِنْ لَا يَتَكَلَّمُ بِهَا**))⁽¹³⁾. وكلام يونس مردود، لورود السماع على هذه اللغة، ومنه الرجز الذي أنشده ثعلب:

لَا خُمْسٌ إِلَّا جَنْدَلُ الْإِحْرَيْنِ

وقد نُسِبَ إلى زيد بن عتاهية التميمي⁽¹⁴⁾.

أما ابن دريد فقد ذكر أنه: زيد بن عتاهية التميمي، وقد يكون حَصَلَ تحريف في هذا اللفظ، لكن المهم ورود السماع عليه، كما ورد السماع على الجمع الآخر ((حَرُونَ)). قال ابن دريد: ((**قال أبو حاتم: قال الأصمعي: سألتُ غَنُويًا عن جمع حَرَّةٍ فقال: إِحْرُونَ، وسألتُ قيسياً فقال: حَرُونَ**))، ثم أنشد رجز زيد بن عتاهية السابق⁽¹⁾.

- وقال ابن قتيبة في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((... **فَإِذَا شَرَجَّةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعِبَتْ ذَلِكَ الْمَاءِ**)) ((**قال الأصمعي: الشَّرَاج: مجاري الماء من الحِرَارِ إِلَى السَّهْلِ. وَأَحَدُهَا شَرْجٌ، هَذِهِ رَوَايَةُ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْهُ**)) وأضاف: ((**وَشَرْجٌ جَمْعُ الْجَمْعِ كَأَنَّهُ جَمْعُ شَرَاجٍ وَشَرَاجٌ جَمْعُ شَرْجٍ كَمَا قَالُوا: رَهْنٌ وَرَهَانٌ وَرُهْنٌ ... وَلَمْ أَجْعَلْ شَرْجًا جَمْعَ شَرْجٍ، لِأَنَّهُ (فَعْلًا) لَا يَجْمَعُ عَلَى (فَعْلٍ) وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَعْرَابِ يَقُولُ: رُهْنٌ جَمْعُ رَهْنٍ، وَسَقْفٌ جَمْعُ سَقْفٍ. قَالَ: وَيُقَالُ: رَجُلٌ حَشَرَ الْأُذْنَ أَيْ مُحَدِّدُهَا وَرَجُلٌ حَشَرَ الْأُذَانَ، فَرَسٌ وَرَدٌ، وَخَيْلٌ وَرُدٌ. وَهَذَا مِنَ الْجَمْعِ شَاذٌ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ وَلَا يَعْرِفُ غَيْرُهُ وَكَانَ الْفَرَاءُ فِيمَا أَحْسَبُ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْبَغْدَادِيِّينَ يَقُولُ: رُهْنٌ جَمْعُ رَهَانٍ مِثْلُ كِتَابٍ وَكُتُبٌ وَرَهَانٌ جَمْعُ رَهْنٍ...))**⁽²⁾.

قد يظهر للباحث الذي يتأمل هذه النصوص أنَّ استقراء اللغويين لمثل هذه الموارد كصيغ الجمع هذه لم يكن تاماً وأنَّ قياساتهم وضوابطهم لم تكن لتُحِيطَ بِكُلِّ ما سُمِعَ عن العرب، ولعلَّ هذا يُفسِّرُ لنا ما ذهب إليه ابن قتيبة من إحالته بعضاً من هذه الجموع إلى ما يُسمَّى (بجمع الجمع) ونسبته الأخرى إلى الشذوذ، على الرغم من ورود السماع عليها، فبعض أهل الأعراب يقول: رُهْنٌ جَمْعُ رَهْنٍ وَسَقْفٌ جَمْعُ سَقْفٍ، ويُقال: حُسْرٌ جَمْعُ حُسْرٍ الخ، وتبعاً لذلك يمكن أن يقول هؤلاء (شَرْجٌ) في

(4) النهاية، 365/1 (حرر)

(5) ينظر: الصحاح، 278/2 (حرر)

(6) اللسان، 179/4 (حرر)

(7) ينظر: شرح ابن عقيل، 63/1، 64، وشرح قطر الندى، 49، 50

(8) المصدران السابقان

(9) الحجر، 91

(10) المعارج، 37

(11) النهاية، 414/2 (سنه)

(12) المصدر نفسه

(13) اللسان، 179/4 (حرر)

(14) ينظر: المصدر نفسه

(1) الجوهري، 59/1 (حرر)

(2) غريب ابن قتيبة، 320-319/1



جمع(شَرَج) جرياً على عاداتهم في استعمال صيغة(فَعَلَ) في الجمع, وحينئذٍ فلا حاجة للتذرع بجمع الجمع أو التعلق بالشذوذ.

ومما يُقَوِّي ذلك قول الزمخشري: ((الشَّرَجَةُ: أَخَصَّ مِنَ الشَّرَجِ, وهو مجرى الماء من الحَرَّة إلى السهل, والجمع شِراج, والشَّرَج يجمع على شُرَج, كَرَهْن وَرَهْن)) ثم حُكِيَ((أَنَّهُ أَقْتَلَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَمَوَالِيَ مَعَاوِيَةَ فِي شُرَجٍ مِنْ شُرَجِ الْحَرَّةِ سَالَتْ))⁽³⁾.

فقد نصَّ الزمخشري على هذا الجمع, ثمَّ السماع عليه, وهو ما ذهب إليه الباحث.
- ومما اختلف فيه العلماء في جمع(إِهَاب) وهو الجلد, قال الزمخشري في حديث عمر(رضي الله عنه): ((وَفِي الْبَيْتِ أَهْبٌ عَطْنَةٌ)): ((الْأُهْبُ: لَيْسَ بِتَكْسِيرٍ لِلْإِهَابِ, وَإِنَّمَا اسْمُ جَمْعٍ, وَنَحْوُهُ: أَفَقٌ وَأَدَمٌ وَعَمْدٌ فِي جَمْعِ أَفِيقٍ, وَأَدِيمٍ, وَعَمُودٍ))⁽⁴⁾.

إلا أن كلام الزمخشري مردود بما نُقِلَ عن غيره من العلماء في هذا الموضع, وبما سُمِعَ, قال الجوهري: ((الْإِهَابُ: الْجِلْدُ مَا لَمْ يَدْبَغْ وَالْجَمْعُ أَهْبٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ مِثْلُ: أَدَمٌ وَأَفَقٌ وَعَمْدٌ جَمْعُ أَدِيمٍ وَأَفِيقٍ وَعَمُودٍ, وَقَدْ قَالُوا: أَهْبٌ بِالضَّمِّ وَهُوَ قِيَاسٌ))⁽¹⁾ وتبعه ابن منظور⁽²⁾. وذكر صاحب(الغريبين) بعد نقله الحديث: أَنَّ الْإِهَابَ يَجْمَعُ عَلَى الْأُهْبِ وَالْأَهْبِ⁽³⁾. وتبعه ابن الأثير⁽⁴⁾ وقال الفيومي: ((الْجَمْعُ أَهْبٌ بَضْمَتَيْنِ عَلَى الْقِيَاسِ مِثْلُ كِتَابٍ وَكُتُبٍ, وَبِفَتْحَتَيْنِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ))⁽⁵⁾, فالعلماء يكادون يُطَبِّقُونَ عَلَى صِيغَةِ الْجَمْعِ الَّتِي رَدَّهَا الزمخشري, وزيادة على ما سُمِعَ فِي حَدِيثِ عُمَرَ(رضي الله عنه) السَّابِقَ عَلَى هَذِهِ الصِّيغَةِ رَوَى عَنْ عَائِشَةَ فِي صِفَةِ أَبِيهَا: ((وَحَقَنَ الدِّمَاءَ فِي أَهْبِهَا))⁽⁶⁾.

بل وَقَعَ الاختلاف في الصيغة الأخرى إذ يرى بعض العلماء أنها اسم((للجمع وليس بجمع إهاب لأنَّ فَعَلًا لَيْسَ مِمَّا يَكْسُرُ عَلَيْهِ فِعَالٌ))⁽⁷⁾. إلا أن ذلك - أيضاً - يخالف إجماع العلماء على أن هذه صيغة للجمع⁽⁸⁾.

- إنَّ كثيراً من الجموع التي يذكرها اللغويون للمفردة الواحدة تُؤَوَّلُ إِلَى اللُّغَاتِ, فَمِمَّا ذَكَرَهُ مُصَنِّفُو غَرِيبِ الْحَدِيثِ - مثلاً - ما نقله الزمخشري في قول عدي بن حاتم الطائي للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم): ((إِنَّا نَصِيدُ الصَّيْدَ فَلَا نَجِدُ مَا نُذَكِّي بِهِ إِلَّا الظَّرَارَ وَشِقَّةَ الْعَصَا. فَقَالَ: أَمْرُ الدِّمِّ بِمَا شِئْتِ)), قَالَ الزمخشري: ((الظَّرُّ: حَجَرٌ صُلْبٌ مُحَدَّدٌ وَجْمَعُهُ ظَرَارٌ, وَظَرَّانٌ. وَقَالَ النُّضْرُ: الظَّرِّارُ وَاحِدٌ, وَجْمَعُهُ أَظَرَّةٌ))⁽⁹⁾.

فعلى (ظَرَار) جاء قول عدي بن حاتم الطائي السابق, قال الأصمعي: ((الظَّرَارُ وَاحِدُهَا ظَرَّرٌ وَهُوَ حَجَرٌ مُحَدَّدٌ صُلْبٌ وَجْمَعُهُ ظَرَارٌ مِثْلُ رُطْبٍ وَرَطَابٍ))⁽¹⁰⁾, وَنَصَّ عَلَى ذَلِكَ لُغَوِيُونَ آخَرُونَ⁽¹¹⁾. وهذا يجعل ما ذهب إليه النضر مرجوحاً. وعلى(ظَرَّان) , جاء قول امرئ القيس بن حجر بن عمرو الكندي:

يُفَرِّقُ ظَرَّانَ الْحَصَى بِمَنَاسِمٍ صِلَابُ الْعُجَى مِثْلُ وَمُهَا غَيْرُ أَمْعَرَا⁽¹²⁾
وامرؤ القيس كان في كندة⁽¹³⁾. وهي تنتظم معظم بلاد نجد⁽¹⁴⁾.

(3) الفائق, 233/2(شرح)

(4) المصدر نفسه, 181/2(سفر)

(1) الصحاح, 138/1(أهب)

(2) ينظر: اللسان, 217/1(أهب)

(3) ج1/104(أهب)

(4) ينظر: النهاية, 83/1(أهب)

(5) المصباح المنير, 28(أهب)

(6) الغريبين, 104/1, والنهاية, 83/1(أهب)

(7) اللسان, 217/1(أهب)

(8) ينظر: الجوهري, 213/3(بهي), و512/3(باب فَعَلَ), ومعجم مقاييس اللغة, 149/1, والمجمل, 60(أهب)

(9) الفائق, 375/2, وينظر: النهاية, 56/3(ظَرَر)

(10) اللسان, 517/4(ظَرَر)

(11) ينظر: الجوهري, 84/1, والصحاح, 427/2, واللسان, 517/4(ظَرَر)

(12) ينظر: الجوهري, 84/1(رخط), وشرح الأشعار البيتة الجاهلية, 191/1 برواية: تُطَايِرُ ظَرَّانَ الْحَصَى

(13) ينظر: شرح المعلقات السبع للزوزني/5



وعلى (ظَرَان) ورد قول لبيد بن ربيعة:

بَجَسْرَةٍ تَنْجُلُ الظَّرَانَ نَاجِيَةً
إِذَا تَوَقَّدَ فِي الدَّيْمُومَةِ الظَّرَرُ (1).

ولبيد هذا من بني عامر من قيس (2).

وقال ابن الأثير: ((الظَّرار جمع ظَرٍ... ويجمع - أيضاً - على أَظَرَّة)) ومنه الحديث: ((فَأَخَذْتُ ظَرَّاراً مِنَ الْأَصْرَةِ فَذَبَحْتُهَا بِهِ)) (3).

والذي يخلص إليه المحدثون في مثل هذه الكلمات المختلفة البنية أنها تنتمي إلى لغات متعددة، وقد ينتمي بعضها إلى لغة واحدة ولكن في جيلين مختلفين من أبناء هذه اللغة (4). ونصَّ بعضهم على أنَّ كثرة الخلافات في الجموع والمصادر وصيغ الأفعال وغيرها يعود إلى أنَّ جمع اللغة كان خليطاً من اللهجات الخاصة بكلِّ قبيلة مع الفصحى النموذجية الموحدة، ولم يلحظ الجامعون للغة هذا الملحظ (5).

وفي ما يتصل بجمع الإناث جاء في حديث ابن عباس: ((لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشٌ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ لَهَا الْإِيلَافَ وَأَجَازَ لَهَا الْعِيرَاتِ لَهَا شِم))، أَنَّ (الْعِيرَات) جمع عَيْرٍ، ونقل أصحاب الغريب عن سيبويه قوله: ((أَجْمَعُوا فِيهَا عَلَى لُغَةِ هَذِيلٍ، يَعْنِي تَحْرِيكَ الْيَاءِ... وَكَانَ الْقِيَاسُ التَّسْكِينُ، وَأَنَّ يُقَالَ: عِيرَاتٌ كَمَا يُقَالَ: بَيْضَاتٌ)) (6).

وهؤلاء الذين حرَّكوا الياء من المعتل في نحو (عِيرَات) هم طائفة من العرب منهم على سبيل المثال قريش من نحو قول ابن عباس السابق، ونحو ما نُسبَ إلى علي (عليه السلام) من الصحيح وهو قياس (7): ((وَجَبَّارُ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَاتِهَا))، وقد عَقَّبَ ابن الأثير قائلاً: ((... أَوْ هِيَ جَمْعُ فِطْرَةٍ كَكِسْرَةِ وَكِسْرَاتٍ بِفَتْحِ طَاءِ الْجَمْعِ يُقَالُ: فِطْرَاتٌ، وَفِطْرَاتٌ وَفِطْرَاتٌ)) (8)، وعلى نحو ما جاء عن ابن عباس قولهم: ((أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَرَصَّدُونَ عِيرَاتِ قَرِيشٍ)) (9)، وعلى هذه اللغة قول الكميت الذي أنشد له الزمخشري:

عِيرَاتُ الْفَعَالِ وَالْحَسْبُ الْعَوُ
دِ إِلَيْهِمْ مَحْطُوطَةُ الْأَعْكَامِ (10)

والكميت ينتمي إلى بني أسد (11). وقال أبو حيان: ((بَنُو تَمِيمٍ يَقُولُونَ: رَوْضَاتٌ وَجَوَزَاتٌ وَعَوَرَاتٌ وَسَائِرُ الْعَرَبِ بِالْإِسْكَانِ)) (12).

فهؤلاء جمعوهم بالألف والتاء لِمَكَانِ التَّائِيثِ وَحَرَّكُوا الْيَاءَ لِمَكَانِ الْجَمْعِ بِالتَّاءِ وَكَوْنَهُ اسْمًا، فَأَجْمَعُوا عَلَى لُغَةِ هَذِيلٍ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: جَوَزَاتٌ وَبَيْضَاتٌ (1).

ومما يتصل بالجمع لفظة (هَلَمَّ)، ففي الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لِيُذَادَنَّ عَنْ حَوْضِي رَجَالٌ فَتَأْدِيهِمْ إِلَّا هَلَمَّ))، ذكر أهل غريب الحديث أنها بمعنى: تعالوا ((وفيه لغتان: فَاهْلُ الْحِجَازِ يُطْلَقُونَهُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، وَالْأَثْنَيْنِ وَالْمَوْثُثِ بِلَفْظِ وَاحِدٍ مَبْنِيٍّ عَلَى الْفَتْحِ، وَبَنُو تَمِيمٍ تُثْنِي وَتَجْمَعُ وَتُؤَنَّثُ فَتَقُولُ: هَلَمَّ وَهَلَمِّي وَهَلُمَّا وَهَلُمُّوا)) (2).

(14) ينظر: اللهجات العربية في التراث/97

(1) ديوانه/67، وينظر: الصحاح، 427/2، واللسان، 517/4 (ظَر)

(2) ينظر: الشعر والشعراء/88

(3) النهاية، 156/3، 157، وينظر: الفائق، 375/2، واللسان، 517/4 (ظَر)

(4) ينظر: في اللهجات العربية/165

(5) ينظر: المصدر نفسه، 116/2، والتطور اللغوي التاريخي/117

(6) الفائق، 53/1، 54، والنهاية، 329/3، والمجموع المغيَّب، 528/2، وينظر: الكتاب، 600/3، واللسان، 624/4 (عِير)

(7) ينظر: اللسان، 617/4 (عور)

(8) النهاية، 457/3 (فطر)

(9) المصدر نفسه، 329/3 (عير)

(10) ينظر: الفائق، 53/1، 54 (عير) وديوان الكميت/390 برواية: عِيرَاتُ الْفَعَالِ وَالسُّودْدُ الْعِدُّ دِ إِلَيْهِمْ....

(11) ينظر: المنقَّب لابن حبيب/9، ولهجة قبيلة أسد/25

(12) البحر المحيط، 449/6

(1) اللسان، 624/4 (عير)

(2) النهاية، 272/5، وينظر: الفائق، 108/4، وغريب الحديث في بحر الانوار، 182/4، (هلم)



وعلى لغة أهل الحجاز جاء الحديث: ((أَلَا هَلَمْ فَلَمْ يَبْقَ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ فَرَسٌ إِلَّا أَتَاهُ))⁽³⁾ وعلى اللغة الأخرى قول أبي ذر: ((هَلَمْي مَزُودِي وَإِدَاوَتِي))⁽⁴⁾. وأبو ذر من كنانة⁽⁵⁾. وفي (الصاحح): ((أَهْلُ نَجْدٍ يُصَرِّفُونَهَا فَيَقُولُونَ لِلْأَتْنَيْنِ هَلْمًا وَلِلْجَمِيعِ هَلْمُوا وَلِلْمَرْأَةِ هَلْمِي وَلِلنِّسَاءِ هَلْمُنَّ، وَالْأَوَّلُ أَفْصَحُ))⁽⁶⁾. ويزيد الفيومي ناقلاً عن أبي زيد أن: ((استعمالها بلفظ واحدٍ لِلْجَمِيعِ مِنْ لُغَةِ عَقِيلٍ وَعَلَيْهِ قَيْسٌ بَعْدُ))، وأمّا إلحاق الضمائر فهو عنده ((من لغة بني تميم وعليه أكثر العرب))⁽⁷⁾. لكن أكثر اللغات عند ابن منظور أن يُقال هَلْمٌ للواحد والاثنتين والجماعة⁽⁸⁾ وبها نزل القرآن. قال تعالى: ﴿وَالْقَاتِلِينَ إِخْوَهُمْ هَلَمَّا إِلَيْنَا﴾⁽⁹⁾، وقال سبحانه: ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءُكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾⁽¹⁰⁾. وهي الأفصح، لأنها لغة القرآن الكريم على ما يفهم من كلام اللغويين⁽¹¹⁾. ويزيد على ذلك أنها جاءت في المأثور من الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

المبحث الخامس

التصحیح والإعلال

الإعلال: هو تغير حرف العلة بقلبه أو حذفه أو إسكانه، وقد جاء مسموعاً عن العرب، وهو عكس التصحيح الذي يعني إبقاء حرف العلة على ما هو عليه من دون تغييره أو تبديله⁽¹⁾. وقد سمى الخليل الحروف التي هي عرضة لهذا الإبدال والتغير بحروف العلل قال: ((الثلاثي الصحيح أن يكون من ثلاثة أحرف ولا يكون فيها واو أو ياء أو ألف لينية، ولا همزة في أصل البناء، لأن هذه الحروف يُقال لها حروف العلل، فكلما سلمت كلمة على ثلاثة أحرف من هذه الحروف فهي ثلاثي صحيح))⁽²⁾. وقد عدّ الخليل الهمزة من حروف العلل، إلا أن معظم اللغويين يمنعون ذلك، فالرضي (686 هـ) يرى أن لفظ الإعلال مختص بتغير حروف العلل أي: الألف والياء والواو، ولا يُقال لتغير الهمزة بأحد الثلاثة إعلال⁽³⁾. وقال الشريف الجرجاني (816 هـ): ((فبين تخفيف الهمزة والإعلال مباينة كلية، لأنه تغير حرف العلة))⁽⁴⁾. ويُجمل اللغويون أسباب التغير في حروف العلة، ودخول بعضها على بعض أو استخلاص بعضها من بعض، بأنها تكون طلباً للخلقة، وكثرة الاستعمال، والمناسبة

(3) بحار الأنوار، 154/61، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 182/4، 183 (هلم)

(4) بحار الأنوار، 421/22، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 48/1 (أدا)

(5) ينظر: الإصابة، 60/7

(6) ج 461/5، وينظر: اللسان، 617/12، والمصباح، 640 (هلم)

(7) المصباح، 640/2 (هلم)

(8) ينظر: اللسان، 617/12 (هلم)

(9) الأحزاب، 18

(10) الأنعام، 150

(11) ينظر: الصاحح، 461/5، واللسان، 618/12

(1) التعريفات، 24، 75، ومحاضرات في علم الصرف، د: المنصوري وعلاء الدين الخفاجي، 176

(2) العين، 59/1، 60

(3) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، 66/3، 67

(4) التعريفات لأبي الحسن الجرجاني، 24



بين بعضها وبعض، حين يمكن بها أو ببعضها إخراج الحروف من جهة ما فيها من المدّ واللين، وكذلك من جهة ما تمكن بها الشعر من التلحين، ومن جهة اتساع مخارجها⁽⁵⁾.

1- قبائل عربية تفتح ما قبل الياء، إذا تحركت بفتحة غير إعرابية فتقلب تلك الياء ألفاً: وقد نُسبت هذه الظاهرة إلى طبيعة اللغات العربية، ومما اشتهر في هذا الباب ونَصَّ عليه مصنفو غريب الحديث ما ذكره اللغويون من أنَّ طَبِئاً يكرهون مجيء الياء المتحركة بعد الكسرة، فيفتحون ما قبلها لِنَقْلَبَ ألفاً فيقولون في بَقِي: بَقَى وفي رَضِي: رَضِيَ⁽⁶⁾.

فَعَن الإمام الصادق (عليه السلام): ((نَهَى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الكلام... والإمام يخطب، فمن فَعَلَ ذلك فقد لَغَا))⁽⁷⁾.

قال الزمخشري: ((لَغَى يَلْغَى وَلَغَى... إذا تكلّم بما لا يعني وهو اللغو واللغي))⁽⁸⁾، وفي حديث أبي الدرداء: ((وَجَدْتُ النَّاسَ: اخْبُرْ ثَقَلَةً))، قال ابن الأثير: ((القلَى: البغض، يقال: قَلَاه يَقلِيه... وقال الجوهري: إذا فُتحت مَدَدَتْ. ويقال: لغة طَبِئ))⁽⁹⁾، وحكى سيبويه أنهم: ((قالوا: جَبَى يَجْبَى وقلَى يَقْلَى، فَشَبَّهُوا هذا بَقَرًا يَقْرَأ ونحوه واتبعوه الأول))⁽¹⁾، ولم ينسبه إلا أنَّ الخليل - بحسب ما نُقِلَ عنه - نسبها إلى طَبِئ، ثم فسّر لها بقوله: ((ويقال بَقِي الشيء يبقى بقاء، وهو ضدّ الفناء، قال: ولغة طَبِئ: بَقَى يبقى وكذلك لغتهم في كلِّ مكسور ما قبلها يجعلونها ألفاً نحو: بَقَى ورَضَا، وإنما فعلوا ذلك لأنهم يكرهون اجتماع الكسرة والياء، فيفتحون ما قبل الياء، فتُقلب الياء ألفاً ويقولون في جارية جارة وفي بانية: باناة، وفي ناصية ناصاة))⁽²⁾، ونسبها ابن منظور إلى لغة بلحارث بن كعب اليمينية⁽³⁾، وقد أحصى بعض المحدثين القبائل التي أسندت إليها هذه الظاهرة وهي قبائل شرقية كتميم وأسد وغني، وأكثرها يرجع إلى قبائل يمنية كالحارث بن كعب وطَبِئ وبولان الذين هم بطن من طَبِئ وكذلك وجدت عند مُزينة وبعض قضاعة⁽⁴⁾. ويُزاد على ذلك أنَّها في قريش أو في بعضها، على ما نُقِلَ في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) وهي من القبائل الحجازية الغربية. فلم تقتصر الظاهرة على طَبِئ، بل انتشرت في أكثر من صُقع في الجزيرة نتيجة الاختلاط، أما نسبتها إلى طَبِئ، فلمكانتها الخطيرة في المجال العربي⁽⁵⁾. ولا يبدو وصف بعضهم لهذه اللغة بالندور موقفاً⁽⁶⁾ وهي على هذه السعة من السماع، ويظهر أنَّ جنوح العرب إلى هذا التغير، هو لغرض الانسجام، إذ يعمل اللسان فيه على وجه واحد على ما فسّر اللغويون.

2- الاسم المقصور المضاف إلى ياء المتكلم في لغات بعض القبائل العربية: فقد نسب أهل الغريب إلى طلحة: ((وَقَرَّبُوا فَوْضَعُوا اللَّجَّ عَلَى قَفَى))، و(قَفَى) لغة طائية على ما يذكرون، إذ يشدّدون ياء المتكلم⁽⁷⁾. والأصل أنَّ الاسم المقصور إذا أُضيف إلى ياء المتكلم يَظَلَّ على حاله من بقاء الألف كما هي فيقال: قَفَاي.

قال سيبويه: ((اعلم أنَّ الياء لا تُغَيَّرُ الألف، وتحرّكها بالفتحة لنلا يلتقي ساكنان وذلك قولك: بُشْرَاي وهُدَاي وأَعْشَاي، وناس من العرب يقولون: بُشْرَي وهُدَي، لأنَّ الألف خَفِيَّةٌ والياء خَفِيَّةٌ

(5) ينظر: المخصّص، 67/13، 68، ومحاضرات في علم الصرف، 176، 177

(6) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، 123/1، والمزهر، 38/2

(7) بحار الأنوار، 183/86

(8) الفائق، 322/3، وينظر: النهاية، 257/4، وغريب الحديث في بحر الأنوار، 372/3 (لغا)

(9) النهاية، 105/4، 106، وينظر: الصحاح، 476/6، واللسان، 198/15 (قلا)

(1) الكتاب، 105/4

(2) معجم مقاييس اللغة، 276/1، وينظر: العين، 230/5، واللسان، 80/14 (بقي)

(3) ينظر: اللسان، 79/14 (بقي)، و164/15 (فني)

(4) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 536

(5) المصدر نفسه

(6) ينظر: اللسان، 164/15 (نشم)

(7) غريب القاسم، 10/4، والفائق، 431/3 (نشم)، والنهاية، 94/4 (قفا)



فكَاتَّهْم تَكَلَّمُوا بِوَاحِدَةٍ، فَأَرَادُوا الْبَيَانَ، كَمَا أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ: أَفْعَيَّ، لَخَفَاءِ الْأَلْفِ فِي الْوَقْفِ، فَإِذَا وَصَلَ لَمْ يَفْعَلْ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أَفْعَيَّ فِي الْوَقْفِ وَالْوَصْلِ فَيَجْعَلُهَا يَاءً ثَابِتَةً⁽⁸⁾.

فقد سَوَّخَ سيبويه ذلك بخفاء الألف والياء، وهو ممَّا يُسَوِّغُ التَّغْيِيرَ وَالْإِبْدَالَ وَشَبُوحَهُ فِي هَذِهِ الْحُرُوفِ لِلْقَرَابَةِ الصَّوْتِيَّةِ، نَتِيجَةُ تَقَارُبِ عَدَدِ الذَّبْذَبَاتِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ تَقَارُباً شَدِيداً مِمَّا يَجْعَلُ وَقْعَهَا عَلَى إِذْنِ السَّمَاعِ وَاحِداً فِي بَعْضِ الظُّرُوفِ، هَذَا إِلَى جَانِبِ عَدَمِ اسْتِقْرَارِهَا وَقَدْرَتِهَا الْعَالِيَةِ عَلَى التَّغْيِيرِ⁽¹⁾.

وقد عُزِيتَ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ إِلَى هَذِيلٍ⁽²⁾ وَعَلَيْهَا قَوْلُ أَبِي ذُؤَيْبٍ:

سَبَقُوا هَوِيَّ وَأَعْنَقُوا لَهَوَاهُمْ فَتَخَرَّمُوا وَلَكَلَّ جَنْبَ مَصْرَعٍ⁽³⁾

وَقُرِئَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾⁽⁴⁾، ((فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ))، وَعُزِيتَ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ

إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيِّ وَعِيسَى بْنِ عَمْرِو الثَّقَفِيِّ وَأَبِي الطَّفِيلِ⁽⁵⁾.

وِيرَى الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمَ أَنْيَسَ⁽⁶⁾ - وَتَبِعَهُ الدُّكْتُورُ الْجَنْدِيُّ⁽⁷⁾ - أَنَّ قَبِيلَةَ هَذِيلٍ التَّزَمَتِ الطُّورَ الْأَوَّلَ لَصَوْتِ اللَّيْنِ الْمَرْكَبِ وَلَمْ يَتَطَوَّرْ فِيهَا، بِدَلِيلِ أَنَّ (هُدَايَ وَقَفَايَ) مَثَلاً فِيهِمَا انْسِجَامٌ عَنْ (هُدَايَ وَقَفَايَ) وَالصِّيغَةُ الْمَنْسُجَةُ أَحْدَثُ مِنْ غَيْرِهَا، فَهَذِيلٌ وَبَعْضُ مَنْ تُنْسَبُ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ، التَّزَمُوا مَرَحَلَةَ مَنْ مَرَّحَلَ التَّطَوُّرَ، ثُمَّ تَوَقَّفَتْ، أَمَّا فِي الْفَصْحَى كَمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَقَدْ أَخَذَ التَّطَوُّرَ مَجْرَاهُ الطَّبِيعِيِّ حَتَّى وَصَلَتْ الصِّيغَةُ إِلَى مَا نَعْنَاهُ الْآنَ: هُدَايَ، قَفَايَ⁽⁸⁾.

وَقَدْ نَسَبَ الدُّكْتُورُ عَلِي نَاصِرُ هَذِهِ الْأَلْفَافُ إِلَى سَلِيمٍ، ثُمَّ فَسَّرَ مَنَاحِمَهُ بِأَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى ((التَّخْلُصِ مِنْ صَوْتِ الْمَدِّ الطَّوِيلِ، وَتَقْصِيرِهِ إِلَى الْفَتْحَةِ، فَلَوْ كَانَ الْهَدَفُ مِنْ ذَلِكَ الْمِمَّاثِلَةِ⁽⁹⁾، لَفَنَيْتَ الْفَتْحَةَ الَّتِي تَسْبِقُ الْيَاءَ أَوْ تَغْيِرَتْ، وَالرَّاجِحُ أَنَّ الْيَاءَ فِي هَذِهِ الْحَالِ يَاءٌ وَاحِدَةٌ سَاكِنَةٌ هِيَ يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ، أَمَّا أَلْفُ الْأِسْمِ الْمَقْصُورِ، فَاخْتَصَرَتْ إِلَى الْفَتْحَةِ الَّتِي تَسْبِقُهَا))⁽¹⁰⁾.

وَيَبْدُو أَنَّ الْأَقْرَبَ إِلَى تَفْسِيرِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ تَبِعاً لِمَا يُمْكِنُ اسْتِحْضَاؤُهُ مِنْ كَلَامِ سَبِيوِيَّةٍ وَمَا خُلُصَ إِلَيْهِ الدُّكْتُورُ عَلِي نَاصِرُ هُوَ أَنَّ لَهَا حَالَيْنِ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ، فَبِالْوَصْلِ تَكَلَّمُوا بِوَاحِدَةٍ فَأَرَادُوا الْبَيَانَ، نَتِيجَةُ لَخَفَاءِ الْيَاءِ فَالْحَقُّوْا بِهَا الْأُخْرَى وَأَمَّا فِي الْوَقْفِ فَيُمْكِنُ أَنْ تَخْفَى إِحْدَى الْيَائَيْنِ ((كَمَا أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ: أَفْعَيَّ لَخَفَاءِ الْأَلْفِ فِي الْوَقْفِ))⁽¹¹⁾، وَقَدْ أَثَّرَ عَنْ طَبِئٍ - مَثَلاً - أَنَّهَا تَحْذَفُ أَوَّارَ الْكَلِمَاتِ عِنْدَ الْوَقْفِ، وَلَيْسَ أَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قِطْعَةٍ طَبِئٍ الْمَعْرُوفَةِ، زِيَادَةُ عَلَى أَنَّ طَبِئاً مِنَ الْقَبَائِلِ الْبَدَوِيَّةِ الَّتِي تَشِيعُ فِيهِمْ تِلْكَ الظَّاهِرَةُ⁽¹²⁾.

3- جَنُوحُ بَعْضِ الْعَرَبِ إِلَى فَتْحِ يَاءٍ مِثْلَ (عَيْرَاتٍ) جَمْعاً وَالْقِيَاسُ أَنْ تَسْكُنَ (عَيْرَاتٍ): وَمِمَّا أَعْلَمَ مَا ذُكِرَ فِي الْمَبْحَثِ السَّابِقِ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ((لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيْشٌ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ لَهَا الْإِيْلَافَ وَأَجَازَ لَهَا الْعَيْرَاتِ لَهَا شَم))، الْعَيْرَاتُ: جَمْعُ عَيْرٍ⁽¹⁾، وَقَدْ نَقَلَ أَهْلُ الْغَرِيبِ عَنْ سَبِيوِيَّةٍ قَوْلَهُ: ((أَجْمَعُوا فِيهَا عَلَى لُغَةٍ هَذِيلٍ يَعْنِي تَحْرِيكَ الْيَاءِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ:

(8) الكتاب، 413/3

(1) ينظر: في الأصوات اللغوية، د: غالب، 161

(2) ينظر: المحتسب، 76/1، والصاح، 572/6، واللسان، 372/15 (هوى)

(3) ديوان الهذليين، 2/1 وشرح أشعار الهذليين، 7/1

(4) البقرة/من الآية 38

(5) ينظر: المحتسب، 76/1، ومختصر شواذ القراءات، 62، وعيسى بن عمر الثقفي، د: صباح السالم، 203

(6) ينظر: في اللهجات العربية، 144

(7) اللهجات العربية في التراث، 541

(8) المصدر نفسه

(9) يعني ما ذكره الدكتور خليل العطية بأن منحنى هذيل جاء على سبيل المماثلة، ينظر: لهجة هذيل، د: خليل العطية، مجلة الخليج العربي مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ع2، سنة 1975، ص200

(10) لهجة قبيلة سليم، د: علي ناصر غالب، مجلة العرب، تصدر عن دار اليمامة السعودية، ج7، ص8، 33، محرم وصفر، سنة 1419 هـ ص461

(11) الكتاب، 414/3

(12) ينظر: في اللهجات العربية، 134، واللهجات العربية في التراث، 510، ولهجة تميم، 219

(1) الفائق، 53/1، 54 (ألف)، والنهابة، 329/3 (عير)



أَخُو بَيَّضَاتٍ رَائِحٌ مُتَأَوِّبٌ

وكان القياس التسكين، وأن يُقال: عَيْرَاتٍ كما يُقال: بَيَّضَاتٍ⁽²⁾، فهذيل سارت في طريق أخرى تخالف لهجات القبائل الأخرى، لأنها حرّكت حرف العلة بالفتح ولم تُعَلِّه فهم يقولون: ((بَيَّضَاتٍ وَجَوَزَاتٍ... وقد قالوا: عَيْرَاتٍ، وقالوا: أَهْلَاتٍ فَخَفَّفُوا، شَبَّهُوا بِصَغَبَاتٍ حَيْثُ كَانَ أَهْلٌ مُذَكَّرًا... وقد قالوا: أَهْلَاتٍ فَتَقَلَّوْا كما قالوا: أَرْضَاتٍ))⁽³⁾.

وهنا يمكن القول - أيضاً - أن لغة هذيل حافظت على الطور الأول، الذي فيه ثقل واستقرت عليه ولم تفارقه إلى مرحلة أخرى كما جرى عند غيرها ممّن طلبوا التخفيف، ولعلّ قول سيبويه يساعد على هذا الفهم.

وإذا عُذْنَا إلى مثال ابن عباس، فهذا يعني أنّ هذه الظاهرة وَجَدَتْ لها ظلاً عند بعض القرشيين، وقد أثار عن ابن عباس - أيضاً - أنّه قرأ: ﴿ثَلَاثُ عُمَرَاتٍ لَكُمْ﴾⁽⁴⁾، بفتح الواو⁽⁵⁾ فربما منع من

الإعلال عروض الحركة في الجمع، لأنها في المفرد ساكنة ولأنّ العين لو أُعْلِتْ لالتبس ذلك بما عينه في الواحد أَلْفٌ مُنْقَلَبَةٌ نحو قارة وقارات⁽⁶⁾. ويمكن أن يُزاد على ذلك أن البيئات الحضرية مالت إلى التأتّي في النطق بخلاف البيئات البدوية التي مالت إلى حذف الحركات القصار المنبورات تخفيفاً⁽⁷⁾.

4- مذهب بعض العرب في كسر مستقبل (فَعِلٌ) : وفي الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((قِيلَ لَهُ: كَأَنَّكَ وَهَمْتَ؟ قَالَ: وَكَيْفَ لَا يَهْمُ))، قال ابن الأثير مُعَقِّباً: ((هذا على لغة بعضهم، والأصل: أَوْهَمَ بِالْفَتْحِ وَالْوَاوِ، فَكُسِرَ الْهَمْزَةُ، لِأَنَّ قَوْمًا مِنَ الْعَرَبِ يَكْسِرُونَ مُسْتَقْبِلَ فَعِلٍ فَيَقُولُونَ: إِعْلَمْ، وَنِعْلَمْ، فَلَمَّا كُسِرَ هَمْزَةُ أَوْهَمِ انْقَلَبَتِ الْوَاوُ يَاءً))⁽⁸⁾. قال سيبويه: ((هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثاني الحرف حين قلت فَعِلٌ، وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز وذلك قولهم: أَنْتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ، وَأَنَا إِعْلَمْ، وَهِيَ تَعْلَمُ وَنَحْنُ نَعْلَمُ ذَاكَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ فَعِلٌ مِنْ بَنَاتِ الْيَاءِ وَالْوَاوِ، الَّتِي الْيَاءُ وَالْوَاوُ فِيهِنَّ لَمْ أَوْ عَيْنٌ...))⁽¹⁾. وقال الرضي: ((وكسر حروف المضارعة إلا الياء غير الحجازيين إذا كان الماضي مكسور العين، ويكسرون الياء أيضاً إذا كانت بعدها يا أخرى))⁽²⁾.

ويظهر بعد تأمل نصوص اللغويين أنّ ابن الأثير لم يكن موقفاً في روايته تلك عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لأنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ممّن تشرّفت به أرض قريش الحجازية وما رواه ابن الأثير يخالف إجماع اللغويين في نسبة الصيغة المُعْلَةُ إلى غير الحجاز، يُعَضِّدُ ذلك أنّ بعض أهل الغريب كالقاسم بن سلام والزمخشري وغيرهم نسبوا الصيغة التي جاءت على التصحيح وهي الأصل إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)⁽³⁾. ولا ينكر دور الرواة في ما نقله ابن الأثير.

فأمّا اللغة الأخرى فيظهر من أقوال اللغويين أنّها امتدت على مساحة واسعة من أرض العرب، وما زالت الكثير من لغاتنا الدارجة تحتفظ بها، كما يظهر من أقوال لغويين آخرين أنّ قبائل أخرى غير الحجاز جرّت على الأصل المفتوح، جاء في (اللسان): ((وتَعْلَمُ بِالْكَسْرِ: لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب، وأمّا أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السّراة وبعض هذيل

(2) المصدران السابقان (عير)، وينظر: الكتاب، 600/3

(3) الكتاب، 600/3

(4) النور/ من الآية 58

(5) ينظر: البحر المحيط، 449/6

(6) ينظر: المحتسب، 40/1، واللهجات العربية في التراث، 544

(7) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 246

(8) النهاية، 234/5، وينظر: الفائق، 83/4، واللسان، 643/12 (وهم)

(1) الكتاب، 110/4

(2) شرح الكافية، 228/2

(3) ينظر: غريب القاسم، 262/1، والفائق، 83/4، واللسان، 643/12 (وهم)



فيقولون: تَعْلَمَ، والقرآن عليها... وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب لم يقل إلا تَعْلَمَ بالكسر⁽⁴⁾.

وقد أطلق اللغويون القدامى مصطلح التثنية على هذه الظاهرة وعُزيت لبهاء قال أبو الفتح ابن جني: ((وَأَمَّا تِلْثَةُ بَهَاءٍ فَإِنَّهَا تَقُولُ: تَعْلَمُونَ وَتَصْنَعُونَ بِكسر أوائل الحروف))⁽⁵⁾. ويرى الدكتور رمضان عبد التواب أن فتح أحرف المضارعة ((حادث في العربية القديمة بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى وبدليل ما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة))⁽⁶⁾.

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن ((الأصل في شكل حروف المضارعة هو ما شاع في لهجات الحجاز من الفتح في كل الحالات وقد انحدر هذا الأصل إلى هذه اللهجات من السامية الأولى ثم تطور إلى كسر في معظم اللغات السامية))⁽⁷⁾. ولا ينهض عدم وجود الفتح في الساميات الأخرى دليلاً تاماً على أنه حادث في العربية، لأن العربية هي اللغة السامية التي بقيت في الجزيرة بعد هجرة أخواتها الأخرى، فالفتح ليس حادثاً فيها بل إنه الأصل، والكسر هو الذي حدث بعد اختلاط الساميين بغيرهم⁽⁸⁾، يُزاد على ذلك ما

ذكره الدكتور أنيس من أن الفتح كان شائعاً في لغات الحجاز في كل الحالات وقد انحدر إليها من السامية الأولى، فأما الكسر فمتطور عنه.

ولعل إطباق اللغويين على أصالة الفتح في ما أُعل من قولهم: (إِيْهَمْ) في (أُوْهَمْ) ما يُعزّز هذا ويقويه، وقد نصّ ابن الأثير على ذلك - كما مر -.

وهنا ملحظ في غاية الأهمية هو أن المتأمل في كثير من مظان اللغة لا يقع على أي إيماءة توحى إلى هذا الذي رواه ابن الأثير من كسر حرف المضارعة في هذا اللفظ⁽¹⁾.

وليس هذا دعوة إلى إنكار هذا الأداء اللغوي الذي يمثل واقعاً لغوياً بعينه⁽²⁾. وإنما هو سعي إلى إثبات أصالة الفتح وحدوث الكسر.

(4) اللسان، 402/15، 403 (وقي)

(5) سر الصناعة، 235/1

(6) فصول في فقه اللغة، د: رمضان/125

(7) ينظر: في اللهجات العربية/140

(8) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً/295

(1) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: غريب القاسم، 262/1، والجمهرة، 181/3، والصاحح، 452/5، ومعجم مقاييس اللغة، 6/

والمجمل/365 (وهم)، وشرح الفصيح في اللغة/185

(2) نقل ابن منظور رواية ابن الأثير كاملة دون تفسير أو تعليق، وقد نصّ قبل ذلك على الرواية الأخرى التي جاءت على الأصل، ينظر:

اللسان، 643/12 (وهم)



المبحث السادس التشديد والتخفيف

وَجَدَ بعض المحدثين أَنَّ بعض القبائل تميل إلى التثقل وقبائل أخرى تميل إلى التخفيف وقد رَصدوا وسائل شتى لتحيل بها هذه اللغات لَتُخَفَّفَ أو لتخلق الانسجام مع عاداتها النطقية فهي - مثلاً - تحذف الصائت - أحياناً - كإسكانها عين اللفظ حين يكون حرفاً حَلَقِيّاً، أو إسكان عين الجمع على زنة (فُعْل) وغيرها⁽¹⁾ وكل هذه ميول صوتية سَبَقَ الحديث عليها في موضع سابق⁽²⁾، وتبعاً لمقولات المحدثين فيمكن القول إنَّ كلَّ ما جَنَحَتْ فيه القبائل البدوية كتميم إلى التخفيف كان عدم التخفيف لقبائل الحجاز ولا سيما قريشاً على وجه العموم⁽³⁾.

وما يعيننا في هذا الموضع هو ما يتصل بالتصريف ممَّا له علاقة بالتشديد والتخفيف، والتشديد يدلُّ في مناسباتٍ كثيرةٍ على الكثرة والمبالغة مع تكرير الحدث والمداومة عليه⁽⁴⁾، وشيوعه في الأفعال أكثر⁽⁵⁾.

وقد نسب الدكتور الجندي التشديد إلى القبائل البدوية، ذلك أنَّ في طباعهم غلظة وجفاء لذا لجأوا إلى الأصوات القويَّة السريعة الأكثر إسماعاً، انسجاماً مع عيشهم في صحراء مترامية يَفْنَى الصوت في جنباتها فلا يكاد يتَّضح⁽⁶⁾.

وإذا وافقنا الجندي في كون معاني الجهر والتفخيم والشدة ممَّا تنسجم مع بيئة البدو وطبيعتهم⁽⁷⁾ فلا يمكن موافقته في خصوص ما نسبه إلى البدو من التشديد، وذلك لأنَّ في التشديد تكريراً لا ينسجم وسرعة الأداء عندهم، وإذا كانت ثمة طائفة من الناس يلجأون إلى التشديد فهم الحضر الذين يميلون إلى التؤدة والليونة ممَّا ينسجم مع بيئتهم وطباعهم⁽⁸⁾.

ويمكن تقسيم الأمثلة التي عرضها أهل غريب الحديث التي تتصل بموضوع التشديد والتخفيف إلى قسمين: أولهما: ما ظهر في الأسماء، وثانيهما: ما ظهر في الأفعال.

أولاً: في الأسماء:

- في حديث ابن عمر: ((في الذي يُقَلَّدُ بَدَنَتَهُ وَيَبْخَلُ بالنَّعْلِ، قال: يُقَلِّدُهَا خُرَابَةً))، هكذا نقله أبو موسى وابن الأثير ثم قالوا: ((يروى بتخفيف الرائ وتشديدها يريدُ عُرْوَةَ المَزَادَةِ))⁽⁹⁾ وقال الزمخشري: ((هي بتشديد الرائ وتخفيفها... يُقال لثقب الْوَرَك أيضاً خُرَابَةً باللغتين))⁽¹⁰⁾

- وفي حديث الإمام الصادق (عليه السلام) في يوسف (عليه السلام): ((كان ... يأخذ الخبز ويجعله في إجانة، ويصب عليه الماء والملح فصار مَرِيّاً))⁽¹⁾، ذكر ابن الأثير وتبعه البيهقي قول الجوهري

(1) ينظر: لهجة قريش، د: مهدي حارث/112، وللمزيد يمكن الرجوع إلى الفصل الثاني من هذه الأطروحة/المبحث الرابع/228-234

(2) ينظر: الفصل الثاني، المبحث الرابع/228-234

(3) ينظر: لهجة قريش/112

(4) ينظر: الخصائص، 157/2، 158، وشذا العرف/142، 143

(5) ينظر: معاني القرآن للفراء، 277/1، والخصائص، 157/2

(6) ينظر: اللهجات العربية في التراث/657

(7) ينظر: المصدر نفسه

(8) ينظر: في اللهجات العربية/100

(9) المجموع المغيب، 562/1، والنهاية، 18/2، وينظر: غريب ابن الجوزي، 269/1 (خرب)

(10) الفائق، 366/1، وينظر: اللسان، 348/1 (خرب)

(1) بحار الأنوار، 306/63



أَنَّ ((المُرِّي بالضم وتشديد الراء الذي يُؤْتَدَم به، كَأَنَّهُ منسوب إلى المَرارة. والعامَّة تُخَفِّفه)) (2).
وَأَنشَد الجوهري لأبي الغوث:

وَأَمُّ مَثَوَيِّ لِبَاخِيَّةٍ وَعِنْدَهَا المُرِّي وَالْكَامِخُ (3)

وكذا ذُكِرَ ((المُرِّي)) بالتشديد في حديث أبي الدَّرْداء (4) الأنصاري الخزرجي (5).
- ومِمَّا نُسِبَ إلى الإمام الصادق (عليه السلام) - أيضاً - : ((أَثَافِي الإسلام ثلاثة: الصلاة، والزكاة،
والولاية)) (6) ونسب ابن الأثير (الأثافي) بالتشديد إلى جابر بن عبد الله الأنصاري ثم قال: ((هي
جمع أَثْفِيَّة وقد تُخَفَّف الياء في الجمع)) (7).

- ومن ذلك حديث عمر (رضي الله عنه) الذي نقله ابن الأثير: ((قال لسلمان: أين تأخذ إذا صدرت، أعلى
المُعَرَّفَةِ أم على المدينة؟))، قال ابن الأثير: ((هكذا رَوِيَ مُشَدِّداً والصواب بالتخفيف)) (8)،
وهكذا يمكن أن يقع الباحث على أمثلة أخرى لقرشيين أو أنصار أو غيرهم ممن ينتسبون إلى البيئَة
الحجازية وقد جروا على التشديد لا التخفيف، بخلاف ما ذهب إليه الدكتور الجندي في هذا
الموضع (9).

فأما ما نُسِبَ من تخفيف إلى الحجاز (10)، فيمكن أن يكون من أثر الرواة أو النقلة أو أن يكونَ
هؤلاء المخفِّفون ممن تأثروا بغيرهم من غير الحجازيين بسبب المجاورة أو طول المزاورة.
ولم يقتصر الأمر على قریش أو الأنصار بل نجد آخرين غيرهم ممن ينتسبون إلى بيئات تتسم
بالتحضر - عموماً - يميلون للتشديد فمن ذلك قول أبي كبير الهذلي:

إِلَّا عَوَاسِرُ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةً بِاللَّيْلِ مَوْرِدَ أَيِّمٍ مُتَعَصِّفٍ (11)

فلفضة (الأيِّم) جاءت على التشديد بخلاف ما ورد في الحديث الذي نقله صاحب (الغريبين): ((أَنَّهُ
أَتَى عَلَى أَرْضِ جُزُرٍ مُجْدِبَةٍ مِثْلَ الأَيِّمِ)) (12).

- وسَمِعَ بعض العرب يقول: ((للحبل الذي يُدْفَن في الأرض مَثْنِيًّا... أَخِيَّةٌ وَقَالَ أَعْرَابِي آخَرُ: أَخْ لِي
أَخِيَّةٌ أَرَبْتُ إِلَيْهَا مُهْرِي)) (1) و((تَأَخَّيْتُ أَنَا اسْتِقَاقَهُ مِنْ أَخِيَّةِ العُود... وَيُقَالُ أَخِيَّةٌ بِالتَّخْفِيفِ)) (2).
والأخِيَّة كَأَنِّيَّة لغة في الأخِيَّة مُشَدَّدَةٌ عند الفيروزابادي (3).

- وعلى التشديد حديث أبي سعيد الخدري الأنصاري الخزرجي (4): ((مَثَلُ المؤمن والإيمان كَمَثَلِ
الْفَرَسِ فِي أَخِيَّتِهِ يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَخِيَّتِهِ)) (5).

- وفي الحديث: ((يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ لَيْتًا))، قال ابن الأثير: ((أي سهلاً على ألسنتهم ويروى (لَيْتًا)
بالتخفيف، لغة فيه)) (6).

قال الخطابي في (غريبه): ((يُقَالُ: لَيْنٌ وَلَيْنٌ كَمَا يُقَالُ: هَيْنٌ وَهَيْنٌ. وَمَيِّتٌ وَمَيِّتٌ)) ثُمَّ أَنشَد لِرَاجِزٍ:

وَمَنْهَلٍ فِيهِ الْغُرَابُ مَيِّتٌ سَقَيْتُ مِنْهُ الْقَوْمَ وَاسْتَقَيْتُ (7)

وَأَنشَد ابن منظور للكُميت:

(2) النهاية، 318/4، وغريب الحديث في بحار الانوار، 408/3، وينظر: الصحاح، 543/2، وغريب ابن الجوزي، 355/2 (مرر)

(3) الصحاح، 543/2، واللسان، 171/15 (مرر)

(4) ينظر: النهاية، 318/4 (مرر)

(5) ينظر: تهذيب التهذيب، 175/8، والإصابة، 46/5

(6) بحار الأنوار، 39/1، وغريب الحديث في بحار الانوار، 39/1 (أنف)

(7) ينظر: النهاية، 23/1، وغريب الحديث في بحار الانوار، 39/1 (أنف)

(8) النهاية، 221/3 (عرق)

(9) وهو ما سيأتي لاحقاً في مورد الأفعال بعونه تعالى

(10) ينظر مثلاً: غريب القاسم، 324/3، وغريب ابن الجوزي، 167/2 (غوى)، والنهاية، 256/4 (لغز)

(11) شرح أشعار الهذليين، 1085، والغريبين، 115/1

(12) الغريبين، 115/1 (أيِّم)

(1) اللسان، 23/14 (أخا)

(2) المصدر نفسه

(3) ينظر: القاموس المحيط، 298/4 (أخا)

(4) ينظر: تهذيب التهذيب، 479/3، وصفة الصفوة، 299/1

(5) نسب ابن منظور هذا الحديث إلى الخدري ناقلاً إياه كاملاً: اللسان، 23/14، وينظر: الغريبين، 26/1، والنهاية، 29/1 (أخا)

(6) النهاية، 286/4 (لين)

(7) 543/1 ج



هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ فِي بَيُوتِهِمْ سِنْخُ التَّقَى وَالْفَضَائِلُ الرُّتَبُ (8)
وَنَصَّ بعضُ اللُّغَوِيِّينَ عَلَى أَنَّ مَثَلَ هَيِّنَ وَهَيَّنَ وَمَيَّتَ وَمَيَّتَ لَغَتَانِ وَقَدْ نَصَّ الْقَالِي (356 هـ) عَلَى
الْأَخِيرِينَ (9). وَبِالْصِّيغَتَيْنِ نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فَعَلَى التَّخْفِيفِ مَثَلًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
الْمَيْتَةُ﴾ (10)، وَعَلَى التَّشْدِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَمُّهُ إِلَى بَلَدٍ مَيَّتٍ﴾ (11)، وَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ): ((لَا يَنْبَغِي
لَا مَرَأَةً أَنْ تَحْدَّ عَلَى مَيَّتٍ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ)) (12)، وَأَنشَدَ ابْنُ مَنْظُورٍ:
بُنَيَّ إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنٌ الْمِفْرَشُ اللَّيِّنُ وَالطُّعِيمُ
وَمَنْطِقٌ إِذَا نَطَقْتَ لَيِّنٌ

وَأَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ:

بُنَيَّ إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنٌ الْمِفْرَشُ اللَّيِّنُ وَالطُّعِيمُ
وَمَنْطِقٌ إِذَا نَطَقْتَ لَيِّنٌ (13)

يُمْكِنُ الْقَوْلُ بَعْدَ إِبْرَادِ الْأَمْثَلَةِ السَّابِقَةِ إِنَّ ظَاهِرَةَ التَّشْدِيدِ سُمِعَتْ مِنْ غَيْرِ الْبَدْوِ كَثِيرًا، فَقَدْ رُوِيَ
عَنْ قُرَشِيِّينَ وَأَنْصَارٍ وَهَذَلِيِّينَ - كَمَا مَرَّ - فَالْقَوْلُ بِبَدْوِيَّتِهَا مَرْجُوحٌ. وَالْقَوْلُ بِأَصَالَةِ صِيغَةٍ دُونَ
أُخْرَى فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَحْجُوجٌ بَلْ دُونَهُ خَرَطَ الْقِتَادَ فَلَقَدْ نَطَقَ الْقُرْآنُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ بِالصِّيغَتَيْنِ
- كَمَا مَرَّ - إِلَّا أَنَّنَا يُمْكِنُ أَنْ نَتَصَوَّرَ الْأَصَالََةَ لِبَعْضِ الصِّيغِ الْتِي لَمْ تَرُدَّ فِي الْقُرْآنِ بِالتَّمَسُّكِ
بِالنَّصُوصِ النَّبَوِيِّ وَبِالِاسْتِعَانَةِ بِمَا صَدَرَ عَنْ أَبْنَاءِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ) وَعَنْ صَحَابَتِهِ. فَجُمْلَةٌ
هَؤُلَاءِ مِمَّنْ عُرِفَ بِالْفَصَاحَةِ وَبِالْبَلَاغَةِ إِذْ جَبَلَتْهُمْ عَرَبِيَّةٌ وَلَغَتْهُمْ سَلِيقَةٌ (1).

وَأَمَّا مَا نُقِلَ عَنِ الشُّعْرَاءِ، فَقَدْ لَا يَحَقُّ الْمَأْمُولُ أَوْ يَصِيبُ كِبْدَ الْحَقِيقَةِ، إِذْ إِنَّ الشَّاعِرَ مُحْكَمٌ
بِالْوِزْنِ، وَالشَّعْرَ مِظَنَّةَ الضَّرُورَةِ - أحياناً - وَلِلشَّاعِرِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ، مِمَّا قَدْ يَخَالِفُ مَنْطِقَ قَبِيلَتِهِ،
وَالشُّعْرَاءُ سُفَرَاءُ الْعَرَبِ، يَصْدُرُ عَنْهُمْ - غَالِبًا - مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ ((فَأَمَّا الْإِخْتِيَارُ الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ
لِلنَّاسِ فَشَهَوَاتٌ وَكُلٌّ مُسْتَحْسَنٌ شَيْئًا)) (2). وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ انْسِلَاخُ الشَّاعِرِ عَنْ أَهْلِ قَبِيلَتِهِ، وَيُمْكِنُ أَنْ
يَكُونَ فِي مَا نَقَلَهُ ابْنُ مَنْظُورٍ وَأَنشَدَهُ أَبُو زَيْدٍ مَا يَعْكُسُ اخْتِلَافَ اللُّغَاتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، يُعْضِدُهُ مَا
نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الْهَذَلِيِّينَ إِذْ جَرَى عَلَى التَّشْدِيدِ بِمَا يَنْسَجِمُ مَعَهُ مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الْقُرَشِيِّينَ وَالْأَنْصَارِ
مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ، وَهَذِيلٌ عَلَى مَا نَصَّ الْجَنْدِيُّ نَفْسَهُ مِمَّنْ يَتَّسِمُونَ بِالتَّحْضُرِ - عُمُومًا (3).
فَأَمَّا الْكَمِيتُ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَدَاؤُهُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَائِدًا إِلَى طَبِيعَةِ بَدْوِيَّةٍ مُتَّصِلَةٍ، إِذَا يَنْتَمِي
الْكَمِيتُ إِلَى أَسَدٍ (4) وَهِيَ قَبِيلَةٌ بَدْوِيَّةٌ كَمَا عَرَفْنَا فِي مَا مَضَى.

ثانيًا: في الأفعال

- نُقِلَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ): ((أَنَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: أَتَضَارُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ
بِغَيْرِ سَحَابٍ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنَّكُمْ لَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَا رُبِّي)) وَرَوَى (تَضَارُونَ) بِالتَّخْفِيفِ، قَالَ
الزَّمَخْشَرِيُّ مَعْقَبًا: ((وَتَضَامُونَ وَتَضَامُونَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ)) (5).
وَرُويَ هَذَا الْحَرْفُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ: ((بِالتَّشْدِيدِ مِنَ الضَّرِّ، أَيْ لَا يَضُرُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَرَوَى
تَضَارُونَ، بِالتَّخْفِيفِ مِنَ الضَّرِّ، وَمَعْنَاهَا وَاحِدٌ، ضَارَهُ ضَيْرًا فَضَرَهُ ضَرًّا)) (6).

(8) اللسان، 394/3 (لين)، وينظر: شرح الأشعار الهاشميات/62

(9) ينظر: البارع/707

(10) البقرة/3، وعلى التخفيف - أيضاً - المائدة/3، والأنعام/139، 145، ويس/33

(11) فاطر/ من الآية 9، وعلى التشديد - أيضاً - آل عمران/27، والأنعام/95، والأعراف/57، وإبراهيم/17، والزمر/3

(12) غريب الخطابي، 258/3

(13) اللسان، 394/13 (لين)

(1) ينظر: علوم الحديث ونصوص من الآثار/67

(2) الصاحبى/275

(3) ينظر: اللهجات العربية في التراث/446

(4) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة/356

(5) الفائق، 335/2، وينظر: النهاية، 82/3 (ضرر)

(6) اللسان، 486/4 (ضرر)



وعند ابن الأثير: ((يروى بالتشديد والتخفيف... يُقال: ضارّه يُضارّه مثل ضرّه يضرّه... فأراد بالمضارّه الاجتماع والازدحام عند النظر إليه، وأمّا التخفيف فهو من الضّير لغة في الضرّ، والمعنى فيه كالأول))⁽⁷⁾.

- ونسب القاسم بن سلام إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الثّيبُ يُعَرِّبُ عنها لسانها والبكر تُستأمرُ في نفسها))، قال أبو عبيد: ((هذا الحرف يروى في الحديث يعرب بالتخفيف وقال الفراء: هو يُعَرِّب بالتشديد، يُقال: عَرَّبْتُ عن القوم إذا تكلمت عنهم واحتججت لهم))⁽¹⁾.
ونسب إليه الخطابي قوله لأبي بكر (رضي الله عنه): ((...تقدّم عل صدر الراحة حتى تعرب عنا من لقينا)) فيقول أبو بكر (رضي الله عنه): ((أكون وراءك وأعرب عنك)) ثم نصّ على قول الفراء السابق⁽²⁾.

- ونقل ابن الأثير هذا كله ثم قال: ((إنّ أعرب بمعنى عرب، ويُقال: أعرب عنه لسانه وعرب)) وخُصّ بعد ذلك إلى قول بعض أهل الغريب أن ((كلا القولين لغتان متساويتان بمعنى الإبانة والإيضاح))⁽³⁾.

ومنه حديث عمر (رضي الله عنه): ((ما لكم إذا رأيتم الرجل يُخرق أعراض الناس أن لا تُعربوا عليه))، قيل: معناه التبيين والإيضاح⁽⁴⁾.

ومما روي على التخفيف الحديث ((فإنما كان يُعرب عمّا في قلبه لسانه))⁽⁵⁾.
- وعلى التشديد جاء حديث فاطمة بنت علي (عليه السلام): ((ما تحنّأت امرأة منا ... حتى بعث المختار رأس عبيد الله بن زياد))⁽⁶⁾، قال الفيومي: ((حنّأت المرأة يدها بالتشديد خضبتّها بالحنّاء والتخفيف من باب نفع لغة))⁽⁷⁾.

- ومنه قول خالد بن الوليد بن مخزوم القرشي في غزوة بني جذيمة من بني كنانة، يوم فتح مكة، وكان أسر منهم قوماً فلما كان الليل نادى مناديه: ((من كان معه أسير فليدافه))⁽⁸⁾، وقال الأموي وأبو عمرو: ((فليدافه، يعني ليجهز عليه... وفيه لغة أخرى: فليدافه مخففة... وهو فيما يُقال لغة جهنية))⁽⁹⁾.

- وقال عبد الله بن مُعقل: ((لا تُرجّموا قَبري))، قال القاسم بن سلام: ((والمحدّثون يقولون: لا تُرجّموا قبري - قال أبو عبيد - إنما هو لا تُرجّموا، يقول: لا تجعلوا عليه الرّجمة وهي الرّجام يعني الحجارة))⁽¹⁰⁾، ورواه الزمخشري⁽¹¹⁾، وابن الأثير⁽¹²⁾ على التخفيف.

والراجح ما رواه القاسم بن سلام، لقدّم عصره وسماعه عن العرب وهو الرائد في هذا الميدان كما عُرف في منهجه، يُزاد على ذلك أنّ الأقرب إلى أداء ابن مُعقل أن يكون على التشديد، لأنّه الأصل الصحيح على ما يذكر اللغويون وقد نصّ الجوهري على ذلك عند تمثّله لحديث ابن مُعقل ونسب التخفيف إلى المحدّثين⁽¹⁾. وإلى جانب ذلك كله فابن المُعقل صحابي لغته سليقة كغيره من الصحابة فهو على ذلك في موطن الفصاحة، وهو مُرني من أصحاب الشجرة سكن المدينة ثمّ تحوّل

(7) النهاية، 82/3 (ضرر)

(1) غريب القاسم، 162/1-163 (عرب)

(2) غريب الخطابي، 32/2، 33

(3) النهاية، 200/3 (عرب)

(4) المصدر نفسه، 201/3

(5) الفائق، 409/2، والنهاية، 201/3، واللسان، 588/1 (عرب)

(6) بحار الأنوار، 386/45، وغريب الحديث في بحر الأنوار، 369/1 (حنأ)

(7) المصباح المنير، 155

(8) ينظر: الإصابة، 100/1، والأعلام للزركلي، 341/2

(9) غريب القاسم، 33-32/4 (دفع)

(10) المصدر نفسه، 290-289/4 (رجم)

(11) ينظر: الفائق، 47/2 (رجم)

(12) ينظر: النهاية، 205/2 (رجم)

(1) الصحاح، 264/5، وينظر: معجم مقاييس اللغة، 493/2، واللسان، 228/12 (رجم)



إلى البصرة وكان أحد العشرة الذين بعثهم عمر (رضي الله عنه) ليفقهوا الناس بالبصرة وتوفي فيها سنة (57 هـ) تقريباً⁽²⁾. فهو على ذلك ممن سكنوا الحواضر، وهي أليق بالتشديد، الذي يحتاج إلى تأني وتؤدة وهي صفات تكون - عادة - أقرب إلى روح التمدّن من البداوة .
- وفي الحديث: ((من تصبّح سبع تمراتٍ عجوة))، قال ابن الأثير - بعد نقله الحديث - : ((هو تفعل من صبّح القوم إذا سقيتهم الصبوح. وصبّحت بالتشديد لغة فيه))⁽³⁾، قال ابن منظور: ((صبّحه يصبّحه صبّحاً، وصبّحه، سقاه صبوحاً...)) وأنشد لفرط بن التوأم الشكري على التخفيف:
كان ابن أسماء يعشّوه ويصبّحه من هجمة كفسيل النخل دُرّار⁽⁴⁾
وبنو يشكر من بكر بن وائل⁽⁵⁾. الذين تغلب عليهم صفة البداوة⁽⁶⁾. ففعل شاعرهم أثر التخفيف انسجماً مع سرعتهم في الأداء .

تعقيب:

سبق القول في موضع سابق⁽⁷⁾، إنّ البدو - عموماً - أثروا التخفيف بتسكين المتحرّك في بعض الصيغ، ويلجأ بهم في هذا ما يُسمّى بالعامّة ففي الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا يُخْتَلَى خَلاها، ولا تحلّ لقطتها إلا المنشد))، قال الزمخشري: ((اللقطة - بفتح القاف - والعامّة تُسكنها: ما يلتقط))⁽⁸⁾. وكذلك لجأ هؤلاء إلى تخفيف التشديد، ففي حديث صلة بن أشيم: ((فإذا سبّ فيه دوخلة رطب))، قال ابن قتيبة: ((والدوخلة مشددة اللام، وكذلك القوصرة مشددة اللام والعوام تقولها بالتخفيف))⁽⁹⁾.

وروي ذلك عن بعض المحدثين - كما سبق - وربما يصل التخفيف - أحياناً - إلى حدّ الحذف وهو ما جاء في بعض الحديث، قال ابن الأثير في الحديث: ((لا صدقة في أقل من خمس أواق))، : ((الأواقي جمع أوقية، بضم الهمزة وتشديد الياء... وربما يجيء في الحديث وقية، وليست بالعالية))⁽¹⁾.

ويبدو أنّ هذا التخفيف بكل وجوهه إنّما جاء للتمكين من الإسراع في نطق الكلمات وهو ما يناسب طبيعة من تبيد لا من تحضر .

ويظهر أنّ صيغ التخفيف تطوّرت عن الصيغ الأخرى، وقد ظهرت في أزمان تأخرت عن مثيلاتها المشدّدة ولعلّ إشارات اللغويين إلى أصالة صيغ التشديد وفصاحتها، بل صدورها عمّن جبلّته عربية ولغته سليقة ما يقوّي هذا الزعم ثمّ وصفهم الصيغ الآخر بأنّها غير صحيحة أو ليست بعالية، زيادة على صدورها عن طبقات لا ترتقي إلى مستوى الفصاحة عموماً نحو ما يُسمّى بالعامّة أو العوام ما يؤكد نشوء هذه الصيغ في زمن متأخر. وحتى ما تُسبب إلى المحدثين من تخفيف فهو يُعزّز هذا الزعم، إذ إنّ هؤلاء المحدثين ظهروا في أزمان تأخرت عن طبقات الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

وليس هذا حكماً مطلقاً على هذه الصيغ بنوعيتها، إنّما يجري في مواضع محدّدة تدخل في هذا الباب، ولعلّ أداء القرآن على صيغ مخففة يكون جبة في هذا الموضع، يُزاد على هذا كله أنّ جريان الصيغ على التخفيف أو التشديد قد يكون لمعانٍ مخصوصة ولا يدخل في باب اللغات، وزيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى في معظم الصيغ والألفاظ، وقد أشار مصنفو غريب الحديث إلى مثل هذه المعاني - أحياناً - ففي الحديث: ((من تصبّح سبع تمرات...)) ذكر ابن الأثير

(2) ينظر: تهذيب التهذيب، 42/6، والإصابة 132/4

(3) النهاية، 6/3 (صبح)

(4) اللسان، 405/2، وينظر: الصحاح، 560/1 (صبح)

(5) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، 103

(6) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 251، وفي اللهجات العربية، 73

(7) ينظر: الفصل الثاني من هذه الأطروحة/المبحث الرابع، ص 228-234

(8) الفائق، 390/1، وينظر: النهاية، 264/4 (لفظ)

(9) غريب ابن قتيبة، 550/2، وينظر: الفائق، 181/3 (قرر)

(1) النهاية، 80/1، وينظر: بحار الأنوار، 190/100، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 82/1 (أوق)



أَنَّ (تَصَبَّحَ) تَفْعَل من صَبَحَتْ... وقال في موضع آخر مُعلقاً على حديث طهفة: ((أصابتنا سنة حمراء مُوزلة)): ((أي آتية بالأزل. ويروى (مُوزلة) بالتشديد على التكثر))⁽²⁾.

المبحث السابع المقصود والممدود

الاسم المقصور: هو الاسم المعرب الذي تكون في آخره ألف لازمة، كالرحى والمصطفى وقفا⁽¹⁾. فإذا كان على ثلاثة أحرف فإنَّ الألف - فيه - بدل وليست زيادة كزيادة حُبلى⁽²⁾. أما الممدود فهو الاسم الذي تكون في آخره همزة قبلها ألف زائدة⁽³⁾ وكلّ شيء وقعت ياءه أو واوه بعد ألف⁽⁴⁾ نحو: إنشاء على أصالة الهمزة وصحراء على زيادتها للتأنيث، وكساء وبناء على انقلابها عن الواو أو الياء على التوالي في المثليين⁽⁵⁾. وتنقسم الأسماء المقصورة والممدودة إلى أمثلة سماعية يعرف قصرها ومدُّها بالسماع عن العرب، قال سيبويه: ((ومن الكلام ما لا يُقال له: مُدٌّ لكذا.. وإِنَّمَا تَعْرِفُ بالسمع))⁽⁶⁾، وآخر قياسية لها أمثلة تعرف بها تناولتها كتب التصريف بتفصيلات وافية⁽⁷⁾. ويظهر أنَّ هذه الظاهرة تُعَيَّر - أحياناً - عن واقع اللغات العربية بين مدٍّ عند بعض وقصرٍ عند آخرين. قال الخليل: ((بَلَى الشَّيْءُ يَبْلَى بَلَى فَهُوَ بَالٌ وَالبَلَاءُ لُغَةٌ فِي البَلَى))⁽⁸⁾. وقد ذكر مصنفو غريب الحديث جملة من الأمثلة التي تدخل في هذا الباب وتُشير إلى اختلاف اللغات.

وورد في هذا الشأن أنَّ لغة الحجاز تجنح بوجه عام إلى مدٍّ هذه الألف المتطرّفة حفاظاً عليها عن طريق وضع همزة بعدها، إذ جاءت الهمزة نتيجة المدِّ ثمَّ القطع المفاجئ له فنشأ نتيجة ذلك القطع صوت الهمزة⁽⁹⁾.

ويظهر أنَّ ذلك مُستوحى من قول ابن جني: ((ومن مضارعة الحرف للحركة أنَّ الأحرف الثلاثة الألف والياء والواو إذا أَشْبِعْنَ ومُطْلَنَ أدَيْنَ إلى حرفٍ آخر غيرهن إلا أنَّه شبيه بهنَّ هو الهمزة))⁽¹⁰⁾.

وقول الرضي: ((أَنَّ مَخْرَجَ الألف مُتَسَّعٌ وفيه المدُّ البالغ، فإذا وَقَفْتَ عليه خَلَّيْتُ سبيله ولم تَضُمَّه بشفّة ولا لسان ولا حلقٍ كضَمِّ غيره، فيهوي الصوت إذا وجدت مُتَسَّعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة))⁽¹¹⁾.

(2) النهاية، 46/1 (أزل)

(1) الممدود والمقصود لأبي الطيب الوشاء 30/31، وشرح ابن عقيل 99/100

(2) الكتاب، 386/3، وينظر للمزيد: التكملة للفارسي/75، 76، وحاشية الصّبان/شرح الأشموني على الألفية، 4/106، 119

(3) ينظر: الممدود والمقصود للوشاء/29، 30، وشرح ابن عقيل/101

(4) الكتاب، 539/3، وينظر: التكملة/76-85

(5) ينظر: محاضرات في علم الصرف/63

(6) الكتاب، 540/3

(7) ينظر لمزيد من التفصيل: محاضرات في علم الصرف/57-94، والخليل في معجم مقاييس اللغة/159-162

(8) العين، 339/8 (بلو)

(9) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، د: أحمد مختار عمر/297، وفي الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية/211، 212

(10) الخصائص، 318/2

(11) شرح شافية ابن الحاجب، 285/2



ويرى أستاذنا الدكتور صباح السالم أنَّ التسمية معكوسة إذا قيسَتْ بطبيعة النطق فما يُسمَّيه القدماء (مقصوراً) هو (الممدود) على الحقيقة، فأنْتَ تقول: عاشوراء، وتستطيع أنْ تمدَّ صوتك بالألف التي بعد الراء إلى ما تشاء، وتقول: عاشوراء، فتكون مُجبراً على قطع الصوت وقصره بالهمزة التي أغلقت بها المقطع⁽¹⁾.

وقد نُسبت أكثر الصيغ الممدودة إلى البيئات الحضرية كالحجازية في حين نُسبت المقصورة إلى البيئات البدوية ك نجد وتميم وأسد وقيس⁽²⁾.

وقد عزا بعض المحدثين جنوح أهل الحجاز إلى المدِّ إلى تأنيهم في الكلام، فنشأ عن ذلك مدُّ المتطرف، في حين كان أهل نجد ينحون إلى السرعة في النطق فكان أن نزعوا إلى القصر⁽³⁾ وفي الأمثلة لتي عرضها أهل اللغة من مصنَّفي غريب الحديث ما يُعرِّز ذلك فمن هذه الأمثلة:

- في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسأله أبو رَزين الغفيلي: ((أين كان ربُّنا قبل أن يَخْلُقَ السموات والأرض؟ فقال: كان في عَماء تحته هواء وفوقه هواء))، يرويه بعض المحدثين في (عمى) مقصوراً على وزن عَصَى وقفاً، ويُريد إنَّه كان في عمى عن الخلق، قال الخطابي: ((وليس هذا بشيء وإنما هو في عَماء ممدوداً، هكذا رواه أبو عبيد وغيره من العلماء))⁽⁴⁾.
وقد كان أبو سليمان الخطابي أكثر المصنِّفين تفصيلاً في هذا الباب، وقد توقَّف عنده طويلاً.
- قال: ((ومما يُمَدُّ وَهْمٌ يَقْصُرُونَهُ فَيُفْسِدُ مَعْنَاهُ. حديث الشارفين، وأنَّ الفِئنة غُنَّت حمزة فقالت: ألا يا حَمَزُ ذا الشَّرَفِ النَّوَاءِ))⁽⁵⁾.

عوام الرواة يقولون: ذا الشرف النَّوى، يفتحون الشين ويقصرون النَّوى، وفَسَّرَه محمد بن جرير الطبري فقال: النَّوى جمع نواة يريد الحاجة، وهذا وهم وتصحيف، وإنما هو الشرف النَّوَاء جمع شارف. والنَّوَاء: جمع ناوية وهي السمينه⁽⁶⁾.
وقال - أيضاً - : ((فأما ما سبيله أن يقصر وهم يمدُّونه، فكقوله في الحَرَم : لا يُخْتَلَى خلاها))⁽⁷⁾.

والخلا مقصور: ((الحشيش، والمخلَى الحديدَةُ التي يُخْتَشَ بها من الأرض وبه سُمِّيت المِخلَة، فأما الخَلَاء ممدوداً فهو المكان الخالي))⁽⁸⁾.

وفي ما نُسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا تُثَي في الصَّدَقَة))⁽¹⁾، مقصورة مكسورة الثاء: أي لا تُؤخَذ في السَّنة مرتين. قال الأصمعي. ومن رواه: ((لا ثَنَاء في الصَّدَقَة)) ممدوداً يذهب إلى أن من تصدَّق على فقير طَلَبَ المَدْحَ والثناء، فقد بطل أجره فقد أبعد الوهم⁽²⁾.
- (والمَعَى) في ما نُسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((المؤمن يأكل في مَعَى واحدٍ))⁽³⁾ مكسور الميم مقصور لا يُمدُّ⁽⁴⁾.

- (وأضاة) على وزن قَطَاة في ما نُسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أنَّ جبريل أتى النبي (صلى الله عليه) عند أضاة بني غفار))⁽⁵⁾، والعامَّة يقولون: أضاة بني غفار ممدودة الألف وهو خطأ⁽⁶⁾.

(1) من مدونتي الخاصة لمحاضرات أستاذنا الدكتور السالم في مادة القضايا الصرفية في 2006/8/3

(2) ينظر على سبيل المثال: المخصص، 16/16 (الشراء)، واللسان، 15/453 (هؤلاء)، والمصباح، 760 (لطي)

(3) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 555، والأصوات اللغوية، د: غالب، 212، واللهجات العربية نشأة وتطوراً، 322، واللهجات العربية في القراءات القرآنية، 168

(4) غريب الخطابي، 242/3، وينظر: غريب القاسم، 212/1، والفائق، 26/3، والنهاية، 304/3 (عمى)، وأخرج الحديث الترمذي في تفسيره سورة هود، 288/5، وابن ماجه في المقدمة، 65/1 والإمام احمد في مسنده، 11/4، 12

(5) أخرجه البخاري في الشرب، 149/3، والمغازي، 105/5، ومسلم في الأشربة، 1568/3

(6) غريب الخطابي، 242/3، 243

(7) أخرجه البخاري في الحج، 19/3، ومسلم في الحج، 987/2، وأبو داود في المناسك، 212/2

(8) غريب الخطابي، 243/3

(1) غريب القاسم، 98/1 (ثنى)

(2) غريب الخطابي، 244/3، وينظر: غريب القاسم، 98/1 (ثنى)

(3) أخرجه مالك في الموطأ، 924/2، والبخاري في الأطعمة، 92/7، ومسلم في الأشربة، 1631/3

(4) غريب الخطابي، 244/3، وينظر: ادب الكاتب، 177

(5) أخرجه مسلم في الحج، 857/2، 858، وأبو داود في المناسك، 170/2، وابن ماجه في المناسك، 1031/2

(6) غريب الخطابي، 244/3



ويظهر ممّا عُرض في هذا الموضع أنّ الخطابي يريد أن يُنبّه المتلقي على جملة من الانحرافات الأدائية التي صدرت عن بعض النقلة الذين سمّاهم بعوام الرواة أو العامة وهم يصدرون عن الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهو يوازن بين مستويين من الأداء، بين الأصل الفصيح الثابت في حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين ما تفرّع عن بعض الرواة فشدّ عن الأصل، بما يُؤدّي إلى تغيير في الدلالة - أحياناً - ومعتمده في ذلك - غالباً - ثقافته اللغوية وما اختزنه في ذاكرته ممّا سمعه أو نقل إليه عن العلماء (7) .

وأهم ما في هذا المطلب أنّ ما نُسب إلى أهل الحجاز من إثارة المد لم يكن حالةً مُتأبّبة في ما نُسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويرجع ذلك إلى أنّ أداءه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان حالة خاصة تجاوزت ما عليه أبناء قبيلته، بل تخطّت ما يُسمّى بالأثر اللهجي عند المحدثين إلى خطاب خاص لا نجده إلا في القرآن أو في لغته هو (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلكلّ لفظٍ من ألفاظه ما يُناسبه من دلالة .

وهذا لا يمنع أن يرتكب غيرُه ممّن ليس في مقامه بعضاً من هذه الانحرافات التي تشدّ عن الأصل، على ما أثر عن بعض المحدثين أو العوام من الرواة بحسب ما ذكر الخطابي على الأقل، إلا أنّها تعكس - بلا شك - نوعاً من النسق النطقي الشائع حينذاك بين هؤلاء .

ويقع الباحث على طائفة من الأمثلة التي نُسبت إلى قرشيين وقد جرّت على المدّ . فمن ذلك في حديث ابن عباس: ((ما كانت المُتعة إلا رحمةً رحمَ الله بها أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ولولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزناء إلا شفى)) ، أي إلا قليلاً من الناس (8) والزّناء يُمدّ ويُقصر (1) .

وما نُسبه اللغويون من أنّ القصر للحجاز بخلاف نجد وتميم، فهما يمدّان (الزنى) (2) ، فلا يعني ذلك شمول قریش بهذا التوصيف، بزعم أنّها جزء من الحجاز، إذ اختلفت كثير من الوحدات الصغرى عن بيئاتها الكبرى، بسبب المجاورة والمخالطة لبيئات أخرى، ويمكن أن يحدث هذا مثلاً لقریش وتميم اللتين ارتبطتا بعلائق دينية واجتماعية وثقى - كما مر (3) - ويمكن أن يكون إثارة المدّ في هذا اللفظ بأثر تميمي على ما مرّ وقال الفرزدق التميمي (4) :

أبا حاضرٍ مَنْ يَزِنُ يُعْرِفُ زَنَاؤُهُ وَمَنْ يَشْرِبُ الْخُرْطُومَ يُصْبِحُ مُسْكَراً (5)

- ونُسب إلى عمر (رضي الله عنه) أنّه حينَ قدم مكة فأدّن أبو محذورة فرفع صوته فقال: ((أما خَشِيت يا أبا محذورة أن تَنشَقَ مَرِيْطَاوَك)) ، نقل القاسم - بعد روايته الحديث - عن الأصمعي: ((المَرِيْطَاء ممدودة وهي ما بين السرة إلى العانة، وكان الأحمر يقول: هي مقصورة، وكان أبو عمرو يقول: تُمدّ وتقصر، ولا أرى المحفوظ من هذا إلا قول الأصمعي)) (6) وقال الشاعر:

كَأَنَّ عُرُوقَ مَرِيْطَائِهَا إِذَا لَصَّتِ الدَّرْعَ عَنْهَا الْحَبَالُ (7)

وسمّع بعضهم أعرابياً ينطقها: (مَرِيْطاي) ، وقد حكاها الهروي في (الغريبين) على ما يذكر ابن منظور (8) .

(7) وللاستزادة و الإفادة ينظر: ما أفرده الخطابي ممّا سمّاه (ألفاظ من الحديث يرويها أكثر الرواة والمحدثين ملحونة ومُحرّفة أصلحناها لهم واخبرنا بصوابها وفيها حروف تحتل وجوهاً اخترنا منها أثبتنا وأوضحها، غريب الخطابي، 257-219/3، وينظر: كتابه: إصلاح خطأ المحدثين بتحقيق د: حاتم صالح الضامن

(8) النهاية، 488/2 (شقا)

(1) ينظر: أدب الكاتب/180، والصاح، 332/6 (زنى)

(2) ينظر: الصاح، 332/6، واللسان، 359/14 (زنا)

(3) ينظر: لهجة تميم/19

(4) ينظر: طبقات الشعراء/75، والشعر والشعراء/374

(5) ديوانه/383، وينظر: الصاح، 332/6، واللسان، 359/14 (زنا)

(6) غريب القاسم، 298/3، وينظر: الفائق، 359/3، والنهاية، 321/4 (مرط)

(7) البيت في اللسان، 401/7 (مرط) بلا نسبه

(8) ينظر: اللسان، 400/7 (مرط)



- ونُسِبَ إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إِذَا مَشَتْ أُمِّي الْمُطِيطَاءُ وَخَدَمَتُهُمْ فَارِسَ وَالرُّومَ كَانَ بِأُسْهُمَ بَيْنَهُمْ))⁽⁹⁾. قال الزمخشري وتبعه ابن الأثير: ((هي ممدودة ومقصورة، بمعنى التَّمْطِي وهو التَّبَخُّرُ وَمَذَّ الْيَدَيْنِ))⁽¹⁰⁾. ونَصَّ اللغويون على أنه بالمدِّ على الأصل⁽¹¹⁾، ونُسِبَ ابن منظور إلى الأصمعي وغيره: ((الْمُطِيطَى بِالْمَدِّ وَالْقَصْر: التَّبَخُّرُ وَمَذَّ الْيَدَيْنِ فِي الْمَشْيِ))⁽¹²⁾. لكن القاسم يَنْسِبُ إلى الأصمعي وغيره قوله: ((المُطِيطَاءُ: التَّبَخُّرُ...))⁽¹³⁾، وهو الصحيح مؤيداً بما نَصَّ عليه ابن دريد⁽¹⁴⁾. وأشار إليه الجوهري⁽¹⁵⁾ في هذا الموضع.

- وعلى القصر جاء حديث عامر بن الطفيل، أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مَا هَذِهِ الْعِبْدَا حَوْلَكَ يَا مُحَمَّدٌ؟)) أَرَادَ الْفُقَرَاءَ أَهْلَ الصِّفَةِ. وكانوا يقولون: أَتُبْعُهُ الْأَرْذَلُونَ⁽¹⁾. وَالْعِبْدَاءُ وَالْعَبْدَى بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ الْعَبِيد⁽²⁾. وأنشد يعقوب عن الفراء:

تَرَكْتُ الْعِبْدَا يَنْفُرُونَ عِجَانَهُ كَأَنَّ غُرَاباً فَوْقَ أَنْفِكَ وَاقِعٌ⁽³⁾

وعامر بن الطفيل عامري قيس⁽⁴⁾، وتغلب على قيس - عموماً - صفة البداوة - كما مر - ولعلَّ ما نُسِبَ مِنْ مَدٍّ إِلَى بَعْضِ الْقَرَشِيِّينَ وَمَا نُسِبَ مِنْ قَصْرِ إِلَى غَيْرِهِمْ يُقَوِّي الزَّعْمَ بِإِثَارِ الْحُضَرِ لِلْمَدِّ وَإِثَارِ الْبَدْوِ لِلْقَصْرِ كَالْأَمْثَلَةِ الَّتِي سَمِعْتَ عَنْ بَعْضِ الْأَعْرَابِ وَمَا سَمِعَ عَنْ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ - هُنَا - لَكِنَّ ذَلِكَ - كَمَا مَرَّ - لَيْسَ مُتَلَبِّباً فِي هَذِهِ الْقِبَائِلِ، إِنَّمَا هُوَ تَرْجِيحٌ وَلَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ أَنَّ نِظَامَ ((الْهَجَاتِ لَيْسَ نِظَاماً رِیَاضِیّاً بَحْتاً وَلَا قَانُوناً يَلْتَزِمُ السَّيْرَ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ الشَّدُوذَ فِيهِ هُوَ الْقَاعِدَةُ))⁽⁵⁾.

وينبغي للباحث أن يكون على حذرٍ ممَّا صدرَ عن الشعراء فهم على ما يصف ابن فارس: ((أَمْرَاءُ الْكَلَامِ يُقْصِرُونَ الْمَمْدُودَ وَيَمْدُونَ الْمُقْصُورَ، وَيُقَدِّمُونَ وَيُؤَخِّرُونَ، .. وَيَخْتَلْسُونَ وَيَعِيرُونَ وَيَسْتَعِيرُونَ))⁽⁶⁾، فهم قد لا يمتثلون ببيئاتهم أحسن تمثيل، تبعاً لجملة من المُعْطِيَاتِ الَّتِي يَحْكُمُونَ بِهَا وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَيْهَا سَابِقاً⁽⁷⁾.

ويظهر - أيضاً - مِنْ تَأَمَّلِ بَعْضِ النُّصُوصِ الَّتِي أوردَها الْخَطَّابِيُّ أَنَّ الْقَصْرَ فِي جَمَلَةٍ مِنْ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي سَمِعَهَا عَنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَبَعْضِ الْعَامَّةِ مَتَطَوَّرَ عَنِ الْمَدِّ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ، فَمِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ بِالْمَدِّ وَجَرى عَلَى أَلْسِنِ الْمُحَدِّثِينَ أَوْ الْعَامَّةِ بِالْقَصْرِ:

- قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((صِيَامَ عَاشُورَاءَ كَفَّارَةٌ سَنَةٍ))⁽⁸⁾، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: ((عَاشُورَاءَ مَمْدُودٌ وَالْعَامَّةُ تَقْصِرُهُ))⁽⁹⁾.

- وَمِمَّا يُمَدُّ وَهُمْ يُقْصِرُونَهُ، قَوْلُهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((أَثْبُتْ جِرَاءً))⁽¹⁰⁾، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: ((سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍ يَقُولُ: أَصْحَابُ الْحَدِيثِ يُخْطِئُونَ فِي هَذَا الْاسْمِ... يَقْصِرُونَ الْأَلْفَ وَهِيَ مَمْدُودَةٌ... قَالَ وَإِنَّمَا هِيَ جِرَاءٌ. قَالَ الشَّاعِرُ:

(9) غريب القاسم، 223/1، والفائق، 371/3، وغريب ابن الجوزي، 363/2، والنهاية، 340/4 (مطط)

(10) الفائق، 371/3، والنهاية، 340/4 (مطط)

(11) ينظر: غريب القاسم، 223/1، والصاحح، 408/3

(12) اللسان، 404/7 (مطط)

(13) غريب القاسم، 223 /1، وينظر: وغريب ابن الجوزي، 363/2 (مطط)

(14) ينظر: الجمهرة، 109/1 (طمم)

(15) ينظر: الصاحح، 408/3 (مطط)

(1) النهاية، 169/3 (عبد)

(2) الفائق، 162/3 (قحل)، وينظر: الجمهرة، 299/1، والمخصص، 14/16، واللسان، 271/3 (عبد)

(3) ينظر: غريب الخطابي، 440/1

(4) ينظر: الشعر والشعراء، 194

(5) ينظر: اللهجات العربية في التراث، 443/1

(6) الصاحبي، 231

(7) ينظر: المبحث الخامس من هذا الفصل

(8) غريب الخطابي، 240/3، والحديث في سنن الترمذي، 126/3

(9) غريب الخطابي، 240/3

(10) الخطابي، 240/3، وأخرجه أبو داود في السنّة، 211/4، والترمذي في المناقب، 625/5، وابن ماجه في المقدمة، 48/1



ورَاقٍ لير في حِراءٍ ونازلٍ⁽¹⁾ .
 - وفي حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أَنَّهُ رَكِبَ نَافَثَةَ الْقَصَواءِ يَوْمَ عَرَفَةَ))⁽²⁾ , قال الخطابي:
 ((الْقَصَواءُ: مفتوحة القاف ممدودة الألف, هي المقطوعة طرف الأذن.... وأكثر أصحاب الحديث
 يقولون: الْقَصَوَى وهو خطأ فاحش...))⁽³⁾
 - ونُسبَ إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الذهب بالذهب رباً إلا هاء وهاء))⁽⁴⁾ ممدودان, والعامّة تزويهما:
 هاً وَهأ مقصورين, ومعنى هاء: خُدْ⁽⁵⁾ .
 وكلُّ ما صدر عن هؤلاء جاء في أزمان متأخرة وقد شذَّ عن الأصل الفصيح الذي ورد في ما
 نُسبَ إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهذا دليل تطوُّره عن هذا الأصل.
 ثُمَّ إِنَّ جنوح هؤلاء إلى القصر يعود إلى أَنَّهُم يميلون إلى السرعة في النطق فلا يعطون الحروف
 حَقَّها كاملاً في الأداء, وذلك لاقتصادهم في الجهد العضلي, ونسمع الآن في العراق من أمثالهم
 العامية: ((أصابعك مو سوا)) , يعنون: سواء...
 بل جنحوا في المثال الأخير على ما يبدو إلى نبر المقطع الأخير عن طريق حذف صوت المدِّ
 الموجود في نهاية المقطع المنبور وإحلال الهمزة محلَّه⁽⁶⁾ , ممَّا أدَّى إلى غلق هذا المقطع أولاً
 وتوفير نوع من النبر ينسجم مع ميول هؤلاء التي تبدو عليها صفة البداوة التي تجنح إلى السرعة
 في النطق إلى جانب رفع الصوت طلباً لقوة الإسماع .

المبحث الثامن التذكير والتأنيث

يجري الجنس اللغوي على منطق خاصٍّ, بمعنى أَنَّ الجنس اللغوي لا يُطابق الجنس في الواقع
 الطبيعي, فالاصطلاح وحده هو الذي ذَكَرَ (الهواء) وأنثَ (الأرض) و(السماء) في العربية⁽¹⁾
 والجنس من الفصائل النحويّة المهمّة التي تبرز في أكثر اللغات منذ أقدم العصور بروزاً قوياً,
 فاستعمال علامات تدلّ على أَنَّ الاسم مُمَيَّز من ذاك أمر حَرَصَت عليه تلك اللغات حرصاً بالغاً,
 ودراسة الجنس دراسة تاريخية تُبيِّن أَنَّهُ كالأصوات وكالمعاني مثلاً خاضع للتغيير والتطور⁽²⁾ ,
 ولعلَّ ذلك واضح في الدراسة المقارنة للتذكير والتأنيث في اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة

(1) غريب الخطابي, 240/3, 241, وأخرج الحديث البخاري في البيوع, 97/3, ومسلم في المساقاة, 1210/3

(2) غريب الخطابي, 240/3, وأخرج الحديث مسلم في الحج, 886/2, 892, والدارمي في المناسك, 45/2, وابن ماجه في المناسك,
1022/2, 1025

(3) غريب الخطابي, 241/3

(4) المصدر نفسه, وأخرج الحديث البخاري في البيوع, 97/3, ومسلم, في المساقاة, 1310/3, وابو داود في البيوع, 248/3

(5) غريب الخطابي, 241/3, ولمزيد من الأمثلة ينظر: هذا المصدر/219-257

(6) ينظر: في الأصوات اللغوية, د: غالب/181, وما نقلناه للأستاذ الدكتور السالم في حقيقة الممدود والمقصور/ص315 من هذا المبحث

(1) ينظر: علم اللغة للسعران/234

(2) ينظر: المصدر نفسه/234, 235



كالساميات فمثلاً (البطن) مذكر في العربية مؤنث في العبرية، وكذلك (عصفور) فهو مذكر في العربية مؤنث في العبرية⁽³⁾.

ونجد ظاهرة تغير الصفة (الجنسية) في اللغات العربية، إذ جنح بعضها في طائفة من الألفاظ إلى التذكير وجنح آخرون إلى التأنيث في هذه الألفاظ، وكذلك وقع الخلاف في هذه عند الرواة والمحدثين وغيرهم في الأزمان التي تلت عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته وتابعيهم، وهو ما يمكن فهمه مما عرضه مصنفو غريب الحديث من أمثلة تتعلق بمورد التذكير والتأنيث من ذلك:

- قال القاسم بن سلام في حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مَنْ بَاعَ نَخْلًا قَدْ أُبْرِتْ فَثَمَرَتِهَا لِلْبَائِعِ إِلَّا أَنْ يَشْتَرِطَ الْمُبْتَاعُ)): ((أَهْلُ الْحِجَازِ يُؤْنِثُونَ النَّخْلَ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ يُذَكِّرُونَ، وَكَذَلِكَ الشَّعِيرُ))⁽⁴⁾، وزاد ابن منظور أنَّ أهل نجد يُذَكِّرُونَ ثم أنشد للشاعر في تذكيره:

كَنَخْلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ غَيْرِ مُنْبَقٍ⁽⁵⁾

ونُسبَ التذكير إلى تميم - أيضاً⁽⁶⁾ - وقد جاء في القرآن بالتذكير: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَانُ نَخْلٍ مُنْقَعٍ﴾⁽⁷⁾ بالتأنيث ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَانُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾⁽⁸⁾ و﴿النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾⁽⁹⁾.

- وفي الحديث: ((بَذْهَبَ لَمْ تُحْصَلْ مِنْ تَرَابِهَا)) أي لم تخلص... ذكر ابن الأثير أنَّ الذهب يُذَكَّرُ ويؤنث⁽¹⁰⁾.

وجاء في (اللسان): ((الذهب: معروف، وربما أنث... الذهب التبر القطعة منه ذهب، وعلى هذا يذكر ويؤنث على ما ذكر في الجمع الذي لا يفارقه واحده إلا الهاء... وأهل الحجاز يقولون: هي الذهب، ويقال نزلت بلغتهم: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتَرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾، ولولا ذلك لغلَبَ المذكر المؤنث... وسائر العرب يقولون: هو الذهب))⁽²⁾.

ونُسبَ التذكير - هنا أيضاً - إلى تميم⁽³⁾.

- وقال ابن قتيبة: ((العسل يؤنث ويذكر والأغلب عليه التأنيث)) وأنشد للشماخ:

كَأَنَّ عَيُونَ النَّاطِرِينَ تَشْوِقُهَا
بِهَا عَسَلٌ طَابَتْ يَدَا مَنْ يَشُورُهَا⁽⁴⁾

وينقل ابن منظور أنَّ ((العرب تُذَكِّرُ العسل وتؤنثه وتذكيره لغة معروفة، والتأنيث أكثر))⁽⁵⁾.

- وقال ابن قتيبة عقيب كلامه على العسل: ((وكذلك الضرب، وهو العسل الغليظ يذكر ويؤنث. قال الهذلي أبو ذؤيب:

فَمَا ضَرَبَ بِيضَاءِ يَأْوِي مَلِكُهَا
إِلَى طُنْفٍ أَعْيَا بَرَاقٍ وَنَازِلٍ⁽⁶⁾

- وفي حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((... لَا حَتَّى تَذُوقِي عَسِيلَتَهُ وَيَذُوقَ عَسِيلَتَكَ...))⁽⁷⁾، يرى بعض اللغويين أنَّ تصغير (عسيلة) على لغة التأنيث، ذهاباً إلى أنَّها قطعة من الجنس وطائفة منه⁽⁸⁾ ويبدو

(3) ينظر: لهجة تميم/275، ودروس في العبرية: ربحي كمال/96، ولمزيد من التفصيل حول موضوع التذكير والتأنيث، تاريخه وتطوره ينظر إلى جانب ما ذكر من مصادر: المدخل إلى علم اللغة د: رمضان عبد التواب/251-265، ولهجة قبيلة أسد/159-16

ومحاضرات في فقه اللغة د: عصام نور الدين/237-256، وغيرها

(4) غريب القاسم، 1/350-351، وينظر: النهاية، 13/1 (أبر)

(5) اللسان، 11/652 (نخل)

(6) ينظر: التبيين، 1/298، والمحكم، 5/119 (نخل)، والبحر المحيط، 5/511

(7) القمر/20

(8) الحاقة/7

(9) الرحمن/11

(10) النهاية، 1/396 (حصل)

(1) التوبة/34

(2) اللسان، 1/394، وينظر العين، 4/40 (ذهب)

(3) ينظر: المزهر، 2/277، والتاج، 1/258 (ذهب)

(4) غريب ابن قتيبة، 1/207، وديوان الشماخ/163، وينظر: معجم مقاييس اللغة، 4/313 (عسل)

(5) اللسان، 11/444، وينظر: الصحاح، 5/28 (عسل)

(6) غريب ابن قتيبة، 1/208، وينظر: شرح أشعار الهذليين، 1/142، وإصلاح المنطق/360، والصحاح، 1/254، واللسان، 1/5

(ضرب)



أنَّ هذا مذهب ابن قتيبة قال: ((ولو صَغُرَتْ على مذهب التأنيث لَقِلَتْ: ضُرَيْبِيَّةٌ كما قِلَتْ عُسَيْلَةٌ)) (9) , وإذا صَحَّ هذا عن هؤلاء اللغويين فيكون ما ورد في حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) على اللغة الأكثر أو الأغلب .

ومن العسير تحليل ميل بعض العرب إلى التذكير وميل آخرين إلى التأنيث, ذلك أنَّ فكرة التأنيث والتذكير قد اختلطت بعناصر لا تمت للمنطق العقلي بسبب (10) , كما أنَّ هذه العناصر غير محددة وتختلف بين بيئة وأخرى فما يكون مسوِّغاً للتذكير عند أناس قد يكون مسوِّغاً للتأنيث عند آخرين . ويظهر من تأمل أقوال اللغويين في هذا الموضوع أنَّ الجنس المميز واحده بهاء التأنيث يذكر في لغة تميم أو نجد ويؤنث في لغة أهل الحجاز (11) . وليس من الصعب أن نفهم أنَّ كلمات مثل: (نخل) (ذهب وتمر) وما إليها, ممَّا كان واحده بالهاء وجمعه بطرحها يكون مذكراً عند بعضهم ومؤنثاً عند آخرين, أي إنَّ فكرة تذكير لفظة (نخل) ارتبطت في أذهان التميميين أو النجديين بالجمع, في حين ارتبطت فكرة تأنيثها عند الحجازيين بالمفرد (12) .

قال القاسم بن سلام بعد أن نسب تأنيث النخل إلى أهل الحجاز وتذكيرها إلى أهل الحديث: ((فإذا قالوا: نخيل, لم يختلفوا في التأنيث, والتمر والسدر, وكلما كان جمعه على لفظ الواحد مثل تمره وتمر ونخلة ونخل, وكلما جاءك من هذا فهو مثل الأول)) (2) .

وتأول المبرد ذلك بقوله: إنَّ ((هذه الأجناس التي ليس بين واحدتها وجمعها إلا الهاء سمتها أنَّ مؤنثها لا يكون له مذكر من لفظه, لأنَّه لو كان كذلك ألتبس الواحد المذكر بالجمع وجملتتها أنَّها مخلوقات على هيئة ذلك قولك: نخل وشجر وبر وتمر وشعير وسمك وبقر, فكلُّ هذا ليس لمؤنثه مذكر من لفظه كما تقول قائم وقائمة وصاحب وصاحبة وكذلك جميع النعوت)) (3) .

- وفي قول العباس بن عبد المطلب يمتدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

وأنتَ لَمَّا وَلَدْتَ أَشْرَقْتَ الـ أَرْضَ وَضَاعْتَ بَنُورَكَ الْأَفَقَ .

قال الزمخشري بعد إنشاده شعر العباس: ((أنتَ الأفق ذهاباً إلى الناحية, كما أنتَ الأعرابي الكتاب على تأويل الصحيفة, أو لأنَّه أراد أفق السماء, فأجرى مجرى ذهبته بعض أصابعه, أو أراد الأفق, أو جمع أفقاً على أفق, كما جُمع فُكٌّ على فُلك)) (4) .

وممَّا يتصل بذلك قول أبي عمرو بن العلاء: ((سمعت أعرابياً يمانياً يقول: فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها فقلت: تقول: جاءته كتابي, فقال: أليس بصيحة)) (5) .

ويبدو أنَّ الصفة الجنسية للأسماء ارتبطت في أذهان الشعوب بهذا أو ذاك ولعلَّ سماع العلماء أو الرواة من أفواه العرب كالذي جرى بين أبي عمرو وهذا الأعرابي ممَّا يعزِّز ذلك. ويظهر أنَّ ما قرَّره العلماء من تفسير للصفة الجنسية بارتباطها ببعض الأفكار كارتباط التذكير عند التميميين بالجمع لم يكن بعيداً عن الواقع, فالذي جرى بين أبي عمرو وهذا الأعرابي أقرب إلى المنهج الوصفي في تفسير الظواهر اللغوية, وهذا ليس ببعيد عن أفكار اللغويين إجمالاً في تفسير هذه الظاهرة.

وثمة ظاهرة أخرى - هنا - هي أنَّ بعض العرب مالوا إلى وضع لاحقة للتأنيث - كتاء التأنيث - لألفاظٍ وردت مجردة منها, فقد أوثر عن بني تميم أنَّهم أنثوا عفرية فقالوا عفراة (6) . وأنَّ أهل الحجاز (يضعون الزوج) للمذكر والمؤنث وضعاً واحداً, تقول المرأة: هذا زوجي ,

(7) غريب الخطابي, 544/1-547, وأخرجه أحمد في 229/6

(8) المصباح/409 (عسل)

(9) غريب ابن قتيبة, 208/1

(10) ينظر: من أسرار اللغة/148

(11) ينظر: التبيان, 298/1, والبحر المحيط, 380/3, و511/5

(1) ينظر: لهجة تميم/279

(2) غريب القاسم, 209/1

(3) المذكر والمؤنث للمبرد/115

(4) الفائق, 124/3 (فضض)

(5) الجمهرة, 319/1, ومعجم مقاييس اللغة, 256/5 (لغب)

(6) ينظر: البحر المحيط, 76/7



ويقول الرجل: هذا زوجي، قال الله عز وجل: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾⁽¹⁾ و﴿أَسْكِنْكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾⁽²⁾ ... وبنو تميم يقولون: هي زوجته، وأبى الأصمعي فقال: ((زوج لا غير...))⁽³⁾ وقيل إن أهل نجد يقولون في المرأة زوجة وأهل الحرم يتكلمون بها⁽⁴⁾. ومما يتصل بذلك ما ينقله ابن قتيبة في (غريبه): ((وقد تقول العرب للجارية: غُلَامة. قال الشاعر:

تَهَانُ لَهَا الْغُلَامَةُ وَالْغَلَامُ⁽⁵⁾))

ونصَّ ابن دريد على ذلك⁽⁶⁾.

وقد نسب اللغويون هذا الشعر إلى أوس بن غلفاء الهجيمي⁽⁷⁾ وأوس جاهلي من تميم⁽⁸⁾. - وقال ابن قتيبة عقيب إنشاده لشعر أوس: ((ولو قال للرجال لم يكن إلا رجُلُه، قال الشاعر:

هَتَكُوا جِيبَ فَتَاتِهِمْ لَمْ يُبَالُوا حُرْمَةَ الرَّجُلِ⁽⁹⁾))

وحكى ابن الأعرابي: ((أن أبا زياد الكلابي قال في حديث له مع امرأته: فَتَاهِيحَ الرجلان، يعني نفسه وامرأته، كأنه أراد فتاهيح الرجل والرجلة فغلب المذكر))⁽¹⁰⁾، وكلاب بطن من عامر بن صعصعة من القبائل القيسية⁽¹¹⁾.

ويظهر أن تطوُّراً حصل في هذه الألفاظ، بعضه كان محدوداً زماناً ومكاناً كما في لفظتي (غُلَامة ورجلة)، وبعضه الآخر شاع عند كثير من العرب وامتدَّ به الزمن إلى عصرنا، فلفظ (زوجة) مثلاً، بدأ يُزيح الأصل الفصيح عن بعض من حيزه الدلالي منذ زمن بعيد، قال الكسائي: ((أكثر كلام العرب بالهاء وطرح الهاء لغة لأزد سنة))⁽¹²⁾، وهذا ما جرى في العصور اللاحقة ثم امتدَّ إلى لهجات التخاطب في العصر الحديث.

وقد ذهب الدكتور محمود حجازي في ظهور لفظة زوجة إلى قولين، الأول: يذهب إلى أن الصيغة العامية (زوجة) كانت امتداداً للصيغة الآرامية (زوجا)، والثاني: أن كثيراً من العرب أنثوا كلمة (زوج) للتمييز بين المذكر والمؤنث⁽¹³⁾.

ويحمل على ذلك كثير من الأسماء التي تطورت عن أصولها نحو: (خادم) الذي يقع على المذكر والمؤنث. قال الزمخشري وتبعه ابن الأثير: ((الخادم: الجارية بغير تاء تأنيث، لإجرائها مجرى الاسماء غير المأخوذة من الأفعال، ومثلها: لحيّة وامرأة عاتق))⁽¹⁾.

وقد أسندت هذه الألفاظ في النصوص القديمة إلى ضمائر التذكير مرةً وإلى ضمائر التأنيث مرةً. فمما ورد على التذكير ما يُنسب إلى علي وفاطمة (عليهما السلام): ((اسألي أباك خادماً يقيك حرّاً ما أنت فيه))⁽²⁾. وفي رواية: ((تقيك حرّاً...))⁽³⁾ وفي (البحار): ((يكفيك حرّاً...))⁽⁴⁾.

(1) البقرة/35

(2) الأحزاب/37

(3) اللسان، 292/2 (زوج)

(4) مجمع البحرين، 308/2 (زوج)

(5) غريب ابن قتيبة، 235-234/1، وينظر العين، 442/4 (غلم)

(6) ينظر: الجمهرة، 149/3 (غلم)

(7) ينظر: المصدر نفسه، 149/3، واللسان، 440/12 (غلم)

(8) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة/389

(9) غريب ابن قتيبة، 235-234/1، وينظر: اللسان، 266/11 (رجل)

(10) اللسان، 266/11 (رجل)

(11) ينظر: معجم قبائل العرب: كحالة، 989/3

(12) التبيان، 156/1، وينظر: تفسير الطبري، 514/1

(13) ينظر: علم اللغة العربية د: محمود حجازي/214، ولهجة تميم/282

(1) ينظر: الفائق، 165/1 (شرب)، والنهاية، 15/2 (خدم)

(2) النهاية، 15/2 (خدم)

(3) اللسان، 166/12 (خدم)

(4) ج194/73، وينظر: غريب الحديث في بحار الانوار، 399/1 (خدم)



ومما ورد على التأنيث ما جاء في حديث عبد الرحمن أنه: ((طَلَّقَ امرأته فَمَتَّعَهَا بخادم سوداء))⁽⁵⁾، فالخادم: ((واحد الخدم، غلاماً كان أو جارية))⁽⁶⁾ هذا هو الأصل عند اللغويين على ما توحى نقولهم في هذا الموضع⁽⁷⁾، إلا أن تطوراً طرأ بعد ذلك على هذا اللفظ، إذ دخلته تاء التأنيث فرقاً بين المذكر والمؤنث، ففي زمن لاحق على ما يبدو أضحووا يقولون: ((هذه خادمتنا بغير هاء... وهذه خادمتنا))، ثم قال ابن منظور عقيب ذلك ناقلاً عن بعض اللغويين: ((والأنثى خادِم وخادمة عربيتان فصيحتان))⁽⁸⁾.

و(الخادمة) بالهاء في المؤنث بدأت محدودة وقليلة⁽⁹⁾، ثم بدأت بالشيوع إلى أن استقرت على ما هي عليه في لهجات التخاطب الدارجة على أقل الفروض. ويظهر أن قوة التاء في التأنيث وتبادرها إليه أكثر من غيرها أدنى إلى أن تزيح بعض أخواتها وتَحُلَّ مَحَلَّها، قال ابن السكيت: ((وما كان من النعوت على فعْلان فأنشأه فعلى هذا هو الأكثر نحو: غضبان غَضْبى... وسكران سكرى... وملآن ملأى. ولغة بني أسد: سكرانة وملانة وأشباههما))⁽¹⁰⁾.
تعقيب:

حاولت في ما سبق أن أعرضَ موضوع التذكير والتأنيث في ضوء ما وَقَعَ عليه من أمثلة في كتب غريب الحديث والذي لا مناص منه أن الصفة الجنسية للأسماء ارتبطت في أذهان الناس بأفكار متباينة لا يمكن تقرير طبيعتها، بمعنى أننا لا نستطيع أن نُقرر لماذا اتصف هذا الاسم بالتذكير وذاك بالتأنيث أو لماذا ارتبطت فكرة الكثرة (أو الجماعة) عند قوم بالتذكير وارتبطت عند آخرين بفكرة التأنيث.

وما فسّر به العلماء المحدثون العلة التي تدور في فلكها الصفة الجنسية في جملة من الألفاظ بالرجوع إلى اللغات القديمة ولا سيما السامية منها وإجراء مقارنة بين هذه اللغات⁽¹⁾ لا يعدو أن يكون بحثاً عن أصول هذه الألفاظ، ولم يصل إلى حقيقة الصفة الجنسية فيها، إلا أن الدراسة النصية لجملة الأمثلة التي عرضها مصنفو غريب الحديث إلى جانب النتائج التي خرج بها بعض اللغويين القدماء تجعل الباحث يخلص إلى أن بعض البيئات العربية ولا سيما البيئات المتحضرة كالحجازية التي تمثلها اللغة القرشية خير تمثيل، بقيت ثابتة ومحافظة على أصول كثير من هذه الألفاظ، في حين مال كثير من العرب ولا سيما التميميين وممن غلبت عليهم البداوة - عموماً - في الأسماء التي تملك صفة جنسية واحدة أو في الألفاظ المشتركة بين المذكر والمؤنث إلى إيجاد مقابل من اللفظ لتلك الصفة، فقالوا: غلام وغلّامة ورجل ورجلة وزوج وزوجة، للتوكيد وجرّصاً على البيان⁽²⁾. وقد جعل النحويون العرب التذكير أصل الأشياء كلها⁽³⁾. واستمر المذكر بغير علامة للتذكير، بل ليس له علامة، لأنه الأول، وألحقوا في أكثر المؤنث من الأسماء والصفات إحدى علامات التأنيث⁽⁴⁾.

ولعلّ هذا يقوّي افتراضاً آخر مؤداه أن علامات التأنيث أو مميّزاتها وردت متأخرة في تاريخ اللغة، فالأصل أن يوضع لكل مؤنث لفظ غير لفظ المذكر، فلما خافوا أن تكثر عليهم الألفاظ ويطول عليهم الأمر اختصروا ذلك بأن وضعوا علامة فرقوا بها بين المذكر والمؤنث اسماً كان

(5) الفائق، 256/1، والنهاية، 15/2 (خدم)

(6) الصحاح، 237/5، والفائق، 357/1، واللسان، 166/12، والنهاية، 15/2، وينظر: الجوهري، 202/2 (خدم)

(7) المصادر السابقة

(8) اللسان، 167/12 (خدم)

(9) ينظر: المصباح، 165 (خدم)

(10) إصلاح المنطق، 358، واللسان، 372/4 (سكر)

(1) ينظر على سبيل المثال: من أسرار اللغة، 134-139، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، 251-256، وعلم اللغة مقدمة للقرآن العربي، 234-236، ومحاضرات في فقه اللغة، 237-256، وغيرها

(2) ينظر: الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، 31

(3) ينظر: الكتاب، 241/3، 244

(4) ينظر: المذكر والمؤنث لأبي بكر بن القاسم الأنباري، 48



نحو(امريء وامرأة) أو صفة نحو(ضارب وضاربة) , ثُمَّ أَنَّهُمْ تَجَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَى أَنْ جَمَعُوا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْعَلَامَةِ, زِيَادَةً فِي الْبَيَانِ وَالتَّوَكُّيدِ - كما مر (5) - .

هذه النظرية العربية تشبه إلى حَدٍّ بَعِيدٍ النظرية العبرية والسريانية في التفريق بين المذكر والمؤنث, فبموجبهما لم تكن اللغة في بدايتها تُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَذْكَرِ وَالْمُؤنَّثِ بِعَلَامَةٍ, بَلْ وَضَعَتْ لِكُلِّ مِنْهُمَا لَفْظًا خَاصًّا بِهِ (6) .

وَيُسْتَنْتَجُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَكُونُوا لِيُمَيِّزُوا فِي الْبَدَايَةِ بَيْنَهُمَا بَلْ أَطْلَقُوا لَفْظَةً مَعِينَةً عَلَى نَوْعِ الْحَيَوَانِ سِوَاءَ كَانَ ذَكَرًا أَمْ أُنْثَى مِثْلَ: إِنْسَانٍ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ثُمَّ قَالُوا: رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ, ثُمَّ قَالُوا: رَجُلٌ وَرَجُلَةٌ, كَمَا قَالُوا: امْرُؤٌ وَامْرَأَةٌ ثُمَّ إِنْسَانٌ وَإِنْسَانَةٌ وَكَقَوْلِهِمْ: أَسَدٌ لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤنَّثِ ثُمَّ أَسَدٌ وَلَبْؤَةٌ وَأَسْدَةٌ وَلَبْؤَةٌ وَلَبْؤَةٌ, وَقَدْ عَزِيَ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا التَّغْيِيرِ وَالتَّطَوُّرِ إِلَى الْاِخْتِلَافِ الْقَبْلِيِّ وَإِلَى حَسَنِ الْعَرَبِيِّ أَيْضًا (1) .

وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ مَعَ كَثِيرٍ مِنَ الْاِحْتِرَازِ إِنَّ فِكْرَةَ تَأْنِيثِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي لَزِمَتْ بَعْضًا مِنَ الْحِجَازِيِّينَ وَمِنْهُمْ الْقُرَشِيُّونَ ارْتَبَطَتْ بِصِفَاتِ اللَّيْنِ وَالسَّهْوَةِ الَّتِي تَظْهَرُ أَكْثَرَ عِنْدَ الْحَضَرِيِّينَ, وَالْعَرَبِيُّ أَطْلَقَ عَلَى الْأُنْثَى مَا يَظُنُّهُ سَهْلًا وَلَيِّنًا وَخَصْبًا, وَلَيْسَ ذَلِكَ حَطًّا مِنْ قِيَمَةِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ, فَالْعَرَبِيُّ أَنْتَ أَسْمَاءُ آلِهَتِهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ نَحْوُ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى﴾ (2), وَأَنْتِ

أَسْمَاءُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ, فَهَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعُدَّ تَأْنِيثَهُ لَهَا حَطًّا مِنْ قِيَمَتِهَا أَوْ أَنَّهَا لِعَظَمَتِهَا وَإِيمَانًا بِقُدْرَتِهَا (3) . وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نَفْسَهُ وَظَفَ فِكْرَةَ التَّأْنِيثِ فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ فَجَعَلَهَا أَكْثَرَ مِنْ فِكْرَةِ التَّنْذِيرِ كَمَا رَأَيْنَا فِي لَفْظِ (نَخْل) (4) .

وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ فِكْرَةُ التَّنْذِيرِ ارْتَبَطَتْ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْبَدَوِ وَلَا سِيَمَا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بِالْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْإِبَاءِ, وَهِيَ صِفَاتٌ أَقْرَبُ إِلَى الْخَشُونَةِ وَالْغَلْظَةِ وَدَوَاعِي التَّعْظِيمِ الَّتِي يَطْلُبُهَا الْبَدَوِيُّ (5) .

(5) ينظر: الأشباه ولنظائر في النحو, 31/1

(6) ينظر: محاضرات في فقه اللغة/240

(1) ينظر: محاضرات في فقه اللغة/240, 241

(2) النجم/19, 20

(3) ينظر: محاضرات في فقه اللغة/246

(4) ينظر: هذا المبحث/ص313-314

(5) ينظر: محاضرات في فقه اللغة/245, ولهجة تميم/278, وفي اللهجات العربية/100



مدخل :

الدلالة: هي علاقة اللفظ بالمعنى، فاللفظ دال والمعنى مدلول، والدلالة هي ما ينصرف إليه اللفظ في ذهن من مدرك أو محسوس⁽¹⁾.
ويكون المدلول عرضة للتغيير كلما زاد استعمال اللفظ، وكلما كثر وروده في نصوص مختلفة، أو اختلفت بيئته، ففي كل مرة يوجه ذهن في اتجاه جديد، وهذا يوحي إليه بخلق معنى جديد، غير أن المعنى الجديد لا يضمن لنفسه البقاء مطلقاً، إذ إن المعاني الثانوية المحيطة به تتحضر - دائماً - للظهور عليه واحتلال مكانه⁽²⁾.

وهذا ما يُسمى بـ (تطور الدلالة)، وقد حاول اللغويون المُحدثون أن يحصروا ما يطرأ على المعنى من تغييرات على النحو الآتي⁽³⁾:

1- تغير انحطاطي: من نحو كلمة (المستهتر) التي تعني في الأصل (المولع بالشيء)⁽⁴⁾ ثم انحطت في لهجات أهل العراق فصارت المولع بالأفعال السيئة.

ونص اللغويون ولاسيما مصنفو غريب الحديث على أن (المشعوف) في الأصل الذي (شعفه الحب أي: أحرق قلبه)⁽⁵⁾. ثم انحط عند أهل جبر وناحيته فصاروا يقولون للمجنون مشعوف⁽⁶⁾

2- تغير متسام: من نحو كلمة (الشاطر) فهي في الأصل تعني من أعبأ أهله ومؤدبه خبثاً ثم صارت على ما يبدو تعني الذي أخذ في نحو غير الاستواء⁽⁷⁾. وقد تطورت في لهجاتنا الدارجة إلى الفتى الذكي المثابر، ولا تخفى العلاقة بين الخبث والذكاء⁽⁸⁾.

ويمكن أن يكون منه (العلز) الذي هو في الأصل ((دَمَ كان يُلْخَط بَوْبَر، ويعالج بالنار. وقيل: كان فيه قردان))⁽⁹⁾، ثم قال الزمخشري عقيب ذلك: ((وقيل: العُلْهُز شيء ينبت ببلاذ بني سليم شبه الجذء، له عُقْر، أي أصل رخص كأصل البردي))⁽¹⁰⁾.

فالراجح في ما مضى أن هذا التطور يمثل رُقياً وقوة في هذا اللفظ - على الأقل من وجهة نظر إسلامية - فلقد عاب الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أهل الجاهلية لأكلهم العلهز الذي هو ((شيء يتخذونه في سني المجاعة يخلطون الدَم بأوبار الإبل ثم يشونه بالنار ويأكلونه))⁽¹¹⁾

3- تغيير نحو تعميم المعنى، ويدخل فيه المترادف.

4- تغيير نحو تخصيص المعنى، ويدخل فيه كثير من المشترك اللفظي والأضداد. وسنلاحظ ذلك عند الحديث على هذه الظواهر.

5- تغيير مجال الدلالة، وذلك بانتقال اللفظ من مجال دلالاته إلى مجال دلالة أخرى، لقرب أو تشابه، أو مناسبة بين الدالتين، وهو ما يُسمى بالمجاز، وهو سبيل رُحِب لتطور اللغات. نحو ما نقله الزمخشري في حديث عمر بن عبد العزيز ((فقام فأخذ البطة...))، قال صاحب (الفائق)⁽¹⁾: ((البطة: الدبة بلغة أهل مكة وقيل: هي إناء كالقارورة، وكأنها سُميت بذلك، لأنها على شكل الطائر المعروف)).

ومن ذلك في حديث سعيد: ((أنه بلغه قول عكرمة في الحين أنه ستة أشهر فقال: انتقرها عكرمة))⁽²⁾، قال الخطابي: ((ومعنى انتقرها: أي استخرجها واستنبط علمها من كتاب الله ...

(1) ينظر: الأضداد في اللغة لمحمد حسين آل ياسين/55، وينظر: علم الدلالة، دراسة وتطبيقاً، د: نور الهدى لوشن/23-29

(2) ينظر: دلالة الألفاظ العربية وتطورها، د: مراد كامل/24، ودلالة الألفاظ، د: إبراهيم أنيس/122-133

(3) ينظر: دلالة الألفاظ/152-167، ولهجة تميم/257، 258، واللهجات العربية في القراءات القرآنية/194

(4) ينظر: الصحاح، 594/2، واللسان، 249/5 (هتر)

(5) الصحاح، 91/4، وينظر: معجم مقاييس اللغة، 189/3، والفائق، 87/3، والنهاية، 481/2 (شعف)

(6) ينظر: الفائق، 87/3 (شعف)

(7) ينظر: اللسان، 408/4 (شطر)

(8) ينظر: لهجة تميم/258

(9) الصحاح، 37/3، والفائق، 22/3، وينظر: غريب ابن الجوزي، 125/2، وغريب الحديث في بحر الأنوار، 89/3 (علهز)

(10) الفائق، 22/3، وينظر: النهاية، 293/3 (علهز)

(11) غريب الحديث في بحر الأنوار، 89/3 (علهز)، وينظر: قول الإمام (عليه السلام): بحر الأنوار، 8/30

(1) ج1/177، 118، وينظر: النهاية، 153/1 (بطط)

(2) غريب الخطابي، 41/3، والفائق، 21/4، وأخرجه الطبري في تفسيره، 208/13



وأصله من النقر، وهو البحث عن الشيء⁽³⁾ وقال الزمخشري: ((...من قولهم: انتقرت الدابة بحوافرها نقرأ في الأرض إذا احتقرت... يُقال: نقرَ باسم فلان وانتقر إذا سمّاه من بين الجماعة وهو من قولهم: نقر بلسانه: إذا صوّت به، أو اكتتبها وأخذها من عالم، من قول ابن الأعرابي، قال: سمعت أعرابياً من بني عُقيل يقول: ما ترك عِندي نُقارة إلا انتقرها أي ما ترك عِندي شيئاً إلا كتبه⁽⁴⁾)).

والذي يظهر أنّ هذا الأعرابي العُقيلي إنّما استعار الانتقار للكتابة، لدلالة البحث والنقل والتفتيش في كليهما.

6- وهناك تغيير يحصل على الصفة الجنسية، لأنها - على ما مرّ سابقاً - ترتبط بأفكار وانطباعات هي عرضة للتغيير، ويمكن العودة للأمثلة التي عُرِضت في (مبحث التذكير والتأنيث) للإفادة - هنا⁽⁵⁾.

ويبدو أنّ هذه التغييرات في الدلالة تعود - غالباً - إلى اختلاف الوضع البيئي أو الاجتماعي أو الثقافي، إذ إنّ هذا الاختلاف بين بيئات اللغة الواحدة يؤدي حتماً إلى ولادة أنماط من التخاطب داخل هذه اللغة، يُسمّيها المحدثون بـ (اللهجات)، يتبعها اختلاف في المستويات الدلالية لهذه اللهجات⁽⁶⁾. إلا أنّ ثمة عوامل أخرى قد تؤدي إلى توحيد أنماط التخاطب المختلفة داخل اللغة الواحدة، ففي اللغة سبيلان مختلفان، فهناك ميل نحو الانقسام، كما أنّ هناك ميلاً نحو التّوحد، وكلاهما يرجعان إلى عوامل تؤثر في الجماعات هذا التأثير، ويرى بعض الباحثين أنّ الاتجاه نحو الانقسام أقوى، ويمثل عملية تطور طبيعية في كلّ اللغات ويرى آخرون أنّ التوجه نحو التّوحد أقوى، وأنها ستكون كذلك في المستقبل، وحجتهم على ذلك أنّ عدد اللغات في العالم - الآن - أقل بكثير من عدد اللغات في الماضي⁽¹⁾.

ويبدو أنّ اللغة العربية من القسم الثاني، لامتلاكها عوامل التّوحد كالاختلاط والمشاركة بين أبنائها في الحياة العامة ووحدة الأدب والثقافة بينهم - عموماً - يُزاد على ذلك عوامل التّوحيد السياسي التي تُسهّل الالتقاء بين أبناء الأمة الواحدة، ثمّ وسائل الإعلام التي تُسهم إسهاماً فعالاً في التّوحيد اللغوي⁽²⁾.

وقد ساعد هذا على تمثّل العربيّة لكلّ أنماط التخاطب القديمة والحديثة، ويظهر أنّ قُرْب أنماط التخاطب هذه ولاسيما القديمة منها ممّا سَوَّغ هذا التّوحد وقوّاه⁽³⁾.

ولعلّ الدليل الواضح على تمثّل العربيّة الأدبية لأنماط التخاطب هذه (اللهجات) ومستوياتها الدلالية هو نشوء كثير من الظواهر اللغوية كالترادف والاشتراك اللفظي والأضداد وغيرها، التي عكست - غالباً - اختلاف أنماط التخاطب القديمة في تطور دلالة كثير من ألفاظها، ومن ثمّ دخول هذه الدلالات المختلفة في مادة العربيّة.

وسأحاول في هذا الفصل أن يوضّح أثر المستوى الدلالي لاختلاف اللغات في نشوء هذه الظواهر اعتماداً على ما عَرَضه مصنّفو غريب الحديث على النحو الآتي:

(3) غريب الخطابي، 41/3، وينظر: غريب ابن الجوزي، 430/2 (نقر)

(4) الفائق، 21/4 (نقر)

(5) ينظر: الفصل الثالث/المبحث الثامن

(6) ينظر: لهجة تميم/258

(1) ينظر: دلالة الألفاظ/134-151، والتطور اللغوي التاريخي/20-33، ولهجة تميم/258، 259

(2) ينظر: التطور اللغوي التاريخي/26-28

(3) ينظر: الخصائص، 244/1، 245



المبحث الأول الترادف

ومعناه: توالي الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد باعتبار واحد كالإنسان والبشر فلا يُعدُّ ترادفاً ما وقع لاعتبارين كالذاتية والوصفية، ولا يُنكر الترادف في الألفاظ الدالة على اعتبار واحد كالحنطة والبر والقمح⁽¹⁾.

وقد انقسم اللغويون القدامى إلى فئتين في وقوع الترادف في العربية، فئة مؤيدة، وأخرى منكرة، وقد أشار سيبويه إلى هذا الباب بقوله: ((اعلم أن في كلامهم... اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذُهبَ وانطلق))⁽²⁾، وتبعه ابن جني في ما سمّاه بـ (باب في تلاقي المعاني، على اختلاف الأصول والمباني) قال: ((هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، ذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل منها، فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه))⁽³⁾.

ويرى فطرب أن العرب إنما أوقعوا ((اللفظين على المعنى الواحد ليدلّوا على اتساعهم في كلامهم))⁽⁴⁾.

والترادف حقيقة لاشك فيها في كلام العرب، إلا أن بعض القدامى من بالغ فيه⁽⁵⁾ إلى الحد الذي أدى إلى ظهور بعض المنكرين له كأبي علي الفارسي وابن فارس اللذين يذهبان إلى أن الشيء قد يسمّى باسم واحد، كالسيف مثلاً، ثم تكون له عدة ألقاب وأوصاف: كالصارم، والمهند، والحسام،... وما إليها، فهذه عندهما صفات وليست أسماء⁽⁶⁾.

فأما ابن الأعرابي وتلميذه ثعلب فلم يكونا في الواقع من المنكرين للترادف على ما يروي بعض القدماء⁽⁷⁾، ويذهب بعض المحدثين⁽⁸⁾، بل كانا من المثبتين له، وآية ذلك ما ورد في آثارهما، ففي كتاب (البئر) لابن الأعرابي: ((بئر زوراء، وبُحُول: إذا كان في حلقها عوج))⁽⁹⁾ وجاء في وصفها أيضاً ((والخضرم والغيلم: الغزيرة))⁽¹⁰⁾.

ومِمَّا رواه عنه تلميذه ثعلب وأودعه كتابه (المجالس) مثلاً قوله: ((إنَّ العَرَضِيَّةَ والعَنْجَبِيَّةَ والعَيْدِيَّةَ، تدل على معنى واحد هو الالتواء والانحراف عن التواضع))⁽¹¹⁾، ونصوص أخرى تدلّ بجلاء على أنهما كانا يذهبان إلى القول بالترادف.

ويرى كثير من اللغويين المحدثين أن القاعدة في فقه اللغات بوجه عام أن الكلمة الواحدة تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يُتاح لها من الاستعمالات، فكثرة الاستعمال تخلق كلمات جديدة تلبي مطالب الحياة⁽¹⁾، ولهذا قيل: ((لا تنظر إلى معنى الكلمة بل أنظر إلى استعمالها))⁽²⁾.

(1) المزهر، 402/1، 403

(2) الكتاب، 24/1

(3) الخصائص، 115/2

(4) الأضداد لابن الأنباري/8

(5) ينظر: المزهر، 405، 325/1، وفقه اللغة العربية، د: كاسد الزبيدي/168

(6) المزهر، 405/1. وينظر: الصاحبي/96، 97

(7) ينظر: الأضداد لابن الأنباري/8

(8) ينظر: علم الدلالة، د: أحمد مختار عمر/218، ولهجة تميم/260، ولهجة قبيلة أسد/223

(9) كتاب البئر/61

(10) المصدر نفسه/64

(11) مجالس ثعلب، 245/1، وينظر: فقه اللغة العربية، د: الزبيدي/169

(1) ينظر: اللغة لفندريس/242، ودراسات في فقه اللغة/292، 293

(2) منهج البحث اللغوي، د: علي آل زوين/91



ثُمَّ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُرَادِفَةِ عَلَى قَوْلِ بَعْضِ اللُّغَوِيِّينَ الْمُحَدِّثِينَ كَانَتْ فِي الْأَصْلِ صِفَاتٌ لِلْاسْمِ الْوَاحِدِ، ثُمَّ تَنَوَّسَتْ هَذِهِ الْأَصُولُ بِالتَّنْدْرِيجِ وَتَجَرَّدَتْ مِنَ الْوَصْفِيَّةِ وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا الْإِسْمِيَّةُ (3).
وقد ذهب بعض العلماء إلى إنكار الترادف في أصل الوضع، لكنّه واقع عندهم بحكم الإثراء اللغوي بالتطور وتغيّر أساليب الاستعمال عبر المراحل التاريخية (4).
وهذا وجه مُتَقَبَّلٌ من حيث أصالة الوضع على اسم مفرد للشيء الواحد، في بيئة بعينها تحديداً، أو من وجهة نظر من يذهب إلى أَنَّ ثَمَّةَ لُغَةٍ أَصْلًا (5) ثُمَّ صَارَ التَّرَادُفُ نَوْعًا مِنَ التَّعَدُّدِ بِالِاسْتِعْمَالِ من خلال السياق ثُمَّ أَفْرَدَ لِسِيَادَةِ سِيَاقٍ مَا، صَارَ أَصْلًا، وَصَارَ غَيْرُهُ فِرْعَاءً، لَضَعْفِهِ أَوْ غِيَابِهِ عَنِ الْإِسْتِعْمَالِ إِلَّا فِي الْمُرُوثِ اللَّغَوِيِّ، فَبَدَأَ مُتَرَادِفًا مَعَ الْأَصْلِ فِي تِلْكَ الْمَرَاهِلِ الْمُتَأَخِّرَةِ (6).
ويكاد علماء اللغة يَتَّفَقُونَ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ بِالتَّرَادُفِ يَعُودُ - كَثِيرًا - إِلَى اخْتِلَافِ لُغَاتِ الْقَبَائِلِ، إِذْ كَانَ جَامِعُو اللُّغَةِ يَخْلُطُونَ بَيْنَ مَا يَأْخُذُونَ عَنْ قَبِيلَةٍ وَمَا يَأْخُذُونَ عَنْ أُخْرَى (7).
وقد جهد المعجميون في جمع المفردات وسماع اللغة من أفواه العرب الفصحاء، وقد حصل ذلك خلال رحلة طويلة، لذا تَجَمَّعَتْ مفردات مختلفة في معاني متفككة، مصادر لها قبائل متعددة ومتفرقة، ومن هنا حصلت هذه الظاهرة بهذا الشكل الواضح في كتب اللغة ومعجماتها (8).
ولقد أشار أبو الفتح إلى ذلك بقوله: ((وَكَلَّمَا كَثُرَتِ الْأَلْفَاظُ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ كَانَ ذَلِكَ أَوْلَى بِأَنْ تَكُونَ مِنْ لُغَاتِ لَجَمَاعَاتٍ اجْتَمَعَتْ لِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ)) (9) وتبعه ابن درستويه على هذا (10).

ويظهر أَنَّ مِمَّا سَاعَدَ عَلَى اتِّسَاعِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ دُخُولُ طَائِفَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْأَعْجَمِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ مَعَ مَرُورِ الزَّمَنِ جُزْءًا مِنْ وَاقِعِ الْعَرَبِيَّةِ (11).
وقد رَصَدَ مصنفو غريب الحديث طائفة من الألفاظ التي تُحْمَلُ عَلَى التَّرَادُفِ فِي لُغَاتِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهِيَ عَلَى النُّحُوِّ الْآتِي:
- فِي حَدِيثِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: ((عَنْتَ لِي عِكْرُشَةٌ، فَشَنَقْتُهَا بِجَبُوبَةٍ فَسَكَنْتَ نَفْسُهَا ...)). قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ بَعْدَ إِبْرَادِهِ الْحَدِيثَ: ((الْجَبُوبَةُ الْمَدْرَةُ، يُقَالُ أَخَذَ جَبُوبَةً مِنَ الْأَرْضِ، لُغَةٌ أَهْلِ الْحِجَازِ)) (1).

يُظْهِرُ مِنْ كَلَامِ الزَّمَخْشَرِيِّ أَنَّ لَفْظَ (الْمَدْرَةُ) هُوَ الْأَصْلُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَالْمَدْرُ أَصْلٌ صَحِيحٌ مَعْرُوفٌ يَدُلُّ عَلَى طِينٍ مُتَحَبِّبٍ وَالْوَحْدَةِ مَدْرَةٍ عِنْدَ صَاحِبِ (الْمَقَابِيِسِ) (2) وَغَيْرِهِ (3).
ولعل تخصيص لفظ (جَبُوبَةٍ) بلغة أهل الحجاز من دون العرب ما يُثَبِّتُ هَذِهِ الْأَصَالَةَ الْمَدَّاعَةَ لِلْفَرْقِ (الْمَدْرَةُ)، وَيُظْهِرُ مِنْ تَأَمُّلِ أَقْوَالِ اللُّغَوِيِّينَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَا سِيَمَا ابْنَ فَارِسٍ الَّذِي يُعْنَى فِي (مَقَابِيِسِهِ) بِالْأَصُولِ وَالْمَقَابِيِسِ أَنَّ (الْمَدْرَ) وَوَاحِدَهُ (مَدْرَهُ) وَضِعَ أَصْلًا عَلَى هَذِهِ الدَّلَالَةِ، فَأَمَّا لَفْظَ (الْجَبُوبِ) وَمُفْرَدَهُ (الْجَبُوبَةُ) فَمُعْظَمُ تَصْرِيفَاتِهِ تَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى (الْجَبُّ) وَهُوَ الْقَطْعُ (4). قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: ((وَالْجَبُوبَةُ: الْمَدْرَةُ. وَيُقَالُ لِلْمَدْرَةِ الْغَلِيظَةِ تُقْلَعُ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ جَبُوبَةً... ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْجَبُوبُ الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ، وَالْجَبُوبُ الْمَدْرُ الْمَفْتَتُ)) (5).

(3) ينظر: فقه اللغة، د: علي عبد الواحد وافي، 168، وفي اللهجات العربية، 170.

(4) ينظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، 10، والترادف في اللغة، د: حاكم مالك، 202، ولهجة قريش، 160.

(5) ينظر: الفروق اللغوية، 10-11، ولهجة قريش، 161.

(6) ينظر: لهجة قريش، 161.

(7) ينظر: العربية ولهجاتها، د: عبد الرحمن أيوب، 23، 24.

(8) ينظر: فقه اللغة، د: علي عبد الواحد وافي، 167.

(9) الخصائص، 374/1.

(10) ينظر: المزهري، 384/1.

(11) ينظر: الأصول، د: تمام حسان، 333، والترادف في اللغة، 270.

(1) الفائق، 19/3، وينظر: المجموع المغيث، 487/2، والنهاية، 284/3 (عكرش).

(2) ج305/5 (مدر)، والمجل، 661 (مدر).

(3) ينظر: الجمهرة، 256/2، والصاحح، 541/2، واللسان، 162/5 (مدر).

(4) ينظر: الصاحح، 148/1 - 150، ومعجم مقاييس اللغة، 423/1، 424، والمجل، 120، 121، واللسان، 250/1، 251 (جيب).

(5) اللسان، 251/1 (جيب).



ويبدو أنَّ (جُبُوبَة) واحد (جُبُوب) هي التي عُرفت عند أهل الحجاز ولاسيما قريش، واشتُقَّت من (الجُبُوب) في زمنٍ لاحق كما اشتَقُّوا (مَدْرَة) من (المَدَر) في زمن ما .
و (الجُبُوب) الذي هو الأرض عامَّة، أو التراب عند بعضهم، وقيل: الأرض الغليظة - كما مر - أو هو الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين⁽⁶⁾، وكلها ألفاظ متقاربة، أصلٌ له من القوَّة والهيمنة ممَّا لا يمكن إنكاره، وقد استعمله العرب ولم يكن مقتصرًا على طائفةٍ دون أخرى. قال عمرو القيس بن حُجر الكندي:

فَيَبْتَنُّ يَنْهَسُنَّ الْجُبُوبَ بِهَا وَأَبَيْتُ مُرْتَفَقًا عَلَى رَحْلِي⁽⁷⁾
وقوله يحتمل هذا كله⁽⁸⁾. وأمرؤ القيس من أهل نجد وقد مُلِّك أبوه على بني أسد⁽⁹⁾
وقال عبيد بن الأبرص الأسدي⁽¹⁰⁾ :

فَرَفَعَ تَعَهُ وَوَضَعَ تَتَهُ فَكَدَحَتْ وَجْهَهُ الْجُبُوبُ⁽¹¹⁾

وقد سُمِعَ من بعض القرشيين، قال الإمام علي (عليه السلام): ((رَأَيْتُ المصطفى صلى الله عليه وسلم يصلي ويسجد على الجُبُوب))⁽¹⁾. وقال الإمام علي بن الحسين ((وللجُبُوب الزَّاكِيَة على الجُبُوب الضَّاحِيَة))⁽²⁾.

وينبغي لنا الالتفات والتنبيه لعلاقة المشابهة بين المَدَر الذي هو الطين اليابس والجُبُوب الذي هو الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين .

- وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أَنَّهُ أَتَى بِقِنَاعٍ جُزْءٍ))، قال الخطابي بعد إسناده الحديث: ((هكذا قال الراوي: جُزْء، وزعم أنَّ الجُزْء الرُّطْب عند أهل المدينة، وهذا الشيء لا أثق به ولا اعتمده فإن كان الأمر على ما قال: فلا أراهم يُسمونه جُزْءًا إلا من قِبَل اجتزانهم به عن الطعام كتسميتهم الكَلأ جُزْءًا وجُزْؤًا لغتان، لاجتزاء الإبل به عن الماء. يُقال: جَزَّأت الإبل عن الماء إذا اجتزأت بالرُّطْب فلم تشرب))⁽³⁾. ورواه الزمخشري بفتح الجيم (جُزْء)، ثُمَّ نقل ما سَوَّغه الخطابي في اشتقاق اللفظ وتسميته من دون الالتفات إلى اعتراض أبي سليمان⁽⁴⁾، والصحيح أَنَّ الجُزْء: الرُّطْب في بعض معانيه، ويبدو أَنَّ أهل المدينة كانوا يُسمونه هكذا و((طَبِيَّة جازنة استغنت بالرُّطْب عن الماء، والجوازيء: الوحش، لتجرئها بالرُّطْب عن الماء))⁽⁵⁾.

قال الشَّماخ بن ضَرار:

إِذَا الْأَرْضُ تَوَسَّدَ أَبْرَدِيهِ خَدُودُ جَوَازِيءٍ بِالرَّمْلِ عَيْنٍ⁽⁶⁾

وقول ثعلب بن عبيد:

جَوَازِيءٌ، لَمْ تَنْزَعْ لِصَوْبِ غَمَامَةٍ وَرَوَّادُهَا فِي الْأَرْضِ دَائِمَةُ الرِّكْضِ

قال ابن منظور بعد إنشاده هذا الشعر: ((إنَّما عني بالجوازيء النخل يعني أَنَّها قد استغنت عن السَّقْيِ فاستَبَعَلَتْ))⁽⁷⁾.

وبذا يظهر السبب في استعمال أهل المدينة للجُزْء بمعنى الرُّطْب، وذلك لأنَّهم كغيرهم من العرب اكتفوا ببعض من معانيه التي تؤدي معنى الرُّطْب.

(6) ينظر: المصدر نفسه، 250/1 (جيب)

(7) ديوانه/360، وينظر: اللسان، 250/1 (جيب)

(8) ينظر: اللسان، 250/1 (جيب)

(9) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة/41

(10) ينظر: المصدر نفسه/148

(11) ديوانه/20، برواية: فَرَحَتَهُ وَوَضَعَتَهُ، وينظر: الغريبين، 311/1 (جيب)

(1) النهاية، 234/1 (جيب)، وينظر: أمثلة أخرى في الموضع نفسه من (النهاية)

(2) بحار الأنوار، 160/45، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 212/1 (جيب)

(3) غريب الخطابي، 547/1، 548، وينظر: المجموع المغيث، 324/1 (جزأ)

(4) ينظر: الفائق، 227/3، 228 (قنع)

(5) اللسان، 46/1، وينظر: الصحاح، 47/1، 48 (جزأ)

(6) ديوانه/331، وينظر: الصحاح، 48/1، واللسان، 46/1 (جزأ)

(7) اللسان، 46/1 (جزأ)



- قال الخطابي بعد إيراده الرواية السابقة ثم اعترضه عليها: ((وأخسبُهُ أُنِّي بِقَنَاعِ جَزَوْ، وهو في كلام أهل المدينة وغيرهم من أهل الحجاز القَنَاءُ الصَّغَارُ)) ثم روى لنا الحكاية الآتية مسندة وهي أن بعضهم أخبره قائلاً: ((كنتُ أَمُرُّ في بعض طُرُقَاتِ المدينة، فإذا أنا بِحَمَالٍ على رأسه طَنٌّ، فقال لي: أَعْطَنِي ذَلِكَ الْجَزَوْ، فَتَبَصَّرْتُ فَلَمْ أَرَ كَلْباً وَلَا جَزَوْاً فَقُلْتُ: مَا هَاهُنَا جَزَوْ فَقَالَ: أَنْتَ عِرَاقِي، أَعْطَنِي تِلْكَ الْقَنَاءَةَ))⁽¹⁾.

فكلام أهل الحجاز ولاسيما أهل المدينة (جَزَوْ) وكلام أهل العراق (القَنَاءَةُ)، ويظهر أن لفظة (الجَزَوْ والجَزْوَة) تعني ((الصغير من كل شيء حتى من الحنظل والبطيخ والقَنَاء والرُّمَان والخيار والبادَنْجَان، وقيل: هو ما استدار من ثمار الأشجار كالحنظل ونحوه...))⁽²⁾. ويظهر أن هذا اللفظ يكاد يكون مستقراً ومهيماً على هذه الدلالة عند أهل الحجاز ولاسيما أهل المدينة.

والذي سَوَّغَ تسميتهم هذه على ما يبدو هو تشابه الجزوة الصغيرة من القَنَاء بصغار أولاد الكلاب للينها ونعومتها⁽³⁾.

وفي الحديث ((أَتَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِقَنَاعٍ مِنْ رُطْبٍ وَأَجْرٍ زُغِبٍ فَأَكَلَ مِنْهُ))⁽⁴⁾. وأراد بقوله: ((أَجْرٍ زُغِبٍ)): صغار القَنَاءِ المُرْغَبِ، الذي زُنِبَرُهُ عليه، شَبَّهَتْ بِأَجْرِي السَّبَاعِ والكلاب لرطوبتها⁽⁵⁾. فالاستدارة واللين، والنعومة والرَّغْب الصغير وغيرها من علاقات المشابهة بين (الجَزْوَة) و (القَنَاءَة)، يمكن أن يكون كلٌّ منها مسوّغاً لتسمية إحداهما بالأخرى.

واحتمال أن يكون أصلُ الحديث (قَنَاء جَزَوْ) لا (قَنَاع جَزَوْ) وارداً، ثُمَّ صَحَّفَ الرواة وخلطَ المفسرون - مع الأسف - من غير أن ينتبهوا على التصحيف، فحصل هذا الخلط في الدلالة.

- وروى الزمخشري أن رجلاً وقفَ على أبي بكر (رضي الله عنه): ((فَلَاثُ لُوثًا مِنْ كَلَامٍ فِي دَهْشٍ، فَقَالَ

أَبُو بَكْرٍ: قُمْ يَا عُمَرُ إِلَى الرَّجُلِ فَانْظُرْ مَا شَأْنُهُ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ، فَذَكَرَ أَنَّهُ ضَافَهُ ضَيْفٌ فَرَضَى بِابْنَتِهِ))، قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ: ((قَالَ بَعْضُ بَنِي قَيْسٍ: لَا ثَ فُلَانٌ لِسَانَهُ بِمَعْنَى لَاحِهِ، أَيْ لَمْ يَبَيِّنْ كَلَامَهُ. وَلَا ثَ كَلَامُهُ إِذَا لَمْ يَصْرَحْ بِهِ إِمَّا حَيَاءً وَإِمَّا فَرَقًا كَأَنَّهُ يُلُوكُهُ وَيُلُويهِ))⁽⁶⁾.

فهذا الرجل تكلم بكلام مطوي لم يشرحه ولم يبينه للاستحياء، حتى خلا به عمر فصرَّح به⁽⁷⁾ والشائع في مثل هذا أن تقول العرب (لاث)⁽⁸⁾ إلا أن بعض بني قيس يقول - أيضاً - (لاك) و(اللوك): أَهْوَنُ المَضْغِ وإدارة الشيء في الفم، كَأَنَّكَ تَمَضْغُ الشَّيْءَ الصُّلْبَ الممضَغَةَ تُدِيرُهُ فِي فَيْكِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَوْكُهُمْ جَدَلُ الْحَصَى بِشِفَاهِهِمْ كَأَنَّ عَلَى أَكْتَافِهِمْ فَلَقَا صَخْرًا⁽⁹⁾

فالمعنى هنا قريب بين اللفظين إلى حَدِّ التَّطَابُقِ، فَكَأَنَّ الرَّجُلَ وَهُوَ يُلُوثُ لِسَانَهُ فَرَسٌ وَقَدْ لَاحَ لَجَامُهُ، فِي كِلَيْهِمَا حُبْسَةٌ فِي اللِّسَانِ لَا يَكَادُ صَاحِبُهَا يُخْرِجُ الْكَلِمَةَ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ⁽¹⁾.

وما نُقِلَ عن بعض قيس حينذاك شائع الآن في كثير من مناطق وسط العراق وجنوبه فهم يقولون: ((فُلَانٌ يُلُوجُ بِلِسَانِهِ)) بمعنى يُبْطِئُ، لَخَجَلٍ أَوْ عَيْبٍ.

- وَمِمَّا يُمْكِنُ حمله على الترادف قول الإمام علي (عليه السلام) في الدُّعَاءِ: ((تُفِيضُ سِجَالِ عَطَايَاكَ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَأْهِلِينَ))⁽²⁾.

(1) غريب الخطابي، 548/1، والغريبين، 353/1 (جزء)، والفائق، 227/3 (قنع)

(2) اللسان، 138/14

(3) المصباح المنير، 98 (جرى)

(4) الفائق، 227/3، وينظر: النهاية، 115/4 (قنع)

(5) اللسان، 139/14 (جرا)

(6) الفائق، 334/3، وينظر: غريب ابن قتيبة، 577/1، والنهاية، 275/4 (لوث)

(7) غريب ابن قتيبة، 577/1، وينظر: الصحاح، 431/1، 432، واللسان، 186/2، 187 (لوث)

(8) المصادر السابقة

(9) اللسان، 484/10، 485

(1) ينظر: المجموع المغيب، 154/3 (لوث)، واللسان، 484/10، 485 (لوك)

(2) بحار الأنوار، 172/87، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 86/1 (أهل)



نقل البيرجندي عن الأزهرى أنَّ بعضهم خَطَأً من يقول: ((فلانٌ يستأهل كذا، بمعنى يستحق))⁽³⁾، قال الأزهرى: ((أما أنا فلا أنكره ولا أخطيء من قاله، لأنِّي سمعت أعرابياً فصيحاً من بني أسد يقول لرجل شكر عنده يداً أوليها: تستأهل يا أبا حازم ما أوليت وحضر ذلك جماعة من الأعراب، فما أنكروا قوله))⁽⁴⁾.

ومِمَّا يَقْوِي هذا الذي ذهب إليه الأزهرى قول علي (عليه السلام) - أيضاً - في مناجاته: ((إلهي إن كنتُ غيرَ مستأهل لما أرجو من رحمتك، فأنتَ أهل أن تجودَ على المذنبين بسعة رحمتك))⁽⁵⁾ وعليه فالقول ما قاله الأزهرى، أمّا إنكار بعض اللغويين⁽⁶⁾ كالجوهرى الذي نسب ذلك إلى العامة فمردود⁽⁷⁾ بما سُمِعَ عن الفصحاء مِمَّنْ لغتهم سليقة وجبَلَّتْهم عربية. وما تزال لفظة (يستأهل) شائعة في اللهجات العراقية المعاصرة بالدلالة نفسها إلا أنها تؤدَّى بتسهيل الهمز وكسر الياء (يستأهل)⁽⁸⁾.

ومِمَّا يَنْبَغِي الالتفاتُ إليه في هذا الموضع أنَّ هاتين اللفظتين المترادفتين ما زالتا تستعملان في اللهجات العراقية المعاصرة جنباً إلى جنب، فلم تختص إحداها ببيئةٍ دون أخرى. ومن المترادف - أيضاً - قال القاسم بن سلام في حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أنَّه كان يَتَخَوَّلُهُم بالموعة مخافة السامة عليهم))⁽⁹⁾: ((قال أبو عمرو: يتخولهم أي يتعهدهم والخائل المتعهد للشيء والحافظ له والقائم به وقال الفراء: والخائل الراعي للشيء والحافظ له، وقد خال يخول خولاً، وقال أبو عبيد: وأهل الشام يُسمُّون القائم بأمر الغنم والمتعهد لها الخولي ولم يعرفها الأصمعي، وقال: أظنها بالنون يتخونهم قال: وهو التعهد أيضاً))⁽¹⁰⁾. (خول) أصل واحد يدلُّ على تعهد الشيء عند اللغويين⁽¹⁾ زيادة على مصتفي غريب الحديث⁽²⁾.

و((خَوْل الرجل: حَشَمُه الواحد خائل وقد يكون الخَوْل واحداً وهو اسم يقع على العبد والأمة قال الفراء: وهو جمع خائل وهو الراعي، وقال غيره: هو مأخوذ من التخويل وهو التملك... والخَوْل: العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية، الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء، وهو مِمَّا جاء شاذاً عن القياس وإن اطرَد في الاستعمال))⁽³⁾. ومؤدَّى هذا الكلام مع قليل من التأمل يَدُلُّ على تعهد الشيء، وقد يكون الشاميون نسبوا إلى (الخَوْل) على وفق المعنى الأخير. و((خَوْلَك الله مالاً، أي أعطاكه، لأنَّ المال يَتَخَوَّلُ، أي يَتَعَهَّد ومنه خَوْل الرجل، وهم حَشَمَةٌ))⁽⁴⁾. وما تزال لفظة (خَوْل) تعيش بالدلالة نفسها في اللهجات العراقية المعاصرة فهم يقولون: خَوْلَك كذا بمعنى عهدَ به إليك.

- وزيادة على توسُّع العرب في المترادفات عن طريق توظيف واستعمال ألفاظ عربية للأسباب التي ذُكرت آنفاً، فإنَّهم استعملوا بعض الألفاظ الأعجمية للحاجة إليها في بعض المجالات التجارية أو الثقافية أو الطبية وغيرها ممَّا نجدُ أثره واضحاً في عصرنا، يضاف إلى ذلك مسألة التأثير والتأثر

(3) غريب الحديث في بحار الأنوار، 86/1، وينظر: التهذيب، 418/6، واللسان، 30/11، والتاج، 218/7 (أهل)

(4) التهذيب، 418/6، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 86/1

(5) بحار الأنوار، 105/91، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 86/1، 87 (أهل)

(6) المصدران السابقان

(7) ينظر: الصحاح، 418/4، 419 (أهل)

(8) ينظر: لهجة قبيلة أسد/ 227

(9) غريب القاسم، 121-120/1، والفائق، 401/1 (خول)

(10) غريب القاسم، 121-120/1، وينظر: الفائق، 401/1، والنهاية، 88/2، 89 (خول)

(1) معجم مقاييس اللغة، 230/2، وينظر: الصحاح، 498/4، واللسان، 224-226/11

(2) ينظر: غريب القاسم، 121-120/1، والفائق، 401/1، والمجموع المغيبي، 626/1، والنهاية، 88/2، 89 (خول)

(3) اللسان، 224/11 (خول)، وعليه الآية 94 من الأنعام ((وتركتكم ما حولناكم وراء ظهوركم))

(4) معجم مقاييس اللغة، 230/2، وينظر: الصحاح، 498/4 (خول)



عن طريق الاختلاط والإقامة والتزاوج بين العرب والأعاجم. إلى غيرها من الأسباب، وهذا أدى إلى زيادة رصيد العربية من الكلمات المترادفة، على سبيل الاقتراض⁽⁵⁾.

وجملة الألفاظ الأعجمية التي دخلت العربية في هذا الباب مما استقرّ على دلالاته الأصلية في اللغة الأم على ما يفهم من أقوال أهل الغريب أو مما ضاقت دلالاته أو تخصصت على ما يفهم من أقوال المحدثين ولاسيما المتخصصين بالمقارنة بين اللغات⁽⁶⁾.

فمن أمثلة ذلك عند مصنف غريب الحديث:

- في الحديث ذكر (أم جُرذان)، قال ابن الأثير - معقّباً - ((هو نوع من التمر كُبار. قيل: إن نخله يجتمع تحته الفار، وهو الذي يسمى بالكوفة الموشان، يعنون الفار بالفارسية))⁽⁷⁾.

ويبدو أن هذا الاسم ممّا شاع عند أهل الكوفة يسمّون نوعاً من التمر (المُشان) وهو عند العرب (أم جُرذان).

فإن الإمام الصادق (عليه السلام) لرجل في أسماء التمر: ((قال للمُشان: ما هذا؟ فقال له: المُشان، قال: هو عندنا أم جُرذان))⁽¹⁾. ثم نقل البيرجندي كلام ابن الأثير بتمامه⁽²⁾.

- ومنه في حديث أنس ((رأيت رسول الله يجمع بين الرطب والخربز))، قال: ابن الأثير هو البطيخ بالفارسية⁽³⁾، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((كان النبي يُعجبه الرطب بالخربز))⁽⁴⁾ ونقل عنه (عليه السلام) - أيضاً - قوله لغلامه: ((أرد عليك فلانة على أن تُطعمنا ب درهم خربزة)) قال المجلسي

- بعد روايته الحديث - : ((خربزة يعني البطيخ))⁽⁵⁾.

ويظهر أن الخربز كان شائعاً عندهم، وقد جرى في كلامهم على ما ينقل اللغويون⁽⁶⁾، واستعمال هذا اللفظ بعض الفصحاء كما عند الصادق (عليه السلام) وأنس، إنما كان جرياً على ما عُرف عند جمهورهم، ولا يُعبّر عن حقيقة أدائهم اللغوي قطعاً، لأنّ فائدة اللغة الإبلاغ والإيصال على وفق الوسائل المتاحة، فلا عجب - مثلاً - أن نسمع الإمام الرضا (عليه السلام) وهو حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لبعض أهل الأهواز: ((فأمضيا إلى شاذروان الماء، وأعبراه، فيرفع لكم جُوخان، أي بيذّر))⁽⁷⁾. قال البيرجندي: ((ولعلّ جوخان مركّب: أي موضع الشعير. والجُوخة: الحفرة، تعريب كوجاه، ومعناه البئر التي لا قعر لها))⁽⁸⁾.

فهذا على ما يبدو كلام أهل هذه المناطق في الأهواز وخراسان⁽⁹⁾، والإمام أقام في هذه المناطق مدّة من حياته⁽¹⁰⁾.

وهذه طائفة من أمثلة المترادف ممّا نقله مصنف غريب الحديث من لغات القبائل العربية ومن مستويات التخاطب الأخرى التي تفرّعت عن العربية، سنّعرض بحسب حروف المعجم على النحو الآتي:

(5) ينظر: الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث، د: رجب عبد الجواد إبراهيم/3، 4، وفقه اللغة العربية، د: الزبيدي/183

(6) ينظر: الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث/133، وما بعدها (7) النهاية، 258/1

(1) بحار الأنوار، 136/63، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 230/1، 231، وينظر: اللسان، 480/3 (جرذ)

(2) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، 230/1، 231 (جرذ)

(3) النهاية، 19/2 (خربز)

(4) بحار الأنوار، 193/63، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 401/1 (خربز)

(5) بحار الأنوار، 345/100

(6) ينظر: اللسان، 345/5

(7) بحار الأنوار، 118/49، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 270/1، 271 (جوخ)

(8) غريب الحديث في بحار الأنوار، 270/1، 271 (جوخ)، وينظر: الاقتراض المعجمي، د: رجب عبد الجواد/191

(9) ينظر: الاقتراض المعجمي/191

(10) ينظر: نور الأبصار في مناقب أهل البيت الأطهار/170-177، والاحتجاج لأبي منصور الطبرسي، 178/2 وما بعدها إلى 266، بل ثبت أن الرضا (عليه السلام) كان يحسن الفارسية، ينظر: بحار الأنوار، 136/50، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 221/1، وينظر:

أمثلة أخرى من الأعجمي: الفائق، 63/1، والنهاية، 74/1 (أندر وردية)، والنهاية، 239/5 (هبر)، وغريب الحديث في بحار الأنوار (جلهق) 254/1



- (أُجْم): قال القاسم بن سلام بـ ((أجام المدينة - يعني الحصون، وهذا كلام أهل الحجاز واحدها: أُجْم... وأهل الحجاز يسمُّون الأجام - أيضاً - الآطام، وهو مثلها واحدها أطم))⁽¹¹⁾. وتأمل أقوال اللغويين⁽¹²⁾ ولا سيما أهل غريب الحديث⁽¹³⁾ يُرَجِّح أن الأصل (الحصون). والأُجْم: حصنٌ بناه أهل المدينة من حجارة⁽¹⁾. ولكن لفظ (الأُجْم) أكثر شيوعاً ممَّا ذكر القاسم قال أمرؤ القيس وهو من أهل نجد⁽²⁾.

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أجماً إلا مُشيداً بجندل⁽³⁾

فأما قوله: أن أهل الحجاز يسمُّون الأجام آطام، فالراجح أن كلَّ لفظ منهما يعكس أداء جماعة بعينها، ويبعد أن يصدر كلاهما من قبيلة واحدة. وثمة علاقة بين الصوتين تسوّغ هذا الإبدال بينهما فهما شديدان⁽⁴⁾. وقريبان مخرجاً⁽⁵⁾ وقد رُوِيَ لفظ (أجام) في بعض كتب غريب الحديث بالطاء⁽⁶⁾. - (أري): تأرَّيت في المكان إذا حُبست فيه، وسمَّيت الأخيَّة أرياً، لأنها تحبس الدوابَّ عن الانفلات، فسمَّت العامة المِغْلَف أرياً⁽⁷⁾. وهذا لا يشمل قبيلة محددة ذات أصل واحد - غالباً إنما يكون بين طائفة من الناس تضمُّهم بيئة واحدة، وقد لا يربطهم ما يربط أبناء القبيلة من مُشتركات كما نجد في كثير من بيئاتنا العراقية وغيرها في الوقت الحاضر يقول فندريس: ((هناك لهجة محددة في كل منطقة يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة، وحتى عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة للفصل بين منطقتين متجاورتين فإنه يبقى أن كلاً منهما تتميز ببعض السمات العامة التي لا توجد في الأخرى))⁽⁸⁾.

وهذا ينطبق على ما ينقل عن العامة - عادة - والأري - هنا - الأخيَّة، قال ابن السكيت: ((ومما تضعه الناس في غير موضعه قولهم: للمِغْلَف: أري، وإنما الأري مَحْبَس الدابة وهي الأواخي والواحدة آخيَّة))⁽⁹⁾.

ويظهر من كلام اللغويين أن اللفظة الأخيرة (الأري) ظهرت في وقت متأخر عند هذه الطائفة (العامة)، ثم احتلت الحيز الدلالي للفظ الأولى (المغلف) عند هذه الطائفة على الأقل، وهذا النوع من التطور أو الانتقال الدلالي بين اللفظتين وجهٌ مُتَقَبَّل في خلق هذا النوع من الترادف عند طائفة من اللغويين المحدثين⁽¹⁰⁾.

- (بتع): سئل (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ((البِتْع، فقال: كلُّ شرابٍ أسكر فهو حرام))⁽¹¹⁾، البِتْع نبيذ العسل، وهو خمر أهل اليمن، وخمر الحيش: السُّكْرُكَة⁽¹⁾، جاء في (اللسان): ((البِتْع ... الخمر يمانية، وبتعها: خمرها، والبتاع: الخمار))⁽²⁾. - (بطق): في حديث عمرو: ((يؤتى برجل يوم القيامة، وتُخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله، وتُخرج له تسعة وتسعون سجلاً فيها خطاياها، فترجح بها))، قال الزمخشري: ((قال ابن الأعرابي: البطاقة: الورقة، ورؤي: بطاقة بالنون، وقال شمر: هي كلمة مبتذلة بمصر وما والاها

(11) غريب القاسم، 73-72/2

(12) ينظر: الصحاح، 162/5، ومعجم مقاييس اللغة، 58/1، واللسان، 8/12 (أجم)

(13) ينظر: الفائق، 25/1، والنهاية، 26/1

(1) ينظر: الصحاح، 62/2 (أجم)

(2) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة/41

(3) غريب القاسم، 73-72/2، والصحاح، 162/5، واللسان، 8/12 (أجم)، وفي شرح الأشعار الستة الجاهلية للبطلاني، 111/1 (ولا أطم) وفي رواية أخرى (ولا أجماً)

(4) ينظر: الأصوات اللغوية/24، ومنهج البحث اللغوي، د: علي زوين/66

(5) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب، د: العطية/20

(6) ينظر: الغربيين، 55/1، والنهاية، 54/1، وغريب الحديث في بحار الانوار، 65/1 (أطم)

(7) الغربيين، 41/1 (أري)

(8) اللغة/312

(9) إصلاح المنطق/313، وينظر: اللسان، 28/14، 29 (أري)

(10) ينظر: في اللهجات العربية/141، 142، وفقه اللغة، د: علي عبد الواحد وافي/168، وعلم الدلالة، د: أحمد مختار عمر/230، والترادف في اللغة/8

(11) الفائق، 72/1، والنهاية، 94/1

(1) الفائق، 72/1، والنهاية، 94/1، وينظر: الغربيين، 125/1، والمعرب للجواليقي/98، والنهاية، 384/2

(2) اللسان، 5/8، وينظر: الجمهرة، 49/1، والصحاح، 437/3



يدعون بها الرُقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه، لأنها تُشَدُّ بطاقة من هُذبه، وقيل لها: النِّطَاقَةُ، لأنها تَنْطِقُ بما هو مرقوم عليها⁽³⁾... وقال ابن الأثير: ((البطاقة رُقعة صغيرة يُثَبَّتُ فيها مِقْدَارُ ما يُجَعَلُ فيه إن كان عَيْنًا فَوْزَنه أو عَدَدَه، وإن كان مَتَاعًا فَثَمَنه...وهي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر))⁽⁴⁾.

وروايتها بالنون غريبة عند بعض اللغويين إلا أنهم اتفقوا على مجيئها بلغة أهل مصر⁽⁵⁾. إلا أنَّ ورودها على ألسنة بعض الصحابة كابن عباس و عمرو⁽⁶⁾ يدل على تجاوزها حدود مصر استعمالاً، وما تزال تستعمل بقوة في المعنى الذي ذكره الزمخشري وفي حدود المعنى الذي ذكره الآخرون في كثير من اللهجات الدارجة في العراق وخارجه.

ولذلك يبدو للباحث أنها لغة صحيحة، ولا يمكن وصفها بالمولدة، إذ وردت في كلام الفصحاء، ووقعت في الحديث الشريف على حدِّ وصف شهاب الدين الخفاجي⁽⁷⁾، ولا يبعد كونها من المشترك السامي على ما يفهم من أقوال بعض المحدثين⁽⁸⁾.

- (بقر): في كتاب الصدقة لأهل اليمن: ((في ثلاثين باقورة بقرة))، قال ابن الأثير: ((الباقورة بلغة اليمن البقر))⁽⁹⁾، هكذا قال الجوهرى⁽¹⁰⁾، وابن منظور⁽¹¹⁾، وتمثلاً لذلك بحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

- (بلس): في الحديث: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرَقَّ قَلْبُهُ، فَلْيُذِمِّنْ أَكْلَ الْبُلْسِ))، وقد يقال فيه البُلْسُن، بزيادة النون هو التين أو هو شيء باليمن يُشَبَّه التين، وقيل: هو العدس، وهو عند ابن الأعرابي مضموم الباء واللام⁽¹²⁾، وقال ابن منظور: ((البُلْسُن: العدس يمانية قال الشاعر:

وهل كانت الأعراب تعرف بُلْسنا))⁽¹⁾

- (تخم): في حديث عبد الله بن مسعود: ((أَصْلُ كُلِّ دَاءٍ الْبَرْدَةُ))، قال ابن قتيبة: ((قال الأعمش: سألت أعرابياً من كُلب عن البردة، فقال: هي التُّخْمة، ولست أحفظ هذا من علمائنا فإن كان الحرف صحيحاً لم يقع فيه تغيير، فالمعنى جيد حسن وأرى أصل الحرف من البرد، وسميت التُّخْمة بَرْدَةً، لأنها تَبْرُدُ حرارة الجوع والشهوة وتذهب بها وما أكثر ما تأتي (فَعْلَةً) في الأدوية والعاهات، مثل: الشَّتْرَةِ، والخَرْمَةِ، والقَطْعَةِ...))⁽²⁾.

- (ثفاء): في الحديث: ((ماذا في الأمرين من الشِّفَاءِ، الصُّبر والثَّفاء))، نقل صاحب (الغريبين) بعد ذلك قول ابن الأعرابي: ((الثفاء: الحُرْفُ، وقال الليث: هو الخَرْدَلُ بلغة أهل الغور))⁽³⁾. وقال ابن الأثير: ((ويسميه أهل العراق حَبَّ الرشاد، الواحدة ثفاءة، وجعله مَرًّا للحروفة التي فيه ولَذَّةً للسان))⁽⁴⁾.

وقال الجوهرى: ((الثفاء على مثال الفراء: الخردل، ويُقال: هو الحُرْفُ))⁽⁵⁾.

(3) الفائق، 117/1

(4) النهاية، 135/1

(5) ينظر: الصحاح، 181/4، واللسان، 21/10

(6) الفائق، 117/1، والنهاية، 137/1

(7) ينظر: شفاء الغليل للخفاجي/82

(8) ينظر: قاموس رد العامي إلى الفصح، للشيخ أحمد رضا/50، والمعجم المفصل في المعرب والدخيل، د: سعدي ضناوي/94، وأقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، لسعيد الشرتوني، 48/1، ولم يذكرها الجواليقي في ما ذكره من معرَّباته

(9) النهاية، 145/1

(10) ينظر: الصحاح، 232/2

(11) ينظر: اللسان، 73/4

(12) النهاية، 152/1، وينظر: الغريبين، 204/1، 205

(1) اللسان، 58/13، وينظر: الصحاح، 492/5

(2) غريب ابن قتيبة، 226-225/2

(3) الغريبين، 285/1، وينظر: الفائق، 168/1، 169، والمجموع المغيبي، 266/1

(4) النهاية، 214/1، وينظر العين، 246/8 (ثفاء)

(5) الصحاح، 46/1



- (جرد): في حديث زيد بن ثابت في جمع القرآن: ((فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ وَالْعَسْبِ وَاللِّخَافِ))، نقل القاسم بعد روايته الحديث أن: ((الْعُسْبُ واحداً: عَسِيبٌ، وهو سَعَفُ النُّخْلِ، وأهل الحجاز يُسَمُّونَهُ الجَرِيدَ أيضاً. وَأَمَّا الْعَوَاهِنُ فَإِنَّهَا عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ الَّتِي تَلِي قَلْبَةَ النُّخْلِ، وَهِيَ عِنْدَ أَهْلِ نَجْدِ الْخَوَافِيِّ))⁽⁶⁾.

قال ابن قتيبة: ((الجريدة: السَّعْفَةُ، وجمعها جريد، وهي أيضاً الخُرْصُ، جمعها خُرْصَانُ، والعَوَاهِنُ هي السَّعَفَاتُ اللُّوَاتِي بَيْنَ الْقَلْبَةِ، وَالْقَلْبَةُ جمع قلب وأهل نجد يُسَمُّونَ الْعَوَاهِنَ الْخَوَافِي))⁽⁷⁾.

- (جزأ): في حديث ابن عُمر: ((إِنَّ رَجُلًا كَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، وَكَانَ لَهُ كَاتِبٌ وَمُتَجَازٍ)) قال الزمخشري: ((أهل المدينة يسمون المتقاضي المتجازي، ويقولون: أمرت فلاناً يتجازى ديني على فلان))⁽⁸⁾.

قال ابن فارس: ((تقول: جزى عني هذا الأمر يجزي، كما تقول: قضى يقضي... وأهل المدينة يسمون المتقاضي المتجازي))⁽⁹⁾، قال تعالى: ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾⁽¹⁰⁾، أي: لا تقضي⁽¹⁾.

- (حرم): في حديث عمر (رضي الله عنه): ((في الحرام كفارة يمين))، قال ابن الأثير: ((هو أن يقول: حرام الله لا أفعل كذا، كما يقول: يمين الله، وهي لغة العقليين))⁽²⁾.

وذكر اللغويون أن قول العقليين: ((حرام الله لا أفعل ذلك، ويمين الله لا أفعل ذلك معناهما واحد))⁽³⁾، ونقل الحافظ أبو موسى سماع أبي زيد هذا من العقليين⁽⁴⁾.

- (حمص): وسئل أحد الأئمة (عليه السلام) عن أكل ثُرْبَةِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فقال: ((الشيء منه مثل الحمصة))⁽⁵⁾، قال البيرجندي: ((والظاهر أنه لا يجوز التجاوز عن مقدار عدسة: لرواية معاوية بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إن الناس يروون أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إنَّ الْعَدَسَ بَارِكَ عَلَيْهِ سَبْعُونَ نَبِيًّا، فَقَالَ: هُوَ الَّذِي تَسْمُونَهُ عِنْدَكُمْ الْحِمَصَ، وَنَحْنُ نَسْمِيهِ الْعَدَسَ))⁽⁶⁾، لأنه يدل على أن الحمص يُطلق على العدس⁽⁷⁾.

والأصل (عدس)، وقد نطق بها القرآن ﴿مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَاقِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا﴾⁽⁸⁾، وجرت على ألسن الفصحاء، وقد نصَّ الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) على ذلك، والصادق قرشي مدني ينتسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وهما سيّدَا الفصاحة بلا منازع⁽⁹⁾. فأما لفظ (الحمص) فلا يحسبه ابن دريد عربياً محضاً قال - أيضاً -: ((فأما هذا الحب الذي يُقال له الحمص فهو اسم مؤنث))⁽¹⁰⁾ إلا أن قول ابن دريد مردود بما نُقل عن علماء العربية كالفراء والمبرد والجوهري الذين يرون أنه عربي إلا أن بناء فعل - بفتح العين وكسر الفاء - قليل

(6) غريب القاسم، 156/4 (لخف)، وينظر: غريب ابن الجوزي، 64/2.

(7) غريب ابن قتيبة، 595/1، وينظر: الغريبين، 342/1، واللسان، 118/3، 119، والمصباح، 95، 96، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 229/1.

(8) الفائق، 214/1، وينظر: غريب الخطابي، 468/1، والغريبين، 360/1، والنهاية، 271/1، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 140/1.

(9) معجم مقاييس اللغة، 456/1، وينظر: المعجم، 434/1، واللسان، 145/14.

(10) البقرة/48.

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة، 456/1.

(2) النهاية، 372/1.

(3) اللسان، 129/12، وينظر: الصحاح، 217/5.

(4) ينظر: المجموع المغيث، 435/1.

(5) بحار الأنوار، 1197/59، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 364/1.

(6) بحار الأنوار، 161/57، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 364/1، 365.

(7) ينظر: المصدران السابقان.

(8) البقرة/من الآية 61.

(9) ينظر: نور الأبصار، 160-164.

(10) الجهرة، 164/2.



فَلَمْ يَأْتِ مِنْهُ إِلَّا ((قَنَّفَ وَقَلَّفَ, وَهُوَ الطِّينُ الْمُتَشَقِّقُ إِذَا نُضِبَ عَنْهُ الْمَاءُ وَجَمَّصَ وَقَنَّفَ وَرَجُلٌ خَنْبٌ... طَوِيلٌ...))⁽¹¹⁾, وَقَدْ اثْبَتَ أَسَاتِذُنَا الدُّكْتُورُ السَّالِمُ وَهَمُ ابْنِ دَرِيدٍ ثُمَّ الْجَوَالِيْقِيُّ بَعْدَهُمَا الْكَلِمَةُ أَعْجَمِيَّةٌ أَوْ مُؤَلَّدَةٌ بِمَا يُغْنِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ⁽¹²⁾.

وَيُظْهِرُ أَنَّ الَّذِي نَلْمَحُهُ مِنْ تَرَادُفٍ, تُوْحِي بِهِ هَذِهِ الرُّوَايَاتُ - إِنَّ صَحَّحَتْ - جَرَى فِي وَقْتٍ مَا, ثُمَّ أَخَذَ كُلَّ لَفْظٍ بَعْدَ مُدَّةٍ حِيْزِهِ الدَّلَالِي الْخَاصَّ بِهِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى النُّحُوِّ الَّذِي نَرَاهُ مِنْ اخْتِلَافٍ بَيْنَ اللَّبَتَيْنِ.

- (خَلَلٌ): نَقَلَ الْحَرْبِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَوْلَهُ: إِذَا وَضَعَ الْبَسْرُ فِي الشَّمْسِ وَنُضِجَ بِالْخَلِّ فِي جَرَّةٍ فَذَلِكَ الْمَغْمَقُ, وَأَهْلُ نَجْدٍ يَسْمُونَهُ الْمُخْلَلُ⁽¹⁾.

- (خَمْرٌ): فِي حَدِيثٍ مَعَاذٍ: ((مَنْ اسْتَخْمَرَ قَوْمًا أَوَّلَهُمْ أَحْرَارٌ وَجِيرَانٌ مُسْتَضْعَفُونَ فَإِنَّ لَهُ مَا قَصَرَ فِي بَيْتِهِ)).

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: ((اسْتَخْمَرَ: اسْتَعْبَدَ وَتَمَلَّكَ, وَأَخْمَرَنِي كَذَا: مَلَكَنِيهِ, كَلِمَةٌ يَمَانِيَّةٌ))⁽²⁾, وَمَعَاذَ كَانِ بِالْيَمَنِ حِينَئِذٍ⁽³⁾. وَقَدْ بَعَثَهُ الرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ) مُرْشِدًا لِأَهْلِ الْيَمَنِ, وَبَقِيَ فِيهَا إِلَى أَنْ تَوَفَّى الرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ)⁽⁴⁾.

وَنَقَلَ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ عَنْ بَعْضِ الْيَمَنِيِّينَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَعْرُوفٌ عِنْدَهُمْ ((لَا يَكَادُ يُتَكَلَّمُ بِغَيْرِهِ يَقُولُ الرَّجُلُ: أَخْمَرَنِي كَذَا وَكَذَا, أَوْ أَعْطَاهُ وَهَبَهُ لِي, وَمَلَكَنِي إِيَّاهُ وَنَحْوُ هَذَا... يَقُولُ: فَمَا وَهَبَ الْمَلِكُ مِنْ هَوْلَاءَ لِرَجُلٍ فَقَصَرَهُ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ, وَهُوَ عِنْدَهُ فَهُوَ لَهُ...))⁽⁵⁾

وَمَعْنَى الْحَبْسِ مُتَوَافِرٌ فِي اللَّفْظَيْنِ, وَعَلَيْهِ جَرَى تَوْظِيفُ مَعْنَى الْاسْتِخْمَارِ فِي مَعْنَى الْاسْتِعْبَادِ عِنْدَ أَهْلِ الْيَمَنِ كَمَا يَظْهَرُ بِأَقْلٍ تَأَمَّلْ.

- (دَمَكٌ): فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ): ((كَانَ بَيْنِيَّانِ الْبَيْتِ, فَيَرْفَعَانِ كُلَّ يَوْمٍ مِذْمَاكًا)), نَقَلَ أَهْلُ الْغَرِيبِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّ: ((الْمِذْمَاكُ: الصَّفُّ مِنَ اللَّيْنِ أَوْ الْحَجَارَةِ, بَلْغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ, وَهُوَ الَّذِي يَسْمُوهُ الْعِرَاقِيُّونَ: السَّافُ))⁽⁶⁾, وَكَذَا عِنْدَ اللَّغَوِيِّينَ⁽⁷⁾, وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ:

أَلَا يَا نَاقِضَ الْمِيثَا قِي مِذْمَاكَ فَمِذْمَاكَ⁽⁸⁾

مَا تَزَالُ كَلِمَةُ (سَافٍ) تَسْتَعْمَلُ فِي اللَّهْجَاتِ الْعِرَاقِيَّةِ الدَّارِجَةِ, وَلَفْظَةُ الْمِذْمَاكِ تَسْتَعْمَلُ فِي الْحِجَازِ أَيْضًا.

- (ذَبْرٌ): فِي الْحَدِيثِ: ((أَهْلُ الْجَنَّةِ خَمْسَةٌ أَصْنَافٍ مِنْهُمْ الَّذِي لَا ذَبْرَ لَهُ)), قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: ((الذَّبْرُ: الْقِرَاءَةُ, وَالذَّبْرُ الْكُتَابَةُ فِي لُغَةِ هَذِيلٍ, وَلَمْ يَفَرِّقِ الْعَرَبُ بَيْنَهُمَا, وَيُقَالُ: ذَبَرْتُ الْكِتَابَ إِذَا قَرَأْتَهُ قِرَاءَةً سَهْلَةً خَفِيفَةً, وَكِتَابَ ذَبْرًا: سَهْلَ الْقِرَاءَةِ))⁽⁹⁾ قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

أَقُولُ لِنَفْسِي وَاقِفًا عِنْدَ مُشْرِفٍ عَلَى عَرَصَاتِ كَالذَّبَارِ النَّوَاطِقِ⁽¹⁰⁾

فَالذَّبْرُ عَلَى مَا يُنْقَلُ: ((كُلُّ قِرَاءَةٍ خَفِيفَةٍ, كُلُّ ذَلِكَ بَلْغَةُ هَذِيلٍ))⁽¹⁾, ثُمَّ أَنْشَدَ ابْنُ مَنْظُورٍ لَصَخَرِ الْغِي:

فِيهَا كِتَابُ ذَبْرٍ لِمُقْتَرِيٍّ يَعْرِفُهُ الْبُهْمُ وَمَنْ حَشَدُوا⁽²⁾

(11) اللسان, 17/7, وينظر: الصحاح, 234/3

(12) ينظر: أوهام الجواليقي في المعرب, د: السالم/42

(1) غريب الحربي, 744/2

(2) الفائق, 397/1, وينظر: المجموع المغيبي, 617/1, والنهاية, 78/2

(3) ينظر: غريب القاسم, 135/4, والفائق, 397/1

(4) ينظر: تهذيب التهذيب, 186/10, والإصابة, 106/6

(5) غريب القاسم, 139/4, وينظر: الفائق, 397/1, والنهاية, 78/2

(6) غريب ابن قتيبة, 563-562/2, وينظر: الفائق, 440/1, والنهاية, 133/2

(7) الصحاح, 361/4, واللسان, 429/10

(8) ينظر: المصدران السابقان

(9) الفائق, 4/2, والنهاية, 155/2

(10) ديوانه, 184, وينظر: الفائق, 4/2, واللسان, 302/4

(1) اللسان, 301/4



ومعنى ذَبَّرَ عند صاحب(اللسان): بَيَّن, أراد كتاباً مذبوراً, فوضع المصدر موضع المفعول⁽³⁾ وإذا تجاوزنا موقف هذيل من الذَّبَر والزَّبَر على ما يروي الزمخشري, فإنَّ القول بعدم تفريق العرب بينهما يمكن تفسيره على نحو ما نسمع الآن من كثير من المصريين والشاميين والسودانيين, الذين لا يُقيمون الذال, فينطقونها زائاً, ولا يبعد دور التصحيف في هذا التغيير, إذ أنَّ تصحيف الذال إلى الزاي من السهولة بمكان.

إلا أنَّنا لو عدنا إلى المعجمات بنظرة فاحصة لوجدنا أنَّ(الذَّبَر) هو القراءة⁽⁴⁾, فأما وروده بمعنى القراءة السهلة الخفية فهو على رأي أستاذنا الدكتور صباح السالم مُتَأَتٍ من حسن كتابة الكتاب, فلو لا حسن الكتابة ما سهلت قراءته, فالذَّبَرُ إذن الكتابة, وهي والزَّبَرُ بمعنى واحد⁽⁵⁾.

- (ربد): في حديثه(صلى الله عليه وآله وسلم): ((أَنَّ مَسْجِدَهُ كَانَ مَرِداً لِيَتَمِّينَ فِي حَجَرٍ مَعَاذِ بَنِي عَفْرَاءَ وَمَعَاذِ وَعُوفِ بَنِي عَفْرَاءَ - فاشتراه منهما معوَّذ بن عفراء, فجعله للمسلمين فبناه رسول الله مسجداً))⁽⁶⁾, قال القاسم: ((المَرِبد: مواضع التمر مثل الجرين والبيدر للحنطة, والمربد بلغة أهل الحجاز والجرين لهم أيضاً, والأندر لأهل الشام, والبيدر لأهل العراق))⁽⁷⁾.

وقال الجوهرى: ((أهل المدينة يسمون الموضع الذي يجفُّ فيه التمر: مَرِداً, وهو المسطح والجرين في لغة أهل نجد))⁽⁸⁾, وفي موضع آخر ذكر الجوهرى أن البيدر: الموضع الذي يُداس فيه الطعام⁽⁹⁾, وَخَصَّ بِهِ كُرَاعَ أُنْدَرِ الْقَمْحِ, يعني الكُدْس منه⁽¹⁰⁾. فأما الرِّبَاد فهو الطَّيَّان بلغة أهل اليمن, من الرِّبْد الذي هو الطين⁽¹¹⁾.

وجملة هذه الألفاظ ما زالت تستعمل في بيئاتها هذه على الدلالات المذكورة في هذا الموضع. - (رحض): في حديث بعضهم أنَّه(صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن استقبال القبلة ببولٍ أو غائطٍ, قال: ((فلما قَدِمْنَا الشَّامَ وَجَدْنَا مِرَافِقَهُمْ قَدْ اسْتَقْبَلُوا بِهَا الْقِبْلَةَ, فَكُنَّا نَتَحَرَّفُ وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ)) ويروى: ((مراحيضهم))⁽¹⁾, وشاعت اللفظتان في لهجاتنا الداريجة في العراق, وإن طغى لفظ(مرافق) على اللفظ الآخر في زماننا هذا.

- (زور): في حديث عمر(رضي الله عنه) يوم سقيفة بني ساعدة حين اختلفت الأنصار على أبي بكر فقال عمر: ((وقد كنت زوّرت في نفسي مقالة أقوم بها بين يدي أبي بكر, قال: فجاء أبو بكر فما ترك شيئاً ممَّا كُنْتُ زوّرتَه إلا تكلم به)).

نقل القاسم - بعد روايته الحديث - عن الأصمعي أنَّ: ((التزوير: إصلاح الكلام وتهينته, قال أبو زيد: المَزْوَر من الكلام المزوّق... وكان أبو عبيدة يقول للمزوّق من البيوت هو المصوّر, وهو من هذا, لأنَّه مُزَيْن بالتصاوير. قال أبو عبيد: إنَّما قيل له مَزْوَق, لأنَّ أهل المدينة يسمون الزئبق الزاووق, قال: والتصاوير قد تكون به فمن ثَمَّ قالوا: مَزْوَق - أي أنَّه مصوّر بتصاوير يخالطه الزاووق))⁽²⁾.

(2) المصدر نفسه, وينظر: شرح أشعار الهذليين, 256/1

(3) ينظر: اللسان, 301/4

(4) ينظر: الصحاح, 330/2 (ذبر), و336/2 (زبر), واللسان, 301/4 (ذبر), و315/4 (زبر), والقاموس المحيط, 34/2 (ذبر), و37/2 (زبر)

(5) من مدونتي الخاصة لمحاضرات الأستاذ الدكتور السالم في المستوى الدلالي, 2007/9/14

(6) غريب القاسم, 247-246/1, والفائق, 23/2 (ربد)

(7) غريب القاسم, 247-246/1, وينظر: الفائق, 166/1 (تعلب), و23/2 (ربد), وكذا اللسان, 182/2 (ربد)

(8) الصحاح, 54/2, وينظر: اللسان, 171/3

(9) الصحاح, 222/2

(10) ينظر: اللسان, 50/4

(11) ينظر: المجموع المغيَّب, 723/1, واللسان, 171/3

(1) الفائق, 71/2, وينظر: غريب القاسم, 143/3, والنهاية, 208/2

(2) غريب القاسم, 243-242/3



ومنه حديث ابن عمر: ((إذا رأيت قريشاً قد هدموا البيت ثم بنوه وزوّقوه فإن استطعت أن تموت فمُت))، قال الزمخشري مفسراً ذلك: ((التزويق: التزيين والنقش لأنّ النقش لا يكون إلا بالزويق، وهو الزينق عند أهل المدينة))⁽³⁾.

وفي أحيان كثيرة يكون التزويق أو التزيين مثل التزوير، فكلاهما يعكس ظاهر الأشياء لا باطنها أو محتواها.

- (سخن): روى الحربي: ((... رخص الرسول صلى الله عليه وسلم في المسح على التساخين))، قال: ((قوله التّساخين الواحدة تُسخن، وهي الخفاف يمانية))⁽⁴⁾.

ذكر ابن الأثير - بعد روايته الحديث -: ((... أن يمسحوا على المشاوذ والتساخين)) أن: ((التساخين: الخفاف، ولا واحد لها من لفظها، وقيل: واحدها تسخن وتسخن، هكذا شرح في كتب اللغة والغريب)) ثم نقل عن حمزة الأصفهاني ت(360هـ) أن: ((التساخين: تعريب تشكن وهو اسم غطاء من أغطية الرأس... وجاء ذكر التّساخين في الحديث فقال: من تعاطى تفسيره هو الخف حيث لم يُعرف فارسيته))⁽⁵⁾.

ولم تثبت عجمة اللفظ أو فارسيته عند بعض اللغويين على ما يظهر⁽⁶⁾ وخلت منها كتب المعربات كالمعرب للجواليقي وشفاء الغليل للخفاجي، ويرجح الباحث أنها من كلام أهل اليمن الذي لم يفش في معد.

- (سرحان): في حديث الفجر الأول: ((كأنه ذنب السرحان))، قال ابن الأثير: ((السرحان: الذنب، وقيل الأسد، وجمعه سراح وسراحين))⁽¹⁾.

قال ابن قتيبة: ((وبعض أصحاب اللغة يزعم أن السرحان في هذا المثل - يقصد سقط العشاء على سرحان⁽²⁾ - الأسد، قال: هو مثل قولهم للأسد في موضع آخر حية الوادي. وهذيل تسمي الأسد سرحاناً))⁽³⁾.

- (سلت): في الحديث: ((أنه كان يحمل الحسين على عاتقه، ويسلّ خشمه))، أي يمسحه⁽⁴⁾، ومنه في الوحي: ((هو يسلّ العرق عن وجهه، ويقول: هذا جبرئيل))، أي يمسحه ويُميطه⁽⁵⁾ قال الخطابي: ((قوله: يسلّ خشمه، أي يمرّ أنفه ويمسح ما سال منه، وأصل السلّ القطع))⁽⁶⁾، ونصّ لغويون آخرون على هذا المعنى⁽⁷⁾.

- (سلف): في حديث عبيد بن عمير: ((أرض الجنة مسلوقة))، قال القاسم: ((قال الأصمعي: هي المستوية أو المسواة، شك أبو عبيد، قال: وهذه لغة أهل اليمن والطائف وتلك الناحية يقولون: سلّفت الأرض أسلفها، ويقال للحجر الذي تسوى به الأرض: مسلّفة))⁽⁸⁾.

قال الجوهري: ((سلّفت الأرض أسلفها إذا سويتها بالمسلفة، وهي التي تسوى بها الأرض))⁽⁹⁾، ثم تمثّل لذلك بحديث ابن عمير، ونقل ابن منظور كلّ ذلك وزيادة ثمّ أنشد قول سعد القرقر:

نحن، بعرّس الوادي، اعلمنا
منّا بركض الجياد في السلف
السلف: جمع السلفة من الأرض وهي الكرّة المسواة⁽¹⁰⁾.

(3) الفائق، 132/2، 133، وينظر: غريب الخطابي، 190/3، والنهاية، 319/2

(4) غريب الحربي، 1034/3

(5) النهاية، 352/2، وينظر: 189/1 (تسخن)، واللسان، 207/13

(6) ينظر: الصحاح، 566/5، ومعجم مقاييس اللغة، 146/3

(1) النهاية، 352/2، واللسان، 207/13

(2) مجمع الأمثال، 97/2، والمستقصى في أمثال العرب، 119/2

(3) غريب ابن قتيبة، 123/2

(4) النهاية، 388/2، وينظر: غريب الحديث في بحر الأنوار، 238/2

(5) بحر الأنوار، 256/19، وغريب الحديث في بحر الأنوار، 238/2

(6) غريب الخطابي، 115/2، وينظر العين، 237/7 (سلّت)

(7) ينظر: الصحاح، 378/1، واللسان، 45/2، والمصباح، 284

(8) غريب القاسم، 356-355/4، وينظر: غريب الخطابي، 473/2

(9) الصحاح، 84/4

(10) اللسان، 160/9



- (سمن): قال القاسم في حديث الحجاج: ((أَنَّهُ أُوتِيَ بِسَمَكَةٍ، فَقَالَ لِلَّذِي عَمَلَهَا، سَمَنَهَا فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَقَالَ لَهُ عَنبَسَةُ بْنُ سَعِيدٍ: إِنَّهُ يَقُولُ لَكَ: بَرَدَهَا، وَهَذِهِ كَلِمَةٌ أَرَاهَا طَائِفِيَّةٌ يَسْمُونَ التَّبْرِيدَ: التَّسْمِينَ))⁽¹¹⁾.

قال الجوهرى: ((التسمين في لغة أهل الطائف، واليمن: التبريد)) ثم تمثل بحديث الحجاج السابق⁽¹²⁾.

- (شوه): في الحديث: ((فَأَمَرَ لَهَا بِشِيَاهِ غَنَمٍ)) قال الخطابي: ((قوله: شياه غنم، إنما عرفها بالغنم، لأنَّ العرب تسمي البقرة الوحشية شاة))، قال الشاعر:
وكان انطلاق الشاة من حيث خيما⁽¹⁾

- (شيص): في الحديث: ((أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى يَنْبُعٍ حِينَ وَادَعَ بَنِي مُدَلِّجٍ، فَأَهْدَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ رَطْباً سَخْلاً فَقَبَلَهُ))، قال ابن الأثير: ((السُّخْلُ بضم السين وتشديد الخاء: الشيص عند أهل الحجاز. يقولون: سَخَلْتُ النخلة إذا حملت شيصاً))⁽²⁾.

وقال الزمخشري: ((السُّخْلُ: الشيص، وقال عيسى بن عمر: إذا اقترنت البُسْرَتَانِ والثَلَاثُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ سَمِيَ السُّخْلُ، الخاء شديدة))⁽³⁾.

- (صري): وذكر الزمخشري أَنَّهُ لَمَّا احْتَرَقَتِ الْكَعْبَةُ، أَمَرَ ابْنُ الزَّبِيرِ ((بِصَوَارٍ فَنُصِبَتْ حَوْلَهَا ثُمَّ سَتَرَ عَلَيْهَا))، قال: ((الصَّارِي: دَقْلُ السَّفِينَةِ بِلُغَةِ أَهْلِ الشَّامِ وَالْجَمْعُ صَوَارٍ، وَالصَّارِي الْمَلَا حِ أَيْضاً))⁽⁴⁾.

والصاري: هو دقل السفينة الذي ينصب في وسطها قائماً يكون عليه الشراع⁽⁵⁾.

- (ضحى): في حديث سلمة بن الأكوع قال: ((غَزَوْتُ هَوَازَنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَنْضَحِي...)) قال القاسم: ((قوله: نَنْضَحِي يريد: نَتَغَدَّى، واسم ذلك الغداء: الضَّحَاءُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ يُؤْكَلُ فِي الضَّحَاءِ، وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

تَرَى الثَّوْرَ يَمْشِي رَاجِعاً مِنْ ضَحَائِهِ بِهَا مِثْلُ مَشْيِ الْهَبْرَزِيِّ الْمُسْرُولِ))⁽⁶⁾
وتضحية الإبل تغديتها (بالدال)، يُقَالُ: ضَحَّيْتُهَا إِذَا غَدَّيْتُهَا، قَالَ زَيْدُ الْخَيْلِ:

فَلَوْ أَنَّ نَصْرًا أَصْلَحَتْ ذَاتَ بَيْنِهَا لَضَحَّتْ رُويْدًا عَنْ مَظَالِمِهَا عَمْرُو⁽⁷⁾

وإلى وقتنا هذا فأَنَّ الْبَدُوَّ إِذَا أَرَادُوا أَنْ تَنَالُوا الْإِبِلَ مِنَ الْمَرْعَى وَقَتَ الْغَدَاءِ يَقُولُونَ دَعَوْهَا تَنْضَحِي.

- (ظلم): في الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ يَعَالِجُ ظُلْمَةً لِأَصْحَابِهِ فِي سَفَرٍ، وَقَدْ عَرِقَ وَآذَاهُ وَهَجُ النَّارِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): لَا يَصِيبُهُ حَرٌّ جَهَنَّمَ أَبَدًا))، قال القاسم: ((قوله: الظلمة يعني الخبزة، وهي التي يسميها الناس المَلَّةَ، وَإِنَّمَا الْمَلَّةُ اسْمُ الْحَفْرَةِ نَفْسِهَا، فَأَمَّا الَّتِي يُعْمَلُ فِيهَا فَهِيَ الظلمة والخبزة والمليل، وأكثر من يتكلم بهذه الكلمة أهل الشام والثغور، وهي مبتذلة عندهم))⁽¹⁾.

قال ابن الأثير: ((الظُّلْمَةُ: خُبْرَةٌ تَجْعَلُ فِي الْمَلَّةِ وَهِيَ الرَّمَادُ الْحَارُّ، وَأَصْلُ الظُّلْمِ: ضَرْبٌ بِبَسَطِ الْكَفِّ))⁽²⁾.

(11) غريب القاسم، 482/4

(12) الصحاح، 270/5، وينظر: اللسان، 220/13

(1) غريب الخطابي، 445/1، والمجموع المغيث، 231/2، والشعر للأعشى كما في ديوانه/188، واللسان، 509/13 (شوه)، وصدره كما في الديوان: فلما أضاء الصبح قام مبادرا

(2) النهاية، 350/2

(3) الفائق، 402/3 (نبح)

(4) المصدر نفسه، 9/4 (نغر)

(5) اللسان، 460/14

(6) غريب القاسم، 292/4، وينظر: ديوان ذي الرِّمَّة/226

(7) غريب ابن قتيبة، 137/2، والنهاية، 76/3

(1) غريب القاسم، 91-90/3، وينظر: غريب الحربي، 336/1

(2) النهاية، 137/3، وينظر: اللسان، 369/12 (ملل)



- (طمر): في حديث الإمام الصادق (عليه السلام): ((ليس بينكم وبين من خالفكم إلا المطمّر، قلت وائي شيء المطمّر؟ قال: الذي تسمّونه: التّر))⁽³⁾.
- ومنه في حديث آخر عنه (عليه السلام): ((يا خمران: مدّ المطمّر بينك وبين العالم، قلت: وما المطمّر؟ فقال: أنتم تسمّونه خيط البناء، فمن خالفكم على هذا الأمر فهو زنديق))⁽⁴⁾.
- قال ابن الأثير في حديث نافع: ((كنت أقول لابن دأب إذا حدّث أقم المطمّر)): ((هو بكسر الميم الأولى وفتح الثانية: الخيط الذي يقوم عليه البناء، ويسمّى التّر، أي أقول: قوم الحديث وصدق فيه))⁽⁵⁾. والتّر: ((بالضم: الخيط الذي يُقدّر به البناء فارسي مُعَرَّب)) أو ليس بعربي عند كثير من العلماء كالأصمعي وابن الأعرابي⁽⁶⁾. إلا أنها كلمة يتكلم بها العرب كثير⁽⁷⁾.
- ويبدو أنّ الإمام (عليه السلام) كان يتحدث مع قوم اختلف أدأؤهم هنا وهناك، فكان أنّ يبيّن لكلّ بما يفهم. ويظهر أنّ الأصل هو (المطمّر) على ما يفهم من اللغويين⁽⁸⁾. وهو ما جرى على لسان الإمام وقول نافع السابق، فأما التّر فيظهر أنّه مقترض من الفارسيّة، ويقابله في العربية الإمام فضلاً على المطمّر⁽⁹⁾.
- (عبط): في حديث عائشة: ((قالت: فقد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلاً كان يجالسُه فقالوا: اعتبط، فقال: قم بنا نعوذه))، قالت: ((وكانوا يُسمّون الوعك اعتباطاً))⁽¹⁰⁾.
- وكذا روى ابن الأثير وغيره⁽¹¹⁾.
- (عثكل): قال القاسم في ما تُسبّ إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ سعد بن عبادَة أتاه برجل كان في الحي مُخدّج سقيم، وُجد على أمة من إمائهم يخبث بها، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((خذوا له عثكلاً فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة)) : ((قال الأصمعي وغير واحد في المُخدّج هو الناقص الخلق، ومنه قيل للمقتول بالنهروان في الخوارج: مُخدّج اليد، وأمّا العثكال فهو الذي يسميه الناس: الكباسة، وفيه لغتان: عثكال وعثكول: وأهل المدينة يسمّونه العذق بكسر العين، وأمّا العذق - بالفتحة - فالنخلة نفسها))⁽¹⁾.
- (عجز): في الحديث أنّه ((قدّم عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) خوُخُسرو صاحب كسرى، فوهب له معجزة فسمي ذا المعجزة))، يقول أصحاب الغريب: هي المنطقة بلغة أهل اليمن، لأنّها تلي عَجَز المنتطق بها⁽²⁾ وكذا نصّ ابن منظور⁽³⁾.
- (عرم): في حديث أبي ميسرة في قوله تعالى: ﴿فَأَمْرُكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلَ الْمَرَمِ﴾⁽⁴⁾، قال أبو ميسرة: ((إنّ العرم المسناة بلحن اليمن، يريد بلغة اليمن))⁽⁵⁾ ويظهر أنّها أصل، بدليل ورود القرآن عليها - كما في الآية الكريمة - وتصدرها كلام المعجميين⁽⁶⁾.
- (قرض): في حديث أبي موسى وابن عمر: ((اجعله قراضاً))، ذكر أهل الغريب أنّ ((القراض المضاربة في لغة أهل الحجاز))⁽⁷⁾.

(3) بحار الأنوار، 179/46، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 425/2

(4) المصدران السابقان

(5) النهاية، 139/3

(6) اللسان، 90/4، (تتر)، وينظر: شفاء الغليل/103، والمعجم المفصل في المعرّب والدخيل/126

(7) ينظر: الصحاح، 241/2، واللسان، 90/4

(8) ينظر: الصحاح، 422/2، واللسان، 503/4

(9) ينظر: شفاء الغليل/103، والمعجم المفصل في المعرّب والدخيل/126

(10) المجموع المغني، 397/2، 398

(11) ينظر: النهاية، 173/3، واللسان، 349/7

(1) غريب القاسم، 291/1، وينظر: النهاية، 144/4، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 304/3

(2) الفائق، 397/2، والمجموع المغني، 407/2، والنهاية، 186/3

(3) ينظر: اللسان، 373/5

(4) سبأ، 16

(5) غريب ابن قتيبة، 325/1، والنهاية، 242/4

(6) ينظر: الصحاح، 346/5، واللسان، 396/12، والقاموس المحيط، 149/4



قال الزمخشري: ((أهل الحجاز يُسمّون المضاربة: القراض، والمقارضة والمعنى فيها وفي المضاربة واحد، وهو العقد على الضرب في الأرض والسعي فيها، وقطعها بالسير، من القرض في السير))⁽⁸⁾، قال ذو الرّمة:

إلى ظُعنٍ يقرضن أجوازَ مُشْرِفٍ شمالاً وعن أيمانهنّ الفوارس⁽⁹⁾

- (قفع): حديث عمر (رضي الله عنه) وسئل عن الجرار: ((فقال: ودَدْتُ أَنْ عَدْنَا قَفْعَةً أَوْ قَفْعَتَيْنِ))، قال الزمخشري: ((هي شيء ضيق الأعلى واسع الأسفل كالقفة... وعن بعضهم إنَّ القفة جلة التمر يمانية))⁽¹⁰⁾.

- (قلب): في حديث ابن مسعود: ((كانت المرأة تلبس القالبين تطاول بهما))، قال الزمخشري: ((فسر القالبان بالرقيصين من الخشب، والرقيص: النعل - بلغة أهل اليمن -))⁽¹¹⁾

قال الخطابي: ((الرقيص: النعل بلغة أهل اليمن، وبنو أسد يُسمّون النعل: الغريفة))⁽¹²⁾.

وجاء في (اللسان): ((والغريفة: النعل بلغة بني أسد، قال شمر: وطئى تقول ذلك))⁽¹³⁾.

قال الطرمّاح الطائي⁽¹⁴⁾:

خَرِيعُ النَّعْوِ مُضْطَرِبُ النَّوَاحِي كأخلاقِ الْغَرِيفَةِ ذِي عُضُونِ⁽¹⁾

- (كفر): وقال - أيضاً - في حديث أبي هريرة: ((لتخرجنكم الروم منها كفراً كفراً إلى سنّبك من الأرض، قيل: وما ذلك السنّبك؟ قال: حِشْمِي جُذَام)) ((قوله: كفراً كفراً يعني قرية قرية، وأكثر من يتكلم بهذه الكلمة أهل الشام يُسمّون القرية: الكفر، ولهذا قالوا كفر ثوئى وكفر تعقاب وكفر بيا، وغير ذلك، إنّما هي قرى نسبت إلى رجال، وقد روي عن معاوية أنّه قال: أهل الكفور هم أهل القبور، يعني بالكفور القرى... وأما قوله سنّبك من الأرض، أصل السنّبك من سنّبك الحافر، فشبه الأرض التي يخرجون إليها بالسنّبك في غلظه وقلة خيرته... حشمي: موضع وجذام قبيلة من اليمن))⁽²⁾.

- (كمم): روى الحربي: ((سئل ابن عباس عن العزل فرفع كميّه وله وفرة... وقول النبي (صلى الله عليه وسلم): أنا وأمتي على كوم مشرفين على الخلائق... قوله: فإذا عليه كمة، وهي القلنسوة لغة بصرية))⁽³⁾.

قال الجوهرى: ((الكمة: القلنسوة المدوّرة، لأنّها تغطي الرأس))⁽⁴⁾.

- (لثن): في حديث المبعث

بغضنكم عندنا مرّ مذاقته وبغضنا عندكم يا قومنا لثن

نقل الزمخشري وتبعه ابن الأثير أنّ اللّثن: الحلو لغة يمانية⁽⁵⁾. ونصّ الأزهرى على ذلك⁽⁶⁾. وذكر الفيروز ابادي أنّ ((اللّثن ككتف الحلو))⁽⁷⁾.

والذي يرجحه الباحث ما رواه الأزهرى عن علي بن حرب، وهو ثبت على قول الأزهرى في هذا الموضع، ويبدو أنّه من الكلام الذي قُشا في اليمانية، ولم يصل إلى الشمال، كما لا يبعد حدوث التصحيف في ما نقل صاحب (القاموس).

(7) غريب القاسم، 151/4، وينظر: غريب ابن قتيبة، 198/1، والنهاية، 41/4

(8) الفائق، 187/3

(9) ديوانه، 313

(10) الفائق، 214/3، 215

(11) المصدر نفسه، 222/3، وينظر: النهاية، 98/4

(12) غريب الخطابي، 258/2

(13) اللسان، 264/9، وينظر: الصحاح، 130/4 (غرق)

(14) ينظر: الشعر والشعراء، 358

(1) ديوانه، 534، وينظر: الصحاح، 130/4، واللسان، 264/9

(2) غريب القاسم، 190/4-191، والفائق، 270/3، وغريب ابن الجوزي، 295/2-296، والنهاية، 189/4

(3) غريب الحربي، 482/2-484

(4) الصحاح، 408/5، وينظر: اللسان، 527/12، والقاموس المحيط، 173/4

(5) الفائق، 303/3، 304، والنهاية، 231/4

(6) ينظر: التهذيب، 90/15، واللسان، 527/12

(7) القاموس المحيط، 266/4



- (ليب): في حديث ابن عباس: ((أمر الدَّم بما كان قاطعاً من ليطّة فالية))، قال ابن الأثير: ((أي قصبّة وشقّة قاطعة، وتُسمّى السّكّين الفالية))⁽⁸⁾.

وما زالت تستعمل لفظة (ليطة) وهي قشرة القصبّة المتينة والحادة بهذا المعنى في بعض البيئات العراقية، فنسمعهم يقولون - أحياناً - حين لا تتوفّر آلة لتذكية الطيور كالسكين مثلاً: ((أذبحه ولو بليطة)).

- (مجن): قال الزمخشري في كلام سليمان بن عبد الملك: ((إياي وكلام المجعة - ورؤي: المجاعة)): ((المجاعة والمجاعة أختان، وقد تماجعا وتماجنا إذا ترافعا، قال أبو تراب: سمعت ذلك من جماعة من قيس))⁽¹⁾.

قال الجوهري: ((مَجَعَ الرجل... يَمَجُّ مجاعة إذا تماجن... وتماجع الرجلان: تماجنا وترافعا))⁽²⁾.

- (مصر): المصر عند ابن قتيبة: ((الحدُّ، وأهل هَجَر يكتبُون في شروطهم: اشترى فلان الدار بمصورها كلها، أي بحدودها، وقال عدي بن زيد:

واجعل الشمس مصرّاً لا خفاء به
بين النهار وبين الليل قد فصلا
أي: حدّاً))⁽³⁾.

فأما ما نقله الجوهري بقوله: ((وأهل مصر يكتبُون في شروطهم: اشترى فلان الدار بمصورها، أي بحدودها))⁽⁴⁾، وتبعه عليه ابن منظور⁽⁵⁾، فيظهر أنه تصحيف للفظة (هجر) وقد أشار محقق (الصاح) أن في حاشية الأصل ((بخط أبي زكريا، قال الهروي: إنما أهل هجر يقولون ذلك لا أهل مصر))، وفيها ((بخط أبي سهل: رأيت أهل مصر لا يقولون هذا، ورأيت في كتاب غريب الحديث لابن قتيبة أن أهل هجر يقولون ذلك))⁽⁶⁾، وقد مرّ.

- (موص): في قول عائشة ((حتى إذا مصتموه كما يماص الثوب عدوتم عليه))، مصتموه عند العربي يعني ((غسلتموه، مُصِئ الثوب أموصه مؤصاً))⁽⁷⁾.

والموص عند أهل المعاجم ((الغسل، وقد مُصِئ الشيء، أي غسلته))⁽⁸⁾، ولا تزال لفظة (ماص) ومشتقاتها تجري على ألسنة كثير من العراقيين في الوسط والجنوب زيادة إلى لفظة (غسل).

- (ندر): في الحديث: ((كان لأَيوب (عليه السلام) أندران))، ذكر ابن الأثير أن ((الأندر البيدر، وهو

الموضع الذي يُداس فيه الطعام بلغة أهل الشام))⁽⁹⁾، وقال الراجز:

يَذُقُّ مَعْرَاءَ الطَّرِيقِ العَادِرِ
دَقَّ الدَّيَاسِ عَرَمَ الْأَنَادِرِ

والأنادر جمع الأندر، وهو البيدر بلغة أهل الشام⁽¹⁰⁾.

- (ندر): في حديث ابن المسيب: ((أن عمر وعثمان قَضَيَا في المِلطاة، بنصف نذر الموضحة))، قال ابن الأثير: ((أي بنصف ما يجب فيها من الأرش والقيمة، وأهل الحجاز يسمّون الأرش نذراً، وأهل العراق يسمّونه أرشاً))⁽¹⁾، والمِلطاة: القشرة الرقيقة بين عظم الرأس ولحمه... وأهل الحجاز يسمّونها السمحاق⁽²⁾. فأما الموضحة فالتّي تُبدي وَضَحَ العظم أي بياضه⁽³⁾. والأرش المذكور في الأحكام: الذي يأخذه الرَّجُل من البائع إذا وقف على عيب⁽⁴⁾.

(8) النهاية، 474/3، وينظر: 397، والقاموس المحيط، 384/2

(1) الفائق، 347/3، وينظر: النهاية، 300/4

(2) الصحاح، 570/3 (مجمع)

(3) غريب ابن قتيبة، 477/1، وينظر: اللسان، 176/5، وشعر عدي في ديوانه، 159

(4) الصحاح، 548/2

(5) ينظر: اللسان، 176/5

(6) هامش الصحاح، 548/2 (مصر)، وينظر: القاموس المحيط، 134/2

(7) غريب العربي، 362/2

(8) الصحاح، 265/3، والمجلد، 655/5، واللسان، 95/7، والقاموس المحيط، 319/2

(9) النهاية، 74/1

(10) ينظر: الصحاح، 558/2، واللسان، 200/5

(1) النهاية، 39/5

(2) المصدر نفسه، 356/4 (ملط)



- (نسس): في صفته (صلى الله عليه وآله وسلم): ((كَانَ يَنْسُ أَصْحَابَهُ)) أي يسوقهم، يريد: ((أنه إذا مشى مع أصحابه يُقَدِّمهم بين يديه، ومشى وراءهم... والنَّسُّ: السَّوْقُ وكانت تُسَمَّى مَكَّة النَّاسَةَ، لأنَّ البَاغِي فيها، والمحدث يُخرج منها))⁽⁵⁾.

- (نغر): في حديث عطاء: ((الْكُعَيْتُ))، قال أبو موسى: ((عصفور، وهو البُلْبُل وأهل المدينة يسمونه النُّغْر، وصوته العندلة))⁽⁶⁾.

وجاء في (اللسان): ((قيل: النُّغْر ضرب من الحُمَر حُمُر المناقير وأصول الاحناك وجمعها نِغْرَان وهو البلبل عند أهل المدينة، قال يصف كَرَمًا: يَحْمِلْنَ أَزْقَاقَ المُدَامِ كَأَتَمًا يَحْمِلْنَهَا بِأَظْفَارِ النِّغْرَانِ))⁽⁷⁾

وزاد ابن منظور: ((وَجُرْحُ نَغَارٍ: يسيل منه الدَّم... يُقَال: نَغَرَ الدَّمُ وَنَعَرَ وَتَغَرَ: كُلُّ ذَلِكَ إِذَا انْفَجَرَ))⁽⁸⁾.

ويغلب على الظن أنَّ هؤلاء إنما سمُّوا هذا الطائر بالنُّغْر، لحمرة منقاره، تشبيها بنغار الدم و((شاة مُنْغَارٍ مِثْلُ مِمْغَارٍ، وَجَرَحَ نَغَارٌ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ))⁽⁹⁾.

- (هدى): في حديث: ((فَمَا هَدَى مِمَّا رَجَعَ))، قيل: ((لغة أهل الغور أن يقولوا في معنى بَيَّنْتُ لَكَ: هَدَيْتُ لَكَ، ويُقال: بَلَّغْتَهُمْ نَزَلْتُ «أَوْ كَرِهْتُ لَهُمْ»)) وقوله: فما هدى من هذا، أي فما بيَّن وما جاء بالحُجَّة))⁽¹¹⁾.

وفسّر أبو عمرو بن العلاء الآية على لغة أهل الغور و((هديته الطريق و البيت هداية، أي عَرَفْتَهُ، هذه لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول: هديته إلى الطريق وإلى الدار حكاها الأَخْفَشُ))⁽¹²⁾.

- (هزم): في الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إِذَا عَرَّسْتُمْ فَأَجْتَنِبُوا هَزْمَ الْأَرْضِ، فَإِنَّهَا مَأْوَى الْهُوَامِ - وروي: هَوَمُ الْأَرْضِ، وَهُوَ الْأَرْضُ))⁽¹⁾.

قال الخطابي: ((ولست أدري ما هَوَمُ الْأَرْضِ، وَلَا سَمِعْتُ فِيهِ مِنْ ثَقَةٍ مَا اعْتَمَدَهُ إِلَّا أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لِي: هَوَمُ الْأَرْضِ مشهور في لغتنا، وهو بَطْنَانِ الْأَرْضِ))⁽²⁾.

ولم يحدِّد ابن الأثير بل اكتفى بالقول أنَّه في بعض اللغات⁽³⁾. وهزم الأرض هو ((ما تهزَّم من الأرض، أي تشقَّق ... والهوى: جمع هُوَه، وهي الحفرة تشرف عليها إسناد غِلاظ))⁽⁴⁾.

(3) نفسه، 196/5 (وضح)

(4) المجموع المغيبي، 55/1 (أرش)

(5) غريب ابن قتيبة، 503/1، والنهاية، 47/5

(6) المجموع المغيبي، 54/3، والنهاية، 179/4 (كعت)

(7) اللسان، 223/5

(8) المصدر نفسه، 224/5

(9) نفسه، وينظر: الصحاح، 570/2

(10) السجدة، 26

(11) الفائق، 98/4

(12) الصحاح، 566/6

(1) أخرجه مسلم، 1525/3، والترمذي، 143/5، وأحمد، 378/2 بلفظ (فأجتنبوا الطريق)

(2) غريب الخطابي، 210/1، وينظر: الفائق، 103/4

(3) ينظر: النهاية، 283/5

(4) الفائق، 103/4



المبحث الثاني

المشترك اللفظي

هو اللفظ الدال على معنيين مختلفين أو أكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة⁽¹⁾، وجاء في (التعريفات)⁽²⁾: ((ما وُضِعَ لمعنى كثير بوضع قليل كالعين لاشتراكه بين المعاني)). ولقد عرض القدماء هذه الظاهرة، فذهب سيبويه⁽³⁾، وابن فارس⁽⁴⁾، وابن سيده⁽⁵⁾ إلى أنه يجوز أن يتفق اللفظان ويختلف المعنيان. فأما ابن درستويه فأنكر أن يتفق اللفظان ويختلف المعنيان إلا أن يأتي على لغتين متباينتين⁽⁶⁾.

والأصل في اللفظ أن يستقر على حاله الأول ما لم يدع داع إلى أن يُترك ويُحوّل⁽⁷⁾، ويرى أبو علي الفارسي أن اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي أن لا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً ولكنه من لغات تداخلت⁽⁸⁾.

وقد ألقى مذهب أبي علي هذا رضا وقبولاً عند طائفة من المحدثين، كالدكتور رمضان عبد التواب الذي يرى أنه: ((ينبغي أن ينظر إلى المعاني الكثيرة المختلفة التي تذكرها المعاجم العربية لهذا اللفظ أو ذاك في ضوء هذا الذي ذكره أبو علي الفارسي))⁽⁹⁾.

ويبدو أن أصحاب المعجمات ضموا هذه المعاني بعضها إلى بعض من دون أن يُعنوا كثيراً بإرجاع كل معنى إلى القبيلة التي كانت تستعمله⁽¹⁰⁾.

ويتضح من هذا أن عامل اختلاف اللغات (اللهجات) يُعدُّ علّة رئيسة في ظهور المشترك اللفظي، وإن كانت ثمة عوامل أخرى منها ما يُنسب إلى الاستعمال المجازي الذي لا يفترض أن يكون متعمداً أو مقصوداً، إذ يقع مصادفة من دون اتفاق أو مواضعة، فيقولون: رأس الإنسان، ورأس الجبل. ورأس النخلة ثم يقولون: رأس الحكمة، فيتم الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المجازي، وهو انتقال يتطلب زمناً طويلاً قبل أن ينتهي إلى المعنى الأخير الذي يمثل ضرباً من

(1) المزهر، 369/1

(2) التعريفات: 119

(3) ينظر: الكتاب، 24/1

(4) ينظر: الصاحب، 269

(5) ينظر: المخصص، 259/13، والمزهر، 369/1-385 للوقوف على هذا الباب ومعرفة مزيد من أقوال العلماء فيه

(6) ينظر: تصحيح الفصح، 240/1، والمزهر، 384/1

(7) ينظر: الخصائص، 457/2

(8) ينظر: المخصص، 259/13

(9) فصول في فقه العربية، د: رمضان عبد التواب، 325، وينظر: دراسات في فقه اللغة، 303

(10) ينظر: المشترك اللغوي، نظرية وتطبيقاً، 55



التطور⁽¹¹⁾ ثم سرعان ما يُنسَى الاستعمال المجازي، ليصبح المعنى الجديد الذي دخل اللفظ مجازاً لا يقل في حقيقته عن المعنى الأول، لأننا كما يرى فندريس - إذا أردنا أن نحدّد معنى كلمة، فعلينا أن ننظر إلى استعمالها اليوم لا إلى تاريخها⁽¹²⁾.

وقد تكون علّة نشوء المشترك ما يعود إلى المعنى العام للأصول، إذ إنّ أكثر الأصول التي تشتق منها الألفاظ للدلالة على معانٍ جديدة ذات معانٍ عامّة، ولذلك فقد تستعمل للدلالة على مُسمّيات مختلفة تشترك في تلك الصفة⁽¹⁾.

وهذا قريب ممّا يُسمّى بالمعنى المحوري (الدلالة المحورية)، الذي يمكن أن يتحقّق تحقّقاً علمياً في كل الاستعمالات المصوغة لجذر ما، ولعلّ ابن فارس (395 هـ) في كتابه ((معجم مقاييس اللغة)) من أكثر علماء العربية وعياً والتفاتاً إلى فكرة أنّ لكلّ جذرٍ من جذور العربية (دلالة محورية) تنتظم كل استعمالاته⁽²⁾.

وعموماً فإنّ السياق هو الذي يخلق للكلمات قيمتها الحضورية، ويخلصها من الدلالات الماضية، التي تراكمت عليها، وهو السبيل الأمثل في تحديد دلالة المفردات مهما تنوّعت وتفرّعت⁽³⁾.

والذي يعيننا من موجبات المشترك اللفظي ما يتعلق بعامل اختلاف اللغات في طائفة من الأمثلة التي عرضها مصنفو غريب الحديث وعلى النحو الآتي:

- في حديث المختار: ((لما قتل عمر بن سعد جعل رأسه في ملاح وعلقه)).

ذكر الزمخشري أن النضر قال: ((الملاح المخلّة، بلغة هذيل وأنشد:

رُبَّ عَاتٍ أَتَوْا بِهِ فِي وَثَاقٍ خَاضِعٍ أَوْ بِرَأْسِهِ فِي مِلَاحٍ))⁽⁴⁾

وقيل على ما يروي الزمخشري وتبعه ابن الأثير: ((هو سنان الرمح أيضاً، أي جعل رأسه في مخلّة وعلقها، أو نصبه على رأس رُمح))⁽⁵⁾.

ونقل ابن منظور عن ابن الأعرابي أنّ الملاح المخلّة ونسبه إلى هذيل، وقيل: ((هو سنان الرمح، قال: والملاح: السّترّة والملاح: الرمح. والملاح: أنّ تَهَبُ الْجَنُوبُ بَعْدَ الشَّمَالِ))⁽⁶⁾

وزاد الفيروز ابادي: ((الريح تجري بها السفينة... وبزُد الأرض حين ينزل الغيث والمراضعة، ومعالجة حياء الناقة والمياه))⁽⁷⁾.

وعلى معنى المرضعة رُوي حديث وفد هوازن: ((يا رسول الله. إنا لو ملّحنا الحارث بن أبي شمر أو النّعمان بن المنذر، ثمّ وليّ منا مثل الذي وليت لعاد علينا بفضلّه وعطفه وأنت خيرُ المكفولين))⁽⁸⁾. أي: لو كنّا أرضعنا لهما، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسترضعاً فيهم، ثمّ أرضعته حليمة السعدية⁽⁹⁾.

والراجح أنّ ورود كلّ هذه المعاني المختلفة على هذا اللفظ يرجع في جملته إلى تداخل اللغات على وفق ما صرّح به كثير من علماء اللغة القدماء والمحدثين - كما مر -.

- وفي حديث عمرو بن العاص إذ دخل عليه معاوية وهو عاتب: ((أما والله لقد تلافيت أمرك، وهو أشد انفصاجاً من حقّ الكهْدل، فما زِلْتُ أرمُّه بوذائله، وأصلُّه بوصائله، حتى تركته على مثل فُلْكة المَدْر))، ذكر الزمخشري أنّ: ((الانفصاج الاسترخاء... الكهْدل والكهْوَل: العنكبوت وحقّها: بيتها...))⁽¹⁾.

(11) ينظر: في اللهجات العربية/193-199

(12) ينظر: اللغة/226

(1) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مبارك/198، والمشارك اللغوي، نظرية وتطبيقاً/56

(2) لمزيد من التفصيل ينظر: الدلالة المحورية في معجم مقاييس اللغة، د: عبد الكريم محمد حسن جبل/9-30، ولعل ابن فارس مسبوق بما أسس له ابن جني ت(392) في خصائصه في باب(الاشتقاق الأكبر) وعقده معنًى واحداً على التقاليد الستة للأصل الثلاثي

(3) ينظر: اللغة/231

(4) الفائق، 388/3(ملح)

(5) المصدر نفسه، وينظر: النهاية، 355/4(ملح)

(6) السان، 604/2

(7) القاموس المحيط، 250/1(ملح)

(8) بحار الأنوار، 172/21، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 429/3(ملح)

(9) غريب الحديث في بحار الأنوار، 429/3(ملح)

(1) الفائق، 441/2(وذل)



موضع الشاهد في (الوذائل)، قال الزمخشري: ((قالوا: الوذائل: سبائك الفضة، جمع وذيلة... وعندي أنه أراد بالوذائل جمع وذيلة، وهي المرأة بلغة هذيل قال:

وبياض وجهك لم تحل أسرارُه
مثل الوذيلة أو كَشَنَفِ الأُنْصُرِ))⁽²⁾

واستشارة المعجمات تدلنا على أن: ((الوذيلة: المرأة طائفة، قال أبو عمرو: قال الهذلي
الوذيلة المرأة في لغتنا، والوذيلة السبيكة من الفضة، وقيل: من الفضة المجلوة خاصة والجمع
وذيل ووذائل... قال الطرماح:

بُخْدُوْدٍ كَالْوَذَائِلِ لَمْ
يُخْتَرْنَ عَنْهَا وَرِيَّ السَنَامِ))⁽³⁾

وجملة الدلالات التي يخرج إليها الجذر (وذل) ترجع إلى شيء يراد منه التحسين والتزيين
و((الوذيلة والوذلة والوذلة من النساء النشطة الرشيقة))⁽⁴⁾.

وقال الزمخشري مفسراً حديث عمرو بقوله: ((مَثَلُهَا آراءه التي كانت لمعاوية أشباه المرائي
يرى فيها وجوه صلاح أمره واستقامة ملكه))⁽⁵⁾.

- وسئل الإمام الكاظم (عليه السلام) عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾⁽⁶⁾، فقال:

((دنى فتدلى، فإنه لم يدل عن موضع، ولم يتدل بدن))، فقال السائل: ((أصفه بما وصف به نفسه
حيث قال: دنى فتدلى، فلم يتدل عن مجلسه إلا قد زال عنه ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه)) فقال
الإمام (عليه السلام): ((إن هذه لغة قريش إذا أراد الرجل منهم أن يقول: قد سمعت، يقول: تدلّيت، وإنما
التدلي: الفهم))⁽⁷⁾.

وذكر البرجندي متابعاً المجلسي أن: ((التدلي: القرب والنزول من علو، وما ذكره (عليه السلام) أن
المراد به الفهم فهو على المجاز، لأن من يريد فهم شيء يتدلى إلى القائل ليسمعه ويفهمه))⁽⁸⁾.

فأصل المعنى يدل على ((مقاربة الشيء، ومُداناته بسهولة ورفق))⁽¹⁾، والتدلي: ((الدنو
والاسترسال))⁽²⁾ وكان المعنى عند الفراء: ((ثم تدلى فدنا ولكنه جاز إذا كان معنى الفعلين واحداً
أو كالأحد قدمت أيهما شئت، فقلت: قد دنا فقرب، وقرب فدنا وشتمني فأساء، وأساء فشتمني،
وقال الباطل، لأن الشتم والإساءة شيء واحد))⁽³⁾.

ويظهر من ذلك أن الأصل في معنى التدلي هو القرب والمدانة وهذا معروف عند جميع
العرب⁽⁴⁾. إلا أن قريشاً خرجت به إلى معنى السماع المقرون بالفهم وهذا لا يكون إلا عن قرب
ومن أمثلة المشترك اللفظي الأخرى:

- (أرز): في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مِثْلُ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ
تَمِيلُهَا الرِّيحُ مَرَّةً هَكَذَا وَمَرَّةً هَكَذَا وَمِثْلُ الْمَنَافِقِ مِثْلُ الْأَرْزَةِ الْمُجْدِيَةِ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَكُونَ
انْجِعَافُهَا مَرَّةً))⁽⁵⁾.

قال القاسم - معقياً - : ((قال أبو عمرو: وهي الأرزة - مفتوحة الراء - من الشجر الأرزن...
وقال أبو عبيد: الأرزة عندي غير ما قال أبو عمرو... وإنما هي الأرزة - بتسكين الراء - وهو

(2) المصدر نفسه، وينظر: النهاية، 171/5 (وذل)

(3) اللسان، 723/11، وينظر: الصحاح، 137/5، ومعجم مقاييس اللغة، 99/6، والمجمل، 747/7 (وذل)، وشعر الطرماح في ديوانه، 404

(4) اللسان، 423/11

(5) الفائق، 441/2 (عصب)

(6) النجم، 8

(7) بحار الأنوار، 313/3، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 37/2 (دلا)

(8) المصدران السابقان

(1) معجم مقاييس اللغة، 293/2 (دلي)

(2) مفردات الراغب، 316، 317 (دل)

(3) معاني القرآن، 95/3

(4) ينظر: معجم مقاييس اللغة، 363، والسان، 267/14



شجر معروف بالشام، وقد رأيت له الأرز، واحدها أرزة وهو الذي يُسمى بالعراق الصنوبر، وإنما الصنوبر ثمر الأرز فسمي الشجر صنوبراً من أجل ثمره⁽⁵⁾. وقال الزمخشري: ((الأرزة بفتح الراء شجرة الأرزن ورؤي بسكونها، وهي شجرة الصنوبر والصنوبر ثمرها))⁽⁶⁾.

وتبعاً للرواية فهذا البناء يدلّ أولاً على شجرة الأرزن وهو خشب معروف وقيل هو الصنوبر⁽⁷⁾، ويبدو أنّ اختلاف العلماء في معنى هذا البناء، يرجع إلى أنّ بعضهم سمع من فصيل، وسمع الآخرون من فصيل آخر كما يظهر أنّ ما يسميه أهل الشام الأرز يدعوهم أهل العراق بالصنوبر وهذا نوع من الترادف.

- (أمة): في حديث الزهري أنّه قال: ((من امتحن في حدّ فأمه، ثم تبرأ، فليست عليه عقوبة، فإن عوقب فأمه، فليس عليه حدّ إلا أن يأمه من غير عقوبة)).

قال القاسم: ((قوله: أمة، هو ههنا الإقرار، ولم أسمع إلا في هذا الحديث، والأمة في غير هذا الموضع النسيان، ومنه حديث ابن عباس وعكرمة: أنّهما يقرآن: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أَمَةٍ﴾⁽⁸⁾ أي

بعد نسيان))⁽¹⁾.

قال الفراء: ((وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أَمَةٍ﴾⁽²⁾): ((الأمة: الحين من الدهر، وقد ذكر عن

بعضهم، ﴿بَعْدَ أَمَةٍ﴾ وهو النسيان، يقال: رجل مأموه كأنه الذي ليس معه عقله، وقد أمه الرجل))⁽³⁾.

وكرر الجوهري المعنى الأخير ذاته ونسب القراءة به إلى ابن عباس وانشد لشاعر:

أَمَهُتْ وَكُنْتُ لَا أُنْسِي حَدِيثاً كَذَاكَ الدَّهْرُ يُؤْدِي بِالْعُقُولِ

ثمّ قال: ((وأما ما في حديث الزهري: أمة، بمعنى أقرّ واعترف فهي لغة غير مشهورة))⁽⁴⁾. - (بكر): وفي حديث الجمعة: ((من غسّل واغتسل، وبكر وابتكر واستمع ولم يلغ كفر ذلك ما بين الجمعتين))⁽⁵⁾.

قال ابن قتيبة: ((قوله: بكر، فإنّ العوام تذهب في هذا إلى أنّه الغدو إلى المسجد الجامع وليس كذلك، إنّما التبكير هاهنا إتيان الصلاة لأوّل وقتها، وكلّ من أسرع إلى شيء، فقد بكر إليه، ولذلك يُقال: بكرُوا بصلاة المغرب، أي صلّوها عند سقوط القرص))⁽⁶⁾.

ويظهر من هذا أنّ هناك مستويين في فهم هذا البناء، الأوّل ما عليه الخواص، وهو الذي نقله أهل الغريب، ومعناه إتيان الصلاة لأوّل وقتها، والثاني ما عليه العوام الذين خرجوا بهذا البناء إلى معنى الغدو إلى المسجد الجامع، والمعنى الجامع في الاثنين هو الإسراع إلى الشيء.

- (ترع): قال القاسم في الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إنّ منبري هذا على ترعة من

ترع الجنة)): قال أبو عبيدة: ((الترعة: الروضة تكون على المكان المرتفع خاصّة، فإذا كانت على المكان المظمن فهي روضة، وقال أبو زياد الكلابي: أحسن ما تكون الروضة على المكان الذي فيه غلظ وارتفاع ألا تسمع قول الأعشى:

ما روضة من رياض الحزن مُعْشِبَةٌ خضراء جاد عليها مُسْبِلٌ هَظْلٌ⁽⁷⁾

(5) غريب القاسم، 117/1-118، والفائق، 400/1، 401

(6) الفائق، 401/1، والنهاية، 38/1 (أرز)

(7) النهاية، 38/1 (أرز)

(8) المحتسب، 16/2، وينظر: حاشية المحقق في الموضع نفسه، والإتحاف، 365

(1) غريب القاسم، 477/4، وينظر: الفائق، 58/1، والنهاية، 72/1

(2) يوسف، 45

(3) معاني القرآن، 47/2

(4) الصحاح، 120/6، وينظر: اللسان، 471/13

(5) الفائق، 66/3، وينظر: غريب ابن قتيبة، 290/1

(6) غريب ابن قتيبة، 290/1، وينظر: غريب الخطابي، 330/1، والفائق، 67/3، والمجموع المغيث، 180/1

(7) غريب القاسم، 5-4/1، وينظر: ديوان الأعشى، 58



ثُمَّ نَقَلَ الْقَاسِمُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِي: ((التَّرْعَةُ: الدَّرَجَةُ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَقَالَ غَيْرُهُ: التَّرْعَةُ الْبَابُ، كَأَنَّهُ قَالَ: مَنْبَرِي هَذَا عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ)) (١).
وَتَشِيرُ بَعْضُ الْمَظَانِ، وَنَقَصْدُ كَتَبِ الْمَعْرَبِ وَالدَّخِيلِ إِلَى أَنَّ (تُرْعَةً) بِالضَّمِّ هِيَ الْبَابُ سَرِيَانِيَّةٌ، وَالتَّرَاعُ الْبُؤَابُ، عُرِّبَتْ، وَجَعَلَتْ بِمَعْنَى مَفْتَحِ الْمَاءِ وَمَجْرَاهُ، لِأَنَّهُ يَشْبِهُ الْبَابَ (٢).
إِلَّا أَنَّ كَثْرَةَ تَصَرُّفِ الْعَرَبِ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَاسْتِقْلَالَهُمْ مِنْهَا، وَتَنَوُّعُ لَهْجَاتِ الْعَرَبِ فِيهَا لَفْظاً وَمَعْنَى (٣)، يُوحِي إِلَى أَنَّ يَكُونُ أَصْلُهَا عَرَبِيّاً أَوْ هُوَ مِنَ الْمَشْتَرَكِ السَّامِيِّ، فَلَمْ يُعْثَرْ فِي الْمَعْجَمَاتِ الَّتِي أوردت هذه اللفظة على إحساس هؤلاء اللغويين بأعجميتها على ما يُعْرَفُ مِنْ حَرْصِهِمُ الْكَامِلِ عَلَى ذِكْرِ كُلِّ مَعْلُومَةٍ تَتَّصِلُ بِاللَّفْظِ، وَلَعَلَّ تَكَرُّرَهَا فِي الْأَحَادِيثِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَوْ صَحَابَتِهِ مِمَّا يَقْوِي هَذَا الزَّعْمَ، قَالَ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ مُفَسِّراً لِحَدِيثِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): ((أَتَدْرُونَ مَا التَّرْعَةُ؟ هِيَ الْبَابُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هَذَا هُوَ الْوَجْهُ عِنْدَنَا)) (٤).
- (جَلَجَ): فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَمَّا أُنْزِلَتْ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (٥).
قَالَتِ الصَّحَابَةُ ((بَقِينَا نَحْنُ فِي جَلَجٍ لَا نَدْرِي مَا يَصْنَعُ بِنَا)) ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ: ((قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: سَأَلْتُ الْأَصْمَعِيَّ عَنْهُ فَلَمْ يَعْرِفْهُ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَسَلَمَةُ: الْجَلَجُ: رُؤُوسُ النَّاسِ، وَاحِدَتُهَا "جَلْجَةٌ"، الْمَعْنَى: إِنَّا بَقِينَا فِي عَدَدِ رُؤُوسٍ كَثِيرَةٍ مِنَ النَّاسِ... وَقِيلَ: الْجَلَجُ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، جِبَابُ الْمَاءِ، كَأَنَّهُ يَرِيدُ: تَرَكْنَا فِي أَمْرِ ضَيِّقٍ كَضِيقِ الْجِبَابِ)) (٦).
وَذَكَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنَّ: ((الْجَلَجُ بِمَعْنَى الْحَرْجِ وَهُوَ الْقَلْقُ، أَيْ بَقِينَا فِي غَيْرِ اسْتِقْرَارٍ وَيَقِينٍ مِنْ أَمْرِنَا)) (٧). وَنَصَّ ابْنُ دُرَيْدٍ عَلَى هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ (٨)، وَتَبِعَهُ ابْنُ فَارَسٍ (٩).
- (جَلَجَلْ): فِي حَدِيثِ جُرَيْجٍ: ((وَذَكَرَ الصَّدُوقُ فِي الْجَلْجَلَانِ))، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: ((هُوَ السَّمْسَمُ، وَقِيلَ: حَبُّ الْكَزْبَرَةِ)) (١٠). وَذُهِنُ الْجَلْجَلَانِ، يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ دَهْنًا مُسْتَخْرَجًا مِنَ السَّمْسَمِ (١١). وَجَاءَ فِي (اللسان) (١٢): ((الْجَلْجَلَانُ: ثَمَرَةُ الْكَزْبَرَةِ، وَقِيلَ حَبُّ السَّمْسَمِ، وَقَالَ أَبُو الْغَوْثِ: الْجَلْجَلَانُ: هُوَ السَّمْسَمُ فِي قَشْرِهِ قَبْلَ أَنْ يَحْصَدَ... ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: يُقَالُ لَمَّا فِي جَوْفِ التَّيْنِ مِنَ الْحَبِّ الْجَلْجَلَانُ وَأَشَدُّ غَيْرُهُ لَوْضَاحٌ)).

شعر وضاح الكباني

قد خلط بجلجلان (١٣)

ضحك الناس وقالوا

إنما شعري ملح

- (حَقْل): الْمَحَاقَلَةُ عِنْدَ ابْنِ قَتَيْبَةَ الَّتِي تُهَيَّ عَنْهَا فِيهَا ثَلَاثَةُ أَقَاوِيلَ: ((يُقَالُ: هِيَ بَيْعُ الزَّرْعِ بِالْحَنْطَةِ وَيُقَالُ: هِيَ اكْتِرَاءُ الْأَرْضِ بِالْحَنْطَةِ، وَيُقَالُ: هِيَ الْمَزَارَعَةُ بِالثَّلْثِ وَالرَّبْعِ وَأَقْلَ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْثَرُ، وَهَذَا الْوَجْهُ أَشْبَهَ بِهَا عَنْ طَرِيقِ اللُّغَةِ، لِأَنَّ الْمَحَاقِلَةَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْحَقْلِ، وَالْحَقْلُ: الْقَرَّاحُ، وَالْمَفَاعِلَةُ تَكُونُ مِنْ أَتْنَيْنِ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ كَالْمَزَارَعَةِ هِيَ مِنْ أَتْنَيْنِ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الزَّرْعِ...)) (١٤).
وَنَقَلَ ابْنُ مَنْظُورٍ هَذَا بِتَمَامِهِ ثُمَّ قَالَ: ((وَقِيلَ: الْمَحَاقِلَةُ: اكْتِرَاءُ الْأَرْضِ بِالْحَنْطَةِ وَهُوَ الَّذِي يَسْمِيهِ الزَّرَّاعُونَ الْمَجَارِبَةَ... وَالْمَحَاقِلَةُ بَيْعُ الزَّرْعِ بِالْقَمْحِ)) (١٥).

- (٨) غريب القاسم، 5/1، وينظر: الفائق، 149/1، والمجموع المغيب، 225/1، والنهاية، 187/1.
(٩) ينظر: المعرب، 50، وشفاء الغليل، 104، والمعجم المفصل في المعرب والدخيل، 127، والقطوف الدانية ليويسف جتيعة، 236.
(١) ينظر: الصحاح، 447/3، واللسان، 33/8، والقاموس، 9/3، والمصباح، 74.
(2) غريب القاسم، 6/1.
(3) الفتح، 1.
(4) النهاية، 283/1، وينظر: اللسان، 224/2 برواية (جباب الماء).
(5) الفائق، 225/1.
(6) ينظر: الجمهرة، 188/3.
(7) ينظر: معجم مقاييس اللغة، 220، والمجمل، 135.
(8) النهاية، 283/1، وينظر: ابن قتيبة، 187/1، والفائق، 231/1.
(9) ينظر: النهاية، 284/1.
(10) ج 122/11 (جل).
(11) ديوان وضاح اليمن، 89.
(1) غريب ابن قتيبة، 194/1.
(2) اللسان، 160/11.



ويبدو من كلام ابن قتيبة أنَّ خروج المحاقلة إلى تلك الدلالات قد جرى في زمن سبق عهد ابن قتيبة وصدر عن أقوام تباينوا في استعماله أو أنَّ هذه الاستعمالات قد جرت في أزمان مختلفة وقد حَدَّث تطور دلالي، لاختلاف الاستعمال وتعاقب الأزمان والرابط بين وجوه الاستعمال هذه قريب وهو المفاعلة بين الرِّزَاعين.

- (ربب): في حديث مجاهد أنَّه: ((كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ امْرَأَةً رَابِيَةً...)) ، قال أبو عبيد: ((قوله امرأة رابية يعني امرأة زوج أمه وهو الذي تسميه العامة الرِّبِيبَ، وإنما الرِّبِيب ابن امرأة الرجل، فهو رِيبٌ لزوجها وزوجها المربوب له)) (٣٥٤).

فالربيب عند العامة زوج الأم، والأصل في الربيب أنَّه ابن امرأة من غيره (٣٥٥).
- (رطل): ومِمَّا يتصل بالمشترك اللفظي ما يتصل بألفاظ الأوزان - مثلاً - ففي الحديث المنسوب إلى الإمام الرضا (عليه السلام) في الزكاة: ((الْوَسْقُ: ستون صاعاً، والصاع: ستَّة أرطال، وهو أربعة أمداد، والمُدُّ رطلٌ وربع برطلٍ عراقي)) (٣٥٦).

قال البيرجندي: ((تكرَّر في الحديث ذكر الرطل والأرطال بالعراقي والمدني والمكي... والرطل العراقي عبارة عن مائة وثلاثين درهماً، هي إحدى وتسعون مثقالاً... والرطل المدني: عبارة عن رطل ونصف بالعراقي، فيكون مائة وخمسة وتسعون درهماً والرطل المكي: عبارة عن رطلين بالعراقي، ولا اعتبار بما يسمَّى رطلاً الآن، ولكن يُحال على التقدير الشرعي)) (٣٥٧).

- (ركز): القول في ((الركاز الخمس)) ذكر أهل الغريب أنَّ ((أهل العراق وأهل الحجاز اختلفوا في الركاز، فقال أهل العراق: الركاز المعادن كلها... قالوا: وكذلك المال العادي يوجد مدفوناً هو مثل المعدن على قياسه سواء، وقالوا: إنما أصل الركاز المعدن والمال العادي الذي قد ملكه الناس مُشَبَّه بالمعدن، وقال أهل الحجاز: إنما الركاز المال المدفون خاصةً ممَّا كنزه بنو آدم قبل

الإسلام، فأما المعادن فليست بركاز وإنما فيها مثل ما في أموال المسلمين من الزكاة...)) (٣٥٨).
- (سعد): في الحديث المنسوب للرضا (عليه السلام): ((دعا بثوبين سعيديين)) (٣٥٩)، ذكر أنَّ السَّعِيدِيَّة قرية بمصر، وضربٌ من برود اليمن (٣٦٠).

- (سنت): في الحديث: ((عليكم بالسَّنَا والسَّنُوت)) ذكر أهل الغريب أنَّ السَّنَا: نبت يُتداوى به... وأما السَّنُوت - موضع الشاهد - فهو ((العسل، وقيل: الرُّبُّ، وقيل: الكُمُون، وقيل: ضرب من التمر)) (٣٦١).

قال ابن قتيبة: ((فإنَّ السَّنُوت: العسل وفيه لغة أخرى السِّنَّ وَت، قال الشاعر:
هُمُ السَّمْنُ بالسَّنُوت لا ألسَ فيهم وهم يمنعون جاره أن يُقرَّداً
والألس: الخيانة والعيب)) (٣٦٢).

وذكر ابن منظور كل ذلك ونسب (الكمون) إلى اليمانية ثم نقل تفسير السَّنُوت بالكمون أو بنبتٍ يشبه الكمون عند بعض اللغويين (٣٦٣).

(3) غريب القاسم، 420/4، وينظر: الفائق، 33/2، والنهاية، 181/2

(4) ينظر: الصحاح، 199/1، واللسان، 405/1

(5) بحار الأنوار، 363/10، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 112/2

(6) المصدران السابقان، وينظر: مجمع البحرين، 384/5، وهناك ألفاظ أخرى ممَّا يخص الموازين والقياسات والبيوعات كالنقود المستعملة في مختلف الأصقاع ممَّا يمكن نسبته إلى المشترك اللفظي ذكرها أهل الغريب وفصلوا القول فيها، ينظر مثلاً: لفظ (القبراط) في النهاية، 42/4، ولفظ (المد) في غريب ابن قتيبة، 154/1، والنهاية، 60/3، ولفظ (الكر) في النهاية، 162/4، و(الوسق) في النهاية، 185/5

(1) غريب القاسم، 284/1، وغريب ابن قتيبة، 190/1، والفائق، 396/2، والنهاية، 258/2

(2) بحار الأنوار، 41/49، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 223/2

(3) المصدران السابقان، وينظر: الصحاح، 78/2، واللسان، 218/3

(4) الفائق، 201/2، 202، والنهاية، 407/2، وينظر: غريب ابن قتيبة، 358/1

(5) غريب ابن قتيبة، 358/1، والشعر بلا نسبة في الصحاح، 379/1

(6) ينظر: اللسان، 47/2، 48



- (صقر): في الرواية: ((الزبيب إن أكله أضرس وإن أتركه أغرث، ليس كالصقر في رؤوس الرقل الراسخات في الوحل...)) ... قال ابن قتيبة: ((قوله: ليس كالصقر، والصقر: عسل الرطب قال المسيب بن علس يصف ظبياً:

لسسن بقول الصيْف حتى كأنما
بأفواها من لسن خلَّبها الصقر

... والصقر في موضع آخر: اللبن الحامض الشديد الحموضة))⁽⁷⁾.

قال الجوهري: ((الصقر أيضاً: اللبن الشديد الحموضة، يُقال: جاءنا بصقرة تزوي الوجه، كما يُقال: بصربة حكاها الكسائي، والصقر أيضاً: الدبس عند أهل المدينة، يُقال: رطب صقر للذي يصلح للدبس))⁽⁸⁾، والصقر عند البحرانيين: ((ما سال من جلال التمر التي كُنزت وسدك بعضها فوق بعض في بيت مُصرَج تحتها خواب خضر، فينصر منها دبس خام كأنه العسل))⁽⁹⁾

- (عذق): نقل الحربي عن الأصمعي: ((العذق عند أهل الحجاز: النخلة، والعذق: القنوق))⁽¹⁰⁾. ومنه في حديث السقيفة: ((أنا عذيقها المرجب)) قال ابن الأثير: ((تصغير العذق: النخلة وهو تصغير تعظيم وبالمدينة أطم لبني أمية بن زيد يُقال له: عذق))⁽¹¹⁾ ومنه حديث أنس:

((فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم) إلى أمي عِذاقها)) أي نخلاتها⁽¹⁾.

- (فثر): في الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((... وتكون الأرض كفائثر الفضة...)) ... ذكر الزمخشري: ((أن الفائثر عند العامة: الطستخان، وأهل الشام يتخذون خواناً من رخام يسمونه الفائثر قال:

والأكل في الفائثر بالظهانر
وقيل: هو الطست من فضة أو ذهب، ومنه قيل لقرص الشمس: فائثرها وأنشد للأغلب:
إذا انجلي فائثر عين الشمس))⁽²⁾.

- (قعا): في حديث أبي جعفر (عليه السلام): ((لا ينبغي الإقعاء بين التشهد في الجلوس، وإنما التشهد في الجلوس، وليس المقعي بجالس))، ذكر المجلسي وتبعه البيرجندي: أن النهي عن الإقعاء في الصلاة هو ((أن يضع أليتيه على عقبيه بين السجدين وهذا تفسير الفقهاء، وأما أهل اللغة فالإقعاء عندهم أن يلصق الرجل أليتيه بالأرض وينصب ساقيه ويتساند إلى ظهره))⁽³⁾.

- (قل): في الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل نجساً))، ذكر القاسم أن: ((قوله: قلتين يعني من هذه الجباب العظام واحدها قلة وهي معروفة بالحجاز، قال: وبعضهم يقول: القلة العظيمة، وقد تكون بالشام وجمعها قلل، وقال بعضهم: إنها الجرار))⁽⁴⁾.

فالقل على ما يذكر اللغويون لها وجوه من المعنى فهي أما حُبّ عظيم وأما جرّة عظيمة، أو هي الجرّة عامة، وقيل: الكوز الصغيرة، وقيل: هو إناء للعرب كبير كالجرّة الكبيرة⁽⁵⁾ وأنشد لجميل:

فظللنا بنعمة وأتكانا
وشربنا الحلال من قلله⁽⁶⁾.

- (كعب): في حديث الإزار: ((ما كان أسفل من الكعبين ففي النار)) ذكر ابن الأثير: أن الكعبين هما: ((العظمان الناتان عند مفصل الساق والقدم عن الجنبين وذهب قوم إلى أنهما العظمان

(7) غريب ابن قتيبة، 615-614/1

(8) الصحاح، 406/2، وينظر: اللسان، 466/4

(9) اللسان، 466/4

(10) غريب الحربي، 438/2

(11) النهاية، 199/3

(1) النهاية، 199/3

(2) الفائق، 60/3، وينظر العين، 221/8 (فثر)

(3) البحار المجلسي، 186/82، وغريب الحديث في بحر الانوار، 269/3

(4) غريب القاسم، 237-236/2

(5) اللسان، 565/11، وينظر: الصحاح، 84/5، والمصباح، 514

(6) ديوانه، 189



اللذان في ظهر القدم، وهو مذهب الشيعة⁽⁷⁾ ومنه الحديث: ((رأيت القتلى يوم زيد ابن عليّ فرأيت الكعاب في وسط القدم))⁽⁸⁾.

- (مرر): في حديث ابن عباس: ((كان الوحي إذا نزل سمعت الملائكة صوت مرار السلسلة على الصفا))، قال الزمخشري: ((أي: انجرارها واطّرادها على الصخر وأنشد أبو عبيدة قول غيلان الربيعي:

تَكَرَّرَ بَعْدَ الشُّوْطِ مِنْ مَرَارِهَا كَرَّرَ مَنِيحَ الْخَصْلِ فِي قِمَارِهَا
قال: وسألت أعرابياً عن مرارها فقال: مَرَّاحُهَا واطّرادُهَا، قال: وإذا اطرَدَ الرجلان في الحرب فهما يَتَمَارَّانِ وكل واحدٍ منهما يمار صاحبه، أي يطارده⁽¹⁾.
قال ابن الأثير: ((وأصل المَرَّار: القتل، لأنه يَمَرُّ، أي يُقتل)) وعليه حديث أبي الأسود: ((ما فعلت المرأة التي تُمارُهُ وتشارُهُ؟))، أي تلتوي عليه وتخالفه وهو من قَتَلَ الحبل⁽²⁾.
- (مهمل): وقال القاسم في حيث أبي بكر (رضي الله عنه): ((أنه أوصى في مرضه فقال: ادفنوني في ثوبَي هذين فاتما هما للمهمل والتراب)): ((المهمل في هذا الحديث: الصيد والقيح، والمهمل في غير هذا كل فلز أذيب، قال: والفلز جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وأشباه ذلك... والمهمل أيضاً في غير هذا كل شيء يتحات عن الخبزة من الرماد وغيره إذا خرجت من الملة... وقال أبو عمرو: المهمل في شينين هو في حديث أبي بكر: الصيد والقيح وفي غيره: دُرْدِيّ الزيت، لم يُعرَف منه إلا هذا))⁽³⁾، وفي (اللسان): ((قال الأصمعي: حدّثني رجل، قال وكان فصيحاً أن أبا بكر رضي الله عنه، أوصى في مرضه فقال: ادفنوني في ثوبَي هذين فاتهما للمهمل والتراب، بفتح الميم، وقال بعضهم: المهمل بكسر الميم، وقالت العامرية: المهمل عندنا السُّمُّ والمهمل: الصيد، والدم يخرج فيما زعم يونس والمهمل: النحاس الذائب وأنشد:

وَنُطْعَمُ مِنْ سَدِيفِ اللَّحْمِ شَيْزِي إِذَا مَا الْمَاءُ كَالْمُهْمَلِ الْفَرِيعِ⁽⁴⁾.

- (نحر): نقل الحربي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾⁽⁵⁾. عن علي (عليه السلام) أنه وضع يده عند النحر⁽⁶⁾، والمراد بالنحر على ما رواه الفريقان عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن علي (عليه السلام) وروته الشيعة عن الصادق (عليه السلام) وغيره من الأئمة هو رفع اليدين في تكبير الصلاة إلى النحر⁽⁷⁾، ونقل الحربي عن الأصمعي: ((النحر: موضع القلادة وهي اللبة وأنشدنا ابن الأعرابي: تلقاك بالنحر وهي مُدْبِرَةٌ بالبوص منها تكاد تنعقد))

وزاد الحربي أن قول علي (عليه السلام) في تفسير الآية مثل قول ابن عباس: ((والمفسرون على خلافه، كلهم يجعله نحر البدن منهم مجاهد وسعيد والحسن وعطاء... وعن الفراء قال: هو النحر، استقبل القبلة بنحرك، وسمعت بعض العرب يقول: منزلة تناحر، أي هذا بنحر هذا أي قبالة وأنشد بعض بني أسد:

أَبَا حَكَمٍ هَلْ أَنْتَ عَمُّ مُجَالِدٍ وَسَيِّدُ أَهْلِ الْأَبْطَحِ الْمُتَنَاحِرِ؟⁽¹⁾.

- (نخخ): وقال القاسم في ما يُنسب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ليس في الجبهة ولا في النخّة ولا في الكسعة صدقة))... ((قال أبو عبيدة: الجبهة: الخيل والكسعة الحمير)) فأما (النخّة) - موضع الشاهد

(7) النهاية، 178/4

(8) المصدر نفسه، 179/1

(1) الفائق، 361/3، والنهاية، 317/4

(2) النهاية، 317/4، وينظر: غريب الخطابي، 340/1، واللسان، 165/5

(3) غريب القاسم، 97/3-98

(4) ج 633/11

(5) الكوثر، 2

(6) غريب الحربي، 445/2

(7) الميزان، 429/20-431

(1) غريب الحربي، 445/2، وينظر: اللسان، 197/5



هنا - ف (الرقيق... وقال الكسائي: هي النَّخَّة برفع النون، وفسرها هو غيره في مجلسه: البقر العوامل، قال الكسائي: هذا كلام أهل تلك الناحية كأنه يعني أهل الحجاز وما وراءها إلى اليمن، وقال الفراء: النَّخَّة: أن يأخذ المصدق ديناراً بعد فراغه من أخذ الصدقة وأنشدنا: عَمِيَ الذي منع الدينار ضاحيةً ديناراً نخةً كلبٍ وهو مشهود ((2)).

وقد توسّع ابن منظور في معاني (نخخ) ووجوهاً بأكثر من ذلك، وزاد: ((...قال قوم: الحمير... وقال قوم النَّخَّة: الرعاء، وقال قوم: النَّخَّة: الجمّالون، وقال بعضهم: يُقال لها في البادية النَّخَّة بضم النون...)) (3).

- (هجرس): في الحديث: ((قال أسيد لُعَيْنَةُ بن حصن وهو مادّ رجله بين يديّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عين الهجرس، اتمدّ رجلُك بين يديّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم))، قال أهل الغريب: ((شبهه عينيه بعين الهجرس، وهو ولد الثعلب، قال أبو زيد: الهجرس القرد وبنو تميم تجلعه الثعلب)) (4)، وذكر أن أهل الحجاز يقولون: الهجرس القرد وبنو تميم يجعلونه الثعلب والهجرس: اسم (5).

وزاد الفيروز آبادي من معاني الهجرس: الدّب واللّئيم أو كلّ ما يعسّس بالليل ممّا دون الثعلب وفوق اليربوع (6).

المبحث الثالث

الأضداد

الأضداد: جزء من المشترك اللفظي، نقل السيوطي أن: ((المشترك اللفظي يقع على شيتين ضدين وعلى مختلفين غير ضدين)) (1).

وهو أحد خصائص العربية، ومن أقدم من نبّه عليه من قدامى اللغويين أبو عبيد القاسم بن سلام، وسماه بتسميته الاصطلاحية في مواضع كثيرة من كتابه، وبيّن أنه مما جاء في كلام العرب واستدل عليه بشواهد شعرية ونثرية من كلامهم (2). كما أشار إليه ابن قتيبة في (غريبه) (3) وغيرهما من علماء غريب الحديث (4).

والأضداد عند أبي الطيب اللغوي (351هـ): ((جمع ضدّ، وضدّ كلّ شيء ما نأفاه... وليس كلّ ما خالف الشيء ضدّاً له، إلا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليساً ضدّين، وإنما ضدّ القوة الضعف، وضدّ الجهل العلم، فالاختلاف أعمّ من التضاد، إذ كلّ متضادين مختلفان، وليس كلّ مختلفين ضدين)) (5).

ولا يختلف حال اللغويين في موضوع الأضداد عن حالهم في المشترك، فقد ذهبت طائفة منهم إلى إثباته وألّفوا فيه الكتب والرسائل، منهم قطرب والأصمعي والسجستاني وابن السكيت والتوزي وغيرهم (6)، وذهبت طائفة أخرى إلى إنكاره منهم ابن درستويه وألف كتاباً في إبطال الأضداد (7).

(2) غريب القاسم، 8-7/1، وينظر: الصحاح، 636/1، واللسان، 59/3، 60.

(3) اللسان، 60/3.

(4) الفائق، 93/4، وينظر: العباب/حرف السين/489.

(5) اللسان، 247/6.

(6) القاموس المحيط، 258/2.

(1) المزهر، 387/1.

(2) ينظر على سبيل المثال: غريب القاسم، 213/4 (شعب)، و2/4 (تلع).

(3) ينظر على سبيل المثال: 123/1، 233، و44/2.

(4) كالتز مخشري كما في الفائق، 345/3 (مثل)، و29/4 (نوء)، وابن الأثير كما في النهاية، 194/1 (تلع)، و289/1 (جلال)، و521/2 (شيم).

(5) أضداد أبي الطيب اللغوي، المقدمة، 1/1.

(6) ينظر: المزهر، 397/1.

(7) ينظر: المصدر نفسه.



ولا تكاد العوامل التي أدت إلى نشأة المشترك اللفظي تختلف عن مثيلاتها في باب الأضداد، فمن ذلك: أنَّ الجمهور يرى إثبات التضاد بشرط أن يكون من قبيلتين لا من وضع قبيلة واحدة، وإنَّما أحد المعنيين لحيٍّ من العرب، والمعنى الآخر لحيٍّ غيره، ثمَّ سمع بعضهم لغةً بعض⁽⁸⁾.
ويبدو أنَّ من أسباب نشوء الأضداد المهمة هو اختلاف اللهجات العربيَّة في تطور دلالة بعض الألفاظ التي كان لها مدلول عام تطور على جهة التخصيص إلى مدلولين متضادين⁽⁹⁾.
ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ: ((المعنى الأصلي للكلمة قد يكون عاماً غير محدود ثمَّ يتحدَّد معناه مع الزمن، ولكن في تطوره وتحدد معناه قد يتخذ طريقين متضادين ويترتب على هذا أن نجد الكلمة الواحدة يتخصَّص معناها في لهجةٍ من اللهجات بشكلٍ خاص يُضاد الشكل الذي اتخذته هذه الكلمة في لهجة أخرى))⁽¹⁾.

والدكتور إبراهيم أنيس مسبق بما ذكره بعض لغويينا القدماء من أنَّ الحرف إذا وَقَعَ على معنيين متضادَّين، فالأصل لمعنى واحد ثم تداخل الأثنان على جهة الاتساع⁽²⁾.
ومثال ذلك في حديث عُلقمة النَّقَفي: ((كان بلالٌ يأتينا بالسَّحُور ونحن مُسَدِّفون فيكشف لنا القُبَّة فيُسَدِّف لنا طعاماً))⁽³⁾.
فقد نقل لنا الزمخشري قول أبي زيد: ((السَّدْفَةُ في لغة تميم: الظلمة، وفي لغة قيس: الضوء))⁽⁴⁾.

والأصل في السَّدْفَةِ عند أهل الغريب: ((اختلاط الضوء والظلمة معاً كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الأسفار))⁽⁵⁾، وقال ابن قتيبة: ((وكذلك السَّدْفُ، إنَّما هي شيء يُرْسَلُ من الظلام في الضوء، أو شيء يرسل من الضوء في الظلام، ولذلك جعلوا السَّدْفَةَ الظلمة وجعلوها الضوء))⁽⁶⁾ وهي بهذا المعنى في لغة هوازن⁽⁷⁾، غير أنَّها - على ما يبدو - تطورت في لغة تميم، فصارت تعبر عن معنى الظلمة فحسب، وتطوَّرت في لغة قيس، فصارت تعني الضوء.

أمَّا ما يعود إلى التناوُل والتساوُم وما يعود إلى التحرير والتوقيف، كالسليم للدلالة على اللديغ والمعافى، و البصير للدلالة على الأعمى والبصير، فذلك يعود إلى ظروف الاستعمال لا أصل الوضع، شأنه شأن المجاز المرسل الذي يقوم على علاقة غير المشابهة وهي هنا علاقة أضداد⁽⁸⁾.

ثمَّ أنَّ خطوات الاستعمال المجازي كثيراً ما تُنسى، ولا يطفو على السطح إلا المعنى الثاني عند الاستعمال ويصير بمنزلة الأصل⁽⁹⁾، ولعلَّ أخطر مشكلة في سبب نشوء الأضداد هي المعنى الأصلي للألفاظ - كما مرَّ - أما بقية العلل كاللغات والمجاز، فهي ارتياد لبعض الطرق التي سلكها اللفظ ليصل إلى درجة التضاد⁽¹⁰⁾.

ومن أمثلة ما تُسبب إلى الأضداد في كتب غريب الحديث:
- في الحديث: ((أَنَّهُ كَانَ يَبْدُو إِلَى هَذِهِ التَّلَاعِ))، ذكر مصنفو الغريب - بعد رواية الحديث - أَنَّهُ ((يُقَالُ لِمَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ تَلْعَةً، وَكَذَلِكَ لِمَا انْخَفَضَ مِنْهَا))⁽¹¹⁾، ونقل القاسم هذا عن أبي عبيدة ثمَّ ذكر أنَّ ((هَذَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَضْدَادِ))⁽¹⁾، وحُكِيَ عن ثعلب قال: ((دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ

(8) ينظر: أضداد ابن الأنباري/11

(9) ينظر: الأضداد في اللغة، د: محمد حسين آل ياسين/129

(1) في اللهجات العربية/211، 212

(2) ينظر: أضداد ابن الأنباري / 11، 12، والمزهر، 401/1

(3) النهاية، 354/2

(4) الفائق، 121/3

(5) النهاية، 354/2، 355 (سدف)

(6) غريب ابن قتيبة، 491/2-492، وينظر: غريب ابن الجوزي، 472/1، اللسان، 147/9، والمزهر، 401/1

(7) ينظر: الأزمنة والأمكنة لأبي علي الأصفهاني المروزي، 223/2

(8) ينظر: الأصول، د: تمام حسان/334، 335

(9) ينظر: المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً/155

(10) ينظر: المصدر نفسه/166

(11) غريب الخطابي، 344/1، والمجموع المغيٲ، 237/1، والنهاية، 194/1

(1) غريب القاسم، 2/4، وينظر: النهاية، 194/1



الله بن طاهر، وعنده أبو مُضَر أخو أبي الغُمَيْثَل الأعرابي، فقال لي: ما التَّلْعَةُ؟ فقلت: أهل الرواية يقولون هو من الأضداد يكون لما علا ولما سَفَلَ⁽²⁾.

قال الراعي النميري في العلو:

كُدْخَانٌ مُرْتَجِلٌ بِأَعْلَى تَلْعَةٍ غَرثَانِ ضَرَمَ عَرَفْجاً مَبْلُولاً⁽³⁾.

وقال زهير بن أبي سلمى المُزَنِي في الانهباط:

وَأَتَيْتُ مَتَى أَهْبَطُ مِنَ الْأَرْضِ تَلْعَةً اجْدُ أَثَرًا قَبْلِي جَدِيداً وَعَافِيَا⁽⁴⁾

ويبدو أنَّ هذين الوجهين تفرَّعا عن المعنى الأصلي للتلاع وهو أنَّها ((مَسَايِلُ الْمَاءِ مِنْ غُلُوٍّ إِلَى سَفَلٍ... يقع على ما انحدر من الأرض وأشرف منها))⁽⁵⁾.

وهذا مأل كلام ثعلب بعد روايته البيتين قال: ((وليس كذلك إنما هي مَسِيلُ مَاءٍ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي إِلَى أَسْفَلِهِ، فَمَرَّةٌ يُوصَفُ أَعْلَاهَا وَمَرَّةٌ يُوصَفُ أَسْفَلُهَا))⁽⁶⁾.

ويمكن أن يكون مُؤَدَّى ذلك بعد زمن أن يستعمل قوم معنى العلو فحسب ويستعمل آخرون معنى الانهباط فقط.

- وفي حديث العباس بن عبد المطلب: ((قال يوم بَدَرَ: الْقَتْلُ جَلٌّ مَا عَدَا مُحَمَّدًا))، قال ابن الأثير: ((أَيُّ هَيْنٍ يَسِيرٍ، وَالْجَلُّ مِنَ الْأَضْدَادِ، يَكُونُ لِلْحَقِيرِ وَالْعَظِيمِ))⁽⁷⁾.

جاء في (الصاح): ((وَالْجَلُّ: الْأَمْرُ الْعَظِيمُ، قَالَ وَعِلَّةُ بْنُ الْحَارِثِ:

فَلَنْ عَفَوْتُ لِأَعْفُونَ جَلًّا وَلَنْ سَطَوْتُ لِأَوْهَنْ عَظْمِي))⁽⁸⁾

وزاد الجوهري: ((وَالْجَلُّ أَيْضًا: الْهَيْنُ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ لَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ:

لَقَتْلَ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلٌّ))⁽⁹⁾

والقول في هذا قول العلماء الذي مؤداه أنَّ أحد المعنيين لحيٍّ من العرب والمعنى الآخر لحيٍّ غيره، ومن المُحَال أن يكون العربي أوقع هذا الحرف على المعنيين بمساواة⁽¹⁰⁾.

- وفي حديث ابن عباس أنَّ رجلاً قال له: ((ما هذه الْفُتْيَا التي قد شَعَبَتْ النَّاسَ؟ ويروى: شَعَبَتْ - بِالْعَيْنِ)) قال القاسم: ((ومعناها: فَرَّقَتْ... وهو عندي كما قال حجاج بالعين، قال الأصمعي: ويُقال شَعَبَ الرَّجُلُ أَمْرَهُ إِذَا شَتَّتَهُ وَفَرَّقَهُ وَأَنشَدَ لَعْلِي بْنُ الْغَدِيرِ:

وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَشَعِبُ أَمْرَهُ شَعْبُ الْعَصَا وَيَلْجُ فِي الْعَصِيَانِ

...قوله ههنا: يَشَعِبُ يريد: يُفَرِّقُ قال أبو عبيد: ويشعب في غير هذا هو الإصلاح والاجتماع وهذا الحرف من الأضداد، قل الطرماح بن حكيم:

شَتَّ شَعْبُ الْحَيِّ بَعْدَ التَّنَامِ وَشَجَاكَ الْيَوْمَ رَبُّعُ الْمُقَامِ))⁽¹⁾.

وَفَسَّرَ الزَّمَخْشَرِيُّ الْحَدِيثَ: ((شَعْبٌ صَغِيرٌ مِنْ شَعْبٍ كَبِيرٍ)) بقوله: ((الشَّعْبُ الْأَوَّلُ بِمَعْنَى الْجَمْعِ وَالْإِصْلَاحِ، وَالثَّانِي بِمَعْنَى التَّفْرِيقِ وَالْإِفْسَادِ، أَيْ صَلَاحٌ يَسِيرُ مِنْ فُسَادٍ كَبِيرٍ))⁽²⁾، وَنَصَّ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى (الضَّدِّيَّة) فِي لَفْظِ (الشَّعْبِ)⁽³⁾.

فإذا ما استشرنا أصحاب المعاجم فإننا نجد رائدهم وإمامهم الخليل في كتابه (العين) يرى أنَّ ((من عجائب الكلام ووسع العربية أن الشعب يكون تفرقاً ويكون اجتماعاً وقد نطق به الشعر))⁽⁴⁾

(2) اللسان، 37/8 (تلع)

(3) شعر الراعي النميري/64، وترجمة الراعي: الشعر والشعراء لابن قتيبة/248

(4) شرح ديوان زهير/285، وينظر: ترجمة زهير: الشعر والشعراء لابن قتيبة/61

(5) النهاية، 194/1

(6) اللسان، 37/8

(7) النهاية، 289/1، وينظر: المزهري، 390/1

(8) ج4/456، وينظر: اللسان، 118/11

(9) الصاح، 457/3، وشعر امرئ القيس في ديوانه/261

(10) ينظر: المزهري، 398/1 - 401

(1) غريب القاسم، 213/4، وينظر: شعر الطرماح في ديوانه/95

(2) الفائق، 300/3، 301

(3) المصدر نفسه، 114/2 (زفل)

(4) العين، 262/1



, وقال ابن دريد: ((ليس ذلك من الأضداد وإنما هي لغة قوم))⁽⁵⁾, وجمع ابن فارس بين هذين القولين في (معجم مقاييس اللغة) قائلاً: ((أصلان مختلفان, أحدهما: يدلّ على الافتراق, والآخر يدلّ على الاجتماع, ثمّ اختلف أهل اللغة في ذلك. فقال قوم: هو من باب الأضداد وقد نصّ الخليل على ذلك, وقال آخرون: ليس ذلك من الأضداد وإنما هي لغات))⁽⁶⁾.

والذي ذهب إليه ابن دريد ارتضاه بعض المحدثين الذين وجدوا أنّ مثل ذلك لا يكشف عن هذه الظاهرة, وإنما يعود إلى اختلاف اللغات في الاستعمال وتشابه الكلمة في إحدى اللغتين مع الكلمة في اللغة الأخرى⁽⁷⁾. ولا يبعد أن يكون الخليل قد سمعه من قبيلتين, ولكنه اكتفى - كعادة اللغويين وأصحاب المعجمات الأوائل - بالجمع والضم من دون نسبة اللفظ ودلالته إلى مصدره⁽⁸⁾.

- ومِمَّا نُسبَ إلى الأضداد ما في حديث الحجاج أنّه: ((أتيت بدرع حديد, فَعُرِضَتْ عليه الشمس, وكانت الدرع صافية, فجعل لا يرى صفاءها, فقال له رجلٌ وكان فصيحاً: الشمسُ جَوْنَةٌ - ورؤي عرضها عليه في الشمس, فقال له الحجاج: الشَّمْسُ جَوْنَةٌ)), ذكر الزمخشري أنّ: ((الجَوْنَةُ هنا: البيضاء الشديدة البياض, والجَوْن من الأضداد))⁽⁹⁾.

وذكر الحافظ أبو موسى مُفسِّراً حديث عُمرَ (رضي الله عنه): ((عليه جُلْدُ كبشٍ جُونِي)) أنّ: ((الجون: الأسود, وقد يُقال: للأحمر أيضاً جَوْنٌ, كما يُقال له أسود والياء للمبالغة, كالأخْمَرِيّ للأحمر, وجمعه: جَوْنٌ, كَوَرْدٍ وَوَرْدٍ, وقيل: إنه يقع على كل لونٍ لأنه مُعَرَّب (كون: أي لون))⁽¹⁰⁾.

وقد ذهب معظم اللغويين ولاسيما المعجميين إلى أنّ الجَوْن اسم جامع يقع على الأسود والأبيض⁽²⁾, ولا معنى لقول النحويين أنّ الجون مُعَرَّب عند ابن فارس, لإجماع أهل اللغة على أنّه اسم يقع على الأسود والأبيض, وهو باب من تسمية المتضادين بالاسم الواحد⁽³⁾. إلا أنّ بعض اللغويين كالخليل يرى أنّ الجون الأسود⁽⁴⁾ والوجه الأكثر شيوعاً عند أبي حاتم الأسود⁽⁵⁾, ويبدو أنّ الخليل وأبا حاتم قاسا على الوجه الأكثر استعمالاً في كلام العرب, ومِمَّنْ سَمِعَ عنهم الجون بمعنى السواد قضاة⁽⁶⁾. وعلى ذلك فالأقرب في تفسير هذين الوجهين للجون يعود إلى اختلاف اللغات. ومن أمثلة الأضداد الأخرى:

- (ر هو): في الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): أنّهم سألوه عن بني عامر بن صعصعة فقال: ((جَمَلٌ أزهرٌ مُتَفَاجٍ, يتناول من أطراف الشجر. وسألوه عن غطفان فقال: رَهْوَةٌ تنبَع ماء)), قال ابن قتيبة مُعَقِّباً: ((الرّهوة تكون المرتفع من الأرض, وتكون المنخفض منها, وهي حرف من حروف الأضداد, قال الأصمعي: الرهاء أماكن مرتفعة واحدها رهو, قال عمرو بن كلثوم:

نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتِ حَدٍّ مُحَافِظَةً وَكُنَّا الْمُسْنَفِينَ

...قال الأصمعي: وقد يكون الرّهو الانخفاض, وحكى عن أعرابي أنّه مرَّ به فالج وهو البعير, له سنامان, فقال: سبحان الله رَهُوٌ بين سنامين, وحكى غيره عن بعض بني ثُمَيْلٍ, أنّه قال:

دَلَيْتَ رَجُلِي فِي رَهْوَةٍ

فهذا انخفاض))⁽⁷⁾.

(5) الجمهرة, 291/1, 292.

(6) ج3, 190, 191.

(7) ينظر: الأصول, د: تمام/334, 335.

(8) ينظر: فقه اللغة, د: علي عبد الواحد وافي/186, وأبحاث ونصوص في فقه اللغة, د: رشيد العبيدي/239, 240.

(9) الفائق, 248/1, وينظر: النهاية, 318/1.

(1) المجموع المغني, 379/1, وينظر: النهاية, 318/1, وغريب الحديث في بحار الانوار, 275/1.

(2) ينظر: الصحاح, 513/5, ومعجم مقاييس اللغة, 496/1, والمجلد, 143.

(3) ينظر: معجم مقاييس اللغة, 496/1.

(4) ينظر: العين, 185/6.

(5) ينظر: أضداد أبي الطيب, 151/1.

(6) ينظر: المصدر نفسه, 152/1, والمزهر, 401/1.

(7) غريب ابن قتيبة, 352-353, وشعر عمرو في ديوانه/76, والصحاح, 328/6 برواية (وكُنَّا الأيمنينا)), فأما شطر البيت الثاني

فنسبه ابن منظور إلى أبي العباس النميري وعجزه: فما نالتا عند ذاك القرارا, اللسان, 343/14.



- (سنح): في حديث الرضا (عليه السلام): ((الشؤم للمسافر في طريقه... الظبي السائح عن يمين إلى شمال)) ذكر المجلسي وتبعه البيرجندي أن: ((المراد بالسائح هنا المعنى اللغوي، من قولهم: سَنَحَ له: أي عَرَضَ له وظهر، وقال الكفعمي: منهم من يَتِيَمَن بالبارح ويتشاعم بالسائح كأهل الحجاز، وأما النجديون فهم على العكس من ذلك))⁽¹⁾، ويظهر أن كثيراً من العرب على مذهب أهل نجد قال الجوهرى: ((والعرب تَتِيَمَن بالسائح وتتشاعم بالبارح))⁽²⁾.
ونقل ابن منظور أن: ((العرب تختلف في العيافة، يعني في التيمن بالسائح والتشاعم بالبارح فأهل نجد يَتِيَمَنون بالسائح كقول ذي الرمة وهو نجدى:
خَلِيلِي! لَا لَقَيْتُمَا مَا حَيَّيْتُمَا
مَنْ الطَّيْرِ إِلَّا السَّائِحَاتِ وَاسْعَدَا⁽³⁾
وقال النابغة وهو نجدى فتشاعم بالبارح:
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رَجُلَتَنَا غَدًا
وقال كثير، وهو حجازي مِمَّن يتشاعم بالسائح:
أَقُولُ إِذَا مَا الطَّيْرِ مَرَّتْ مَخِيفَةً
سَوَانِحُهَا تَجْرِي وَلَا اسْتَشِيرُهَا⁽⁵⁾
فهذا هو الأصل، ثم قد يستعمل النجدي لغة الحجازي فمن ذلك قول عمرو بن قميئة وهو نجدى:
فَبَيْنِي عَلَى طَيْرٍ سَنِيحٍ نَحْوُسُهُ
وَأَشَامُ طَيْرِ الزَّاجِرِينَ سَنِيحُهَا⁽⁶⁾.
- (شفق): في مواقيت الصلاة: ((حتى يَغِيبَ الشَّفَقُ))، ذكر ابن الأثير أن: ((الشفق من الأضداد يقع على الحمرة التي تَرَى في المغرب بعد مغيب الشمس، وبه أخذ الشافعي، وعلى البياض الباقي في الأفق الغربي بعد الحمرة المذكورة، وبه أخذ أبو حنيفة))⁽⁸⁾، قال الفراء: ((سَمِعْتُ بعض العرب يقول: عليه ثوبٌ كأنَّه الشَّفَقُ، وكان أحمر))⁽⁹⁾، وعن أبي عمرو: ((الشفق: الثوب المصبوغ بالحمرة))⁽¹⁰⁾ والشفق: النهار⁽¹¹⁾، ويبدو أن أصل هذين الوجهين واحد وهو أن ((الشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب العتمة))⁽¹²⁾، وهذا الذي ذكره العلماء في وصف الشفق، إنما هو خليط من البياض الذي هو بقية ضوء الشمس، وحمرتها في أول الليل تَرَى في المغرب إلى صلاة العشاء.
- (شوه): في الحديث: ((بيننا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة شَوْهَاء إلى جنب قَصْرٍ، فقلت: لِمَنْ هَذَا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب))، قال الزمخشري: ((قيل: الشَّوْهَاء: المليحة الحسناء وهي من الأضداد، والحقيقة أنها هي التي تَرُوع الناظر إليها لفرط جمالها، أو لتناهي قُبْحِهَا...))⁽¹⁾، وقال ابن الأثير: ((الشَّوْهَاء: المرأة الحسناء الرائعة، وهو من الأضداد، يُقال للمرأة القبيحة شَوْهَاء...))⁽²⁾، ورُوي عن منتجع بن نبهان أنه قال: ((امرأة شَوْهَاء إذا كانت رائعة حَسَنَةً))⁽³⁾، ويُقال للخطبة التي لا يُصَلَّى فيها على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شَوْهَاء⁽⁴⁾.
- (شيم): في حديث أبي بكر (رضي الله عنه): ((شُكِّيَ إليه خالد بن الوليد، فقال: لَا أَشِيمُ سِيفاً سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ))، قال الزمخشري: ((أي لَا أَغْمِدُهُ، قال الفرزدق:
بَأْيَدِي رِجَالٍ لَمْ يُشِيمُوا سِیُوفَهُمْ
وَلَمْ تَكُنْ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتْ

(1) بحار الأنوار، 325/55، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 253/2

(2) الصحاح، 554/1

(3) ديوانه، 277/2 برواية: لَا لَقَيْتُمَا

(4) ديوانه، 38 برواية: وبذلك خَبَرْنَا

(5) ديوانه، 160

(6) اللسان، 491/2 حيث تمثل ابن منظور بهذه الأبيات في هذا الموضع

(8) النهاية، 487/2

(9) الصحاح، 250/4، واللسان، 180/10

(10) اللسان، 180/10

(11) المصدر نفسه

(12) الصحاح، 250/4، وينظر: اللسان، 180/10

(1) الفائق، 267/2

(2) النهاية، 511/2

(3) اللسان، 509/13

(4) النهاية، 511/2



وكانَ الشَّيْمُ إِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَى السَّلِّ والأَغْمَادِ مِنْ قَبْلِ أَنَّ الشَّيْمَ هُوَ النَّظَرُ إِلَى الْبَرْقِ، وَمِنْ شَأْنِ الْبَرْقِ أَنَّهُ كَمَا يَخْفِقُ يَخْفَى مِنْ فَوْرِهِ بَغَيْرِ تَلَبُّثٍ، فَلَا يُشَامُ إِلَّا خَافِقًا أَوْ خَافِيًا⁽⁵⁾.
وقال ابن الأثير: ((الشَّيْمُ مِنَ الْأَضْدَادِ يَكُونُ سَلًا وَأَغْمَادًا))⁽⁶⁾، وَشَكَّ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ فِي شِمَّتِهِ بِمَعْنَى سَلَّتْهُ، وَقَالَ شَمْرٌ: ((وَلَا أَعْرِفُهُ أَنَا))⁽⁷⁾ إِلَّا أَنَّ مَا أَنْكَرَاهُ مَسْمُوعٌ وَمَرْوِيٌّ عَنِ الْعَرَبِ، فَمِمَّا رُوِيَ فِي السَّلِّ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ يَصِفُ السِّيُوفَ:

إِذَا هِيَ شِيَمَتْ فَالْقَوَائِمُ تَحْتَهَا وَإِنْ لَمْ تُشَمَّ يَوْمًا عَلَّتْهَا الْقَوَائِمُ⁽⁸⁾

فيمكن أن يكون العرب ومنهم قريش اختاروا الشيم بمعنى الإغماد⁽⁹⁾، وغيرهم كبني تميم اختاروا الشيم بمعنى السِّلِّ بدليل قول الفرزدق التميمي السابق⁽¹⁰⁾.

- (عسّس): في حديث علي(عليه السلام): ((أَنَّهُ قَامَ مِنْ جَوْزِ اللَّيْلِ لِيُصَلِّيَ، فَقَالَ: «وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَّسَ»))⁽¹¹⁾.

قال ابن الأثير: ((عَسَّسَ اللَّيْلُ: إِذَا قَبِلَ بِظِلَامِهِ، وَإِذَا أَدْبَرَ فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ))⁽¹²⁾.
ويكاد المفسرون وعلماء المعاني يطبقون على الأضداد في هذا اللفظ، قال الفراء: ((اجتمع المفسرون على أَنَّ مَعْنَى عَسَّسَ: أَدْبَرَ، وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا يَزْعُمُ أَنَّ عَسَّسَ: دَنَا مِنْ أَوَّلِهِ وَأَظْلَمَ، وَكَانَ أَبُو الْبَلَادِ النَّحْوِيُّ يَنْشُدُ فِيهِ:

عَسَّسَ حَتَّى لَوْ يَشَاءُ ادْنَا كَانَ لَهُ مِنْ ضَوْئِهِ مَقْبَسٌ))⁽¹³⁾.

وقال الزمخشري في(كشافه): ((عَسَّسَ اللَّيْلُ وَسَعَّسَ إِذَا أَدْبَرَ، قَالَ الْعَجَّاجُ:

حَتَّى إِذَا الصَّبَحُ لَهَا تَنَفَّسًا وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسَّسَا

قال: عَسَّسَ: إِذَا أَقْبَلَ ظِلَامُهُ))⁽¹⁾ وكذا جرى على ذلك صاحب(الميزان)⁽²⁾ إلا أَنَّهُ رَأَى

أَنَّ ((الْأَنْسَبَ، لِاتِّصَالِ الْجُمْلَةِ بِقَوْلِهِ: «وَالصَّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ»⁽³⁾ أَنَّ يُرَادُ بِهَا إِدْبَارُ اللَّيْلِ...))⁽⁴⁾.

ويظهر ممَّا مضى أَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ رَجَّحَ مَعْنَى الْإِدْبَارِ اعْتِمَادًا عَلَى السِّيَاقِ، إِلَّا أَنَّ ابْنَ حَسَنُونَ الْمُقَرَّرِ وَجَدَ أَنَّ مَعْنَى الْإِدْبَارِ هُوَ لُغَةٌ قَرِيشٌ⁽⁵⁾ وَقَالَ أَبُو اسْحَقَ بْنُ السَّرِيِّ: ((الْمَعْنِيَانِ يَرْجِعَانِ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ وَهُوَ ابْتِدَاءُ الظَّلامِ فِي أَوَّلِهِ وَإِدْبَارُهُ فِي آخِرِهِ))⁽⁶⁾.

إِلَّا أَنَّ إِدْبَارَ اللَّيْلِ عِنْدَ ابْنِ فَارَسٍ يُوَوَّلُ إِلَى (سَعَّسَ) إِذَا مَضَى لَا إِلَى (عَسَّسَ) إِذَا أَقْبَلَ⁽⁷⁾ وَهُوَ مَعْنَى لَطِيفٌ جَرَى عَلَيْهِ الزَّمْخَشَرِيُّ - كَمَا مَرَّ - .

- (قرء): في حديث المستحاضة: ((إِنَّهَا تَدْعُ الصَّلَاةَ أَيَّامَ إِقْرَانِهَا)) ذَكَرَ أَهْلُ الْغَرِيبِ أَنَّهُ يَرِيدُ أَيَّامَ الْحَيْضِ وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ يَرِيدُ الطَّهْرَ فِي الْعِدَّةِ وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْأَعَشِيِّ:

مُورِثَةٌ مَالًا وَفِي الذِّكْرِ رَفْعَةٌ لَمَّا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نَسَائِكَا⁽⁸⁾.

(5) الفائق، 274/2، والنهاية، 521/2، والبيت ممَّا أخل به الديوان

(6) النهاية، 521/2

(7) اللسان، 330/12

(8) المصدر نفسه، والبيت ممَّا أخل به الديوان

(9) ينظر: أمثلة أخرى لقرشيين، وغيرهم، النهاية، 521/2، واللسان، 329/12-332

(10) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة/290

(11) التكويد/17

(12) النهاية، 236/3

(13) معاني القرآن، 242/3، وينظر: المفردات/337، والصاحح، 119/3

(1) الكشاف، 552/4، وينظر: ديوان العجاج/131

(2) ج239/20

(3) التكويد/18

(4) الميزان، 239/20

(5) ينظر: كتاب اللغات/51

(6) اللسان، 139/6

(7) ينظر: معجم مقاييس اللغة/473، 662

(8) ديوانه/91 برواية: وفي الحمد رفعة، وينظر: غريب القاسم، 334/4، وابن قتيبة، 205/1، والنهاية، 32/4



قال الأصمعي: ((بعضه عن أبي عبيدة وغيره، يُقال: قد أقرأت المرأة إذا دنا حيضها، وأقرأت أيضاً إذا دنا طهرها، قال أبو عبيد: فأصل الأقرء إنما هو وقت الشيء إذا حضر))⁽⁹⁾ وذكر ابن قتيبة أن الفريقين ((مصيبان على طريق اللغة، لأنَّ القرء هو الوقت، وكل شيء أتاك لوقت معلوم فقد أتاك لقرئه وقارئه))⁽¹⁰⁾.

- (مثل): في الحديث: ((من سره أن يمثّل له الناس قياماً، فليتبوّأ مقعده من النار))، قال الزمخشري: ((المثول: الانتصاب، ومنه فلان متماثل ومتماسك بمعنى... وقالوا: الماثل من الأضداد يكون المنتصب واللاطئ بالأرض ومنه قول الأعرابي: ماثلت القوم في المجلس وأنا غير مُثنتٍ لمقاعدتهم))⁽¹¹⁾.

وجاء في (الصاح)⁽¹²⁾: ((ومثّل بين يديه مثولاً، أي انتصب قائماً، ومنه قيل لمنارة المِسْرَجَة: ماثلة، ومثّل: أي لطأ بالأرض، وهو من الأضداد، قال زهير:

تَحْمَلُ مِنْهَا أَهْلُهَا وَخَلَّتْ لَهَا رِسُومٌ فَمِنْهَا مُسْتَبِينٌ وَمَاثِلٌ⁽¹⁾.

- (نبل): في حديث الاستجاء: ((أَعِدُوا النَّبْلَ))، قيل: أنها ((الحجارة الصغار التي يُستنجى بها، واحدها: نَبْلَة، كغُرْفَة وغُرْف، ... والنَّبْل بالفتح في غير هذا: الكبار من الإبل والصغار، وهو من الأضداد))⁽²⁾.

ونقل القاسم عن الأصمعي قوله: ((أراها بضم النون وبفتح الباء، قال: ويُقال: نَبْلِي احجاراً للاستجاء أي أعطنيها))، وزاد أبو عبيد عن بعضهم: ((النَّبْل: حجارة الاستجاء... والمحدثون يقولون: هي النَّبْل بالفتح، ونراها سُميت نَبْلاً لصغرها، وهذا من الأضداد في كلام العرب أن يُقال للعظام نبل وللصغار نبل...)).

ثم نقل عن رجل من العرب توفي أخوه فعيرته رجل بأنه قد فرح بموت أخيه لما ورثه فقال الرجل:

إِنْ كُنْتُ أَرْنُتْنِي بِهَا كَذِباً جَزءٌ فَلَا قِيَتَ مِثْلُهَا عَجَلاً
أَفْرَحُ أَنْ أَرَزَا الْكَرَامَ وَأَنْ أَوْرَثَ ذُوْدَا شَصَائِصاً نُبْلاً ؟

والنَّبْل في هذا الموضع الصِّغار الأجسام، فنرى أنها سميت حجارة الاستجاء نَبْلاً (لصغرها))⁽³⁾، ونُسب هذا الشعر إلى حَضْرَمِي بني عامر⁽⁴⁾، وأنشد ابن منظور على النَّبْل الكِبَار:

نَبِيلَةٌ مَوْضِعُ الْحَجْلَيْنِ خَوْدٌ وَفِي الْكَشْحَيْنِ وَالْبُطْنِ اضْطِمَارٌ⁽⁵⁾

- (نهل): في الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) للقيط بن عامر وافد بني المنتفق: ((... فَتَطْلَعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ، لَا يَظْمَأُ وَاللَّهِ نَاهِلُهُ))، وذكر ابن قتيبة أن: ((قوله: لَا يَظْمَأُ نَاهِلُهُ، يقول من روى منه لم يَعْطَش، والناهل: الذي شَرِبَ حَتَّى رُوِيَ، وقد يكون في غير هذا الموضع العطشان، وهو حرف من الأضداد، قال النابغة الذبياني:

وَالطَّاعِنِ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى يَنْهَلُ مِنْهَا الْأَسْلُ النَّاهِلُ

أتى بالمعنيين جميعاً في البيت، أي يروي منها الرمح والعطشان، ويُقال أصل الحرف وهو الري وإنما قيل للعطشان: ناهل على وجه التفاؤل له بالري والتطير من العطش كما قيل للديغ سليم (وللفلاة مفازة))⁽⁶⁾، وفي حديث معاوية: ((النَّهْلُ الشَّرُوعُ)) هي جمع ناهل وشارع: أي الإبل

(9) غريب القاسم، 334/4

(10) غريب ابن قتيبة، 205/1

(11) الفائق، 345/3، وينظر: النهاية، 294/4

(12) ج 101/5، 102

(1) الصحاح، 101/5، 102، وينظر: ديوان الشاعر/293، واللسان، 614/11

(2) النهاية، 10/5، 11، وينظر: غريب القاسم، 56/1

(3) غريب القاسم، 56/1، وينظر: الصحاح، 112/5، واللسان، 640/11، 641

(4) ينظر: اللسان، 640/11

(5) ينظر: المصدر نفسه

(6) غريب ابن قتيبة، 531/1، 539، وشعر النابغة في ديوانه/167، وينظر: الصحاح، 132/5، واللسان، 681/11



العطاش الشارعة في الماء⁽⁷⁾، ويُقال: ((من أين نهلت اليوم؟ فتقول: بماء بني فلان وبمنهل بني فلان، وقوله أين نهلت، أي: شربت فرويت وأنشد: ما زال منها ناهلٌ ونائب.

قال: الناهل الذي روي فاعتزل، والنائب الذي ينوب عوداً بعد شربها، لأنها لم تُنضح رياً⁽¹⁾ وقال ابن دريد: ((والنهل من الأضداد عندهم، لأنهم يسمون العطشان ناهلاً والشارب أول شربة ناهلاً ونهلاًن ويُقال للعطشان نهلاًن))⁽²⁾، ولربما يظل الشارب أول شربة عطشاناً، وتفرع منه الناهل بمعنى الريان لملازمته الماء.

- (نوع): في ما تُسبب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ثلاث من أمر الجاهلية: الطعن في الأنساب، والنيابة، والأنواء)).

ذكر أهل الغريب أن النوء من الأضداد، يعني: النهوض والسقوط، وسمي به أما النجم الطالع وأما الساقط⁽³⁾. قال القاسم: ((وإنما سمي نوءاً، لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق للطلوع... وقد يكون النوء السقوط، قال أبو عبيد: ولم اسمع أن النوء السقوط إلا في هذا الموضع، وقال الله تعالى: ﴿مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءًا بِالْمُصْبَةِ﴾⁽⁴⁾).

وقال ذو الرمة يذكر امرأة بالعظم:

تنوء بأخراها فلأياً قيامها

وتمشي الهوينا من قريب فتبهز⁽⁵⁾.

وعلى السقوط حديث عمر (رضي الله عنه): ((كم بقي من نوء الثريا))⁽⁶⁾، فإذا صحَّ هذا النقل فهذا يعني ورود السماع على معنى السقوط بأكثر من شاهد، وإن طائفة من العرب ومنها قريش تحديداً جرت على هذا المعنى بدليل الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وحديث عمر (رضي الله عنه).

- (وثب): روي: ((أن زيد بن عبد الله بن دارم، وفد على بعض ملوك حمير، فألقاه في مُتَصِيد له على جبل مشرف، فسلم عليه وأنتسب له، فقال له الملك: ثب، يريد: أجلس فظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل، فهلك، فقال الملك: ما شأنه؟ فخبروه بقصته، فقال: من دخل ظفار حمراً... وأراد فليتعلَّم الحميرية وليفهمها))⁽⁷⁾.

ومن ذلك حديث فارعه أخت أمية بن أبي الصلت: ((قالت: قدم أخي من سفر فوثب على سريري))، قال ابن الأثير: ((أي قعد عليه واستقر، والوثوب في غير لغة حمير بمعنى النهوض والقيام))⁽⁸⁾.

وذكر ابن منظور قول الملك: ((ليس عندنا عريبت، من دخل ظفار حمراً أي تكلم بالحميرية... يريد العربية فوقف على التاء، وكذلك لغتهم، ورواه بعضهم: ليس عندنا عريبة كعريبتكم)) ثم نقل صاحب (اللسان)، ترجيح بعض اللغويين للرواية الأخيرة، ((لأن الملك لم يكن ليخرج نفسه عن العرب...، والوثاب: الفراش بلغتهم، ويُقال: وثبُّته وثاباً، أي فرشت له فراشاً))⁽¹⁾.

تعقيب:

تناول الباحث في ما مضى من هذا الفصل ثلاثاً من الظواهر التي تفرعت إليها الدلالة هي الترادف والمشتراك اللفظي والأضداد، فذكر أسبابها وموجباتها وصولاً إلى أهمها، وهو السبب الناشئ عن تعدد اللغات، واتبع ذلك بأمثلة وافية أحصاها مما وقع عليه من كتب غريب الحديث.

(7) النهاية، 138/5

(1) اللسان، 681/11

(2) الجهرة، 176/3، وينظر: القاموس المحيط، 62/4

(3) ينظر: غريب القاسم، 321-320/1، والفائق، 29/4، والمجموع المغيث، 356/3، والنهاية، 122/5

(4) القصص، 76

(5) غريب القاسم، 321-320/1، والفائق، 29/4، والنهاية، 122/5، وشعر ذي الرمة في ديوانه، 227

(6) النهاية، 122/5، وينظر: العباب/حرف الهمزة، 184، 185

(7) غريب ابن قتيبة، 294-293/1

(8) النهاية، 150/5

(1) اللسان، 792/1، وينظر: غريب ابن قتيبة، 294-293/1، والفائق، 24/4، والنهاية، 150/5



ولكي تتَمَّ الفائدة ويتحصَّل المطلوب من درس الدلالة في هذا الفصل يُحسنُ التنبيه على ثلاثة عوامل أثرت في العربية وزادت من رصيدها اللفظي والدلالي من ذلك:

1- أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أضاف إلى رصيد العربية، وأحدث فيها من الاسماء والدلالات ما لم يُسمَع من العرب قبله، وقد تتبع الخطابي شيئاً من جوامع كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصف منها ضروباً. بما يغني عن إعادتها في هذا الموضع⁽²⁾، وقد وَقَفْتُ على شيء منها في الفصل الأول/مبحث الغرابة⁽³⁾ فلزم التنبيه .

2- وقعت على طائفة من الألفاظ التي اختصَّت بها بعض القبائل أو البيئات العربية دون غيرها، كما وقع على شيء من المعاني المخصوصة ببعض هذه البيئات، وبعض هذه الألفاظ المخصوصة قد تكون أقرب إلى مفهوم الترادف، وكذا المعاني المخصوصة قد تكون أقرب إلى مفهوم الاشتراك إلا أن المفهومين لا ينطبقان عليهما تمام الانطباق، ولهذا أوردناهما في هذا الموضع، والبلاد منداحة واسعة، فما هو معروف عند جماعة قد لا يكون معروفاً عند جماعة أخرى وكل ذلك زاد - أيضاً - من رصيد العربية ألفاظاً ودلالات.

فمن الألفاظ المخصوصة ببعض هذه القبائل والأصقاع:

- (بلل): في حديث ابن عباس، قال في زمزم: ((لا أحلها لمغتسلٍ، وهي لشاربٍ حلٍّ وبلٍّ)).
قال القاسم: ويقال: ((أنه إتباع، وليس هو عندي كذلك لمكان الواو، قال: واخبرني الأصمعي عن المعتمر بن سليمان أنه قال: بل هو المباح بلغة حمير))⁽⁴⁾.

- (بهش): في الحديث: ((أمن أهل البهش أنت؟))، أهل البهش: هم أهل الحجاز، وبها منبت البهش، وهو رطب المُقْل، ويابسُه: الخشك.

ومنه الحديث الآخر: ((أن أبا موسى لم يكن من أهل البهش)) أي لم يكن حجازياً⁽¹⁾.

- (حكأ): قال الحافظ أبو موسى في حديث عطاء: ((أنه سُئِلَ عن الحُكَاة، قال: ما أحب قتلها)) : ((الحُكَاة: العضاءة بلغة أهل مكة، وإنما لا يجب قتلها، لأنها لا تؤذي وقيل: هي العظاية الضخمة، وجمعها حُكَا، وقد يُقال: حُكَاة بغير همز، والجمع حُكَاً مقصورة والحُكَاء ممدود: ذكر الخنافس))⁽²⁾.

- (حيا): ذكر ابن الأثير أن أهل اليمن يسمّون الركن الأسود: المُحَيَّا، أي أن الناس يحيونه بالسلام⁽³⁾، والمُحَيَّا: الوجه⁽⁴⁾، فكأن الركن السود وجه الكعبة المشرفة.

- (رفل): في الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مثل الرافلة في غير أهلها كالظلمة يوم القيامة، لا نور لها))، قال الخطابي - معقّباً -: ((الرافلة في غير أهلها: المتبرجة بالزينة لغير زوجها... والرفل: الذيل))⁽⁵⁾ وقال الزمخشري: ((الرفل: الذيل يمانية))⁽⁶⁾ وأنشد لشاعر يمدح المهلب:

إذا نادى الشُّرَاة أبا سعيد مشى في رَفْلٍ مُحْكَمَةِ القَتِيرِ⁽⁷⁾

- (زقم): قال الخطابي في حديث أبي جهل: ((إن محمداً يخوفنا بشجرة الرِّقُوم، هاتوا الرُّبْدَ والتمر وتزقموا)): ((رؤي أنها لما نزلت⁽⁸⁾، لم تعرف قريش الرِّقُوم، فقال أبو جهل: إن هذه الشجرة ما

(2) ينظر: غريب الخطابي، 1/64-70، والنهاية، 1/4، 5

(3) ينظر: الفصل الأول/مورد: غرابة لغة النبي ص/82-84

(4) غريب القاسم، 2/280، وينظر: الفائق، 1/129، وغريب ابن الجوزي، 1/86 والنهاية، 1/154

(1) الغريبين، 1/226، وينظر: النهاية، 1/167

(2) المجموع المغيث، 1/476، والنهاية، 1/417

(3) النهاية، 2/395 (سلم)

(4) ينظر: الصحاح، 6/265

(5) غريب الخطابي، 1/115، والنهاية، 2/247

(6) الفائق، 2/72

(7) المصدر نفسه، وينظر: غريب الخطابي، 1/115

(8) يعني قوله تعالى: ﴿لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ﴾ الواقعة/52



تنبت في بلادنا، فمن منكم يعرف الزقوم؟ فقال رجل قدم من إفريقية: إن الزقوم بلغة إفريقية الزُّبد بالتمر⁽⁹⁾.

وقد بين الله مراده في آية أخرى فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْمَهَا كَانَ مَرُوسٌ الشَّيَاطِينِ﴾⁽¹⁰⁾.

- (زيب): في حديث الريح: ((اسمها عند الله الأزيب وعندكم الجنوب)) قال ابن الأثير: ((الأزيب من أسماء ريح الجنوب، وأهل مكة يستعملون هذا الاسم كثيراً))⁽¹¹⁾.

وذكر ابن منظور أن ((الأزيب: الجنوب هذلية... قال شمر: أهل اليمن ومن يركب البحر فيما بين جدة وعدن يسمون الجنوب: الأزيب، لا يعرفون لها اسماً غيره))⁽¹²⁾.

- (سمحق): في حديث الشجاج: ((في المِلْطَى نصف دية الموضحة)) قال ابن الأثير: ((المِلْطَى بالقصر والمِلْطَاة: القشرة الرقيقة بين عظم الرأس ولحمه... وأهل الحجاز يسمونها السمحاق))⁽¹⁾.

- (عتم): في الحديث: ((لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء، فإن اسمها في كتاب الله العشاء، وإنما يُعتم بجلاب الإبل)) نقل ابن الأثير بعد روايته الحديث أن الأعراب كانوا: ((يسمون صلاة العشاء صلاة العتمة، تسمية بالوقت، فنهاهم عن الاقتداء بهم))⁽²⁾.

- (عذر): قال أبو موسى بعد إيراده الآية الكريمة: ﴿وَلَوْلَا أَلَمِيْ مَعَاذِرُهُ﴾⁽³⁾: ((أي أرخى سُتُورَهُ ليخفي عَمَلَهُ. والمِغْذَار: الستر بلغة اليمن))⁽⁴⁾.

- (عضه): في ما تُسَبِّحُ إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((إذا جنتم فكلوا من شجرة ولو من عضاهة)).

قال الحربي: ((عن عكرمة: العضه: السحر بلسان قريش، يقولون للساحرة: العضه... وعن الكسائي: العضه السحر... وعن الفراء هو في كلام العرب: السحر))⁽⁵⁾.

- (فلط): رُفِعَ رجلٌ إلى عمر بن عبد العزيز قال لرجل آخر: ((إنك تبوكها - يعني امرأة ذكرها فأمر بضربه، فجعل الرجل يقول: أضرب فلطاً))، نقل أهل الغريب أن: ((الفلاط: المفاجأة، وأفلطه فأجاه لغة هذيلية))⁽⁶⁾ وأنشد الزمخشري للمتنخل الهذلي:

به أحمي المضاف إذا دعاني ونفسي ساعة الفزع الفلاط⁽⁷⁾

- (قدس): وفي وضوء علي (عليه السلام): ((الْقَدَسُ من أقداس الجنة، والماء من الكوثر))⁽⁸⁾.
ذُكِرَ أَنَّ الْقَدَسَ - بالتحريك - : السَّطْلُ بلغة أهل الحجاز، لأنَّه يتطهر فيه⁽⁹⁾.

- (قنح): وجاء في (الفائق): ((روى شمر عن أبي زيد أن التَّقْنَحَ الشرب فوق الرِّي، قال الأزهرى: هو التَّقْنَحُ والترَّج، سمعت ذلك من أعراب بني أسد، وعن أبي زيد، قنحت من الشراب أقنح قنحاً وتَقْنَحْتُ منه تَقْنَحاً: إذا تَكَارَهْتَ على شُرْبِهِ بعد الرِّي))⁽¹⁰⁾.

(9) غريب الخطابي، 486/1، 487، وينظر: الفائق، 117/2، والنهاية، 306/2، 307 (زقم)

(10) الصافات/64، 65، وينظر: غريب الخطابي، 487/1

(11) النهاية، 324/2

(12) اللسان، 454/1

(1) النهاية، 356/4، وينظر: غريب الخطابي، 370/2، واللسان، 164/10

(2) النهاية، 180/3

(3) القيامة/15

(4) المجموع المغيث، 417/2، 418

(5) غريب الحربي، 924/2، 925

(6) الفائق، 135/1، والنهاية، 471/3

(7) الفائق، 135/1، وديوان الهذليين، 26/2

(8) بحار الأنوار، 116/39، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 230/3

(9) غريب الحديث في بحار الأنوار، 230/3، وينظر: الصحاح، 135/3، واللسان، 169/6

(10) الفائق، 52/3، وينظر: التهذيب، 66/4



- (قوم): وقال القاسم في حديث ابن عباس: ((إذا استقمت بنقد فبعت بنقد فلا بأس به، وإذا استقمت بنقد فبعت بنسيئة فلا خير فيه)): ((قوله: إذا استقمت يعني قومت، وهذا كلام أهل مكة يقولون: استقمت المتاع يريدون قومه))⁽¹¹⁾.
- (كيس): وروى صاحب (الفائق) عن المُبرّد: ((أن المهلب بن أبي صفرة دعا بمعاوية بن عمرو سيد بني العدوية، فجعل يركبه برجله، فقال: أصلح الله الأمير اعفني من أم كيسان، وهي كنية الركبة بلغة الأزد))⁽¹⁾.
- (لجج): في حديث طلحة: ((قدّموني فوضعوا اللجج على قفّي)) هو بالضم: السيف بلغة هذيل وقيل اسم سمي به السيف كما قالوا: الصمصامة⁽²⁾.
- (لون): في حديث جابر وغرمائه: ((اجعل اللون على حديثه))، اللون عند أهل الغريب نوع من النخل، وقيل: هو الدقل، وقيل: النخل كله ما خلا البرني والعجوة، ويسميه أهل المدينة الألوان، واحدته لينة وأصله لونة⁽³⁾.
- (نوت): وروى بعضهم حديث خالد: ((لقى الشام نواتيه))، قال القاسم: ((وليس هذا بشيء إنما النواتي في كلام أهل الشام الملاحون الذين في البحر خاصة))⁽⁴⁾.
- (هجر): في الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((التهجير إلى الجمعة حج فقراء أمتي))⁽⁵⁾، ذكر البيرجندي أن ((التهجير: التبكير إلى كل شيء والمبادرة إليه، يقال: هجر يهجر تهجيراً فهو مهجر وهي لغة حجازية))⁽⁶⁾.
- ومن المعاني المخصوصة ببعض هذه القبائل أو الأصقاع:
- (حذف): في حديث الصلاة: ((لا تتخلّكم الشياطين كأنها بنات حذف)) وفي الرواية (كأولاد حذف)، قال ابن الأثير: ((هي الغنم الصغار الحجازية، واحدها حذفة بالتحريك، وقيل: هي صغار جرد ليس لها أذان ولا أذنان يجاء بها من جرش اليمن))⁽⁷⁾.
- (حفا): نقل الحربي عن الفراء قوله: ((يقال على الماشي إلى بيت الله حافياً وهو قول أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: راجلاً))⁽⁸⁾.
- (سلط): في حديث ابن عباس يصف علياً (عليه السلام): ((ما رأيت رئيساً محرّراً يزنُّ به لرأيته يوم صفين وعلى رأسه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجا سليط وهو يحمش أصحابه))⁽⁹⁾.
- نقل أهل الغريب أن السليط: دهن الزيت⁽¹⁰⁾، قال ابن قتيبة: وهو عند قوم دهن السمسم وأنشد للنابغة الجعدي:

تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاساً⁽¹⁾

والسليط: دهن السمسم عند أهل اليمن على قول الحافظ أبي موسى⁽²⁾، والسليط لا يحمل معنى الاشتراك بنفسه بل بإضافته إلى ما عُصِرَ منه كالزيتون والسمسم وغيرهما، قال الفيروز آبادي: ((السليط: الزيت، وكلُّ دهن عُصِرَ من حب))⁽³⁾، ومما يؤكد ذلك ما رواه الصغاني من أنه سمع أهل مكة وأهل تهامة واليمن يسمّون دهن السمسم السليط⁽⁴⁾.

(11) غريب القاسم، 232-231/4، وينظر: الصحاح، 398/5، واللسان، 500/12

(1) الفائق، 83/2، وينظر: اللسان، 201/6

(2) النهاية، 234/4

(3) المصدر نفسه، 278/4، وينظر: ابن قتيبة، 441/1، والفائق، 334/3، والمجموع المغي، 159/3

(4) غريب القاسم، 20/4-21، وينظر: المجموع المغي، 358/3

(5) بحار الأنوار، 197/86، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 166/4

(6) غريب الحديث في بحار الأنوار، 166/4

(7) النهاية، 356/1، وينظر: الفائق، 269/1

(8) غريب الحربي، 419/2، وينظر: النهاية، 411/1

(9) غريب ابن قتيبة، 125/2

(10) ينظر: النهاية، 389/2، وغريب الحديث في بحار الأنوار، 240/2

(1) غريب ابن قتيبة، 126-125/2، وشعر النابغة الجعدي في ديوانه، 81

(2) ينظر: المجموع المغي، 112/2

(3) القاموس المحيط، 365/2



- (كبر): عن أبي جعفر الهاشمي للإمام الجواد (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ﴾ (٤٨)

((ما كان إكبار النسوة؟ قال: هو ما حصل لأُم الفضل من الحيض)) (٦).
ذكر البيرجندي أن إكبار المرأة حيضها، ثم ذكر أن مجاهداً فسّر الآية بهذا، وهذا ليس بالمعروف في اللغة (٧) وعليه قول الشاعر:

نأتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ، وَلَا نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا اكْبَرْنَ إِكْبَارًا (٨)
وسئل رجل من طيّ: ((يا أخا طيّ، ألك زوجة؟ فقال: لا والله ما تزوجت، وقد وُعدت في ابنة عم لي، قلت: ما سنّها؟ قال: قد اكْبُرَتْ أو كَبُرَتْ، قلت: ما اكْبُرَتْ؟ قال: حاضَتْ، فلغة الطائي تصحّ أن إكبار المرأة أول حيضها...)) (٩).

وقد رُوِيَ هذا المعنى عن ابن عباس (١٠)، ولعلّ هذا المعنى مصداق لما رُوِيَ عن الإمام الجواد (عليه السلام)، وإذا صحّ هذا النقل، فهذا يؤكد - أيضاً - أن في القرآن مصداقاً لكلّ لغات العرب الفصيحة، ولم يقتصر على لغة بعينها.

- (يهم): في الحديث المنسوب إليه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْإِيْهِمَيْنِ))، ذكر مصنفو الغريب أنهما: ((السيل والحريق، لأنّه لا يُهْتَدَى لدفعيهما، من الفلاة الهيماء، وهي التي لا يُهْتَدَى فيها، لأنّه لا أثر يُسْتَدَلُّ به)) (١١).

وقال ابن السكيت: ((وقال أبو عبيدة: الإيْهمان عند أهل البادية. السيل والجمل الهائج يُتَعَوَّذُ منهما، وهما الأعميان، وعند أهل الأمصار: السيل والحريق)) (١٢)، وقيل: ((الإيْهمان عند أهل الحضر: السيل والحريق، وعند الأعراب: الحريق والجمل الهائج)) (١٣).

٣- وقد وقع في الحديث - أيضاً - ألفاظ أعجميّة دخيلة، كانت لبعض القبائل العربية اليد الطولى في إدخالها إلى العربية قبل الإسلام وبعده، بسبب المجاورة والعلاقات التجارية وتداخل الأقسام وتقليد الحضارات، وطلب حاجتها فضلاً على التطور الحضاري مادياً وفكرياً (١٤).

وما تحقّق أنّه من المعرّب منقولاً بلفظه أو معدّلاً بحسب قواعد التعريب التي عرفتّها العربية بالاستعمال، ووضع لها العلماء القواعد والأسس، فإنّ هذا المعرّب نُقِلَ إلى العربيّة، لغيباب مسمّيّاته عن واقعها البيئي ممّا أفضى إلى غيابه عن ألفاظها ((فإذا ما دخل إليها المسمّى حاجةً أو ترفاً نُقِلَ الاسم أيضاً أو اشتق العرب له، من صفاته أو أحواله اسماً، لأنّ بعض المنقول إلى العربية لم يُعرف باسمه الخاص به في لغته وإنّما عُرِفَ باسم منشئه)) (١٥).

ولم يقع الاختلاف بين العلماء في وقوع مثل هذا في العربية، إنّما وقع الاختلاف في أمر وقوع المعرّب في القرآن الكريم بين مقرّ به ومُنكّر له (١٦).

ولعلّ من محاسن الآراء التي ارتضاها كثير من الدارسين، بوصفها حلاً لهذا المشكل الرأي الذي نقل عن صاحبنا القاسم بن سلام في (غريبه)، قال: ((قد سمعت أبا عبيدة يقول: من زعم أنّ في القرآن ألسناً سوى العربية، فقد أعظم على الله القول، واحتجّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا﴾

(٤) ينظر: العباب/حرف الطاء/٨٨

(٥) يوسف/من الآية ٣١

(٦) بحار الأنوار، ٨٤/٥٠، وغريب الحديث في بحار الأنوار، ٣٠٣/٣

(٧) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، ٣٠٣/٣

(٨) اللسان، ١٢٦/٥

(٩) المصدر نفسه

(١٠) نفسه

(١١) الفائق، ١٣١/٤، وينظر: النهاية، ٣٠٣/٥

(١٢) إصلاح المنطق/٣٩٦، وينظر: الصحاح، ٤٦٩/٥

(١٣) اللسان، ٦٤٩/١٢

(١٤) لهجة قريش/١٦٩

(١٥) ينظر: المصدر نفسه/١٦٦، ١٦٧

(١٦) ينظر: المزه، ٢١١/١



عَرَبِيًّا^(٤) وقد رُوِيَ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم في أحرف كثيرة أنها من غير لسان العرب مثل: سَجِيل والمشكاة واليَم والطور وأباريق واستبرق وغير ذلك فهو لاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة، ولكنهم ذهبوا إلى مذهب وذهب هذا إلى غيره وكلاهما مصيب إن شاء الله))، ثم خُلصَ إلى رأيه، وهو: ((أَنَّ أصل هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها فَعَرَبَتْهُ، فصار عربياً بتعريبها إياه فهي عربية في هذه الحالة عجمية الأصل، فهذا القول يَصْدَقُ الفريقين جميعاً))^(٥).

ويرى أستاذنا الدكتور السالم أَنَّ المعرَّبَ عربيٌّ من اسمه، لأنَّ العرب حَوَّلَت بعض أصواته الأعجمية إلى أصواتها، وحَوَّرَت بناء بعضه إلى أبنيته، فهو عربي بثوبه الجديد من حيث أصواته ووزنه واستعماله. فان لم يجد العرب له وزناً عندهم غيَّروا في أصواته وحدها لتكون أصواتاً عربية^(٦).

يُزاد على ذلك كَلَه أَنَّ هناك ألفاظاً أُخْتُلِفَ في أصلها بين أن تكون أعجمية معرَّبة أو من المشترك السامي أو من أصول يمانية، وسيوضح هذا في ما يورده الباحث من أمثلة تدخل في هذا الباب فمنها:

- (إصطقل): جاء في حديث معاوية إلى ملك الروم: ((ولأنزَعَنكَ من الملك نزع الإصطقلية))، قال مصنفو غريب الحديث في (الإصطقلية) هي: ((الجزرة لغة شامية أوردتها بعضهم في حرف الهمزة على أنها أصلية وبعضهم في الصاد على أنها زائدة))^(١).

ويرى ابن الأثير أَنَّ اللفظة ليست بعربية محضة، لأنَّ الصاد والطاء لا يجتمعان إلا قليلاً^(٢)، ونصَّ على ذلك الجواليقي^(٣)، و((إصطقلين، إصطقلين: الجزر يونانية))^(٤).

ويظهر أَنَّ ذلك ممَّا أخذَه أهل الشام من اليونانية واستعملوه، ومعاوية حينذاك حاكم الشام^(٥).

ويُنسب إلى معاوية حديث آخر على النسق نفسه وقد أُبدلت فيه (الإصطقلية) بـ (الإصفقانية)، ونقله الحافظ أبو موسى وهو: ((لأنزَعَنكَ من الملك انتزاع الإصفقانية))، ثم ذكر أبو موسى أنهم ((هم الخول، لغة يمانية، يُقال: صَفَقهم من بلدٍ إلى بلدٍ، أخرجهم قهراً وذلاً وصفقهم عن كذا: صرفهم، وصَفَقَتْ به الأرض: ضربته))^(٦).

والاختلاف الذي جرى على الحديثين، قد يرجع إلى أثر الرواة، إن لم يكن أحد الحديثين أو كلاهما مصنوعاً.

- (بَبب): في حديث عمر (رضي الله عنه): ((حتى يكون الناسُ بَبَّاناً واحداً))، ((يعني شيئاً واحداً، قال أبو عبيد: ولا أحسبها عربية))^(٧)، إلا أَنَّ لغويين آخرين لا يرجحون ذلك، و((هذا حديث مشهور رواه أهل الإِتقان، وكأنَّها لغة يمانية لم تَفْشُ في كلام مَعَدَّ))^(٨).

(٤) الزخرف/3

(٥) غريب القاسم، 242/4-243

(٦) من مدونتي الخاصة لمحاضرات أستاذنا الدكتور السالم في مادة القضايا اللغوية القرآنية في السنة التحضيرية للدكتوراه، 2004-

2005م، الكورس الأول، وينظر: أوهم الجواليقي/2-4، ومن أمثلة هذا المعرَّب: غريب القاسم، 227/1 (مستقَّة)، والنهاية، 2/ (زمانة)

والنهاية، 112/1، 202/4، وغريب الحديث في بحر الانوار، 108/1 (البريط)، وكل من هذه الألفاظ من أصل فارسي على ما يذكر،

وينظر- أيضاً - : من غير الفارسي: غريب القاسم، 482/3، والفائق، 168/2، والنهاية، 482/3 (قَهْر)، وغريب ابن قتيبة،

196/2 (التامور)، والغريبيين، 225/1 (بهرج)

(١) غريب الخطابي، 535/2، والفائق، 46/1، والنهاية، 52/1، وينظر: اللسان، 18/11

(٢) ينظر: النهاية، 52/1

(٣) المعرَّب/27

(٤) المعجم المفصل في المعرَّب والدخيل/33

(٥) ينظر: نور الأبصار للشبلنجي/110-112

(٦) المجموع المغيَّب، 276/2، وينظر: النهاية، 39/3

(٧) الغريبيين، 121/1، وينظر: الفائق، 71/1، والنهاية، 91/1

(٨) اللسان، 222/1



ولعلَّ ممَّا يقوِّي هذا الزعم - زيادة على ما نقل في الأحاديث - أنَّ بعض اللغويين لم يُشر إلى أعجمية هذه اللفظة، قال الجوهري: ((ويقال هم بَبَّانٌ واحد، كما يُقال بأَج واحد))⁽⁹⁾، وجرى على ذلك بعض مصتفي غريب الحديث⁽¹⁰⁾.

واستشارة كتب المعرَّب والدخيل في هذا اللفظ، كذلك لا تؤيد عجمته وإن زعم الجواليقي أنَّها كلمة ليست بعربية محضة⁽¹¹⁾. واللفظة على ما يذكرون مشتركة بين معظم اللغات السامية: الآرامية والربانية والعبرية، ولذلك يرى العليلي القول: ((بأنَّه دخيل من الفارسية خطأ منكرًا))⁽¹⁾.

بخلاف لفظ البأج فهو معرَّب، قال ابن الأثير في موضع آخر معلقاً على حديث عمر (رضي الله عنه): ((اجعلها بأجاً واحداً)) ((أي شيئاً واحداً، وقد يُهمز وهو فارسيّ معرَّب))⁽²⁾، كذا نصَّ أصحاب المعرَّب على أعجميته⁽³⁾، وذكر بعضهم أن أصله في الفارسية (باز)، وهو ما يؤخذ من المكس في سوق النخاسة (بيع الدواب)⁽⁴⁾.

- (بطرق): قال الزمخشري: ((البطريق بلغة أهل الشام والروم، القائد من قوادهم والجمع بطارقه، ويُقال للمختال المزهو بطريق، كأنَّه تشبيه، ويُقال: البطريق السمين من الطير))⁽⁵⁾، وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم عند صاحب (النهاية)⁽⁶⁾، وهو معرَّب عند طائفة من اللغويين⁽⁷⁾، قال الجواليقي: ((البطريق: بلغة الروم: هو القائد وجمعه بطارقة، وقد تكلموا به ولما سمعت العرب بأنَّ البطارقة أهل رئاسة صاروا يصفون الرئيس بالبطريق، وإنَّما يريدون به المدح وعظم الشأن))⁽⁸⁾.

وأكثر من تكلم به أهل الشام لاتصالهم بالروم، وجاء في (اللسان): ((ويقال: إنَّ البطريق عربيّ وافق العجمي وهي لغة أهل الحجاز)) وأنشد لأمية بن أبي الصلت:

من كلِّ بطريق لبِط ربيّ نقيّ الوجهِ واضح⁽⁹⁾

إلا أنَّ كلام ابن منظور مردود بما تواتر هنا، وقيل: جمعها: (بطارق) من اللاتينية (Patriec)⁽¹⁰⁾ - (سرق): في حديث عبد الله بن عمر: ((أنَّ رجلاً قال له: إنَّ عندنا بيعاً له بالنقد سعر وبالتأخير سعر، فقال: وما هو؟ فقال: سَرَق الحرير، فقال: إنكم معشر أهل العراق تسمُّون أسماء مُنكرة فهلا قلَّت: شقق الحرير! ثم قال: إذا اشتريت فكان لك فبعة كيف شئت))⁽¹¹⁾. قال القاسم - معقياً - : ((قوله: سَرَق الحرير، هي الشقق أيضاً كما قال ابن عمر، إلا أنَّها البيض منها خاصة، قال الراجز:

ونسجت لوامع الحرور وسبائب كسرق الحرير

والواحدة منها: سَرَقَة، قال أبو عبيد: واحسب هذه الكلمة فارسية، إنَّما هو سرّه يعني الجيد فعَرَب، فُقيل: سَرَق فجعلت القاف مكان الهاء، ومثله في كلامهم كثير، ومنه قولهم: للخرّوف: بَرَق، وإنَّما هو بالفارسية: بَرّه، وكذلك يلمق، إنَّما هو بالفارسية: يَلْمه يعني القباء، والاستبرق مثله إنَّما هو استبره، يعني الغليظ من الديباج، وهذا تفسيره في العراق))⁽¹⁾.

(9) الصحاح، 138/1، وينظر: النهاية، 91/1

(10) ينظر: غريب الخطابي، 412/2، والفائق، 71/1

(11) المعرَّب/40

(1) المعجم المفصل في المعرب والدخيل/57

(2) النهاية، 160/1 (بوج)

(3) ينظر: المعرَّب/41، وشفاء الغليل/85

(4) المعجم المفصل في المعرب والدخيل/58، وقاموس ردّ العامي إلى الفصح/67

(5) الفائق، 56/2

(6) ج1/135، وينظر: غريب الحديث في بحر الانوار، 131/1

(7) ينظر: الصحاح، 181/4، واللسان، 21/10، والمصباح/51

(8) المعرَّب/42، 43، وشفاء الغليل/85

(9) اللسان، 21/10، وينظر: ديوان أمية/33

(10) ينظر: المعجم المفصل في المعرب والدخيل/15

(11) غريب القاسم، 241/4، والفائق، 174/2، والنهاية، 362/2

(1) غريب القاسم، 242-241/4، وتفصيل أكثر: ينظر: الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية، د: رجب عبد الجواد/18-21،



- (شَلَحَ): في (النهاية): ((الحاربُ المُشَلِّحُ)): هو الذي يُعَرِّي الناس ثيابهم وهي لغة سوادِيَّة (2) وفي (البحار): ((فَقَطَعَ عَلَيَّ التُّرْكَ وَشَلَحُونِي)) (3) قيل: ((التشليح الذي يتكلم به أهل السواد سمعته يقولون: شَلَحَ فلان إذا خرج عليه قطاع الطرق فسلبوه ثيابه وعَرَّوه, قال: واحسبها نبطِيَّة)) (4), ذكر الشيخ أحمد رضا أنها (لغة سوادية قديمة الاستعمال لم يتحرَّج منها أعظم الفصحاء وذكروها في حديث الإمام علي (عليه السلام) في وصف الشراة ((خرجوا لصوصاً مشلحين)) وهذا دليل على فصاحتها عنده (5).

- (قَلَدَ): عن ابن عتيك: ((فَقَمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا)) (7), قيل: ((هي جمع إقْلِيد, وهو المفتاح)) (8)

وفي الدعاء: ((له مقاليد السموات والأرض)) (9), ذكر البيهقي أنَّهُ: ((جمع: مَقْلِيد أو مَقْلَاد: المفتاح وقيل: جمع إقْلِيد, مُعَرَّبٌ إقْلِيد على الشذوذ, وهنا كناية عن الأسباب والعلل)) (10) ذكر الجواليقي نقلاً عن ابن دريد أنه المفتاح فارسي مُعَرَّبٌ وعليه قول الرازي: لم يُؤْذِهَا الدِّيكُ بصوتِ تَغْرِيدٍ ولم تُعَالِجْ غُلَقًا بِإِقْلِيدٍ (11). إلا أنَّ ابن منظور عزاها إلى اليمن وأنشد لتَبَّعَ حِينَ حَجَّ الْبَيْتِ: وَأَقَمْنَا بِهِ مِنَ الدَّهْرِ سُبْتًا وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدًا ثُمَّ عَادَ وَذَكَرَ أَنَّ الْإِقْلِيدَ مُعَرَّبٌ وَأَصْلُهُ كَلِيد (12).

أما المحدثون فانهم يميلون إلى أنَّ أصل الكلمة يوناني (Klidha) (13) أو من (Kleis) و (kleidos) (14).

ويرى الدكتور صباح السالم أنَّ ابن دريد ثم الجواليقي قد وهما في عدِّ الكلمة فارسيَّة, وأكثر منهما وهماً طوبيا ونخلة, ((فَمَنْ هُم أَقْدَمُ مِنَ الْجَوَالِيْقِي وَأَطْوَلُ بَاعاً فِي اللُّغَةِ عَدُوها عَرَبِيَّة يَمَانِيَّة وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ الْفَرَسُ فَدَ أَخَذُوهَا مِنَ الْيَمَنِ أَيَّامَ اسْتِعْمَارِهِمْ لَهَا وَأَنَّ الْيُونَانَ أَخَذُوهَا مِنَ الْفَرَسِ, ويدلُّ على عروبة الكلمة كثرة تصريفاتها في معنى الإغلاق)) (1).

وقيل أنَّ قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (2), يجوز أن تكون المفاتيح, واحداً إقْلِيد ويجوز أن تكون الخزائن, وقال الأصمعي: ((المقاليد لا واحد لها... أو جمع مَقْلِيد أو مَقْلَاد أو مَقْلَد)) (3). - (محز): في الحديث: ((فلم نزل مفطرين حتى بلغنا ماحوزنا)), قيل: ((هو موضعهم الذي أرادوه وأهل الشام يُسمُّون المكان الذي بينهم, وبه العدو وفيه أساميههم ومكاتبهم ماحوزاً)) (4), ورجَّح بعض اللغويين أنه بلغة غير عربيَّة (5) فلو كان من حزت الشيء وميمه زائدة لَقِيلَ: مَحَازَنَا وَمَحُوزَنَا فهذا يرجح القول بأنه بلغة غير عربيَّة (6).

حيث ذكر تحول صوت الهاء الصامتة في نهاية الكلمة الفارسية إلى قاف في العربية. وينظر: المعرب/91 (سرق), والمعرب/29, وشفاء الغليل/82 (برق), والمعرب/168, وشفاء الغليل/318 (يلمق), والمعرب/14, والمعجم المفصل في المعرب والدخيل/استبرق

(2) النهاية, 498/2

(3) ج 28/52

(4) اللسان, 500/2

(5) قاموس رد العامي إلى الفصيح/303

(7) بحار الأنوار, 303/20, وغريب الحديث في بحار الأنوار, 274/3

(8) النهاية, 99/4, وغريب الحديث في بحار الأنوار, 274/3

(9) بحار الأنوار, 69/71, وغريب الحديث في بحار الأنوار, 274/3

(10) غريب الحديث في بحار الأنوار, 274/3

(11) المعرب/16, وينظر: الجمهرة, 292/2

(12) اللسان, 366/3, وينظر: المصباح, 513

(13) ينظر: غرائب اللغة العربية, رفائيل نخلة اليسوعي/253, وأوهام الجواليقي في المعرب/16

(14) ينظر: تفسير الألفاظ الدخيلة, القس طوبيا العنيسي/57, وأوهام الجواليقي في المعرب/16

(1) أوهام الجواليقي في المعرب/16, 17, وينظر: اللسان, 66/3, والقاموس, 329/1, والمصباح/513

(2) الزمر/63

(3) غريب الحديث في بحار الأنوار, 274/3, 275

(4) النهاية, 301/4

(5) ينظر: المصدر نفسه, والمعرب/153

(6) ينظر: اللسان, 408/5



- (مخر): في حديث زياد: ((لما قديم البصرة والياً عليها, قال ما هذه المواخير؟ الشراب عليه حرام حتى تسوَّى بالأرض هدماً وحرَقاً)) , قال ابن الأثير: ((هي جمع مأخُور, وهو مجلس الرِّيبة ومجمع أهل الفسق والفساد وبيوت الخمارين, وهو تعريب مَيخُور, وقيل: هو عربيّ لتردُّد الناس إليه من مَخَر السفينة الماء))⁽⁷⁾.

وفي حديث عمر (رضي الله عنه): ((أنَّه حرقَ بيت رويشد الثقفي, وكان حانوتاً تعاقَر فيه الخمر وتباع)). ذكر الحافظ أبو موسى وتبعه ابن الأثير أنَّ العرب كانت ((تُسمِّي بيوت الخمارين: الحوانيت, وأهل العراق يُسمونها المواخير, والواحد مأخُور))⁽⁸⁾.

ونُقِلَ عن ثعلب أنَّه عربيّ محض, وقد قيل له ذلك ((لتردُّد الناس من مَخَرَتِ السفينة الماء))⁽⁹⁾. وجملة الكلام في هذا الموضع نصَّ عليه الزمخشري وأنشد لجريز:

فما في كتاب الله هَدْمُ ديارنا بتهديم مأخُورٍ خبيثٍ مَدَاخِلُهُ
إلا أنَّه ذكر - بعد ذلك - أنَّه تعريب (مَي خُور)⁽¹⁰⁾

⁽⁷⁾ النهاية, 306/4, وينظر: الفائق, 351/3

⁽⁸⁾ المجموع المغيَّب, 509/1, والنهاية, 448/1 (حنت)

⁽⁹⁾ شفاء الغليل/293, وينظر: الفائق, 351/3

⁽¹⁰⁾ ينظر: الفائق, 351/3, وشعر جريز في ديوانه/485



حاولتُ في بحثي هذا أن أدرس اللغات في كتب غريب الحديث، وسأقفُ في خاتمتها على خلاصة تتضمن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة على النحو الآتي:

1- في التمهيد:

أ - بعد أن بيّنتُ التوزيع الجغرافي للقبائل العربية وأنسابها ومنازلها وحركتها المستمرة داخل الجزيرة العربية وخارجها بإيجاز، أكدتُ المذهب الذي يرى أنَّ لغة قريش لم تكن هي العربية المشتركة المثالية (لغة القرآن الكريم) .

ب - رجّحتُ أن تكون هناك لغة أصيلة لها كيائها وخصائصها الرصينة قد شاعت في عهود سحيقة سبقت الإسلام بوقت طويل، تفرّعت عنها اللهجات العربية شمالية أو جنوبية بعد ذلك فُيبل الإسلام وبَعْدَه، ويمكن تلمّس صدى هذه اللغة في القرآن الكريم وفي حديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) اللذين أعادا لها وحدتها وروبقها ورسالتها بما عُرف بعد ذلك باللغة المشتركة أو

المثالية التي حاكها العرب ومثلّت المُقْتَدَى في هذا الباب.

ت - أوضحتُ - أيضاً - الجهد الجبار الذي بذله علماء العربية القدماء والمحدثون منهم في العناية باللهجات العربية من جهة تحديدها ودراسة خصائصها وترجيحها شافعاً ذلك بالتحليل والتعليل بما لا يخفى.

2- وفي الفصل الأول:

أ - حدّدتُ مناهج التأليف في ميدان غريب الحديث والأثر في ثمانية معالم رئيسة: تمثلتُ بمنهج الأسانيد، والمنهج الذي يقوم على الخلط بين الأسلوب المسندي وترتيب الحروف على مخارجها، والترتيب الألفبائي، ومناهج أخر اختصّت بشرح غريب حديث معين، أو بشرح غريب كتاب من كتب الحديث، أو بنوع من التأليف يقوم على الاستدراك من مصنف على مصنف آخر، وطائفة ثالثة اختصّت بإصلاح غلط كتاب معين أو الرد على أحد هذه الكتب، ورابعة هدّفت إلى تيسير المادة العلمية بالاختصار، وإعادة الترتيب والتهديب.

ب - كشفتُ عن المنهج الداخلي في عرض المادة اللغوية لجملة من مصنّفات الغريب، كـ (غريب الحديث) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، وهو الرائد في هذا الباب - على الأقل في ما وصل إلينا من مدونات هذا الباب - و(المجموع المغيبي في غريب القرآن والحديث) للحافظ أبي موسى الأصفهاني، من علماء القرن السادس، و(غريب الحديث في بحار الأنوار) لحسين الحسيني البيرجندي من العلماء المحدثين (المعاصرين) الذي حصّر القول في خصوص ما يُنقل عن أهل البيت (عليهم السلام) ممّا أخلّ به السابقون ممّن ولجّ هذا الباب.

وقد أجملتُ - في أثناء ذلك - القول في مناهج مصنّفين آخرين ممّا اتصل بمناهج هؤلاء الثلاثة من السابقين واللاحقين، موضحاً أثر مصنّف في آخر بما يُغني.

ت - وقد غنّيتُ مصنّفو غريب الحديث برواية اللغات وتدوينها هنا وهناك من خلال عرضهم مادتهم اللغوية في الغريب وفي بحثهم الروائي وتوجيههم لكثير من الروايات التي طغت على موضوع الغريب.

ووجدتُ أنَّ للمحدّثين سياقاتهم الخاصة بهم في توجيه الروايات على وفق منهجهم القائم على المشافهة والسماع من شيخ الإجازة، وبقي للغويين وفي مقدمتهم مصنّفو الغريب اليد الطولى في ترجيح مثل هذه الروايات اعتماداً على المنهج الروائي المسندي وعلى قدرتهم وطول باعهم في العربية.

3- وفي مورد تحديد مفهوم الغريب عند هؤلاء المصنّفين من الفصل الأول:

هناك ملاحظتان على قدر كبير من الأهمية:

الأولى: أنَّ تحرّي مفهوم الغريب عند هؤلاء العلماء يضعه - عموماً - على سبيلين:

الأول: ويقصد به الغامض في المعنى، الصعب الفهم، وهو مصطلح يتّصل بدلالة المفردات، ويعني أنَّ الكلمة غير واضحة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال، وهذا لا يؤدي الغرض الذي وضعتُ الألفاظ من أجله.



الثاني: الغريب بالنسبة إلى عصره المعروف لأهله، والمقصود به لغات القبائل التي عاشت في البداية، وعُرفت بالفصاحة، ممّن ذهب إليهم اللغويون، ليأخذوا اللغة عنهم، فعندما تصلنا مثل هذه اللغات، نستغرب كثيراً من ألفاظها، ونحتاج معها إلى بيان وتوضيح ومعاناة فكر. إلا أن هناك ميادين متسعة يتصل بها مفهوم الغريب، وقد يقع الدارس على جملة من الألفاظ كلها تدور في فلك الغريب كالحوشي والوحشي والمشكل أو الشاذ أو النادر، وغيرها ممّا يتضح بصورة أجلى عند الوقوف على أسباب غريب الحديث.

الثانية: أن نوع الغريب الذي ينشأ عن الحوشية أو الوحشية أو الندرة أو الشذوذ ممّا لا يدخل بعضه في صفة البلاغة أو ممّا وصف بخلاف الفصح، فمثل هذا الغريب لا يصحّ نسبته إلى القرآن الكريم ولا ينبغي إطلاقه على الحديث النبوي الشريف اللذين جاء بأفصح الألفاظ في أحسن النظم وعلى أدق المعاني.

وغرابة القرآن الكريم أو الحديث الشريف تعني لطافتها وجزالتها وبلاغتهما، ومثل هذا الغريب لا يجوز أن يُقرَنَ بكلام جُفَاة العرب الذين لا يعلمون تقطيع الكلام وتنزيله والتخير له. فغريب القرآن والحديث النبوي ليس من النوع المستكره أو المعمى الذي لا يؤدي وظيفة التوصيل أو الإيصال المنوطة باللغة، وإن احتاجا إلى من يبحث عن أسرارها ومكنوناتهما العميقة.

4- ووجدتُ أن من أسباب الغرابة على ما في الفصل الأول:

أ- هي قلة الاستعمال الناتجة عن هجر وطرح كثير من الألفاظ التي كانت مشهورة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته من الأجيال التي تلت عصرهم.

فالمفردة التي كانت بالأمس متداولة معروفة، واضحة المعنى، قد يُترك استعمالها جانباً بعد ذلك، وقد تُحدّد أو تُقَيّد أو تنحرف، فيؤدي ذلك إلى تراكم الغرابة عليها تدريجياً. ويرى بعض اللغويين أن قلة الاستعمال التي أدت إلى الغرابة معناها قلة استعمال اللفظة لذلك المعنى لا لغيره.

ب - ومن أسباب الغرابة في حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي شكل القسم الأكبر من هذه المصنّفات أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) تملّك من الصفات البيانية واشتمل على جوامع من الكلم بكيفية لم تكن لأحد سواه، ومن المتوقع على وفق ذلك أن يشتمل حديثه أو ألفاظه على أشياء لم يحط بها غيره، حتى أقرب الناس إليه أو أصحابه، فيكون منها ما نُسب إلى الغريب، ومنه ما أعى كثيراً من أصحابه وهم غُرب صرّاء، فسألوه عن (الجعظ) وعن (القبري) وغيرهما. فكما أبدع القرآن الكريم أشياء لم يعرفوها كذلك جرى في الحديث النبوي الشريف، فلا يُناظر بكتاب الله ولا سُنّة نبيه.

ت - وممّا سبّب الغرابة في حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه تكلم في بعض النوازل، وبحضرته أخلط من الناس، قبائلهم شتى، ولغاتهم مختلفة، ومراتبهم ف الحفظ الإتقان غير متساوية، وليس كلهم يستطيع ضبط اللفظ أو حفظه، إنّما يستدرك المراد بالفحوى ويتعلق بالمعنى، ثمّ يؤديه بلغته أو يُعبّر عنه بلسان قبيلته، فيجتمع في الحديث الواحد، إذا انشعبت طرقه ألفاظ مختلفة عدّه موجبها واحد. وقد لا يختلف الأمر في ما يُنقل عن الصحابة، إذ إنّ كثيراً منه يرجع إلى اختلاف النقل أو الرواية عنهم أو اشتغال أحاديثهم على دلالات ومضامين لا يقع عليها إلا القليل ممّن فقه كلامهم ووعاه.

ث - ووجدتُ أنّ ما ورد في حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحاديث صحابته وتابعيه من ألفاظ دخيلة أو معرّبة قد احتلّ مساحة واسعة ممّا وُصِفَ بالغرابة في مصنّفات غريب الحديث.

ج - وممّا نُسب إلى الغريب طائفة من الألفاظ التي وُصِفَت بالابتذال والتوليد ممّا يرجع في جملته إلى العامة أو بعض المحدّثين، وقد وُضِعَ في حقل الكلام غير الفصيح، وقد يكون منشأ الابتذال ناشئاً من تغيير العامة للكلمة إلى غير أصل وضعها أو من سخافة اللفظ في أصل وضعه.

ح - وأظهرت الدراسة أنّ الغرابة تعود إلى مصادر أخرى، كأسماء الأماكن أو بعض أسماء



الأطعمة أو صفاتها، وكذا أسماء النبات وأسماء بعض الأدوات وبعض ألفاظ الأوزان والمقادير وكلّ ذلك يحصل من اختلاف دلالات هذه الألفاظ من بلدٍ إلى آخر أو من قبيلةٍ إلى أخرى.

خ - وتعود الغرابة على ما ظهر من الاستقراء والإحصاء إلى جملة من الإشكالات الصوتية أو الصرفية أو الأسلوبية أو السياقية فضلاً على الإشكال الناشئ من تعدّد اللغات ومُحتكمات آخر تنتمي إلى الدلالة المعجمية، وتكتنفها معانٍ متعددة تجعل منها مكاناً خصباً للغموض والتوهم كما في المشترك اللفظي والأضداد.

5- وفي الفصل الثاني (في المستوى الصوتي):

طبقتُ المنهج اللغوي الحديث في تفسير كثير من الظواهر التي عرضها في هذا الفصل وكذا في الفصل الصرفي، معزّزاً ذلك بما صدر عن علماء اللغة المحدثين من أفكار ونظريات تسوّغ هذه الظاهرة أو تلك، ومن ثمّ تجعل من نسبتها إلى هذه القبيلة أو تلك ممّا يستند على قاعدة أو دليل يصلح التعلق به في مثل هذه الأبواب.

- ففي ظاهرتي الإدغام والإظهار عزّز الباحث قناعات بعض المحدثين بشيوع ظاهرة الإدغام عند البدو، حيث سرعة النطق ومزج الأحرف بعضها ببعض، بخلاف الحضر إذ أثروا الإظهار بداعي التآني في النطق وتحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها.

- وقوّيت ما رجّحه المحدثون من إثبات البدو للأصوات المجهورة، لأنها أوضح في السمع من نظيراتها المهموسة التي قد تخفى في الصحراء الشاسعة والمترامية الأطراف، بخلاف الحضر الذين أثروا الصوت المهموس إذ يتحقق الغرض منه في مثل هذه البيئات.

- كما عضّد الباحث مذهب المحدثين في نسبة الصوت الشديد إلى البيئات البدوية انسجاماً مع طبائعهم في الجفاء والغلظة بخلاف المتحضرين الذين أثروا الحروف الرخوة التي تتسجم مع طبائعهم في الرقة والهدوء.

وقد استعنتُ في كلّ ذلك على الدراسة النصّية القائمة على كثير من الأمثلة السماعية وخُصوصاً في مورد الإبدال وصولاً إلى القبائل أو الأصقاع التي تحدث فيها هذه الظاهرة أو تلك، من خلال الأشخاص الذين صدرت عنهم هذه النصوص، بحسبانهم علامات دالة على قبائلهم، وبالرجوع إلى كتب التراجم والسير التي أفادتنا خير فائدة في هذا التوجيه.

وظهر - أيضاً - أنّ جمهوراً من الأمثلة التي نقلها أهل الغريب ونُسبت إلى أشخاص محددين لم تجر على المستوى الأدائي أو النطقي الذي جرّت عليه بيئاتهم، ويعود ذلك على الأرجح إلى اختلاف الرواية عنهم، أو أنّهم لجأوا إلى ذلك مختارين، محاكاة النمط الأفصح والأكثر شيوعاً وهو اللغة المثالية القرآنية.

وغير هذا وذاك فهؤلاء قد ينتمون إلى وحدات صُغرى انحرفت في بعض من أدائها عن الوحدات الكبرى التي تنتمي إليها، بسبب مجاورتها ومخالفتها لوحدات أخرى تجري على هذا المستوى الأدائي أو النطقي المُشار إليه.

6- وخُلصتُ بعد دراستي الفصل الثاني (المستوى الصوتي) - أيضاً - إلى نتائج آخر منها:

أ - أنّ معظم الكلمات التي رواها علماء غريب الحديث في مورد الإبدال هي من النوع الذي نجد فيه صلة وثقى في المخرج أو الصفة بين الحرفين المبدلين، وهو شرط أساسي في كلّ تطور صوتي عند المحدثين، إلا أنّ مصنّفي الغريب وقعوا - أيضاً - على كلمات آخر نُسبت إلى الإبدال ولم يكن بين الصوتين أيّ رابط مخرجي أو وصفي وقد فُسّر هذا النوع بالترادف على وفق المنهج اللغوي الحديث.

ب - أنكرتُ على بعض الدارسين المحدثين نفي نسبة ظاهرة الفحفة إلى هذيل، وذلك لأنّه يكاد مثل هذا النفي يتعارض مع الشيوع الذي يصل إلى حدّ التواتر في نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل، وقد اثبت الباحث أنّ بعض الهذليين يميلون إلى البداءة لمجاورتهم بعض القبائل البدوية، وهو ممّا يُقوّي - على الأقل - الرأي القائل بنسبة الحرف المجهور (العين) إلى البدو.



ت - لا يمكن قبول مذهب الدكتور الجندي في نفي نسبة إدغام الألف المقصورة في ياء المتكلم إلى طييء، وذلك لورود السماع عليها من الطائيين، زيادة على مجاورة الطائيين لبعض ممن تُنسب إليهم هذه الظاهرة كبنى سليم.

وكذلك لم يُقبل قول الدكتور إبراهيم أنيس بنسبة تعاقب الميم والباء إلى أخطاء الأطفال على هذا الإطلاق، مع ورود السماع على هذا الإبدال، والمنسوب إلى لغات مخصوصة - أحياناً - وغير مخصوصة - أحياناً آخر - ولا يُنكر أن يكون هناك قدر من هذا التعاقب ينتج عن مثل هذا الذي ذكره الأستاذ الفاضل.

ث - رجّحت قول الدكتور إبراهيم أنيس في نسبة السين إلى قریش في مورد الإبدال بين السين والصاد، ذلك أن قریشاً بيئة حضرية تميل - عموماً - إلى ترقيق الأصوات وقد استند الباحث في هذا الترجيح على جملة من الأمثلة التي أوردها مصنفو غريب الحديث منسوبة إلى خواص قریش. وكذلك رجّحت النتيجة التي خلص إليها الدكتور الجندي ومفادها أن قلب الحاء هاءً سمة لهجية فارسية اعتماداً على أمرين:

الأول: أن غير العرب ولا سيما الفرس والهنود والإنكليز وغيرهم - في وقتنا الحاضر - يقلبون الحاء هاءً في ما ينطقونه من كلمات عربية.

الثاني: أن علماء غريب الحديث نصّوا على مثل هذا الذي ذهب إليه الأستاذ الفاضل وأوردوا عليه أمثلة وشواهد ذكرت في محلها.

ج - خلصت إلى أن كثيراً من التعاقب بين العين والغين يؤول إلى الغلط أو التصحيف أو اختلاف الدلالة بين الصيغتين على الأصل.

ح - ووجدت أن الاختلاف بين الضاد والطاء قد ينشأ بين أفراد البيئة الواحدة، وقد كان النطق بالضاد غصياً على كثير من العرب أنفسهم، ولهذا فرّبما نطقوه طاءً أو أخرجه بين الضاد والطاء، ولذلك - أيضاً - لا يمكن نسبة أي من الحرفين إلى بيئة بعينها، فأما نسبة الطاء إلى الحجازيين فلا يمكن قبولها على إطلاقها، فكثير من الشواهد التي أثرت عن الحجازيين جاءت على الضاد.

خ - فأما في ظاهرة الاستنطاء، فيبدو بعد الاستقراء والتأمل أن كلا اللفظين (أعطى) و(أنطى) أصل قائم برأسه، ولعلّ ممّا يُفسّر ذلك شيوع هذا الاستعمال - يعني أنطى - عند كثير من العرب قبل الإسلام وبعده.

د - أكدت قول بعض الباحثين المحدثين أن لتحقيق الهمز مراحل تصاعدية ولتسهيلها مراحل تنازلية - على ما عُرف في محله - وزاد عليها أن هناك مستوى من تحقيق الهمزة بأن ينطق بها شبيهة بالحاء فيقولون في (رقاً): (رقح)، على ما في بعض الروايات: أنهم تصرّفوا فيه يقلب همزته حاء، وعلى قول الزمخشري: ((أنهم إذا كانوا ممن يقبلون اللام في (قائلة) عيناً فهم بهذا القلب اخلق)).

ذ - رجّحت أن يكون إثثار هذه الصيغة أو تلك في مورد مطل الحركات أو عدمه يعود - غالباً - إلى اختيار الخطيب أو الشاعر ما يناسب المقام من هذه الصيغ في التعبير عن معنى كالتأكيد، وقد يكون للضرورة التي يفرضها الوزن الشعري أو النسق النثري.

إلا أن شيئاً منه يؤمى إلى لغات محددة أشار إليها اللغويون، واختارها بعض المحدثين على ما عُرف في موضعه.

7- وظهر من دراسة الفصل الثالث (في المستوى الصرفي):

أ - أن اللغوي في دراسته مبحث الاشتراك في الأبواب أنما يُقدّم هذه اللغة أو تلك اعتماداً على جودتها وقوّتها قياساً على مثيلاتها ممّا نصّ عليها في كلامه.

ويبدو أن هذه الأبواب تعكس المستويات الأدائية للقبائل العربية، ولا معنى لورود الفعل على أبواب عدّة غير هذا التوجيه، وقد جهدت في مسك هذا الخيط من خلال الأشخاص بَعْدَهُم نقاطاً دالة على قبائلهم - كما مر - ولذلك نسب بعضهم كجملته من القرشيين، ومن ثمّ جُعِلت أقوالهم معياراً لأقوال آخرين ومقياساً للغاتهم في ضوء اللغة المشتركة المثالية.



ب - أن ما افترضه اللغويون ممّا يُسمّى بـ (تداخل اللغات) إنّما يمثل لغاتٍ بعينها شدّت عن قياس اللغويين, ونعني بهم - غالباً - اللغويين المتأخرين الذين لم يسمّوا من العرب أو سمّوا لكنّهم لم يحدّدوا مثل هذا وغيره.

ت - أنّ العلة في استعمال أهل نجد وتميم وبعض أهل اليمن لصيغة (أفعل) بخلاف (فعل) التي استعملها الحجازيون, إنّما يعود إلى التخلص من توالي الحركات على الفعل, طلباً للتخفيف عن طريق إسكان عين (فعل) على عادة البدو في إثارة التخفيف في هذا وغيره.

فأمّا الحجازيون فقد جنحوا إلى أن يكون الفعل عندهم متألفاً من ثلاثة مقاطع قصار مفتوحات, لأنّهم لا يحتاجون إلى السرعة التي يطلبها البدو - عموماً - , لتأنيهم في كلامهم.

ث - أنّ صيغتي (فعل, وافتعل) باتفاق المعنى يرجعان إلى اختلاف اللغات - غالباً - وكون الصيغتين بمعنى واحد, فهذا يعني أنّ الثانية ليست افتعالاً من الأولى, لأنّ في الافتعال زيادة معنى ليست في الأخرى.

وكذا الأمر في صيغتي (أفعل, وفعل) باتفاق معنى فهما يدلّان على اختلاف اللغات في كثير من الأمثلة التي يردان عليها.

ج - عززتُ مذهب القائلين بعربية صيغة (فاعول) بأمثلة من الشواهد الحديثة التي وردت على هذه الصيغة وأمثلة أخرى بيّنتُ تصرف العرب فيها والاشتقاق منها بما يقوي هذا المذهب

ح - أنّ تعدّد الجموع للمفردة في المراجع اللغوية يؤول في كثير من وجوه إلى اختلاف اللغات. خ - وأنّ الأقرب في تفسير ظاهرة تشديد ياء المتكلم عند إضافتها إلى الألف المقصورة في نحو: (قَفِي) و(هُدَي) أنّ لها حالين في الوصل وفي الوقف, ففي الوصل تكلموا بواحدة فأرادوا البيان لخباء الياء, فألحقوا بها الأخرى, وأمّا في الوقف فيمكن أن تخفى إحدى اليائين, كما أنّ بعض العرب يقول: أفعي, لخباء الألف في الوقف.

د - أنّ ما رآه الدكتور الجندي من أنّ القبائل البدوية تجري على التشديد, الذي يتفق مع طبائعهم في الجفاء والغظة وإثارة الأصوات القوية السريعة - على رأيه - مردود, ولا ينسجم وطبيعة الأداء عند هؤلاء الذي يتطلب السرعة, وفي التشديد تكرار لا ينسجم وسرعة الأداء هذه فالبدو الذين لجأوا إلى الإسكان والحذف طلباً لهذه السرعة أثروا التخفيف, للسبب نفسه, وهو ما أكّدته بطائفة من الشواهد ذُكرت في محلها.

وظهر في مورد التشديد والتخفيف نفسه أنّ كثيراً من صيغ التشديد جاءت على الأصل الفصح, بدليل ورودها في كلام من جيلته عربية وسليقته الفصاحة من الصحابة, بخلاف كثير من صيغ التخفيف التي وردت في كلام جملة من المحدثين المتأخرين والعوام في أزمان تأخرت عن الأولى على ما يبدو.

والتخفيف وطلب الانسجام يأتي في زمان متأخر في سلسلة تبدل الألفاظ على ما عُرف في المنهج اللغوي الحديث.

ذ - ظهر من الدراسة النصّية لجملة الأمثلة التي وردت في مبحث التذكير والتأنيث في مصنفات غريب الحديث - إلى جانب النتائج التي خرج بها بعض اللغويين القدماء و المحدثين - أنّ بعض البيئات العربية - ولا سيما البيئات المتحضرة كالحجازية التي مثلتها القرشية خير تمثيل - بقيت ثابتة محافظة على أصول كثير من الألفاظ التي تخصّ الصفة الجنسية, في حين مال كثير من العرب - ولا سيما البدو كتميم مثلاً - إلى تملك صفة جنسية واحدة, وفي بعض الألفاظ المشتركة بين المذكر والمؤنث إلى إيجاد مقابل من اللفظ لتلك الصفة, فقالوا: غلام وغلّامة, ورجل ورجلة, وزوج وزوجة, للتوكيد وحرصاً على البيان.

ويبدو أنّ فكرة تأنيث بعض الألفاظ التي لزمّت بعضاً من الحجازيين ومنهم القرشيون ارتبطت بصفات اللين والسهولة, التي تظهر أكثر عند المتحضرين.

ولقد أطلق العربي على الأنثى ما يظنّه سهلاً وليناً وخصباً, وليس ذلك خطأً من قيمة تلك الألفاظ, فالعربي مثلاً أنث أسماء الآلهة وأسماء القبائل ولم يدّر في خلده أن ذلك ممّا يحطّ من قيمتها.



ويمكن أن تكون فكرة التذكير قد ارتبطت عند كثير من البدو ولا سيما بني تميم بالقوة والشجاعة والإباء، التي هي صفات أقرب إلى الغلظة والخشونة ودواعي التعظيم التي يطلبها البدوي.

8 - في الفصل الرابع (المستوى الدلالي):

أ - وظفتُ جملة من الأمثلة التي أوردها مصنفو غريب الحديث في مجالات التطور الدلالي كالتسامي والانحطاط ونحو: التعميم والتخصيص وتغيير المستوى الدلالي زيادة على التغيير الذي يطرأ على الصفة الجنسية.

ب - سعيْتُ إلى عمل معجم ودراسة إحصائية لطائفة من الألفاظ التي تدخل في باب اختلاف اللغات متورّعة على ظواهر الترادف، والمشارك اللفظي، والأضداد، أمّا ما يتصل بهذه الظواهر الثلاثة ولا ينطبق عليها تمام الانطباق فهو الألفاظ المخصوصة ببعض القبائل العربية، وألفاظ آخر تمثل المعاني المخصوصة بقبائل أخرى، وزاد الباحث على ذلك جمهوراً من الألفاظ الأعجمية التي دخلت العربية، واستعملتها القبائل العربية وعزّبتها على سبيل الاقتراض.

وقد شرعت في جملة الألفاظ التي أحصاها على هذه الأبواب في تحليلها واستكناه دلالاتها، ثمّ السعي إلى معرفة الأصل منها وما تفرّع عنه بعد ذلك مشفوفاً بمحاولة نسبة الأصول أو الفروع إلى قائلها.

ت - حاولت - في طائفة من الألفاظ التي أُخْتُلِفَ في أصولها - الاستعانة ببعض الوسائل لتحديد هذه الأصول وترجيحها نحو: التوسّل بكثرة تصريفات اللفظ واشتقاقه عند العرب، لترجيح عرويته أو نسبته إلى المشترك الجزري، أو حقل الألفاظ اليمانية - في الأقل - عند توافر ما يُشيرُ إلى ذلك، فإن لم يكن شيء من هذا لزم نسبة مثل هذه الألفاظ إلى المعرب أو الدّخيل، وهو ما شاع في طائفة من الألفاظ الجامدة غير المتصرفة وقليلة الاستعمال عند العرب.

9 - ومن النتائج العامة التي خلصتُ إليها من مجمل ما غرّض في هذه الدراسة:

أ - إنّ معظم مصنّفات غريب الحديث ولا سيما المتأخرة منها هي معجمات، اختصّت بمادة الحديث الشريف، وإن التزم الرواد من هؤلاء كأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة والخطابي طريقة الرواية والسند، مثل كتب الصحاح.

ب - لقد شغلت مادة غريب الحديث مساحة واسعة من المادة اللغوية التي عرضها المعجميون وأهل اللغة واحتجّوا بها ووظفوها في مناهجهم، وهو ما يمكن ملاحظته في كلّ موضع من مواضع هذه الدراسة بأدنى تأمل.

ت - وقف أهل الغريب - أحياناً - عند بعض الأمور الاجتماعية والوقائع التاريخية وعرضوا طائفة من الأحكام الفقهية، وذكروا شيئاً من الأعلام والأنساب في أثناء مادة غريب الحديث التي فسّروها.

ث - نسبْتُ كثيراً من الألفاظ أو النصوص إلى قبائلها التي صدرت عنها على الرغم من إغفال أهل الغريب لمثل هذه النسبة.

ج - ربطْتُ كثيراً من الألفاظ والدلالات القديمة بصداها، وبما تفرّع منها في اللهجات الحديثة الدارجة.

تعقيب:

أريد - بعد أن عرضت طائفة من نتائج هذه الأطروحة - بيان مسألتين هما:

1- إنّ جملة من النتائج التي ذُكرت في هذا الموضوع هي تأكيد دراسات وأبحاث سابقة عزّزتها بكثير من الأحاديث الشريفة المسموعة

2- إنّ هناك طائفة من النتائج المهمة الأخرى لم يتسنّ ذكرها هنا خشية الإسهاب والإطالة تاركين استجلاءها واستظهارها للقارئ الكريم.

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله الطاهرين.



Abstract

This thesis deals with a very valuable subject which is ((Dialects in the Books of Strange Hadeeth)) . This subject received no interest of study and research in spite of the real need of such subject to the studies of Arabic and literature. It is ((the Holy Hadeeth)) with its style, dialect, meaning or strangeness.

This study deals with, particularly the dialects in the books of strange Hadeeth or what is known as ((modern linguistic lesson)) .

The researcher discussed Arab dialects which are mentioned by the explainers of Strange Hadeeth in their works. while they were explaining the strange aspect in the prophet's Hadeeth and his companions' or followers' Hadeeth.

This thesis consists of an introduction and four chapters. The introduction is divided into two subjects: the first is about the geographical distribution of Arab dialects and movement inside Arab peninsula and outside . The second explains the point of view of Arab linguists old or new concerning these dialects.

The first chapter title is ((The approach of Hadeeth linguists in studying dialects)). The researcher discusses the strange Hadeeth definition, then explained the aspects of those authors of this subject. The researcher discusses deeply the Prophet's strange Hadeeth and his companions' and who followed and the causes that led to this strangeness. He also discusses that the prophet's speech had words or phrases that were so strange that some of his companions couldn't realize. The prophet Mohammed, indeed, had a comprehensive language. He knew not only Qureish's dialect but also other tribes dialect. In fact Mohammed had a clear tongue and this is one of his prophecy properties. Also he was the student of Al- Guran, which contains the best and most wonderful speech among Arab language and dialect.

However, the strangeness in his tongue might have resulted from the tellers who told his Hadeeth because those tellers belonged to many tribes and tongues. The tellers' dialects were different from each other in meaning or spelling some times –Another cause of strangeness, according to this study, is some Arabicized foreign phrases which were contained in Al- Hadeeth. Besides, the semantic development which occurred during times followed the prophecy age or his companions or who followed them. This development was clearly emerged in the postclassical Arab authors to whom some phrases belonged that were different from those of the prophets' and his companions' which were very rhetorical indeed even if some of their phrases needed clearing or explained that the strangeness might be caused by some phonetic, morphological, and structural (syntactic) problems and caused by some disciplines of lexical meaning such as ambiguity or obscureness that we find in words or expressions that



have the same sound-group or in opposite expressions. Taking into consideration the many dialects used in Al-Hadeeth a matter which created this strangeness.

The researcher concluded that this strangeness in dialects is of three levels according to the known linguistic analysis: phonetic, morphological and semantic. The thesis discusses these levels through its chapters.

The second chapter (the phonetic level) consists of some papers that deal with some phonetic phenomenons that are different in Arab dialects like: phonetic similarity, and Hijazi sequence and stoppage.

The third chapter (the morphological level) consists of some phenomenons closely related to the structure of Arabic words upon which Arab dialects have different aspects, such as meter difference, meaning similarity in verbs, and the difference in these dialects in the matter of purls, derivatives and verbal noun and also the matter of masculine and feminine.

The fourth chapter (the semantic level) consists of the semantic views and meaning and the difference in Arab dialects. It deals with these matters: the same sound-group words, synonymity and the opposite. After every matter of those the researcher provides a vocabulary for these expression according to Arab tribes. The researcher also provides a vocabulary for some expressions that Arab tribes borrowed from other non- Arab languages.

**Republic of Iraq
Ministry of higher Education
and Scientific Research
University of Babylon
College of Education
Higher Studies**

Dialects In Books of Strange of Hadeeth

**A Thesis submitted to
The council of the College of Education /University of Babylon
As partial Fulfillment for the Requirements
Of ph.D. Degree in Arabic language and Arts of it**

**By
Khadhim Fadeel Shahir Al- Ghurayri**

**Supervised by
Prof. Sabah Abbas Al- Salim**

2007 A.C

1428 A.H



روافد البحث

- القرآن الكريم

- أولاً: الكتب المطبوعة باللغة العربية:

(أ)

- 1- أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية, د. رشيد عبد الرحمن العبيدي, مطبعة التعليم العالي, بغداد, 1988
- 2- الإبدال, أبو الطيب عبد الواحد بن علي ت(351هـ), تح: عز الدين التتوخي, مطبوعات المجمع العلمي العربي, دمشق, 1379هـ - 1960م
- 3- الإبدال, أبو يوسف يعقوب بن السكيت ت(244هـ), تح: د. حسين محمد محمد شرف, الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية, القاهرة, 1398هـ - 1978م
- 4- إتحاف فضلاء البشر بقراءات الأربعة عشر, الدمياطي أحمد بن عبد الغني المشهور بالبناء ت(1117هـ), رواه وصححه وعلق عليه: علي محمد الضباع, دار الندوة الجديدة, بيروت, د.ت
- 5- الإتقان في علوم القرآن, جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت(911هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, مصر الجديدة, 1387هـ - 1967م
- 6- أثر القرآن في تطور النقد العربي, د. محمد زغلول سلام, دار المعارف, مصر, 1968
- 7- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي, علق عليه ووضع هوامشه: أمين الضناوي, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1424هـ - 2003م
- 8- اختصار علوم الحديث (الباعث الحثيث), الحافظ ابن كثير ت(774هـ), تح: أحمد محمد شاكر, القاهرة, 1355هـ - 1937م
- 9- أدب الإملاء والاستملاء, أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني ت(562هـ), بيروت 1401هـ - 1981م
- 10- الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة, د. هاشم الطعان, دار الحرية للطباعة, بغداد, 1987
- 11- أدب الكاتب, أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت(276هـ), تح: محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الطلائع, القاهرة, 2005
- 12- ارتشاف الضرب من لسان العرب, أبو حيان الاندلسي ت(745هـ), تح: مصطفى أحمد النماس, مطبعة النسر الذهبي, 1986
- 13- الأزمنة والأمكنة, أبو علي بن محمد الأصفهاني المرزوقي ت(421هـ), دائرة المعارف العثمانية, حيدر آباد الدكن - الهند, 1332هـ
- 14- أسس علم اللغة, ماريو باي, تعريب: د. أحمد مختار عمر, منشورات جامعة طرابلس - كلية التربية, 1973
- 15- الأشباه والنظائر في النحو, جلال الدين السيوطي, ط2, حيدر آباد, 1959 - 1961



- 16- الاشتقاق, عبد الله أمين, ط1, القاهرة, 1956
- 17- الإصابة في تمييز الصحابة, أحمد بن علي بن حجر الكناني الشافعي العسقلاني ت (852هـ), تح: علي محمد البجاوي, دار نهضة, القاهرة, 1972
- 18- إصلاح غلط المحدثين, أبو سليمان الخطابي ت (388هـ), تح: د.حاتم صالح الضامن, المجمع العلمي العراقي, بغداد, 1405هـ - 1984م
- 19- إصلاح المنطق, ابن السكيت, شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون, ط2, دار المعارف, مصر, 1375هـ - 1956م
- 20- الأصمعيات, عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ت (216هـ), تح: أحمد محمد شاكر
- 21- الأصوات اللغوية, د.إبراهيم أنيس, ط4, مكتبة الأنجلو المصرية, د.ت
- 22- الأصول دراسة أبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب, د.تمام حسان, دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد, الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر, 1988
- 23- أصول الحديث وأحكامه في علم الرواية (رسالة مختصرة تبين أقسام الحديث وأحكامه وفي ذيله رسالة في فرق المسلمين), الشيخ جعفر السبحاني, ط4, مؤسسة الإمام الصادق, 1426هـ
- 24- الأضداد, أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ت (328هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, الكويت, 1960
- 25- الأضداد في اللغة, د.محمد حسين آل ياسين, ط1, مطبعة المعارف, بغداد, 1974
- 26- إعجاز القرآن, أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت (403هـ), تح: أحمد صقر, دار المعارف, مصر, 1963م
- 27- الأعلام, خير الدين الزركلي, ط2, بيروت, 1389هـ - 1969م
- 28- الأغاني, أبو الفرج الأصفهاني ت (360هـ), تح: عبد الستار أحمد فراج, دار الثقافة, بيروت, 1955-1961
- 29- الاقتراح في علم أصول النحو, جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي, تح: أحمد محمد قاسم, مطبعة السعادة, القاهرة, 1976
- 30- الاقتراض المعجمي من الفارسية الى العربية في ضوء الدرس اللغوي الحديث, د.رجب عبد الجواد إبراهيم, ط1, دار القاهرة - مطبعة العمرانية للأوفسيت, 2002
- 31- أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد, سعيد الخوري الشرتوني اللبناني, ط2, مكتبة لبنان, بيروت, 1992
- 32- الأمالي, أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي ت (356هـ), دار الآفاق الجديدة, بيروت, 1980 (أوفسيت)
- 33- الإمام الترمذي والموازنة بين جامعهِ وبين الصحيحين, نور الدين عنتر, القاهرة, 1390هـ - 1965م
- 34- أوهام الجوالقي في المعرّب, د.صباح عباس السالم, المكتبة الوطنية, الحلة, 1423هـ - 2002م



- 35- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد عبد الرحمن الخطيب
القزويني ت(739هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من أساتذة اللغة العربية بالجامع
الأزهر، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت
- (ب)
- 36- البئر، لابن الأعرابي ت(231هـ)، تح: درمضان عبد التواب، القاهرة،
1970
- 37- البارع في اللغة، أبو علي القالي، تح: د. هاشم الطعان، ط1، دار النهضة،
بيروت، 1975
- 38- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر بن محمد تقي
المجلسي، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت، د.ت
- 39- البحر المحيط، أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي الجياني، ط1،
مطبعة السعادة، 1328هـ
- 40- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي ت(794هـ)،
تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى الحلبي، القاهرة، 1376هـ -
1957م
- 41- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي
بكر السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1384هـ - 1964
- 42- بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني
والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول
سلام، ط2، دار المعارف، مصر
- 43- البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي، مطبعة العمال المركزية، بغداد،
1410هـ - 1989م
- 44- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،
ت(255هـ)، تح: حسن السندوبي، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر،
1345هـ - 1926م

(ت)

- 45- تاريخ آداب العربية، مصطفى صادق الرافعي، بيروت، 1394هـ - 1974م
- 46- تاريخ الأدب، حفني ناصف، ط2، مطبعة جامعة القاهرة، 1958
- 47- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي ت(463هـ)،
مكتبة الخانجي، القاهرة، 1349هـ - 1931م
- 48- تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت(310هـ)،
تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1960-1969
- 49- تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، مطبوعات المجمع العلمي
العراقي، بغداد، د.ت
- 50- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت(460هـ)،
تح: أحمد حبيب قصير العاملي وأحمد شوقي الأمين، المطبعة العلمية،
النجف، 1957-1963



- 51- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي, جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط2, 1972
- 52- الترادف في اللغة, د.حاكم مالك الزيادي, دار الحرية للطباعة, بغداد, 1400هـ - 1980م
- 53- تصحيح الفصيح, عبد الله بن جعفر بن درستويه ت(347هـ), تح: د.عبد الله الجبوري, مطبعة الإرشاد, بغداد, 1975
- 54- التصحيح والتحريف, أبو أحمد العسكري ت(382هـ), تح: عبد العزيز أحمد, مصر, 1383هـ
- 55- التطبيق الصرفي, د.عبد الرأححي, ط1, مكتبة المعارف, الرياض, 1420هـ - 1999م
- 56- التطور اللغوي التاريخي, د.إبراهيم السامرائي, معهد البحوث والدراسات العربية, 1966م
- 57- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه, د.رمضان عبد التواب, مطبعة المدني, مصر, 1404هـ - 1983م
- 58- التطور النحوي للغة العربية, برجشتراسر, بعناية: د.رمضان عبد التواب, مكتبة الخانجي - القاهرة, دار الرفاعي - الرياض, 1982
- 59- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية, القس طوبيا العنيسي, عني بنشره: الشيخ يوسف توما البستاني, ط2, بيروت, 1332
- 60- تقييد العلم, أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي , تح: يوسف العش, ط2, دار إحياء السنة النبوية, د.م.ت
- 61- التكملة, أبو علي الفارسي, ت(377هـ), تح: د.كاظم بحر المرجان, دار الكتب للطباعة والنشر, جامعة الموصل, 1401هـ - 1981م
- 62- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية, الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ت(650هـ), تح: عبد العليم الطحاوي, مطبعة دار الكتب, القاهرة, 1970
- 63- تهذيب التهذيب, شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني, بيروت, 1404هـ
- 64- تهذيب اللغة, أبو منصور محمد بن احمد الأزهرى ت(370هـ), تح: عبد السلام محمد هارون ومحمد علي النجار وعبد الحليم النجار وآخرين, الدار المصرية للتأليف والترجمة, 1967
- 65- تهذيب اللغة, أبو منصور محمد بن احمد الأزهرى ت(370هـ), تح: احمد عبد الرحمن مخيمر, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1425هـ - 2004م
- 66- توطئة لدراسة علم اللغة - التعاريف, د.التهامي الراجحي الهاشمي, ط2, دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد , دار النشر المغربية, 1984

(ج)

- 67- جامع البيان عن تأويل آي القرآن, أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت(310هـ), ط2, مصطفى البابي الحلبي وأولاده, مصر, 1954



- 68- الجمل, أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ت(339هـ), تح: ابن أبي شنب, ط2, مطبعة كلتيك, باريس, 1376هـ - 1957م
- 69- جمهرة أنساب العرب, أبو محمد علي بن محمد بن حزم الأندلسي ت(456هـ), تح: عبد السلام محمد هارون, دار المعارف, مصر, 1948
- 70- جمهرة اللغة, ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ت(321هـ), ط1, دار صادر, تحت إدارة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن, 1351هـ
- 71- الجنى الداني في حروف المعاني, الحسن بن قاسم المرادي, تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1413هـ - 1992م
- 72- جوامع كتاب إصلاح المنطق عن ابن السكيت, تاريخ أبي الخير زيد بن رفاعة بن مسعود الكاتب البغدادي (من أهل القرن الرابع), ط1, مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آبادي الدكن, 1354هـ

(ح)

- 73- حاشية الصبان على شرح الأشموني, محمد بن علي الصبان ت (1206 هـ), ط1, مطبعة الاستقامة, 1947
- 74- الحجة في علل القراءات السبع, أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي, تح: د. علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح شلبي, دار الكتاب العربي, مصر, د.ت
- 75- الحروف, أبو نصر الفارابي ت(339هـ), تح: محسن مهدي, دار المشرق, بيروت, د.ت

(خ)

- 76- الخصائص, صنعة ابي الفتح عثمان بن جني ت(392هـ), تح: محمد علي النجار, ط4, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1999
- 77- الخطابي وغريب الحديث, د. عبد العاطي محمد شلبي, ط1, المكتب الجامعي الحديث, 2006

(د)

- 78- دراسات في فقه اللغة, د. صبحي الصالح, دار العلم للملايين, بيروت, 1976
- 79- دراسات في اللسانيات العربية المشاكلة - التنعيم - رؤى تحليلية, د. عبد الحميد السيد, ط1, دار الحامد, عمان, 1425هـ - 2004م
- 80- دراسات في اللغة, د. إبراهيم السامرائي, جامعة بغداد, المعارف - القاهرة, 1974
- 81- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني, د. حسام سعيد النعيمي, دار الرشيد للنشر, 1980
- 82- دراسة الصوت اللغوي, د. احمد مختار عمر, ط2, عالم الكتب, القاهرة, 1985
- 83- دروس في العبرية, ربحي كمال, دار العلم للملايين, بيروت, 1963



- 84- دروس في علم أصوات العربية, جان كانتينو, ترجمة: صالح القرمادي, مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية, تونس, 1966
- 85- دلالة الألفاظ, د.إبراهيم أنيس, ط3, مكتبة الأنجلو المصرية, 1972
- 86- دلالة الألفاظ وتطورها, د.مراد كامل, مطبعة نهضة مصر - معهد الدراسات العربية العالية, 1963
- 87- الدلالة المحورية في معجم مقاييس اللغة دراسة تحليلية نقدية, د.عبد الكريم محمد حسن جبل, ط1, دار الفكر, دمشق, 2003
- 88- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ت(611هـ), المسمى التبيان في شرح الديوان, ضبط نصّه وصحّحه: د.كمال طالب, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1418هـ - 1997م
- 89- ديوان الأحوص الأنصاري, تحقيق وشرح: سعدي ضناوي, ط1, دار صادر, بيروت, 1998
- 90- ديوان الأدب, أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي ت(350هـ), تح: د.أحمد مختار عمر, الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية, 1974
- 91- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس, شرح وتعليق: د.محمد حسين, مكتبة الآداب بالجماميز, المطبعة النموذجية - القاهرة, د.ت
- 92- ديوان امرئ القيس, حققه وشرحه: حنا فاخوري, دار الجبل, بيروت, 1425هـ - 2005م
- 93- ديوان أمية بن أبي الصلت, جمعه وحققه وشرحه: د.سميع جليل الجبيلي, ط1, دار صادر, بيروت, 1998
- 94- ديوان أوس بن حجر, تحقيق وشرح: د.محمد يوسف نجم, دار صادر, بيروت, 1380هـ ت 1960م
- 95- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب, تح: د.نعمان محمد أمين طه, دار المعارف, مصر, 1969
- 96- ديوان حسان بن ثابت, شرح: د.يوسف عيد, ط1, دار الجبل, بيروت, 1412هـ - 1992م
- 97- ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني, تح: د.نعمان أمين طه, شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده, القاهرة, 1378هـ - 1958م
- 98- ديوان ذي الرمة, شرح الإمام أبي نصر الباهلي, تقديم وتحقيق: د.واضح الصمد, ط1, دار الجبل, بيروت, 1997
- 99- ديوان رؤبة بن العجاج, تح: وليم بن الورد, ط2, دار الآفاق الجديدة, بيروت, 1980
- 100- ديوان زهير بن أبي سلمى, صنعة الأعلم الشنتمري, تح: د.فخر الدين قباوة, ط1, المكتبة العصرية, حلب, 1390هـ - 1970م
- 101- ديوان زهير, ط1, المطبعة الحميدية, 1323هـ
- 102- ديوان السموأل, تحقيق وشرح: د.واضح الصمد, ط1, دار الجبل, بيروت, 1416هـ - 1996



- 103- ديوان شعر ذي الرمة، عني بتصحيحه وتنظيمه: كاريل هنري هيس، كمبرج، 1337هـ - 1968م
- 104- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، 1968
- 105- ديوان طرفة بن العبد البكري مع شرح الأديب يوسف الأعلم الشنتمري، اعتنى بتصحيحه: مكسي سلفون، مطبعة برطرنند، مدينة شالون، 1900م
- 106- ديوان الطرماح، تح: د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1388هـ - 1968م
- 107- ديوان طفيل الغنوي، شرح: الأصمعي عبد الملك بن قريب ت(216هـ)، تح: حسان فلاح أوغلي، ط1، دار صادر، بيروت، 1997
- 108- ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي، دراسة وجمع وتحقيق: د. حسن محمد باجودة، مطبعة السنة المحمدية، 1972
- 109- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، د.ت
- 110- ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، بيروت، 1418هـ - 1998م
- 111- ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي ت(216هـ) وشرحه، عني بتحقيقه: د. عزة حسن، مكتبة دار الشرق، بيروت، د.ت
- 112- ديوان العجاج، قدّم له وشرحه: سعدي ضناوي، ط1، دار صادر، بيروت، د.ت
- 113- ديوان عدي بن زيد، حقّقه: جبار المعبيد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، 1965
- 114- ديوان عمرو بن كلثوم، جمع وتحقيق: د. إميل يعقوب، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991
- 115- ديوان الفرزدق همام بن غالب، دار صادر، بيروت، د.ت
- 116- ديوان الفرزدق، مطبعة الصاوي، بيروت، د.ت
- 117- ديوان القطامي، تح: د. إبراهيم السامرائي، ود. أحمد مطلوب، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1960
- 118- ديوان كُثير عزة، شرح: قدرى مايو، ط1، دار الجبل، بيروت، 1416هـ - 1995م
- 119- ديوان كعب بن مالك الأنصاري ت(50هـ)، دراسة وتحقيق: د. سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، 1966
- 120- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، ط1، دار صادر، بيروت، 2000
- 121- ديوان ليبد بن ربيعة العامري، تح: د. إحسان عباس، الكويت، 1962
- 122- ديوان المتلمّس الضّبعي، رواية الاثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، شرح وتحقيق: د. محمد التونجي، ط1، دار صادر، بيروت، 1998
- 123- ديوان مهلهل بن ربيعة، إعداد وتقديم: طلال حرب، ط1، دار صادر، بيروت، 1996



- 124- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح: أكرم البستاني، ط3، دار صادر، بيروت، 1424هـ - 2003م
- 125- ديوان الهذليين، تح: احمد الزين ومحمود أبو الوفا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965
- 126- ديوان الهذليين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1364هـ - 1945م
- 127- ديوان وضّاح اليمن، جمعه وقَدّم له وشرحه: د.محمد خير البقاعي، ط1، دار صادر، بيروت، 1996م
- (ر)
- 128- رجال الشيخ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ط1، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ، د.ت
- (ز)
- 129- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ت(597هـ)، ط1، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، 1964-1967
- 130- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الإنباري ، تح: د.حاتم صالح الضامن، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1979م
- 131- الزمخشري اللغوي وكتابه الفائق، د.رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1421هـ - 2000م
- (س)
- 132- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني ت(392هـ)، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل واحمد رشدي شحاته عامر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000
- 133- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي ت(466هـ)، تح: علي فوده، ط1، مطبعة الرحمانية، مصر، 1932
- 134- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1372هـ - 1952م
- 135- سنن أبي داؤود، سليمان بن الأشعث، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية، القاهرة، د.ت
- 136- سنن الترمذي، محمد بن عيسى ت(279هـ)، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، 1403هـ - 1983م
- 137- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام ت(318هـ)، ضبط وتحقيق: رضوان جامع رضوان، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1426هـ - 2005م

(ش)

- 138- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ت(672هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، د.ت
- 139- شرح الأشعار الستة الجاهلية، الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي، تح: ناصيف سلمان عواد، دار الحرية، للطباعة - بغداد ، بيروت، 1968



- 140- شرح الاشموني على ألفية ابن مالك, نور الدين الاشموني ت(929هـ), تح: محمد محيي الدين عبد الحميد, ط1, بيروت, د.ت
- 141- شرح الاشموني على ألفية ابن مالك مطبوع مع حاشية الصبان, ط1, المطبعة الشرقية, 1319هـ
- 142- شرح التصريح على التوضيح, خالد بن عبد الله الأزهرى ت(900هـ), دار إحياء الكتب العربية, د.م, د.ت
- 143- شرح ديوان جرير, محمد إسماعيل عبد الله الصاوي, دار الأندلس, بيروت, د.ت
- 144- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى, صنعة الإمام أبي العباس احمد بن يحيى ابن يزيد الشيباني ثعلب ت(291هـ), مطبعة دار الكتب المصرية, القاهرة, 1363هـ - 1944م
- 145- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة, شرحه وقدم له: عبد ا . علي مهنا, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, منشورات محمد علي بيضون, د.ت
- 146- شرح شافية ابن الحاجب, رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي ت(686هـ), مع شرح شواهد للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب ت(1093هـ), حققهما وضبط عربيتهما وشرح مبهمهما: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد, دار الكتب العلمية, بيروت, د.ت
- 147- شرح عقود الجمان, المرشدي, مكتبة مصطفى الحلبي, القاهرة, 1374هـ - 1955م
- 148- شرح الفصيح في اللغة, أبو منصور الجبان, دراسة وتحقيق: د. عبد الجبار جعفر القزاز, ط1, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, 1991
- 149- شرح قطر الندى وبل الصدى, أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري ت(761هـ), تح: محمد محي الدين عبد الحميد, ط11, المكتبة التجارية الكبرى لمصطفى محمد, مصر, 1383هـ - 1963م
- 150- شرح الكافية في النحو, رضي الدين الاسترابادي ت(686هـ), ط2, دار الكتب العلمية, بيروت, 1979
- 151- شرح كتاب سيبويه, أبو سعيد السيرافي ت(368هـ), تح: د. رمضان عبد التواب وآخرين, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1986
- 152- شرح المراح في التصريف, بدر الدين محمد احمد العيني ت(855هـ), تح: د. عبد الستار جواد, مطبعة الرشيد, بغداد, د.ت
- 153- شرح المعلقات السبع, للزوزني, مكتبة النقاء, بغداد, د.ت
- 154- شرح المفصل, موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ت(143هـ), عالم الكتب, بيروت, د.ت
- 155- شرح نهج البلاغة, ابن أبي الحديد ت(655هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار إحياء الكتب العربية, 1964-1959
- 156- شرح الهاشميات, الكميت بن زيد الأسدي ت(126هـ), ط2, شركة التمدن الصناعية, مصر, د.ت



- 157- شعر الراعي النميري, دراسة وتحقيق: د.نوري حمودي القيسي وهلال ناجي, مطبعة المجمع العلمي العراقي, 1400هـ - 1980م
- 158- الشعر والشعراء, أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت(276هـ), حققه وضبط نصه ووضع حواشيه: د.مفيد قميعه والاستاذ محمد امين الضناوي, دار الكتب العلمية, بيروت, د.ت
- 159- شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل, شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي, قدّم له وصحّحه ووثق نصوصه وشرح غريبه: د.محمد كشاش, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1418هـ - 1998م

(ص)

- 160- الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها, ابو الحسين احمد بن فارس ت(393هـ), تح: مصطفى الشويمي, مؤسسة بدران, بيروت, 1382هـ - 1963م
- 161- صبح الاعشى في صناعة الانشا, ابو العباس احمد بن علي الفلقشندي ت(821هـ), دار الكتب, 1340هـ - 1922م
- 162- الصحاح, تاج اللغة وصحاح العربية, ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ت(393هـ), تح: د.إميل بديع يعقوب ود.محمد نبيل طريفي, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1420هـ - 1999م
- 163- صحيح البخاري, ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري الجعفي, دار مطابع الشعب, القاهرة, 1378هـ
- 164- صحيح مسلم, لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري, تح: محمد فؤاد عبد الباقي, ط1, دار إحياء التراث العربي, بيروت, 1374هـ - 1955م
- 165- صحيح مسلم بشرح النووي, محيي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف النووي ت(676هـ), اعتني به وخرّج احاديثه: محمد بن عيادي بن عبد الحليم, ط1, مكتبة الصفا, 1424هـ - 2003م
- 166- صفة جزيرة العرب, الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني, تح: د.محمد بن علي الاكوع, ط3, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, 1989
- 167- صورة الأرض, ابن حوقل, ليدن, 1938

(ط)

- 168- طبقات الشعراء, أبو عبد الله محمد بن سلام الجحامي ت(232هـ), تح: جوزيف هيل, دار النهضة العربية, بيروت, 1968
- 169- طبقات فحول الشعراء, محمد بن سلام الجحامي ت(232هـ), تح: محمود محمد شاكر, مطبعة المدني - المؤسسة السعودية, مصر, د.ت
- 170- الطبقات الكبرى, ابو عبد الله بن سعد بن منيع بن سعد ت(230), دار بيروت - دار صادر, بيروت, 1957-1958

(ظ)

- 171- ظاهرة اللبس في العربية جدل التواصل والتفاصيل, د.مهدي اسعد عرار, ط1, دار وائل للنشر, 2003م



172- الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري, د.صاحب ابو جناح, ط1, مركز دراسات الخليج العربي, جامعة البصرة, 1405هـ - 1985م

(ع)

173- العباب الزاخر واللباب الفاخر, الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ت(650هـ), تح: محمد حسن آل ياسين: - جزء (حرف الهمزة), ط1, مطبعة المعارف, بغداد, 1397هـ - 1977م

أ- جزء (حرف الطاء), ط1, دار الرشيد للنشر, بغداد, 1979

ب- جزء (حرف الغين), ط1, دار الرشيد للنشر, بغداد, 1980

ت- جزء (حرف الفاء), ط1, دار الرشيد للنشر, بغداد, 1981

ث- جزء (حرف السين), ط1, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, 1987

174- عبقرى من البصرة, د.مهدي المخزومي, ط2, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, 1971م

175- العربية بين أمسها وحاضرها, د.إبراهيم السامرائي, منشورات وزارة الثقافة والإعلام, 1978

176- العربية ولهجاتها, د.عبد الرحمن أيوب, معهد البحوث والدراسات العربية, 1968

177- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح, الشيخ بهاء الدين ابو حامد احمد بن علي بن عبد الكافي السبكي ت(773هـ), تح: د. خليل ابراهيم خليل, ط1, منشورات دار الكتب العلمية, بيروت, 1422هـ - 2001م

178- العصر الجاهلي, شوقي ضيف, ط3, دار المعارف, مصر, 1957

179- علم الأصوات, مالمبرج, تعريب ودراسة: د.عبد الصبور شاهين, مطبعة التقدم, القاهرة

180- علم الدلالة, د.احمد مختار عمر, ط5, عالم الكتب, القاهرة, 1998

181- علم الدلالة دراسة تطبيقية, د.نور الهدى لوشن, ط1, منشورات جامعة قار يونس, بنغازي, 1955

182- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي, د.محمود السعمران, دار النهضة العربية, بيروت, د.ت

183- علم اللغة العربية, د.محمود فهمي حجازي, وكالة المطبوعات, الكويت, 1973م

184- علوم الحديث ونصوص من الأثر, د.رشدي عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري وكاظم فتحي الراوي, ط2, مطبعة جامعة صلاح الدين, 1986

185- العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده, ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني ت(456هـ), تح: محمد محي الدين عبد الحميد, القاهرة, 1934

186- العين, أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ت(175هـ), تح: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي, الجزء الأول: دار الرشيد للنشر - بغداد, مطابع الرسالة - الكويت, 1980

أ- الجزء الثاني: دار الحرية, بغداد, 1981



ب- الجزء الثالث: دار الخلود للطباعة والنشر، بيروت،
1981

ت- الجزء الرابع: دار الرشيد للنشر، وشركة المطابع
النموذجية، عمان، 1982

ث- الجزء الخامس: دار الرشيد للنشر مطابع كويت تايمز،
1982

ج- الجزء السادس: دار الشؤون الثقافية العامة - دار
الحرية للطباعة، ط2، 1986

ح- الجزء السابع: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،
1406هـ - 1984م

خ- الجزء الثامن: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار
الحرية للطباعة، بغداد، 1406هـ - 1985م

(غ)

187- غريب الحديث، الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي
السبتي، تح: د. عبد الكريم إبراهيم العزباوي، دار الفكر، دمشق، 1402هـ -
1982م

188- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تح: د. محمد عبد المعيد
خان، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1396هـ

189- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت224هـ)، ط2، دار
الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ - 2003م

190- غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
، تح: د. عبد الله الجبوري، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ

191- غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، صنع
فهارسه: نعيم زرزور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ - 1988م

192- غريب الحديث، أبو الفرج بن الجوزي عبد الرحمن بن علي (ت597هـ)،
تح: د. عبد المعطي أمين القلعجي، بيروت، 1405هـ - 1985م

193- غريب الحديث، أبو إسحاق الحربي إبراهيم بن إسحاق بن بشر
ت(285هـ)، تح: د. سليمان العايد، جامعة أم القرى، 1402هـ - 1982م

194- غريب الحديث في بحار الأنوار، حسين الحسيني البيرجندي، تح: مركز
بحوث دار الحديث، ط1، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - مؤسسة
الطباعة والنشر، طهران، 1320هـ - 2000م

195- غرائب اللغة العربية، روفائيل نخلة السيوحي، ط2، بيروت، 1960

(ف)

196- الفائق في غريب الحديث، العلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري
ت(538هـ)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، ط2،
عيسى البابي الحلبي وشركاؤه

197- فاعول صيغة عربية صحيحة، د. عبد الله الجبوري، ط1، مطبعة المجمع
العلمي العراقي، بغداد، 2003م



- 198- فتح الباري بشرح صحيح البخاري, احمد بن علي بن حجر العسقلاني ت(852هـ), موافقة الترقيم وتبويب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي مع تعليقات الشيخ عبد العزيز بن باز, ط1, مكتبة الصفا, 1424هـ - 2003م
- 199- الفروق اللغوية, أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ت(395هـ), ط1, دار الآفاق الجديدة, بيروت, 1393هـ - 1972م
- 200- فصول في فقه اللغة, د. رمضان عبد التواب, ط2, مكتبة الخانجي, القاهرة, 1980
- 201- فعلت وأفعلت, أبو حاتم السجستاني ت(255هـ), تح: د. خليل إبراهيم العطية, مطبعة جامعة البصرة - مديرية دار الكتب, 1979
- 202- فقه اللغة, د. علي عبد الواحد وافي, ط6, لجنة البيان العربي, 1388هـ - 1968م
- 203- فقه اللغة العربية, د. كاسد ياسر الزبيدي, مطبعة مديرية دار الكتب والطباعة والنشر - جامعة الموصل, 1407هـ - 1987م
- 204- فقه اللغة في الكتب العربية, د. عبده الراجحي, دار النهضة, بيروت, 1979
- 205- فقه اللغة وخصائص العربية, محمد المبارك, ط3, دار الفكر, بيروت, 1968
- 206- الفهرست, ابن النديم ت(385هـ), تح: محمد أحمد, المكتبة التوفيقية, مصر
- 207- فهرست الشيخ النجاشي, أبو العباس احمد بن علي بن العباس النجاشي ت(450هـ), بيروت, 1409
- 208- في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية, د. غالب فاضل المطليبي, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, 1984
- 209- في البحث الصوتي عند العرب, د. خليل إبراهيم العطية, منشورات دار الجاحظ للنشر, بغداد, 1983
- 210- في اللهجات العربية, د. إبراهيم أنيس, ط2, مكتبة الأنجلو المصرية, 1952
- (ق)
- 211- قاموس رد العامي الى الفصح, الشيخ احمد رضا, ط2, دار الرائد العربي, بيروت, 1401هـ - 1981م
- 212- القاموس المحيط, مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت(817هـ), مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع, القاهرة
- 213- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث, د. عبد الصبور شاهين, مطابع دار القلم, القاهرة, 1966
- 214- القراءات واللهجات, عبد الوهاب حمودة, ط1, مطبعة السفارة, مصر, 1368هـ - 1948م
- 215- القصائد الخالدات في حُب أهل البيت, محمد عباس الدراجي, ط2, طبع ونشر مكتبة الأمير, 1989م
- 216- القطوف الدانية, معجم سرياني - عربي, الأب يوسف حبيقة, لبنان, 1958



217- القلب والإبدال, أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت, (ضمن الكنز اللغوي), تح: أوغست هفتر, المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين, بيروت, 1903

(ك)

218- الكامل في اللغة والأدب, أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت(285هـ), مراجعة ومقابلة: تغايد بيضون ونعيم زرزور, ط2, دار الكتب العلمية, بيروت, 1409هـ - 1089م

219- الكتاب, أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ت(180هـ), تح: عبد السلام محمد هارون, ط2, مكتبة الخانجي - دار الجبل - القاهرة, دار الرفاعي - الرياض, 1402هـ - 1982م

220- كتاب التعريفات, أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني ت(816هـ), دار الشؤون الثقافية, بغداد, د.ت

221- كتاب شذا العرف في فن الصرف, أحمد الحملاوي, ط16, مصطفى البابي الحلبي وشركاؤه, 1384هـ - 1965م

222- كتاب شرح أشعار الهذليين, صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري, رواية أبي الحسن علي بن عيسى النحوي عن أبي بكر أحمد بن محمد الحلواني عن السكري, تح: عبد الستار أحمد فراج, راجعه: محمود محمد شاكر, مكتبة دار العروبة, القاهرة, د.ت

223- كتاب الغريبين: غريب القرآن والحديث, أبو عبيد الهروي أحمد بن محمد بن محمد ت(401هـ), رواية أبي سعيد الماليني أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشافعي ت(412هـ), تح: محمود محمد الطناحي, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي, القاهرة, 1390هـ - 1970م

224- كتاب اللغات في القرآن, رواية ابن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس, تح: د.صلاح الدين المنجد, ط2, دار الكتاب الجديد, بيروت, 1392هـ - 1972م

225- كتاب مجمل اللغة, أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ت(393هـ), تح: الشيخ شهاب الدين أبو عمرو, دار الفكر, بيروت, 1414هـ - 1994م

226- كتاب المقتصد في شرح الإيضاح, عبد القاهر الجرجاني ت(471هـ), تح: د.كاظم بحر المرجان, دار الرشيد, بغداد, 1982

227- كشف الخفاء, ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس, العجلوني, نشر مكتبة القدسي, 1352هـ

228- كشف الظنون, حاجي خليفة, طبعة إستنبول, 1360هـ - 1941م

229- كشف المشكل, علي بن سليمان الحيدرة اليمني ت(599هـ), تح: د.هادي عطية مطر, مطبعة الإرشاد, بغداد, 1404هـ - 1984م

230- الكفاية في علم الدراية, الخطيب البغدادي ت(463هـ), ط1, مطبعة السعادة - مصر, منشورات المكتبة العلمية - المدينة المنورة, 1972



231- الكلام إنتاجه وتحليله، د. عبد الرحمن أيوب، ط1، مطبوعات، جامعة الكويت، 1984

(ل)

- 232- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د. عبد العزيز مطر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966
- 233- لحن العامة والتطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ط1، دار المعارف، مصر، 1967
- 234- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ت(711هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت
- 235- اللغة، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950
- 236- اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ - 2001م
- 237- اللهجات العربية، نشأة وتطوراً، د. عبد الغفار حامد هلال، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1414هـ - 1993م
- 238- اللهجات العربية الغربية القديمة، جيم رابين، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، طبعة دار السلاسل، الكويت، 1986م
- 239- اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1398هـ - 1978م
- 240- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، ط1، مكتبة المعارف، 1420هـ - 1999م
- 241- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، د. غالب فاضل المطليبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1398هـ - 1978م
- 242- لهجة قبيلة أسد، د. علي ناصر غالب، ط1، دار الشؤون الثقافية العام، بغداد، 1989
- 243- ليس في كلام العرب، الحسين بن أحمد بن خالويه ت(370هـ)، مطبعة المحمودية، القاهرة، د.ت

(م)

- 244- ما تلحن فيه العامة ضمن مجموعة ثلاث رسائل الكسائي، اعتنى بنسخها والتعليق عليها: عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندي بالجامعة الإسلامية في عابكرة، المطبعة السلفية، 1344هـ
- 245- مباحث لغوية، د. إبراهيم السامرائي، مطبعة الآداب، النجف، د.ت
- 246- مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ت(291هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار المعارف، مصر، 1948
- 247- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الجبل، بيروت، 1415هـ - 1995م
- 248- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي ت(1085هـ)، منشورات دار مكتبة الهلال، 1985



- 249- المجموع المغيـث في غريبي القرآن والحديث، الإمام الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر عيسى المدني الأصفهاني ت(581هـ)، تح: د. عبد الكريم العزباوي، ط1، دار المدينة، 1406هـ - 1986م
- 250- محاضرات في علم الصرف، د. علي جابر المنصوري وعلاء الدين هاشم الخفاجي، مطبعة التعليم العالي - الموصل، جامعة بغداد، بيت الحكمة
- 251- محاضرات في فقه اللغة، د. عصام نور الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1324هـ - 2003
- 252- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق: د. محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ - 1998م
- 253- المحيط في اللغة، الصحاب بن عباد ت(385هـ)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتاب، 1414هـ - 1994م
- 254- مختصر العين، أبو بكر الزبيدي الأشبيلي ت(379هـ)، تح: د. صلاح مهدي الفرطوسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الجزء الأول، 1991 الجزء الثاني 1993
- 255- المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده ت(458هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت
- 256- مدخل الى علم اللغة، د. محمد عبد العزيز، دار النحو للطباعة، 1983
- 257- المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ - 1997م
- 258- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، ط2، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1958
- 259- مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث، د. حسن الحكيم، ط1، النجف
- 260- المذكر والمؤنث، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت(286هـ)، تح: د. رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، مطبعة دار الكتب، 1970
- 261- المذكر والمؤنث، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تح: د. طارق عبد عون الجنابي، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1406هـ - 1986م
- 262- مروج الذهب، المسعودي، القاهرة، 1983
- 263- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح وتعليق: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986
- 264- المسالك والممالك، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخري ت(350هـ)، تح: محمد جابر عبد العال الحسيني، دار القلم، القاهرة، 1961
- 265- المستقصى في أمثال العرب، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ - 1987م
- 266- مسند احمد بن حنبل، دار صادر، بيروت
- 267- المشترك اللغوي نظريةً وتطبيقاً، د. محمد توفيق شاهين، ط1، مطبعة الدعوة الإسلامية، 1400هـ - 1980م



- 268- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، العالم العلامة احمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ت(770هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ - 1994م
- 269- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد القادر مرعي خليل، جامعة مؤتة، 1993
- 270- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د. عبد العزيز الصيغ، ط1، دار الفكر، دمشق، 1427هـ - 2007م
- 271- معاجم غريب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، د. السيد الشرقاوي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ - 2001م
- 272- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ت(207هـ)، تح: ج1: احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ج2: محمد علي النجار، ج3: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي وعلي النجدي ناصف، دار السرور، د.ت
- 273- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ت(311هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ - 1988م
- 274- معجم الأدباء، ياقوت الحموي ت(626هـ)، دار المأمون، مصر، 1936
- 275- معجم البلدان، ياقوت الحموي ت(626هـ)، مطبعة السعادة، 1906
- 276- المعجم العربي نشأته وتطوره، د. حسين نصار، ط2، دار مصر للطباعة، 1968
- 277- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، دار العلم للملايين، بيروت، 1968
- 278- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ابو عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت(487هـ)، تح: مصطفى السقا، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1945-1949
- 279- المعجم المفصل في تفسير غريب الحديث، د. محمد التونجي، ط1، دار الكتب، العلمية، بيروت، 1417هـ - 1997م
- 280- المعجم المفصل في المعرب والدخيل، سعد ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ - 2004م
- 281- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، منشورات ذوي القربى، 1420هـ
- 282- معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس ت(393هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية - بيروت، إسماعيليان نجفي - قم، د.ت
- 283- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبو منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر الجواليقي ت(540هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ - 1998م
- 284- المغازي، محمد بن عمر بن واقد ت(207هـ)، تح: مارسدن جوتسن، مطبعة جامعة اكسفورد، 1966م



- 285- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, جمال الدين بن هشام الأنصاري
ت(761هـ), تح: محمد محيي الدين عبد الحميد, ط5, مؤسسة الصادق
للطباعة والنشر, 1378هـ
- 286- مفردات ألفاظ القرآن, الراغب الأصفهاني ت(425هـ), تح: د.صفوان
عدنان داوودي, ط4, دار العلم - دمشق, دار الشامية - بيروت, 1425هـ
- 287- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, د.جواد علي, ط1, دار العلم
للملايين - بيروت, مكتبة النهضة - بغداد, 1968-1973
- 288- المفصل في علم العربية, الزمخشري ت(538هـ), عني بنشره: محمود
توفيق, مطبعة حجازي, القاهرة
- 289- المقتضب, أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت(285هـ), تح: محمد عبد
الخالق عزيمة, القاهرة, 1386هـ
- 290- مقدمتان في علوم القرآن, مقدّمة كتاب المباني ومقدّمة ابن عطية, تصحيح:
آرثر جفري وعبد الله إسماعيل الصاوي, ط2, مطبعة الصاوي, 1392هـ -
1972م
- 291- المقرب, ابو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور
ت(669هـ), تح: د.احمد عبد الستار الجواري ود.عبد الله الجبوري, مطبعة
العاني, بغداد, 1971م
- 292- مكة وتميم, م.ح.كستر, ترجمة: د.يحيى الجبوري, مطبعة الجمهورية,
بغداد, 1975
- 293- ملامح من تاريخ اللغة العربية, د.احمد نصيف الجنابي, دار الرشيد للنشر,
1980
- 294- الممتع في التصريف, ابن عصفور الاشبيلي ت(669هـ), تح: فخر الدين
قباوة, ط1, المطبعة العربية, حلب, 1390هـ - 1970م
- 295- الممدود والمقصود, أبو الطيب الوشاء ت(325هـ), تح: د.رمضان عبد
التواب, مكتبة الخانجي, القاهرة, 1979
- 296- من أسرار اللغة, د. إبراهيم أنيس, ط8, مكتبة الأنجلو المصرية, 1971
- 297- المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني ت(392هـ), لكتاب
التصريف للإمام أبي عثمان المازني البصري ت(247هـ), تحقيق وتعليق:
محمد عبد القادر احمد عطا, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, 1319هـ -
1999م
- 298- منهاج البلغاء وسرج الأدباء, أبو الحسن حازم القرطاجني, تح: محمد
الحبيب ابن الخوجة, دار الكتب الشرقية, تونس, 1966
- 299- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث, د.علي آل زوين, ط1,
دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد, 1986
- 300- المنمّق في أخبار قریش, محمد بن حبيب ت(245هـ), تح: خورشيد احمد
فاروق, ط1, حيدر آباد الدكن, 1947
- 301- المذهب في علم التصريف, د.هاشم طه شلاش ود.صلاح مهدي الفرطوسي
ود.عبد الجليل عبيد حسين, مطبعة جامعة الموصل, 1989م
- 302- موسيقا الشعر, د. إبراهيم أنيس, مكتبة الأنجلو المصرية, 1965



- 303- الموطأ للإمام مالك, تح: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي, القاهرة, 1370هـ - 1951م
304- الميزان في تفسير القرآن, محمد حسين الطباطبائي, ط1, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت, 1417هـ - 1997م

(ن)

- 305- النشر في القراءات العشر, الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ت(833هـ), تصحيح: علي محمد الضباع, المكتبة التجارية الكبرى
306- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب, أبو العباس أحمد القلقشندي ت(821هـ), تح: إبراهيم الأبياري, ط1, القاهرة, 1959
307- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ت(606هـ), تح: طاهر أحمد الزاوي ود. محمود محمد الطناحي, ط1, انتشارات دار التفسير, قم - 1426هـ
308- نهج البلاغة, ضبط نصه وابتكر فهارسه: د. صبحي الصالح, ط1, دار الكتاب اللبناني, بيروت, 1980
309- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار, السيد الشلبنجي الشافعي, دار الكتب العلمية, بيروت

(هـ)

- 310- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية, جلال الدين السيوطي, تح: عبد السلام محمد هارون ود. عبد العال سالم مكرم, دار البحوث العلمية, الكويت, 1394هـ - 1975م

ثانياً: الكتب المطبوعة باللغة الانكليزية

- 311- Musil(Alois) : Arabia Deserta, Newyork, 1927
312- Rabin(Chaim) : Ancient Westt Arabia, London, 1951

ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

- 313- أبواب الفعل الثلاثي دراسة صرفية صوتية, حيدر كريم فهد, رسالة ماجستير, كلية القائد للتربية للبنات, جامعة الكوفة, 1998م
314- الخليل في معجم مقاييس اللغة, توثيق ودراسة, كاظم فضيل شاهر, رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة القادسية, 1419هـ - 1999م
315- اللهجات العربية في كتاب سيبويه((الصوت والنحو)), رافد مطشر سعيدان الخويبر اوي, رسالة ماجستير, كلية التربية, جامعة بابل, 1423هـ - 2002م
316- اللهجات العربية في معجمات القرن الرابع للهجرة, حيدر كريم فهد السويدي, أطروحة دكتوراه, كلية الآداب, الجامعة المستنصرية, 1423هـ - 2002-
317- لهجة قبيلة قريش دراسة لغوية, مهدي حارث مالك, أطروحة دكتوراه, كلية الآداب, جامعة الكوفة, 2004م



رابعاً: البحوث والدوريات:

- 318- أثر اللهجات في شرح ابن عقيل على الألفية, د.رشيد العبيدي, مجلة آداب المستنصرية, العدد الخامس, السنة الخامسة, 1975
- 319- الإمالة بين النحاة القدامى واللغويين المحدثين, د.محمد أحمد العمروسي, مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, العدد الاول, 1409 هـ
- 320- بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي, انوليتمان, مجلة جامعة فؤاد الأول, مج: 10, 1367 هـ - 1948 م
- 321- حركة التأليف في لغة غريب الحديث, فاطمة حمزة الراضي, مجلة المورد, الجمهورية العراقية, مج: 9, العدد الرابع, 1401 هـ - 1981 م
- 322- دراسات في اللهجات العربية - لهجة هذيل, د.خليل ابراهيم العطية, مجلة الخليج العربي, مركز دراسات الخليج العربي, جامعة البصرة, العدد الثاني, 1975
- 323- لهجة قبيلة سليم, د.على ناصر غالب, مجلة العرب, الرياض, ج: 7, 8, 9, 10
- 324- موقف اللغويين القدماء من اللهجات, كاظم فضيل شاهر, مجلة القادسية, مج: 4, العدد الثاني, 1426 هـ - 2005 م
- 325- الهمزة بين بين, د.جواد كاظم عناد, مجلة جامعة القادسية, مج: 2, ملحق بالعدد الثاني, 1997